من
وصايا الرسول ﷺ

المجلد الأول

الأجزاء من ١ ــ ١٠

شرح وتعليق
طه عبد الله العفيفي

دار التراث العربي

جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ ـ ابريل سـنة ١٩٨١ م

مطابع دار التراث العربي
ت ٩٢٣٦١٤٥ ـ القاهرة



الإهداء

الى الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أعطاه الله : صفوة آدم ، ومولد شيث ، وشجاعة نوح ، وحلم ابراهيم ، ولسان اسماعيل ، ورضا اسحاق ، وفصاحة صالح ، وحكمة لقمان ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وصبر أيوب ، وقوة موسى ، وتسبيح يونس ، وجهاد يوشع ، ونعمة داوود ، وهيبة سليمان ، ووقار الياس ، وزهد عيسى ، وعلم الخضر .

فكان أهلا لأن يخاطبه الله تعالى بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »[1] . أهدى هذه المجموعة المباركة من وصاياه صلى الله عليه وسلم .. سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها فى صحيفة حسناتى ، وأن يجعل مثل رصيدى من الحسنات فى صحيفة والدى السيد « عبد الله العفيفى » عليه رحمة الله ، الذى غرس فى قلبى منذ نعومة أظفارى بأفعاله وأقواله وجهاده حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعمل بسنته ، والدعوة اليها تحت لواء الجمعية الشرعية المباركة ، التى أسسها الامام الأكبر « الشيخ محمود خطاب السبكى » رحمه الله ، وبارك فى ذريته وتلاميذه ومريديه الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[2] .

المؤلف

(١) القلم : ٤

(٢) الأحزاب : ٢٣



مقدمة

الحمد لله « **وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب** »[1] وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له « **أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** »[2] فكان بشـــيرا ونذيرا « **وداعيا الى الله باذنه وسراجا منـــيرا** »[3] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الأمة ، وكشف الغمة .

اللهم صل وســـلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا نهجه وتأدبوا بآدابه ، فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين .

أما بعـــد ..

فيا أخا الاسلام :

منذ عشر سنوات وأنا أجمع فى وصايا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. رغبة فى حفظها ، والعمل بما فيها من توجيهات ونصائح .. وقد استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بعد مجهود كبير أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه ، أن أجمع أكثر من مائة وصية من أندر الوصايا وأعظمها .

وقد رأيت بعد أن استخرت الله سبحانه وحتى يتمكن القارىء من دراستها واستيعاب ما فيها بدون جهد وملل أن أنشرها فى أجزاء متتابعة بصورة موجزة اعتمدت فيها على الأدلة الثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. هذا بالاضافة الى بعض الحكم والآثار التى تجعل القارىء مرتبطا بالمعنى الذى أريد أن أصل اليه عند تعليقى على كل وصية .

فعش أخا الاسلام مع هذه الوصايا بكل وجدانك ومشاعرك .. و ..

اعمـــل بآثـــار النبى فانهـــا النـــور المبين
واقبل نصيحتها ففيها الـــعز والشرف المـــكين

---

(١) هود : ٨٨
(٢) التوبة : ٣٣
(٣) الأحزاب : ٤٦

واشـــدد يمينك بالشريـــ ـــعة انهـا السبب المتين
خـــير الـــبرية أحمـــد والحـــق يصحبه اليقـــين
ذو قـــــوة عنـــد الالـــــــه مقرب منه مــكين
زان النبيـــون الورى ومحمـــــد لهـــم يزين
هاد الى طـــرق النجـــا ة مـــؤيد فيهـــا أمين

فهذه وصية امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى صاحب « المقامات العلية » رحمه الله رحمة واسعة ، فاعمل بها .. وقل معه :

يا رب وسع رزقنا وأكثر يا رب أعل قـــدرنا وأظهر
(اغفر لنا ذنوبنا وكفر) وصف منـــا قلبنا وطهـــر
وجد لنا باليسر بعد العسر

يا ربنا وارفق بنا واجبرنا يا ربنـــا ومن واعف عنـــا
يا ربنا (واغفر لنا وارحمنا) يا ربنـــا وقونا وانصرنا
وامنن بستر يا جميل الستر

يا ربنا واشرح الينا صدرا يا ربنا أجزل الينا الأجرا
يا (ربنا أفرغ علينا صبرا) يا ربنـــا سهل علينا الأمرا
يا ربنـــا واختم لنا بالخير

وقل مع والدى السيد عبد الله العفيفى رحمه الله وأسكنه فسيح جنـــاته :

وأصلح الهى لنـــا نسلنا وشفع الهى طه الرسول
فينا وفيهم وكن عوننا وهبنا جميعا حب الرســـول
وصل وســـلم الهى على أحمد محمد طه الرســـول
وعلى الآل كذلك على كل نصـــير لطه الرســـول

وقل معى :

يا رب وارض عن الصحابة كلهم والتـــابعين وكل عبد هادى
وعن الأئمة والمشـــايخ واجزهم خير الجزاء وزد بفضلك زادى

* * *

واجبر بفضلك كل من عرف الهدى . وانصر الهى شرعتى وبلادى

* * *

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

طه عبد الله العفيفى

* * *

صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه
يقــدم نفســه

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع »[١] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون فى تفاضل الأنبياء فقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم .. ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك .. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر »[٢] .

فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى وحبيبى يا رسول الله .

يا من زكى الله عقلك فقال : « **ما ضل صاحبكم وما غوى** »[٣] .

وزكى لسانك فقال : « **وما ينطق عن الهوى** »[٤] .

وزكى جليسك فقال : « **علمه شديد القوى** »[٥] .

وزكى فؤادك فقال : « **ما كذب الفؤاد ما رأى** »[٦] .

وزكى بصرك فقال : « **ما زاغ البصر وما طغى** »[٧] .

وزكى صدرك فقال : « **ألم نشرح لك صدرك** »[٨] .

وزكاك كلك فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[٩] .

---

(١) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٢) اخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .
(٣) النجم : ٢ — (٤) النجم : ٣
(٥) النجم : ٥ — (٦) النجم : ١١
(٧) النجم : ١٧ — (٨) الشرح : ١
(٩) القلم : ٤

فكنت لهذا ومن أجل كل هذا قدوة صالحة ، ر « **أســوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »[١] .

وكنت اماما للأنبياء فى ليلة الاسراء يوم وقفت خطيبا فى بيت المقدس فقلت متحدثا بنعمة الله عليك وعلينا :

« الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل القرآن فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما » .

أزكى صلاة مع ســلام عاطر   ينمو به يوم الحصاد حصادى[٢]

* * *

ثم الصلاة مع السلام على الهدى   خــير البرية منحة المنــان[٣]

* * *

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) من قصيدة دعاء ورجاء (للمؤلف) .

(٣) من قصيدة للمؤلف القيت فى افتتاح مسجد الفتح بالمعادى .

الوصيّة الأولى

عن الحارث الأشـعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكرياء عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بها وأن يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، وأنه كاد أن يبطىء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : ان الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، فاما أن تأمرهم بها ، واما أن آمرهم بها . فقال يحيى عليه السلام : أخشى ان سبقتنى بها أن يخسف بى أو أعذب ، فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ المسجد بهم وقعدوا على الشرف . فقال : ان الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن وأن آمركم أن تعملوا بهن ، أولاهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ، وقال : هذه دارى ، وهذا عملى ، فاعمل وأد الى ، فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وان الله تعالى أمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت . وأمركم بالصيام ، فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك وان ريح فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . وأمركم بالصدقة ، فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله ، فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« وأنا آمركم بخمس ــ الله تعـالى أمرنى بهن : السمع ، والطاعة ، والجهـاد ، والهجرة ، والجمـاعة . فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو فى جهنم » .

فقال رجل : وان صام وصلى يا رسول الله ؟!

قال : « وان صـام وصلى . فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله تعالى » .

(أخرجه الترمذى وصححه وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

عابدا حقيقيـا ، واحـذر أن تكون مشركا بالله لأنه سبحانه : **« لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**[١] و **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »**[٢] واذكر قوله تعالى : **« وما أمروا الا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين حنفـاء ... »**[٣] واياك أن تكون كهذا العبد الذى يعمل ويؤدى الى غير سيده .. فأنت لا ترضى أن تعامل كذلك .

وحافظ على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك ، واحذر أن تكون من **« الذين هم عن صلاتهم ساهون »**[٤] وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وكن من الرجال الذين **« لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة »**[٥] .

واياك أن تلتفت فى صلاتك .. فقد سئل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الالتفات فى الصلاة فقال : « اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »[٦] ، وقال : « لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فاذا صرف وجهه انصرف عنه »[٧] .. مع ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بالالتفات فى الصلاة :

---

(١) النساء : ٤٨
(٢) الأنعام : ١٦٢
(٣) البينة : ٥
(٤) المـاعون : ٥
(٥) النور : ٣٧
(٦) رواه البخارى والنسائى .
(٧) رواه أحمد وأبو داوود والنسائى .

قال الأحناف : يكره الالتفات بالعنق فقط ، أما الالتفات بالعين يمنة أو يسرة فمباح ، وبالصدر الى غير جهة القبلة قدر ركن كامل مبطل للصلاة .

وقال الشافعية : يكره الالتفات بالوجه ، أما بالصدر فمبطل مطلقا ، لأن فيه انحرافا عن القبلة .

وقال المالكية : يكره الالتفات مطلقا ، ولو بجميع جسده ، ما دامت رجلاه للقبلة ، والا بطلت الصلاة .

وقال الحنابلة : ان الالتفات مكروه ، وتبطل الصلاة به ان استدار بجملته ، أو استدبر القبلة ، ما لم يكن فى الكعبة ، أو شدة الخوف فلا تبطل الصلاة ان التفت بجملته ، ولا تبطل لو التفت بصدره ووجهه لأنه لم يستدبر بجملته .

وأد زكاة جسدك .. وذلك بأن تعود نفسك على الصيام .. فرضه ونفله . فقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر »[1] وقال : « ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا »[2] .

وأد زكاة مالك كما فرض الله عليك ، وكن من **« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية »**[3] ، **« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل »**[4] واعلم أن « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر »[5] وأن « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار .. ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل »[6] وأن « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة »[7] « وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) اى سنة : رواه البخارى ومسلم .
(٣) البقرة : ٢٧٤
(٤) الاسراء : ٢٦
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه الترمذى .
(٧) رواه البخارى .

صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة .. »[١] « والكلمة الطيبة صدقة »[٢] فاذكر ذلك جيدا ، واحــذر أن تكون من الذين يبطلون صدقاتهم « **بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين** »[٣] وكن من « **الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »[٤] .

وكن من أولى الألباب « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** »[٥] .. لأن الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد الى الله الا بدوام الذكر[٦] .

وحسبك أنك بذكرك لله تعالى تكون جليسا لملك الملوك سبحانه الذى يقول فى الحديث القدسى : « أنا جليس من ذكرنى » وأنك تفوز بخــير عظيم مع « **الــذاكرين الله كثيرا والذاكرات** »[٧] الــذين « **أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** »[٨] وأنك تكون فى حصانة من كيد الشيطان والا كان قرينا لك .. قال تعالى : « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** »[٩] .

واحــذر أن تكون من هؤلاء الذين يذكرون الله بدون خشــوع « **وهم يحسبون أنهم يحســنون صنعا** »[١٠] واعلم أنه من آداب الذكر أن تكون حاضر القلب ، طاهرا ، مستقبلا للقبلة ، متطيبا .. فلاحظ كل هــذا .

واذكر الله تعــالى دائما وأبدا بكل جوارحك وبدون تحريف ، واستحضر عظمته سبحانه وتعالى وأنت فى حضرته عسى أن تكون من أولى الألباب :

واغتنم ركعتين فى ظلمة الليل   اذا كنت فارغا تستريحا
واذا ما هممت بالخوض الباطل   فاجعــل مكانه تسـبيحا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .   (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) البقرة : ٢٦٤   (٤) البقرة : ٢٦٢
(٥) آل عمران : ١٩١   (٦) الامام القشيرى .
(٧) الأحزاب : ٣٥   (٨) الأحزاب : ٣٥
(٩) الزخرف : ٣٦   (١٠) الكهف : ١٠٤

واغتنام السكوت أفضل من خو ض وان كنت بالحديث فصيحا

واسمع ، وأطع ، وجاهد فى سبيل الله ، والزم الجماعة عملا بوصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر الله تعالى فى قوله : « **واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم** »[١] وقوله تعالى : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** »[٢] .

واعلم أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام[٣] الاسلام ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد »[٤] .

وأن الهجرة قد تكون هربا ، وقد تكون طلبا :

فهجرة الهرب تنقسم الى ستة أقسام :

١ — الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام .. وهى باقية الى يوم القيامة وهى التى انقطعت بالفتح فى قوله صلى الله عليه وسلم : « **لا هجرة بعد الفتح** »[٥] .

٢ — الخروج من أرض البدعة .. قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف .

٣ — الخروج من أرض يغلب عليها الحرام .. فان طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

٤ — الفرار من الأذية فى البدن .. وأول من فعل ذلك ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين خاف من قومه فقال : « **انى مهاجر الى ربى** »[٦] ، وقال تعالى مخبرا عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : « **فخرج منها خائفا يترقب** »[٧] .

٥ — الخروج من خوف المرض الى بلد لا وباء فيها .

٦ — الخروج خوفا من الأذية فى المال .. فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه .

وأما هجرة الطلب .. فقد تكون طلبا للدين ، وقد تكون طلبا للدنيا ، وفى ذلك يقول تعالى : « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة** »[٨] .

---

(١) التغابن : ١٦ (٢) النساء : ٥٩

(٣) السنام واحد اسنمة الابل . والمراد ذروته او اعلاه .

(٤) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) العنكبوت : ٢٦

(٧) القصص : ٢١ (٨) النساء : ١٠٠

وهجرة الدين منها :

١ ـ سفر العبرة .. وفى ذلك يقول تعالى : « **أو لم يسيروا فى الأرض فينظـروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** »[١] وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها .

٢ ـ وسفر الحج .

٣ ـ وسفر الجهاد .

٤ ـ وسفر المعاش .

٥ ـ وسفر التجارة والكسب الزائد على القوت ولو فى الحج .. وهو جائز لقوله تعالى : « **ليس عليكم جناح**[٢] **أن تبتغوا فضلا من ربكم** »[٣] وطلب العلم .

٦ ـ وقصد البقاع الشريفة وشد الرحال اليها وهى : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، والمسجد الأقصى .

٧ ـ وقصد الثغور[٤] للرباط بها .

٨ ـ وزيارة الاخوان لله تعالى .

* * *

---

(١) فاطر : ٤٤ (٢) الجناح : بالضم اى الاثم .

(٣) البقرة : ١٩٨

(٤) الثغور : موضع المخافة من فروج البلدان .

الوصية الثانية

قال سويد الأزدى : وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال :

« من أنتم » ؟

فقلنا : مؤمنون •

فقال : « ان لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم ، وصدق ايمانكم » ؟

فقلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس آمنا بها ، وخمس عملنا بها ، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ، ونحن عليها للآن ، فان كرهتها تركناها •

فقال عليه الصلاة والسلام :

« فاذكروا ما عندكم » •

فقالوا : أما خمس الايمان فهى : أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت • وأما خمس العمل فهى : أن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن نقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا • وأما خمس الجاهلية فهى : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق والثبات عند الحرب واللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء •

ومن عظم سرور النبى صلى الله عليه وسلم بهم وبايمانهم النقى وفطرتهم السليمة ، قال لهم :

« أنتم حكماء ، علماء ، فقهاء ، كدتم أن تكونوا أنبياء ، وأنا أزيدكم خمسا ليتم لكم عشرون •

ان كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه

غدا زائلون ، واتقوا الله الذى اليه ترجعــون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيمــا أنتم عليه تقــدمون ، وفيه تخلدون » .

(اخرجه ابو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الزهــد والخطيب فى التاريخ) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

مؤمنا حقيقيا وأكد ايمانك بالأقوال والأفعال ، واحذر أن تكون من الذين قالوا : **« آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »**[١] . **« الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »**[٢] .

كن من : **« الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »**[٣] و **« الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »**[٤] .

فبهذا تستحق رحمة الله تعالى الذى يقول :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم »[٥] .

وبهذا تكون من المبشرين فى قوله تعالى :

« وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم »[٦] .

---

(١) البقرة : ٨ ــ ١٠
(٢) الكهف : ١٠٤
(٣) الأنفال : ٢ ــ ٤
(٤) المؤمنون : ٢ ــ ١١
(٥) التوبة : ٧١
(٦) يونس : ٢

« الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخـــرة »[1] •

« وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[2] •

ثم اعمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهى :

* (لا تجمعوا ما لا تأكلون) :

أى لا تكونوا من هواة جمع المـــال ، الذين لا هم لهم الا أن يكونوا من ملاك الدنيا •• حتى ولو كان هذا على حساب الآخرين •• مع أنهم لو عرفوا حقيقة الدنيا لزهدوا فيها ، ولكانوا من أبناء الآخرة التى لا دوام للنعيم الا فيها **« وان الدار الآخرة لهى الحيوان**[3] **لو كانوا يعلمون »**[4] **« وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »**[5] •

فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا •• فان كل أم يتبعها ولدها و « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » •

* (ولا تبنوا ما لا تسكنون) :

أى لا تكونوا من هؤلاء الذين يريدون زينة الحياة الدنيا ، ويريدون أن يضعوا أيديهم على أكبر المساكن وأجملها اشباعا لأطماعهم ، وحرمانا لغيرهم •• وحسبكم ما يستركم ويحفظ أقواتكم ، وابنوا للآخرة فانه :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها　　　الا التى كان قبل الموت يبنيها

* (ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه غدا زائلون) :

أى لا تكونوا من المتنـــازعين بسبب حطام الدنيـــا الزائل ، و **« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما »**[6] ••• الآية •

وما دنيـــاك الا مثل ظل　　　أظـــلك ثم آذن بارتحال

وقد خاطبها الله تعالى فى صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام بقوله : « يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم •• انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك •• ما خلقت خلقا أهون على منك •• انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ، ولا يدوم لك أحد » •

---

(١) يونس : ٦٣ ، ٦٤　　(٢) الصف : ١٣

(٣) أى : لهى الحياة الحقيقية .　　(٤) العنكبوت : ٦٤

(٥) الحديد : ٢٠　　(٦) الحديد : ٢٠

فاذكر ذلك جيدا . و « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »(١) .

واعـلم :

أن لله عبـــادا فطنـــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيهـا فلما علمـوا أنهـا ليست لحى وطنـا
جعـلوها لجة واتخـــذوا صالح الأعمـال فيها سفنا

فكن من هؤلاء الفطناء السعداء مع ملاحظة أنه :

« ليس الزاهد من لا مال عنده ، وانما الزاهد من لم يشغل المال ، وان أوتى مثل ما أوتى قارون »(٢) فلا تنس كل هذا ...

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك »(٣) .

* (واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون) :

أى راقبـوه سبحانه وتعـالى فى كل زمان ومكان ، وفى السر والعلن .. وأنتم توقنون بأنه « لا تخفى عليه خافية »(٤) وأنه : **يعلم السر وأخفى »(٥)** و **« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور »(٦)** .

الله يدرى كل ما تضمـر يعلم ما تخفى وما تظهر
ان خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر

وأنكمُ ستردون **« الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »(٧)** .

* (وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون وفيه تخلدون) :

أى ارغبوا فى أعمال الخير التى ستجدونها عند الله **« يوم لا ينفع مال ولا بنون »(٨)** **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »(٩)** .

فاذكر ذلك جيدا ، واعلم أن :

زخارف الدنيـا أساس الألم وطالب الدنيـا نديم الندم
فكن خلى البال من أمرها فكل ما فيهـا شقاء وهم

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره ، وهو حديث حسن .
(٢) من اقوال العلماء . (٣) القصص : ٧٧
(٤) الحاقة : ١٨ بلفظ : **« لا تخفى منكم خافية »** تاكيدا لهذا المعنى .
(٥) طه : ٧ (٦) غافر : ١٩
(٧) التوبة : ٩٤ ، ١٠٥ (٨) الشعراء : ٨٨
(٩) النبأ : ٤٠

الدرع لا تمنع سهم الأجل والمال لا يدفعه ان نزل
وكل ما فى عيشنا زائل لا شىء يبقى غير طيب العمل

ولا تنس كذلك قول القائل :

طلق الدنيا ثلاثا والتمس زوجا سواها
انها زوجة سوء لا تبالى من أتاها

وليكن حديثك معها حديث على رضى الله تعالى عنه عندما أرادت اغراءه والوصول الى قلبه فقال لها :

« يا دنيا •• غرى غيرى ، ألى تعرضت ، أم الى تشوفت •• هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها •• فعمرك قصير ، وخطرك[1] حقير » •• فهذا هو جزاؤها •• لأنها (اذا حلت أوحلت ، واذا كست أوكست ، واذا جلت أوجلت ، واذا دنت أودنت) •

* * *

(١) الخطر : هو القدر والمنزلة .

الوصية الثالثة

• عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله •• ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال :

« كانت أمثـالا كلها •• أيها الملك المسلط المبتلى المغرور : انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر • وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات : فساعة يناجى فيهـا ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيهـا لحاجته من المطعم والمشرب •

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم • وعلى العاقل : أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شـأنه ، وحافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه » •

قلت : يا رسول الله •• فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال :

« كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيـا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل » •

قلت : يا رسول الله •• أوصنى • قال :

« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« عليك بتـلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ، فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« أحب المساكين وجالسهم » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« قل الحق وان كان مرا » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ولا تجد عليهم فيمـا تاتى ، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك وتجد عليهم فيما تاتى » •

ثم ضرب بيده على صدرى فقال :

« يا أبا ذر •• لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » •

(رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسـناد) •

* * *

فكن أخا الاسلام :

شبيها بأبى ذر رضى الله تعالى عنه فى حبه للعلم ، وحرصه على طلبه ، ولا سيما اذا كان من أستاذ البشرية جمعاء صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أحبه أكثر من نفسه ، بل ومن كل شيء فى هذا الملكوت الذى يعيش فيه •

وهو هنا فى هذه الوصية يسأل أستاذه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام •• فيخبره صلى الله عليه وسلم أنها كانت أمثالا وعبرا كلها •• ثم يذكر له بعض هذه الأمثال والعبر التى ان تعمقنا فيها وحققنا مغزاها لكانت مشعلا مضيئا لنا على طريق الفلاح والوصول الى الله تعالى •

ثم كانت هذه الوصايا العظيمة التى زوده الرسول صلى الله عليه وسلم بها تلبية لرغبته عندما قال له : يا رسول الله أوصنى .. فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

* (أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله) :

وحسب العاقل أن يفهم هذا المعنى الكبير الذى ركز الرسول — صلى الله عليه وسلم — عليه .. وهو أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد .. فكما أنه لا حياة للانسان بدون رأس .. كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى ..

وهى كما وصفها على رضى الله عنه :

« الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » .

وهى .. المحافظة على آداب الشريعة .

وهى .. مجانبة كل شىء يبعدك عن الله .

وهى .. أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

وخلاصة معناها كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »[1] .

والمتقون فى هذه الدنيا كما وصفهم على رضى الله تعالى عنه :

« هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون .. ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل » .

ولهذا .. ومن أجل هذه الصفات العظيمة ، اذا قرأنا كتاب الله تعالى سنجد أنه سبحانه وتعالى قد وعد المتقين بكل فلاح ونجاح :

---

(١) من حديث رواه مسلم .

وعدهم بالحفظ والحراسة من الأعداء فقال :

« وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا »(١) .

ووعدهم بالنصر والتأييد ، فقال :

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »(٢) .

ووعدهم بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال ، فقال :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا • ويرزقه من حيث لا يحتسب »(٣)

ووعدهم باصلاح العمل وغفران الذنوب ، فقال :

« اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم »(٤) .

ووعدهم بنور يمشون به ، فقال :

« اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به »(٥) .

ووعدهم بمحبته فقال :

« ... فان الله يحب المتقين »(٦) .

ووعدهم بالاكرام ، فقال :

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم »(٧) .

ووعدهم بالبشرى فى الدنيا والآخرة ، فقال :

« الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشري فى الحياة الدنيا وفى الآخـــرة »(٨) .

ووعدهم بالنجاة من النار ، فقال :

« ثم ننجى الذين اتقوا »(٩) .

ووعدهم بالخلود فى الجنة ، فقال :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »(١٠) .

وهم كما تحدث الله تعالى عنهم بعد ذلك بقوله :

« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

---

(١) آل عمران : ١٢٠

(٢) النحل : ١٢٨

(٣) الطلاق : ٢ ، ٣

(٤) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

(٥) الحديد : ٢٨

(٦) آل عمران : ٧٦

(٧) الحجرات : ١٣

(٨) يونس : ٦٣ ، ٦٤

(٩) مريم : ٧٢

(١٠) آل عمران : ١٣٣

الناس ، والله يحب المحسنين • والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العـاملين »[١] ••
فكن منهم حتى تفوز معهم بكل هذه الامتيازات العظيمة :

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح للذكر

*** (وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء) :**

وحسبك هذا المعنى المحمدى الذى يحتاج الى عمق فى التفكير والفهم السليم •

واعلم أن القرآن فضلا عن أنه كلام الله الذى **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »**[٢] هو آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة ، والرسول الأمين ، والواعظ الناطق ، والبرهان القاطع ، والعقيدة الثابتة ، والآية الساطعة •

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال فى حديثه عنه وعن فضله :

« •• فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : **« انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشد »**[٣] •• من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم »[٤]

ولهذا أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن ، وحث على ذلك فقال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[٥] •

---

(١) آل عمران : ١٣٤ — ١٣٦ (٢) فصلت : ٤٢
(٣) الجن : ١ ، ٢ (٤) اخرجه الترمذى •
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب •

وقال : « يقول الرب سبحانه وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه »[١] .

وقال : « اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه »[٢] .

وقال : « البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض »[٣] .

وقال : « نوروا منازلكم بالصلاة وتلاوة القرآن »[٤] .

وقال : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن »[٥] .

هذا وللتلاوة آداب منها :

أنه يستحب الوضوء لقراءة القرآن .. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله الا على طهر ، وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وان كان يجوز لهما النظر فى المصحف .

وأما متنجس[٦] فتكره له القراءة ، وقيل : يحرم لمس المصحف باليد النجسة .

وتسن القراءة فى مكان نظيف وأفضله المسجد .

ويستحب أن يجلس القارىء مستقبلا القبلة ، متخشعا بسكينة ووقار ، مطرقا رأسه .

ويسن أن يستاك القارىء تعظيما وتطهيرا .

ويسن التعوذ قبل القراءة .

وأن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة ، كما يستحب ذلك اذا قرأ من أثناء السورة .

ويسن الترتيل فى قراءة القرآن .. وقد كانت قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفا حرفا[٧] قال تعالى : **« ورتل القرآن ترتيلا »**[٨] .

---

(١) اخرجه الترمذى من حديث ابى سعيد وقال : حسن غريب .

(٢) اخرجه مسلم . (٣) اخرجه البيهقى من حديث عائشة .

(٤) اخرجه البيهقى من حديث انس .

(٥) اخرجه السهقى من حديث النعمان بن بشير .

(٦) وهو شارب الخمر او آكل الميتة او لحم الخنزير .

(٧) ورد فى هذا المعنى حديث صحيح . (٨) المزمل : ٤

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم •• فهو المقصود الأعظم ، والمطلوب الأهم . وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب •• قال تعالى : « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** »(١) .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع ، قال تعالى : « **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** »(٢) .

ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها •• ففى الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم »(٣) .

ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة .

ويسن السجود عند قراءة آية السجدة وهى أربع عشرة :

فى الأعراف ، والرعد ، والفرقان ، والنمل ، والسجدة ، وفصلت ، والنجم ، والنحل ، والاسراء ، ومريم ، وفى الحج : سجدتان ، واذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربك ، وأما سورة ص فمستحبة وليست من عزائم السجود أى متأكداته ، وزاد بعضهم آخر سورة الحجر .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن بالليل : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته »(٤) .

وفى رواية الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

« جاء رجل فقال : يا رسول الله •• رأيتنى اليوم وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول : اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داوود •• قال ابن عباس : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة فقال فيها مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة » .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان

---

(١) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٤
(٢) الاسراء : ١٠٩
(٣) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه وهو حديث حسن أو صحيح .
(٤) أخرجه أصحاب السنن .

يبكى ! يقول : يا وليتا •• أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار »[١] •

واعلم أن القراءة فى المصحف أفضل من قراءته حفظا •• لأن النظر فيه عبادة مطلوبة •• وذلك بالنسبة للتأمل فى المصحف »[٢] •

ويكره الآتى :

قطع القراءة لمكالمة أحد •• لأن كلام الله تعالى لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره •

والضحك والعبث والنظر الى ما يلهى •

والتنكيس فى القراءة بمعنى أن تقرأ مثلا سورة « ألم نشرح » قبل سورة « والضحى » •• وقد سئل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رجل يفعل ذلك فقال : ذلك منكوس القلب •

والخلط بين سورة وسورة •• لأن ذلك ليس من آداب التلاوة ، والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف •

ولا يجوز قراءة القرآن بغير العربية مطلقا •• سواء أكان فى الصلاة أو خارجها •

ولا تجوز القراءة بالشاذ •• نقل ابن عبد البر الاجماع على ذلك •• وهى القراءة التى لم يثبتها قراء الأمصار •• مثل ابن كثير قارىء مكة ، ونافع قارىء المدينة •• ولذلك قالوا : انها ليست قرآنا ولا تصح بها الصلاة •

ومثال هذه القراءة الشاذة : « فاليوم ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »[٣] بالحاء بدلا من الجيم •• كما قال ابن الجزرى •

---

(١) اخرجه مسلم .

(٢) أما بالنسبة لحفظ القرآن فقد ورد فيه حديث رواه الترمذى وحسنه ابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الاسناد .. يقول فيه الرسول ﷺ : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقول له : اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة » وفى حديث قدسى رواه أبو نعيم عن أبى سعيد : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة : من هذا الذى ينبغى له ان يجاورك ؟ فيقول : أين قراء القرآن وعمار المساجد » ؟

(٣) يونس : ٩٢ بلفظ : ((**ننجيك**)) .

والأوقات المختارة للقراءة أفضلها : ما كان فى الصلاة ، ثم الليل ثم نصفه الأخير ، وهى بين المغرب والعشاء محبوبة ، وأفضل أوقات النهار بعد الصبح .

والمختار من الأيام : يوم عرفة ، ثم يوم الجمعة ، ثم يوم الاثنين والخميس .

ومن الأعشار : العشرة الأخيرة من رمضان ، والأول من ذى الحجة .

ومن الشهور : رمضان .

والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس ، فقد روى أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يفعل ذلك .

والأفضل كذلك : ختمه أول النهار أو أول الليل .. قال فى « الاحياء » : « ويكون الختم فى أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأول الليل فى ركعتى سنة المغرب » .

ويسن صوم يوم الختم .. وأخرج الطبرانى عن أنس أنه كان اذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وحسبك تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى ان تعمقت فيه لتبين لك بوضوح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد مبعوث من قبل الله تعالى .. وانما كان خبيرا ببواطن الأمور ، وطبيبا ماهرا فى معالجة أمراض القلوب التى إن صلحت صلح الجسد كله ، وان فسدت فسد الجسد كله .

وذلك بالنسبة لداء الضحك الذى يعتبر من الأمراض الخبيثة التى ان أصيب القلب بها كان محروما من الأنوار .. فقد ركز عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كما قال فى حديث شريف : « استدراج من الشيطان واختداع من الهوى » .. وحسبك تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم منه فى نص الوصية .

* ولما كان المزاح من أهم الأسباب المؤدية الى كثرة الضحك .. كان لابد وأن نشير اليه ، ونحذر منه كذلك .. وحسبنا ما قاله عمر ابن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : « اتقوا المزاح فانه حمقة تورث ضغينة » .

وما قاله أحد الحكماء : « انما المزاح سباب الا أن صاحبه يضحك » .

وما قيل فى منثور الحكم : « المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب » كما قيل : « من كثر مزاحه زالت هيبته » وقيل : « من قل عقله كثر هزله » .

وقال سعيد بن العاص لابنه : « اقتصد فى مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء » .

هذا ولا مانع أن يكون هناك مزاح برىء ينفس عن النفس ما طرأ عليها من هم وملل .. فقد قيل : لابد للمصدور أن ينفس عن نفسه والا هلك .. وقد أنشد بعضهم فى هذا المعنى المشار اليه :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة يجــم وعلله بشىء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم :

أن عجوزا من الأنصار أتته فقالت : يا رسول الله .. ادع الله لى أن يدخلنى الجنة ، فقال : « أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز » ؟ فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أما قرأت من القرآن قول الله عز وجل : **« انا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا »**[1] .

وأتته أخرى فى حاجة لزوجها فقال لها : « ومن زوجك » ؟ فقالت : فلان ، فقال لها : « الذى فى عينيه بياض » ؟ فقالت : لا .. فقال : « بلى .. » فانصرفت عجلى الى زوجها وجعلت تتأمل عينيه . فقال : لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياض .. فقال : أما ترين بياض عينى أكثر من سوادهما[2] ؟

واعلم أيها الأخ الكريم أن اعتياد الضحك شاغل عن النظر فى الأمور المهمة ، مذهل عن الفكر فى النوائب الملمة ، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا لمن وسم به خطر ولا مقدار .. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من كثر ضحكه قلت هيبته » وقال على رضى الله عنه : « اذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة » .. ولتكن دعابتك تبسما .. وهذا أبلغ فى الايناس من الضحك الذى قد يكون استهزاء وتعجبـــا .

وكن مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى تبدو نواجذه .. كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة .

---

(١) الواقعة : ٣٥ ـــ ٣٧

(٢) اخرجه ابن ابى الدنيا من حديث عبادة بن سهم الفهرى .

* وعليك بالجهاد •• فهو خير لك من الدنيا وما فيها ، وحسبك حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول فيه : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها »[١] •• وهو من أفضل الأعمال •• فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » •• قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »[٢] •

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله »[٣] وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رهبانية أمتى » كما جاء فى نص الوصية •

وحسب المجاهد فى سبيل الله أنه بجهاده يكون قد تعاقد مع الله سبحانه وتعالى الذى يقول فى كتابه العزيز :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »[٤] •

ويكون قد تاجر مع الله تعالى الذى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[٥] •

« واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[٦] •

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن انس •
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة •
(٣) أخرجه البخارى ومسلم •
(٤) التوبة : ١١١
(٥) الصف : ١٠ ــ ١٣
(٦) من حديث صحيح •

* (وأحب المساكين وجالسهم) :

وحسبك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين »[1] .

وقال لرجل شكا اليه قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين »[2] .

وكان سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه ، وقال : « مسكين جالس مسكينا »

وقيل : كان سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يحب أن يقال له : « يا مسكين » .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه : « الهى .. أين أبغيك » ؟ قال : « عند المنكسرة قلوبهم » . وقال الفضيل : بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال : « يا رب .. كيف لى أن أعلم رضاك عنى » قال : « انظر كيف رضا المساكين عنك » .

فكن من الذين يحبون المساكين أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذكر من الأنبياء والصالحين ، وكن محبا للمساكين « **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** »[3] ، وكن رحيما باليتيم ، واذكر قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » وأشار باصبعيه السبابة والوسطى[4] .

وانظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك : حتى تكون راضيا بما قسم الله لك ، وحتى تكون من أغنى الناس ، واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

وقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة :

« عبدى .. ان رضيت بما قسمته لك أرحت نفسك وبدنك وكنت عندى محمودا ، وان لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما » .

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم واخرجه الترمذى عن أنس باسناد ضعيف .
(٢) رواه أحمد .
(٣) الكهف : ٢٨
(٤) رواه البخارى .

* واحذر أن تنظر الى من هو فوقك فى الغنى المادى حتى لا تكون محتقرا لنعم الله عليك ، حاقدا على من أنعم الله عليه ، وانظر الى من هو أدنى منك مالا حتى تكون شاكرا نعمة الله تعالى الذى يقول :

« لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »[١] .

وانظر الى من هو فوقك فى العلم واغبطه على ذلك **« وقل رب زدنى علما »**[٢] فهذا حسد محمود .

واعلم أنه بشكرك لله عز وجل على ما أعطاك ، وبعدك عن الطمع كما نهاك ، وطلبك للعلم كما أوصاك ، ستكون من أهل الفلاح والنجاح ، وستكون من **« أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده »**[٣] .

* (وقل الحق وان كان مرا ، ولا تخف فى الله لومة لائم) :

حتى لا تكون من الذين لعنوا : **« على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »**[٤] .

وحتى تكون من الذين : **« يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »**[٥] .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ... »[٦] .

و **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »**[٧] .

واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »[٨] .

« الدين النصيحة » .. قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٩] .

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »[١٠] .

---

(١) ابراهيم : ٧ (٢) طه : ١١٤ (٣) الأنعام : ٩٠
(٤) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ (٥) آل عمران : ١٠٤ (٦) طه : ١٣٢
(٧) النحل : ١٢٥ (٨) رواه مسلم . (٩) رواه مسلم .
(١٠) رواه مسلم .

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده »(١) •

وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم •• لا تخف من سلطان ما دام سلطانى باقيا ، وسلطانى لا ينفد أبدا •• يا ابن آدم •• لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فانك ان طلبتنى وجدتنى ، وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله •• يا ابن آدم •• خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، ان كثر فلا تفرح ، وان قل فلا تجزع » •

وفى حديث آخر : « أنا الله ، لا اله الا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك كلها فى يدى ، وان العباد اذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وان العباد اذا عصونى حولت قلوبهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم »(٢) •

ومن مواقف أهل الحق التى أرجو أن تنتفع بها هذين الموقفين :

كان أبو هريرة رضى الله عنه واليا على البحرين أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان قد جاء الى المدينة ومعه عشرة آلاف درهم فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه ؟ ! فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما •• قال : فمن أين هى لك ؟ فقال : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت •• وبحث عمر الموضوع ، وبعد أن تحقق من مصادر هذا المـــال أجازه له ثم دعاه بعد ذلك ليوليه امارة فأبى •• فقال عمر : تكره العمل وقد طلبه خير منك : يوسف عليه السلام ؟ فرد أبو هريرة بقوله : يوسف نبى ابن نبى •• وأنا أبو هريرة ابن أميمة أخشى أن أقول بغير علم ، وأن يضرب ظهرى ، وأن ينزع مالى ، ويشتم عرضى •

ورأى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه معاوية يوما وقد أنفق مالا كثيرا فقال له : ان كان هذا من بيت المـــال فأنت خائن **«وأن الله لا يهدى**

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

كيـــد الخائنين »(١) وان كان من مالك فأنت مسرف والله « **لا يحب المسرفين** »(٢) .

فكن من أهل الحق والداعين اليه والمدافعين عنه والمناصرين له .

* (ثم كن مشغولا بعيوبك عن عيوب الناس) :

وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك » .

وحسبك أن تفكر فى أخطائك الكثيرة التى ربما لا تحصى ولا تعد ، والتى لو يؤاخذك الله بها لخسف بك الأرض ، ولكن يؤخرك ليوم تشخص فيه الأبصار ، عسى أن تتوب اليه وتصطلح معه ، وتندم على ما كان منك من أخطاء .

واعلم أنه سبحانه وتعالى غفور رحيم ، أحن على عبده من الوالدة على ولدها ، وأنه سبحانه « **يغفر الذنوب جميعا** »(٣) وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب »(٤) .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول لأصحابه كما ورد فى حديث رواه أبو هريرة : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »(٥) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم »(٦) .

واعلم أن التوبة واجبة من كل ذنب بدليـــل قوله تعـــالى : « **استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** »(٧) وقوله تعـــالى : « **يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا** »(٨) .

---

(١) يوسف : ٥٢
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) الزمر : ٥٣
(٤) رواه الأصبهانى بسند ضعيف .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه أبو داوود والترمذى وهو حسن صحيح .
(٧) هود : ٥٢
(٨) التحريم : ٨

مع ملاحظة أنه اذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى ولا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية •

الثانى : أن يندم على فعلها •

الثالث : أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا •

فاذا فقد أحد الثلاثة لا تقبل توبته •

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة السابقة ، وأن يبرأ من حق صاحبها •

فان كان مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها •

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب •• فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى •

فيا أيها المغرور قم وانتبه ... قد فاتك المطلوب والركب سار

ان كنت أذنبت فقم واعتذر ... الى كريم يقبل الاعتذار

وانهض الى مولى عظيم الرجا ... يغفر بالليل ذنوب النهار

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن لصا دخل بيت رابعة العدوية ليلا لكى يسرقه •• فلم يجد فيه غير ابريق فيه ماء •• فلما أراد الخروج قالت له عندما رأته يتسلل الى الباب : يا هذا •• ان كنت من الأذكياء فلا تخرج بغير شىء •• فقال اللص : انى لم آخذ شيئا • فقالت له : يا مسكين •• توضأ بهذا الابريق وادخل فى هذه الحجرة وصل ركعتين فانك ما تخرج الا بشىء •

ففعل اللص ما أمرته به •• فلما قام يصلى رفعت رابعة بصرها الى السماء وقالت : سيدى ومولاى •• هذا أتى بابى فلم يجد شيئا عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك ••

فلما فرغ اللص من صلاة الركعتين لذت له العبادة •• فما برح يصلى الى آخر الليل •• فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة فوجدته ساجدا وهو يقول فى سجوده معاتبا نفسه :

اذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى ... وبالعصيان تأتينى

فما قولى له لما ... يعاتبنى ويقصينى

فلما انتهى الرجل من ليلته قالت له : كيف ليلتك ؟ فقال : بخير ••

وقفت بين يدي مولاى بذلى وافتقارى •• فقبل عذرى ، وجبر كسرى ، وغفر ذنبى ، وبلغنى المطلوب •• ثم انطلق هائما على وجهه •

فرفعت رابعة كفها الى السماء وقالت : سيدى ومولاى •• هذا وقف ببابك ساعة فقبلته ، وأنا قد عرفتك بين يديك أتراك قبلتنى ؟

واعلم أنه لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ••

واذا كان التدبير فى الأمر كما يقول علماء اللغة : هو النظر الى ما تؤول اليه عاقبته فالعاقل من فكر فى الأمر قبل أن يفعل ما لا يحمد عقباه •• فكم من الناس هلكوا بسبب حماقتهم •• لأنهم يضعون الأمور فى غير موضعها ، ويتصرفون بدون تفكير وطول نظر •• وذلك لفساد عقـــولهم ••

قال الأصمعى : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله •• قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى على حمقى جناية فيذهب مالى ويبقى على حمقى •

وقال لقمان لابنه : لا تعاشر الأحمق وان كان ذا جمال •• فانه كالسيف حسن مظهره ، قبيح أثره •

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وكف أذاك عن المسلمين حتى تكون مسلما •• فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ••• »(١) •
ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله •• تقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس »(٢) •• فتمتع بهذه الصفات حتى تكون من أهل الورع وحتى تنجو « **يوم يعض الظالم على يديه** »(٣) •

وحسن خلقك فهو حسبك ونسبك ، وبه يكمل ايمانك •• وهذا

---

(١) رواه البخارى ومسلم •
(٢) رواه الطبرانى وأبو داوود والترمذى عن أبى هريرة وقال : حسن صحيح • (٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » ٤

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل : أى المؤمنين أكمل ايمانا ؟ قال : « أحسنهم أخلاقا »(١) •

وقال : « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » وفى رواية : « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار » •

وتذكر دائما وأبدا أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم •• ولهذا كان قدوة صالحة ، وأسوة حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا •• فكن من المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم تكن من الفائزين فوزا عظيما •• وحسبك هذه الأقوال المـأثورة :

« الحسن الخلق من نفسه منه فى راحة ، والناس منه فى سلامة ، والسىء الخلق الناس منه فى بلاء ، وهو من نفسه فى عناء » •

« ان الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها » •

« والفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله » •

* * *

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه باللفظ الأول والرواية أخرجها الحاكم وقال صحيح على شرطها •

الوصية الرابعة

قال أبو ذر رضى الله عنه :

أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث ، قال :

« اسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف ، فان صنعت مرقة فاكثر ماءها ثم انظـر الى أهل بيت جيرانك فاصبهم منها بمرقتك ، وصل الصلاة لوقتها » •

(رواه مسلم مختصرا فى البر والصلة عن أبى ذر)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من العاملين بهذه الوصايا الثلاث[1] وهى :

* (فاسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف) :

وبهذا تكون قد نفذت أمر الله تعالى الذى يقول : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »**[2] •

وهذا هو المطلوب منك كمسلم •• ففى الحديث : « على المسلم السمع والطـاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصـية فلا سـمع ولا طاعة »[3] وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة »[4] •

واحذر عدم السمع والطاعة والا مت ميتة جاهلية •• فقد ثبت أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[5] •

---

(١) راجع فى الوصية الأولى ما كتب فى هذا الموضوع •

(٢) النساء : ٥٩

(٣) متفق عليه ، أى رواه البخارى ومسلم •

(٤) رواه البخارى • (٥) رواه مسلم •

* (وان صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمرقتك) :

فربما كانوا يتضورون جوعا وفى أشد الحاجة الى ما يسد رمقهم ويطفىء نار جوعهم .

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »(١) .

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره »(٢) .

وقال : « خير الجيران عند الله خيرهم لجاره »(٣) ولا سيما أقربهم اليك بابا .. فقد روى أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قلت يا رسول الله .. ان لى جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال : « الى أقربهما منك بابا »(٤) .

وذلك لأن جارك ولا سيما الأدنى منك حسيا ومعنويا ودينيا أقرب اليك من أهلك وعشيرتك ، وأسرع لنجدتك عند الشدائد والنوازل .

فأحسن الى جارك وكن بارا ، ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(٥) .

* (وصل الصلاة لوقتها) :

واحذر أن تجمع بين صلاتين حتى لا تأتى بابا من أبواب الكبائر .. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف :

« من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر »(٦) .

والويل لك ان فعلت ذلك .. وفى هذا يقول الله تعالى :

« فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون »(٧) .

وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها(٨) .

وحسبك تشجيعا لك على أداء الصلاة فى وقتها قول الله تعالى :

« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »(٩) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه الحاكم .
(٧) الماعون : ٤ ، ٥
(٨) رواه البزار .
(٩) النساء : ١٠٣ .

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى اجابته على سؤال وجهه اليه ابن مسعود رضى الله عنه :

أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة لوقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله »(١) .

فاذا سمعت المؤذن ينادى : حى على الصلاة .. حى على الفلاح .. كن ملبيا لهذا النداء ، وتوضأ وأحسن وضوءك ، ثم اخرج الى الجماعة حتى تفوز بثواب صلاة الجماعة الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا .. وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفع بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة .. فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث .. تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه .. ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »(٢) .

واحذر ترك هذا فانه لا رخصة لك فيه ما دمت تسمع المؤذن وتقوى على الذهاب الى المسجد .. فقد ورد أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله .. ليس لى قائد يقودنى الى المسجد .. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال له : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم .. فقال : « فأجب »(٣) .

فحافظ على أداء الصلاة فى وقتها مع الجماعة ، ولب نداء المؤذن ، والا فلمن ينادى المؤذن ؟ وما معنى أنك مسلم ؟ وتأمل قول القائل :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الرقاب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى اذ الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته ... نجيا فيا طوبى له حين يخشع

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) متفق عليه وهذا لفظ البخارى .
(٣) رواه مسلم .

الوصية الخامسة

عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد » .

فلما كان اليوم السابع قال :

« أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته ، واذا أسأت فأحسن ، ولا تسألن أحدا شيئا وان سقط سوطك ، ولا تقبض أمانة » .

(رواه أحمد باسناد جيد) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

معتبرا ومحيطا بما فى هذه الوصية الجامعة من أسرار ، وتأمل كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوتى من حكمة أن يجعل أبا ذر مشغولا بما سيلقى عليه من الوصايا طوال هذه الأيام الست .. وذلك حتى يظل طوال حياته ذاكرا لها ومنفذا لما فيها ، وهى :

* (اتق الله فى سر أمرك وعلانيته) :

وكما قرأنا قبل ذلك فى الحديث عن التقوى ، وعلاوة على أنها رأس الأمر كله .. فهى السبيل الوحيد الى تكفير السيئات وغفران الذنوب .. قال تعالى : **« ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم »**(1) .

ولما كنا جميعا نرجو هذا ونتمناه ، كان لابد وأن نراقب الله فى السر والعلن .. فلاحظ ذلك يا أخا الاسلام ، واتق الله فى سر أمرك وعلانيته و « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »(2) .

* (واذا أسأت فأحسن) :

أى اذا فعلت السيئة بايعاذ من الشيطان الرجيم الذى يعمل دائما وأبدا على اغوائنا واغوائك ، وضياعنا وضياعك فى الدنيا والآخرة من

---

(1) الأنفال : 29

(2) من حديث أخرجه مسلم .

يوم أن هبط مع أبوينا من الجنة ومنذ اللحظة التى قال فيها لرب العزة : **« فبعزتك لأغوينهم أجمعين »**(١) ، **« فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين »**(٢) •• اذا كان هذا الملعون قد استطاع بحيله المتعددة أن يسيطر عليك ، ويقودك الى حيث غضب الله تعالى الذى حذرك من شره فقال لك ولجميع خلقه المكلفين : **« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء »**(٣) وقال أيضا فى كتابه العزيز : **« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »**(٤) •• فقم سريعا من كبوتك • وعد الى الله الكريم الذى يقول : **« يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا »**(٥) « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »(٦) ؛ وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا فقال : **« ان الحسنات يذهبن السيئات »**(٧) •

* (ولا تسألن أحدا شيئا وان سقط سوطك) :

وذلك حتى تكون عزيزا مرفوع الهامة بين الناس الذين لا يحترمون ولا يجلون غير الأغنياء عنهم •• وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال :

« أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس اليهم من احتاج اليهم ، وأحب الناس الى الله من احتاج الى الله ، وأبغض الناس اليه من استغنى عنه واحتاج الى غيره » •

ولما كان هذا الغنى عن الناس لا يتحقق الا بالسعى الجاد فى مناكب الأرض طلبا للرزق الحلال فقد أمر الله تعالى به فقال : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**(٨) •

حتى فى يوم الجمعة لم يقل الله استريحوا فيه •• وانما قال : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا**

---

(١) سورة ص : ٨٢ — (٢) الأعراف : ١٦ ، ١٧

(٣) البقرة : ٢٦٨ — (٤) فاطر : ٦

(٥) الزمر : ٥٣

(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن •

(٧) هود : ١١٤ — (٨) الملك : ١٥

الله كثيرا لعلكم تفلحون »[1] .. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب العمل ويدعو اليه : فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم بين أصحابه فذكروا له أن رجلا منهم يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر من الذكر ، وظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم سيفرح بهذا الرجل ثم سيطلب منهم أن يتشبهوا به .. ولكنه صلى الله عليه وسلم ما كاد يستمع الى مديحهم حتى قال لهم : « أيكم يكفيه طعامه وشرابه » ؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله .. فقال : « كلكم خير منه » عند ذلك اندفع الأصحاب يعملون وينشطون حتى قرن الله تعالى التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله فى آية واحدة يقول فيها سبحانه وتعالى :

« وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله »[2] وهذا شرف عظيم للعاملين ..

فلاحظ هذا أخا الاسلام ، وكن من أهل هذا الشرف ، واعمل على أن تكون من الصنف المنتج ، وحافظ على ماء وجهك وتدبر القول المأثور : « استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره » واحذر أن تكون أسيرا لأحد ، ولا تنس قول القائل الحكيم :

ان الغنى اذا تكلم بالخطأ ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صادقا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى السلاح لمن أراد قتالا

ثم اليك هذا المثل الحى الذى أرجو أن يكون نصب عينيك دائما وأبدا حتى تنتفع به :

يقول على رضى الله تعالى عنه : جعت يوما فذهبت الى عوالى المدينة أطلب عملا .. فوجدت امرأة قد جمعت ترابا متلبدا تريد بله بالماء فبادلتها كل ذنوب[3] على تمرة ، فملأت لها ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدى ــ أى احمرت ــ فبسطت كفى لترى أثر العمل فعدت لى ست عشرة تمرة فأخذتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما حدث ففرح وأكل معى منها ..

ولهذا كان رضى الله تعالى عنه يقول معبرا عن فخره وحبه للعمل :

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) المزمل : ٢٠

(٣) الذنوب : الدلو العظيمة .

لحمل الصخر على قمم الجبال　　أحب الى من منن الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار　　فقلت العار فى ذل السؤال

ومن أجمل ما يروى فى هذا المجال أيضا أن سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناجى ربه فقال : يا رب .. قد أعطيتنى ما لم تعط أحدا قبلى ، وسألتك أن لا تعطيه أحدا بعدى فأعطيتنيه ، فان قصرت فى شكرك فدلنى على عبد هو أشكر لك منى .. فأوحى الله تعالى اليه : « يا سليمان .. عبد يكسب بيديه يسد جوعه ويستر عورته ويعبدنى هو أشكر لى منك .. » فقال : يا رب .. اجعل كسبى بيدى . فأتاه جبريل عليه السلام فعلمه الخوص يتخذ منه القفاف .. فأول من عمل الخوص سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ومن قصيدة للامام الشافعى رضى الله عنه :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه　　وانصب فان لذيذ العيش فى النصب(١)
انى رأيت وقوف الماء يفسده　　ان سال طاب وان لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب ما افترست　　والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة　　للها الناس من عجم ومن عرب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه　　والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه　　وان تغرب ذاك عز كالذهب

* (ولا تقبض أمانة) .. ما لم تكن أهلا لحفظ الأمانات ، أو تحمل المسئوليات التى هى مجموعها أمانة ، وحسبك ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بأبى ذر رضى الله عنه عندما طلب منه أن يستعمله فى ولاية .. فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بيده على منكبه ثم قال له : « يا أبا ذر .. انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة .. الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها »(٢) .

أما اذا كنت ترى أنك كفء لتحمل أعباء حفظ الأمانات دون طمع فيها ، أو نقصان منها فلا مانع من هذا ، وحسبك أن تعلم أن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يرشح نفسه لادارة شئون المال الا لعلمه بأنه كفء لهذا ، الى جانب علمه وتقواه .. ولهذا قال : « اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم »(٣) .

جعلنى الله واياك من الأمناء الشرفاء الأتقياء .

---

(١) أى التعب .
(٢) رواه مسلم .
(٣) يوسف : ٥٥

الوصية السادسة

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع :

« بحب المساكين وأن أدنوا منهم ، وأن أنظر الى من أسفل منى ، ولا أنظر الى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى وان جفانى وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، وأن أتكلم بمر الحق ، ولا تأخذنى فى الله لومة لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئا » .

(رواه أحمد والطبرانى من رواية للشعبى عن أبى ذر) .



فكن أخا الاسلام :

* (محبا للمساكين وادن منهم حتى تحشر معهم وفى زمرتهم) :

وحسبك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمنى هذا ، كما قال فى دعاء مأثور : « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين »[1] .

واعمل على أن يكون حبك لهم عطفا واحسانا ، واحذر أن يكون كلاما فقط .. فشتان بين العمل والقول ، وحتى تعرف درجة الانفاق .. اليك هذا الحديث : عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعبد عابد من بنى اسرائيل فعبد الله فى صومعة ستين عاما ، فأمطرت الأرض واخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا ، فنزل ومعه رغيف — أو رغيفان — فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها .. ثم أغمى عليه .. فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأومأ اليه أن يأخذ الرغيفين ، ثم مات ، فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية بحسناته ،

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

ثم وضع الرغيف — أو الرغيفان — مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له »(١) « فأما اليتيم فلا تقهر ٠ وأما السائل فلا تنهر ٠ وأما بنعمة ربك فحدث »(٢) ٠

❋ (وانظر الى من هو أسفل منك مالا ولا تنظر الى من هو فوقك) ٠٠ حتى تعيش سعيدا قرير العين بما أنعم الله عليك ، واحذر أن تكون غير راض بما قسم الله لك ٠٠ ففى ذلك ضياعك وفقرك ، واشكر الله على ما أعطاك ، واذا أردت مزيدا فسل الله من فضله ٠٠ فهو واسع الكرم والعطاء ٠

واعلم أن « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى »(٣) وأن الدنيا لا تستحق أدنى تفكير ، وأنها ليست مقياسا على حب الله تعالى للعبد ٠٠ وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين الا لمن أحب »(٤) فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » ٠

كن غنى القلب واقنع بالقليل ... مت ولا تطلب معاشا من لئيم
لا تكن للعيش مجروح الفؤاد ... انما الرزق على الله الكريم

❋ ❋ ❋

اذا اشتدت بك البلوى ... ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين ... اذا فكرته تفرج

❋ (وصل أقاربك وان جفوك) :

واعلم أن صلة الأرحام من أهم أسباب الصلة بينك وبين الله تعالى ٠٠ وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، الرحم شجنة من الرحمن ، ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله »(٥) ٠

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن حبان ٠ (٢) الضحى : ٩ — ١١
(٣) رواه أحمد بسند صحيح ٠
(٤) رواه أحمد عن ابن مسعود بسند ضعيف ٠
(٥) رواه الترمذى ٠

قال : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله »(١) •

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : أنا الله •• وأنا الرحمن •• خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى •• فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »(٢) •

ثم علاوة على ذلك فهى من أسباب سعة الرزق •• ففى الحديث : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »(٣) • وهى أسرع الخير ثوابا •• قال صلى الله عليه وسلم : « أسرع الخير ثوابا : البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة : البغى وقطيعة الرحم »(٤) •

فصل رحمك وان قطعوك ولا تكن من« **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون**»(٥) •

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه »(٦) •

* (وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فهى كنز من كنوز الجنة) :

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى موسى رضى الله تعالى عنه : « قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » وفى رواية أخرى : « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش •• لا حول ولا قوة الا بالله »(٧) •

وورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر ، قال الله عز وجل : صدق عبدى لا اله الا أنا ، وأنا أكبر ، واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : صدق عبدى لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى ، واذا قال لا اله الا الله

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه أبو داوود والترمذى •
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) أخرجه ابن ملجه •
(٥) البقرة : ٢٧
(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) رواه البخارى ومسلم .

ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقول سبحانه : صدق عبدى لا حول ولا قوة الا بى ، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار »(١) •

قال مجاهد : اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك : هديت ، فاذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت ، واذا قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الملك : وقيت •• فتتفرق عنه الشياطين فيقولون : ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى •• لا سبيل لكم اليه »(٢) •

ثم هى من الباقيات الصالحات كما ورد فى حديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « الباقيات الصالحات هى : لا اله الا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله »(٣) •

وفى الحديث الصحيح : « ما على الأرض رجل يقول : لا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »(٤) •

※ (وقل الحق وان كان مرا ولا تأخذك فى الله لومة لائم) :

فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله الا تروا كفرا بواحا ـ أى جهارا ـ عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم »(٥) •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا •• فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »(٦) •

---

(١) رواه أبو هريرة وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهما •

(٢) أخرجه بمعناه عن النبى صلى الله عليه وسلم والترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان •

(٣) أخرجه أحمد وابو يعلى والنسائى وابن حبان والحديث صحيح •

(٤) أخرجه النسائى والترمذى وقال : حديث حسن •

(٥) رواه البخارى ومسلم .　　　(٦) رواه البخارى والترمذى .

فكن من أهل الحق الذين لا يخافون فى الله لومة لائم ، ولا تتأثر بغضب أهل الباطل عليك ، وارفع علم الحق يتبعك أهله .. مع ملاحظة أنه ما قام الباطل الا لغفلة أهل الحق .. «وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(١) وليكن شعارك : « أنت صديقى والحق صديقى .. فان تعارضا فالحق أولى بالصداقة »(٢) .

* (ولا تسأل الناس شيئا) :

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أقبلت لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يقول :

« ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » قلت : فما أنا بسائلك اليوم (٣) .

وروى اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده — رضوان الله عليهم — أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أوصني وأوجز .. فقال : « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى ، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، واياك وما يعتذر منه »(٤) .

وهذا معناه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يكون أصحابه متوكلين بهذا المعنى الذى وضحه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه عندما مر عليه قوم من أهل اليمن فقال لهم : « من أنتم » ؟ فقالوا : متوكلون !! قال : « كذبتم .. ما أنتم متوكلون .. انما المتوكل : الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله » . وذلك مع تعهدها بالرعاية والعناية كما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى : « اعقلها وتوكل » .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »(٥) ويقول : « أخشى ما خشيت على أمتى : كبر البطن ومداومة النوم والكسل »(٦) وكان يدعو بالبركة لمن يبكر فى السعى على رزقه فيقول :

---

(١) الكهف : ٢٩ (٢) لأحد الحكماء .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بمعناه .

(٤) رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وصححه الحاكم .

(٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) رواه الدارقطنى عن جابر .

« اللهم بارك لأمتى فى بكورها »(١) .. فكن من أهل هذه الدعوة المباركة وسل الله من فضله ، و « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »(٢) .

ومن أجمل ما روى فى هذا :

عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟

قال : « ما سد جوعتك ، ودارى عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فبخ بخ » .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأصحابه وجلسائه ذات يوم : ألا أخبركم بما أستحق من مال الله تعالى ؟ قالوا : نعم .. قال : جلباب لشتائى وقيظى ، وما يسعفنى من الراحلة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش .. لست بأرفعهم ولا بأوضعهم .. ولا أدرى بعد ذلك أيحل ذلك أم لا .

فامش فى مناكب الأرض ، وكل من رزق الله امتثالا لأمره سبحانه وتعالى ، ولا تكن من عباد الدنيا ، وارض بما قسم الله لك .. فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك « وما قل وكفى : خير مما كثر وألهى »(٣) .

لا تخضعن لمخلوق على طمع   فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما فى خزائنه   فانما هى بين الكاف والنون

وحسبك قول الله تبارك وتعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون »(٤) .

* * *

---

(١) رواه النسائى وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه ابن حبان .

(٢) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٣) رواه أحمد بسند صحيح .   (٤) الذاريات : ٢٢

الوَصيّة السابعَة

عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال له :

« زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير » .

(رواه الحاكم وقال رواته ثقات والحديث صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

عاملا بهذه الوصية :

* (وز القبور تذكر بها الآخرة) :

لأن القبر كما ورد أول منزل من منازل الآخرة .

وهى مستحبة للرجال من غير وطء للقبور ، ولا استعانة بأهلها ولا سؤالهم شيئا ، ولا مس القبر ، ولا تقبيله ، ولا الطواف به فانه من عادة أهل الكتاب ، ولم يعرف التقبيل فى الاسلام الا للحجر الأسود ، ولا الطواف الا للكعبة المشرفة .

ويقصد بزيارتها وجه الله تعالى ، واصلاح القلب ، ونفع الميت بالدعاء له وما يتلى عنده .. لأن زيارتها تحدث خشية فى القلب وتذكرا للمـــوت .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الدعوة نهى أصحابه عن زيارة القبور لقرب عهد الجاهلية التى اعتادوا فيها فحش القول .. وبعد ذلك أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالزيارة بعد أن تعلموا الآداب الشرعية المتعلقة بذلك .. كما ثبت فى حديث أخرجه الشافعى وأحمد بلفظ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا »(١) .

وفى رواية أخرى : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

---

(١) صحيح على شرط مسلم ، والهجر بضم فسكون : القول الفحش .

فانها تذكركم الآخرة »(١) ، وفى رواية : « فان فى زيارتها تذكرة » والأمر فى الروايات السابقة للندب عند الجمهور للتعليل الذى بعده .

وقال ابن حزم انه للوجوب ولو مرة فى العمر حملا للأمر على الوجوب .

أما زيارة النساء فانه يحرم عليهن الزيارة ان ارتكبن فيها ما يغضب الله وعليه تحمل الأحاديث الواردة فى لعن زائرات القبور ، ومنها حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور »(٢) . أى دعا عليهن بالطرد من رحمة الله تعالى .. لما يحدث منهن حال الزيارة من الجزع ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، والتبرج .

وخلاصة الكلام فى هذا الموضوع جمعا بين الأحاديث الواردة فيه ، والأدلة المتعلقة به : هو أنه اذا كان هناك اذن لبعضهن بالزيارة فهو لمن خرجت متسترة خاشعة ، متذكرة أمر الآخرة ، معتبرة بما صار اليه أهل القبور ، تاركة النياحة وضرب الخدود ، وشق الجيوب وسوء القول .

أما من تفعل ذلك فيحرم عليها الزيارة .. ولما كانت عادة النساء فى هذا الزمان هى الخروج على آداب الزيارة واظهار الفتنة الأمر الذى لا يضمن عدم ارتكاب الفجور وعبث الفساق وأهل الشرور .. فقد رأى العلماء العاملون استنادا الى كل ما ثبت لديهم من أدلة نقلية وعقلية عدم خروج النساء لزيارة القبور لا ليلا ولا نهارا .. لا فرق فى ذلك بين شابة وغيرها — اذ لكل ساقطة لاقطة — وحسبنا ما نراه من غالب أهل الزمان من الفساد والافساد .. بل ويحرم عليهن الخروج الى المقابر بدون محرم لا سيما فى المواسم والأعياد — التى ماجعلت الا للفرح والسرور .. لا للحزن والبكاء .

ومن القواعد المقررة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . وخلاصة ما ورد فى كيفية الزيارة أنه :

يسن أن يخرج الزائر متواضعا مراقبا الله تعالى ، معتبرا بمن تقدمه من الموتى ، قاصدا وجه الله تعالى ، ونفع الميت بالسلام عليه

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والاربعة وابن حبان والحاكم والبيهقى .

(٢) اخرجه احمد والأربعة والبزار والحاكم وحسنة والترمذى .

والدعاء له .. فاذا وصل القبر قام مسلما داعيا مستقبلا القبلة(١) بلا تمسح بالقبر ، ولا طواف حوله ولا دعاء صاحبه ، وقيل : يستقبل وجه الميت ، وهو قول الشافعى وكذا الكلام فى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم .

ووضع اليد على القبر بدعة منكرة من عادة أهل الكتاب — كما قال أبو الليث — ويستحب للزائر أن يدنو من قبر صاحبه كما لو كان حيا وزاره وهو بالخيار ان شاء زار قائما ، وان شاء قعد ، كما يزور الرجل أخاه فى الحياة ، ولا يستلم القبر ولا يقبله ، ومن قصد السلام على الميت سلم عليه من قبل وجهه ، واذا أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة .

ومن الأدعية الواردة والمأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية »(٢) .

« السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر »(٣) .

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »(٤) :

مع ملاحظة تسمية المكان الذى تزوره اذا قرأت هذه الرواية .

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط ، وانا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم »(٥) .

وقال أنس : مر رجل بالمقابر فقال : اللهم رب هذه الأرواح الفانية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا(٦) منك وسلاما منا .. فاستغفر له من مات من لدن آدم(٧) .

---

(١) على المشهور عند الحنفيين .
(٢) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه والبيهقى .
(٣) أخرجه الترمذى وحسنة .
(٤) أخرجه مسلم .
(٥) أخرجه ابن ماجه .
(٦) أى رحمة .
(٧) أخرجه ابن النجار .

ومن أجمل ما يروى من المواعظ فى هذا الموضوع هذه الآثار الغالية التى أرجو أن تنتفع بها :

قال عبد الله بن عقبة : عدت رجلا مريضا فلما قدمت عنده قلت : كيف تجدك ؟ .. فأنشد يقول :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غـداة أقل الحاملون جنـازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى اليـه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صـورتى غداة أتى يومى على وسـاعتى

وقال ثابت البنانى رحمه الله تعالى : دخلت المقابر لأزور القبور ، وأعتبر بالموتى ، وأتفكر فى البعث والنشور ، وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والغرور .. فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون ، وفرادى ، لا يتزاورون .. فأيست من مقالهم ، واعتبرت بأحوالهم .. فلما أردت الخروج اذ أبصرت من يقول لى : يا ثابت .. لا يغرنك صموت أهلها فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة .

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه .. فوقف عند رأسه وأنشد يقول :

مالى مررت على القبـور مسلما قـبر الحبيب فلم يرد جـوابى
أحبيب مالك لا تجيب منـاديا أمللت بعـدى خلـة الأصحاب

قال : فهتف بى رجل من جانب القبر يقول لى :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم وأنا رهين جنـادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتـكم وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
وتمزقت تلك الجـلود صـفائحا يا طالمـا لبست رفيـع ثيـاب
وتساقطت تلك الأنامل من يدى ما كان أحسـنها لخط كتاب
وتساقطت تلك الثنـايا لؤلؤا ما كان أحسـنها لرد جـواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى يا طالمـا نظرت بهم أحبابى

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه : أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار ، والتفكر فى الموت والاعتبار .. فتمنيت من يخبرنى عنهم خبرا ، أو يقص لى من آثارهم .. فقلت شعرا :

أتيت القبـور فناديتهـا فأين المعظـم والمحتقـر
وأين المـدل بسـلطانه وأين العـزيز اذا ما افتخر

فرأيت رجلا بين القبور يرد على بقوله :

تفـانوا جميعا فلا مخبر وماتوا جميعا وأضحوا عبر

وسـاروا الى ملك عـادل عـزيز مطاع اذا ما أمر
فيا سائلى عن أناس مضـوا أما لك فيمـا مضى معتـبر

قال مالك : فرجعت أبكى الدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أى اعتبار .

ولأبى العتاهية :

أنلهـوا وأيامنـا تذهب ونلعب والموت لا يلعب ؟
عجبت لذى لعب قد لهـا عجبت ومالى لا أعجب ؟
أيلهوا ويلعب من نفسـه تمـوت ومنزلـه يخـرب ؟
نرى كل ما ساءنا دائما على كل ما سرنا يغلب ؟
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندر أيهمـا أطلب ؟
أحاط الجديدان جمعا بنـا فليس لنا عنهما مهرب ؟
وكل لـه مـدة تنقضى وكل لـه أثر يكتـب ؟

وكأنى بالأرض تناديك فى كل يوم بخمس كلمات فتقول :

يا ابن آدم .. تمشى على ظهرى ومصيرك الى بطنى .
يا ابن آدم .. تضحك على ظهرى فسوف تبكى فى بطنى .
يا ابن آدم .. تفرح على ظهرى فسوف تحزن فى بطنى .
يا ابن آدم .. تأكل الألوان على ظهرى فسوف تأكلك الديدان فى بطنى .
يا ابن آدم .. تذنب على ظهرى فسوف تعذب فى بطنى .

فاتعـظ منـه وأنذر انه فى الوعظ غايـة
واتخـذ ما فيه ذكرى ان فى هـذا كفايـة

* (واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة)[1] :

وغسل الميت علاوة على ما فى ذلك من العظة والاعتبار .. فرض كفاية على الأحياء .. اذا ما قام به البعض سقط عن الباقين .. والمفروض غسله مرة واحدة بحيث يعم بها جميع بدنه ، وأما تكرار غسله وترا فهو سنة .

ويشترط لفرضية غسل الميت شروط[2] :

---

(١) اذا لم يتيسر لك هذا فاحرص على مشاهدة الغسل حتى لا تحرم من العظة والاعتبار وتخيل نفسك مكان الميت .

(٢) كما جاء فى كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » طبعة وزارة الأوقاف ص ٤٦٢ .

الأول : أن يكون مسلما •• فلا يفترض تغسيل الكافر •• بل يحرم • وان كان يجوز ذلك عند الشافعية •• لأن غسل الميت للنظافة لا للتعبد •

الثانى : أن لا يكون سقطا •• فانه لا يفترض غسل السقط على تفصيل فى المذاهب :

١ ــ قال الشافعية : ان السقط النازل قبل عدة تمام الحمل ــ وهى ستة اشهر ولحظتان •• اما أن تعلم حياته فيكون كالكبير فى افتراض غسله ، واما أن لا تعلم حياته وفى هذه الحالة •• اما أن يكون قد ظهر خلقه فيجب غسله أيضا دون الصلاة عليه ، واما أن لا يظهر خلقه فلا يفترض غسله •• وأما السقط النازل بعد المدة المذكورة فانه يفترض غسله وان نزل ميتا ، وعلى كل حال فانه يسن تسميته بشرط أن تكون قد نفخت فيه الروح •

٢ ــ وقال الحنفية : ان السقط اذا نزل حيا بأن سمع له صوت أو رؤيت له حركة وان لم يتم نزوله وجب غسله •• سواء أكان قبل تمام مدة الحمل أو بعده •

وأما اذا نزل ميتا •• فان كان تام الخلق فانه يغسل كذلك ، وان لم يكن تام الخلق بل ظهر بعض خلقه فانه لا يغسل الغسل المعروف ، وانما يصب عليه المـاء ويلف فى خرقة •• وعلى كل حال فانه يسمى لأنه يحشر يوم القيامة •

٣ ــ وقال الحنابلة : السقط اذا أتم فى بطن أمه أربعة أشـهر كاملة ونزل وجب غسله ، وأما اذا نزل قبل ذلك فلا يجب غسله •

٤ ــ وقال المـالكية : اذا كان السقط محقق الحياة بعد نزوله بعلامة تدل على ذلك كالصراخ والرضاع الكثير الذى يقول أهل المعرفة انه لا يقع مثله الا ممن فيه حياة مستقرة وجب غسله ، والا كره •

الثالث : أن يوجد من جسد الميت مقدارا ولو كان قليلا •

قال الأحناف : لا يفرض الغسل الا اذا وجد من الميت أكثر البدن أو وجد نصفه مع الرأس •

وقال المـالكية : لا يفترض غسل الميت الا اذا وجد ثلثا بدنه ولو مع الرأس فان لم يوجد ذلك كان غسله مكروها •

الرابع : ألا يكون شهيدا قتل فى اعلاء كلمة الله •• لقوله صلى

الله عليه وسلم فى قتلى أحد : « لا تغسلوهم فان كل جرح ـ أو كل دم ـ يفوح مسكا يوم القيامة »(١) .

ويقوم التيمم مقام غسل الميت عند فقد المـاء أو تعذر الغسل ، كأن مات حريقا ويخشى أن يتقطع بدنه اذا غسل بدلك أو بصب المـاء عليه بدون ذلك ، أما اذا كان لا يتقطع بصب المـاء فلا ييمم بل يغسل بصب المـاء بدون دلك .

وكيفية غسل الميت عند الأحناف(٢) :

يوضع الميت على شيء مرتفع ساعة الغسل ـ كخشبة الغسل ـ ثم يبخر حالة غسله ثلاثا أو خمسا أو سبعا .. بأن تدار المجمرة حول الخشبة ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا ، ثم يجرد من ثيابه ما عدا ساتر العورة ، ويندب أن لا يكون معه سوى الغاسل ومن يعينه(٣) ، ثم يلف الغاسل على يديه خرقة ، يأخذ بها المـاء ، ويغسل بها قبله ودبره « الاستنجاء » ثم يوضأ ويبدأ فى وضوئه بوجهه لأن البدء بغسل اليدين انما هو للأحياء الذين يغسلون أنفسهم فيحتاجون الى تنظيف أيديهم ، أما الميت فانه يغسله غيره ، ولأن المضمضة والاستنشاق لا يفعلان فى غسل الميت ، ويقوم مقامهما تنظيف الأسنان والمنخرين بخرقة كما تقدم ، ثم يغسل رأسه ولحيته بمنظف كالصابون ونحوه . ان كان عليهما شعر، فان لم يكن عليهما شعر لا يغسلان كذلك .

ثم يضجع الميت على يساره ليبدأ بغسل يمينه ، فيصب المـاء على شقه الأيمن من رأسه الى رجليه ثلاث مرات حتى يعم المـاء الجانب الأسفل ، ولا يجوز كب الميت على وجهه لغسل ظهره بل يحرك من جنبه حتى يعمه المـاء .. وهذه هى الغسلة الأولى .. فاذا استوعبت جميع بدنه حصل بها فرض الكفاية ، أما السنة فانه يزاد على هذه الغسلة غسلتان أخريان .. وذلك بأن يضجع ثانيا على يمينه ثم يصب المـاء على شقه الأيسر ثلاثا بالكيفية المتقدمة ، ثم يجلسه الغاسل ويسنده اليه ، ويمسح بطنه برفق ويغسل ما يخرج منه .. وهذه هى الغسلة الثانية ، ثم يضجع بعد ذلك على يساره ويصب المـاء على

---

(١) رواه أحمـد .

(٢) كما جاء فى كتاب « الفقه على المذاهب الاربعة » طبعة وزارة الأوقاف ص ٤٧٠

(٣) أو رجل صالح يرجى بركته .

يمينه ثلاثا بالكيفية المتقدمة .. وهذه هى الغسلة الثالثة .. وتكون الغسلتان الاوليان بماء ساخن مصحوب بمنظف كورق النبق والصابون .. اما الغسلة الثالثة فتكون بماء مصحوب بكافور ثم بعد ذلك يجفف الميت ويوضع عليه الطيب كما تقدم .

هـذا ولا يشترط لصحة الغسل نية ، وكذلك لا يشترط النية لاسقاط فرض الكفاية على التحقيق .. انما يشترط النية لتحصيل الثواب على القيام بفرض الكفاية .. وخلاصة القول فى غسل الميت أن(١) :

الواجب فى غسل الميت أن يعمم بدنه بالماء مرة واحدة ولو كان جنبا أو حائضا ، والمستحب فى ذلك أن يوضع الميت فوق مكان مرتفع ويجرد من ثيابه(٢) ، ويوضع عليه ساتر يستر عورته ما لم يكن صبيا ، ولا يحضر عند غسله الا من تدعو الحاجة الى حضوره ، وينبغى أن يكون الغاسل ثقة أمينا صالحا لينشر ما يراه من خير ، ويستر ما يظهر له من الشر .

فعند ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليغسل موتاكم المأمون » .

وتجب النية عليه .. لأنه هو المخاطب بالغسل(٣) ثم يبدأ فيعصر بطن الميت عصرا رقيقا لاخراج ما عسى أن يكون بها ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة على أن يلف يده خرقة يمسح بها عورته فان لمس العورة حرام ، ثم يوضئه وضوء الصلاة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها » ولتجديد سمة المؤمنين فى ظهور أثر الغرة والتحجيل ، ثم يغسله ثلاثا بالماء والصابون ، أو الماء القراح مبتدئا باليمين فان رأى الزيادة على الثلاث بعدم حصول الانقاء بها أو لشىء آخر غسله خمسا أو سبعا .

ففى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اغسلنها وترا : ثلاثا ، أو خمسا ، أو سبعا ، أو أكثر من ذلك ان رأيتن »(٤) .

فاذا كان الميت امرأة ندب نقض شعرها وغسله واعادة تضفيره

---

(١) كما جاء فى الجزء الثانى من كتاب « فقه السنة » ص ٧٣

(٢) رأى الشافعى أن يغسل فى قميصه افضل اذا كان رقيقا لا يمنع وصول الماء الى البدن .

(٣) ولا يشترط التلفظ بالنية .

(٤) رواه البخارى .

وارساله خلفها ، ففى حديث أم عطية أنهن جعلن رأس ابنة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة قرون قلت : نقضنه وجعلنه ثلاثة قرون (١) ؟ قالت : نعم .

فاذا فرغ من غسل الميت جفف بدنه بثوب نظيف لئلا تبتل أكفانه ، ووضع عليه الطيب ، واذا خرج من بطنه حدث بعد الغسل وقبل التكفين يجب غسل ما أصابه من نجاسة ، واختلفوا فى اعادة طهارته فقيل : لا يجب(٢) ، وقيل : يجب الوضوء ، وقيل : اعادة الغسل .

وقال جمهور العلماء : يكره تقليم أظافر الميت وأخذ شىء من شعر شاربه أو ابطه أو عانته .. وان كان هناك من جوز ذلك كابن حزم .

مع ملاحظة أنه :

اذا ماتت المرأة بين الرجال الأجانب عنها ، واذا مات الرجل بين النساء الأجنبيات عنه .. فانهما ييممان ويدفنان .. وتلك هى اجابة المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن ذلك فقال :

« اذا ماتت المرأة مع الرجال ، ليس معهم امرأة غيرها والرجل مع النساء ، ليس معهن رجل غيره ، فانما ييممان ويدفنان ، وهما بمنزلة من لم يجد المــاء »(٣) .

وييمم المرأة ذو رحم منها بيده ، فان لم يوجد ييممها رجل أجنبى بخرقة يلفها على يده .. هذا مذهب أبى حنيفة وأحمد .

وعند مالك والشافعى : ان كان بين الرجال ذو محرم منها غسلها لأنها كالرجل بالنسبة اليه فى العورة والخلوة .

وكيفية التيمم أن يمسح بوجهها وكفيها من الصعيد (التراب) .

واذا هلك الرجل ، وليس معه أحد الا نساء يممنه أيضا .

ويرى بعضهم كابن حزم وغيره أنه اذا مات رجل بين نساء لا رجل معهن أو امرأة بين رجال لا نساء معهم غسل النساء الرجل وغسل الرجال المرأة على ثوب كسيف ، ويصب المــاء على جميع الجسد دون مباشرة اليد(٤) .

ولا يجوز عندهم أن يعوض بالتيمم عن الغسل الا عند فقد المــاء .

---

(١) قرون : أى ضفائر .

(٢) هذا مذهب الأحناف والشافعية ومالك .

(٣) رواه أبو داوود فى مراسيله والبيهقى عن مكحول .

(٤) راجع « فقه السنة » ج ٤ ص ٧٨

كما أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن تغسل المرأة الصبى الصغير كما قال ابن المنذر •

* (وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير) :

وهى فرض كفاية لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولمحافظة المسلمين عليها •

وقد روى الجماعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان ، أصغرهما مثل أحد — أو أحدهما مثل أحد — »(١) •

وروى مسلم عن خباب رضى الله عنه قال : يا عبد الله بن عمر •• ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد » •

فأرسل ابن عمر رضى الله عنهما خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع اليه فيخبره ما قالت •• فقال : قالت عائشة : « صدق أبو هريرة » فقال ابن عمر رضى الله عنهما : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة •

فحتى لا يفوتك هذا الخير العظيم ، وحتى لا تحرم من هذه القراريط الكثيرة صل على الجنائز •• بشرط أن تكون طاهرا من الحدث الأكبر والأصغر مستقبلا القبلة ، ساترا للعورة •• وهى تصلى فى جميع الأوقات متى حضرت ، حتى فى أوقات النهى(٢) خلافا لبعضهم(٣) الا ان خيف عليها التغير •

وكيفية صلاة الجنازة(٤) أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناويا الصلاة على من حضر من الموتى ، رافعا يديه مع تكبيرة

---

(١) رواه الجماعة وهم البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه والترمذى وأحمد •

(٢) عند الأحناف والشافعية •

(٣) وهم أحمد وابن المبارك واسحاق •

(٤) كما جاء فى كتاب « فقه السنة » ج ٤ ص ٩٥ بتصرف •

الاحرام ، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع فى قراءة الفاتحة ، ثم يكبر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسـلم ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم .

ومن السنة أن يقوم الامام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة لحديث أنس رضى الله عنه أنه صلى على جنازة فقام عند رأسه فلما رفعت أتى بجنازة امرأة فصلى عليها فقام وسطها . فسئل عن ذلك وقيل له : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الرجل حيث قمت ، ومن المرأة حيث قمت ؟ قال : نعم(١) . واذا اجتمع أكثر من ميت واحد وكانوا ذكورا أو اناثا صفوا واحدا بعد واحد بين الامام والقبلة ليكونوا جميعا بين يدى الامام ، ووضع الأفضل مما يلى الامام ، ويصلى عليهم جميعا صلاة واحدة .. وان كانوا رجالا ونساء جاز أن يصلى على الرجال وحدهم ، والنساء وحدهن ، وجاز أن يصلى عليهم جميعا وصفت الرجال أمام الامام ، وجعلت النساء مما يلى القبلة ، واذا صلى على الصبى مع امرأة كان الصبى مما يلى الامام ، والمرأة مما يلى القبلة(٢) ، ويستحب أن يصف المصلون على الجنازة ثلاثة صفوف .. أقل صف اثنان ، وأن تكون مستوية ، كما يستحب تكثير جماعة الجنازة .

وتجوز الصلاة على الميت بعد الدفن فى أى وقت ولو صلى عليه قبل دفنه كما يجوز الصلاة على الغائب فى بلد آخرى قريبا أم بعيدا ، ومن سبق فى صلاة الجنازة بشىء من التكبير استحب له أن يقضيه متتابعا فان لم يقض فلا بأس .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله .. انى أصلى على الجنازة ويخفى على بعض التكبير .. قال : « ما سمعت فكبرى ، وما فاتك فلا قضاء عليك » هذا صريح ولأنها تكبيرات متواليات فلا يجب ما فاته منها كتكبيرات العيدين ، واتفق الفقهاء على أن يصلى على المسلم ذكرا كان أم أنثى ، صغيرا كان أم كبيرا « والسقط يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة »(٣) واذا أتى عليه أربعة أشهر

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه وهو صحيح .

(٢) وان كان فيه رجال ونساء وصبيان كان الصبيان مما يلى الرجال .

(٣) من حديث رواه أحمد .

فصاعدا أو استهل(١) غسل وصلى عليه باتفاق ، أما اذا لم يأت عليه أربعة أشهر فانه لا يغسل ولا يصلى عليه ، ويلف فى خرقة ، ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء .. والشهداء ، فقد ورد أن يصلى عليهم ، وورد عكس هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب فى المسألة أنه مخير بين العمل والترك ، ومن قتل فى حد(٢) غسل وصلى عليه .

ويصلى على كل مسلم .. بر أو فاجر ، وكذلك المبتدع ما لم يبلغ حد الكفر ، وعلى من قتل نفسه وعلى من قتل غيره ما دام قد مات مسلما مهما كان شره ، ولا يصلى على كافر .

مع ملاحظة أن أركان صلاة الجنازة التى لا تقبل الا بها هى :

النية لقول الله تعالى : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء »(٣)** وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى »(٤) : ومحلها القلب والتلفظ ليس مشروعا بها .

القيام للقادر عليه . وهو ركن عند الجمهور .. فلا تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه راكبا أو قاعدا من غير عذر .. وهذا قول أبى حنيفة والشافعى وأبى ثور ، ويستحب أن يقبض بيمينه على شماله أثناء القيام كما يفعل فى الصلاة ، وقيل : لا .. والأول أولى .

والتكبيرات الأربع : لما رواه البخارى ومسلم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشى فكبر أربعا .. قال الترمذى : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات(٥) .. والسنة عدم رفع اليدين فى صلاة الجنازة الا فى الأولى .. أى فى التكبيرة الأولى فقط لأنه لم يشرع فى غيرها كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقراءة الفاتحة سرا ، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله

---

(١) استهل : أى سمع له صوت أو عطاس .

(٢) كحد الزنا أو القتل .

(٣) البينة : ٥ .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) وهو قول سفيان ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق .

عليه وسلم فقد روى الشافعى فى سنده عن أبى أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الامام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويخلص للدعاء فى التكبيرات ، ولا يقرأ فى شىء منهن ، ثم يسلم سرا فى نفسه .. قال فى « الفتح » : واسناده صحيح .

ومذهب أبى حنيفة ومالك رضى الله عنهما أنهما — أى الفاتحة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم — ليسا ركنين فى صلاة الجنازة .

ويسن للامام أن يجهر بالتكبير والتسليم للاعلان عند الجمهور .

والصيغة الواردة فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة هى :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد »(١) . ولو قال : « اللهم صل على محمد » لكفى .. ولا مانع أن يصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم بأية صيغة ، والدعاء بالوارد أفضل .

والدعاء للميت ركن باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء »(٢) .

ويتحقق بأى دعاء مهما قل ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعوة من الدعوات المأثورة الآتية :

قال أبو هريرة : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على الجنازة فقال : « اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت رزقتها ، وأنت هديتها للاسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء له ، فاغفر له ذنبه »(٣) .

وعن واثلة بن الأسقع قال : صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول : « اللهم ان فلان بن فلان فى ذمتك

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والترمذى وصححه .
(٢) رواه أبو داوود والبيهقى وابن حبان وصححه .
(٣) رواه أحمد وأبو داوود .

وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فاغفر له وارحمه فانك أنت الغفور الرحيم »[١] .

وعن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد صلى على جنازة — يقول : « اللهم اغفر له وارحمه ، واعف عنه وعافه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بماء وثلج وبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وقه فتنة القبر وعذاب النار »[٢] .. واذا كان المصلى عليه طفلا استحب أن يقول : « اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وذخرا »[٣] .

ويستحب الدعاء بعد التكبيرة الرابعة وان كان المصلى دعا بعد التكبيرة الثالثة لما رواه أحمد عن عبد الله بن أبى أوفى أنه ماتت له ابنة فكبر عليها أربعا ، ثم قام بعد الرابعة قدر ما بين التكبيرتين يدعو ، ثم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى الجنازة هكذا .. وقال الشافعى يقول بعدها : « اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » .

والسلام .. وهو متفق على فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة فانهما — أى التسليمتين — واجبتان عنده وليستا ركنين .. وأقله : السلام عليكم ، أو سلام عليكم .

ولا بأس بالصلاة على الميت فى المسجد اذا لم يخش تلويثه .. لما يروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا فى المسجد[٤] .. وصلى الصحابة على أبى بكر وعمر فى المسجد بدون انكار من أحد لأنها صلاة كسائر الصلوات ، وأما كراهة ذلك عند مالك وأبى حنيفة فقد استدلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على جنازة فى المسجد فلا شىء له »[٥] .. قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف تفرد به صالح مولى التوأمة ، وهو ضعيف .

وصحح العلماء هذا الحديث فقالوا : ان الذى فى النسخ الصحيحة المشهورة من سنن أبى داوود بلفظ : « فلا شىء عليه » أى من الوزر ..

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى والبيهقى من كلام الحسن .
(٤) رواه مسلم .
(٥) أى لا شىء له من الثواب .

وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبا على الميت خارج المسجد الا لعذر ، وربما صلى أحيانا على الميت داخل المسجد كما صلى على ابن بيضاء .. وكلا الأمرين جائز ، والأفضل الصلاة عليها خارج المسجد — كما قال ابن القيم — وكره الجمهور الصلاة على الجنازة فى المقبرة بين القبور ، وفى رواية لأحمد : أنه لا بأس بها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على قبر[١] وهو فى المقبرة وصلى أبو هريرة على عائشة وسط قبور البقيع ، وحضر ذلك ابن عمر وفعله عمر ابن عبد العزيز .

ويجوز للمرأة أن تصلى على الجنازة مثل الرجال ، سواء صلت منفردة أو صلت مع الجماعة .. فقد انتظر عمر أم عبد الله حتى صلت على عتبة ، وأمرت عائشة بأن يؤتى بسعد بن أبى وقاص لتصلى عليه .

وقال مالك : يصلين فرادى .. وقال الثورى : وينبغى أن تسن لهن الجماعة كما فى غيرها[٢] .

وأولى الناس بالصلاة على الميت وأحقهم : الوصى ، ثم الأمير ، ثم الأب وان علا ، ثم الابن وان سفل ، ثم أقرب العصبة .. والى هذا ذهبت المالكية والحنابلة .

وقيل : الأولى الأب ، ثم الجد ، ثم الابن ، ثم ابن الابن ، ثم الأخ ، ثم ابن الأخ ، ثم العم ، ثم ابن العم .. على ترتيب العصبات .. وهذا مذهب الشافعى وأبى يوسف .

ومذهب أبى حنيفة ومحمد بن الحسن أن الأولى : الوالى ان حضر ، ثم القاضى ، ثم امام الجهة ، ثم ولى المرأة الميتة ، ثم الأقرب فالأقرب على ترتيب العصبة ، الا الأب فانه يقدم على الابن اذا حضر .

* * *

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر رطب فصلى وصفوا خلفه وكبر اربعا . اخرجه البخارى ومسلم واحمد .

(٢) وبه قال الحسن بن صالح وسفيان الثورى واحمد والاحناف .

الوصية الثامنة

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل :

يا رسول الله .. كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟ فقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

(أخرجه احمد وابو داوود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي والترمذى وقال : حسن صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يتأثرون بالمواعظ النافعة التى كانوا يستمعون اليها من مربيهم ومنقذهم صلوات الله وسلامه عليه لدرجة أنهم كانوا اذا جلسوا بين يديه كنت تراهم منصتين كأن على رؤوسهم الطير .

والسبب فى ذلك هو حبهم له واقتناعهم به صلى الله عليه وسلم ، ولهذا عندما انتقل الى الرفيق الأعلى حدث أن كان هناك حزن شديد فى قلوب هؤلاء الأصحاب بصورة لا يمكن لكاتب أن يصورها أو يتصورها .. وفى هذا يقول أحدهم :

لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسولُ
فقدنا الوحىَ والتنزيلَ فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل[1]
نبى كان يجلو الشكَّ عنا ... بما يوحى اليه وما يقولُ

---

(١) وهو أمين الوحى جبريل عليه السلام .

ونستطيع الآن أن نتصور لمـاذا تأثر الأصحاب بموعظة الرسول صلى الله عليه وسلم التى ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب بصورة فاقت جميع المواعظ السابقة •• الأمر الذى جعلهم يشعرون بهذا الاحساس المؤلم وهو قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا وقلوبهم تتمزق : يا رسول الله •• كأن هذه موعظة مودع •• ثم طلبوا منه ان صح توقعهم أن يزودهم بوصية تكون نصب أعينهم حتى يلتقوا به تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله فقالوا : فماذا تعهد الينا ؟ فقال :

* (أوصيكم بتقوى الله) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ بتقوى الله فتلك كانت عادته فى أغلب وصاياه •• لأن تقوى الله تعالى كما قرأت سابقا هى رأس الأمر كله •• وهى وصية الله تعالى التى أوصانا بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا فقال تعالى :

« ولقـد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله »(١) ولأهمية التقوى ذكرها الله تعالى فى آيات عديدة فى محكم كتابه ، كما ذكرها مرتين فى آية واحدة فقال تعالى :

« •• اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله »(٢) •

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل : يا أيها الناس •• انى جعلت لى نسبا وجعلتم لكم نسبا •• فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم •• قلت : **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »**(٣) ، وأبيتم الا فلان بن فلان •• فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى •• أين المتقون •• ؟ فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب »(٤) •

وقال أكثر المفسرين فى قوله تعالى : **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب »**(٥) : انها نزلت فى عوف بن عوف ابن مالك الأشجعى •• أسر المشركون ابنا له يسمى سالمـا •• فأتى

---

(١) النساء : ١٣١ (٢) الحشر : ١٨

(٣) الحجرات : ١٣

(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الصغير » والبيهقى مرفوعا وهو حسن صحيح . (٥) الطلاق : ٢ ، ٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة اليه وقال : ان العدو أسر ابنى وجزعت الأم فبماذا تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اتق الله واصبر ، وآمرك واياها أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . فعاد لبيته وقال لامرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. قالت : فنعم ما أمرنا به .. فجعلا يقولانها فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية المذكورة[1] .

فاتق الله أخا الاسلام حتى تصل الى الله .

واتق الله فتقــوى الله ما جاورت قلب امرىء الا وصل

وحتى تكون بطلا من أبطال الاسلام كما يقول القائل :

ليس من يقطع طــرقا بطلا انمــا من يتق الله البطــل

واحذر أن تكون كهذا الذى : « .. **اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم** »[2] حتى لا يكون حسبك جهنم مثله .

فمن الخير لك أن تكون تقيا « **ولباس التقوى ذلك خير** »[3] .

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خــير فيمن كان لله عاصيا

* (والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا) :

وفى ذلك يقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »[4] .

فطاعة الأمير واجبة .. لأنها أمر من الله تعالى بشرط أن تكون فى طاعة الله والا فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. وهذا هو ما قاله الصديق رضى الله تعــالى عنه بعد أن أصبح خليفة لرســول الله صلى الله عليه وسلم .. قال فى خطبته : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله .. فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »[5] وقال فى خطبة أخــرى : « ان استقمت فتابعونى ، وان زغت فقومونى »[6] ..

---

(١) رواه ابن جرير مرسلا . (٢) البقرة : ٢٠٦ بلفظ « **واذا** » .
(٣) الأعراف : ٢٦ (٤) النساء : ٥٩
(٥) رواه ابن كثير فى « البداية » **وقال** : هذا اسناد صحيح .
(٦) رواه ابن كثير فى « البداية » والطبرى فى تاريخه .

ثم بعد ذلك تنبأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه بما سيحدث بعده من تغيرات واختلافات •• فقال وكأنه يرى •• بل وهو يرى :

* (فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا) :

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فها نحن نرى الآن فى زماننا هذا ما يؤكد كلامه وتنبؤاته ، وما توقعته السيدة صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عندما قالت ترثيه :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا   وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما   ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده   ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

وها هو الهرج قد جاء فعلا •• صلاة متروكة ، وزكاة ممنوعة ، وقرآن مهجور ، وتبرج ممقوت ، ونساء وفتيات فى الأسواق والمنتديات على الدين خارجات ، وارتكاب لكل أنواع الموبقات •

بل وزادت المصيبة عندما تخنفس بعض الشباب حتى أصبح كالاناث المستهترات •• بل أشد •• ولا حول ولا قوة الا بالله •• ويا أرض ابلعى •

قد تعدى بنو الزمان وصاروا   فى زوايا طغيانهم يعمهون
واستحلوا ما يغضب الله جهرا   وعلى ما يرضى الورى عاكفون
لا يرى جمعهم بغير نفاق   أو شقاق أو ذم عرض مصون
فاصطبر صاح ان تكن فى ارتياب   ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

وكأنى بالأصحاب رضوان الله عليهم عندما حدثهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا الزمان المريض وقد قالوا متسائلين ومشفقين : وماذا نفعل ان أدركناه ؟ فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ولمن سيأتى بعدهم من أبناء الزمان الذى أدركناه :

* (فعليكم بسنتى) :

وهى بايجاز : اتباعه صلى الله عليه وسلم فى جميع أقواله وأفعاله ، والتأسى به فى سائر أحواله •• قال تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** »(١) •• وقال : « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** »(٢) •• وقال : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** »(٣) وقال : « **وان تطيعوه تهتدوا** »(٤) ولن تكون صادقا فى حبك

(١) الحشر : ٧   (٢) المائدة : ٩٢
(٣) النساء : ٨٠   (٤) النور : ٥٤

لله الا اذا اتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم .. فقد قال الله تعالى فى ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »**(١) .. كما أشار الله تعالى الى هذا فى كتابه العزيز .

وروى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه خطب فى حجة الوداع فقال : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم .. ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا .. انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا .. كتاب الله وسنة نبيه »(٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل » . ثم قال : « يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد »(٤) .

❊ (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) :

وهم سيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا على .. رضى الله تعالى عنهم أجمعين .. لأنهم ساروا على طريقته ، واقتفوا أثره ، ولم يخرجوا عن صراطه المستقيم الذى خطه لهم ولغيرهم من المؤمنين والمؤمنات الى قيام الساعة .

يقول سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه : « لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به .. انى أخشى ان تركت شيئا من أمره أن أزيغ »(٥) .

وروى الطبرانى والبيهقى عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقبل الحجر — يعنى الأسود — ويقول : « انى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » متفق عليه .

---

(١) آل عمران : ٣١ (٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٤) رواه الطبرانى والبيهقى . (٥) اخرجه البخارى .

ويقول سيدنا على رضى الله تعالى عنه : « لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس »[١] . وقال : « انى لست بنبى ولا يوحى الى .. ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت » . وخلاصة القول فى هذا ما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وهو ما يسمى بخامس الخلفاء الراشدين لسيره على منوالهم عليه وعليهم رضوان الله .. يقول : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور — يعنى الخلفاء الراشدين — بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله — أى حيث قال : « **وما آتاكم الرسول فخذوه** »[٢] (واستعمال لطاعة الله) — أى فى طاعة رسوله — لقوله تعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** »[٣] .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » (وقوة على الدين) — أى على كمال ملته وجمال شريعته — (ليس لأحد تغييرها) — بزيادة أو نقصان فيها — (ولا تبديلها) — بغيرها ظنا أنه أحسن منها — (ولا النظر فى رأى من خالفها ، ومن اقتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) .

ومن هنا كان ولابد أن نتمسك بها ، ونعض عليها بالنواجذ — وهى الأضراس — وقيل : الأنياب .. والمراد بالعض : المسك بجميع الفم ، والنهش : المسك بمقدم الأسنان ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : الزموا السنة واحرصوا عليها كما يحرص العاض على الشىء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته .. ثم يحذر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وجميع المؤمنين الى قيام الساعة بقوله :

* (واياكم ومحدثات الأمور) :

وذلك حين يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة .. وحسبنا ردعا وكرها للبدعة قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ، والبدعة : ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه مسلم .
(٢) الحشر : ٧
(٣) النساء : ٨٠ .

عليه وسلم ، وجعل دينا قويما ، وصراطا مستقيما .. وتلك ضلالة ما بعدها ضلالة[1] .

وقد ورد : « وكل ضلالة فى النار » فـ **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النـــاس والحجارة عليهـــا ملائكة غلاظ شـــداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعـــلون ما يؤمرون »**[2] . وتمسكوا بسنة حبيبكم صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » .. قالوا : يا رسول الله .. ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[3] .

* * *

(١) راجع الموضوع فى كتاب « الابداع فى مضار الابتداع » للشيخ على محفوظ رحمه الله .

(٢) التحريم : ٦

(٣) رواه البخارى .

الوَصيّة التاسِعَة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أوصاني ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ،ونظرى عبرا » .

(رواه رزين)

* * *

فكن أخا الاسلام :

* (مخلصا فى السر والعلانية) :

حتى تكون مع المؤمنين .. وفى ذلك يقول سبحانه : **« الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما »**(١) .

وحتى تنفذ أمر الله تعالى فى قوله : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء »**(٢) .

وهذا ما أمر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول على لسان ربه : **« قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين »**(٣) .

واعلم أن الاخلاص كما ورد فى وصفه : « سر بين العبد وربه » وكما يقول أحد الصالحين هو : « ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه الانسان » وكلما كان العمل بعيدا عن الرياء والسمعة كان مقبولا .. ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك .. فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »(٤) .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم

---

(١) النساء : ١٤٦
(٢) البينة : ٥
(٣) الزمر : ١١
(٤) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده ، فان الله أغنى الشركاء عن الشرك »[١] .

وفى الحديث : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم »[٢] . ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه »[٣] .

وحسبى أيها الأخ المسلم أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك[٤] حتى استشهدت .. قال : كذبت .. ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمت وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت .. ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء .. فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت .. ولكنك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار »[٥] .

فاذكر ذلك جيدا ، وكن من المخلصين فى أعمالهم والا كان للشيطان سلطان عليك وحرمت ثواب أعمالك .

* (وكن عادلا فى الرضا والغضب) :

والا فقدت رصيدك من الحسنات يوم القيامة ثم طرحت فى النار

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى وهو حسن أو صحيح .

(٢) رواه مسلم . (٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) اى فى سبيلك .

(٥) رواه مسلم والنسائى والترمذى وحسنه وابن ماجه .

بسبب ظلمك وأكلك أموال الناس بالباطل كما ثبت فى حديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .. فقال : « ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته .. فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »[1] فلا تظلم من أجل ذلك أحدا ، و « ... اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »[2] و « انصر أخاك ظالما او مظلوما » .. فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره اذا كان مظلوما .. أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه – أو تمنعه – عن الظلم فان ذلك نصره »[3] واحذر أن تظلم أحدا فى رضاك أو غضبك حتى لا تدخل فى قوله تعالى : **« ان الظالمين لهم عذاب أليم »**[4] ولا تنس هذا الحديث الشريف :- « ان الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : **« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه أليم شديد »**[5] .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولا تنس قول الله تعالى : **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »**[6] .

❋ (واقتصد فى غناك وفقرك) :

حتى لا تكون من المسرفين الذين لا يحبهم الله .. لأنه سبحانه **« لا يحب المسرفين »**[7] كما يقول تعالى فى كتابه العزيز : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »**[8] ، **« ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »**[9] .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى . (٤) ابراهيم : ٢٢
(٥) رواه البخارى ومسلم ، والآية من سورة هود : ١٠٢
(٦) النحل : ٩٠ (٧) الأعراف : ٣١
(٨) الاسراء : ٢٩ (٩) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧

وقد ورد فى الحديث : « ما عال من اقتصد »[١] وفى الحديث الشريف أيضا : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات .. فأما المنجيات : فالعدل فى الغضب والرضا ، وخشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر .. وأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »[٢] .

وقال بعض الحكماء : صديق الرجل قصده ، وعدوه سرفه .

وروى أن أعرابيا قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط .. فهل هذا موجود فى القرآن ؟ قال : نعم فى أربعة مواضع : فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : **« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »**[٣] أى وسط بين الكبر والصغر فى السن . وفى قوله تعالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط »**[٤] أى فتوسط بين الأمرين فى الانفاق .

وفى قوله تعالى : **« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »**[٥] وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : **« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »**[٦] . أى وسطا فى المعيشة .

فكن من المقتصدين فى الرخاء والشدة ، فالاقتصاد كما ورد : « نصف المعيشة »[٧] ولا تكن كهذا الذى يقول :

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

* (واعف عمن ظلمك) :

حتى تكون من **« العافين عن الناس »**[٨] و **« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »**[٩] .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى . (٢) رواه البزار والبيهقى وغيره .
(٣) البقرة : ٦٨ (٤) الاسراء : ٢٩
(٥) الاسراء : ١١٠ (٦) الفرقان : ٦٧
(٧) رواه الديلمى فى « مسند الفردوس » .
(٨) آل عمران : ١٣٤ بلفظ **« والعافين »** .
(٩) الأعراف : ١٩٩

وحسبك أن تتذكر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر عندما دخل مكة فى عشرة آلاف من جند الله ، وبعد أن حطم الأصنام ، وأذن بلال ، وقف أمام الكعبة •• فرأى أهل مكة الذين طردوه ، وأخرجوه من بلده ، ومن بين أهله وعشيرته ، يرتعدون أمامه •• لأنهم ظنوا أن محمدا سيفتك بهم فى هذا اليوم •• ولكنه صلى الله عليه وسلم كان كما وصفه الله تعالى : « **رحمة للعالمين** »[1] فقد نظر اليهم ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا •• أخ كريم ، وابن أخ كريم •• فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء « **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** »[2] •

فكانت النتيجة لذلك أن دخل أكثرهم فى دين الله أفواجا •• لأنه نفذ بهذا قول الله تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم** »[3] •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب مع الكفار الذين رأوا من المسلمين غرة •• فجاء رجل منهم حتى قام على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيف •• فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » •• قال : فسقط السيف من يده •• فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك منى » ؟ فقال : كن خير آخذ •• قال صلى الله عليه وسلم : « قل : أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله » فقال : لا •• لا •• غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك •• فخلى سبيله •• فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس[4] •

وروى عن أنس أن يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها •• فجىء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك •• فقالت : أردت قتلك •• فقال : « ما كان الله ليسلطك على ذلك » فقالوا : أفلا تقتلها ؟ فقال : « لا »[5] •• وسحره رجل

---

(١) الأنبياء : ١٠٧
(٢) يوسف : ٩٢
(٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) متفق عليه من حديث جابر .
(٥) رواه أبو هريرة .

من اليهود •• فأخبره جبريل عليه السلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد •• فوجد لذلك خفة ، وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط[١] •• فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »[٢] •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع به الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله •• قال : « تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك »[٣] •

وفى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس وهم يسير ، فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم : انا نراكم سراعا الى الجنة •• فيقولون : نحن أهل الفضل •• فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا أسىء الينا غفرنا ، واذا جهل علينا حلمنا •• فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين »[٤] •

وفى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا : ليقم من كان له أجر على الله •• فلا يقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا » •

والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى : « **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** »[٥] • فكن أخا الاسلام من أهل الفضل ، وللعافين عن الناس فى الدنيا حتى تفوز يوم القيامة بجزاء المحسنين « **والله يحب المحسنين** »[٦] •• الا اذا أهينت محارم الله •• فعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله •• فاذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ••

خذ العفو عن جاهل قد بغى   عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنا   وواصل وأعرض عن الجاهلين

---

(١) من حديث زين بن أرقم باسناد صحيح •
(٢) الأحزاب : ٢١   (٣) رواه أبو هريرة •   (٤) رواه الأصبهانى •
(٥) الشورى : ٤٠   (٦) آل عمران : ١٤٨

❋ (وأعط من حرمك) :

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. من سألكم بالله فأعطوه .. »[١] واحذر أن تكون من الذين « **يمنعون الماعون** »[٢] مهما كانت الأسباب ما دام الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليك وأعطاك ؛ واعتبر هذا بمثابة شكر لله سبحانه وتعالى على أن جعلك فى هذه المنزلة التى مكنتك من اعطاء من حرمك ، وليكن عطاؤك لله تعالى وبدون من أو أذى حتى لا يكون كصفوان عليه تراب ، وليكن نصب عينيك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ولا يثلمه .. من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة »[٣] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق .. كل خندق أبعد مما بين الخافقين »[٤] .

فاذكر ذلك وكن من الذين « **يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[٥] واحذر الشح ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم استعاذ منه فقال : « اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات »[٦] وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[٧] واعلم أن « صنائع المعروف تقى مصارع السوء »[٨] « وأن صاحب المعروف لا يقع .. وان وقع وجد متكئا »[٩] .. ولن يضيع جميل أينما وضع .

---

(١) من حديث اخرجه ابو داوود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) الماعون : ٧ بلفظ « **ويمنعون** » .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه الطبرانى فى « الاوسط » .

(٥) الحشر : ٩ بلفظ : « **ويؤثرون** » .

(٦) رواه مسلم . (٧) رواه مسلم .

(٨) رواه الطبرانى فى « الكبير » بسند حسن .

(٩) من كلام لسيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

* (وصل من قطعك) :

فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[1] ، وفى رواية لأبى داوود : « لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه .. فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وان لم يرد عليه باء بالاثم وخرج المسلم من الهجرة »[2] .

قال الحافظ المنذرى : قال أبو داوود : اذا كانت الهجرة لله فليست من هذا بشىء .. فان النبى صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما ، وابن عمر هجر ابنا له الى أن مات .. وهذا معناه أن الهجرة بين المؤمنين أو بين المسلمين يجب أن لا تستمر فوق ثلاث ليال .. والا كانت اثما وقطيعة لا يقرها الاسلام ولا سيما اذا كانت تتعلق بذوى الأرحام .. قال تعالى : **« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون »**[3] . فحتى لا نكون من الخاسرين .. يجب علينا أن نصل من قطعنا .. ولا سيما ذوى الأرحام .. حتى يصلنا سبحانه وتعالى الذى يقول فى حديث قدسى : « أنا الله .. وأنا الرحمن .. خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى .. فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »[4] . وفى الحديث الشريف : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »[5] فاذكر ذلك جيدا ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا[6] .

* (وليكن صمتك فكرا) :

واحذر كثرة الكلام « الا من حق توضحه أو خلل تصلحه ، أو كلمة تفسرها ، أو مكرمة تنشرها فانه يستدل على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله » .. فان قبيح الكلام ينفر عنك الكرام ، ويغرى عليك اللئام ، ويوجه اليك الملام .. وحسبك قول الرسول صلوات الله

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أبو داوود .
(٣) البقرة : ٢٧
(٤) رواه أبو داوود والترمذى .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) الكهف : ٣٠ ، بلفظ : **« انا لا نضيع »** .

وسلامه عليه لأبى ذر رضى الله عنه : « عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان ، وعون على أمر دينك »(١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضى الله عنه عندما قال له : يا رسول الله •• ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »(٢) وحسبك كذلك وقبل كل هذا أن تكون من الذين فازوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « رحم الله عبدا تكلم فغنم ، أو سكت فسلم » واعلم أن : « من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار »(٣) .

ألا وان كلام العبد كله محسوب عليه الا ذكرا لله ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو اصلاحا بين الناس •• والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى : « **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس** »(٤) « فطوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه » و « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ••• »(٥) .



لأن اللسان هو أخطر الجوارح « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم »(٦) فكن كالنخلة يرمونها بالأحجار فترميهم بالثمار •• وكن كالنحلة تأكل طيبا وتخرج طيبا :

وصمتك خير من اثارة فتنة   فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل
ولا تك فى ذم الأخلاء مفرطا   وان أنت أبغضت الصديق فأجمل
فانك لا تدرى متى أنت مبغض   حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

فتلك يا أخى هى أيسر العبادة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه : « ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن » ؟ قال : بلى يا رسول الله •• فقال : « عليك بالصمت وحسن الخلق فانك لن تعمل مثلهما »(٧) ففكر فى ملكوت الله

---

(١) من حديث أخرجه الحاكم وصححه .
(٢) رواه الترمذى .   (٣) من كلام سيدنا على .
(٤) النساء : ١١٤
(٥) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواها الطبرانى .
(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .
(٧) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وأبو يعلى وسنده جيد .

تعالى وأسرار عظمته فى صمت ، ولا تنس قوله تعالى : **« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »**[1] •• فالمرء بأصغريه : قلبه ولسانه •

* (وليكن نطقك ذكرا) :

فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل »[2] وقال لأصحابه ذات يوم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق[3] وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى •• قال : « ذكر الله تعالى »[4] •

وهو : ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فقد ثبت أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ؟! فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق •• فلم يروا ميراثا •• فقالوا : يا أبا هريرة •• ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد •• قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن •• قال : فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] •• فاذكر الله عز وجل : **« ذكرا كثيرا »**[6] حتى تكون من الذين **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »**[7] واحذر الغفلة عن الله تعالى اذا أردت أن تكون قريبا منه وجليسا له •• ففى حديث قدسى يقول سبحانه : « أنا جليس من ذكرنى » وما أجمل قول أحد الصالحين : انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل •• ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : اذا ذكرته ذكرنى •• فهو القائل : **« فاذكرونى أذكركم »**[8] •

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه وهو حسن صحيح .

(٣) الورق بكسر الراء : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٤) رواه الترمذى وهو صحيح الاسناد .

(٥) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد حسن .

(٦) الأحزاب : ٤١ (٧) الأحزاب : ٣٥

(٨) البقرة : ١٥٢

قال الشبلي رحمه الله تعالى فى مناجاة له مع مولاه عز وجل :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بكل عيان

* (وليكن نظرك عبرا) :

وتأمل فى كل شيء حولك حتى توحد خالقك سبحانه ..

ففى كل شيء لـه آية ... تدل على أنه الواحـد

* * *

ولعل ما فى الكون من آياته ... عجب عجاب لو ترى عيناكا
لله فى الآفاق آيات لعل أقلها ... هـو ما اليـه هـداكا

* * *

فتأمل يا أخى :

تأمل فى نبات الأرض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
غصون من لجين شاخصات ... بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

* * *

تأمل فى الوجود بعين فكر ... ترى الدنيا الدنيئة كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذى الجلال

فبالتأمل نصل الى معرفة الله صانع هذا الوجود بما فيه من موجودات بدون شريك ولا معين .

وما أجمل قول الأعرابى عندما سئل عن الدليل على وجود الله تعالى .. فقال بفطرته :

« البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير .. فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج .. أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبير »؟!

وقال بعض العارفين : النظر فى المصنوعات من أقرب القربات ، قال تعالى : **«أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض»**(١) .

فالمصنوعات المعلومة بالضرورة شيئان : علوية وسفلية .. فالعلوية

---

(١) الأعراف : ١٨٥

كالشمس ، والقمر ، والسموات السبع ، وسكانها من الملائكة على اختلافهم ، والعرش ، والكرسى ، والبيت المعمور وما فيه من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ولا يفترون عن عبادته طرفة عين ، والجنة وما فيها من القصور والأنهار ، والحور والولدان ، والنعيم الذى أعده الله تعالى فيها لأوليائه المؤمنين مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، والنار وما أعده الله تعالى فيها لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال ، والسلاسل والأغلال ، والحيات والعقارب ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من أنواع العذاب •• نسأل الله تعالى العافية والسلامة •

والمصنوعات السفلية كالأرضين السبع ، والجبال ، والأنهار ، والبحار ، والشجر ، والدواب ، وبنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم •• الى غير ذلك مما خلق الله تعالى فيها وأوجده على ظهرها ، وأودعه فى بطنها من الكنوز والمعادن والنبات وغير ذلك •• ففى كل جزء من هذه المصنوعات دلالة كافية على أن الله تعالى هو خالقها وموجدها من غير شريك ولا معين •• وأقرب المصنوعات اليك نفسك •• قال تعالى : « **وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون** »[1] •• ففى نظرك الى نفسك وما اشتملت عليه من سمع وبصر ، وذوق وشم ، ورضا وغضب ، وكفر وايمان ، وشهوة وعدمها ، كفاية فى الاعتبار ، ودلالة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء ، وبيده الاعطاء والمنع ، والوصل والقطع ، والخفض والرفع ، والضر والنفع •• ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن •

ولهذا قال بعض العارفين : من تفكر فى عجائب المخلوقات كان من المقربين •

وقال بعضهم : تفكر ساعة خير من قيام ليلة فان الفكر حج العقل •

وقال بعضهم : الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وتدلك على أن الله تعالى هو الصانع المختار ، وغيره صائر الى الزوال •

وقال بعضهم : البر فى ثلاثة : فى النطق ، والنظر ، والصمت •• فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها ••

---

(١) الذاريات : ٢١

فانظر الى نفسك ثم انتقل للعالم العلوى ثم السفلى
تجد به صنعا بديع الحكم لكن به قام دليل العدم
وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعا يستحيل القدم

وانظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشعاعها ، والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات واتيانها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ، وراكع وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر [١] .

وانظر **« ... الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت »**[٢] . و :

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافى الأمراض من أرداكا[٣] ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذى أهواكا ؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟
قل للجنين يعيش معزولا بلا راعى ومرعى ما الذى يرعاكا ؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذى أبكاكا ؟
واذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله من ذا بالسموم حشاكا ؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاكا ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدا وقل للشهد من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين دم وفرث ما الذى صفاكا ؟

ثم قل مع أولى الألباب : **« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »**[٤] .

* * *

(١) جزء من حديث قدسى .
(٢) الغاشية : ١٧ — ٢٠ بلفظ : **« افلا ينظرون »** .
(٣) من قصيدة « الشعر مع الله والذرة » للشيخ ابراهيم بدوى (من الوعى الاسلامى العدد ٥٤) .
(٤) آل عمران : ١٩١

الوَصيّة العاشِرة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظـه :

« اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

(رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وقال شارح « الجامع » : اسناده حسن) .

* * *

فكن أخا الاسلام :
هذا الرجل الذى وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه الموعظة الجامعة ، التى جمعت فأوعت ، وجددت معالم الطريق ، كما بينت أسـباب النجاة . وما أحوجنا جميعا الى هذه الأسباب التى ان لم نهتد اليها فسنظل فى متاهات الحياة الى أن نموت بعد حياة كحياة الأنعام بل أضل .. وياليتنا ان لم نعرفها نكون كالأنعام التى لم ترتكب ذنبا ولم تحدث خطيئة .

ومن هنا كان لابد أن نكون أسمى من هذا المعنى ، وأن نكون أهلا لمـا خلقنا الله من أجله وهو العبادة **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون »**[1] .

فاذكر ذلك جيدا ، ونفذ موعظة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، واغتنم خمسا قبل خمس :

* (شبابك قبل هرمك) :

والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الفقرة الأولى يشير الى ملاحظة هامة .. وهى أن الانسان لن يظل متمتعا بشبابه الى أرذل العمر .. وانما هو كالنبـات الذى **« يهيج فتراه مصفرا ثم يكون**

---

(١) الذاريات : ٥٦

حطـــاما »[١] والى ذلك يشير سبحانه وتعالى فى قوله : « **والله أنبتكم من الأرض نباتا • ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا** »[٢] ، وفى قــوله تعــالى : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** »[٣] وتستطيع أنت بنفسك الوصول الى هذه الحقيقة الملموسة ، وهى أن الانسان خلق من سلالة من طين ، ثم كان بعد ذلك نطفة فى قرار مكين ، ثم تقرأ بعد ذلك قوله تعالى : « **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشاناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين** »[٤] • وقوله تعالى فى حديث قدسى : « فلما أن تمت مدتك فى بطن أمك أوحيت الى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها ، وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف ، وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد » •

وهكذا ينشأ الطفل فى أحضان والديه وهو يلقى من حنان الأبوة ما عبر عنه الشاعر العربى بقوله :

وانمـــا أطفالنـــا بيننـــا   أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى عن الغمض

كما ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة لكى نراه بعد ذلك غلاما ، ثم رجلا فى سن الأربعين ثم شيخا كبيرا معمرا •• وعندما يصل الى هذا الحد لن نراه وقتئذ يقوى على السير الا وهو يتوكأ على العصا •• وفى هذا يقول أحدهم :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا   فصرت أمشى على أخرى من الشجر

وبعد ذلك اذا طال عمره سنراه لا يقوى على السير حتى على العصا •• وانما سنراه اذا أراد أن ينتقل من مكان الى مكان يحبو كما كان يحبو يوم أن كان طفلا • وصدق الله العظيم اذ يقول : « **ومن نعمره ننكسه فى الخلق** »[٥] •

ثم بعد ذلك سيموت بعد انتهاء أجله لكى يعود الى بطن الأرض كما خرج من بطن الأم التى هى أصلا من سلالة من طين •• وصدق الله

---

(١) الحديد : ٢٠   (٢) نوح : ١٧ ، ١٨   (٣) طه : ٥٥
(٤) المؤمنون : ١٤   (٥) يس : ٦٨

.. فهو القائل أيضا بعد قوله : **« فتبارك الله أحسن الخالقين »**[١] **« ثم انكم بعد ذلك لميتون »**[٢] ولهذا كان لابد أن يقف الشباب على حقيقة هذه الحياة الدنيا حتى لا يغتر بها فيشغل عن الهدف الأسمى وهو الرجوع الى الله تعالى قبل فوات الأوان .. فقد ورد فى الحديث الشريف : « ما من يوم تطلع الشمس فيه الا وهو ينادى : يا ابن آدم .. أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنم منى فانى لن أعود الى يوم القيامة » وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم .. لا تغتر بشبابك .. فكم من شاب سبقك الى الموت .. يا ابن آدم .. لا تفرح بدنياك فلست بمخلد .. يا ابن آدم .. استح منى عند معصيتك أستحى منك فلا أعذبك » .

فاذكر ذلك وكن شابا صالحا تكون مع الشباب الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله[٣] .. فقد جاء فى هذا الحديث الشريف الذى تحدث عن هذا فى المرتبة الثانية : « وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى »[٤] .

وفى الحديث القدسى : « أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد .. أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد ، وأحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد ... » .

واياك أن تكون كهذا الشاب المخنث الذى يشك الانسان فى رجولته بسبب « الخنفسة » التى أصبح بها لا يحمل غير صفة الذكورة فقط .. وتلك مصيبة المصائب « فأقم عليهم مأتما وعويلا » وقل : **« انا لله وانا اليه راجعون »**[٥] وان شئت فقل مع الشاعر معاتبا :

شـــباب النيل يا زين الشباب	ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجهه اليــكم	وقد تصفو المودة بالعتاب
لزهر النرد[٦] قد خلقت يداه	وليست لليراع[٧] وللكتاب
تفنن فى محاكاة العــذارى	وخالفهن فى وضع النقاب
وأرسل شعره المضغوط يحكى	وميض البرق أو لمع السراب
له حلل تحاكى الطيف لونا	بأزرار من الذهب اللبــاب

---

(١) المؤمنون : ١٤ (٢) المؤمنون : ١٥

(٣) اى يوم لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى .

(٤) من حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) البقرة : ١٥٦ (٦) النرد : الطاولة .

(٧) اليراع : القلم .

اذا الذئب استحال بمصر ظبيا فمن يحمى البلاد من الذئاب
برئت من الفتى يبدو فتبدو عليه نعومة البيض الكعاب

فتب أيها الشاب المفرط الى الله تعالى قبل أن يشيب شعرك ، ويذهب عمرك ثم تقول : ليت الشباب يعود يوما •• واذكر قول القائل :

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا فكيف به والشيب فى الرأس نازل
ترحل عن الدنيا بزاد من التقى فعمـرك أيام تعـد قلائل

وذلك لأن الانسان كالوردة لابد أن يذبل ، ولابد أن يمر بجميع مراحل الحياة بمـا فيها من صحة وعافية وسقم •• وقد ورد فى الحديث الشريف :

« لابد للمرء من ثمانية : عسر ويسر ، وحزن وفرح ، واجتماع وفرقة ، وسقم وعافية » •• تلك طبيعة الحياة •• بل تلك هى سنة الله فى خلقه ، « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** »(١) •• ومن أجل هذا كان لابد أن يكون هناك انتهاز لفرصة عافية الانسان قبل أن يصاب بمرض لا يمكنه من عمل شىء يجد ثمرته عند الله تعالى يوم القيامة •• وما أحوجنا الى كل لحظة فى حياتنا الأولى تقريبا فى كل لحظة من السفر الطويل الذى سنحتاج فيه الى زاد كبير بدونه سنكون من أفقـر الفقراء « **يوم ينظـر المرء ما قدمت يداه** »(٢) يوم يقول المرء المفـرط : « **يا ليتنى قدمت لحياتى** »(٣) •

وقد روى أن أبا الدرداء — أو أبا ذر — رضى الله عنهما وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم •• قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون •• فقالوا : دلنا على زاده ؟ فقال : « حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » •

ولـمـا كان كل هذا لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت هناك عافية كان من الضرورى ما دمنا أصحاء وما دمنا نقوى على العمل والانطلاق أن نتحرك فى كل اتجاه ، وفى كل ميدان نثبت فيه ايماننا ونؤكد فيه اخلاصـنا •

---

(١) الأحزاب : ٦٢ ، والفتح : ٢٣ ، وفاطر : ٤٣ بلفظ : « **فلن تجد** » .
(٢) النبأ : ٤٠ (٣) الفجر : ٢٤

وتلك فرصة من ذهب لن نعرفها ولن ندرك قيمتها الا عندما نعجز عن التحرك كما كنا ونحن أصحاء •• ولله در على رضى الله تعالى عنه •• فلقد قال : « من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه » •

فاحذر أن تعق يومك وتظلم نفسك ، فأنت أحوج الى كل لحظة من عمرك •• فـ :

ليس المصاب من فارق الأحباب ان المصاب من فقـد الثواب

« ودار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل »[1] •

وحتى يستمر نشاطك فى طاعة الله تعالى بصورة جادة فاننى أوصيك بأن تحافظ على صحتك •• وذلك بالحد من الاسراف فى الطعام والشراب •• فقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه •• بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه : فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[2] •

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما قبل[3] الجارية والدابة ورد الطبيب : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع »[4] ففيه من التوجيه والعلاج ما فيه الكفاية ••

فان الـداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

ومن خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

« اياكم والبطنة •• فانها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد فى قوتكم •• فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه »[5] •

---

(١) من وصية لسيدنا لقمان الحكيم •

(٢) اخرجه الترمذى وقال : حديث حسن •

(٣) قبل : بفتح القاف وكسر الباء المخففة وفتح اللام : من القبول •

(٤) وكان ملك مصر فى عهده قد اهدى اليه صلى الله عليه وسلم جارية ودابة وطبيبا •

(٥) ذكره الشيخ حمزة فى « المواهب » •

* (وغناك قبل فقرك) :

وتلك أيضا كالشباب والصحة لا ضمان لدوامها •• فكم من الناس كانوا يملكون وأصبحوا لا يملكون غير القوت الضرورى الذى ربما لا يحصلون عليه الا بشق الأنفس •• وكم من الناس كانوا لا يملكون القوت الضرورى وصاروا الآن يملكون **« القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث »**[١] •

وتلك هى طبيعة الدنيا •• ان طلبتها تركتك •• وان تركتها طلبتك •

هى الدنيا تقول بملء فيهـا   حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام   فقولى مضحك والفعل مبكى

وقد روى أن رجلا كان له صديق فقير •• فكان يعطيه من فضل الله الذى عنده •• وبمرور الزمن قلب الوضع وأصبح عكسيا ــ الغنى أصبح فقيرا والفقير أصبح غنيا ــ غير أن الأخير لم يكن أصيلا ، ولم يذكر مروءة صديقه الذى كان يعطيه يوم أن كان محتاجا •• فكان اذا رآه حول وجهه حتى لا يراه فيضطر الى اعطائه •• وعندما ظهر هذا للصديق الأول قال له :

ترانى مقبلا فتصد عنى   وترعم أننى أبغى رضـاك
سيغنينى الذى أغناك عنى   فلا فقرى يدوم ولا غناك

فاذا كنت غنيا ففى استطاعتك الآن أن تقدم خيرا لنفسك ينفعك يوم القيامة **« يوم لا ينفع مال ولا بنون »**[٢] وفى ذلك يقول الحكيم :

قـدم لنفسـك خيرا   وأنت مـالك مـالك
من قبل تصبح فردا   ولون حالـك حالـك
ولست والله تـدرى   أى المسـالك سـالك
اما لجنـة عـدن   أو فى المهـالك هالك

وحسبك قول الله تعالى :

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله »[٣] و **« ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق »**[٤] وحافظ على غناك وذلك بعدم الاسراف والتبـذير **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »**[٥] •

---

(١) آل عمران : ١٤ بلفظ : **« والقناطير »** .
(٢) الشعراء : ٨٨   (٣) المزمل : ٢٠
(٤) النحل : ٩٦   (٥) الاسراء : ٢٩

واعلم أنه ما وقع تبذير فى كثير الا عدمه ودمره ، ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره .. وقد كان الصديق رضى الله عنه يقول : « انى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق الأيام الكثيرة فى يوم واحد » .

ويقول : معاوية رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع » وكان للأعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقي عليه مال سجن من أجله .. فزاره الأعمش فرأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتغدى منه فقال له : « والله ما لازمت الوثاق الا باسرافك فى الانفاق .. فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك » .

فاحرص على الدرهم والعين تسلم من العيلة[1] والدين
فقوة الصين بانسانها وقوة الانسان بالعين

* * *

وأنفق بقدر ما استطعت ولا تسرف وعش صاح عيش مقتصد

فبهذا تكون من العقلاء الذين يحافظون على مكانتهم .. فقد ورد فى الحديث الشريف : « ما عال من اقتصد »[2] .. ومن كان سليم الجسد مطمئن النفس خالى البال اعتمادا على الله وعلى ما ادخره من المال فان مثله كمثل القابض بيده على زمام الدنيا .. وقد قيل لحكيم : لم تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال : لأصون به العرض ، وأؤدى به الفرض ، وأستغنى به عن القرض .

فانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

فاذكر ذلك ، وضع نصب عينيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى »[3] وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » و « أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا »[4] .

* (وفراغك قبل شغلك) :

فـ « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » هكذا قال أحد الحكماء .. وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله ..

---

(١) العيلة : الفقر .
(٢) رواه أحمد والطبرانى .
(٣) اخرجه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البزار باسناد حسن والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » باسناد حسن .

وذلك لأن العمر قصير ، واللحظات محسوبة عليك ، والواجبات أكثر من الأوقات ، واللحظة التى تمضى لن تعود مرة أخرى ولن يعرف الانسان قيمتها الا فى يوم الحساب الذى يجب أن يعمل له من الآن ألف حساب ولهذا كان لابد وأن يكون هناك اغتنام لفرصة فراغه .. فربما لا يستطيع بعد ذلك أن يعمل بنفس الطاقة التى كان يعمل بها قبل ذلك بسبب عدم فراغه ، وكبر سنه ، وكثرة مشاغله وأولاده .. الخ .

ثم بعد ذلك ستنقضى أيامه لكى يجد نفسه أمام الله فى موقف له خطورته ، لأنه سيسئل فيه عن كل شىء فعله فى هذه الحياة الأولى وعن كل لحظة قضاها فيها .. وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه »(١) فاحذر ضياع الوقت .. فالوقت من ذهب ، واغتنم فرصة فراغك ، وقدم لنفسك ما ينفعك فى حياتك الأخرى ، وما يترك لك أثرا صالحا فى حياتك الأولى ، وتأمل قول القائل :

دقات قلب المرء قائلة له ... ان الحيـــاة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للانســـان عمر ثان

* (وحياتك قبل موتك) :

واذا أردنا أن نتحدث عن الموت الذى يشير اليه هذا العنصر الخامس .. فهو نهاية المطاف الدنيوى ، وهو حكم الله تعالى فى جميع خلقه بعد انتهاء آجالهم .. قال تعالى : **« لكل أجل كتاب »**(٢) .

وقال تعالى : **« كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »**(٣) وقال تعالى لنبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه : **« انك ميت وانهم ميتون »**(٤) فالموت اذن هو نهايتنا جميعا وقد جعله الله تعالى من أعظم المصائب(٥) كما سماه بهذا فى قوله تعـــالى : **« فأصابتكم مصيبة الموت »**(٦) وذلك لأنه تبدل من حال الى حال ، وانتقال من دار الى دار .. من دار العمل الى دار الحساب .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) الرعد : ٣٨
(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧
(٤) الزمر : ٣٠
(٥) هذا بالنسبة لغير المؤمن ، أما المؤمن فانه يفرح بلقاء الله تعالى لأن « الموت راحة المؤمن » كما ورد فى الحديث الشريف .
(٦) المـــائدة : ١٠٦

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى
نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى

* * *

سيصير المرء يوما جسدا ما فيه روح
بين عينى كل حى علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمرت ما عمر نوح

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »(١) وسئل صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقا » . قيل : أى المؤمنين أكيس(٢) ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا »(٣) وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لو علمت البهائم ما تعلمون عن الموت ما أكلتم منها لحما سمينا أبدا » .

وليس الموت هو نهاية المطاف فقط .. وانما هو أيضا مرحلة انتقال : كما رأينا .. وفى ذلك يقول تبارك وتعالى بعد أن حدثنا عن مراحل خلق الانسان : « **ثم انكم بعد ذلك لميتون** » ثم يقول تعالى : « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** »(٤) وهذا هو أهم ما يجب علينا أن نركز عليه اذا أردنا أن نخرج من هذه الدنيا وقد رضى الله عنا ، وغفر لنا ، ولكى يكون هناك ايقاظ وتذكير قبل فوات الأوان ، وقبل انتقالنا من دار العمل الى دار الحساب بدون رصيد من الحسنات .. كان لابد وأن يكون هناك تذكير باليوم الآخر وهو « يوم القيامة » وأوله الموت .. لحديث هانىء مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته .. فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة .. فان نجا منه فما بعده أيسر ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٢) اكيس : اى اعقل .
(٣) روى عن ابن مسعود رضى الله عنه .
(٤) المؤمنون : ١٥ ، ١٦

منه »(١) وحتى تدرك خطورة ذلك وما بعده تعالوا بنا نستمع الى البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه وهو يقول : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار •• فانتهينا الى القبر ولما يلحد •• فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض •• فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين ـ أو ثلاثا ـ » ثم قال : « ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع عن الدنيا واقبال على الآخرة ، نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط(٢) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر •• ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة •• اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان •• قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء(٣) •• فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض •• قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة •• فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض فانى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى •• قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله •• فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : دينى الاسلام •• فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت • فينادى مناد فى السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ••

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٢) طيب يخلط للميت خاصة ، وكل ما طيب به من مسك وغيره .

(٣) أى فم السقاء .

قال : فيأتيه من روحها[١] وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب طيب الريح .. فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد .. فيقول له : من أنت .. فوجهك الوجه يجىء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح .. فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى .. قال : وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجوه ، معهم المسوح[٢] فيجلسون منه مد البصر .. ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب .. فتتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[٣] من الصوف المبلول .. فيأخذها ، فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا .. حتى ينتهى به الى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له .. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط »**[٤] . فيقول الله : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى .. فتطرح روحه طرحا ثم قال : **« ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »**[٥] فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدرى .. فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدرى .. فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدرى .. فينادى مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا الى النار .. فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك .. هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : فمن

---

(١) الرحمة . (٢) الثوب الخشن .

(٣) الحديدة التى يشوى بها اللحم .

(٤) الأعراف : ٤٠ ، وسم الخياط : ثقب الابرة .

(٥) الحج : ٣١

نت •• فوجهك الوجه يجىء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث •• فيقول : « رب لا تقم الساعة »(١) .

هذا •• ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة •• بها يدرك أثر النعيم والعذاب ، ولو تفتتت أجسادهم •• وهو أمر غيبى لا نبحث عن كيفيته •• وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ، ولا يرى من بجواره شيئا •• وقد ستر عنا رحمة بنا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر »(٢) .

فان كان هذا هو حال أهل القبور •• فما بالك بما سيكون بعد ذلك من بعث ، وحشر ، وحساب ، وميزان ، وصراط •• الخ •• ثم ما بعد ذلك من جنة أو نار •• قال تعالى :

« فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى »(٣) .

ولهذا أخا الاسلام •• كانوا يعملون لهذا اليوم ألف حساب ، وكانوا يخافون من لقاء الله سبحانه وتعالى خوفا شديدا :

يقول الأصمعى رضى الله تعالى عنه : سمعت شابا يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المقصود فى كل وجهة	شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى	فهبلى(٤) ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة	وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى	فأين رجائى ثم أين مخافتى ؟

ثم سقط مغشيا عليه •• فدنوت منه •• فاذا هو زين العابدين ابن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين •• فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت •• فقطرت دمعة على خده فقال : من هذا الذى يهجم علينا ؟ فقلت : عبيدك الأصمعى •• سيدى •• ما هذا البكاء والنحيب وأنت من أهل بيت الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ••

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود وابن خزيمة .

(٢) اخرجه احمد ومسلم والنسائى . (٣) النازعات : ٣٧ — ٤١

(٤) هب لى ذنوبى : اى تجاوز عنها بكرمك .

والله تعالى يقول : « **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** »(١) . فقال : هيهات هيهات .. ان الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا .. ثم قال : أليس الله تعالى يقول : « **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** »(٢) .

أليس الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « انى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية »(٣) ثم قال وهو يبكى : أنسيت يا هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها : « اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا »(٤) .

وأن الصديق عليه رضوان الله كان يقول : « لو كانت احدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله » .

وأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يخاف من لقاء الله خوفا شديدا وكان دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى وكان يقول : « ليت أمى لم تلدنى » و « ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر » .

وأن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه كان يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .. وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهى تزفر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار . ثم قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جىء بك . فوقع مغشيا عليه ، وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه : رأيتك والله قد نجوت .

ويقول منصور بن عمار رضى الله تعالى عنه : دخلت الكوفة فبينما أمشى فى ظلمة الليل اذ سمعت بكاء رجل بصوت شجى من داخل دار وهو يقول : الهى .. وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ، ولكن عصيتك بجهل فالآن من ينقذنى من عذابك ؟ وبحبل من أعتصم

---

(١) الأحزاب : ٣٣
(٢) المؤمنون : ١٠١ ، ١٠٢
(٣) حديث حسن .
(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

ان قطعت حبلك عنى ؟ واذنوباه •• واغوثاه •• يا الله •• قال منصور ابن عمار : فأبكانى كلامه فوقفت فقرأت : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** »[1] فسمعت للرجل اضطرابا شديدا وصياحا •• فوقفت حتى انقطع صوته ومضيت •• فلما أصبحت أتيت الى دار الرجل فوجدته قد مات ، والناس فى تجهيزه ، وعجوز تبكى •• فسألت عنها •• فقيل : هى أمه •• فتقدمت اليها وسألتها عن حاله فقالت : كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكتسب الحلال فيقسم كسبه أثلاثا : ثلث لنفقته ، وثلث لنفقتى ، وثلث يتصدق به •• فلما كان البارحة مر انسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا •

وكان يزيد الرقاشى رحمه الله تعالى يعاتب نفسه ويقول لها : ويحك يا نفس •• ما الذى يصلى عنك بعد الموت •• ما الذى يصوم عنك بعد الموت •• وهكذا ثم يقول : أيها الناس •• ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم بقية عمركم •• فمن كان الموت موعده ، والقبر بيته ، والثرى فراشه ، والدود مؤنسه ، وخوف الفزع الأكبر يزعجه كيف يلتذ بمنام ؟ •• ثم يخر مغشيا عليه •

وكان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه اذا ذكر الموت لا ينتفع أحد به أياما عديدة ، ولا يأكل ولا يشرب •• وكان اذا سئل عن شىء يقول : لا أدرى •

وكان على بن الفضيل بن عياض اذا ذكر الموت تكاد تنقطع مفاصله من الاضطراب •

وكان يوسف بن أسباط اذا شيع جنازة يكاد يموت •• فيرجعون به فى النعش الى داره •

فاذكر ذلك جيدا ، ولا تتخذ الدنيا وطنا لك ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب به فى وطنه الذى يريد أن يذهب الى أهله منه •• فبهذا أوصى الرسول صلوات الله وسلامه عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى يقول : أمرنى خليلى صلى الله عليه وسلم أن لا أتخذ من الدنيا الا كمتاع الراكب •• ثم اليك هذه الخلاصة :

---

(١) التحريم : ٦

روى أن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه قال لأحد أصدقائه : هلم بنا الى المؤدبة ــ يعنى رابعة العدوية ــ يقول جعفر بن سليمان رفيق سفيان فى هذه الزيارة : فلما دخلنا عليها رفع سفيان يديه وقال : اللهم انى أسألك السلامة .. فما كان من رابعة حين سمعت هذا الدعاء الا أن بكت .. وتعجب سفيان من بكائها فسألها : ما يبكيك يا رابعة ؟ فقالت : أنت السبب .. لقد عرضتنى للبكاء .. أما علمت يا سفيان أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها .. فكيف وأنت متلطخ بها ؟ قال سفيان : واحزناه .. فقالت رابعة : لا تكذب .. قل : واقلة حزناه .. لو كنت محزونا لمـا شغلتك الدنيا يا سفيان .. ثم قالت تعظه : يا سفيان .. انما أنت أيام معدودة .. فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك اذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ..

وكانت تقول : لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا .. قيل لها : وكيف ؟ قالت : لأنها تفنى .. وسألها متفلسف : من أين أتيت ؟ قالت : من العالم الآخر .. قال : والى أين أنت ذاهبة ؟ قالت : الى العالم الآخر .. قال : وماذا تفعلين فى هذه الدنيا ؟ قالت : آكل خبزها ، وأعمل للآخرة .

* * *

فاغتنم أخا الاسلام فرصة وجودك فى هذه الدنيا ، واحذر أن يفوتك القطار ، وكن مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى ، وتزود لهذا اللقاء حتى اذا ما فارقت الدنيا كنت فرحا به كبلال رضى الله تعالى عنه .. فقد روى أنه عندما كان يحتضر كانت ابنته تبكى وتقول : واأبتاه .. واكرباه .. واحزناه .. وعندما انتبه وهى تقول هذا الكلام زجرها .. ثم قال لها : « لا تقولى ذلك .. لا كرب على أبيك بعد اليوم .. اليوم نلقى الأحبة .. محمدا وحزبه » وكن محبا للقاء الله تعالى .. فقد ورد فى الحديث :

« من أحب لقـاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

* * *

وبعد أخا الاسلام •• وقد وقفت على بعض هذه المواقف المثيرة التى تهز المشاعر المؤمنة ، وتحرك القلوب السليمة •• لا يسعنى بعد هذا العرض الموجز خوفا عليك من اليأس من رحمة الله الرحمن الرحيم الذى يقول كما ورد فى حديث قدسى : « وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » الا أن أسوق اليك هذا الحديث : عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم •• انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى •• يا ابن آدم •• لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك • يا ابن آدم •• انك لو أتيتنى بقراب[١] الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »[٢] • فلا تقنط من رحمة الله تعالى وأكثر من الاستغفار ــ وهو طلب المغفرة منه سبحانه وتعالى ــ ثم التوبة اليه •• ففى ذلك يقول تعالى : **« وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه »**[٣] وليكن مثلك فى هذا هو سيد المستغفرين صلوات الله تعالى وسلامه عليه الذى كان يقول فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم »[٤] • ويقول : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت »[٥] فلا تنس سيد الاستغفار ، وحسبك قول الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام : **« استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »**[٦] حتى لا تحرم من كل هذه الامتيازات •• وقل مع سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا[٧]

---

(١) اى بما يقارب ملء الأرض .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) هود : ٣
(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه البخارى .
(٦) نوح : ١٠ ــ ١٢
(٧) وفى رواية أخرى : « ظلما كبيرا » والحديث متفق عليه .

ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » وقل مع هذا الراجى عفو ربه :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فلئن رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا ... وجميل عفوك ثم انى مسلم

حتى تصلك هذه الاشارات من هذه الأبيات :

قل للذى ألف الذنوب وأجرما ... وغدا على زلاته متنـدما
لا تيأسن من الجميل فعندنا ... فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودى واسع ... توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم ... انى الجدير بأن أجود وأرحما



الجزء الثانى

الوصية الحادية عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :
أوصانى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال :

« لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة ، واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله ، واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس ، وان أصاب الناس موت فاثبت ، وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا ، وأخفهم فى الله » .

(رواه احمد والطبرانى فى الكبير)

* * *

فكن أخا الاسلام :
بعيدا عن الشرك بالله[1] فقد حرمه الله علينا جميعا فقال :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئا .. »[2]

بل وتلك كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه كما يقول ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : **« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئا .. »** الى قوله تعالى : **« وأن هذا صراطى مستقيما ... »**[3] .

* * *

---

(١) الشرك هو عدم افراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وافعالا .
(٢) الأنعام : ١٥١ (٣) الأنعام : ١٥٣

وإذا كان الله تعالى قد حرم عليك الشرك وأمرك بأن تعبده عبادة خالصة فهذا هو حقه سبحانه وتعالى عليك كما ورد فى حديث شريف يرويه معاذ رضى الله عنه فيقول : « كنت رديف[١] النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ قلت : والله ورسوله أعلم . قال : « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » . قلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا »[٢] .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى عبادة الله وتحذيرا لك من الوقوع فى الشرك به سبحانه أن تقرأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »[٣] .

* * *

وعن عثمان رضى الله عنه : « فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله »[٤] فكن : من أجل كل هذا موحدا وجدد ايمانك بالاكثار من قول لا اله الا الله . فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم : « جددوا ايمانكم » قيل : وكيف نجدد ايماننا يا رسول الله ؟ قال : « أكثروا من قول لا اله الا الله »[٥] .

* * *

وحتى تعرف قدر كلمة التوحيد وتكثر من قولها بكل جوارحك اليك هذا الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : « قال موسى : يا رب .. علمنى ما أذكرك به وأدعوك به ، فقال : يا موسى .. قل لا اله الا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب .. كل

---

(١) اى كان يركب خلفه .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه احمد والطبرانى باسناد حسن .

عبادك يقولون هذا . قال : قل لا اله الا الله . قال : لا اله الا أنت . انما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله »(١) .

* * *

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »(٢)

وكان يقول : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »(٣) .

* * *

ولهذا قال علماء التوحيد :

يجب على من نشأ مؤمنا ، أن يذكر كلمة التوحيد فى العمر مرة ناويا أداء الواجب ، والا فهو عاص ، ثم ينبغى له الاكثار من ذكرها عارفا معناها ، مستحضرا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى . فتتفجر ينابيع الحكمة من قلبه ، ويرى لهـا من الأسرار والعجائب ان شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر :

لأن كل ما يتعلق بالعقيدة يندرج فى كلمة التوحيد ، وذلك لأن معناها : « لا معبود بحق الا الله » ويلزم هذا المعنى أن يكون غنيا عن كل ما سواه ، وأن يفتقر اليه كل ما عداه .

يا واحدا فى ملكه أنت الأحـد ... ولقد علمت بأنك الفرد الصمد

لا أنت بمولود ولست بوالد ... كلا ولا لك فى الورى كفوا أحد

* * *

واعلم : أنه من أنواع الشرك بالله :

الرياء فى العمل طلبا للرفعة والمنزلة والجاه الى غير ذلك من أمور الدنيا وشهواتها . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخشى علينا هذا فيقول :

« ان أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر » .

---

(١) اخرجه النسائى وابن حبان .

(٢) اخرجه احمد والنسائى والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه .

(٣) اخرجه الترمذى .

يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جزى الناس أعمالهم : « انظروا الى الذين كنتم تراءونهم ، هل تجدون عندهم جزاء » ؟

وحسبك أن تقرأ قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء النـاس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا »**(١) .

وقوله تعـالى : **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(٢) .

مع ملاحظة : أن الرياء لا يتحقق الا بالنية ، فالشخص الذى يبدى الصدقة جهرا وعلنا ولم يقصد بذلك الرياء ليس مرائيا . لأن اظهار الصدقة تارة يكون محبوبا كالزكاة المفروضة ، وكالاقتداء واغراء الغير به : عندئذ سيكون له أجران : أجر السر وأجر العلانية .

وتعظيم غير الله ومشاركتهم له فى الحب : وفى ذلك يقول تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله »**(٣) .

وقد وقع العرب فى جاهليتهم فى هذا الشرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام التى صنعوها بأيديهم بدعوى أنها تقربهم الى الله زلفى ، مع أنهم كانوا اذا سئلوا عمن خلقهم ودبر شئونهم يكون جوابهم : « الله » وقد أشار الله تعالى الى هذا فقال : **« والذين اتخذوا من دونه أوليـاء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون »**(٤) . وقال : **« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون »**(٥) .

ومن المؤسف أن هذه الجاهلية قد تكررت مرة أخرى فى القرن العشرين وكتاب الله بين أيدينا ولا زالت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تهز مشاعرنا وتملأ أسماعنا :

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) الكهف : ١١٠ (٣) البقرة : ١٦٥
(٤) الزمر : ٣ (٥) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

فهناك الآن من يقدم النذور لعباد الله الصالحين ، وهذا خطأ جسيم ، لأن النذر عبادة من العبادات التى لا تكون الا لله وحده مثل الصلاة •

بل ويدعونهم من دون الله ، وهذا أيضا جرم كبير لأن « الدعاء مخ العبادة » كما جاء فى الحديث الصحيح ، والعبادة لا تكون الا لله • قال تعالى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »[١] •

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[٢] •

ومن هذا النوع من الشرك : السجود لغير الله ، والطواف بغير بيته الحرام ، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره ، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها •

وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها لله • فكيف بمن اتخذوا القبور أوثانا يعبدونها من دون الله ، فقد ورد فى الصحيحين : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٣] ، وفى الصحيح أيضا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفى مسند الامام أحمد رضى الله عنه وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه سلم أنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وقال : « ان من كان قبلكم كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » •

---

(١) غافر : ٦٠ ، وداخرين : اى صاغرين اذلاء •

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

(٣) هذا لفظ مسلم •

فاذا كان هذا هو حال من سجد لله فى مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه •

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد »[1] •

كما نرى أنه صلى الله عليه وسلم قد حمى جانب التوحيد أعظم حماية حين نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لئلا يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين • كما منع الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس •

والشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره :

وهو أخف أنواع الشرك ، فلا يخرج الانسان عن الايمان وان كان ينقصه قال صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[2]

ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت ، فقد ثبت أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا • قل : ما شاء الله وحده » •

وكذلك من يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا فى حسب الله وحسبك ، ومالى الا الله وأنت ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله فى السماء وأنت فى الأرض ، أو يقول : نذرا لفلان[3] ، وكذلك من يشبه به فى الاسم الذى لا ينبغى الا له وحده : كملك الملوك ، وحاكم الحكام •

وخلاصة القول : ان السجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى : لا يصلح لسواه من ملك مقرب أو نبى مرسل •

---

(١) رواه مالك فى « الموطأ » •   (٢) رواه أحمد وغيره •

(٣) فكل هذا يعتبر اعتمادا على غير الله ، والمفروض أن يكون الاعتماد والاتكال على الله وحده ولا مانع أن يكون هناك تعاون بين المؤمنين على البر والتقوى •

ومن أنواع الشرك أيضا :

تعليق التميمة[١] ، والودعة[٢] ، والرقى[٣] ، والتولة[٤] .

فقد ورد فى حديث عن عقبة بن عامر مرفوعا : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » وفى رواية أخرى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « ان الرقى والتولة شرك »[٥] .

فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »**[٦] .

وقوله : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا »**[٧] .

و **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له »**[٨] .

واحذر : أن تكون من المشبهة ، أى الذين يشبهون الله تعالى بالحوادث لأنه سبحانه لا يشبهه أحد من خلقه فى ذات ولا صفة : **« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »**[٩] ، **« هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم »**[١٠] .

هو أول هو آخر هو ظاهر   هو باطن ليس العيون تراه
حجبته أسرار الجلال فدونه   تقف الظنون وتخرس الأفواه
صمد بلا كفء ولا كيفية   أبدا فما النظراء والأشباه
سبحان من عنت الوجوه لوجهه   وله سجود أوجه وجباه
ما كان يعبد من اله غيره   والكل تحت القهر وهو اله

ولا تكن : من هؤلاء الذين يتكلمون فى الاستواء وغيره وهم يجهلون حقيقتهم ، وحسبهم ما قاله جلال الدين السيوطى رحمه الله :

---

(١) التمائم : شىء يعلق على الأولاد يتقون به العين .

(٢) الودعة : شىء ابيض يجلب من البحر يعلق فى حلوق الصبيان وغيرهم .

(٣) الرقى : هى التى تسمى بالعزائم .

(٤) التولة : شىء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امراته .

(٥) وهذا بالنسبة لمن اعتقد تأثيرها بذاتها ، اما من اعتقد انها لا دخل لها فى ارادة الله تعالى واخذ بالأسباب بأن ذهب الى الطبيب مثلا بعد لجوئه الى الله تعالى فليس بمشرك ، والحديث رواه أحمد وابو داوود .

(٦) الاسراء : ٢٣   (٧) النساء : ٣٦

(٨) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣   (٩) الشورى : ١١

(١٠) الحديد : ٣

قل لمن يفهم عنى ما أقول   قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه   ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف اياك ولا   قدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت   فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها   هل تراها فترى كيف تجول ؟
هذه الأنفاق هل تحصرها ؟   لا ولا تدرى متى منك تزول
أين منك العقل والفهم اذا   غلب النوم ، فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه   كيف يجرى منك أم كيف تبول
فاذا كانت طواياك التى   بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدرى من على العرش استوى   لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تجلى الله أم وكيف يرى   فلعمرى ليس ذا الا فضول
هو لا كيف ولا أين له   وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له   وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتا وصفاتا وسما   وتعالى قدره عما أقول

واذا أردت اجابة على موضوع الاستواء فاليك :

دخل رجل على الامام مالك رضى الله عنه وسأله عن معنى الاستواء فى قوله تعالى : « **الرحمن على العرش استوى** »[1] فأجابه بقوله : الاستواء معلوم — أى من القرآن — والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة • ثم قال لجلسائه : أخرجوا عنى هذا المبتدع •

وسئل أبو حنيفة رضى الله عنه أيضا عن الاستواء فقال : من ادعى أن لله فوقية أو تحتية فقد كفر « **ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير** »[2] •

وسئل الشافعى رضى الله عنه عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل •

فلتكن : هذه اجابتك •

ولتكن : عقيدتك عقيدة أهل السنة •

وخلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله تعالى اله واحد منزه عن الشرك والمعين والصاحبة والولد ، موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، مستغن عن كل ما سواه ،

---

(١) طه : ٥   (٢) الشورى : ١١

ومفتقر الى كل ما عداه ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيحتاج الى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا يجسم فيكون له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئى للمؤمنين بالقلوب فى الدنيا وفى الآخرة بالأبصار ، استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذى أراد ، له الآخرة والأولى ، لا يؤده حفظ المخلوقات • وهو موجود بعلمه فى جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد فان ذلك من صفات الزمان الذى أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان • بل كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان • السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه • خلق اللوح والقلم وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه : أوجد الكل من غير حاجة اليه ، ولا موجب ذلك عليه ، الا أن علمه قد سبق • فلذلك خلق من خلق لم تتعلق قدرته الا بما أراد كما أنه لم يرد الا ما علم ، وأحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا • يعلم السر وأخفى **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**(١) علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها ، مريد لجميع الكائنات فى الأرضين والسموات ، فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا ظاهر ولا باطن ، الا وهو مراد للحق جل وعلا ، ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين • فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى • وهؤلاء للنار ولا أبالى •

لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب اليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه اليه من الغير سؤال بلم أو كيف • فهو سبحانه كما قال فى كتابه المكنون : **« لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »**(٢) •

فان رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد فاصرف النظر عنهم وقل : **« فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين »**(٣) يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء ، ويبصر السواد فى الظلماء ، متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلى ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهات ، كما أن سمعه من غير

---

(١) الملك : ١٤ (٢) الأنبياء : ٢٣ (٣) الأنعام : ١٤٩

أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان • وعلمه من غير نظر ولا برهان ، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان •

وبالجملة •• فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال • ومنزه عن كل نقص اذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث ، بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك •

وكذلك : يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين بعث الى كافة الخلق أجمعين وقد خاطبه الله بقوله : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** »[1] فبلغ جميع ما أنزله الله اليه ، وأدى الأمانة ونصح الخليقة •• صلوات الله وسلامه عليه •

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق « **وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** »[2] وأن العرض على الله حق ، وأن الميزان حق ، وأن الحوض حق ، وأن الصراط حق ، وأن تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله حق •

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة فاعمل بها ومت عليها •

وليكن شعارك :

« **ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ...** »[3] •

ووطد صلتك بالله عن طريق التأمل فى ملكوته حتى تزداد معرفة به وتعظيما له كما حدث من كسرى الذى اضطجع ليلة على فراشه ثم نظر الى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته وقال : أيها الفلك •• ان بناء أنت سقفه لعظيم ، وان بيتا أنت غطاؤه لنظيم ، وان شيئا أنت تظله لكبير ، وان فيك لعجبا للمتعجبين ، فليت شعرى أعلى أعمدة من تحتك تتمسك ، أم بمعاليق من فوقك تتعلق ، ولعمرى ان ملكا أمسكتك

---

(١) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ (٢) الحج : ٧
(٣) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

قدرته لملك قدير ، وانه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير • وان جهل من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لغير صغير ، وليت شعرى كم أفنت هذه النجوم من القرون ؟ وكم سحقت قبلنا أمما فى سالف العصور ، وليت شعرى بم طلوعك حين تطلعين ؟ وبم سيرك حين تسيرين ؟ وأفولك حين تأفلين ؟ وعلام سقوطك حين تغيبين ؟ وليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين ؟ أم كيف صفتك التى بها تتصفين ؟ ولونك الذى به تتوسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التى بها تعرفين ؟ فسبحان من لأمره تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ، ورجوعك حين ترجعين ، واستتارك حين تستترين ، وبروزك حين تبرزين » •

* (ولا تعقن والديك) :

فهما مصدر وجودك ، وأقرب الناس اليك ، ومهما أحسنت اليهما لن توفيهما حقهما ، وحسبك ترغيبا لك فى اكرامهما واحترامهما وطاعتهما وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك أن تقرأ قول الله تعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا »[١] وقوله : **« اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ••• »**[٢] •

* * *

ولا تنس بعد وفاتهما أمر الله تعالى فى قوله : **« وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »**[٣] •

وحتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير — وهو العقوق — الذى اعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر ، اليك هذه الأحاديث الصحيحة :

أخبر أبو بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » — ثلاثا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله • قال : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس وقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » — فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[٤] •

---

(١) الأحقاف : ١٥
(٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤
(٣) الاسراء : ٢٤
(٤) رواه البخارى ومسلم •

« ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف »[١] .

« ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال »[٢] .

* * *

فكن : من أجل كل هذا بارا بهما فى حياتهما وبعد وفاتهما ، واحذر أن تكون سببا فى سبهما :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه سلم :

« من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله .. وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[٣] .

* * *

وحتى تعرف ثمرة البر بالوالدين ، اليك هذه القصة التى ذكرها البغوى وغيره فى تفسير قوله تعالى : **« واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة »** الى قوله تعالى : **« فذبحوها وما كادوا يفعلون »**[٤] وخلاصتها : أنه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب ثأره ، وجاء بناس الى موسى عليه السلام — قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة — فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فأمرهم بذبح بقرة قائلا لهم : **« ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا »** أى أتستهزىء بنا ونحن نسألك عن أمر القتيل فتأمرنا بذبح البقرة ؟ — فقال موسى : **« أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين »** أى من المستهزئين بالمؤمنين . وقيل : من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال — فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه . وكان تحته حكمة عظيمة . وذلك لأنه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال : اللهم انى أستودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر .

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ثوبان .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) البقرة : ٦٧ — ٧١

ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة أعواما وكانت تهرب من كل من رآها • فلما كبر الابن كان بارا بوالديه ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا ، وينام ثلثا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ، ويأكل بثلثه ، ويعطى والدته ثلثه • فقالت له أمه يوما : ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك ، وعلامتها أنك اذا نظرت اليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها — وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها — فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالديه اركبنى فان ذلك أهون عليك • فقال الفتى : ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها •

فقالت البقرة : باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا ، فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل ، لبرك بأمك ، فسار الفتى بها الى أمه •

فقالت له أمه : انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة ، قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى ، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير ، فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى وكيف بره بأمه ، وكان الله به خبيرا فقال الملك : بكم تبع هذه البقرة ؟ قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى ، فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك • فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ، فردها الى أمه وأخبرها بالثمن •

فقالت له : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى ، فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟ فقال الفتى : انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها • فقال الملك : فانى أعطيك اثنى عشر دينارا ، فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت : ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟

ففعل ، فقال الملك : اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة. فان موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى اسرائيل. فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير . فأمسكوها ، وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا ورحمة فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال : قتلنى فلان. ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث .

* (ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا ، فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) :

وهذا تحذير من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلب منك أن تلاحظه حتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير الذى يقطع صلتك بالله تعالى .

* * *

وحسبك تحذيرا لك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »(١) .

وقوله : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »(٢) .

ولهذا كما يقول الحافظ المنذرى : ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج جميع وقتها ، منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ ابن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء ، رضى الله عنهم .

ومن غير الصحابة : أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعى ، والحكم بن عتبة ، وأيوب السختيانى ، وأبو داوود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب ، وغيرهم .

كما ذهب بعضهم الى فسق تارك الصلاة عمدا من غير جحود لفرضيتها .

ففريق أوجب تعذيره وحبسه الى أن يصلى حتى لا يكون سيئة .

---

(١) رواه احمد و مسلم .

(٢) رواه احمد وأبو داوود والنسائى .

كما رأى أئمة المذاهب وجوب قتله ، فمنهم من أوجب قتله كفرا : كأحمد واسحاق وابن المبارك ، ومنهم من أوجبه حدا : وهو مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابه • وكل هذا يؤكد أهمية الصلاة وأنها عماد الدين بما يحتويه هذا المعنى الكبير من العمق والتركيز •

* * *

وحسبك تأكيدا لهذا المعنى الكبير أن تلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة الركن الثانى فى أركان الاسلام الخمسة بعد قوله : « شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله »[١] •

وذلك لأن الصلاة هى الصلة الوثيقة بين العبد وربه ، ولهذا كانت بمثابة هدية من الله سبحانه وتعالى لعباده فى ليلة الاسراء والمعراج ، يقول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمد •• انه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين »[٢] •

* * *

لهذا أيضا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركز عليها فقال لأصحابه :

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »[٣] •

حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قال لهم : « الصلاة الصلاة •• وما ملكت أيمانكم » •

* * *

فحافظ على أداء الصلاة فى وقتها حتى لا تقع تحت طائلة العذاب والطرد من رحمة الله تعالى ، وأنت تذكر قوله سبحانه : **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »**[٤] •

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم ونصه : « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

(٢) رواه احمد والنسائى والترمذى وصححه .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) النساء : ١٠٣

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف »(١) .

* * *

واياك أن تؤخر الصـــلاة عن وقتها حتى لا تكون من الذين : **« أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »**(٢) ومن الذين : **« هم عن صـــلاتهم ساهون »**(٣) وهم الذين يؤخرون الصـــلاة عن وقتهـــا(٤) .

واياك أن تجمع بين صلاتين من غير عذر حتى لا تأتى بابا من أبواب الكبائر وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر »(٥) .

واحرص على أداء الصلاة بسكينة وخشوع حتى تكون من الذين كتب الله لهم الفلاح فى قوله : **« قد أفلح المؤمنون ٠ الذين هم فى صلاتهم خاشـــعون »**(٦) .

والا فان الله سبحانه وتعالى سيرفض صلاتك ٠ هذا بالاضافة الى أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد — صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »(٧) .

واحرص كذلك على حضور صلاة الجماعة وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ

---

(١) رواه احمد باسناد جيد .
(٢) مريم : ٥٩
(٣) المـــاعون : ٥
(٤) رواه البزار .
(٥) رواه الحاكم .
(٦) المؤمنون : ١ ، ٢
(٧) رواه الطبرانى فى « الكبير » .

فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث(١) : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »(٢) .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجيبه »(٣) .

وقوله لعبد الله بن أم مكتوم وقد كان مكفوف البصر : « ان سمعت الأذان فأجب ولو حبوا أو زحفا »(٤) .

* * *

وحتى تحافظ على أداء الفرائض لابد وأن تتعود على صلاة السنن ولا سيما المؤكدة منها ، وهى كما يقول ابن عمر رضى الله عنهما : « حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد العشاء فى بيته ، وركعتين قبل صلاة الصبح »(٥) .

وعن أم حبيبة بنت أبى سفيان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة بنى له بيت فى الجنة ..

أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر »(٦) .

أما غير المؤكدة : فمنها حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا »(٧) .

ومنها حديث على : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين »(٨) .

---

(١) أى ما لم ينتقض وضوءه .
(٢) رواه البخارى ومسلم .	(٣) رواه احمد .
(٤) رواه أحمد والطبرانى فى « الأوسط » .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ورواه مسلم مختصرا .
(٧) رواه احمد وابو داوود والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه وكذا صححه ابن خزيمة .
(٨) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما الاقتصار على ركعتين فقط فدليله عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « بين كل أذانين صلاة » .

وعن عبد الله بن مغفل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب » ثم قال فى الثالثة : « لمن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة[١] .

وفى رواية لابن حبان : أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى قبل المغرب ركعتين » .

* * *

والخلاصة : أن المؤكدة هى :

ركعتان قبل الظهر : أو أربع ، وركعتان بعده ، أو أربع .

ركعتان بعد المغرب .

ركعتان بعد العشاء ، قبل صلاة الوتر .

ركعتان قبل الصبح .

وغير المؤكدة هى :

أربع قبل العصر ، أو ركعتان .

ركعتان قبل المغرب .

ركعتان قبل العشاء .

مع ملاحظة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يصل ركعتى الفجر حتى تطلع الشمس فليصلها »[٢] .

وظاهر هذا الحديث وغيره أنها تقضى قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها سواء أكان فواتها لعذر أو لغير عذر ، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح .

عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل أربعا قبل الظهر صلاهن بعدها »[٣] .

وفى رواية أخرى عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر »[٤] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البيهقى قال النووى : اسناده جيد .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه ابن ماجه .

هذا فى قضاء الراتبة القبلية أما قضاء الراتبة البعدية فقد جاء فيه ما رواه أحمد عن أم سلمة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، وقد أتى بمال ، فقعد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر ، فصلى العصر ، ثم انصرف الى ، وكان يومى فركع ركعتين خفيفتين ، فقلنا : ما هاتان الركعتان يا رسول الله ، أمرت بهما ؟ قال : « لا ، ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر فشغلنى قسم هذا المال حتى جاء المؤذن بالعصر فكرهت أن أدعهما »(١) .

وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فقام رجل يصلى فرآه عمر فقال له : اجلس فانما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن ابن الخطاب »(٢) .

ولهذا يستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا صلى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فان الله عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيرا »(٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا »(٤) وذلك لأنه ليس فى القبور صلاة .

وعن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا ، الا المكتوبة »(٥) ففى هذه الأحاديث دليل واضح على استحباب صلاة التطوع فى البيت ، وأن صلاته فيه أفضل من صلاته فى المسجد ، وكما قال النووى : انما حث على النافلة فى البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال ، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشيطان .

والوتر : سنة مؤكدة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داوود بلفظ آخر .

(٢) رواه احمد بسند صحيح .　　(٣) رواه احمد ومسلم .

(٤) رواه احمد وابو داوود .

(٥) رواه ابو داوود باسناد صحيح .

فعن علي رضى الله عنه قال : ان الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتر ، ثم قال : « يا أهل القرآن أوتروا فان الله وتر[١] يحب الوتر »[٢] .

ووقته من بعد صلاة العشاء الى الفجر .

فعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر أول الليل وأوسطه وآخره »[٣] .

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل ، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره :

فعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ظن منكم أنه لا يستيقظ آخره ـ أى آخر الليل ـ فليوتر أوله ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره ـ فليوتر آخره ـ فان صلاة آخر الليل محضورة ـ أى تحضرها الملائكة ـ وهى أفضل »[٤] .

وعدد ركعات الوتر كما يقول الترمذى : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة ركعة ، واحدى عشرة ركعة ، وتسع ، وسبع ، وخمس ، وثلاث ، وواحدة .

يقول اسحاق بن ابراهيم : معنى ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوتر بثلاث عشرة ركعة : أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، يعنى من جملتها فنسبت صلاة الليل الى الوتر ، ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين وذلك بأن يسلم على رأس كل ركعتين ، ثم بعد ذلك يصلى ركعة بتشهد وسلام . كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام ، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد الا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم الى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم . ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة .

قال ابن القيم : وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة فى الوتر بخمس متصلة ، وسبع متصلة .

---

(١) اى انه واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها ، قال نافع : وكان ابن عمر لا يصنع شيئا الا وترا .

(٢) رواه احمد واصحاب السنن وحسنه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وصححه .

(٣) رواه احمد بسند صحيح .

(٤) رواه احمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

ومن صلى الوتر ثم بدا له أن يصلى جاز ولا يعيد الوتر لما رواه أبو داوود والنسائى والترمذى وحسنه : عن على قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا وتران فى ليلة » .

وقد ذهب جمهور العلماء الى مشروعية قضاء الوتر . لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر »[١] .

فاذكر كل هذا : وحافظ على أداء الفرائض والسنن حتى تكون من الرجال الذين : **« لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »**[٢] .

وحتى تكون من المؤمنين : **« الذين يقيمون الصلاة »**[٣] .

* (ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة) :

وحسبك هذا التأكيد المحمدى الذى جاء فى النص السابق والذى لا يحتاج الى اضافة أكثر وان كان فى حاجة الى تعليق يضفى اليه مزيدا من الايضاح وهو : أن شرب الخمر فيه عشر خصال مذمومة :

أولها : أن شاربها يصير بمنزلة المجنون كما يصير مضحكة للصبيان ومذموما عند العقلاء كما ورد عن ابن أبى الدنيا أنه قال :

رأيت سكرانا فى بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .

ثانيها : أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « اللهم أرنا رأيك فى الخمر فانها متلفة للمال مذهبة للعقل ... » .

ثالثها : أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والأصدقاء والناس ، كما قال تعالى : **« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ... »**[٤] .

رابعها : أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة كما قال تعالى : **« ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »**[٥] .

---

(١) رواه البيهقى والحاكم وصححه على شرط الشيخين .
(٢) النور : ٣٧ (٣) الأنفال : ٣
(٤) المائدة : ٩١ (٥) المائدة : ٩١

خامسها : أن شربها يحمل على الزنا وعلى طلاق امرأته وهو لا يدرى[١] .

سادسها : أن الخمر مفتاح كل شر لأنها تسهل ارتكاب المعاصى .

سابعها : أن شربها يؤذى الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة .

ثامنها : أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة فان لم يضرب فى الدنيا ضرب فى الآخرة بسياط من نار على رؤوس الأشهاد والناس ينظرون اليه والآباء والأصدقاء والأبناء .

تاسعها : أن شاربها أغلق على نفسه باب السماء أربعين يوما فلا ترفع حسناته ولا دعاؤه .

عاشرها : أن شاربها يخاطر بنفسه لأنه يخاف عليه أن ينزع الايمان منه عند موته . أما العقوبات التى له فى الآخرة فانها لا تحصى كشرب الحميم والزقوم وفوت الثواب .

* * *

ولهذا حرم الله الخمر الذى ورد فى تحريمه أن الله أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا »[٢] .

فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ، الى أن ذهب عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رضى الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله .. أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال ، فأنزل الله تعالى : **« يسالونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس »**[٣] .

الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا أناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب وتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ : « قل يا أيها الكافرون . أعبد ما تعبدون »[٤] بحذف « لا » النافية ، فأنزل الله تعالى : **« يا أيها**

---

(١) ويقع طلاق هذا السكران لانه هو الذى اهدر عقله ، بخلاف المجنون الذى يرفع عنه القلم حتى يفيق كما ورد فى حديث شريف .

(٢) النحل : ٦٧ (٣) البقرة : ٢١٩

(٤) الكافرون : ١ ، ٢ بلفظ : **« لا اعبد ما تعبدون »** .

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »[١] :

فحرم السكر فى أوقات الصلاة . فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا : لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة ، وتركها قوم فى أوقات الصلاة ، وشربوها فى غير أوقاتها حتى كان يشرب الرجل بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال السكر ، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر .

الى أن اتخذ عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم أنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجو للأنصار وفخر لقومه ، فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موضحة ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الأنصارى . فقال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فأنزل الله تحريم الخمر فى سورة المائدة فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »**[٢] .

* * *

وبعد أيها الأخ المسلم وقد وقفت على هذه الحقائق الهامة اليك أيضا بعض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الخمر وشاربهـا :

« من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه »[٣] .

« لعن الله الخمـر وشاربها وساقيها ومبتاعها ـ مشتريها ـ وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه »[٤] .

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »[٥] .

---

(١) النساء : ٤٣ (٢) المائدة : ٩٠ ، ٩١

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه ابن ماجه وزاد : « وآكل ثمنها » .

(٥) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر»(١) .

« مدمن الخمر ان مات — أى من غير توبة — لقى الله كعابد وثن »(٢) .

« ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث »(٣) .

« كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام »(٤) .

« وكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام »(٥) .

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قام خطيبا فقال : أيها الناس .. اتقوا الخمر فانها أم الخبائث ، وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقيته امرأة سوء فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب وعندها خمر وصبى ، فقالت : لا تفارقنى حتى تشرب كأسا من هذا أو تواقعنى أو تقتل هذا الصبى والا صحت وقلت هذا دخل على بيتى فمن ذا الذى يصدقك ؟ فقال الرجل : أما الفاحشة فلا آتيها ، وأما النفس فلا أقتلها ، فشرب كأسا من الخمر . والله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبى .

ثم قال سيدنا عثمان رضى الله عنه : فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر فى قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر :

وذلك لأن شارب الخمر تجرى على لسانه كلمة الكفر فيخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى فى حسرة وندامة .

* * *

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه احمد بسند رجاله رجال الصحيح .
(٣) رواه احمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وصححه .
(٤) رواه الشيخان وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٥) رواه ابو داوود .

هذا بالاضافة كما ورد فى بعض الأخبار :

أنه يخرج من القبر وهو أنتن من الجيفة وأنه يكون فى النار قرين فرعون وهامان •

وأنه يشرب فى النار من طينة الخبال ، وهى صديد أهل النار •

فلا تشرب الخمر ولا تقربه وكذا جميع أخواته ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رأس كل فاحشة » •

* * *

واذا كنت قد وقعت فى هذا الذنب ففى استطاعتك أن تكفر عن كل هذا بالتوبة والانابة ، وحسبك قول الله تعالى : **« ان الله يغفر الذنوب جميعا »**[1] •

* * *

ويدخل فى كل هذا : الحشيش ، والأفيون ، وكل المخدرات ، وكذلك الدخان •

لأن فى كل هذا تهلكة للانسان واهدارا لعقله واتلافا لماله الذى هو عصب الحياة بل هو من **« زينة الحياة الدنيا »**[2] وفى ذلك يقول تعالى : **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »**[3] •

« ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما »[4] •

« ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب »[5] •

« فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا »[6] •

« ولا تبذر تبذيرا • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »[7] •

ومن أجمل ما قرأت فى مضار الدخان :

كم فى الدخان معايب ومكاره ... دلت نتائجها على انكاره
عمت بليته البرية كلها ... حتى غدا الجمهور تحت حصاره
وعيوبه بين الأنام كثيرة ... معلومة لكباره وصغاره
فان انتهيت وما أظنك تنتهى ... ورغبت عنه نجوت من أضراره

---

(١) الزمر : ٥٣
(٢) الكهف : ٤٦
(٣) البقرة : ١٩٥
(٤) النساء : ٢٩
(٥) النساء : ٢
(٦) النحل : ١١٤
(٧) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧

كم من نقود يا فتى وملابس — أتلفتها بشرائه وشراره
وكذا الهوام اذا رآه بقربه — ترك المكان وحاد عن أوكاره
والنحل لم تأكله حال سلوكها — أبدا ولم تنزل على أزهاره
وامنع نساءك ما استطعت مبالغا — فى زجرهن وقل لهن حذاره
عار على ذات القناع تلوكه — وتشوب شهدة ريقها بعكاره
فترى الثنايا اللؤلؤية أصبحت — مقلوحة بسواده وصفاره
والمضغ مذموم وقبح طعمه — ما دامت الأطرون من أنصاره

* * *

أما عن البيرة : فقد جاء فى تقرير المؤتمر الدولى لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٩ عن البيرة قوله : ان انتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمر لا يستفيد منه الا صانعه وبائعه أما ضحاياه فهم أولئك الذين أغوتهم الأهواء بادمانه وتعاطيه .

وذلك لأنها كما تذكر التقارير تحتوى على نسبة من الكحول تتفاوت كثرة وقلة ، واذا لم يكن قليلها مسكرا فكثيرها لا شك مسكر . وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[1] .

كما روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم « المذر » وهو شراب كان يتخذه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد وهذا فى البيرة :

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ان فى الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا »[2] .

ومن هذا يتبين أن البيرة خمر وأنها حرام ، وكذلك حكم الكينا المخلوطة بالخمر ولا عبرة باختلاف الأسماء فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » .

وبالنسبة للاتجار بالبيرة فهو داخل فى نطاق اللعنة التى صبها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها وصانعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها » .

---

(١) رواه الامام أحمد وابن ماجه والدارقطنى .
(٢) رواه ابن ماجه .

وبالنسبة لشربها للتداوى فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم فى حرام »[١] .

وبالنسبة لشرب الحشيش ، وتعاطى الأفيون فقد أجمع العلماء على تحريم المخدرات جميعا قائلين : ان ما أفسد العقل يحرم تناوله ، مأكولا كان أو مشروبا كما قال ابن تيمية رحمه الله : « ان فى الحشيش والأفيون ونحوهما من المفاسد أكثر مما فى الخمر » كما كان رحمه الله يسمى الحشيش « باللاقمة الملعونة » أى أنها لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب الساكن الى أخبث الأماكن .

فعلى من استحل ذلك وزعم أنه حلال أن يتوب الى الله ويعقد العزم على أن لا يتناول مثل هذا أبدا والا مات مرتدا والعياذ بالله ، وليتق الله فى نفسه وأهله وماله ، وليعلم أن وطنه فضلا عن نفسه وأهله فى أشد الحاجة الى هذا المال الضائع :

الخمر مذهبة الوقار	ومجال مضيعة العقار
كم موسر نقلته من	عز الى ذل افتقار
كم سالم فقرته أى	كسرت له عظم الفقار
كم من عظيم أسلمته	الى الصغار والاحتقار
كم عصمة وصمت وكم	شرف أضاعت فى شنار
كم ثوب عرض لم يكن	أبدا يباع ولا يعار
نادت عليه لبيعه	بيع الكساد بسوق عار

* * *

وكذلك لعب الميسر وهو القمار : يعتبر مصيبة عظمى وطامة كبرى حاقت بأبناء الأغنياء فاستنفدت الأموال والعقارات التى انفطرت أكباد آبائهم فى تحصيلها وانتقلت اليهم غنيمة باردة : وهو داء عضال سرت سمومه فى عروق أولاد الأغنياء فأضاعت نعمهم وسلبت ثروتهم واضمحل أمرهم وسقطوا عن مراتب الجاه الى أسفل درجات الذل والهوان .

فكم خرب من بيوت عامرة ، وكم التهم من أموال لو استربحها أصحابها فى الطيبات لعادت عليهم بالمنافع الجمة والفوائد المهمة .

---

(١) رواه ابن ماجه فى صحيحه .

ان لعب الميسر يولد الحسد والحقد والفناء لأن المقامر لا يقدم على الميسر الا وهو راغب فى تحريك مال غيره اليه ، وهذا عين الحسد ، ثم ان أحدهما لا يربح حتى يخسر الثانى فيحقد الخاسر على الرابح ويتطاير شرر الشر ، وتستقر بينهم العداوة والبغضاء .

وقد حرمه الله تعالى فقال :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »(١) .

ولله در القائل :

أخسر خلق الله منا صفقة   من يطلب اليسر بلعب الميسر
يجنى حراما ان جنى وقلما   يبلغ الا حسرات المعسر
فغنمه جرم وأما غرمه   ففقد ميسور وفقد موسر
كم خرب الميسر بيتا عامرا   وكم أهان من وجيه وسرى

* * *

* (واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله) :

وحسبى قبل أن أعلق على هذا العنصر الهام أن أسوق اليك هذا الأثر الذى كثيرا ما تأثرت به وتأثر به كثير من سامعيه عسى أن يكون سببا كبيرا فى طاعتك لله والبعد عن معاصيه :

ذهب رجل الى ابراهيم بن أدهم(٢) ــ وقد كان من أطباء القلوب ــ وقال له : انى مسرف على نفسى فاعرض على ما يكون زاجرا لها .

فقال له ابراهيم : ان قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة فقال الرجل ــ وقد كان متشوقا لسماع موعظته ــ هات ما عندك يا ابراهيم .. فقال :

الأولى : اذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئا من رزقه . فتعجب الرجل ثم قال متسائلا : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم .. هات الثانية .

الثانية : اذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده . فتعجب الرجل

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١   (٢) رحمه الله .

أكثر من تعجبه السابق ثم قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والبلاد كلها ملك الله ؟ فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الثالثة •

الثالثة : اذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانا لا يراك فيه فاعصه فيه • قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم وهو أعلم بالسرائر **« يعلم السر وأخفى »**(١) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ؟ فقال له :اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الرابعة •

الرابعة : اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرنى الى أجل معدود ، فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والله تعالى يقول : **« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »**(٢) ؟

فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة ؟

قال : نعم يا ابراهيم •• هات الخامسة •

الخامسة : اذا جاءك الزبانية ــ وهم ملائكة جهنم ــ ليأخذوك انى جهنم فلا تذهب معهم • فما كاد الرجل يستمع الى هذه الخامسة حتى قال باكيا : كفى يا ابراهيم •• أنا أستغفر الله وأتوب اليه ، ولزم العبادة حتى فارق الحياة •

فاذا كان الرجل قد أعلن توبته الى الله سبحانه وتعالى بعد الاستماع الى هذه الموعظة الجامعة التى وجهها اليه ابن أدهم عليه رضوان الله :

فكلنا كهذا الرجل الذى تبين له من خلال هذه الموعظة النافعة أنه لا يمكنه الاستغناء عن الله ، وأنه ان تخلى الله سبحانه وتعالى عنه كان من الهالكين •

وكيف نتصور عصياننا لله **« وقد هدانا سبلنا »**(٣) وهو ولى نعمتنا الذى يقول : **« وما بكم من نعمة فمن الله »**(٤) ويقول : **« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »**(٥) ، ولهذا كان لابد من امتثال أوامره سبحانه والابتعاد عن معصيته حتى يتحقق المعنى الحقيقى للعبودية التى تستلزم أن يكون العبد مطيعا لسيده ، والا فما معنى العبودية فى مفهومه ؟ ولله در القائل :

---

(١) طه : ٧ — (٢) الأعراف : ٣٤

(٣) ابراهيم : ١٢ — (٤) النحل : ٥٣

(٥) النحل : ١٨

تعصى الاله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته   ان المحب لمن يحب مطيع

وكيف لا نطيعه سبحانه ونحن فى حاجة اليه وليس هو فى حاجة الينا ولا الى عبادتنا ؟ وانما كل ذلك لنا أو علينا ، وفى ذلك يقول سبحانه : **« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »**(١) **« ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها »**(٢) كما يقول فى حديث قدسى :

« يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » .

ومن هنا كان لابد اذا أردنا أن يكون الله معنا ولا سيما فى هذه الأيام التى نواجه فيها أعداءنا الملاعين — اليهود ومن وراءهم من أعداء العروبة والاسلام — أن نعود اليه سبحانه وتعالى ونجدد العهد معه حتى يكون نصيرا لنا كما كان الحال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار الذين نصرهم سبحانه على أعدائهم فى جميع الميادين حتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما .

وحسبى أيها الأخ المسلم أن أقرأ معك ونحن نستعرض هذه الحقائق قول الله تعالى فى حديث قدسى :

« يا عبادى .. انى أتممت عليكم نعمتى ، وأرسلت اليكم الرسل الكرام لتعرفوا أحكام شريعتى ، فلماذا تعرضون عنى وأنا الغنى الكريم ؟ فوعزتى وجلالى لو أطعتمونى لنصرتكم على أعدائكم ، واذا استعنتم بى فى الشدائد أعنتكم ، واذا سألتمونى كنت قريبا منكم مجيبا لكم ، ولكنكم عصيتمونى فأعرضت عنكم فوقعتم فى الذل والعذاب المهين » .

* * *

فاذكر كل هذا ، ولا تنس قوله تعالى :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »(٣) .

---

(١) فصلت : ٤٦
(٢) الاسراء : ٧
(٣) النساء : ٦٩

ولا تنس كذلك قول أبو العتاهية :

فيا من بات ينمو بالخطايا   وعين الله ساهرة تراه
أما تخشى من الديان طردا   بجرم دائما أبدا تراه
أتعصى الله وهو يراك جهرا   وتنسى فى غد يوما تراه
وتخلو بالمعاصى وهو دان   اليك ولست تخشى من لقاه
أتنكر فعلها ولها شهود   بمكتوب عليك وقد حواه
فيا حزن المسىء لشؤم ذنب   وبعد الحزن يكفيه جزاه
فيندب حسرة من بعد موت   ويبكى حيث لا يجدى بكاه
فبادر بالصلاح وأنت حى   لعلك أن تنال به رضاه

* * *

* (واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس) :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار • ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير** »(١) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله •• وما هن ؟

قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف »(٢) .

وقوله عندما سئل عن الكبائر :

« الاشراك بالله ، وقتل النفس المسلمة ، وفرار يوم الزحف »(٣) .

هذا بالاضافة الى أنه من الذنوب التى لا كفارة لها وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« خمس لا كفارة لها : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبهت مؤمن ، والفرار من الزحف ، ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق »(٤) .

واعلم أن القتال فى سبيل الله هو التجارة التى لن تبور ، وهو الطريق الى الجنة التى « تحت ظلال السيوف » ، وحسبك أن تقرأ قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من**

---

(١) الأنفال : ١٥ ، ١٦
(٢) اخرجه الشيخان .
(٣) رواه أحمد والنسائى .
(٤) رواه أحمد .

عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »(١) •

ثم تأمل معى هذه الصورة الحية التى ترينا كيف كان التنافس فى ميدان الشرف والنضال وكيف كان أبطال الاسلام يقبلون على القتال وهم ينشدون احدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد :

عندما رأى عمرو بن الجموح — وقد كان أعرجا — أولاده وقد خرجوا للقتال فى سبيل الله ، خرج يسبقهم ، فوقفوا جميعا فى وجهه يصدونه عن ذلك وهم يقولون له : أما نحن نكفيك الجهاد فى سبيل الله ؟ ان الله يعذرك لعرجتك(٢) فصاح فيهم قائلا : ما بالكم تمنعونى أن أدخل الجنة بعرجتى هذه ؟

ثم انطلق الى الميدان مع اخوانه المجاهدين ، وظل يقاتل بكل شجاعة واستبسال الى أن فاز بالشهادة •

فقال صلوات الله وسلامه عليه : « والله لكأنى أرى عمرو بن الجموح يمشى بعرجته هذه سليما فى الجنة » ، ثم قال :

« ان منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره ، ومنهم عمرو بن الجموح » •

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن ، الصحابية الجليلة ، المجاهدة البطلة — بنت عم معاذ بن جبل رضى الله عنهما — التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة الأولى للهجرة ، وبايعته بيعة الاسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالآية الواردة فى سورة الممتحنة ، وهى : « **يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم** »(٣) •

---

(١) الصف : ١٠ — ١٣

(٢) يقول الله تعالى فى سورة الفتح : « **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج** » الآية : ١٧

(٣) الممتحنة : ١٢

وفى هذا تقول أسماء : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ علينا : « ... **أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن** ... » الآية .

وكانت أسماء تنوب عن نساء المسلمين فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهن ، ولقد أتته ذات مرة فقالت له : يا رسول الله .. انى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى ، وهن على مثل رأيى . ان الله تعالى بعثك الى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله الى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه » ؟

فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصرفى يا أسماء ، وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل[1] احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت للرجال » فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشارا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنها كانت تطوى فى صدرها التطلع الى المشاركة فى الجهاد الى أن أقبلت السنة الثالثة عشرة للهجرة ــ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنوات ــ وأقبلت معركة « اليرموك » التى دارت رحاها على أرض العرب المغتصبة .

فى هذه المعركة اشتركت المرأة المسلمة بنصيب كبير من الجهاد ، وكما يقول ابن كثير فى الجزء السابع من « البداية والنهاية » وهو يتحدث عن المجاهدين المؤمنين فى المعركة : « فقاتلوا قتالا شديدا حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال » .

كما يقول : « واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس ، يضربنهم بالخشب والحجارة ، وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

يا هاربا عن نسوة تقيات ... فعن قليل ما ترى سبيات
ولا حصيات ولا رضيات

---

(١) حسن المصاحبة فى الحياة الزوجية والمعاشرة .

فتراجع الناس الى مواقفهم ، وفى هذه المعركة عندما اشتد الموقف نسيت أسماء بنت يزيد أنها أنثى ، ولم تذكر الا أنها مسلمة ومؤمنة ، تستطيع أن تجاهد بما فى وسعها وطاقتها ، ولم تجد أمامها الا عمود خيمة فحملته وانغمرت به فى الصفوف ، وأخذت تضرب به الأعداء ذات اليمين وذات الشمال ، حتى قتلت منهم تسعة من الروم ، وعاشت بعد ذلك دهرا .

فهاتان صورتان أردت بعرضهما الوقوف على المعنى الحقيقى للبطولة طمعا فى درجة المجاهدين من المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم : « **أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** »(١) .

فاحرص على أن تفوز بهذه الدرجة العظيمة حتى تكون منهم :

وادع الله تعالى بقوله : « **ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** »(٢) .

* * *

* (وان أصاب الناس موت فاثبت) : فى ميدان الشرف والنضال وواجه أعداء الله وأعداءك بكل شجاعة واستبسال .

وليكن هدفك الأسمى هو اعلاء كلمة الله ولسان حالك يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

مع ايمانك القوى بأن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الاسلام .

وحسبى فى هذا الموقف أن أعرض عليك صورة للبطولة فى ظل العقيدة حتى ترى حلاوة الجهاد والتضحية :

عندما تأهب أبناء الخنساء الأربعة للخروج مع الجيش المتوجه الى القادسية للقتال فى سبيل الله قالت لهم أمهم : « يا بنى .. تالله انكم لبنو أب واحد ، وأم واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت أخوالكم ، قد أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاذا أتيتم الحرب فخوضوا غمارها واندفعوا فى أتونها ، وكونوا أول المبارزين وأمام الثابتين » .

---

(١) التوبة : ١١١ (٢) البقرة : ٢٥٠ .

وعندما التحم الجيشان وحمى الوطيس ، قال أولهم يحرض اخوته الثلاثة ويذكرهم نصيحة أمهم :

يا اخوتى ان العجوز الناصحة   قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة   وانما تلقون عند الصابحة
من آل ساسان كلابا نابحة

ثم قال الثانى كذلك محمسا اخوته :

ان العجوز ذات حزم وجلد   قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منهـا وبرا بالولد   فباكروا الحرب حماة فى العدد

ثم قال ثالثهم :

والله لا نعصى العجوز حرفا   نصحا وبرا صادقا ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا   حتى تلقوا آل كسرى لفا

كما قال رابعهم :

لست لخنساء ولا للأخرم   ولا لعمرو ذى النضال الأقدم
ان لم أره فى الجيش خنس الأعجم   ماضى على الهول خضم حضرمى

ثم اندفعوا بعد ذلك فى غمار المعركة بكل شجاعة واستبسال الى أن أكرمهم الله بالشهادة التى حرصوا عليها ، وعندما علمت أمهم بالنبأ قالت ما لم يكن متوقعا فى مثل هذا الظرف : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الاسلام ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

فهذه هى البطولة يا أخى ، وتلك هى الشجاعة النادرة التى تؤكد لنا أن هؤلاء كانوا لا يهابون الموت ولا يفرون منه وانما كانوا يطلبونه حبا فى لقاء الله وطمعا فى رحمته ، وهم يعتقدون اعتقادا جازما بأنه لا مفر من الموت كما يقول تبارك وتعالى : **« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة .... »**(١) .

ولهذا نرى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو سيف الله المسلول الذى قهر الفرس والروم ، وأبلى فى الجهاد بلاءا حسنا لدرجة أنه لم يكن فى جسده موضع بدون طعنة رمح أو سيف ، لم يفز بالشهادة ، وانما مات على فراشه وهو يقول : « ... وهأنذا الآن أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

فكن بطلا حتى نهاية المعركة ، واثبت فى ميدان القتال كهؤلاء الرجال حتى تكون منهم أو على الأقل شبيها بهم :

---

(١) النساء : ٧٨

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

و « اطلب الموت توهب لك الحياة » .

* * *

* (وأنفق على أهلك من طولك) : وهو ثمرة كفاحك الشريف وعرقك الطاهر ، فان الله سائلك عنهم ، كما ورد فى حديث شريف قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع » زاد فى رواية : « حتى يسئل الرجل عن أهل بيته »[1] .

هذا بالاضافة الى أنها رسالة كبرى لها أهميتها فى بناء المجتمع السليم والا كانت هناك مشاكل أخرى يصعب حلها وقد يستحيل .

ولهذا كان لابد وأن تساهم فى بناء المجتمع السليم الذى لا يمكن أن يكون حقيقة ملموسة الا اذا كان هناك اهتمام بتربية الأبناء تربية سليمة أساسها الخلق الكريم ، والسعى الشريف ، حتى تكون قدوة صالحة لهؤلاء الأبناء لأنه كما يقولون : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » فاذا كنت صاحب خلق كريم فان أبناءك سيتعودون منك هذا الخلق ، وفى هذا يقول القائل الحكيم :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عـوده أبوه

أما اذا كنت عكس هذا فانه سينطبق عليك قول القائل :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وهذا خطأ جسيم لا فى حق نفسك أو فى حق أولادك فحسب ، ولكن فى حق مجتمعك الذى لا دوام له الا بالخلق الكريم .

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أهم عناصر هذا الخلق الكريم اختيار الزوجة الصالحة التى ستكون مدرسة لأبنائك :

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا فقال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » .

وقال : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » وقال : « فاظفر

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك .

بذات الدين تربت يداك »[١] • فهذا حق من أهم حقوق الأبناء عليك والا كنت سببا كبيرا فى شقائهم وتعاستهم وجلب المتاعب لهم ولا سيما بعد وفاتك •

وكذلك من حقوقهم عليك اختيار الأسماء الحسنة لهم — مثل : « عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الفتاح ، عبد الغفار ، محمد ، أحمد ، محمود ، ابراهيم ، واسماعيل ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم » فـ « خير الأسماء ما عبد وحمد » ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم •

أما غير هذه الأسماء الحميدة : مثل « ميمى ، حمادة ، زيزى ، شوشو ، خيشة ، فلفل ، فجلة » فىه أسماء رخيصة تجعل المسمى بها فى نظر العقلاء مدللا لا يعتمد عليه فى تحمل المسئوليات بالاضافة الى أنه سيكون مثار تهكمات وسخرية مع ملاحظة أن الاستعمار الصهيونى استغل تهاوننا بأسماء آبائنا وأمهاتنا فأخذ يعمل على الحط منها ، حتى أصبحنا نرى هذه الأسماء تطلق على الزحافات[٢] المستوردة : (مثل : زنوبة : تحقيرا لاسم زينب ، خدوجة : تحقيرا لاسم خديجة ، حسونة : تحقيرا لاسم الحسين •••) فكن منتبها لكل هذا •

وكن آكلا للحلال واياك أن تخلط مالك بمال حرام لأنه اذا اختلط بالحلال كان سببا فى ضياعه وبعثرته ، وفى ذلك يقول أحدهم :

جمع الحرام على الحلال ليكثره ... دخل الحرام على الحلال فبعثره

وليس هذا فحسب وانما سيكون كذلك سببا فى شقائك وتعاسة أولادك الذين حكمت عليهم بالضياع بسبب مشاركتهم لك فى أكل الحرام وتعودهم عليه ، واياك أيضا أن تميز ابنا على آخر ماديا أو عاطفيا ، والا كنت سببا فى نزاع مستمر بين الأبناء ، وقد يحدث ما حدث ليوسف عليه السلام عندما رأى اخوته حنان أبيهم عليه أكثر منهم فألقوه فى البئر •

ولا تؤثر ذكرا على أنثى فى ميراث أو غيره ، لأن هذا يعتبر ظلما واستمرار للجاهلية الأولى ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان له أنثى فلم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة »[٣] •

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم ، ومعنى « تربت يداك » : أى افتقرتا والتصقتا بالتراب من شدة الفقر اذ لم تفعل ، وهى جملة دعائية .

(٢) أى الشباشب .

(٣) رواه ابو داوود .

مع ملاحظة : أن هذه الأنثى قد تكون أنفع بكثير من هذا الابن الذى قد يكون عاقا وجاحدا وفاسقا ومتلفا لمدخراتك ، وجالبا لك اللعنات والعار بعد وفاتك ، وقبل ذلك فى حياتك •

وكن عادلا بين أولادك ، واياك أن تفعل كما فعل هذا الصحابى الذى كان يسمى « بشيرا » فقد كان يحب ولده النعمان أكثر من أولاده ، فأراد أن يؤثره بعطية فأبت زوجته الا أن يشهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بهذا قال له : « أكلهم أعطيت مثلما أعطيت النعمان » ؟ قال : لا ، فقال له : « لا تشهدنى على جور » •

وكذلك احذر أن تتركهم فقراء[١] فقد ثبت أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه • وقد كانت له ابنة واحدة أراد أن يتصدق بثلثى ماله فرفض الرسـول صلى الله عليه وسلم ورضى بالثلث وهو يقول له : « والثلث كثير ، خير أن تدع ورثتك أغنياء من أن تدعهم عالة يتكففون النـاس »[٢] •

واعلم أن سعيك على أولادك وأبويك يعتبر جهادا فى سبيل الله ففى الحديث عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل[٣] فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله •• لو كان هذا فى سبيل الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها[٤] فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »[٥] •

وحسبك ترغيبا لك فى الانفاق على أهلك من طولك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت

---

(١) أى بحرمانهم من الميراث كله .
(٢) متفق عليه .
(٣) وفى بعض الروايات : شاب .
(٤) أى يغنيها عن السؤال .
(٥) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة »[١] وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول : أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، وأدناك فأدناك »[٢] .

* * *

* (ولا ترفع عنهم عصاك أدبا) :

وليس معنى هذا أن تكون وحشا كاسرا ، وانما المراد ألا تكون متساهلا فى تربيتهم بالصورة التى تفقدك مكانتك بينهم كمسئول عنهم وراع لهم ، فقد يؤدى هذا التساهل الى عصيانك وعدم الاستجابة لمطالبك واهمال أوامرك وارتكاب نواهيك ، هذا بالاضافة الى أنك ستكون صفرا على اليسار لا قيمة لك ولا معنى لوجودك ، ولهذا كان ولابد أن تنفذ قول القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما فليقس أحيانا على من يرحم

« لأن كل شيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده » .

مع ملاحظة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يأمرك بهذا : كان أرحم الناس وأشفقهم .. يقول سيدنا أنس رضى الله عنه : ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه يدخل البيت وانه ليدخن[٣] فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع ولقد رأيت ابراهيم وهو يكيد بنفسه[٤] بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عيناه ، وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. والله يا ابراهيم انا عليك لمحزونون » .

وكان كثيرا ما يضم ابنته فاطمة الى صدره وهو يقول : « مرحبا بأم أبيها » .

ودخل الحسن رضى الله عنه والنبى يصلى فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ فى سجوده حتى نزل فلما فرغ : قال بعض أصحابه :

---

(١) رواه أحمد باسناد جيد عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه .

(٢) رواه الطبرانى باسناد حسن وهو فى الصحيح وغيرهما بنحو من حديث حكيم بن حزام .

(٣) لأن زوج مرضعته كان حدادا . (٤) أى يجود بروحه .

لقد أطلت سجودك • فقال : « ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله » •

وكان يقول للحسن والحسين عليهما رضوان الله : « أنا جملكما » •

وعندما سأله سيدنا عمر رضى الله عنه : يا رسول الله •• مالنا نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟ كان جوابه صلى الله عليه وسلم : « لأننا ولدناهم ولم يلدونا » •

فلا تنس كل هذا : واذكر ما حدث عندما دخل أحد الولاة على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبل أولاده ، فقال له : ان لى عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم ولا دنا أحد منى • فكان جواب سيدنا عمر : وما جريرتنا نحن ان كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك ، انما يرحم الله من عباده الرحماء • ثم شطب اسمه بعد ذلك من قائمة الولاة وهو يقول : انه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية •

واذكر أيضا قول على رضى الله عنه : « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم ، أيها الناس •• من شب على شىء شاب عليه ، ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا » •

فكن مع هذه الرحمة رجلا بين أهلك حتى يطيعوك ، ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب[1] الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع »[2] وقوله : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهـــم »[3] •

وانصح ولدك بهذه الوصية التى أوصى بها سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولده الحسن عليه رضوان الله : « يا بنى •• اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وكل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حـــرا •

واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب الى من طلب ما فى يد غيرك ، ولا تأكل

---

(١) اى يربيه على الفضيلة والاخلاق الحسنة وحسن المعاملة للناس •

(٢) رواه الترمذى •　　　　(٣) رواه ابن ماجه •

من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجد فى تحصيل معاشك ، واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى »[١] .

* * *

* (وأخفهم فى الله) :

أى لا تكن متساهلا فى تطبيق تعاليم الاسلام عليهم وليكن أهم شىء تركز عليه هو الصلاة ، فقد ورد فى الحديث الصحيح : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[٢] .

هذا بالاضافة الى أن الصلاة ستوفر عليك مجهودا كبيرا فى تربيتهم تربية سليمة ، لأنهم اذا تعودوا عليها فى الصغر ، حافظوا عليها فى الكبر ، فكانت وقاية لهم من الفحشاء والمنكر ، وفى ذلك يقول تعالى مؤكدا هذا المعنى : **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**[٣] .

مع ملاحظة أنهم اذا صلوا وقوى ارتباطهم بالله كانوا لك عونا وأثرا طيبا تستفيد به فى حياتك وبعد مماتك ، ففى الحديث الشريف : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[٤] .

فاحرص على أن تكون قدوة صالحة لأبنائك حتى يتشبهوا بك ، واياك أن تكون قدوة سيئة لهم فتخسر كل شىء ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب .. أنى لي هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك »[٥] .

ومعلوم أن ولدك لن يستغفر لك ولن يدعو لك بالرحمة الا اذا كنت قد أحسنت تربيته وغرست فى قلبه بذور الايمان ، واذا كنا نوصى الرجل بهذا فان زوجته تعتبر شريكة له فى هذه المسئولية ، كما هى شريكة له فى حياته المعيشية .

وقد رأيت فى هذا العرض السريع أن أسوق الى كل أم فاضلة وصية جامعة أوصت بها أم عربية ابنتها فى ليلة زفافها — وكانت قد خلت بها قبل أن تنتقل الى بيت زوجها — حتى تقتدى بها وتوصى بناتها بهذه الوصية التى تقول فيها :

---

(١) النوكى : أى الحمقى . (٢) رواه البخارى . (٣) العنكبوت : ٤٥ .
(٤) رواه مسلم . (٥) رواه أحمد .

« بنيتى •• ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل •

بنيتى •• انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه اياك عليك ملكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، وكونى له أرضا يكن لك سماء ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا :

أما الأولى والثانية : فصحبته بالقناعة ومعاشرته بحسن السمع له والطاعة ، فان فى القناعة راحة القلب ، وفى المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب •

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح •

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجو ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة •

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية لحشمه وعياله فان حفظ المـــال من حسن التقدير ، والرعاية للحشم من حسن التدبير •

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره •

واياك والفرح بين يديه اذا كان فى ترح[1] والحزن أمامه اذا كان فى فرح ، فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير » •

فعملت البنت بوصايا أمها الرشيدة وباركها الله فأنجبت الحارث ابن عمرو جد امرىء القيس الشاعر • فكونى أيتها الأم الفاضلة كهذه الأم العربية الأصيلة واغرسى فى قلب أبنائك خصال الخير حتى يثمر غرسك ويسعد زوجك •

كما رأيت أيضا بعد هذا الايجاز السابق أن أسوق الى كل أب وكل أم يبغيان الحياة السعيدة الخالية من الخلافات الزوجية التى تؤثر على سلوك الأبناء وطباعهم ، وحتى يكونا قدوة صالحة لهم ، هذه الأحاديث الشريفة :

سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حق الزوج على زوجته • فقال :

---

(١) اى حزن •

« فان حق الزوج على زوجته : ان سألها نفسها وهى على ظهر قتب لا تمنعه نفسها . ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ، ولا يقبل منها ، ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب حتى ترجع الى بيتها »[1] .

« اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته ، فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح »[2] .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح[3] ، ولا تهجر الا فى البيت »[4] .

وفى حجة الوداع قال فى خطبته صلى الله عليه وسلم : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم — الى أن قال : — ألا وان لكم على نسائكم حقا »[5] .

وتأمل قول الحكيم :

فزوجة المرء عون يستعين بها ... على الحياة ونور فى دياجيها
مسلاة فكرته ان بات فى كدر ... مدت له لتواسيه أياديها
فى الحزن فرحته تحنو فتجعله ... ينسى بذلك آلاما يعانيها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة ... تدبر الأمر تدبيرا ينجيها
تعامل الزوج فى أحوال عسرته ... وفى اليسار بما فى النفس يشفيها
والزوج يدأب فى تحصيل عيشته ... دأبا ويجهد منه النفس يشقيها
ان عاد للبيت يلقى ثغر زوجته ... يفتر عما يسر النفس يحييها
هذى القرينة هذى من تحن لها ... نفس الأبى ولكن أين تلفيها
وزوجها ملك والدار مملكة ... والصفو والسعد يجرى فى نواحيها

* * *

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وأحمد والبيهقى كلهم عن أبى هريرة .
(٣) أى لا تقل لها : قبح الله وجهك .
(٤) رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الوَصيّة الثانيَة عشرة

روى اسماعيل بن رافع المدنى عن ثعلبة بن صالح عن سليمان بن موسى عن معاذ قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال : يا معاذ :

« أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الامام ، والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل .

وأنهاك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تكذب صادقا ، أو تعصى اماما عادلا ، وأن تفسد فى الأرض .

يا معاذ .. اذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية » .

(رواه البيهقى فى كتاب « الزهد »)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من أهل التقوى الذين : **« لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون »**(1) وهم أولياء الله وأحباؤه الذين تولاهم الله برعايته وتوفيقه ، كما ورد فى حديث قدسى أجاب الله تعالى فيه على استفسار لسيدنا داوود عليه السلام عندما ناجاه قائلا : أى العباد أحب اليك ؟ فقال سبحانه :

« يا داوود .. أحب عبادى الى تقى القلب نقى الكفين ، لا يأتى لأحد بسوء ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى عبادى . قال داوود : يا رب .. وكيف يحببك الى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمى وآلائى ، يا داوود .. ما من عبد يعين مظلوما أو يمشى معه فى مظلمته الا ثبت قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام » .

---

(1) يونس : ٦٢ ، ٦٣

وحسبك أن تعلم أن التقوى هى جماع أعمال البر الذى هو من أهم نتائج الصدق ، قال تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذاعاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون** »[١] .

فكن منهم حتى تكون معهم « **فى جنات ونهر ⋅ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »[٢] .

واعلم : أن التقوى فى القرآن تطلق على ثلاثة أشياء :

أحدها : بمعنى الخشية والهيبة ، قال تعالى : « **واياى فاتقون** »[٣] ، وقال : « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله** »[٤] .

والثانى : بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** »[٥] يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها : « أطيعوا الله حق طاعته » وكما يقول مجاهد : « أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر » .

والثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذه حقيقة التقوى ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** »[٦] .

ومن أجمل ما قرأت فى تفسير هذه الآية أن عظيما من عظماء الروم أسلم بسببها ، وعندما التقى بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال له : لقد وجدت فى كتابكم آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية ، فقال عمر : ما هى ؟ فتلا الآية ــ السابقة ــ ثم قال : اليك تفسيرها يا أمير المؤمنين ــ كما فهمتها ــ « ومن يطع الله فى الفرائض ، ورسوله فى السنن ، ويخشى الله فيما مضى ، ويتقه فيما هو آت فقد فاز فوزا عظيما ، والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة » فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد قال : « أوتيت جوامع الكلم » فكن من أجل كل هذا تقيا نقيا .

---

(١) البقرة : ١٧٧
(٢) القمر : ٥٤ ، ٥٥
(٣) البقرة : ٤١
(٤) البقرة : ٢٨١
(٥) آل عمران : ١٠٢
(٦) النور : ٥٢

ولا تنس قوله تعالى : « **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا** »[١] .

وقوله : « **وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقــون يا أولى الألبــاب** »[٢] . وتأمل قول القائل :

تزود من التقوى فانك لا تدرى — اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة — وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم — وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا — وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها — وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

* * *

* وكن صادقا فى حديثك : حتى تكون من أهل البر الذى هو من أهم نتائج الصدق وحسبك أن تقرأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[٣] .

* * *

وحتى ترغب فى الصدق وتحذر الكذب اليك قول الله تعــالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم** »[٤] وقــوله : « **.. ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** »[٥] .

« **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** »[٦] .

« **انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** »[٧] .

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

---

(١) مريم : ٦٣
(٢) البقرة : ١٩٧
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) الاحزاب : ٧٠ ، ٧١
(٥) غافر : ٢٨
(٦) الزمر : ٦٠
(٧) النحل : ١٠٥

وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[١] •

وقوله : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر »[٢] •

وقوله : « أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا »[٣] • وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم • قيل : أفيكون بخيلا ؟ قال : نعم • قيل : أفيكون كذابا ؟ قال : لا »[٤] •

* * *

واعلم أن الصدق درجات :

الأولى : صدق اللسان • وحق على كل عبد أن يحفظ لسانه فلا يتكلم الا بالصدق : اللهم الا اذا كانت هناك مصلحة تقتضى هذا فى بعض الأحوال كتأديب الصبيان ، والنساء ومن يجرى مجراهم ، وفى الحذر من الظلمة ، وفى قتال الأعداء والاحتراز على الأسرار •

وكما يقول النووى فى « رياض الصالحين » باختصار : اعلم أن الكذب وان كان أصله محرما فيجوز فى بعض الأحوال لأن الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وان لم يمكن تحصيله الا بالكذب ، جاز الكذب ، ثم ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا ، وان كان واجبا كان الكذب واجبا •

فان اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله أو أخفى ماله وسئل عنه ، وجب الكذب باخفائه ، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب باخفائها •

واستدل العلماء بجواز الكذب فى هذا الحال بحديث أم كلثوم

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه عن عبادة بن الصامت .

(٢) رواه البخارى ومسلم وزاد فى رواية له : « وان صام وزعم انه مسلم » .

(٣) رواه البيهقى باسناد حسن وابو داوود والترمذى وحسنه وابن ماجه .

(٤) رواه مالك هكذا مرسلا .

رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا »[(١)] .

الدرجة الثانية : الصدق فى النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ألا يكون له فى الحركات والسكنات الا الله تعالى .

الدرجة الثالثة : صدق العزم ، وهو الجزم فيه بقوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد .

الدرجة الرابعة : فى الوفاء بالعهد مهما كلفه هذا من مشقة .

الدرجة الخامسة : الصدق فى الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به ، والمراد استواء السريرة والعلانية بمعنى أن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره .

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا

* * *

* وكن وفيا لعهدك : حتى تكون من « **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** »[(٢)] ومن الذين « **... صدقوا ما عاهدوا الله عليه** »[(٣)] .

وحسبك أن تعلم أن الوفاء بالوعد من صفات الله عز وجل الذى يقول : « **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** »[(٤)] ويقول : « **وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله** »[(٥)] .

ومن صفات الرسل الكرام ، قال تعالى : « **أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى** »[(٦)] وقال : « **واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** »[(٧)] .

وحتى تكون متصفا بهذه الصفة الحميدة اليك هذا الخبر الذى

---

(١) متفق عليه ، زاد مسلم فى رواية : « قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس الا فى ثلاث ، يعنى : « الحرب ، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امراته وحديث المراة زوجها » .

(٢) الرعد : ٢٠ (٣) الأحزاب : ٢٣
(٤) ابراهيم : ٤٧ (٥) التوبة : ١١١
(٦) النجم : ٣٦ ، ٣٧ (٧) مريم : ٥٤

يحكى : أن رجلا اقترض من غيره مالا ووعده أن يرده اليه فى ميعاد كذا ولم يحضر المستدين شاهدا وضامنا له الا الله ، ورضى صاحب المـال بالله شاهدا وضامنا ، ولحسن نية المقترض هذا فى السداد قواه الله وأغناه ، وجاء ليرد ما عليه فتعذر عليه الوصول لبلد الدائن من أجل تلف القنطرة التي يعبر الناس عليها ، ولخوفه من الله ومن خلف الوعد ، هداه تفكيره الى أن يضع المـال فى جوف خشبة ثم سدها سدا محكما وقال : اللهم أنت الشاهد والضامن فأسألك أن توصل الحق لصاحبه ، ورمى بالخشبة فى المـاء . وشاءت ارادة الله اكراما لهذا الرجل الوفى أن يخرج الدائن الى البحر مصادفة فوجد الخشبة وفتحها فوجد فيها المـال فحمد الله كثيرا وأثنى على المقترض الوفى ودعا له بخير .

ولكن المقترض لم تطب نفسه بما عمل وظن أن المـال لم يصل الى صاحبه فأحضر غيره وجاء بعد اصلاح القنطرة . فقال له الدائن : يا أخى .. بارك الله لك ، قد أدى الله عنك وأوصل المـال الى لحسن نيتك وعزمك على السداد ، فانصرف راشدا .

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » .

فلا تنس هذا وكن وفيا لعهدك حتى لا تقع فى شباك النفاق ففى الحديث : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »[١] .

* * *

* وأد الأمانات الى أهلها : كما أمرك الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** »[٢] حتى تكون من « **... الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيهـا خالدون** »[٣] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) النساء : ٥٨

(٣) المؤمنون : ٨ ـ ١١ بلفظ : « **والذين** » .

مع ملاحظة أن كل عضو من أعضاء الانسان أمانة : فأمانة اللسان ألا يستعمله فى كذب أو غيبة أو نميمة أو بدعة ، أو نحو ذلك •

وأمانة العين : ألا ينظر بها الى محرم •

وأمانة الأذن : ألا يصغى بها الى استماع محرم •

وهكذا بالنسبة لسائر الأعضاء ، فكلها أمانات مع الله تعالى •

وأما مع الناس : فرد الودائع ، وترك التطفيف فى كيل أو وزن •

وأمانة الأمراء : العدل فى الرعية •

وأمانة العلماء فى العامة : أن يحملوهم على الطاعة والأخلاق الحسنة وينهوهم عن المعاصى وسائر القبائح •

وأمانة المرأة فى حق زوجها : أن لا تخونه فى فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه •

وأمانة الزوج فى حق زوجته : أن يوفر لها حقوقها الشرعية ولا يلوث فراشها بفعل فاحشة والا خالفته ولوثت شرفه وعرضه[1] •

هذا بالاضافة الى أن : مراقبة الله فى السر والعلن أمانة ، وطاعة الرسول فيما تأخذ وتذر أمانة ، وهذا الدين الاسلامى بأصوله وفروعه فى عنقك أمانة تتطلب منك الدفاع عنها والدعوة اليها ، وأوطان المسلمين كلها أمانة تطالبك بالذود عنها والدفاع عن حقوقها والعمل على رفع شأنها •

وأولادك وزوجتك ووالداك والأسرة كلها أمانة ستسئل عنها أمام خالقك ورازقك يوم العرض عليه سبحانه ، فاذكر كل هذا ولا تنس قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**»[2] •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » •

ثم اليك فى نهاية هذا الموضوع الحيوى هاتين القصتين اللتين تأثرت بهما كثيرا : روى أن رجلا اشترى من آخر عقارا ، فوجد المشترى فى عقاره جرة ذهب ، فحملها بنفسه الى البائع ، قائلا : خذ ذهبك ، فقال البائع — الأمين — : والله ما هى لى ، وما ينبغى أن آخذ ما لا أعلم ،

---

(١) من يزن بامرأة بألفى درهم   فى بيته يزنى بغير الدرهم

(٢) الأنفال : ٢٧

فترافعا الى مؤمن ليحكم فى هذه القضية النادرة • فقال لهما الحكم : هل لكما من عيال ؟

فقال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، فقال : زوجا الجارية للغلام وأنفقا عليهما من جرة الذهب ، فانصرفا راضيين •

وفى معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الاسلامى — وقد كان مسكينا فقيرا — على صندوق به جواهر غالية فدفعه الى قائده ، فعجب من أمانته مع فقره وقال له : ما اسمك حتى أذكرك لعمر فيعطيك ويثنى عليك أمام الناس ؟ فغضب الجندى المؤمن ، ثم قال لقائده : لو أردت عمر ما رأيته أنت ولا عمر ، فدعا له بخير وأرسل الجواهر بحقها الى عمر رضى الله عنه ، فلما وقف سيدنا عمر على الخبر قال : أشكر الله أن جعل فى جيشى مثل هذا الأمين ، فقال له أحد الحاضرين : يا أمير المؤمنين •• عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا •

فهل رأيت مثل هذا • وهل ستكون من الأمناء ؟

أرجو أن يكون الجواب : نعم •

* * *

* واترك الخيانة :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى :

« ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما »(١) • **« ان الله لا يحب الخائنين »**(٢) • **« وأن الله لا يهدى كيد الخائنين »**(٣) • **« ان الله لا يحب كل خوان كفور »**(٤) •

وحتى لا تقع فى هذا الشرك وتبتعد عن أسبابه وملحقاته التى من أهمها وأخطرها شهوات النفس الأمارة بالسوء اليك هذا الحديث الشريف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته

---

(١) النساء : ١٠٧ (٢) الانفال : ٥٨
(٣) يوسف : ٥٢ (٤) الحج : ٣٨

قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار »[١] . فاعمل حسابا لهذا اليوم حتى لا تكون مفلسا ولا تنس قوله تعالى : « **فمن نكث فانما ينكث على نفسه** »[٢] .

ولا تنس : « **يوم يعض الظالم على يديه** »[٣] .

واحذر كذلك « **خائنة الأعين** »[٤] واذا كان الله تعالى قد جعل لك عينين تنظر بهما ، فقد جعل لهما غطائين ، فانظر بعينيك الى ما أحل الله لك فان عرض عليك ما حرم الله عليك — من حبائل الشيطان — فأطبق عليهما غطاءهما .

وكذلك لا تخن صديقك بالتحدث عنه بما يكره أو بالاستماع الى من يغتابه ، ولا تخن زوجتك بالنظر بشهوة الى غيرها حتى لا تخونك بالنظر بشهوة الى غيرك . وقد يحدث ما هو أخطر من هذا ، ولا تخن أولادك باتلاف قوتهم فى ملذاتك وشهواتك فتحطم مستقبلهم .

ولا تخن جارك بالنظر الى زوجته بشهوة فربما أدى هذا الى ارتكاب جريمة الزنا معها . فقد ورد فى الحديث الشريف قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما تقولون فى الزنا » ؟ قالوا : حرام حرمه الله عز وجل ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه أن يزنى بامرأة جاره »[٥] .

كما سئل صلوات الله وسلامه عليه : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك » قلت : ان ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك »[٦] .

فلا تخن جارك أو غيره وان خانك .

* * *

* وارحم اليتيم : وهو من مات أبوه من بنى آدم[٧] وهو دون البلوغ .

---

(١) رواه مسلم . (٢) الفتح : ١٠

(٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » (٤) غافر : ١٩

(٥) رواه احمد ورواته ثقات والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » .

(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٧) ومن ماتت أمه من الحيوانات .

وتذكر أنك فى الطريق الى نهاية أبيه مهما طالت اقامتك فى هذه الحياة ، فنحن كما يقول الشافعى رضى الله عنه :

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى
نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى

فبعطفك على اليتيم تضمن عطف غيرك بعد وفاتك على ولدك •

وحسبك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة — وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما — »(١) وقوله عندما شكا اليه رجل قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين »(٢) •

واحذر أن تكون من **« الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما »** فقد قال الله تعالى فى نفس الآية : **« انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا »**(٣) •

ونفذ قوله تعالى : **« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا »**(٤) •

واذا كنت تخاف على ذريتك من بعدك ففى استطاعتك من الآن أن تؤمن (على حياتهم) ومستقبلهم وذلك بتقواك الله واصابتك فى القول وفى ذلك يقول تعالى : **« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »**(٥) •

* * *

* واحفظ جوارك : فقد أمرك الله تعالى بالاحسان اليهم فى قوله : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم »**(٦) •

وهم ثلاثة كما قرأت فى هذه الآية :

الأول : القريب منك فى الجوار أو النسب •

الثانى : البعيد عنك فى الجوار أو النسب •

---

(١) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) النساء : ١٠ (٤) النساء : ٢

(٥) النساء : ٩ (٦) النساء : ٣٦

الثالث : الرفيق فى سفر أو صناعة • وقيل الزوجة •
ومن الجيران من له ثلاثة حقوق : وهو جارك القريب المسلم •
ومن له حقان : وهو جارك المسلم •
ومن له حق واحد : وهو جارك الذمى[١] •
ومن أجمل ما قرأت فى هذا : يقول الحسن البصرى رضى الله عنه :
حق الجار على الجار تسعة أشياء :
أولها : ان استقرضك أقرضته • وثانيها : وان دعاك أجبته • وثالثها : وان مرض عدته • ورابعها : وان استعان بك أعنته • وخامسها : وان أصابته مصيبة عزيته • وسادسها : وان أصابه خير هنأته • وسابعها : وان مات شيعته • وثامنها : وان مات احفظ منزله وعياله وواسهم • وتاسعها : ولا تؤذه •
ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث خصال مستحسنة كانت فى الجاهلية ، والمسلمون أولى بها :
أولها : لو نزل بهم ضيف اجتهدوا فى بره •
الثانى : لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع •
والثالث : اذا لحق بجارهم دين أو أصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه وأخرجوه من تلك الشدة •
وقال سفيان الثورى رضى الله عنه :
« من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جوعان لا يطعمه شيئا » •
وقال آخر : تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء :
الأول : أن يواسيه بما عنده •
الثانى : أن لا يطمع فيما عند جاره •
الثالث : أن يمنع أذاه عنه •
الرابع : أن يصبر على أذاه •
فاذكر كل هذا ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٢] •

---

(١) غير المسلم من اهل الكتاب وهو من أعطاه المسلمون عهدا بالاقامة بينهم آمنا .
(٢) متفق عليه .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »[١] .

« خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره »[٢] .

وان أساء اليك جارك فحسبك هذه الوصية المحمدية التى أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا ذهب اليه يشكو أخلاق جاره فقال له : « كف أذاك واصبر على أذاه ، وكفى بالموت مفرقا » . « ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ، ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار »[٣] .

ثم اليك هذا الدعاء الذى كان سيدنا داوود عليه السلام يدعو الله تعالى به : « اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، وبدنا صابرا ، وزوجة تعينني على أمر دنياى وأمر آخرتى .

وأعوذ بك : من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوء ان رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أذاعها وأفشاها » .

* * *

* واكظم غيظك : حتى تكون من **« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »**[٤]

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء »[٥] . وقوله : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله »[٦] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٣) من كلام الحسن البصرى رضى الله عنه .
(٤) آل عمران : ١٣٤
(٥) رواه أبو داوود والترمذى وحسنه وابن ماجه .
(٦) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .

وليكن مثلك الأعلى هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى كان كما وصفه الله تعالى فى قوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[١] :

فقد روى أنه كان ذات يوم يقسم الغنائم فقال له أعرابى جلف : اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال له : « ويحك .. فمن يعدل ان لم أعدل ؟ خبت وخسرت ان لم أعدل » .

ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد[٢] نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء »[٣] .

فهذه بطولة ورجولة أكدها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« ما تعدون الصرعة فيكم » ؟ قالوا : الذى لا تصرعه الرجال .

قال : « ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب »[٤] .

فكن بطلا حتى لا يتمكن الشيطان منك فتفقد كل شىء .

* * *

* وكن لينا فى كلامك : تنفيذا لقول الله تعالى : « **وقولوا للناس حسنا** »[٥] وقوله : « **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** »[٦] وقوله : « **ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** »[٧] .

وحسبك أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » قالوا : لمن هى

---

(١) القلم : ٤
(٢) نوع من الثياب .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه .
(٥) البقرة : ٨٣
(٦) الاسراء : ٥٣
(٧) فصلت : ٣٤

يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام »[١] .

وقوله : « الكلمة الطيبة صدقة »[٢] . فتذكر كل هذا ، و :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوى الجاه لين

واذا كنت جافا فى طباعك فظا فى قولك ، فحسبك أن تدعو الله تعالى بهذا الدعاء العمرى الذى روى أن سيدنا عمر بن الخطاب دعا الله سبحانه وتعالى به عندما ولى الخلافة وكان قد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا : « اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة[٣] والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم انى شحيح[٤] فسخنى[٥] فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة[٦] واجعلنى أبتغى بذلك الدار الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى ، واصلاح الساعات[٧] والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقنى التفكير والتدبير لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل شىء قدير .

---

(١) رواه الطبرانى والحاكم .
(٢) من حديث رواه البخارى ومسلم .
(٣) أهل الفساد والفسق . (٤) الشح : هو البخل .
(٥) اى اجعلنى سخيا جوادا . (٦) السمعة : اى الرياء .
(٧) اصلاح أوقاتى واستعمالها فى النافع مع المفيد .

اللهم لا تدعنى فى غمرة[١] ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من الغافلين »[٢] .

* * *

* واقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف :

وحسبك أن تعلم أولا : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[٣] .

وأن تعلم ثانيا : أنه من موجبات الجنة كما ورد فى حديث شريف رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لأدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم »[٤] وفى رواية أخرى : « يا أيها الناس .. أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »[٥] .

وحتى تقف على ثواب السلام بالاضافة الى ما سبق ، اليك هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه عمران بن الحصين رضى الله عنهما : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشر ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشرون ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال : ثلاثون »[٦] .

وفى رواية أخرى لأبى داوود زيادة على هذا : « ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، فقال : أربعون . وقال : هكذا تكون الفضائل » .

---

(١) الانهماك فى الباطل .
(٢) ذكر فى « العقد الفريد » .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) روى فى مسند الدارمى وكتابى الترمذى وابن ماجه بالأسانيد الجيدة وقال الترمذى : حديث صحيح .
(٦) روى فى مسند الدارمى وسنن أبى داوود والترمذى وقال الترمذى : حديث حسن .

فاحرص على هذا الفضل وهذا الثواب •

فليس المصاب من فارق الأحباب ان المصـــاب من فقد الثواب

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أشراط الساعة السلام بالمعرفة »[١] •

وكيفية السلام : أن يقول المسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا •

ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •

فيأتى بواو العطف فى قوله : وعليكم •

وهذا أفضل ، وان كان يجوز للمبتدىء أن يقول : السلام عليكم ، وان قال : السلام عليك ، أو سلام عليك حصل السلام أيضا •

وأما الجواب فأقله : وعليك السلام أو وعليكم السلام ، فان حذف الواو فقال : عليكم السلام • أجزأ ذلك وكان جوابا •

ولو قال فى الجواب : عليكم • لم يكن جوابا ، ولو قال : وعليكم — بالواو — ففيه وجهان ، ولو قال المبتدىء : سلام عليكم ، أو قال : السلام عليكم • فللمجيب أن يقول فى الصورتين : سلام عليكم ، وله أن يقول : السلام عليكم ، وأقل السلام الذى يصير به مسلما مؤديا للسنة أن يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه ، فان لم يسمع لم يكن آتيا بالسلام ولا يجب الرد عليه •

وأقل ما يسقط به فرض السلام أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم فان لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد • والمستحب أن يرفع صوته رفعا يسمعه به المسلم عليه أو عليهم سماعا محققا ، واذا تشكك فى أنه يسمعهم زاد فى رفعه واحتاط واستظهر •

واذا سلم على أيقاظ عندهم نيام فالسنة أن يخفض صوته بحيث يحصل سماع الأيقاظ دون النيام •

ويشترط أن يكون الجواب على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد •

ويكره السلام : بالاشارة باليد أو بالأصابع لأن هذا يعتبر تشبها باليهود والنصارى •

ويكره السلام : على المشتغل بالبول أو الجماع أو نحوهما •

---

(١) اخرجه احمد .

ويكره السلام : على من كان نائما(١) أو ناعسا(٢) .

ويكره السلام : على من كان مصليا أو مؤذنا فى حال أذانه واقامته الصلاة .

ويكره السلام : على من كان فى حمام ، أو فى مكان لا يؤثر السلام عليه فيه ، أو كان يأكل واللقمة فى فمه .

فان سلم عليه فى هذه الأحوال لم يستحق جوابا ، أما اذا كان على الأكل وليست اللقمة فى فمه فلا بأس بالسلام ويجب الجواب ، وكذلك فى المبايعة وسائر المعاملات يسلم ويجب الجواب .

كما يكره على المشتغل بالبول ونحوه رد السلام .

وأما السلام فى حال خطبة الجمعة فقد قال العلماء : يكره الابتداء به ، لأنهم مأمورون بالانصات للخطبة ، فان خالف وسلم فهل يرد عليه ؟ فمن العلماء من قال : لا يرد عليه لتقصيره ، ومنهم من قال : ان قلنا ان الانصات واجب لا يرد عليه ، وان قلنا ان الانصات سنة رد عليه واحد من الحاضرين ولا يرد عليه أكثر من واحد على كل وجه .

وأما السلام على المشتغل بقراءة القرآن فقد قال أبو الحسن الواحدى : ترك السلام أولى لاشتغاله بالتلاوة ، فان سلم عليه كفاه الرد بالاشارة وان رد باللفظ استأنف الاستعاذة ، ثم عاد الى التلاوة .

وهذا الكلام فيه نظر ، والظاهر أنه يسلم عليه ويجب الرد باللفظ .

أما اذا كان مشتغلا بالدعاء مستغرقا فيه ، مجمع القلب عليه فيحتمل أن يقال : هو كالمشتغل بالقراءة ، يقول الامام النووى : والأظهر عندى فى هذا أنه يكره .

وأما الملبى فى الاحرام فيكره أن يسلم عليه لأنه يكره له قطع التلبية فان سلم عليه رد السلام باللفظ .

وأما المصلى فيحرم عليه أن يقول : وعليكم السلام فان فعل ذلك بطلت صلاته ان كان عالما بتحريمه ، وان كان جاهلا لم تبطل على أصح الوجهين عند النووى ، وان قال : « عليه السلام » بلفظ الغيبة لم تبطل صلاته لأنه دعاء وليس بخطاب ، والمستحب أن يرد عليه فى الصلاة باشارة ولا يتلفظ بشىء وان رد بعد الفراغ من الصلاة باللفظ فلا بأس(٣) .

---

(١) النوم : معروف . (٢) النعاس : السنة من النوم .

(٣) راجع كل هذا وما بعده فى « الاذكار » للنووى .

وأما المؤذن فلا يكره له الرد باللفظ المعتاد لأنه يسير ولا يبطل الأذان ولا يخل به •

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

ابتداء السلام سنة مستحبة وليس واجبا وهو سنة على الكفاية •

رد السلام ان كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وان كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم : فان رد واحد سقط الحرج عن الباقين وان تركوا كلهم أثموا جميعا ، وان ردوا كلهم فهو النهاية فى الكمال والفضيلة ، وهكذا قال العلماء ، وهو ظاهر حسن ، ولو رد غيرهم لم يسقط عنهم الرد بل يجب عليهم أن يردوا ، فان اقتصروا على رد ذلك الأجنبى أثموا • ثم اليك كذلك هذه الأحكام :

اذا نادى انسان انسانا من خلف ستر أو حائط فقال : السلام عليك يا فلان ، أو السلام على فلان ، أو أرسل رسولا وقال : سلم على فلان • فبلغه الكتاب أو الرسول ، وجب عليه أن يرد السلام ، كما يستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول : وعليك السلام • واذا سلم على أصم لا يسمع ينبغى أن يتلفظ بلفظ السلام لقدرته عليه ويشير باليد حتى يحصل الافهام ويستحق الجواب ، ولو لم يجمع بينهما لا يستحق الجواب ، وكذا لو سلم عليه أصم وأراد الرد فيتلفظ باللسان ويشير بالجواب ليحصل الافهام ويسقط الجواب •

ولو سلم على أخرس فأشار الأخرس باليد سقط الفرض لأن اشارته قائمة مقام العبـارة ، وكذا لو سلم عليه الأخرس بالاشارة يستحق الجواب •

ولو سلم على صبى ، لا يجب عليه الجواب ، لأن الصبى ليس من أهل الفرض والمستحب له الجواب أدبا •

ولو سلم الصبى على بالغ ، قيل : يجب على البالغ الرد ، وقيل : لا يجب ، والصحيح أنه يجب لقوله تعالى : **« واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »**[1] •

ولو سلم بالغ على جماعة فيهم صبى فرد صبى ولم يرد منهم غيره • قيل : يسقط الفرض عنهم ، كما يصح أذانه للرجال ويسقط عنهم طلب الأذان •

---

(١) النساء : ٨٦

وقيل : لا يسقط لأنه ليس أهلا للفرض ، والرد فرض فلا يسقط به ، كما لا يسقط به الفرض فى الصلاة على الجنازة والصحيح الأول .

واذا سلم على انسان ثم لقيه على قرب ، يسن له أن يسلم عليه ثانيا أو ثالثا أو أكثر ، كما ورد فى حديث شريف قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه »[1] .

اذا تلاقى رجلان فسلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة أو أحدهما بعد الآخر ، يجب على كل واحد منهما أن يرد على صاحبه لأنه يعتبر كل واحد منهما مبتدئا بالسلام ، وان رد أحدهما بعد الآخر كان جوابا وان كان دفعة واحدة لم يكن جوابا .

ولو سلم على رجل ظنه مسلما فظهر أنه كافر يستحب أن يسترد سلامه فيقول له : رد على سلامى ، والغرض من ذلك أن يوحشه ويظهر له أنه ليس بينهما ألفة كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما بعد أن سلم على رجل قيل له انه يهودى فتبعه وقال : رد على سلامى .

مع ملاحظة أنه لا يجوز ابتداء أهل الذمة بالسلام ، وقال آخرون : ليس هو بحرام بل هو مكروه .

فان سلموا على مسلم قال فى الرد : « وعليكم » ولا يزيد على هذا فعن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سلم أهل الكتاب فقولوا عليكم »[2] ولو أراد تحية أهل الكتاب فعلها بغير السلام ، واذا مر على جماعة فيهم مسلمون أو مسلم وكفار فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم ، واذا كتب كتابا الى مشرك وكتب فيه سلاما أو نحوه ينبغى أن يكتب كما يكتب الرسول صلى الله عليه وسلم : « **السلام على من اتبع الهدى** »[3] .

واذا مر على صبيان فمن السنة أن يسلم عليهم ، فقد ورد عن أنس رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على صبيان فسلم عليهم »[4] .

---

(١) رواه أبو داوود عن أبى هريرة .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) طه : ٤٧ بلفظ : « **والسلام** » .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

وإذا مر على امرأة فان كانت زوجته أو جاريته أو محرما من محارمه فهى معه كالرجل فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر رد السلام عليه ، وإذا كانت أجنبية : فان كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم عليه هى ابتداء ، فان سلمت لم تستحق جوابا ، فان أجابها كره له .

وإذا كان النساء جمعا جاز للرجل أن يسلم عليهن ، وإذا كان الرجال جمعا كثيرا فسلموا على المرأة الواحدة جاز ان لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة ، فان خيفت الفتنة فانه يحرم سلام الرجل على جمع النساء وسلام الرجال على المرأة مع ملاحظة : أن المرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل فى هذه الأحكام .

وإذا دخل بيته فانه يستحب أن يسلم وان لم يكن فيه أحد وليقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، كما يستحب أن يقول : بسم الله ، وأن يكثر من ذكر الله تعالى ثم يسلم ، ففى حديث شريف يقول أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى .. اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك »[1] .

* * *

فاذكر كل هذا ولا تنس هذه الآيات القرآنية :

« فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة »[2] .

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »[3] .

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »[4] .

* * *

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .
(٢) النور : ٦١ (٣) النساء : ٨٦
(٤) الحجرات : ١٣

وهذه الأحاديث الشريفة :

« اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة »(١) .

« يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير »(٢) .

و « يسلم الصغير على الكبير »(٣) .

« ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا »(٤) .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » .

« حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

« أفشوا السلام تسلموا » .

* * *

* والزم الامام : الذي ينطبق عليه قول الخليفة الأول — أبى بكر الصديق رضى الله عنه — فى خطبة الخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد .. أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »(٥) تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : **« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »**(٦) والا فانه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بقوله : « ولزوم الامام »

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) من رواية البخارى .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية » بسند صحيح .

(٦) النساء : ٥٩

المواظبة والمحافظة على صلاة الجماعة ، وذلك لأن : « صلاة الجماعة أفضل من الفذ[١] بسبع وعشرين درجة »[٢] ولذلك ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر » قالوا : وما العذر ؟ قال : « خوف أو مرض ، لم تقبل منه الصلاة التى صلى »[٣] .

وفى حديث آخر : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن آمر فتيتى فيجمعوا لى حزما من حطب ، ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الأصم : الجمعة عنى أو غيرها ؟ قال : صمتا أذناى ان لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها[٤] .

فلا تنس هذه الأحاديث الشريفة حتى تحافظ على حضور صلاة الجماعة .

* * *

واحذر مسابقة الامام فى الصلاة فعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس .. انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ، ولا بالقيام ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار »[٦] . وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته[٧] بيد شيطان »[٨] وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الفذ : اى المنفرد .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه أبو داوود وابن ماجه .
(٤) رواه مسلم وأبو داوود .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه مسلم .
(٧) مقدم رأسه .
(٨) اخرجه مالك .

« أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ــ أو صورته صورة حمار »[١] .

فلاحظ كل هذا مع مراعاة الاطمئنان فى الصلاة ، ولا تركع حتى يركع الامام تماما ، ولا ترفع حتى يرفع ، ولا تسجد حتى يسجد ، ولا تسلم الا بعد التسليمتين .

فقد روى أن رجلا من الفقهاء ــ عليهم جميعا رضوان الله ــ رأى رجلا يسابق الامام فى صلاته فقال له بعد انتهاء الصلاة : « لا وحدك صليت ولا بامامك اقتديت » .

* * *

ولعله صلى الله عليه وسلم أيضا يريد بقوله : « ولزوم الامام » مصادقته ومصاحبته لأنه لم يصل[٢] الى درجة الامامة الا بجدارة ، وحسبه جدارة وقدرا أنه من حملة القرآن ، ففى الحديث الشريف : « ليؤمكم أكثركم قرآنا » وفى حديث آخر : « اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالامامة أقرؤهم »[٣] .

وفى حديث آخر :« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٤] .

فاذا كانت هذه هى درجته ومنزلته فمن الخير ملازمته ومصاحبته تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى قال فيها : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى » هذا بالاضافة الى أنه مؤمن : « ... كله منفعة ، ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأيضا : « رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر » كما قال أحد الحكماء .

* * *

* وتفقه فى القرآن : وذلك لأن القرآن ملىء بالأسرار والآيات التى تحتاج الى مدارسة تتطلب من كل مسلم ومسلمة ضرورة العمل على

---

(١) اخرجه الخمسة .　　(٢) اى الاملم .

(٣) رواه احمد والنسائى ، والمراد بالاقرا : لكثرهم حفظا .

(٤) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن عثمان بن عفان .

تحصيلها والوقوف على أسرارها . وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فقال :

« ... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[1] .

وحتى تعرف قدر القرآن وتجتهد فى فهم آياته التى أنزلها الله **« هدى للمتقين »**[2] اليك ما قاله عنه أعداء الاسلام :

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

يقول الدكتور « موريس بوكاى » الفرنسى فى وصف القرآن :

« انه بمثابة ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ، وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة من سوره فى حسن المعانى وانسجام الألفاظ ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الاسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب واقتباسا لآياته يزينون بها كلامهم ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة فى القدر ونباهة فى الفكر » .

ويقول القس « لوازون » :

« ليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها ، والتى تحت الحل ما يغاير الحقائق الاسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ ، ولهذا فان التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » .

واضح أنه يعنى ما هو ثابت فى القرآن من براهين .

ويقول المؤرخ الانجليزى الشهير « ولزآن » :

« ان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى الديانة الاسلامية ، واذا أراد انسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى ، دينى ، عملى ، اجتماعى ، تهذيبى ، خلقى ، تاريخى ،

---

(١) من حديث رواه مسلم . (٢) البقرة : ٢

أكثر أنظمته وقوانينه تستعمل فى وقتنا الحالى وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة » •

هذا هو القرآن نبراس الهـدى دستورك الأسمى المنير المشرق
آياته نبع العـلوم جميعهـا من قال : لا فهو الغبى الأخرق
علم الطبيعة والحياة وحكمة الـ ايجاد من تبيـانه تتـدفق
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة بين الورى بسواه لا تتحقق
فيه القضـاء لحل كل قضية عن حلها أهل السياسة أخفقوا

ومن أجل ذلك فـ :

نحن نبغى القرآن علما وفهما يخلقـان الكمال فى الشبان
نحن نبغى القرآن لفظا ومعنى فهو صقل الحجا وصقل اللسـان
نحن نبغى القرآن دينا ودنيـا يتجلى فى هـديه الحسـنيان
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر س وفى كل مـنزل ومكان

فهل سنتفقه فى القرآن ؟ وهل سنعمل على حفظه ونعلمه لأولادنا ونساءنا كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا ؟ وهل سننفذ تعاليمه حتى نكون حقا من أهله ؟

أرجو أن يكون الجواب نعم •• وحتى تقول نعم باقتناع تأمل قوله تعالى : **« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »**(١) •

* * *

* وكن محبا للآخرة : واعمل ليلا ونهارا على أن تكون من أبنائها حتى تكون مشكورا فى سعيك كما جاء فى قوله تعالى : **« ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »**(٢) •

وحسبك أن تذكر دائما وأبدا قول الله تعالى : **« وان الدار الآخرة لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون »**(٣) ــ أى لهى الحياة الحقيقية ــ •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد أيها الناس •• فقدموا لأنفسكم • تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه(٤) :

---

(١) الاسراء : ٩
(٢) الاسراء : ١٩
(٣) العنكبوت : ٦٤
(٤) ترجمان : أى مفسر •

« ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١] .

ولا تنس قوله تعالى : **« بل تؤثرون الحياة الدنيا • والآخرة خير وأبقى »**[٢] وقوله : **« فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى »**[٣] .

و :

تأهب للذى لابد منه فان الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

* * *

* واجزع من الحساب : الذى سيكون حتما **« يوم يفر المرء من أخيه • وأمه وأبيه • وصاحبته وبنيه • لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه »**[٤] .

وحتى تعمل لهذا اليوم ألف حساب اليك هذه الأحاديث الشريفة :

« لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه »[٥] .

« من نوقش الحساب عذب — تقول عائشة رضى الله عنها — فقلت : أليس يقول الله تعالى : **« فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى أهله مسرورا »**[٦] ؟

فقال : « انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك »[٧] .

---

(١) ذكرها ابن هشام فى سيرته واخرجها البيهقى .
(٢) الأعلى : ١٦ ، ١٧ (٣) النازعات : ٣٧ — ٤١
(٤) عبس : ٣٤ — ٣٧
(٥) رواه البزار والطبرانى بسند صحيح واللفظ له عن معاذ بن جبل .
(٦) الانشاق : ٧ — ٩
(٧) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى .

« لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، ويسئل الحجر : لم انكب على الحجر ولم نكأ(١) الرجل الرجل » قال : وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى(٢) .

* * *

مع ملاحظة أنه سيشهد عليك فى هذا اليوم المشهود أحد عشر شاهدا : اللسان ، واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والأرض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال .

قال تعالى تأكيدا لهذا : « **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** »(٣) وقال : « **ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون**(٤) . **حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** »(٥) . وقال : « **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** »(٦) .

* * *

واعلم : أن الحساب لغة : العد ، واصطلاحا : توقف الخلائق على أعمالهم قبل انصرافهم من المحشر — وهو موقف الحساب الذى سيساق العباد اليه بعد بعثهم للقضاء بينهم ، وأحوال الناس فى الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهم المتقون ، ومنهم الماشى على رجليه وهم قليلو الأعمال ، ومنهم الماشى على وجهه وهم الكفار ، ومنهم الأعمى وهو الجائر فى الحكم . ومنهم الأصم الأبكم وهو المعجب بعلمه . ومن يمضغ لسانه ويسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم .

وأول من تنشق الأرض عنه ويبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أنه أول من يرد المحشر ، وأول من يدخل الجنة ، وقبل انصراف الناس من هذا الموقف سيقفون على جميع أعمالهم وسيكون سؤالهم عنها بكيفية يعلمها الله تعالى .

وسيكون الحساب للمؤمنين والكافرين انسا وجنا بعد أخذ العباد

---

(١) اى جرحه .
(٢) اخرجه مسلم والترمذى .
(٣) النور : ٢٤
(٤) يوزعون : اى يساقون .
(٥) فصلت : ١٩ ، ٢٠
(٦) سورة ق : ٢١ ، سائق : اى مالك يسوقها الى المحشر .

صحائف أعمالهم • ولا يكون للمعصومين ومن استثنى من الحساب وهم سبعون ألفا أفضلهم أبو كبر الصديق رضى الله عنهم •

وسيكون بصور مختلفة : فمنه السر ، ومنه العلن ، ومنه اليسير ، ومنه العسير ، ومنه ما معه الفضل ، ومنه ما معه العدل •

وحكمته مع علمه تعالى بأعمال العباد اظهار فضل المتقين ، وفضيحة الفجار على رؤوس الأشهاد ليسر الأولون ويساء الآخرون •

* * *

فاذكر كل هذا وحاسب نفسك قبل أن تحاسب[١] وقبل أن يجىء اليوم الذى سيقول الله تعالى فيه :

« **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** »[٢] وقوله كما ورد فى حديث قدسى : « ألم أجعل لك سمعا ، وبصرا ، ومالا ، وولدا ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ؟ أكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا • فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى »[٣] •

* * *

* وقصر أملك : فى هذه الحياة الأولى حتى لا تتربع على قلبك فتنسيك الآخرة التى اليها ستنتقل مهما طالت حياتك فى الدنيا كما ورد فى حديث قدسى يقول الله تبارك وتعالى فيه : « يا ابن آدم •• لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك الى الموت ، يا ابن آدم •• لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ••• » •

ولهذا قال الحكماء : العاقل المصيب : من عرف الله تعالى فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها ، العاقل المصيب : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه •

ومن هنا كان من الحكمة أن يضع العاقل حدا لهذه الأمانى المتعلقة بهذه الدنيا الفانية حتى لا يكون مطية لها وحتى لا يكون من أهل الشقاء ، فقد ورد : « أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ،

---

(١) بفتح السين .
(٢) الاسراء : ١٤
(٣) أخرجه الترمذى وقال : صحيح غريب .

وطول الأمل ، والحرص على الدنيا »[١] كما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه :

« اللهم انى أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » .

مع ملاحظة أنه ليس كل أمل مذموما . وفى ذلك يقول ابن الجوزى رحمه الله : « الأمل مذموم الا للعلماء ، فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنعوا ، وفى الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل لما تهنأ أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا » .

ولله در المنفلوطى رحمه الله فلقد قال فى هذا :

« لو علم الجامع أنه يجمع للوارث ، وهذا الوالد أنه يلد للموت ، وهذا البانى أنه يبنى للخراب . ما جمع الجامع ، ولا ولد الوالد ، ولا بنى البانى . انما نحن أحياء بالآمال ، وان كانت باطلة ، وسعداء بالأمانى وان كانت كاذبة » .

فليست حياة المرء الا أمانيا اذا هى ضاعت فالحياة على الأثر

ويؤكد هذا المعنى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « انما الأمل رحمة من الله لأمتى ، ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ، ولا غرس غارس شجرا »[٢] .

وحتى تدرك حقيقة الهدف بايجاز اليك ما قاله سيدنا على رضى الله عنه فى خطبة له : « ان أخوف ما أخاف عليكم : اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة .

ألا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة . ألا وان الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل »[٣] .

فاتق الله وقصر أمـــلا ليس فى الدنيا خلود للملا

* * *

* وأحسن عملك : حتى تكون من خير الناس وأحبهم الى الله : فقد ورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات

---

(١) رواه البزار عن أنس . (٢) رواه الخطيب عن انس .

(٣) ذكره ابو نعيم فى « الحلية » .

يوم : « ألا أنبئكم بخياركم » ؟ قالوا : نعم • قال : « خياركم أطولكم أعمارا، وأحسنكم أعمالا »[١] كما ورد فى حديث آخر : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[٢] •

ولهذا كان لابد أن تراقب الله تعالى فى كل أعمالك حتى يتحقق هذا الاحسان الذى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليه فى قوله عندما سأله سيدنا جبريل عن الاحسان : « ••• أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »[٣] •

والمطلوب منك : اذا كنت مدرسا ، أو موظفا ، أو تاجرا ، أو صانعا ، أو غارسا ، أو مصليا ، أو صائما ••• الخ :

أن تراقب الله تعالى فى كل هذه العبادات بمعنى أن تعتبر نفسك تحت مراقبة الله القائل : **« لا يضيع أجر من أحسن عملا »**[٤] •

انا وان كرمت أوائلنــا لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنــا تبنى ونفعل مثل ما فعــلوا

* * *

فليس الفتى من يقول كان أبى بل الفتى من يقـــول هأنذا
مع ملاحظة أن : « ••• من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[٥] •

* واياك أن تشتم مسلما : وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »[٦] • ومعنى فسوق : أى خروج عن طاعة الله تعالى لأنه سبحانه نهى عن هذا فقال : **« ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »**[٧] •

وحسبك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يكون المؤمن لعانا »[٨] •

---

(١) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .
(٢) حديث صحيح . (٣) جزء من حديث رواه مسلم .
(٤) الكهف: ٣٠ بلفظ : **« انا لا نضيع »** .
(٥) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .
(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .
(٧) الحجرات : ١١
(٨) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

وقوله : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا »[١] .

وتأمل معنى قول الشافعي رضي الله عنه :

اذا شئت أن تحيا سليما من الردى   ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة   فكلك سوآت وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك مساويا   لقوم فقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى   ودافع ولكن بالتي هي أحسن

* * *

* أو تصدق كاذبا : وذلك لأنه فاجر ففي الحديث : « اذا كذب العبد فجر[٢] ، واذا فجر كفر ، واذا كفر دخل النار »[٣] ، وهو منافق كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر »[٤] .

فاذا كان هذا هو شأن الكاذب فكيف تصدقه ؟

فكن من أجل كل هذا مبغضا له وضع اصبعيك في أذنيك حتى لا تستمع الى حديثه أو وشايته فتقع بسبب ذلك في شباك الشيطان وتكون شريكا له في الاثم .

* * *

* أو تكذب صادقا : واذا كان الصادق من الذين ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم الجنة كما جاء في الحديث الشريف الذى قرأناه سابقا في موضوع الصدق والذى يقول فيه : « اضمنوا الى من أنفسكم ستا أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[٥] .

واذا كان من الصديقين « **الذين أنعم الله عليهم** »[٦] فكيف نكذبه ؟

* * *

---

(١) رواه مسلم وغيره والحاكم .
(٢) اى انبعث في المعاصي والمحرمات .
(٣) جزء من حديث رواه أحمد .
(٤) رواه البخارى ومسلم وزاد في رواية له : « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » .
(٥) رواه أحمد وابن ابى الدنيا وابن حبان في صحيحه .
(٦) النساء : ٦٩

* أو تعصى اماما عادلا : واذا كان الامام العادل : وهو الذى يتحرى العدل فى رعيته من السبعة الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله[١] : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[٢] .

واذا كان من الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »[٣] .

واذا كان من أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا كما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أحب الناس الى الله يوم القيامة ، وأدناهم منه مجلسا : امام عادل ، وأبعدهم منه مجلسا : امام جائر »[٤] واذا كان عدل ساعة منه أفضل من عبادة ستين سنة من غيره كما جاء فى حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : « يا أبا هريرة .. عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها . ويا أبا هريرة .. جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصى الله ستين سنة »[٥] فكيف تعصيه ؟

* * *

---

(١) أى لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه احمد والترمذى وحسنه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

(٤) رواه الترمذى والطبرانى فى « الأوسط » مختصرا .

(٥) رواه الأصبهانى .

* وأن تفسد فى الأرض : وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى :
« ... ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »[١] .
وقوله : **« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »**[٢] .
وحتى لا تقع فى هذا الذنب اليك هذا الحديث الشريف : « ما طفف قوم كيلا ، ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر ، وما ظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما ظهر فى قوم الربا الا سلط الله عليهم الجنون ، ولا ظهر فى قوم القتل ، يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا ظهر فى قوم عمل قوم لوط ، الا ظهر فيهم الخسف ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا لم ترفع أعمالهم ، ولم يسمع دعاؤهم »[٣] .

مع ملاحظة أن : « البدن مملكة النفس ومدينتها ، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدم ، والقوى الباطنة كضياع المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح له ، والشهود كطالب أرزاق الخدام ، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ، والقوى المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن . والقوى المفكرة فى وسط الدماغ ، والقوى الحافظة فى آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس الخمس جواسيس . وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات ، فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها فانها أصحاب الاخبار .
ثم قيل : هى كالحجبة توصل الى النفس ما تدركه ، وقيل : ان السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس . فالقلب هو كالملك فاذا صلح الراعى صلحت الرعية ، واذا فسد فسدت الرعية ، وانما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنية . كالغل ، والحقد ، والحسد ، والشح ، والبخل ، والكبر ، والسخرية ، والرياء والسمعة ، والمكر والمرض والحرص ، والطمع ، وعدم الرضا بالمقدور ... الخ »[٤]

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) المـائدة : ٣٣
(٣) رواه الطبرانى وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٤) من أقوال الحكماء .

فهل سنتخلص من هذه الأمراض حتى يصفو الجو من هذه المعاصى التى أحدثت فى الأرض فسادا فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن فكان ما أشار الله تعالى اليه فى قوله :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون »(١) .

أرجو أن يكون الجواب نعم ، كما أرجو أن تتأمل قول ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلو ب وقد يورث الذل ادمانها
وهل أفسد الدين الا الملو ك وأحبار سـوء ورهبانها

* * *

* واذكر الله عند كل شجر وحجر : والمراد أن تذكر الله تعالى فى كل مكان ولا سيما عندما تتأمل فى آية من آياته الكونية التى لا حصر لها :

ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وحسبك اذا أردت أن تدقق النظر فى هذا الكون العجيب الذى لا تنتهى عجائبه والذى تقف أمامه عاجزا عن مواصلة التفكير فيه ، أن تقول مع هذا الرجل الموحد(٢) :

« تعاليت يا رب ما أجلك : خلقت الخلق وأجريت الرزق ، بك ينمو الزرع ، ويدر الضرع ، سبحانك اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانك ، السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك .

تباركت وتعاليت : صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنت ، الجن والانس خلقك ، والجسم والروح عملك : لا اله الا أنت منحتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك ، يسبح الرعد بحمدك ، ويترنم الطائر بمجـدك .

البحار لا تقر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد جرى النسيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق فى رحمتك .

تباركت تباركت : لا أول قبلك ولا آخر بعدك .

كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ، فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن .

---

(١) الروم : ٤١ .
(٢) وهو الشاعر الازهرى : الشيخ محمد الاسمر رحمه الله .

تعاليت تعاليت : آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك .

سبحانك .. سبحانك : بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك ، ماء وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصادح وباغم ، أنبت لنا من الأرض عجبا ، نخيل وأشجار وأزاهير وثمار .

رب .. من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ؟ وأشكالها المتباينة ؟ وألوانها المتغايرة ؟ من أين كل هذا يا رب ؟ سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع .

تبـــاركت : مخرج الخضراء من الغبراء . وخالق العجب من طين وماء .

سبحانك اللهم سبحانك : جلت عظمتك ، وتعالت قدرتك ، أعجزت الانسان بالجبال والنمال ، بل أعجزت الانسان بذات الانسان .

عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر . قلت للسان : ذق ، وهو لحمة فذاق . وقلت للعين : أبصرى ، وهى شحمة فأبصرت .

سبحانك اللهم : وهذا القلب الخافق بم يخفق ؟! أشـــهد أن لا اله الا أنت رب المشارق والمغارب والنجوم والكواكب ، تباعدت فهى منفصلة ، وتحاذيت فهى متصلة .

عجزت عقولنا عن الاحاطة ببعض ما خلقت ، فكيف تحيط بك ؟

سبحانك سبحانك : هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟

تباركت من اله صادق ، وتعاليت من رب حق » .

فكن شبيها بهذا الموحد اذا أردت أن تكون من أولى الألبـــاب **« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض »** ثم يقولون : **« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »**[1] .

❋ ❋ ❋

❋ وأحدث لكل ذنب توبة : وحسبك هذا الحديث الشريف الذى

(١) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان عبدا أصاب ذنبا فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فاغفره . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر ــ وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر ــ فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا آخر فاغفر لى . قال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا آخر ــ وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر ــ فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فاغفر لى . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فقال ربه : « غفرت لعبدى فليعمل ما شاء »[1] .

هذا اذا لم يكن مصرا على الذنب . أما اذا كان مصرا فان توبته تعتبر كاذبة ، وليس المراد بقوله تعالى : « فليعمل ما شاء » أن الله تعالى يبيح له الوقوع فى الذنب ، وانما كان هذا لأن الله علم من حال هذا الرجل أنه كلما أذنب تاب وأنه لا يصر على الذنب بل يقر به ويطلب غفرانه من الله ، فغفر له مغفرة مطلقة .

وهذا الحديث كما يقول أبو العباس فى « المبهم » : « يدل على عظم فائدة الاستغفار وكثرة فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه . ولكن هذا الاستغفار هو الذى يثبت معناه فى القلب مقارنا لتنحل به عقدة الاصرار ويحصل معه الندم لا من قال : أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية » .

فاذكر كل هذا بالاضافة الى هذه البشرى :

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب »[2] .

وفقنى الله واياك وهدانا سبل الرشاد .

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الأصبهانى وكذلك ابن عساكر والحكيم الترمذى عن أنس .

الجزء الثالث

الوصية الثالثة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال :

« يا معاذ .. والله انى لأحبك ثم أوصيك : يا معاذ .. لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول :
اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

(رواه ابو داوود والنسائى باسناد صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

أهلا لهذه الوصية العظيمة التى ما فاز بها سيدنا معاذ رضى الله عنه الا لأنه كان حبيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . مع ملاحظة أن هذا الدعاء الوارد فى هذه الوصية : من الأدعية الواردة فى ختام الصلاة .

وحتى تقف على أصح هذه الروايات الواردة فى هذا الموضوع اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال :
« اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »[1] .

وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله[2] الى الصلاة الأخرى »[3] .

---

(١) أخرجه السبعة الا البخارى وزاد مسلم : قال الوليد : فقلت للأوزاعى : كيف الاستغفار ؟ قال : يقول : استغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله .
(٢) اى فى حفظه وولايته .
(٣) أخرجه الطبرانى بسند حسن .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : « أمرنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أن أقرأ بالمعوذتين[١] دبر كل صلاة »[٢] .

يقول عقبة : بينما أسير مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الجحفة والأبواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ويقول : « يا عقبة .. تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما »[٣] .

* * *

ما ورد فى التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد عقب الصلاة

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال فى تمام المائة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »[٤] .

عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور[٥] بالدرجات العلا والنعيم المقيم . قال : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « تسبحون الله وتكبرون ، وتحمدون دبر[٦] كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

---

(١) وهما سورتا : الفلق والناس .
(٢) اخرجه احمد والثلاثة .
(٣) اخرجه ابو داوود والبيهقى .
(٤) اخرجه أحمد والشيخان وأبو داوود .
(٥) اى الأموال الكثيرة .
(٦) اى بعد كل صلاة .

سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

قال سمى : فحدثت بعض أهلى بهذا الحديث فقال : وهمت انما قال لك : « تسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعا وثلاثين » .

فرجعت الى أبى صالح فقلت له ذلك ، فأخذ بيدى فقال : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله . حتى يبلغ من جميعهن ثلاثا وثلاثين[١] .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« تكبر دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتختمها بلا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »[٢].

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاذا صليتم فقولوا : سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة ، والله أكبر أربعا وثلاثين ، ولا اله الا الله عشر مرات »[٣] .

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « خلتان[٤] من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة ، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل » قالوا : وما هما يا رسول الله ؟ قال : « أن تحمد الله وتكبره وتسبحه فى دبر كل صلاة مكتوبة عشرا عشرا ، واذا أتيت الى مضجعك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة ، فتلك خمسون ومئتان باللسان[٥] وألفان وخمسمائة فى الميزان ، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟

---

(١) اخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .
(٢) اخرجه احمد والشيخان وابو داوود .
(٣) اخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .
(٤) خصلتان حميدتان .
(٥) وهذا بالنسبة لجميع الصلوات المفروضة فى اليوم والليلة اى (٣٠ × ٥ + ١٠٠ × ١٠ الحسنة بعشر أمثالها) فى الميزان فيكون العدد (٢٥٠٠) .

قالوا : كيف من يعمل بها قليل ؟ قال : « يجىء أحدكم الشيطان فى صلاته فيذكره حاجة كذا وكذا فلا يقولها ، ويأتيه عند منامه فينومه فلا يقولها » قال : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدهن بيـــده[1] .

فمن هذه الروايات يتبين لك بوضوح أن التسبيح ، والتحميد ، والتكبير دبر كل صلاة وارد بأعداد مختلفة غير أن أقواها : رواية التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين . كما علم من هذه الروايات المتعددة والمختلفة أن مراعاة العدد المخصوص فى الأذكار عقب الصلوات معتبرة ، والمفروض أن لا يتعداها الذاكر والا حرم ثوابها ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد . وقد بالغ القرافى فقال : من البدع المكروهة الزيادة فى المندوبات المحدودة شرعا ، لأن شأن العظماء اذا حدوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده ، ويعد الخارج عنه مسيئا للأدب . وقد مثله بعضهم بالدواء يكون فيه مثلا أوقية من السكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفـــاع به ، ولو اقتصر على الأوقية فى الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع كما ورد جواز عد الذكر بالنوى والحصى ، وكذا بالسبحة اذ لا فارق ، فقد ورد فى حـــديث شريف : « نعم المذكر السبحة »[2] .

وعن أبى سعيد الخدرى : « أنه كان يسبح بالحصى »[3] .
وعن أبى هريرة : « أنه كان معه كيس فيه حصى أو نوى فيسبح به حتى ينفد »[4] ومحل جواز السبحة للذكر ما لم يترتب عليه رياء وسمعة والا منع كما يمنع وضعها فى العنق وادارتها فى اليد من غير ذكر كما يفعل بعض الجهلة المرائين الدجالين .

ولهذا قال بعض العلماء : السبحة : « اما مسبحة ، أو مروحة ، أو مشبحة ، أو مقبحة » .

فلاحظ هذا المعنى ، وتعمق فى فهمه ، مع ملاحظة : أن التسبيح

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٢) اخرجه الديلمى فى مسند « الفردوس » عن على رضى الله عنه . والسبحة : خرزات منظومة للتسبيح .
(٣) اخرجه ابن ابى شيبة . (٤) اخرجه ابن ابى شيبة .

على الأنامل[1] أفضل كما ورد فى حديث ابن عمرو ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه[2] .

* * *

خلاصة ختام الصلاة

يسن للمصلى اذا سلم من صلاته ، وقبل أن يصافح أحدا : أن يستغفر الله ثلاثا ، ثم يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، اللهم أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » .

ثم يقرأ آية الكرسى[3] ، وقل هو الله أحد[4] والمعوذتين[5] ثم يقول : سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ثم يختم المائة بقوله : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

ثم بعد ذلك يدعو بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة .

* * *

ولما كان الدعاء بالمأثور أحب وأفضل فقد رأيت اتماما لهذا الخير أن أسوق اليك بعض هذه الأدعية المأثورة :

كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة :

« اللهم انى أعوذ بك من البخل[6] ، وأعوذ بك من الجبن[7] ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر »[8] .

كما ورد فى حديث مسلم بن أبى بكرة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة :

---

(١) أى/عقل الأصابع .
(٢) اخرجه ابو داوود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه .
(٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) سورة الاخلاص .
(٥) سورتى الفلق والناس .
(٦ ، ٧) البخل : هو الشح بالمال ، الجبن : هو الشح بالنفس .
(٨) اخرجه البخارى والترمذى وصححه .

« اللهم عافنى فى بصرى ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، لا اله الا أنت »[١] •

كما ورد فى حديث على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقـدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت »[٢] •

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وقبل ختام الصلاة الذى وقفت عليه : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » عشر مرات •

كما ورد فى حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال اذا صلى الصبح : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كن كعدل[٣] أربع رقاب ، وكتب له بهن عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له بهن عشر درجات وكن له حرسا من الشيطان حتى يمسى • واذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك »[٤] •

وفى حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال دبر كل صلاة الغداة[٥] : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير مائة مرة قبل أن يثنى رجليه[٦] كان يومئذ من أفضل أهل الأرض عملا الا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال »[٧] •

وأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فانك ان مت من

---

(١) اخرجه ابو داوود والحاكم وصححه السيوطى •

(٢) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه الترمذى •

(٣) اى مثل عتق اربع رقاب من العبيد •

(٤) أخرجه أحمد •　　(٥) اى صلاة الصبح •

(٦) اى وهو على هيئة التشهد فى الصلاة •

(٧) اخرجه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » •

يومك ذلك كتب الله لك جوارا من النار ، واذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم : اللهم انى أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فانك ان مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار »[١] .

* * *

فاحرص على ختام الصلاة حتى تفوز بهذه الجوائز الربانية ، وتكفر عن كل ما حدث فى صلاتك من وساوس شيطانية .

واياك أن ترفع صوتك أثناء ختامك للصلاة حتى لا تكون مخالفا للسنة ، هذا بالاضافة الى التشويش على مأموم مسبوق قام بعد تسليم الامام لاتمام صلاته[٢] باتيان ما فاته من ركعات .

اللهم اذا كنت اماما وتريد تعليم المأمومين ختام الصلاة الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مانع حينئذ من رفع صوتك للتعليم[٣] دون ضجيج أو تهريج .

* * *

ثم بعد ذلك وبعد أن وقفت على أهم ما ورد بالنسبة لختام الصلاة اليك هذا المعنى الذى تحتوى عليه كلمة : « اللهم أعنى » وخلاصته : أن الدنيا كثيرا ما تكون سببا فى انشغال الانسان عن ربه وكثيرا ما تكون سببا فى ضياعه وهلاكه ، ولهذا : كان من الحكمة أن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته حتى نكون فى حصانة من فتنتها وكيدها .

وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه عندما قال له : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار .. قال : « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه »[٤] .

فافهم هذا المعنى وسل الله أن يعينك على ذكره حتى لا تكون من أهل الغفلة الذين **« نسوا الله فأنساهم أنفسهم »**[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى بسند جيد وابن ماجه وابن حبان وصححه .

(٢) التشويش على مثل هذا حرام لانك قد تفسد عليه صلاته بسبب رفع صوتك .

(٣) على أن لا يستمر هذا الفعل كما يحدث الآن من المبتدعين .

(٤) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٥) الحشر : ١٩

وحتى يكون الشيطان بعيدا عنك ، فقد قال الله تعالى : **« ومن يعش[١] عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »[٢]** .
مع ملاحظة أن الذكر فى اللغة ضد النسيان ، وأنه لا يكون فقط باللسان وانما يجب أن يكون بجميع الجوارح ، ولهذا قال العلماء : ذكر القلب : الخوف والرجاء ، وذكر اللسان : المدح والثناء ، وذكر البدن : الوفاء ، وذكر الروح : التسليم والرضا .

واعلم أن قراءة القرآن ذكر . وهو أفضل الأذكار .. والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ذكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر ، ومدارسة العلوم الدينية والتفقه فيها ذكر ، وكل ما يوصلك الى الله تعالى فهو ذكر .

* * *

فكن من الذاكرين لله سبحانه وتعالى بكل جوارحك حتى تكون من الذين : **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[٣]** وحسبك هذا الشرف الذى أشار الله تعالى اليه فى حديث قدسى قال فيه : « ... فاذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم »[٤] وهم الملائكة الذين فازوا بشرف القرب منه سبحانه ، ثم حسبك كذلك أن تعلم أن الذكر هو طب القلوب ودواؤها . وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها : به تطمئن القلوب ، وتنفرج الكروب ، وتغفر الخطايا والذنوب . ولهذا أمر الله تعالى به وحث عليه ، ورغب فيه ومدح أهله فقال تعالى : **« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[٥]** .

وقال : **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[٦]** .

* * *

أما الشكر : فهو الاقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به عليك ، وهو أيضا : الثناء على المحسن بذكر احسانه ، وهو : زيادة فى النعم ، وأمان من النقم فاذا كان الله تعالى قد أنعم عليك .. وما أكثر هذه النعم التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله : **« وان تعدوا نعمة**

---

(١) أى يغفل . (٢) الزخرف : ٣٦
(٣) الأحزاب : ٣٥
(٤) من حديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٥) الرعد : ٢٨ (٦) الأحزاب: ٣٥

الله لا تحصـــوها »[1] وقـــوله : « **وما بكم من نعمـــة فمن الله »**[2]
ولا سيما نعمة الايمان والاسلام ونعمة الصحة والعافية ، ونعمة الغنى
عن الناس .. الخ ، فكل هذه النعم التى لا حصر لها تحتاج منا شكرا
للمنعم سبحانه الذى يقول :

« **وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »**[3] .

« **وترى الفـــلك مواخر فيه ولتبتغـــوا من فضـــله ولعلـــكم تشكرون »**[4] .

« **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »**[5] .

« **ومن يشـــكر فانمـــا يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميـــد »**[6] .

« **لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »**[7] .

فتأمل هذه الآيات : « **وكن من الشاكرين »**[8] .

مع ملاحظة أن شكرك من أجرى الله الخير على يديه يعتبر شكرا لله سبحانه وتعالى كما ورد فى الحديث القدسى الذى يقول فيه سبحانه : « عبدى .. اذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى » وفى الحديث الشريف : « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس »[9] وفى حديث آخر : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »[10] .

فلا تنس كل هذا ونفذه تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : « **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »**[11] .

واعلم : أن الشكر كما يكون بالقلب واللسان يكون بجميع الجوارح : فشكر اليدين العطاء ، وشكر العينين أن تستر عيب أخيك المسلم وأن لا تنظر الى ما لا يحل ، وشكر الأذنين أن لا تسمع ما لا يحل ، وذكر القلب أن تعمل على تطهيره من الأحقاد والأدران .

ثم تأمل معى معانى هذه الآثار : دخل سفيان الثورى رحمه الله

---

(١) النحل : ١٨ (٢) النحل : ٥٣
(٣) الأنفال : ٢٦ (٤) النحل : ١٤
(٥) النحل : ٧٨ (٦) لقمان : ١٢
(٧) ابراهيم : ٧ (٨) الزمر : ٦٦
(٩) رواه أحمد بسند رواته ثقات .
(١٠) صححه الترمذى وغيره . (١١) البقرة : ١٥٢

على جعفر الصادق رضى الله عنه وقال له : علمنى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علمك الله فقال له :

اذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، واذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، واذا تظاهرت الغموم ، فقل : « لا حول ولا قوة الا بالله » فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث وأى ثلاث .

وقال بعض العارفين : من أعطى أربعا لم يمنع من أربع : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** »[١] ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده** »[٢] ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » .

كما ورد أن داوود عليه السلام ، قال : « الهى .. كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله اليه : الآن شكرتنى » .

ثم تأمل قول القائل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة — وان طالت الأيام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها — وان مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منهما الا له فيه نعمة — تضيق بها الأوهام والسر والجهر

و القائل :

لئن شكرتم لأزيدنكم — مقالة الله التى قالها
فالكفر بالنعمة يدعو الى — زوالها والشكر أبقى لها

* * *

وأما حسن العمل فهو اتقانه واتمامه حتى يكون فى درجة الكمال الذى يحبه الله سبحانه وتعالى الذى يقول : « **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** »[٣] .

فكن من هؤلاء الذين أحسنوا حتى تكون معهم فى جنة الخلد التى لا دوام للنعيم الا فيها . ولا تكن من الذين : « ... خرجوا من الدنيا

---

(١) ابراهيم : ٧
(٢) الشورى : ٢٥
(٣) يونس : ٢٦

ولا حسنة لهم ، يقولون : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » كما ورد فى الحديث الصحيح .

وليكن أهم شىء تحرص على اتمامه واتقانه هو الصلاة ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »(١) .

كما ورد : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » ، قالوا : يا رسول الله .. وكيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها — أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود — »(٢) .

كما ورد عن أبى عبد الله الأشعرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »(٣) .

كما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وسجودها ، خرجت وهى بيضاء مسفرة(٤) تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق(٥) ثم ضرب بها وجهه »(٦) .

* * *

(١) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد لا بأس به .
(٢) رواه احمد والحاكم عن أبى قتادة رضى الله عنه .
(٣) رواه الطبرانى فى « الكبيرين » .
(٤) من سفر الصبح اى أضاء (أى مضيئة) .
(٥) أى البالى القديم .
(٦) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

فلاحظ كل هذا ، وكذلك بالنسبة لسائر العبادات والأعمال الشريفة المشروعة ، فقد ورد أيضا فى الحديث الشريف : عن أبى يعلى شداد ابن أوس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة[١] واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة[٢] وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[٣] .

وسل الله سبحانه وتعالى دائما وأبدا أن يسدد خطاك ويوفقك ويعينك على ذكره وشكره ، وحسن عبادته حتى تكون من الناجحين فى الدارين فتفوز **« ... فوزا عظيما »**[٤] .

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »[٥] .

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »[٦] .

« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »[٧] .

« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله »[٨] .

« يوم يقوم الناس لرب العالمين »[٩] .

* * *

وتذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« وكل انسان ألزمناه طائره[١٠] فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[١١] .

* * *

---

(١) القتلة بكسر القاف هيئة القتل ، اى : لا تعذبوا القتيل بالتمثيل به .

(٢) الذبحة بالكسر هيئة الذبح اى لا تعذبوا ما تذبحون من الحيوانات والطيور .

(٣) رواه مسلم .

(٤) النساء : ٧٣

(٥) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

(٦) النبا : ٤٠

(٧) عبس : ٣٤ — ٣٧

(٨) الانفطار : ١٩

(٩) المطففين : ٦

(١٠) اى عمله .

(١١) الاسراء : ١٣ ، ١٤

الوصية الرابعة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : يا رسول الله ..
أوصنى . قال :
« اعبد الله كانك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله ... »
قال : هذا ، وأشار بيده الى لسانه » .

(رواه ابن أبى الدنيا باسناد جيد)

* * *

فكن أخا الاسلام :
متعمقا فى فهم هذه الوصية التى جمعت فأوعت ، والتى يوصيك الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ــ فى شخص معاذ رضى الله عنه ــ بعدة أمور هامة وأساسية :

* أولها : أن تعبد الله كأنك تراه : وهذه الأولى هى أهم عنصر فى الوصية ، بل : وفى بناء العقيدة الاسلامية الراسخة ، وخلاصة هذه الأولى : أن تراقب الله سبحانه وتعالى فى جميع أعمالك الدنيوية والأخروية حتى يتحقق الاحسان الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم فى اجابته عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »[1] .
وهذا هو مقام المشاهدة الذى لا يصل اليه ولا يفوز به الا كل صديق .

وبيان ذلك وايضاحه كما قال العلماء : أن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات :

الأول : أن يفعلها على الوجه الذى يسقط معه الطلب وذلك بأن تكون مستوفية للشروط والأركان .

الثانى : أن يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحار المكاشفة حتى كأنه

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

يرى الله تعالى ، وهذا هو مقامه صلى الله عليه وسلم كما جاء فى قوله :
« وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

الثالث : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله يشاهده ، وهذا هو مقام المراقبة :

فقوله : « فان لم تكن تراه » نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة ، أى ان لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده سبحانه وأنت تعتقد أنه يراك ، فكل هذه المقامات الثلاثة احسان .

* * *

فلاحظ كل هذا مع حرصك على أن تنال شرف العبودية لله رب العالمين . وحسبك شرفا بها أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال عن حبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه فى ليلة الاسراء : **« سبحان الذى أسرى بعبده ... »**[١] ، كما قال فى مقام الوحى : **« فأوحى الى عبده ... »**[٢] وفى مقام التبليغ : **« وأنه لما قام عبد الله يدعوه »**[٣] .

فتأمل هذا المعنى الكبير حتى تقول متباهيا مع العبد الفخور بعبوديته لله :

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك : يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

واعلم : أنك بمراقبتك لله تعالى ستصل الى درجة العارفين به : التى ان وصلت اليها كنت من أسعد السعداء فى الدنيا والآخرة ، وحسبك قول القائل : الذى ذاق وعرف[٤] :

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقى

هذا بالاضافة الى أنك ستصل معهم الى بر الأمان فى سفينة الايمان ، تحت راية الاحسان ، كما ورد فى الأثر الذى يقول :

« العلم نهر ، والحكمة بحر ، فالعلماء حول النهر يطوفون ، والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون » .

* * *

وحتى تعرف من هو العارف بالله : اليك هذه الصورة الحية التى

---

(١) الاسراء : ١
(٢) النجم : ١٠
(٣) الجن : ١٩
(٤) فمن ذاق عرف .

ستري من خلالها أن المعرفة من أهم أسباب الرقي والوصول الى الله تعالى : وخلاصة هذه الصورة الفريدة أن معاوية رحمه الله بعد استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال لضرار الصدائي ــ وقد كان من أحباب علي ــ : يا ضرار .. صف لي عليا . قال : أعفني يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنه ، قال : أما اذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة[١] طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا : لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم[٢] ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري ، الي تعرضت ؟ أم الي تشوفت ، هيهات هيهات .. قد باينتك[٣] ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك[٤] حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حجرها » .

فهذه الصورة الحية يا أخي تريك بوضوح كيف (لعبت) المعرفة في حياة علي رضي الله عنه دورا كبيرا حتى أصبح بطلا من أبطال الاسلام وعلما من أعلامه ، وحتى أصبح أهلا لمصاهرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي زوجه ابنته الزهراء التي كان يحبها حبا جما لدرجة أنه كان يقول لها مرحبا : « مرحبا بأم أبيها » .

فاذا أردت يا أخي أن تكون من العارفين بالله فاليك هذا التعريف حتى تكون منهم عملا لا قولا : « العارف بالله : من اذا ذكر الله افتخر ، واذا ذكر نفسه احتقر ، واذا نظر في آيات الله اعتبر ، واذا هم بمعصية ،

---

(١) أي الدموع .　　(٢) السليم : اللديغ .
(٣) أي طلقتك طلاقا لا رجعة بعده .　　(٤) الخطر : هو القدر والمنزلة .

أو شهوة انزجر ، واذا ذكر ذنوبه استغفر ، واذا ذكر عفو الله استبشر » •

فكن من هؤلاء العارفين الذين انتفعوا وكانوا هداة مهديين ببركة المراقبة لله فى الظاهر والباطن حتى أصبحت الدنيا طوع اراداتهم وتحت تصرفهم ، ودانت لهم الأمم ، وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما •

* * *

فلتكن من هؤلاء أو على الأقل شبيها بهم ، وتأمل قول القائل :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فـلاح

* * *

وليكن تركيزك فى ميدان المراقبة على الصلاة لأنها مركز الاشعاع وجامعة الأركان التى تحمل بناء الاسلام •

ولعلك تلاحظ هذا وأنت تصلى : فأنت تحقق الركن الأول وأنت تقول فى التشهد : « أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسـوله » •

وتحقق الركن الثانى : وهو الصلاة وأنت تقف بين يدى الله تعالى مؤديا هذه الفريضة •

وتحقق الركن الثالث : وهو الزكاة وأنت تؤدى زكاة جسـدك بركوعك وسجودك ، وكذلك زكاة وقتك •

وتحقق الركن الرابع : وهو الصيام بامتناعك عن الطعام والشراب وأنت فى الصلاة والا بطلت •

وتحقق الركن الخامس : وهو الحج وأنت تتجه الى الكعبة فى صلاتك فتكون مشوقا لرؤيتها والطواف حولها •

فهذه هى أركان الاسلام التى وردت فى قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[١] ولهذا كانت الصلاة عماد الدين أو عمود الدين كما ورد فى الحديث الشريف •

* * *

وقد اتفق العلماء على أنه يطلب من المصلى أن يكون خاشـعا خاضعا مستحضرا عظمة الله تعالى وهيبته حتى يتحقق الخشوع الذى

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

أشار الله اليه فى قوله : « **قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشـــعون** »[١] ذلك لأن الخشوع فى الصلاة كالروح بالنسبة للجسد •
وهو قسمان : ظاهرى ، وباطنى :
فالظاهرى : ســكون الجوارح عن العبث وجعل بصره موضع سجوده •
والباطنى : خوف القلب وخضوعه ورقته وسـكونه وحفظه عن الاشتغال بغير ما هو فيه من التأمل فى معانى القرآن ، فينشأ عنه سكون الجوارح ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى العابث بلحيته : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[٢] ومن أجل ذلك فقد عد الامام الغزالى الخشوع من أركان الصلاة •

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع : أن زين العابدين رضى الله عنه كان اذا توضأ وتهيأ للصلاة ظهر الخوف والوجل على وجهه ، وعندما كانوا يسألونه : لمـــاذا يحدث لك هذا ؟ كان يقول لهم : أما تدرون أمام من سأقف ؟!

كما روى أن عصام بن يوسف رحمه الله مر بحاتم الأصم وهو يتكلم فى مجلسه فقال : يا حاتم •• تحسن تصلى ؟ قال : نعم • قال : كيف تصلى ؟ قال : أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأختمها بالاخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد الى الموت • قال : تكلم •• فأنت تحسن تصلى •

* * *

كما روى أن رجلا من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه ــ لأنه كان مريضا بمرض خبيث ــ فقال لهم : ان كان ولابد فاقطعوها وأنا فى الصلاة ، وفعلا قطعوها وهو ساجد فلم يشعر بالألم ، وذلك لأنه كان مع الله بكل جوارحه •
أما فى زماننا هذا فكما تعلم لو مرت نملة على أقدامنا فاننا نشعر

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢
(٢) أخرجه الحكيم الترمذى عن أبى هريرة .

بها ، هـذا بالاضافة الى الوساوس والأفكار الدنيوية التى يحرص الشيطان على تجميعها ونحن فى الصلاة حتى لا نخرج بالثمرة المرجوة منها وهى البعد عن الفحشاء والمنكر ، ولهذا ترانا نخرج من الصلاة وكأننا لم نكن فيها ، لأنها لم تقبل ، ولو قبلت لنهتنا عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله تعـالى هذا فى قوله : « **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنـكر** »[1] .

فاذا كان هناك من يحتج بهذه الآية قائلا : ان الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر بدليل أن بعض هؤلاء المصلين يخرجون من الصلاة لكى يعودوا الى الفحشاء والمنكر كما نرى فى هذا الزمان المريض فاننا نقول له : صدق الله وكذبت صلاتهم ، لأنه لو صدقت صلاتهم بهذا المعنىمن مفهوم لنهتهم عن الفحشاء والمنكر كما قال رب العالمين .

فلا تنس كل هذا يا أخا الاسلام وكن من الصادقين مع الله فى كل حركاتك وسكناتك حتى تكون قريبا منه وسعيدا به .

وحتى تكون من الرجال الذين قال الله تعـالى فى وصفهم : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب** »[2] .

* * *

* وثانيها : « واعدد نفسك فى الموتى » :

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الكبير فى حديث صحيح قال فيه لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[3] .

ولهذاكان ابن عمر يقول بعد هذا واعظا لغيره : « اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك »[4] .

وهذا هو المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلفت القلوب اليه حتى لا يكون هناك مكان للدنيا فيها : تلك الدنيا

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) النور : ٣٧ ، ٣٨

(٣ ، ٤) جزء من حديث صحيح رواه البخارى .

التى قال الله سبحانه وتعالى فى وصفها : « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار[١] نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغـــرور** »[٢] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعمل دائما على التحقير من شـــأنها كما ورد فى حـــديث رواه جابر رضى الله عنه فيقول : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق والناس كنفتيه[٣] فمر بجدى أسك[٤] ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هـــذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت . فقال : والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم »[٥] .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ان الله عز وجل ليحمى عبده المؤمن الدنيا ، وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعـــام والشراب »[٦] ولهذا أيضا رفضها المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ورد فى حديث شريف قال فيه : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . فقلت : لا يا رب .. ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، ــ أو قال : ثلاثا . أو نحو هذا ــ فاذا جعت : تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت : شكرتك ، وحمدتك »[٧] .

وحسبك فى النهاية ما قاله عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لرجل من فقراء المهاجرين يشكو له الفقر : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما ؟ قال : فأنت من الملوك[٨] .

ثم حسبك أيضا هذا الحديث الشريف : « طوبى لمن هدى الى

---

(١) المراد بالكفار هنا فى هذه الآية : الزراع .
(٢) الحديد : ٢٠ . (٣) أى عن يمينه وشماله .
(٤) والمراد أنه ليس فيه ما يرغب فيه ، أسك : أى صغير الأذن .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٨) رواه مسلم موقوفا .

الاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع »[1] • وهذا الحديث : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه »[2] •

* * *

ومن النماذج الحية التى أرجو أن تنتفع بها ـ كما انتفعت ـ هذا الأثر الذى يحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس ذات يوم بين أصحابه فى جلسة نورانية أراد أن يخرج منها هؤلاء الأصحاب الفضلاء بدرس مفيد يستنيرون به فى طريق الحق تبارك وتعالى حتى يصلوا اليه •

وبطريقة تربوية رائدة نظر صلوات الله وسلامه عليه الى صاحبه الصديق رضى الله عنه ثم قال له :

« أتحب من الدنيا شيئا يا أبا بكر » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هى ؟ قال : نظرى اليك ، وجلوسى بين يديك ، وانفاق مالى عليك •

ثم نظر الى عمر رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عمر •• أتحب من الدنيا شيئا » •

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هى ؟ قال : أمر بمعروف ولو كان سرا ، ونهى عن منكر ولو كان جهرا ، وقول الحق ولو كان مرا •

ثم نظر الى عثمان رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عثمان •• أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هى ؟ قال : اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، وركعات بالليل والناس نيام •

ثم نظر الى على رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا على •• أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هى ؟ قال : اكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، وضرب أعناق المشركين بالسيف •

ثم بعد ذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم معلقا :

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

« وأنا أحب من دنياكم ثلاثا : الطيب ، والنساء[١] ، وجعلت قرة عينى فى الصـــلاة » •

كماروى أن جبريل عليه السلام هبط بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : « ربك يقرئك السلام ويقول لك : انه يحب ثلاثا : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وجسد على البلاء صابر » •

كما قال جبريل عليه السلام بعد هذا : « وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، والمساكين » •

* * *

وعنـــدما علم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم بهذه الثلاثيات المباركات ، قال أبو حنيفة : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تحصيل العلم فى طول الليالى ، وترك الترفع والتعالى ، وقلب من حب الدنيا خالى •

وقال الامام مالك : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : مجاورة روضته صلى الله عليه وسلم ، وملازمة تربته[٢] ، واحترام أهل بيته[٣] •

وقال الشـــافعى : وأنا أحب من الدنيـــا ثلاثا : عشرة الخلق بالتلطف[٤] ، وترك ما يؤدى الى التكلف[٥] ، والاقتـــداء بطـــريق التصـــوف[٦] •

وقال ابن حنبل : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : متابعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أخبـــاره ، والتبرك بأنواره ، والســـلوك فى طريق آثاره •

---

(١) ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب نساء الغير كما يزعم اعداء الاسلام ــ قاتلهم الله ــ وانما كان يحب نساءه هو ، لكى يكون قدوة لاصحابه فى احترام المراة الصالحة لأن بعضهم كان يحتقر المراة وكان ينظر اليها على أنها جارية ، أو على انها سلعة تباع وتشترى ، ولهذا كانوا يقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

(٢) أىَ التراب الذىَ كان يسير عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٣) عليهم رضوان الله .　　(٤) أىَ باللين .

(٥) أىَ ما يزيد عن حده حتى لا ينقلب الى ضده .

(٦) التصوفَ الذىَ يعنيه الشافعى عليه رضوان الله هو الذىَ يتفق مع الكتاب والسنة والخالى من البدع أو الدجلَ وهو ايضا الصفاء .

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى　　صافٍ فصوفىَ حتى سمى الصوفىَ

فكن منتفعا بهذه النماذج المضيئة واحرص على كل لحظة من لحظات حياتك حتى لا تندم عليها يوم لا ينفع الندم •

ولا تلهو بدار أنت فيها تفارق منك يوما ما لهوتا
وتطعمك الطعام وعن قريب ستطعم منك يوما ما طعمتا

و :

لا ترجو البقاء بدار لا بقاء لها وهل سمعت بظل غير منتقل

وتأمل معى ما قاله على رضى الله عنه : اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها •

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، وكل ما فيها الى زوال ، وهى بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ، ولن يسلم من شر نزالها •

وما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى خطبة له :

« أيها الناس •• انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شىء ، وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وانما يكون الأمان غدا لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب » •

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس •• ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله تعالى قاض عليه فيه • فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار »[1] •

وحسبى بعد هذا العرض الموجز لهذه النقاط الأساسية أن أقرأ

---

(١) ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » .

معك هذه الموعظة التى تضع النقط على الحروف والتى تأثرت بها كثيرا :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم — وقد كان من العلماء العاملين — : ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم آخرتكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : فما قدومنا على الدار الآخرة ؟

قال : يختلف باختلاف العبيد ، فالعارف بالله المخلص لمولاه ، يكون قدومه على الدار الآخرة كقدوم الطفل الوحيد على أمه يعود اليها بعد طول غياب ، وأما المفرط فى حب الله ، يكون قدومه على الدار الآخرة كما يقدم العبد الآبق[1] من سيده يجىء اليه وهو موثق بالأغلال .

قال سليمان : فما لنا عند الله ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله . قال : فى أى موضع أصيب ذلك ؟

قال : اقرأ قوله تعالى : **« ان الأبرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم »**[2] .

قال سليمان : « يا أبا حازم .. أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ هذا المال ، فقال أبو حازم : مالى خير من مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله » .

ثم اليك بعد ذلك هذا النداء :

ألا أيها الناسى ليوم رحيله ... أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوى بالظاعنين الى البلى ... وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة ... وما عمروا من منزل ظل خاويا
وهم فى بطون الأرض صرعى جفا ... هموا صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غدا أو بعده فى جوارهم ... وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا
جفاك الذى قد كنت ترجو وداده ... ولم تر انسانا لعهدك وافيا
فكن مستعدا للحمام[3] فانه ... قريب ودع منك المنى والأمانيا

---

(١) اى الهارب .
(٢) الانفطار : ١٣ ، ١٤
(٣) الحمام — بكسر الحاء : هو الموت .

وهذا النداء :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسرورا

وضع نصب عينيك دائما وأبدا قول الله تعالى : **« كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »**[1] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »[2] .

وثالثها وأهمها تركيزا : قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه بعد أن أوصاه بالأولى والثانية :

* (وان شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله ؟ قال : هذا .. ـ وأشار بيده الى لسانه ـ) :

وذلك لأن اللسان هو أخطر عضو في الجسد ولهذا جعله الله تعالى داخل قفصين من العظم واللحم[3] .

ولهذا أيضا كان أفضل المسلمين : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[4] كما أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أفضلهم ، وهذا هو السر في أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول : « طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته »[5] ويقول : « من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه[6] دخل الجنة »[7] أي بغير عذاب ، أو مع السابقين ، لأن معظم الذنوب انما تصدر عن الفرج واللسان .

وحسبي في هذا العرض الموجز والمركز أن أسوق اليك هذا الحديث

---

(١) آل عمران : ١٨٥

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أنس وقال شارح الجامع : اسناده صحيح .

(٣) الأسنان والشفتان .

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » و « الصغير » باسناد حسن .

(٦) يعني لسانه وفرجه .

(٧) رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه .

الشريف الذى يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه فيقول : قلت يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : « لقد سألت عن عظيم .. وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه :

تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير[1] ؟ الصوم جنة[2] والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**»[3] .

ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » .

ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه وقال : « كف عليك هذا » . قلت : يا نبى الله .. وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك[4] وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ــ أو قال : على مناخرهم ــ الا حصائد ألسنتهم »[5] .

فلاحظ هذا المعنى الأخير : « والزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤنة الاعتذار » :

« واعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها »[6] .

ففى الحديث الشريف : « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله »[7] .

---

(١) وفى رواية اخرى : « الا ادلك على ابواب الجنة » .

(٢) اى وقاية . (٣) السجدة : ١٦ ، ١٧

(٤) اى فقدتك امك وتلك مداعبة من الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل على عادة العرب .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) من اقوال الحكماء .

(٧) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حديث غريب .

وفى حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[١] .

واعلم : أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بهـا ولا يخلو من النقص الا بعد أن يستوفيها ، وهى أربعة :

الشرط الأول : أن يكون الكلام لداع يدعو اليه ، اما فى اجتلاب نفع ، أو دفع ضرر .

الشرطالثانى : أن يأتى به فى موضعه ويتوخى به اصابة فرصته .

الشرط الثالث : أن يقتصر منه على قدر حاجته .

الشرط الرابع : أن يتخير اللفظ الذى يتكلم به .

فان لم تجد قولا سديدا تقوله   فصمتك عن غير السداد سداد

وفى ذلك يقول العلماء : ينبغى على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة ، فالسنة الامساك عنه لأنه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه . بل هذا كثير وغالب فى العادة .

ومن كلام الامام الشافعى رضى الله عنه : « اذا أراد ـ الانسان ـ أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه ، فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر » .

* * *

فاذكر كل هذا واياك وقبيح الكلام فانه ينفر عنك الكرام ويغرى عليك اللئام .

وتأمل قول سيدنا على رضى الله عنه : « المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر » .

وقوله : « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه » .

وقول القائل :

وصمتك خير من اثارة فتنة   فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل

ولا تك فى ذم الأخـلاء مفرطا   وان أنت أبغضت الصديق فأجمل

فانك لا تدرى متى أنت مبغض   حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقـل

القـائل :

فان أنت عبت الناس عابوا وأكثروا   عليك وأبدوا منك ما كان يستر

اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم   فلا عيب الا دون ما منك يذكر

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوبا ولكن الذى فيك أكثر

والقائل :

معيب على الانسان ينسى عيوبه ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

والقائل :

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا فيكشف الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

والقائل :

ان رمت فى الحشر تنجو من حر نار الجحيم

وتستعز بنصر من العزيز الرحيم

فصن لسانك واردد عن عرض خل كريم

ذا لعمرك كاف طوبى[1] لقلب سليم

واحذر كذلك أن تغتاب انسانا بمعنى أن تذكره بما يكره .

فقد ورد فى الحديث الشريف : « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته[2] »[3] .

مع ملاحظة أن الغيبة كما تكون باللسان تكون كذلك بالكناية والاشارة اليه بالعين أو اليد ، والضابط أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة .

وفى سنن أبى داوود عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ــ قال بعض الرواة : يعنى قصيرة ــ فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ... »[4] .

وفى حديث آخر : « مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون

---

(١) طوبى لهم : اى الحسنى لهم والخير لهم . وقيل : اسم شجرة فى الجنة .

(٢) اى افتريت عليه بالكذب وقذفته بالباطل .

(٣) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وجوههم بأظافرهم ، قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم »[١] .

وفى رواية أخرى : « ليلة أسرى بى مررت فى السماء الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم : كلوا ما كنتم تأكلون من لحم اخوانكم . قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون[٢] من أمتك اللمازون »[٣] .

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع من آثار : عن خالد الربعى قال : كنت فى المسجد الجامع فاغتابوا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا فى غيره ثم عادوا اليه ، فدخلت معهم فى شىء من أمره فرأيت تلك الليلة رجلا أسود وطويلا ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لى : كل . فقلت والله لا آكل لحم الخنزير . فانتهرنى انتهارا شديدا وقال : قد أكلت ما هو شر منه فجعل يدسه فى فمى حتى استيقظت ، فوالله قد مكثت أربعين يوما ما أكلت طعاما الا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه فى فمى .

وعن حاتم الزاهد قال : ثلاثة اذا كن فى مجلس فالرحمة عنهم مصروفة : ذكر الدنيا ، والضحك ، والوقيعة فى الناس .

وذكر عن ابراهيم بن أدهم : أنه دعى الى طعام فلما جلس قالوا : ان فلانا لم يجىء فقال بعضهم : انه رجل ثقيل فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وقال : انما فعل هذا فى بطنى حيث شهدت طعاما اغتبت فيه المؤمن .

وروى عن الحسن البصرى : بلغه أن رجلا اغتابه فبعث اليه طبقا من رطب وقال له : بلغنى أنك أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك بهذا فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .

وروى عن عيسى عليه السلام : أنه رأى ابليس لعنه الله فى احدى يديه عسل وفى الأخرى رماد ، فسأله عن ذلك فقال : أجعل العسل فى أفواه المغتابين والرماد فى وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيرا .

هذا وقد ذكر العلماء : أن الغيبة تبـاح فى ستة مواضع نظمها

---

(١) رواه أبو داوود . (٢) الهماز : الذى يعيبك بالغيب .
(٣) اللماز : الذى يعيبك فى وجهك .

الجوهرى فى قوله :

لست غيبة جوز وخذها منظمة كأمثال الجواهر
تظلم ، واستعن ، واستفت ، حذر وعرف ، واذكرن فسق المجاهر

واذا أردت ايضاحاً ، فالموضوع الأول : وهو التظلم ، أن يقول المظلوم لمن له قدرة على انصافه ممن ظلمه : ظلمنى فلان بكذا وكذا ، ولا يزيد على الحاجة •

والثانى : الاستعانة على تغيير المنكر : فتقول لمن له قدرة على ازالته : فلان يفعل المنكر ، كشرب الخمر • وتقصد بذلك أن يعينك على ازالته ، فان لم تقصد ذلك كان حراما •

والثالث : الاستفتاء فتقول للمفتى : ظلمنى فلان بكذا ، فهل له ذلك أو لا ؟

والرابع : التحذير : أى تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم من وجوه ، منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز بل واجب للحاجة ، ومنها المشاورة فى مصاهرة انسان أو مشاركته أو معاملته ، ويجب على المستشار أن لا يخفى شيئا من العيوب التى فيه بل يذكرها بنية النصيحة ، ومنها أن يكون الشخص فى ولاية لا يقوم بها لعدم صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولى من يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة •

والخامس : التعريف : فاذا كان الانسان معروفا بلقب : كالأعمش والأعرج ، جاز التعريف بذلك ويحرم ذكره على وجه التنقيص •

والسادس : أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر أو أخذ (الرشوة) أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو ترك الصلاة • وفى الحديث : « اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذر الناس منه » •

فاذكر كل هذا مع ملاحظة أن سامع الغيبة : كالمغتاب تماما — اذا لم يعترض ويعلن غضبه واستنكاره — فقد ورد فى حديث شريف : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » •

كما روى أن الامام الشافعى رضى الله عنه سمع رجلا يتكلم فى رجل من أهل العلم فقال لأصحابه : « نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل ، فان السفيه ينظر الى أخبث شىء فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى أوعيتكم » •

وسمعك صن عن سماع الخنا(١)   كصون اللســـان عن النطق به
فانك عنـــد ســـماع الخنـــا   شريك لقـــائله فانتبـــه

* * *

ولا تنس قوله تعالى فى كتابه العزيز :

« ... ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم »(٢) .

* * *

واحذر أن تكون من الذين يوسوسون فى صدور الناس بهذه المفتريات التى يريدون بها الايقاع بين الأحبة .

وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « ألا أخبركم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت » .

وقوله : « أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه فى النار يوم القيامة » .

وقوله : « من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار يغلى منهما دماغه » .

* * *

ثم اليك أيضا هذه الآثار : يقول المـأمون رحمه الله : النميمة لا تقرب مودة الا أفســدتها ، ولا عداوة الا جددتها ، ولا جمـاعة الا بددتها . ثم لابد لمن عرف بها أن يطرد ، وعن مجالس الأصدقاء يبعـد .

وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك .
وفى هذا المعنى :

من يخبرك بشتم عن أخ   فهو الشـــاتم لا من شتمك
ذاك شىء لم يواجهـك به   انما اللوم على من أعلمك

وقيل : جاء رجل الى وهب فقال : ان فلانا شتمك . فقال له : أما وجد الشيطان غيرك ؟

---

(١) اى الفحش فى القول .   (٢) الحجرات : ١٢

وقيل لعاقل : فلان يشتمك فى الغيبة • فقال : ولو ضربنى وأنا غائب لم أبال به •

وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية شر منها لأن السعاية دلالة ، والقبول اجازة •

وليس من دل على شىء كمن أجازه ، فاتقوا الساعى فلو كان صدقا لكان لئيما فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة •

وقيل لبعضهم : ان صاحبك فلانا قال فيك كذا • فقال : يا هذا •• والله ما رعيت حق مجالسته حتى نقلت الى حديثه ، ولا رعيت حقى حتى تبلغنى عن أخى ما أكره • واعلم أن الموت يعمنا ، والبعث يحشرنا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين •

وجاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فذكر له عن رجل شيئا • فقال له : ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : « ••• **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** »[(١)]

وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية : « **هماز مشاء بنميم** »[(٢)]

وان شئت عفونا عنك • فقال : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود أبدا •

فلاتنس كل هذا •• و :

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس الا تجملا ... نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى رد امرىء متلون ... اذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

واذا كان هناك صديق :

يريك النصيحة عند اللقا ... ويبريك فى السر برى القلم
فبت حبالك من وصله ... ولا تكثرن عليه الندم

واحفظ ونفذ قول القائل :

يا مبتغى العز والسلامة ... الزم ثلاثا تلقى الكرامة
لا تسأل المرء ما لديه ... ولا ترى آكلا طعامه
ولا ترى ذاكرا بسوء ... ما عشت خلقا الى القيامة
وزد لهذه الثلاثة تقوى الاله ... تكمل لك السلامة

---

(١) الحجرات : ٦ (٢) القلم : ١١

الوصية الخامسة عشرة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم من يعمل بهن » ؟

فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيده فعد خمسا فقال :

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » .

(رواه الترمذى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

أهلا لهذه التوجيهات المحمدية التى ان كنت من أهلها كنت من أولى الألباب وكنت من خير البرية الذين : **« رضى الله عنهم ورضوا عنه »**(1) .

واذا كان أبو هريرة رضى الله عنه قد فاز وسعد بوضع يده فى يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وهو يزوده بهذه النصائح الغالية التى تشد من أجلها الرحال وتنفق فى سبيلها آلاف الأموال ، وتقطع فى طلبها مئات بل آلاف الأميال .

فى استطاعتك أنت كذلك أن تتصور نفسك وقد تشرفت بوضع يدك فى يد الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وهو يوصيك بقوله :

* (اتق المحارم تكن أعبد الناس) :

وخلاصة هذه الأولى : أنك لن تكون عبدا حقيقيا لله تعالى الا اذا اجتنبت محارمه ، وهى :

المعاصى ، والمنهيات ، وترك المأمورات . ومعنى هذا : أنه اذا كان الله تعالى قد أمرك فى كتابه العزيز وعلى لسان حبيبه صلى الله

---

(1) البينة : ٨

عليه وسلم الذى : « لا ينطق عن الهوى » بفعل شىء أو تركه فانه يحرم عليك عدم الاستجابة لأوامره ، وفعل ما نهى عنه والا كنت من العصاة المذنبين « ... **الأخسرين أعمالا · الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** »[١] .

وحتى لا تكون من أهل الخسران ، وحتى لا أطيل عليك فى هذا التقديم اليك هذه النصوص القرآنية والنبوية التى ستقف فيها على أهم الأوامر والنواهى التى يجب عليك ـ كعبد من عباد الله الحقيقيين ـ أن تعرفها وتقف على أبعادها وأسرارها حتى تكون منفذا لما فيها وفى غيرها من أوامر ، ومجتنبا لجميع المنهيات :

يقول الله تبارك وتعالى : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق[٢] نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر[٣] منها وما بطن[٤] ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق[٥] ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون · ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده[٦] ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون · وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** »[٧] .

ويقول : « **ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء[٨] والمنكر والبغى[٩] ، يعظكم لعلكم تذكرون** »[١٠] .

---

(١) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ بلفظ : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين** ... » .

(٢) اى فقر تخافونه .

(٣) كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى الظاهرية .

(٤) كالرياء ، والعجب ، والكبر ، والحسد ، وجميع المعاصى القلبية .

(٥) كالقصاص وحد الردة ورجم المحصن والمحصنة .

(٦) اى يحتلم ويصير اهلا لتحمل المسئوليات .

(٧) الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣

(٨) اى الزنا : لان فيه ضياع الانساب والاعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله تعالى فهو القائل سبحانه : « **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (الاسراء : ٣٢) .

(٩) الظلم للناس .

(١٠) النحل : ٩٠

كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات »[١]
قالوا : يا رسول الله .. وما هن ؟
قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات[٢] الغافلات[٣] المؤمنات »[٤] .

ويقول : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثا — : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور وقول الزور — وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت — »[٥] .

ويقول : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[٦] .

ويقول : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى[٧] محرم »[٨] .

وحسبى فى هذا العرض الموجز لأهم هذه النصوص أن أضيف اليها هذا النص الجامع الذى يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن عباده الذين يستحقون رحمته فيقول تشريفا لهم بانتسابهم اليه :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما[٩] . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان

---

(١) اى المهلكات . (٢) اى المتزوجات العفيفات .

(٣) اى الغافلات عن المعصية فلا تخطر على بالهن .

(٤ ، ٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) رواه مسلم .

(٧) المحارم بالنسبة لك : هن المحرمات عليك فى الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : **« حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما »** (النساء : ٢٣) . والمحارم بالنسبة للمراة عكس ما ذكرن فى الآية من الذكور ، والمراد : لا تخلو بامراة ليست من محارمك الا مع ذى محرم لها .

(٨) رواه البخارى ومسلم .

(٩) اى قالوا قولا يسلمون به من الاثم مع القدرة على الانتقام .

غراما(١) • انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا(٢) وكان بين ذلك قواما(٣) •

والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما(٤) • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما •

ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو(٥) مروا كراما •

والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما(٦) • أولئك يجزون الغرفة(٧) بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما »(٨) •

فاذا أردت أن تكون من عباد الرحمن الذين وقفت على أهم صفاتهم لابد وأن تكون مثلهم أو على الأقل شبيها بهم فى كل حركاتهم وسكناتهم مع الاحاطة بأن كل انسان يستطيع بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن يكون كهؤلاء الأبرار الذين فازوا وسعدوا برضوان الله عليهم ، وذلك بالنية الصادقة والعزيمة القوية على فعل الخيرات وترك المنكرات •

* * *

مع ضرورة الاتقاء والابتعاد عن الشبهات وهى أمور مشتبهة بين الحلال والحرام حتى يسلم الانسان من الشبهة ، والا تطاول عليه السفهاء واتهموه بأكل الحرام وفعله ، وقد يكون بريئا من هذا وقد لا يكون •

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام،

---

(١) أى لازما . (٢) أى لا يضيقون على أنفسهم وأهليهم .
(٣) أى وسطا . (٤) أى عقوبة .
(٥) اللغو : الكلام الذى لا فائدة فيه وقد يطلق على كل ما لا يعتد به من قول وعمل .
(٦) أى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات .
(٧) الدرجة العليا فى الجنة . (٨) الفرقان : ٦٣ — ٧٦

كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »(١) .

وقد اختلف العلماء أيضا فى معنى الشبهة المذكورة فى الحديث ، فمنهم من قال : انها (الحرام) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ومنهم من قال : انها (الحلال) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » .

والخلاصة التى نريد أن نخرج بها من هذا الخلاف الذى لا يستهان به هى : أنه يجب على كل مسلم يرجو البراءة لدينه وعرضه أن يبتعد عن كل شىء فيه شبهة ، لأنه اذا لم يبتعد عن الشبهة وقع فى الحرام أو قارب أن يقع فيه وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا المعنى فى قوله : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »(٢) وقوله : « **ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** »(٣) ففى الآية الأولى : نهى سبحانه من المقاربة حذرا من المواقعة .

وفى الثانية : أشار الى ما حدث من بنى اسرائيل الذين تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم للأنبياء بغير حق .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الحديث الشريف يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم »

كما كان يوصى فى حديث آخر بأن يدفع الانسان عن نفسه شبهة الاحداث فى الصلاة فيقول : « اذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف »(٤) .

لله در على رضى الله عنه فلقد كان يقول فى هذا المعنى أيضا : « اياك وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا » .

* * *

فلاحظ كل هذا ، و : « دع ما يريبك(٥) الى ما لا يريبك »(٦) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) البقرة : ١٨٧
(٣) البقرة : ٦١ .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) الريبة : اى الشك .
(٦) رواه الترمذى والنسائى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وإياك أن تحتقر ذنبا مهما كان صغيرا .

فمعظم النار من مستصغر الشرر

وفى الحديث الشريف : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه »[١] وأيضا : « يا عائشة .. اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا »[٢] .

* * *

واحذر أن تقع أيضا فى شباك الشيطان الذى حذرنا الله سبحانه وتعالى من مكايده وفتنته فقال : « ... ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »[٣] .

وقال : « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء »[٤] .

وقال : « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا »[٥] .

وقال : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »[٦] . وقال : « انه عدو مضل مبين »[٧] وقال : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »[٨] .

* * *

وحتى تقف على بعض مكايده وتكون حذرا منه ، اليك هذه الصور التى وردت فى كتاب « تلبيس ابليس »[٩] :

« بلغنا أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء ، فقال يحيى : يا ابليس .. ما هذه المعاليق التى أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم . قال :

---

(١) من حديث رواه أحمد والطبرانى والبيهقى .

(٢) رواه النسائى واللفظ له وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

(٣) البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) النساء : ٦٠ (٦) المائدة : ٩١

(٧) القصص : ١٥ (٨) فاطر : ٦

(٩) للحافظ الامام جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

فهل لي فيها من شيء ؟ قال : ربما شبعت فثقلناك عن الذكر ، قال : فهل غير ذلك ؟ قال : لا والله ، قال : لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا . وقال ابليس : ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا .

وقيل : لما ركب نوح عليه السلام السفينة رأى فيها شيخا لم يعرفه ، فقال له نوح : ما أدخلك ؟ قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي ، وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام : اخرج يا عدو الله ، فقال ابليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين . فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه السلام : انه لا حاجة لك الى الثلاث ، فمره يحدثك بالاثنتين . فقال : بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد[١] والحرص[٢] ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة .

وقيل : لقي ابليس موسى عليه السلام ، فقال : يا موسى .. أنت الذي اصطفاك الله برسالته ، وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى ، وأذنبت ذنبا وأريد أن أتوب فاشفع لي الى ربي عز وجل أن يتوب علي ، فدعا موسى ربه ، فقال : يا موسى .. قد قضيت حاجتك ، فلقي موسى ابليس فقال : قد أمرت أن تسجد لآدم في قبره ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب ، وقال : لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ؟ ثم قال ابليس : يا موسى .. ان لك حقا بما شفعت الى ربي فاذكرني عند ثلاث حتى لا تهلك فيهن :

اذكرني حين تغضب فأنا وحي في قلبك ، وعيني في عينك ، وأجري منك مجرى الدم .

واذكرني حين تلقى الزحف[٣] فاني آتي ابن آدم حين يلقى

---

(١) الحسد : ان يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى ان تزول وتكون له دونه ، والغبطة : ان يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه . والاول مذموم ، والثاني محمود .

(٢) الحرص : شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع ، وحرص نافع ، فالأول : حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها ، والثاني : حرصه على طاعة الله املا في رحمته سبحانه .

(٣) اي عند زحفك للقاء العدو .

الزحف فأذكره ولده ، وأهله حتى يولى ، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها •

وقيل : بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه اذ أقبل ابليس عليه برنس[1] له يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى •• فقال له موسى عليه السلام : من أنت ؟ قال : أنا ابليس ، قال : فلا حياك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانتك منه • قال : فما الذى رأيته عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه ؟ قال : اذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه •

واحذرك ثلاثا : لا تخلون بامرأة لا تحل[2] لك قط ، فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه •

ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ، فانه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به •

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها ، فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين اخراجها •

ثم ولى يقول : يا ويله ـــ ثلاثة ـــ علم موسى ما يحذر به بنى آدم •

وقيل : كان عابد فى بنى اسرائيل من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت وكانت بكرا ليس لهم أخت غيرها ، فخرج البعث[3] على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها ، قال[4] : فأجمعوا رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى اسرائيل ، وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره الى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم ، قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم ، فقال : أنزلوها فى بيت حذاء[5] صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها • فمكثت فى جوار ذلك

---

(١) البرنس : هو كل ثوب راسه منه ملتزق به • وهو ما شاع استعماله فى المغرب •

(٢) اى لا يحل الخلوة بها لانها ليست من المحارم •

(٣) اى طلبوا الجهاد فى سبيل الله •

(٤) اى الراوى •

(٥) اى بجوار صومعتى •

العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام • قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل به يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها قال : فلبث على هذه الحالة زمانا •

ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى اليها بطعامها فى بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها فلبث على ذلك زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك ، فقال : لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها فلم يزل به حتى فعل ، قال : فلبث زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير قائلا : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ، ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حينا ثم جاءه ابليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها •

فلم يزل ابليس يحسنها فى عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما فجاء ابليس فقال : أرأيت ان جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟

لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ،

ففعل فقال له : أتراها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد الى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل اخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه ، فأتى اخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا الى أهاليهم •

فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله • فانطلقوا فادخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعا •

وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك •

ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول لأخيه : لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى ، فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم •

فقال أصغرهم : والله لأمضى حتى آتى الى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم فسألوا عنهما العابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له :

أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة التى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصت مما أنت فيه • قال : فكفر العابد • فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه • قال : ففيه نزلت هذه الآية : **«كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك ، انى أخاف**

الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين »(١) .

وقيل : اذا أصبح ابليس بث جنوده فى الأرض فيقول : من أضل مسلما ألبسته التاج . فيقول له القائل من جنوده الشياطين : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال : يوشك أن يتزوج .

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى عق . قال : يوشك أن يبر .

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى زنى ، قال : أنت .

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب ، قال : أنت .

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

وقيل : ان الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندى ، وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء ، وأنت موضع سرى ، وأنت رسولى فى حاجتى .

وقيل : لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم جعل ابليس لعنه الله يرسل شياطينه الى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه بصحفهم ليس فيها شىء فيقول لهم : مالكم لا تصيبوا منهم شيئا ، فقالوا : ما صحبنا قوما مثل هؤلاء . فقال : رويدا بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هناك تصيبون حاجتكم منهم .

* * *

فلاحظ كل هذا وجاهد شيطانك الذى يحرص دائما وأبدا على اغوائك مع ملاحظة قول الله تعالى : **« ان كيد الشيطان كان ضعيفا »**(٢) واستعن عليه بالله تعالى كما جاء فى قول بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده . قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده . قال : هذا يطول ، أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكف عنك .

وقال أحدهم : واعلم أن ابليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس وبين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له : اخسأ ، فذهب ، فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أعطاه لم يبرح . فالأولَ مثلَ المتقى يمر

---

(١) الحشر : ١٦ ، ١٧ (٢) النساء : ٧٦

به للشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى : مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه .

« فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[١] و : « قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس »[٢] .

وعوذ أولادك من شره فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين عليهما رضوان الله فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة[٣] ، ومن كل عين لامة »[٤] ثم يقول : « وهكذا كان أبى ابراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق »[٥] .

كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى . فيقول : فمن خلق الله ؟فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فان ذلك يذهب عنه » .

* * *

فلا تنس كل هذا ولا تغفل عن ذكر الله تعالى حتى لا يقترب الشيطان منك فقد قال تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »[٦]** ويعش : أى يغفل .

* * *

وضع نصب عينيك دائما وأبدا خطبة الشيطان الأكبر عليه لعنة الله تعالى التى سيلقيها على منبر من نار بعد أن يقضى الأمر — أى بعد أن يؤمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار والتى يحدثنا الله سبحانه وتعالى عنها فيقول : **« وقال الشيطان لمـا قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ،**

---

(١) النحل : ٩٨ (٢) سورة الناس .

(٣) هامة : المراد بها الزواحف المؤذية .

(٤) اى حاسدة . (٥) ورد فى الصحيحين .

(٦) الزخرف : ٣٦

ما أنا بمصرخكم[1] وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم »[2] .

* * *

ثم اليك فى نهاية هذا العرض السريع هذا النموذج الحى الذى أرجو أن تنتفع به :

وخلاصته أن شقيق البلخى ــ وقد كان من أساتذة العلم النافع كما كان من أطباء القلوب ــ قال ذات يوم لتلميذه حاتم الأصم ــ بعد أن تلقى العلم عليه أكثر من ثلاثين عاما ــ : ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى ؟ فقال : ستة أشياء :

الأول : رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم الا وهو شحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تبارك وتعالى : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ... »**[3] لأنى من جملة الدواب فلم أشغل قلبى بما تكفل به القوى المتين ؟ فقال له : أحسنت .

الثانى : رأيت لكل انسان صديقا يفشى اليه سره ويشكو اليه أمره ولكنهم لا يكتمون الأسرار ولا يدفعون مصادمة الأقدار ، فجعلت صديقى العمل الصالح ليكون لى عونا عند الحساب ، ويثبتنى بين يدى الله عز وجل ويرافقنى فى مرورى على الصراط . فقال له : أحسنت .

الثالث : رأيت لكل واحد من الناس عدوا ، فنظرت فاذا الذى اغتابنى ليس بعدوى ، ولا من ظلمنى ، ولا من أساءنى ، لأنه انما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى ، ولكن عدوى هو الذى اذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى بمعصيته ، فرأيت أن ذلك هو ابليس ، والنفس ، والدنيا ، والهوى : فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحــدا منهم يقربنى . فقال : أحسنت .

الرابع : رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ، ففرغت نفسى لملاقاته ، حتى اذا ما جاء بادرت معه بلا عائق . فقال له : أحسنت .

الخامس : نظرت الى الناس متحابين ومتباغضين ، ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئا ، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد

---

(١) اى بمغيثكم . (٢) ابراهيم : ٢٢
(٣) هود : ٦

فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم الا ما رضيته لنفسى • فقال له : أحسنت •

السادس : رأيت أن كل ساكن لابد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن الى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه الا الجنة أو النار ، فقال له شقيق : يكفيك ذلك واعمل عليه الى الموت •

* * *

واذا كنت قد فرطت فى جنب الله وظلمت نفسك بفعل شىء من الموبقات فحسبك أن تقول مع القائل الراجى عفو ربه :

رب انى ظلمت نفسى بنفسى	ولك الأمـر فى اما واما[1]
رب لا تقنطوا[2] بروح روحى	وبآى العقـاب أذهب غمـا
رب ابليس قاد نفسى فلبته	الى ما بهـا اليـه ألما
رب ان تعف فهو فضـل والا	فهو عدل والفضل للعدل ينمى[3]
رب انى أبدى الصـلاح وأخفى	سـوء صنعى لكى يقال نعما
رب أنت العليم بالسر والجهر ولم	يخف عنـك من ممكن مما
رب ما قدمت يداى جميـلا	غير ظنى بأن عفـوك عما
رب ان رحمة فأنت جـواد	أو سـواها فلست تسئل عما[4]
رب جرمى اذا تجسم جرما[5]	لم يشن[6] من بحار عفوك يما[7]
رب انى أهمنى يوم يسـعى	حيث نورى[8] بالموبقات ادلهما
رب أبدلْ ظلام قلبى بنور	من هداك الذى بـ (طه) استتما
واعف عنى بجاهه ان من	تعلق فى جاهه يوقى المهمـا
وعليه وآله صـل ياربِ	وسـلم ما لاح بدر ونمـا

* * *

---

(١) اما واما : اى اما الى الجنة واما الى نار .

(٢) يقصد قول الله تعالى : « لا تقنطوا من رحمة الله » (الزمر : ٥٣) .

(٣) اى ينسب .

(٤) يعنى قول الله تعالى : « لا يسئلُ عما يفعلُ وهم يسئلون » (الانبياء : ٢٣) .

(٥) اى جسما .

(٦) اى يغير .

(٧) اى بحرا .

(٨) يعنى بكلمة (نورى) قولَ الله تعالى : « نورهم يسعى بين ايديهم » (التحريم : ٨) .

❊ (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) :

وليس هذا معناه أن تكون منزويا فى زاوية الحرمان كالآلة المعطلة أو المكهنة :

وانما المراد من هذه النصيحة المحمدية أن تأخذ بالأسباب كما أمرك الله تعالى فى قوله : « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »[١] وقوله : « ... **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »[٢] .

ولعلك تلاحظ فى هذا قول الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام وهى فى حاجة الى راحة : « **وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** »[٣] مع أنه سبحانه وتعالى كان فى مقدوره أن يرسل ملكا لهز النخلة أو يأمر النخلة فتهتز وحدها .

ولكن كما يقول القائل :

ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه اليها ولكن كل شىء له سبب

فأنت مطالب كما رأيت تنفيذا لأمر الله تعالى بأخذ الأسباب طلبا للرزق مع تفويض الأمر اليه سبحانه .

ثم بعد ذلك لا بد أن تكون راضيا بما قسم الله تعالى لك حتى لا تكون مهموما ومنغصا فى حياتك مع أنك لو فكرت قليلا فى هذا الموضوع لتبين لك أن هذه الدنيا بكل ما فيها لا تستحق منا أدنى تفكير ، وأن كل مخلوق فى هذا الوجود قد ضمن الله رزقه وهو لا يزال فى عالم الغيب .

وحسبك تأكيدا لك أن تقرأ قول الله تعالى : « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »[٤] وقوله : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** »[٥] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم — عن أبى عبد الرحمن ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ،

---

(١) الملك : ١٥
(٢) الجمعة : ١٠
(٣) مريم : ٢٥
(٤) الذاريات : ٥٨
(٥) هود : ٦

وعمله ، وشقى أو سعيد ، فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[1] •

ولهذا عندما سئل سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام : لم اختارك الله خليلا ؟ قال : لثلاث :

الأول : ما خيرت بين أمرين الا اخترت الذى لله على غيره •

الثانى : ما اهتممت بشىء ضمنه الله لى فى أمر رزقى •

الثالث : ما تغديت ولا تعشيت الا مع الضيف •

وعندما رأى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه رجلا مهموما قال له : أيها الرجل •• انى سائلك عن ثلاث فأجبنى ، قال الرجل : نعم • فقال له ابراهيم : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا •

قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله ؟ قال : كلا •

قال : أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله فى الحياة ؟ قال : كلا •

فقال له ابراهيم : فعلام الهم اذن ؟

مع ملاحظة أن هذا الكلام ليس معناه كما قرأت فى أوله أن تكون متواكلا ، وانما المراد كما عرفت أن تكون آخذا بالأسباب كما أمرك الله تعالى مع اعتقادك أن ما كان لك سوف يأتيك بشرط أن لا تكسل عن طلبه والا كنت مخالفا لأوامر الله ، وبالتالى كنت صغيرا عند عقلاء الناس الذين لا يحترمون غير الانسان الايجابى الذى يثبت وجوده بين الأحياء لا بالضجيج ولكن بالعمل الجاد فى جميع ميادين العمل الشريف •

وحسبك حتى تعتز بايجابيتك أن تعلم أنه ما من نبى من الأنبياء ولا عالم من المتقدمين الا وكانت له صنعة يعملها بيده قصدا للتشريع ان كانت من نبى ، وطلبا للرزق ان كانت من غيره •

وفى هذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما عندما سئل عن صنائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

كان آدم حراثا ، وادريس خياطا ، مع كونه ملكا عظيما وحكيما فريدا — وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط[1] وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى أثناء خياطته — وكان نوح نجارا — وهو أول من صنع الفلك — وكان هود تاجرا ، وكذلك صالح ، وكان ابراهيم زراعا ، وكان اسماعيل قناصا[2] ، وكان اسحاق راعيا ، وكذلك يعقوب ، وشعيب ، وموسى ، وكان يوسف مشتغلا بصناعة الساعات — ويقال انه صنع ساعة من الخشب حينما كان فى السجن — وكان هارون وزيرا ، وكان الياس نساجا ، وكان داوود زرادا — أى يعمل زردا ودروع الحديد — وكان عيسى سياحا ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم تاجرا ومجاهدا فى سبيل الله ، ولهذا كان يقول : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » كما كان يحب البكور — أى السعى أول النهار — فى طلب الرزق من حوائج الدنيا ، ويقول :

« اللهم بارك لأمتى فى بكورها »[3] ويقول مرغبا فى السعى على الرزق : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده »[4] ويقول : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه »[5] .

* * *

فاذكر كل هذا بالاضافة الى ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله يرزق الناس بعضهم من بعض » .

وقوله : « يا معشر الفقراء .. ارفعوا رؤوسكم ، اتجروا فقد وضح الطريق ولا تكونوا عيالا على الناس » .

وأخرج الحاكم وابن أبى الدنيا عن معاوية بن قرة قال : لقى عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون .

---

(١) كانوا قبل ذلك يلبسون جلود الحيوانات .

(٢) اى صيادا .

(٣) من حديث رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان .

(٤ ، ٥) رواه البخارى .

قال : كذبتم ، ما أنتم متوكلون انما المتوكل الذى ألقى حبه فى الأرض وتوكل على الله .

وروى العوام بن حوشب عن أبى صالح مولى عمر رضى الله عنهم ، أنه قال : « كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة ، فيحلب واحد ، ويبيع الآخر ، ويغزو الثالث فى سبيل الله تعالى » .

* * *

وحتى ترضى وتشكر ربك على ما أعطاك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة والآثار النافعة : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض » وفى رواية قال أبو حازم : رأيت أبا هريرة يشـير باصبعه مرارا ويقول : « والذى نفس أبى هريرة بيده ما شبع نبى الله محمـد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من حنطة حتى فارق الدنيا »[١] .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟ قال : « ما سد جوعتك ، ووارى عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فبخ[٢] بخ »[٣] .

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وسأله رجل فقال : ألست من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما . قال : فأنت من الملوك[٤] .

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى[٥] لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع »[٦] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه »[٧] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) كلمة تقال عند المدح والرضا .
(٣) رواه الطبرانى . (٤) رواه مسلم .
(٥) أى العاقبة الطيبة ، وقيل هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام .
(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . (٧) رواه مسلم والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وفى رواية : « كفافا »[1] .

الكفاف : ما يكفي الانسان ويكفيه عن ذل السؤال على حد ما قيل :

أيها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها منير وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وللامام النووى :

وجدت القناعة أصل الغنى فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يرانى على بابه ولا ذا يرانى به منهمك
وعشت غنيا بلا درهم أمر على الناس شبه الملك

ولأبى العتاهية :

رغيف خبز يابس تأكله فى زاويه
أو كوز ماء بارد تشربه من ساقيه
وغرفة ضيقة نفسك فيها خاليه
أو مسجد بمعزل عن الورى فى ناحيه
تدرس فيه دفترا مستندا لساريه
معتبرا بما مضى من القرون الخاليه
خير من الساعات فى فىء القصور العاليه
فهذه وصيتى مخبرة بحاليه
طوبى لمن يسمعها تلك لعمرى كافيه
فاسمع لنصح مشفق يدعى أبا العتاهيه

وللامام الشافعي رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففى احيائه عرضى مصون
اذا طمع يحل بقلب عبد علته مهانة وعلاه هون

ويرحم الله القائل :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه فان ذلك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه .

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غاية من الزهد والتقلل من الدنيا حتى أن قميصه كان فيه أربع رقاع بين كتفيه ، وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة وهو خليفة ثم خرج فاعتذر للناس وقال : انما حبسنى عنكم ثوبى هذا ، كان يغسل وليس عندى غيره •

وكان يبرد فى الشتاء حتى ترعد مفاصله فيقال له : ألا تأخذ لك من بيت مال المسلمين كساء ، فيقول : لا أنقص المسلمين من بيت مالهم شيئا لى • وكان لا يجمع فى سماطه بين ادامين حتى أن ابنته حفصة قدمت له مرقا باردا وصبت عليه زيتا ، فقال : ادامان فى اناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل •

وكان يقول : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت ، لا أجر لى ولا وزر على • ولما مات رآه العباس رضى الله عنه فى المنام فقال له : وكيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت ربا رحيما •

وكان الامام على رضى الله عنه يرقع قميصه ويقول : ان لبس المرقع يخشع القلب • ومما ينسب اليه كرم الله وجهه :

حقيق بالتواضع من يموت ... ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم ... وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب ... الى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصار كآحاد الناس حتى انه لا يملك الا قميصا واحدا ، وهى كذلك ، فاذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف على حد ما قيل :

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم ... لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل ، كان له (سرداب) ينزل فيه كل ليلة ويظل يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى الصباح ، وقيل له فى مرض الموت : تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار • فقال : لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين : اما مطيع لله ، فالله تعالى كافيه ، وهو يتولى الصالحين ، واما عاص لله فما أبالى بما وقع له •

ولما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عظنى • فقال :

يوم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين اذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير[١] والفتيل[٢] والقطمير[٣] وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون ؟ فخنقته العبرة[٤] وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم به .. ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فان الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص غنى كل من يقنع

* * *

فلا تنس كل هذا .. و :

كن عن همومك معرضا وكل الأمور الى القضا
وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط لك فى عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

* * *

وتأمل كذلك قول القائل :

عزيز النفس من لزم القناعه ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتنا القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعه
لتغنى فى حياتك عن لئيم وتسعد فى الجنان بصبر ساعه

* * *

* (وأحسن الى جارك تكن مؤمنا) :

وحسبى ترغيبا لك بالاضافة الى هذه الوصية وما قرأته سابقا[٥] فى هذا الموضوع أن أقرأ معك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) النقير : هو النقرة التى فى ظهر النواة .

(٢) الفتيل : ما فى شق النواة .

(٣) القطمير : الغشاء الرقيق الذى حول النواة والمراد ان يسأله الله تعالى عن كل شىء .

(٤) اى الدموع .

(٥) راجع هذا الموضوع فى الجزء الأول والثانى .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أو تدرى ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار[1] ريح قدرك الا أن تغرف اه ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده »[2] .

ففى هذا الحديث الشريف كما رأيت يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الجار على هذا النحو الذى قرأته ، وذلك لأن جارك أقرب اليك من أهلك وعشيرتك وهو عونك وساعدك الأيمن فى أفراحك وأحزانك .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر دائما وأبدا من ايذاء الجار فيقول : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : يا رسول الله .. لقد خاب وخسر ، ومن هذا ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »[3] .

ويقول : « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم »[4] .

ويقول : « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع »[5] .

ويقول : « كم من جار متعلق بجاره يقول : يا رب .. سل هذا لم أغلق عنى بابه ، ومنعنى فضله »[6] ؟

وعندما جاءه رجل يقول له : يا رسول الله .. اكسنى[7] أعرض

---

(١) الدخان من المطبوخ .
(٢) رواه الخرائطى من مكارم الأخلاق .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه الطبرانى والبزار واسناده حسن .
(٥) رواه الطبرانى وابو يعلى ورواته ثقات ورواه الحاكم من حديث عائشة
(٦) رواه الأصبهانى .
(٧) اى أعطنى ثوبا استر به عورتى .

عنه ، فقال : يا رسول الله .. اكسنى ، فقال : « أما لك جار له فضل[١] ثوبين » ؟ قال : بلى ، غير واحد[٢] ، قال : « فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة[٣] »[٤] .

وذات يوم جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، قال : « اطرح متاعك على طريق » فطرحه ، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه[٥] ، فجاء[٦] الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. لقيت من الناس ، قال : « وما لقيت منهم » ؟ قال : يلعنوننى ، قال : « لقد لعنك الله قبل الناس » فقال : انى لا أعود ، فجاء الذى شكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ارفع متاعك فقد كفيت »[٧] .

رواه الطبرانى والبزار باسناد حسن بنحوه الا أنه قال : « ضع متاعك على الطريق — أو على ظهر الطريق — » فوضعه ، فكان كل من مر به قال : ما شأنك ؟ قال : جارى يؤذينى . قال : فيدعو عليه ، فجاء جاره ، فقال : رد متاعك ، فانى لا أوذيك أبدا .

وقال رجل : يا رسول الله .. ان فلانة تكثر من صلاتها وصدقاتها وصيامها[٨] غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها[٩] قال : « هى فى النار » قال : يا رسول الله .. فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأتوار من الأقط[١٠] ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هى فى الجنة » رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد ، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة باسناد صحيح أيضا ، ولفظ بعضهم :

---

(١) يعنى له أكثر من ثوبين .
(٢) اى ليس له جار واحد بل كثير .
(٣) يعنى لن يدخل معك لاخلاله بحق الجوار .
(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .
(٥) اى يدعون باللعنة على الذى آذاه وحمله على ترك داره .
(٦) اى الجار .
(٧) اى كفاك الله شر جارك .
(٨) اى تكثر من نوافل الصلاة والصيام والصدقة بعد اداء الفرائض .
(٩) اى تسبهم وتشتمهم .
(١٠) التور : اناء يشرب فيه والجمع : أتوار ، والاقط : اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ ، أو يطبخ به .

قال : يا رسول الله .. فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها . قال : « هى فى النار » قالوا : يا رسول الله .. فلانة تصلى المكتوبات[١] وتتصدق بالأتوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هى فى الجنة » .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الجدعاء[٢] فى حجة الوداع[٣] يقول : « أوصيكم بالجار حتى أكثر[٤] ، فقلت : انه يورثه »[٥] .

فاذكر كل هذا حتى تحسن الى جارك فتكون مؤمنا ، وحسبك أن تصل الى هذه الدرجة العظيمة التى ان وصلت اليها كنت من المؤمنين حقا ، وهم : أولياء الله الذين : « ... **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »[٦] .

ويقول الامام الغزالى فى « احياء علوم الدين » :

واعلم : أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى ، فان الجار أيضا قد كف أذاه ، فليس فى ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف ، اذ يقال : ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. سل هذا ، لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ؟

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما ، فدفع اليه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها .

ويروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على ، فقال : اذهب ، فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه .

---

(١) يعنى اقتصر على صلاة المكتوبات .

(٢) وفى بعض الأحاديث انه كان على ناقته القصواء وروى على جمل أحمر .

(٣) وهى الحجة الوحيدة التى حجها فى الاسلام ولم يحج قبلها ولا بعدها .

(٤) اى بالغ فى الوصية واكد فيها .

(٥) رواه الطبرانى باسناد جيد .

(٦) يونس : ٦٢ .

وقال عبد الله : قال رجل : يا رسول الله .. كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : « اذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت ، فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت »[(١)] .

وقال جابر رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان له جار له فى حائط أو شريك له فلا يبيعه حتى يعرضه عليه »[(٢)] .

وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم عنه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع الى عوراته ، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى صب المـاء فى ميزابه ، ولا فى طرح التراب فى فنائه ، ولا يضيق طريقه الى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر الى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه .

ففى الحديث الشريف : « من أراد الله به خيرا عسله » قيل : وما عسله ؟ قال : « يحببه الى جيرانه »[(٣)] .

* * *

* (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك ولا زال يوصيك بهذه الوصية فى شخص أبى هريرة رضى الله عنه فالسبب فى هذا هو

---

(١) رواه احمد والطبرانى ، وعبد الله هو ابن مسعود ، واسناده جيد .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار ، وقال : صحيح الاسناد وهو عند الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » بهذا اللفظ ، ولابن ماجه فى حديث ابن عباس : « من كان له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره » ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه أحمد من حديث أبى عنبة الخولانى ، ورواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » . ورواه البيهقى فى « الزهد » من حديث عمرو بن الحمق . زاد الخرائطى : قيل : وما عسله ؟ قال : « حببه الى جيرانه » . وقال البيهقى : يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله : واسناده جيـد .

أنه صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون مسلما ، ويحب أن تكون مؤمنا ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[١] .

وكيف لا وهو سيد المؤمنين ، وامام المسلمين ، وقدوة المحبين الصـــادقين .

ولمـــا كان هذا الذى يوصيك به المصطفى صلى الله عليه وسلم من حقوق المسلم عليك فقد رأيت وقبل أن أدور معك حول هذا العنصر الهام الذى لا تدوم المودة والتراحم والتعاطف بين المؤمنين الا به — رأيت — أن أقف معك على أهم هذه الحقوق التى منها كما ورد فى الأخبار والآثار :

أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهـــر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وهذا هو ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر »[٢] ، وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[٣] .

* * *

ومنها أن تتواضع لكل مسلم ، ولا تتكبر عليه .

وحسبك قول الله تعـــالى : **« ان الله لا يحب من كان مختـــالا فخـــورا »**[٤] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد »[٥] وعن أبى أوفى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ، ولا يتكبر أن يمشى مع الأرملة والمساكين فيقضى حاجتهم .

* * *

ومنها أن لا تسمع الى وشاية أحد عن أحد من الناس ولا تنقلها اليه حتى لا تكون فتانا ، ففى الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه . (٤) النساء : ٣٦

(٥) رواه أبو داوود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار ورجاله رجال الصحيح .

قتات »[١] • ويقول الخليل بن أحمد رضى الله عنه : من نم لك نم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك •

ومنها أن لا يزيد هجرك لمن تعرفه على ثلاثة أيام مهما كان غضبك عليه ، ففى الحديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »[٢] •

تقول عائشة رضى الله عنها : « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله »[٣] • وفى الخبر : قال الله تعالى ليوسف عليه السلام : « بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين » كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما : ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله عزا •

* * *

ومنها أن تحسن الى كل مسلم ما دام هذا فى استطاعتك دون تمييز بين أهلك وغيرهم ، ففى الحديث الشريف : « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر »[٤] •

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[٥] •

* * *

ومنها أن لا تدخل على أحد من المسلمين الا باذنه ، ومن السنة أن تستأذنه ثلاثا ، فان لم يؤذن لك انصرف • ففى الحديث : عن أبى سعيد الخدرى قال : أتانا أبو موسى قال : ان عمر أرسل الى أن آتيه ، فأتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد على ، فرجعت • قال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : انى أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا على فرجعت ، وقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » فقال عمر : أقم عليه البينة • قال أبو سعيد : فقمت معه فذهبت الى عمر فشهدت[٦] •

---

(١) متفق عليه من حديث حذيفة . والقتات هو النمام .
(٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه .
(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » والخطابى فى « تاريخ الطالبين » .
(٥) متفق عليه . (٦) متفق عليه .

مع ملاحظة هذا أيضـــا مع أهلك فربما كانت الزوجة فى وضع يؤلمك رؤيته • ولهذا كان من السنة أن تطرق الباب قبل أن تدخل عليها حتى تتهيأ لاستقبالك بالصورة التى ترضيك •

وحتى مع أمك • فعن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أستأذن على أمى ؟ فقال : « نعم » ، فقال الرجل : انى معها فى البيت • قال : « فاستأذن عليها » •

مع ملاحظة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره أن يقول المستأذن : أنا • فعن جابر رضى الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فى دين كان على أبى فدققت الباب فقال : « من ذا » ؟ فقلت : أنا • فقال : « أنا ، أنا » كأنه كرهها[١] •

* * *

ومنها : أن تخالق الناس بخلق حسن ، وتعاملهم بحسب طريقتهم ، فانك ان أردت لقاء الجاهل بالعلم ، والأمى بالفقه ، والعيى بالبيان ، آذيت وتأذيت • وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » مع ملاحظة أن المتكلم البليغ كما يقول علماء البلاغة هو الذى يراعى مقتضى الحال ، وهو كالطبيب يصف لكل مريض دواءه •

* * *

ومنها : أن توقر الكبير ، وترحم الصغير •

ففى الحديث الشريف : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغرنا »[٢] •

وفى حديث آخر : « من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم »[٣] •

* * *

ومنها أن تكون مع كافة الخلق مستبشرا ، طلق الوجه ، رفيقا :

ففى الحديث الشريف : « ان الله يحب السهل الطلق الوجه »[٤] •

---

(١) متفق عليه •

(٢) رواه أبو داوود والبخارى فى « الأدب » من حديث عبد الله بن عمر وبسند حسن •

(٣) رواه أبو داوود من حديث أبى موسى الأشعرى باسناد حسن •

(٤) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » •

وأيضا : « ان من موجبات المغفرة : بذل السلام وحسن الكلام »[١] .

كما روى أن رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة ، يفطر فى كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما طال عليه ذلك ولم ير هذا ، قال : لو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الأمر الذى طلبته . فأرسل الله اليه ملكا فقال له : ان الله أرسلنى اليك وهو يقول لك : ان كلامك هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك ، وقد فتح الله بصرك فانظر . فنظر ، فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالأرض ، واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذئاب ، فقال : أى رب .. من ينجو من هذا ؟ قال : الورع اللين .

* * *

ومنها : أن لا تعد مسلما بوعد الا وفيت به :

ففى الحديث الشريف : « ثلاث فى المنافق : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان »[٢] .

وعن يزيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفى له ، فلم يف ، ولم يجىء للميعاد ، فلا اثم عليه »[٣] .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمار أخاك ، ولا تمازحه ، ولا تعده وعدا فتخلفه »[٤] .

* * *

ومنها : أن تنصف الناس من نفسك ، وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به :

فى الحديث الشريف : « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الانفاق من الاقتار ، والانصاف من نفسه ، وبذل

---

(١) رواه ابن شيبة فى مصنفه والطبرانى والخرائطى فى « مكارم الأخلاق » ، والبيهقى فى « شعب الايمان » من حديث هانىء بن زيد باسناد جيد

(٢) متفق عليه من حديث أبى أبى هريرة نحوه .

(٣) رواه أبو داوود والترمذى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

السلام »[١] • وأيضا : « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وليؤت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه »[٢] •

وقيل : « أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام بأربع خصال وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك ، واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق • فأما التى لى : تعبدنى ولا تشرك بى شيئا •

وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون اليه •

وأما التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلى الاجابة •

وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به » •

« وسأل موسى عليه السلام ربه فقال : أى رب •• أى عبادك أعدل ؟ قال : من أنصف من نفسه » •

❀ ❀ ❀

ومنها : أن تزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته ، فتنزل الناس منازلهم ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب ، فلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ، فألقاه اليه ، وقال له : « اجلس على هذا » فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى • فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »[٣] •

وروى أن عائشة رضى الله عنها كانت فى سفر ، فنزلت منزلا ، فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة ، فقالت : ادعوه الى الطعام • فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى ؟! فقالت : ان الله تعالى أنزل الناس

---

(١) رواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » من حديث عمار بن ياسر ووافقه البخارى عليه •

(٢) رواه مسلم بنحوه والخرائطى بلفظه •

(٣) رواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد •

منازل لابد لنا أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص ، وقبيح بنا أن نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا .

* * *

ومنها : أن تصلح ذات البين بين المسلمين ما وجدت الى ذلك سبيلا ، ففى الحديث الشريف : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة » ؟ قالوا : بلى ، قال : « اصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين ، هى الحالقة »[١] وأيضا : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا »[٢] .

* * *

ومنها : أن تستر عورات المسلمين ففى الحديث الشريف : « من ستر على مسلم ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة »[٣] وأيضا : « لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة »[٤] .

ومنها : أن تتقى مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن اساءة الظن فيك ، فيغتابونك بما تكره .

وحسبك فى هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه ، فمر رجل فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال : « يا فلان .. هذه زوجتى صفية » فقال : يا رسول الله .. من كنت أظن فيه فانى لم أكن أظن فيك فقال : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »[٥] . وزاد فى رواية : « انى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » وكانا رجلين ، فقال : « على رسلكما . انها صفية »[٦] الحديث ، وكانت قد زارته فى العشر الأواخر من رمضان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر برجل يكلم امرأة

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .
(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ايضا .
(٥) رواه مسلم .
(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة[١] ، فقال : يا أمير المؤمنين .. انها امرأتى ! فقال : هلا حيث لا يراك أحد من الناس .

* * *

ومنها أن تشفع لكل من له حاجة من المسلمين ، الى من له عنده منزلة ، وتسعى فى قضاء حاجته بما تقدر عليه .

ففى الحديث الشريف : « انى أوتى وأسئل وتطلب الى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما أحب »[٢] .

وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدا يقال له « مغيث » كأنى أنظر اليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته . فقال صلى الله عليه وسلم للعباس : « ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة ، وشدة بغضها له » . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو راجعتيه فانه أبو ولدك » فقالت : يا رسول الله .. أتأمرنى فأفعل ؟ فقال : « لا ، انما أنا شافع »[٣] .

* * *

ومنها : أن تبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ، وتصافحه عند السلام ، ففى الحديث الشريف : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أفشوا السلام بينكم »[٤] .

يقول قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام ، وهو تحية أهل الجنة .

والمصافحة أيضا سنة السلام : يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه نزلت بينهما مائة رحمة ، للبادىء تسعون وللمصافح عشرة »[٥] . وفى الحديث أيضا : « تمام تحياتكم

---

(١) اى بالسوط .
(٢) متفق عليه من حديث ابى موسى نحوه .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه مسلم من حديث ابى هريرة .
(٥) رواه البزار فى مسنده والخرائطى فى « مكارم الاخلاق » واللفظ له .

المصافحة »[١] ويقول الحسن عليه رضوان الله : المصافحة تزيد في الود •

والانحناء عند السلام منهى عنه : يقول أنس رضى الله عنه : قلنا : يا رسول الله •• أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال : « لا » قال : فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال : « لا » قال : فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال : « نعم »[٢] •

والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر :

يقول أبو ذر رضى الله عنه : ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحنى ، وطلبنى يوما فلم أكن في البيت ، فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالترمنى فكانت أجود وأجود[٣] •

والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر : فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت ، وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه ، وقال : هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد • والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام •

ويقول أنس رضى الله عنه : « ما كان شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك »[٤] •

وفي الحديث الشريف : « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار »[٥] •

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيمن الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا »[٦] •

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به »[٧] •

* * *

---

(١) رواه الخرائطى في « مكارم الأخلاق » وهو عند الترمذى من حديث أمامة وضعفه •

(٢) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى •

(٣) رواه أبو داوود •

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح •

(٥) متفق عليه • (٦) رواه مسلم •

(٧) رواه الترمذى وحسنه •

ومنها : أن تصون عرض أخيك المسلم ، ونفسه وماله عن ظلم غيره وترد عنه وتناضل دونه ، وتنصره ، فان ذلك يجب عليك بمقتضى أخوة الاسلام .

روى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عنه رجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »[٢] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : « تمنعنه من الظلم ، فذلك نصرك اياه »[٣] .

* * *

ومنها أن تشمت العاطس ، أى اذا قال العاطس « الحمد لله » تشمته بقولك : « يرحمك الله » ثم من السنة أن يرد العاطس قائلا : « يهديكم الله ، ويصلح بالكم — أو يغفر الله لى ولكم » .

فقد ورد فى الحديث الشريف أن العاطس يقول : الحمد لله على كل حال . ويقول الذى يشمته : « يرحمكم الله » ويرد العاطس فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم »[٤] وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « اذا عطس حدكم فليقل : الحمد لله رب العالمين ، فاذا قال ذلك فليقل من عنده : يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل : يغفر الله لى ولكم »[٥] .

وفى حديث آخر : « يشمت العاطس المسلم اذا عطس ثلاثا فان

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه البخارى وابو داوود من حديث ابى هريرة ولم يقل البخارى : على كل حال .
(٥) رواه النسائى ، ورواه ايضا ابو داوود والترمذى من حديث سالم بن عبدالله واختلف فى اسناده .

زاد فهو زكام »[١] أى اذا زاد العطس على ثلاث مرات فهو مزكوم فينبغى أن تقول له : شفاك الله .

وفى الحديث الشريف : « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان » .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تثاءب أحدكم فليمسك يده على فمه ، فان الشيطان يدخل مع التثاؤب »[٢] .

ومن السنة اذا تثاءبت أن تضع يدك اليمنى ظهرا وباطنا على فمك وبالنسبة ليدك اليسرى فضع ظهرها دون باطنها[٣] .

وكذلك اذا عطست أثناء قضاء الحاجة[٤] فاحمد الله فى نفسك دون تحريك لسانك ، واذا عطست فى صلاتك فتذكر هذا الحديث :

روى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ، فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى ، والحمد لله على كل حال . فلما سلم النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صاحب هذه الكلمات » ؟ فقال : أنا يا رسول الله .. ما أردت بهن الا خيرا . فقال : « رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها »[٥] .

* * *

ومنها : اذا بليت بانسان لا خلاق له ، فاتق شره وتحمله ، فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، فبئس رجل العشيرة هو » فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة . فلما خرج قلت له : لما دخل قلت الذى قلت ثم ألنت له القول ! فقال : « يا عائشة .. ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس

---

(١) حديث : « شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام » رواه أبو داوود من حديث أبى هريرة : « شمت أخاك ثلاثة ... » الحديث ، واسناده جيد .

(٢) رواه مسلم .

(٣) تنزيها لفمك لأنك تستنجى بيدك اليسرى .

(٤) أى وانت فى دورة المياه .

(٥) رواه أبو داوود باسناد جيد .

اتقاء فحشه »[١] • وهذا هو ما أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قــولـه : « **ادفع بالتى هى أحسن السيئة ...** »[٢] •

ويقول ابن عباس فى معنى قوله تعــالى : « **ويدرأون بالحسنة السيئة** »[٣] أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة ، وقال فى قوله تعــالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** »[٤] أى : بالرغبة والرهبة ، والحياء والمداراة • ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه : انا لنبش فى وجوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم • وفى الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب •

* * *

ومنها : أن تكون ناصحا لكل مسلم ، وتعمل على أن تكون سببا فى ادخال السرور على قلبه :

فعن تميم الدارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة » ثلاثا • قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »[٥] •

وعن جرير بن عبد الله قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم »[٦] •

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قضى لأحد من أمتى حاجة يريد أن يسره بها فقد سرنى ، ومن سرنى فقد سر الله ، ومن سر الله أدخله الله الجنة »[٧] • وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيــامة »[٨] •

وعنه وعن عبد الله قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله »[٩] •

* * *

---

(١) متفق عليه •
(٢) المؤمنون : ٩٦
(٣) الرعد : ٢٢
(٤) البقرة : ٢٥١
(٥) رواه مسلم •
(٦) متفق عليه •
(٧) رواه البيهقى •
(٨ ، ٩) رواهما البيهقى فى « شعب الايمان » ، والأحاديث الثلاثة فى « شعب الايمان » •

ومنها : أن تعود مرضى المسلمين ، مع مراعاة آداب الزيارة ، ومنها : خفة الجلسة وقلة السؤال ، واظهار الرقة ، والدعاء بالعافية ، وغض البصر عن عورات الموضع ، وعند الاستئذان لا يقابل الباب بوجهه ، ويدق برفق ، ولا يقول : « أنا » اذا قيل له : من ؟ ولا يقول : يا غلام ، ولكن يحمد ويسبح • وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل »[١] وقوله : « اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة ، فاذا قعد عنده قرت فيه »[٢] •

ثم وأنت فى عيادة المريض ، اذا رأيت عنده استعدادا لوقع كلامك يحسن أن تبشره مثلا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يصب منه »[٣] وعوذه بما عوذ به الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما عاده وقد كان مريضا فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد »[٤] قالها مرارا • ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مريض ، فقال له : « قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا الى رحمتك ، فانك ستعطى احداهن »[٥] •

---

(١) رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث على : « من اتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس ، فاذا جلس غمرته الرحمة ، فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء ... » الحديث : لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم من حديث جابر وقال : « من عاد مريضا لم يزل فى خرافة الجنة » والخرافة : ما يجتنى من الفواكه فى الخريف .

(٢) رواه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال : « انغمس فيها » . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه البخارى من حديث ابى هريرة .

(٤) رواه ابن السنى فى « اليوم والليلة » . والطبرانى والبيهقى فى « الأدعية » من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن .

(٥) رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « المرضى » من حديث انس بسند ضعيف ، وروى البيهقى فى « الدعوات » من حديث عائشة ان جبريل علمها للنبى صلى الله عليه وسلم وقال : « ان الله يأمرك ان تدعو بهؤلاء الكلمات » .

مع ملاحظة : أن أفضل العيادة أخفها ، وأن عيادة المريض مرة سنة وما زاد فنافلة ، وأنها ــ أى عيادة المريض ــ تكون بعد ثلاث •

وأنه من جملة آداب المريض : حسن الصبر ، وقلة الشكوى والضجر ، والفزع الى الدعاء ، والتوكل بعد تعاطى الدواء على مالك الشفاء سبحانه وتعالى ، وفى هذا يقول أحدهم :

ذهبت أنادى طبيب الورى وروحى تناجى طبيب السماء
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء وذاك ليجعل فيه الشفاء

* * *

ومنها أن تشيع جنائز المسلمين :

ففى الحديث الشريف : « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر ، فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »[1] وفى الخبر : « القيراط مثل أحد »[2] وعندما روى أبو هريرة رضى الله عنه هذا الحديث ، وسمعه ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة •

والقصد من التشييع : قضاء حق المسلمين والاعتبار وترقيق القلب مع لزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير فى الموت والاستعداد له ، والمشى أمام الجنازة وبقربها •

ومنها : أن تزور قبور المسلمين لتدعو لهم وتعتبر بمن فيها حتى يرق قلبك وتتذكر نهايتك •

ففى الحديث الشريف : « ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منه »[3] •

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر ، فجلس الى قبر ، وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا • فقال : « ما يبكيكم » ؟ قلنا : بكينا لبكائك • قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب ، استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على ، فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة »[4] •

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .
(٢) حديث : « القيراط مثل احد » رواه مسلم من حديث ثوبان وابى هريرة واصله متفق عليه .
(٣) رواه الترمذى وحسنه وابن ملجه والحاكم وصحح اسناده .
(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا واحمد من حديث بريدة .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه ، اذا وقف على قبر يبكى حتى تبل لحيته ويقول : سمعت رسول الله يقول : « ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشــد »[١] .

وقد ورد فى الخبر : أن أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة ، فهذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى ؟

وكان أبو ذر يقول لأصحابه : ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أوضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أجلس الى قوم يذكروننى معادى ، وان قمت عنهم لم يغتابونى .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وقال سفيان : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا ، فكان اذا وجد فى قلبه قســاوة دخــل فيه فاضطجع فيه ومكث ســاعة ، ثم قال : « رب أرجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت »[٢] .

ثم يقول : يا ربيع .. قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع .

* * *

قال فى « الاحياء » : فهذه جملة آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح .

ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ، فان الدنيا صغيرة عند الله ، صغير ما فيها ، وان عظم أهل الدنيا فى نفسك ، فقد عظمت الدنيا ، فتسقط من عين الله[٣] .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال : صحيح الاسناد ، وقال الترمذى : حسن غريب .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) بسبب تكالبك على الدنيا وتعظيمك لأهلها .

ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ، فتصغر فى أعينهم ، ثم تحرم دنياهم ، فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعاداة ، ويذهب دينك ودنياك فيهم ، ويذهب دينهم فيك ، الا لذا رأيت منكرا فى الدين ، فتعادى أفعالهم القبيحة ، وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم ، لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم . فحسبهم جهنم يصلونها ، فمالك تحقد عليهم !

ولا تسكن اليهم فى مودتهم لك ، وثنائهم عليك فى وجهك ، وحسن بشرهم لك ، فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة الا واحدا ، وربما لا تجده .

ولا تشك اليهم أحوالك ، فيكلك الله اليهم .

ولا تطمع أن يكونوا لك فى السر كما فى العلانية ، فذلك طمع كاذب ، وأنى تظفر به .

ولا تطمع فيما فى أيديهم ، فتستعجل الذل ، ولا تنال الغرض .

ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم ، فان الله يلجئك اليهم عقوبة على الكبر بظهور الاستغناء .

واذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها ، فهو أخ مستفاد ، وان لم يقض فلا تعاتبه ، فيصير عدوا تطول عليك مقاساته .

ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول ، فلا يسمع منك ويعاديك ، وليكن وعظك عرضا واسترسالا ، من غير تنصيص على الشخص .

واذا رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك ، واستعذ بالله أن يكلك اليهم .

واذا بلغك عنهم غيبة ، أو رأيت منهم شرا ، أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله ، واستعذ بالله من شرهم ، وقل : **« حسبى الله ونعم الوكيل »**[1] مع ملاحظة قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »**[2] .

---

(١) آل عمران : ١٧٣ ــ بلفظ : « **حسبنا** » .

(٢) الحجرات : ٦

وقال أيضا فى « الاحياء » : واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ، ولا يسترون عورة • ويحاسبون على النقير والقطمير ، ويحسدون على القليل والكثير ، وينتصفون ولا ينصفون ، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون ، ويغرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان وصحبة أكثرهم خسران ، وقطيعتهم رجحان ، ان رضوا فظاهرهم الملق ، وان سخطوا فباطنهم الحنق ، لا يؤمنون فى حنقهم ، ولا يرجون فى ملقهم • ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ، ويتغامزون ورائك بالعيون ، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، ويحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم •

ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد ، فتخبره فى عزله وولايته ، وغناه وفقره ، أو تسافر معه ، أو تعامله فى الدينار والدرهم ، أو تقع فى شدة فتحتاج اليه ، فان رضيته فى هذه الأحوال ، فاتخذه أبا لك ان كان كبيرا ، أو ابنا لك ان كان صغيرا ، أو أخا ان كان مثلك •

فلاحظ كل هذا وكن وفيا لاخوانك ، محبا لخلانك ، واياك اياك أن تكون من اخوان السوء الذين لا يحرصون الا على مصالحهم ، ولا يحبون الا أنفسهم ولا يفكرون الا فى مشاكلهم وجلب منافعهم حتى ولو كان على حساب غيرهم •

* * *

ولما كان أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضى الله عنهم وأرضاهم قد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم حتى أصبحوا كما وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز : « ... **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**[١] ، **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[٢] •

فقد رأيت اتماما لهذا العرض المبارك أن أسوق اليك بعض النماذج الهامة التى أرجو أن ننتفع بها فى حياتنا الدنيوية والأخروية ، وحتى نكون من المساهمين فى بنك المحبة :

---

(١) الخصاصة : أى الفقر .   (٢) الحشر : ٩

وهو بنك خزائنه فى القلوب ، وسبائكه من نور ، وشيكاته ابتسامات وعملته السهلة الصفاء ، سنداته الاخلاص ، وضماناته المعروف ، وهو يتسع لكافة المعاملات ، لا تصدمك أرقامه ، ولا يفزعك تقلب أسعاره ، يدوم دوام المحبة • والمحبة زهرة ان ذبلت يوما عاش عطرها أبدا ، لا يفرق بين الناس وفقا لوضعهم المادى ، بل ان أولاهم بثقته من عظمت تضحيته ، وأوفرهم رصيدا من شف قلبه حنانا ورقت روحه سلاما ، يجمع القلوب ، ولا يجمع الأرقام ، يحصى الخير ويطرح السيئات ، ولا يبالى الا بالكلمة الطيبة •• لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيد انسانية كل منهم الى ما فوق الغنى ، وغنى النفوس لا يقدر بمال ، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء •

قال صاحب « الروض الفائق » : روى أبو هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، قدما يوما الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لأبى بكر : تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدم أنت يا على ، فقال على : ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « ما طلعت الشمس يوما ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الصديق » •

فقال أبو بكر : ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « أعطيت خير النساء لخير الرجال » •

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « اذا اجتمع الناس يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، ينادى مناد من قبل الحق عز وجل : يا أبا بكر •• ادخل أنت ومحبوبك الجنة » •

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجىء على يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد : يا محمد •• كان لك فى الدنيا والد حسن ، وأخ حسن ، فأما الوالد الحسن فأبوك ابراهيم ، وأما الأخ الحسن فعلى ابن أبى طالب » •

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لو وزن ايمان الأمة فى كفة ، وايمان أبى بكر فى كفة لرجح ايمان أبى بكر » .

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان عليا يجىء يوم القيامة ومعه زوجته وأولاده على مركب من البدن[١] فيقول أهل القيامة : أى نبى هذا ؟ فينادى مناد : هذا حبيب الله على بن أبى طالب » .

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل قال الله فى حقه : **« والذى جاء بالصدق[٢] وصدق به[٣] أولئك هم المتقون »[٤]** .

فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وقال : يا محمد .. العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : ان الملائكة لينظرون هذه الساعة الى أبى بكر وعلى ويسمعون ما يجرى بينهما فقم اليهما وكن ثالثهما فان الله قد خصهما بالرحمة والرضوان وحصنهما بحسن الأدب ، والاسلام والايمان .

فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فوجدهما كما أخبره جبريل فقبل وجه كل منهما وقال : « والذى نفس محمد بيده : لو أن البحار كانت مدادا[٥] ، والأشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود . فأرسل الى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يضيف هذا الليلة » ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية : قال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، الا قوت صبيانى ، قال : فعلليهم بشىء واذا أرادوا العشاء فنوميهم ، واذا دخل

---

(١) أى ناقة .

(٢) هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو سيدنا ابو بكر .

(٤) الزمر : ٣٣

(٥) أى حبرا يكتب به .

ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة »[١] .

ويوم أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثائرا لدرجة أنه سل سيفه وقال : من قال بموت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سأضرب عنقه — لأنه لم يكن يتصور فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم — ويظل فى ثورته الى أن يجىء الصديق عليه رضوان الله الذى يتأكد من هذا النبأ ثم يقول معلنا بأعلى صوته :

أيها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين »**[٢] وبعد استماع عمر رضى الله عنه الى هذه الآية يتأكد من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتذكر قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« انك ميت وانهم ميتون »**[٣] فيقوم مسرعا الى أبى بكر رضى الله عنه وهو يمد يده له قائلا :

امدد يدك لأبايعك ، فيقول له الصديق : امدد يدك أنت يا عمر لأنك أقوى منى . فيقول له سيدنا عمر : ولكنك أفضل منى ، فيقول سيدنا أبو بكر : يا عمر .. ان الخلافة فى حاجة الى قوة . فيمد سيدنا عمر يده للصديق وهو يقول له : ولتكن قوتى خادمة لفضلك .

وبعد أن أصبح الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب اليه وفد من المؤلفة قلوبهم يطلبون نصيبهم فى الصدقة ، فكتب لهم سيدنا أبو بكر كتابا بذلك ثم قال لهم : اذهبوا الى عمر فانه سيعطيكم حقكم .

ويذهبون بعد ذلك بكتاب الخليفة الى عمر الذى يقرأ الكتاب ثم يمزقه ، وعندما يفعل هذا يسألونه : لماذا فعلت هذا ؟ فيقول لهم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيكم هذا ، يوم أن كان

---

(١) متفق عليه . (٢) آل عمران : ١٤٤

(٣) الزمر : ٣٠

الاسلام فى حاجة اليكم ، أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فان شئتم ثبتم عليه والا فالسيف بيننا وبينكم •

ويعودون بعد ذلك الى الخليفة رضى الله عنه ، وهناك يقولون له بعد أن أخبروه بما فعله عمر : الخليفة أنت أم عمر ؟ فيقول لهم رضوان الله عليه : هو ان أراد — أى ان أراد أن يكون هو الخليفة فهو الخليفة لا فرق بيننا وبينه •

ويكلف سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، عمر بن الخطاب عليه رضوان الله بحل مشاكل المسلمين الداخلية حتى يتفرغ هو لمهام الخلافة ، فيمتثل سيدنا عمر للأمر ويجلس فى مجلس القضاء لمدة عام كامل فى انتظار الشاكي الذى يقول له : ان فلانا ظلمنى ، أو ضربنى ، أو أكل مالى ، ولكن كل هذا لم يحدث ، ولهذا نراه بعد ذلك يذهب الى الصديق طالبا منه اعفاءه من القضاء ، فيقول له الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الاعفاء يا عمر ؟ فيقول سيدنا عمر : « لا يا خليفة رسول الله •• ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين : عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب أحدهم تفقدوه ، واذا مرض عادوه ، واذا افتقر أعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ففيم يختصمون يا خليفة رسول الله » ؟

ولما كانت هذه النماذج العظيمة أساسها الحب لله فقد رأيت كذلك وفى ختام هذا العرض الموجز أن أسوق اليك بعض الأحاديث الشريفة التى ترغبك فى هذا الحب الخالص الذى من أهم نتائجه : « أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبرائيل[1] فقال : انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبرائيل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض • واذا أبغض عبدا دعا جبرائيل فيقول : انى أبغض فلانا فابغضه ،

---

(١) اى جبريل •

قال : فيبغضه جبرائيل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله أبغض فلانا فابغضوه ، قال : فيبغضونه . ثم يوضع له البغضاء فى الأرض »[١] .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى »[٢] .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرسل الله له على مدرجته[٣] ملكا ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها[٤] ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى[٥] : وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى » وفى رواية الترمذى قال : يقول الله تعالى : « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » .

قالوا : يا رسول الله .. تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية : **« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**[٦] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) اى على طريقه .

(٤) اى بينك وبينه معاملة مادية . (٥) اى فى الحديث القدسى .

(٦) رواه ابو داوود ، ورواه فى « شرح السنة » عن ابى مالك بلفظ « المصابيح » مع زوائد ، وكذا فى « شعب الايمان » ، والآية الأخيرة فى يونس : ٦٢

عليه وسلم لأبى ذر : « يا أبا ذر .. أى عرى الايمان أوثق » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « الموالاة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله »(١) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتدرون أى الأعمال أحب الى الله تعالى » ؟ قال قائل : الصلاة والزكاة . وقال قائل : الجهاد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أحب الأعمال الى الله تعالى : الحب فى الله ، والبغض فى الله »(٢) .

* * *

فلا تنس كل هذا مع مراعاة هذين الحديثين :

عن المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »(٣) ، ويؤيده أيضا ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : مر رجل بالنبى صلى الله عليه وسلم وعنده ناس ، فقال رجل ممن عنده : انى لأحب هذا لله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعلمته » ؟ قال : لا ، قال : « قم اليه فأعلمه » فقام اليه فأعلمه ، فقال : أحبك الذى أحببتنى له . قال : ثم رجع فسأله النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنت مع من أحببت ، ولك ما احتسبت »(٤) .

عن يزيد بن نعامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ، فانه أوصل للمودة »(٥) .

وليكن نصب عينيك وفى ذاكرتك دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير »(٦) .

حتى تتحقق الأخوة الصادقة ، والمحبة الخالصة ، وحتى لا يحدث ما عناه الشافعى رضى الله عنه فى قوله :

---

(١) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابو داوود والترمذى .

(٤) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) الحجرات : ١٣

نعيب زماننا والعيب فينا   وما بزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب   ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب   ونأكل بعضنا بعضا عيانا

* * *

ولا تنس اخوانك الذين سبقوك بالايمان ، واذا أردت أن تكون وفيا لهم ، وبارا بهم ، فحسبك أن تدعو لهم كلما دعوت لنفسك ، بهذا الدعاء الذى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يستجيبه منا ومنك ، وهو :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم »[1] .

* * *

* (ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهاك فى هذا العنصر الأخير عن كثرة الضحك كما حذرك فى وصية أخرى قال فيها لأبى ذر رضى الله عنه : « واياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه »[2] .

فالسبب فى هذا النهى والتحذير الذى وجهه الينا جميعا فى شخص أبى ذر رضى الله عنه كما رأيت هو صيانة القلب وحمايته من أسباب الهلاك .

وذلك لأن القلب هو مركز الحياة بالنسبة لجميع الأعضاء كما جاء فى حديث شريف قال فيه صلوات الله وسلامه عليه : « ... ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

والمنهى عنه كما رأيت أيضا هو الاكثار من الضحك ، وحتى لا تفهم عكس هذا وتكون عبوسا اليك هذه الأحاديث الثلاثة :

عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا

---

(١) الحشر : ١٠

(٢) راجع الجزء الأول من « وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم » .

طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحـدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون فيبتسم صلى الله عليه وسلم[١] .

وعن قتادة قال : سئل ابن عمر ، هل كان أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : نعم ، والايمان فى قلوبهم أعظم من الجبل .

وقال بلال بن سعد : أدركتهم يشتدون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم الى بعض ، فاذا كان الليل كانوا رهبانا[٢] .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أصحابه تبسما ، وقد ورد فى هذا :

عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : « ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٣] .

عن جرير قال : « ما حجبنى النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم »[٤] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، انما كان يبتسم »[٥] .

كما كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وقد ورد فى هــذا :

عن أبى هريرة قال : قالوا : يا رسول الله .. انك تداعبنا ، قال : « انى لا أقول الا حقا »[٦] .

وعن أنس قال : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير : « يا أبا عمير .. ما فعل النغير »[٧] ؟ وكان له نغير يلعب به فمات[٨] .

وعنه أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى حاملك على ولد الناقة » فقال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلد الابل الا النوق »[٩] .

---

(١) رواه مسلم ، وفى رواية الترمذى : « يتناشدون الشعر » .
(٢) رواه فى « شرح السنة » .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه الترمذى .
(٧) النغير : فرخ العصفور .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه الترمذى وابو داوود .

وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الأذنين »[١] .

* * *

فلاحظ كل هذا وكن بساما ولا تكن ضحاكا وحسبك أن تعلم أن الخضر عليه السلام أوصى بهذا سيدنا موسى عليه السلام بعد انتهاء الرحلة الخالدة التى سجلها القرآن فى سورة الكهف من أول قوله تعالى : **« واذ قال موسى لفتاه ... »**[٢] الى قوله : **« ... ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا »**[٣] .

« قال موسى عليه السلام بعد ذلك لسيدنا الخضر عليه السلام : أوصنى ، فقال له سيدنا الخضر موصيا : كن بساما ولا تكن ضحاكا ، ودع اللجاجة[٤] ، ولا تمش فى غير حاجة ، ولا تعب على الخطائين خطاياهم ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران »[٥] .

* * *

وحتى لا تكون مكثرا من الضحك تذكر دائما وأبدا نهايتك وما بعدها من حساب وعقاب فقد ورد فى هذا :

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فرأى الناس كأنهم يكتشرون ، فقال : « أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم — عما أرى — الموت . فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ، فانه لم يأت يوم على القبر الا تكلم فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا ، أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت لى فسترى صنيعى بك : قال : فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب الى الجنة ، واذا دفن العبد الفاجر — أو الكافر — قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا ، أما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك . قال : فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال : ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى . (٢) الكهف : ٦٠.
(٣) الكهف : ٨٢ (٤) اى الجدل .
(٥) اقرأ هذه الوصية فى كتاب « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى بعد تفسير هذه الآيات السابقة فى سورة الكهف .

ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب » .

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون . أطت السماء وحق لها أن تئط . والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله . ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله » قال أبو ذر : يا ليتنى كنت شجرة تعضد[1] .

وعن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا »[2] .

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

أما والله لو علم الأنام ... لم خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم حشر ثم نشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت أناس ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

* * *

ولهذا كان من الكياسة أن يكون الانسان متصورا نهايته وما فيها من أهوال حتى لا يكون لاهيا أو غافلا :

فقد روى عن على رضى الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال : « أرفق بصاحبى فانه مؤمن » فقال ملك الموت : أبشر يا محمد ، فانى بكل مؤمن رفيق ، والله يا محمد انى لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ من أهله صارخ قلت : ما هذا الصارخ ؟ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا فى قبضه من ذنب ، فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا ، وان تسخطوا وتجزعوا تأثموا ، وما لكم عندنا من عتبة ، وان لنا عليكم لغيبة ودعوة فالحذر ثم الحذر ، وما من أهل بيت شعر ولا مدر فى بر ولا بحر الا ولنا التصفح فى وجوههم كل يوم وليلة خمس مرات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ،

---

(١) رواه احمد والترمذى وابن ماجه . (٢) رواه البخارى .

والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأمرنى بقبضها •

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من ثلاثمائة ضربة سيف » •

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار : حدثنى عن الموت ، فقال : كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى •

وروى أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله تعالى ، فقال له بعض الكفرة : انك تحيى جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا ، فأحى لنا من مات فى الزمن الأول ، فقال لهم : اختاروا من شئتم ، فقالوا له : أحى لنا سام بن نوح ، فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا الله سام بن نوح واذا برأسه ولحيته قد ابيضا ، فقال : ما هذا الشيب ولم يكن فى زمانك ؟ فقال : سمعت النداء فظننت أنها القيامة ، فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة • فقال له : منذ كم أنت ميت ؟ فقال : منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت •

ويقال : ما من ميت يموت الا وعرض عليه الحياة والرجوع الى الدنيا فيكره الرجوع اليها لما لقى من شدة الموت ، الا الشهداء فانهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنون الرجوع لكى يقاتلوا ثانيا •

ويقول حاتم الأصم : أربعة لا يعرفها الا أربعة :

لا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ، ولا قدر العافية الا أهل البلاء ، ولا قدر الصحة الا المرضى ، ولا قدر الحياة الا الموتى •

ولذلك روى أنه ما من يوم الا وملك يهتف فى المقابر فينادى : يا أهل القبور •• من تحسدون اليوم ؟ فيجيبونه فيقولون : نحسد أهل المساجد فى مساجدهم ، يصلون ولا نقدر أن نصلى ، ويصومون ولا نقدر أن نصوم ، ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ، ويذكرون ولا نقدر أن نذكر ، فيندمون على ما مضى من زمانهم •

كما روى أن رجلا جاء الى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى صاحب القبر يقول له : يا هذا •• انكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتان فى صحيفتى خير من الدنيا وما فيها •

فلا تنس كل هذا واحذر أن تكون مضحكا لغيرك حتى لا تكون سببا فى غفلته فتكون من أهل الويل[١] وحسبك تحذيرا لك وتذكيرا ، هذين الحديثين الشريفين :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له »[٢] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد ليقول الكلمة — لا يقولها الا ليضحك بها الناس — يهوى بها أبعد مما بين السماء والأرض ، انه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه »[٣] .

* * *

وأخيرا .. أضف الى معلوماتك الفقهية هذه المعلومة :

القهقهة فى الصلاة : تبطلها دون الوضوء :

عند مالك ، والشافعى ، وأحمد ، واسحاق ، وداوود ، والجمهور ، واستدلوا على ذلك بقول أبى سفيان الواسطى : سئل جابر بن عبد الله عن رجل يضحك فى الصلاة ، فقال : « يعيد الصلاة ولا يعيد الوضوء »[٤] .

وقال الحسن البصرى ، وابراهيم النخعى ، وسفيان الثورى ، والحنفيون : ان الوضوء ينقضه قهقهة بالغ يقظان فى صلاة ذات ركوع وسجود : اذا سمعه جيرانه ، وان لم تبد أسنانه واستدلوا بحديث أبى العالية : « أن رجلا أعمى جاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فتردى فى بئر فضحك طوائف من الصحابة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة »[٥] .

ويلزم الوضوء بهذين النصين عقوبة وزجرا ، وان كان يجوز له مس المصحف بعد هذا بلا طهارة[٦] .

* * *

---

(١) وادى فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره .

(٢) رواه احمد والترمذى وابو داوود والدارمى .

(٣) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٤) اخرجه البيهقى من عدة طرق .

(٥) اخرجه الدارقطنى .

(٦) اى بلا وضوء .

الجزء الرابع

الوصية السادسة عشرة

قال سلمان الفارسى رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان قال :

« يا أيها الناس .. قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء » .

قالوا : يا رسول الله .. ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

« يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه .

واما اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

* * *

فكن أخا الاسلام :

مستجيبا لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الخطبة الجامعة التى استقبل بها شهر رمضان المبارك فى آخر يوم من شعبان.

كما يقول الصحابى الجليل سلمان الفارسى عليه وعلى رفاقه الأصحاب الأجلاء رضوان الله .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبته قد تحدث أو أشار الى عظمة رمضان وبركته فانه يعنى ما أشار اليه فى حديث آخر قال فيه :

« أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه الى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »(١) .

كما يعنى كذلك ما فيه من امتيازات أشار اليها صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر قال فيه :

« أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى ، أما الأولى : فانه اذا كان أول ليلة منه نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فان الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة ، وأما الثالثة : فان الله يأمر جنته يقول لها : تزينى لعبادى الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى ، وأما الرابعة : فان رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك ، وأما الخامسة : فانه اذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا ، فان العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم »(٢) .

وما فيه من خصوصيات أشار اليها أيضا صلوات الله وسلامه عليه فقال :

« ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فاذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد »(٣) .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه الى التنافس فيه فى أعمال الخير حتى لا يحرموا من الجزاء الأوفى يوم العرض على ملك الملوك سبحانه الذى يقول فى كتابه العزيز : « **وأن ليس للانسان**

---

(١) رواه البيهقى عن جابر . (٢) رواه الطبرانى عن عبادة .

(٣) رواه البيهقى عن سهل مرفوعا .

الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى »[١]
فتراه يقول صلوات الله وسلامه عليه كما قرأت سابقا :

« أتاكم رمضان ، شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه الى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[٢] •

بل وكان يرغبهم صلى الله عليه وسلم فى التقرب الى الله ويحذرهم من الوقوع فى ما يغضبه خاصة اذا ما حل شهر الصيام فيقول :

« ان الجنة لتزين من السنة الى السنة لشهر رمضان ، فاذا دخل رمضان قالت الجنة : اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك سكانا • ويقلن الحور العين : اللهم اجعل لنا من عبادك فى هذا الشهر أزواجا •

قال النبى صلى الله عليه سلم : فمن صان نفسه فى شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكرا[٣] ، ولم يرم فيه مؤمنا بالبهتان ولم يعمل فيه خطيئة ، زوجه الله كل ليلة مائة حوراء ، وبنى له قصرا فى الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ، لو أن الدنيا جمعت فجعلت فى ذلك القصر لم تكن فيه الا كمربط عنز فى الدنيا[٤] •

ومن شرب فيه مسكرا ، أو رمى مؤمنا ببهتان أو عمل فيه خطيئة أحبط الله عمله سنة ، فاتقوا شهر رمضان — فانه شهر الله أن تفرطوا فيه فقد جعل لكم أحد عشر شهرا تتنعمون فيها وجعل لنفسه شهر رمضان فاحذروا رمضان »[٥] •

فكن من أهل هذا الخير الذى ستكون من أفقر الناس اليه يوم القيامة ، واغتنم كل لحظة من موسم الحصاد الذى أكرمك الله تعالى بادراكه ، واحذر الوقوع فيما حذرك الرسول صلى الله عليه وسلم منه حتى لا تحرم من الخيرات والبركات والنفحات التى وقفت على بعضها فى هذا الحديث الأخير •

---

(١) النجم : ٣٩ — ٤١ (٢) رواه الطبرانى عن عبادة .
(٣) البيرة من المسكرات وهى اخت الخمر .
(٤) وهذا دليل على حقارة الدنيا وانها لا تزن عند الله جناح بعوضة .
(٥) اخرجه الطبرانى فى « الأوسط » .

وحتى تزداد معرفة بهذا الشهر المبارك وتقف على بعض ما فيه من العظمة والبركة اليك هذه القصيدة المعبرة التى جمعت فأوعت[1] :

بدا عليه من الأنوار اكليل ... شهر تحاياه تكبير وتهليل
شهر عليه من الاجلال روعته ... له بكل بقاع الأرض تبجيل
شهر التقى والهدى والصوم حين ... بدت أنواره زهقت منه الأباطيل
شهر تفتح أبواب النعيم به ... والتوب فيه من العاصين مقبول
الله عظمه قدرا وفضله ... وليس بعد كلام الله تفضيل
فأنزل الوحى بالقرآن فيه هدى ... أتى به لرسول الله جبريل
فيه شفاء نفوس من غوايتها ... أعمى بصيرتها زيغ وتضليل
آياته بينات كلها عبر ... يروق سامعها فى النفس ترتيل
تقوم المذنب العاصى براءتها ... ان لم تقومه توراة وانجيل
ويستزيد هدى منها وموعظة ... من قلبه بالتقى والدين مشغول
شرائع الدين قد جاء النبى بها ... وليس يقبل فيها قط تأويل
شهر الصيام لقد زادتك تكرمة ... ورفعة ليلة ما مثلها جيل
تنزل الروح فيها رحمة ورضا ... وزانها من حكيم الذكر تنزيل
الله فضلها فى الذكر فاحتسبت ... عند الاله وفيها يقبل السول[2]
شهر السعادة فيه نسك منطبع ... على القلوب وفيه العفو مكفول

ولهذا قيل : ان رمضان مشتق من الرمض ، وهو شدة الحر ، أو من الرمضاء ، كحمراء •• ومن ذلك قول الشاعر :

* كالمستجير من الرمضاء بالنار *

كما قيل : لأنه يرمض الذنوب ، أى يحرقها بالأعمال الصالحة ، من الارماض وهو الاحراق •

وقيل : لأن القلوب تأخذ من حرارة الموعظة ، والتفكير فى أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس •

وقيل : لأنه مشتقة يذكر الصائمين بما يقاسيه أهل النار فيها •

وقيل : انه اسم من أسماء الله تعالى ، ليكون غير مشتق — أو يكون مشتقا راجعا الى معنى الغافر — أى يمحو الذنوب ويمحقها •

---

(١) من قصيدة للشاعر : نجاتى عبد الرحمن (هدية منبر الاسلام ، عدد رمضان ١٣٨٨ هـ)

(٢) اى السؤال .

ولرمضان أسماء كثيرة بلغت الستين عدا ، منها : شهر الله ، وشهر الآلاء ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة ...

* * *

هذا بالاضافة الى أنه شهر النصر ، والفتح .

ففي يوم الجمعة لسبعة عشر خلت من رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت :

غزوة بدر الكبرى

التي خلد الله ذكرها في القرآن فسمى زمنها : « **يوم الفرقان** »(١) كما امتن على المسلمين بها في قوله تعالى : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** »(٢) .

وخلاصة ذكراها :

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد بلغه وهو بالمدينة أن قافلة تجارية ضخمة — ألف بعير تحمل من السلع ما يقدر بخمسين ألف دينار — تهبط من مشارف الشام عائدة الى مكة يقودها أبو سفيان ابن حرب مع رجال لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين ! فقال لأصحابه : « هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرجو لهم من وراء هذه الغنيمة عوضا لما لحقهم من خسائر أثناء هجرتهم الأخيرة .

وترك الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر لرغبتهم المطلقة ولم يعزم على أحد بالخروج . ثم سار بمن أمكنه الخروج ، وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا أكثرهم من المهاجرين والباقي من الأنصار ، ولم يكن معهم سوى فرسين وسبعين بعيرا كانوا يتعاقبون ركوبها .

وكان أبو سفيان قد وردت اليه أنباء الهجوم الاسلامي فخالف الطريق المعتاد وساحل بالعير الى طريق البحر على بعد ثلاثة أميال أسفل ، فاستطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل الى مكة من يستنفر أهلها لحماية أموالهم — لأن معظمهم كان له نصيب في هذه التجارة — فكانوا بين رجلين : اما مشترك بنفسه ، واما باعث مكانه رجلا ، الى أن بلغت عدتهم نحو تسعمائة وخمسين مقاتلا في مائة فرس وسبعمائة بعير .

---

(١) الأنفال : ٤١ (٢) آل عمران : ١٢٣.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد غذ السير حتى نزل وادى زفران ، فبلغه نجاة العير وأن قريشا قد ساقت من مكة جيشا جرارا لحماية القافلة ، وأنها تتأهب للقتال مستترة خلف الكثيب الذى بالعدوة القصـــوى •

فهزت هذه المفاجأة جيش المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون هذا ، ولو توقعوه لعملوا له ألف حساب غير أن النبى صلى الله عليه وسلم استطاع بكياسته وحسن قيادته أن يتغلب على هذا الفتور العارض وأن يقنعهم بضرورة تعقب المشركين مهما كان عددهم وبأسهم ، وحذرهم من عقبى العود السريع الى المدينة ، وأنه اذا لم يقبل المسلمون هذا التحدى لجاز أن يدفع الطيش القرشيين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة •

فتحمسوا جميعا لقبول هذا التحدى ومواجهته مهما كلفهم من تضحيات •

واستمع الرسول صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله اللذين أشارا عليه بالتقدم وأيدهما المقداد بن عمرو ، ولفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقتال من المهاجرين فقط ، فأراد أن يستجلى موقف الأنصار الذين بايعوه فى بيعة العقبة •••

فقال : « أشيروا على أيها الناس » فلما أحس الأنصار أنه يقصدهم نهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم وقال :

يا رسول الله •• كأنك تريدنا ؟ قال : « أجل » • فقال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وأعطيناك عهودنا ، فامض يا رسول الله لمـــا أمرت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر[1] فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء •• سر بنا على بركة الله •

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه النبى صلى الله عليه وسلم بشرا وقال : « سيروا وأبشروا •• هذه مكة ألقت اليكم أفلاذ كبدها ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم » •

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه الى الشرق من جيش المشركين فى العدوة الدنيـــا ونزل عند أقرب ماء للعدو لمشـــورة

---

(١) واشار الى البحر الاحمر .

الحباب بن المنذر ، وبنى عليه حوضا وطمس كل ما عداه من ينابيع ليتيح للمسلمين الانتفاع بالمـــاء دون المشركين ، وفى نفس الوقت صنع للرسول صلى الله عليه وسلم عريشا من جريد النخل فى نفس الميدان .

وكانت قريش كما علمت سابقا بالعدوة القصوى[١] وجيش المسلمين بقيادة القائد العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعدوة الدنيا .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف وهو يحث أصحابه على الثبات حتى ارتفعت أرواحهم المعنوية . ثم أخذ ينادى ربه حتى سقط رداؤه وهو يقول :

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك .. اللهم نصرك الذى وعدتنى »[٢] .

وكان المسلمون أسعد حظا من المشركين ، فلقد أكسبهم النوم الذى غشيهم[٣] ليلة المعركة وافرا من راحة الجسم والأعصاب ، وأمطرت السماء ماءا ثبتت به الأرض تحت أقدامهم ، وسهلت تحركاتهم على سفح التلال فى حين أنها عاقت زحف المشركين وعوقت تحركاتهم ، وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين أثناء عملية الزحف فشغلتهم عن تنظيم المعركة ، وزاد التفكك فى صفوفهم أنهم شعروا أن القتال أصبح لا ضرورة له بعد نجاة العير ، فلو بقيت العير فى الخطر لكان من المحتمل أن يستميت المشركون فى القتال .

ويبدأ الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلا :

أعاهـــد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !

---

(١) العـــدوة القصوى : اى البعيدة عن المدينة ، والعدوة الدنيا هى القريبة منها . وبالنسبة لبدر : فهى سهل رملى يحده من الشمال الشرقى تلال شديدة الانحدار ، ومن الغرب كثبان رملية ، ومن الجنوب منحدر صخرى منخفض ، وينساب فى الوادى جدول من المـــاء ، وينقطع الجدول فيصبح آبارا وهو على بعد ١٦٠ كيلو مترا من المدينة .

(٢) يشير الى قوله تعـــالى : **«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون»** (الصافات : ١٧١ ، ١٧٢) .

(٣) وفى ذلك بقوله تعالى : **« اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام »** (الانفال : ١١) .

فيتصدى له حمزة بن عبد المطلب فيضربه ضربة تطير نصف ساقه ، ومع ذلك فقد حبا الى الحوض يبغى اقتحامه ، فتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه ، الأمر الذى استشاط غضب المشركين وأثار حميتهم ، فاندفع منهم عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فبرد للقائهم فتية من الأنصار ، فقالوا : يا محمد .. أخرج الينا أكفاءنا من قومنا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « قم يا عبيدة ابن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا على » فبارز عبيدة عتبة ، وبارز على الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه ثم احتملا صاحبهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أفرشه قدمه حتى أسلم الروح .

فكان هذا المشهد البطولى سببا فى انفجار الكفار الذين أخذوا بعد ذلك يمطرون المسلمين بوابل من سهامهم ، فحمى الوطيس وتهاوت السيوف وتصايح المسلمون أحد أحد. فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكسروا هجمات المشركين ، وهم يرابطون فى مواقعهم ، وهو يقول لهم : « ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل . ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

ولهذا عندما اتسع نطاق المعركة واقتربت من قمتها كان المسلمون قد استنفدوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة ، والنبى فى عريشه يدعو الله ويرقب بطولة رجاله ثم يخرج اليهم محرضا فيقول :

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا متحسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .

ومرة أخرى : يخفق فى العريش خفقة ثم ينتبه قائلا :

« أبشر يا أبا بكر .. أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع » !!

فيتحمس المسلمون ويستبشرون بنصر الله ويقاتلون بكل شجاعة واستبسال الى أن تنتهى المعركة الخالدة بهزيمة المشركين بعد أن انكسرت شوكتهم وسقطت رايتهم وهم يفرون أمام الأسود بقيادة زعيمهم وقائدهم صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قتل فى هذه الغزوة من المشركين سبعون صنديدا من رؤوس الكفر بمكة منهم :

عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وأبو جهل ابن هشام .

وأسر منهم كذلك سبعون ، أما الباقى بعد القتل والأسر فقد فر عائدا الى مكة ، يجر أذيال الخيبة ومتوجا بالخزى والعار .

أما المسلمون فقد استشهد منهم فى هذه الغزوة أربعة عشر رجلا .

ويعود الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المنتصرين بعد ذلك الى المدينة يسوق أمامه الأسرى والغنائم فخورا بنصر الله وتأييده .

وقد سجل الله سبحانه وتعالى هذا فقال فى كتابه العزيز :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم »[1] .

كما عبر أحد الشعراء[2] عن هذا أيضا بقوله :

ذاك ركب به الملائكة الغـــ	ـــر وجبريل فى الغمام يكبر
والنبى الكريم يرتقب الوحــ	ــى بنصر من الاله مؤزر
والمقادير تستحث المنايا	ليذوق العدو مالا يقدر
أزفت ساعة الجهاد وراحت	كل نفس الى المنية تنظر
وتهادى النبى فى موكب النو	ر كأن الصباح منه تحدر
بيد تحمل القنا وبأخرى	تحمل الوحى والكتاب المطهر
وتلاقى الجيشان فى (بدر) حتى	أوشك الرمل أن يفر ويزعر
قد تلاقى الجمعان والموت مثل السيـ	ـل يهوى والهول كاليم يزخر
فاذا المسلمون فى غمرة الحر	ب يرون الجنان فى البيد تزهر
واذا الظالمون يصلون نارا	ليس يخبو لهيبها المتسعر
واذا الوحى من صدى الخلـ	ـد نجوى فى فؤاد الرسول بالنصر يبشر
فجثا الكفر واعتلت راية الله	وصاح النبى : الله أكبر

* * *

فتح مكة

وفى أواخر السنة الثامنة من الهجرة كانت قريش قد نقضت عهدها فى صلح الحديبية ، فهاجمت مع حلفائها من بنى بكر قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين ، لدرجة أن بنى بكر الذين كانت تعينهم قريش

---

(١) الأنفال : ٩ ، ١٠ (٢) وهو الأستاذ على الجمبلاطى .

بالسلاح ، هاجموا خزاعة فى داخل الحرم عندما انحاذوا اليه للاحتماء به ــ حيث لا يجوز القتال ــ فأصابوا منهم رجالا .

ففزعت خزاعة لما حل بها ، وأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم يقص عليه نبأها .

وهناك وبين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم قال عمرو شعرا بكايا ختمه بقوله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا
فقتلونا ركعا وسجدا

وما كاد ينتهى من كلامه هذا حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم ... » .

وكانت قريش قد أحست بعد فوات الأوان بخطئها ، فأرسلت أبا سفيان الى المدينة نائبا عنها ليصلح ما أفسده قومه ، ويحاول أن يعيد الأمر الى ما كان عليه ، ولكنه عاد بعد ذلك يجر أذيال الخيبة بعد أن رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مقابلته .

وباختصار : كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر الناس بأن يتجهزوا ، وأعلمهم أنه سائر الى مكة ، وهو يوصيهم بالجد والبدار داعيا الله تعالى قائلا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » .

وفى ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك غادر الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل لنصرة المظلوم وردع الظالم ، وكله أمل فى نصر الله وتأييده .

ويمضى الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه يطوون البيداء المترامية ، وقد امتلأت قلوبهم بالعزة ، وسرت فى نفوسهم روح الاخلاص والايمان .. حتى اذا صاروا على مشارف مكة ضربوا خيامهم وأوقدوا نيرانهم ، وكانت نيرانا عظيمة لم ترها مكة فى تاريخها الطويل ــ الأمر الذى أزعج أهل مكة ، وأثار عجبهم وقذف الرعب فى قلوبهم .

وفى هذه اللحظات الرهيبة خرج أبو سفيان بن حرب لاستطلاع الأمر ومعرفته ، فالتقى فى طريقه بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أسلم قبل ذلك فسأله عن هذه النيران الهائلة ، فأخبره بأنها نيران المسلمين • فارتعدت فرائصه وصدم بصورة عنيفة بسبب هذا النبأ الذى ما كان يخطر له على بال ، ولهذا وبعد تفكير عميق وسريع وجد نفسه مضطرا الى الاذعان والاستسلام ، فأجاره العباس ، وانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعلن اسلامه ففتح لنفسه بابا من الأمن والسلام • وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى كرامته بين قومه ، فمنحه منزلة لم تمنح لأحد قبله ، ولا منحت لأحد من بعده ، فقال : « من أغلق بابه دونه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » •

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس : « خذ أبا سفيان واحبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها » •

يقول العباس : « فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ، ومرت القبائل على راياتها وكلما مرت قبيلة ، قال : يا عباس •• من هذه ؟ فأخبره عنها حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وقد لبسوا عدة الحرب والقتال لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس •• من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سفيان •• انها النبوة •

وينطلق أبو سفيان بعد ذلك مسرعا الى قومه ، قائلا بأعلى صوته : يا معشر قريش •• هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : قبحت من طليعة قوم • قال : ويلكم •• لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به • فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه فهو آمن ،

ومن دخل المسجد فهو آمن .. فتفرق النـــاس الى دورهم والى المسجد .

ويدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة راكبا راحلته منحنيا على رحله ، تواضعا لله وشكرا ، وأسامة بن زيد من ورائه ، وكان ذلك فى صبح الجمعة لعشرين يوما خلت من شهر رمضان . وبعد أن استراح قليلا فى قبة كانت قد نصبت له فى الحجون ، سار بعد ذلك وبجانبه أبو بكر ، يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى البيت وطافه حوله سبعا على راحلته ، وكان حول الكعبة حينذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعود فى يده وهو يقول :

« قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد »[1] .

ثم أمر بها فأخرجت من البيت العتيق حتى يؤدى رسالته التى من أجلها رفع ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قواعده ، وهى عبادة الله الواحد الأحد الذى **« ... لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحـــد »**[2] .

ثم بعد ذلك ــ وبعد أن دخل الكعبة وكبر فى نواحيها ، وصلى فى مقام ابراهيم عليه السلام ، وشرب من ماء زمزم ــ جلس فى المسجد فاذا بالعيون شاخصة اليه ، والناس حوله ينظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين كادوا له ولأصحابه ، بعد أن مكنه الله منهم .

فكان لابد لهذا الرسول العظيم الذى أرسله الله **« رحمة للعالمين »**[3] أن يقدم الشكر لله تعالى على تمكينه منهم بالعفو عنهم عند القدرة عليهم . لقد نظر اليهم وهم يرتعدون أمامه ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[4] . فكان من أهم نتائج هذا العفو الكريم ، والخلق العظيم : أن دخل أكثرهم **« فى دين الله أفواجا »**[5] .

وكل هذا كان من بركات شهر رمضان العظيم ، الذى سيظل بركة وفتحا للاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

* * *

---

(١) سبأ : ٤٩

(٢) الاخلاص : ٣ ، ٤

(٣) الأنبياء : ١٠٧

(٤) أى الأحرار .

(٥) النصر : ٢

ليـلة القـدر

وفى الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك كانت ليلة القدر كما ورد فى حديث شريف رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفيه يقول : أخبرنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال : « هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ، ليلة احدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سـبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، آخر ليلة من رمضان • من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وان كان هناك اختلاف بين العلماء فى أى الليالى هى ؟ :

فبعضهم يرى أنها ليلة الحادى والعشرين ، ومن العلماء من يرى أنها ليلة الثالث والعشرين ، ومنهم من ذهب الى أنها ليلة الخامس والعشرين ، ومنهم من يرى أنها ليلة التاسع والعشرين ، ومن يقول : انها تنتقل فى ليالى الوتر فى العشر الأواخر من الشهر • ولم يختلف أحد عن كونها فى رمضان لقوله تعالى : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** »(١) وأكثرهم على أنها ليلة السابع والعشرين •

وقد ورد فى تأكيد أنها ليلة السابع والعشرين ، عن أبى بن كعب أنه قال : « والله الذى لا اله الا هو ، انها لفى رمضان ــ يحلف ما يستثنى ــ والله انى لأعلم أى ليلة هى : هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها : هى سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها »(٢) •

وتستطيع أن تلمس هذا أيضا اذا قرأت السورة الى قوله تعالى : « •• **سلام هى** ••• »(٣) فانك اذا عددت كلماتهـا الى كلمة « هى » ، ستجد أنها عبارة عن سبعة وعشرين كلمة مع ملاحظة أن كلمة « ليلة القدر » التى ذكرت فى السورة ثلاث مرات ، لو ضربت حروفها فى ثلاثة لأعطتنا نفس الرقم السابق(٤) •

والقدر فى اللغة ، يطلق على معان : منها الشرف وعظم الشأن ، ومنها تقدير الأشياء وتحديدها ، وضبط صفتها وأحوالها • فهى الليلة

---

(١) القدر : ١

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داوود والترمذى وصححه .

(٣) القدر : ٥ (٤) والله أعلم .

المباركة التى أنزل فيهـا القرآن « **هدى للنـاس وبينات من الهدى والفرقان** »[١] وفى ذلك يقول تعالى أيضا : « **حم • والكتاب المبين • انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين** »[٢] •

وهى : التى يطلع الله فيها ملائكته على ما قدر للناس من آجال وأرزاق وما عليهم تنفيذه فى العام التالى ، من ضبط سائر أمور الكائنات ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « **فيها يفرق كل أمر حكيم** »[٣] •

وهى : سلام على المؤمنين حتى مطلع الفجر بصورة متجددة مع الأيام فى كل عام ، كما تدل صيغة المضارع فى قوله تعالى : « **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر** »[٤] ليكون فى ذلك ارهاص لهم بأن الاسلام سلام عليهم طوال العمر ومدى الدهر ما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه • هذا بالاضافة الى أنها : « **خير من ألف شهر** »[٥] •

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم كما روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « اذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله وشد المئزر » كناية عن الجد فى العبادة واعتزال النساء من أجلها •

وحسبك حتى تقف على جلال قدرها وتعظيم شأنها أن تلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد عبر عنها بالاستفهام الدال على جلالها فى قـوله : «**وما أدراك ما ليلة القدر** »[٦] وأن كلمة « القدر » ذكرت فى السورة ثلاث مرات •

فكن أخا الاسلام من الذين يعرفون قدر هذه الليلة المباركة حتى لا تحرم وحتى تفوز بمغفرة الله سبحانه وتعالى فيها • وحسبك ترغيبا لك فى احياء ليلتها بتلاوة القرآن الذى أنزل فيها[٧] ، بالاضافة الى

---

(١) البقرة : ١٨٥
(٢) الدخان : ١ ــ ٣
(٣) الدخان : ٤
(٤) القدر : ٤ ، ٥
(٥) أى العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر .
(٦) القدر : ٢
(٧) بنص الآية الكريمة « **انا انزلناه فى ليلة القدر** » وان كانت هناك آية فى القرآن تشير الى ان ليلة القدر فى السابع عشر من رمضان ، وهو يوم بدر « **وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان** » (الانفال : ٤١) .

صلاة القيام والاستغفار أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القــدر ايمانا[١] واحتسابا[٢] غفر له ما تقدم من ذنبه »[٣] •

وقوله : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله »[٤] •

هذا : وكما يقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله :

« وللناس خيالات فى ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال فضلا عن الراشدين من الرجال ، فكل ما حفظوه عنها أن تكون لهم ساعة سمر يتحدثون فيها بما لا ينظر الله اليه ، ويسمعون شيئا من كتاب الله لا ينظرون فيه ، ولا يعتبرون بمعانيه ، بل ان أصغوا اليه فانما يصغون لنغمة تاليه ونســوا أنها ليلة عبــادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين ••• » •

فلا تكن من هؤلاء المخرفين الغافلين ، وكن من الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لاحياء هذه الليلة بطاعة الله •

مع ملاحظة أنه قد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله •• أرأيت ان علمت أى ليلة ــ ليلة لقدر ــ ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى »[٥] •

واعلم : أنه كما يسن للصائم احياء العشر الأواخر من رمضان لتحقق ليلة القدر فى واحدة منها •

كذلك : يسن له الاعتكاف فى المسجد فى العشر الأواخر منه • والاعتكاف هو : أن يقيم فى بيت من بيوت الله بنية حبس النفس على طاعة الله وملازمة بيته ، تدريبا له على طاعته لمولاه ، وبعدا لنفسه عن الشهوات الدنيوية •

---

(١) ايمانا : اى مصدقا بوعد الله للصائمين والقائمين •

(٢) واحتسابا : اى محتسبا اجره عند الله تعالى •

(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة •

(٤) رواه النسائى والبيهقى عن ابى هريرة مرفوعا •

(٥) رواه احمد وابن ماجه والترمذى وصححه •

وفى هذا يقول تعــالى : « ... **ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** »(١) .

كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان » .

فكن من أهل هذا الخير بقدر استطاعتك ، واذا لم تستطع فأكثر من التردد على المساجد لشهود الجمعة والجماعات ، وأطل بها المكث ناويا الاعتكاف المشروع حتى تنال الأجر على قدر جهدك .

* * *

فرضيــة الصــيام

والصيام لغة : مطلق الامساك عن الكلام وغيره ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « **انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا** »(٢) وشرعا : الامساك بنية عن الأكل والشرب وكل مفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

وهو الركن الرابع من أركان الاسلام .

وقد فرضه الله علينا — فى شهر رمضان — كما فرضه على الذين من قبلنا ، فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(٣) وقال : « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** »(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « أن الاسلام بنى على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت »(٥) .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا كما جاء فى الآية الكريمة التى تنص على هذا ، فالتشبيه

---

(١) البقرة : ١٨٧
(٢) مريم : ٢٦
(٣) البقرة : ١٨٣
(٤) البقرة : ١٨٥
(٥) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

فيها تشبيه فرضية بفرضية ، وان كان فى هذا التشبيه آراء للعلماء :
قال القرطبى فى بيان معنى قوله تعالى : « **كما كتب على الذين من قبلكم** » : قال الشعبى وقتادة وغيرهما : التشبيه يرجع الى وقت الصوم ، وقدر الصوم . فان الله كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا ، وزاد أحبارهم عليه عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر ان شفاه الله أن يزيد فى صومهم عشرة أيام ففعل . فصار صوم النصارى خمسين يوما . فصعب عليهم فى الحر فنقلوه الى الربيع . واختار هذا القول النحاس وقال : وهو الأشبه بما فى الآية ، وفيه حديث يدل على صحته أسنده عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان على النصارى صوم شهر فمرض رجل منهم ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن عشرة ، ثم كان آخر فأكل لحما فأوجع فاه فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن سبعة ، ثم كان ملك آخر فقالوا : لنتمن هذه السبعة أيام ، ونجعل صومنا فى الربيع . قال : فصار خمسين »[1] .

وقال مجاهد : « كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة » .

وفى تفسير « المنار » يقول الأستاذ محمد رشيد رضا :

« وقد كتب — يقصد الصوم — على أهل الملل السابقة فكان ركنا من كل دين ، لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفى اعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا اشعار بوحدة الدين فى أصوله ومقصده ، وتأكيد لأمر هذه الفرضية وترغيب فيها » .

وقال نقلا عن أستاذه الامام محمد عبده :

« أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا ، والمعروف أن الصوم مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية ، فهو معروف عند قدماء المصريين فى أيام وثنيتهم .

وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى ج ٢ ص ٢٧٤

وليس فى أسفار التوراة التى بين أيدينا ما يدل على فرضيته ، وانما فيها مدحه ، ومدح الصائمين • وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ومشروعا ومعدودا من العبادات ، واليهود فى هذه الأزمنة يصومون أسبوعا تذكارا لخراب أورشليم ويصومون يوما من شهر آب[١] » ••• الخ[٢] •

واذا كان الله تعالى قد اختص شهر رمضان بالصيام ، فلأنه هو الشهر الذى بدىء فيه بانزال القرآن ولما كان القرآن هو معجزة الرسول الكبرى ، وحجته للناس ، وهو منهاج السماء للانسانية جمعاء ، ودستور الله الى البشر كافة ، ناسب أن يكون اختصاص فرض الصيام برمضان شكرا لله على هذا الاحسان •

* * *

أركان الصيام

وللصيام ركنان تتركب منهما حقيقته :

١ ـ الامساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس • لقول الله تعالى : « **فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل** »[٣] •

والمراد بالخيط الأبيض ، والخيط الأسود : بياض النهار وسواد الليل • كما ورد فى حديث شريف رواه البخارى ومسلم •

٢ ـ النية : لقول الله تعالى : « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** »[٤] وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ••• »[٥] •

وهى لغة : العزم ، وشرعا : الارادة المقارنة للفعل المسبوقة بعلم المنوى • وهى : أمر قلبى[٦] •

---

(١) أغسطس •

(٢) تفسير « المنار » ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٣) البقرة : ١٨٧

(٤) البينة : ٥

(٥) أخرجه البخارى ومسلم •

(٦) ولا عبرة باللسان ان خالف القلب ويقوم مقامها التسحر • ولو قال نويت صوم غد ان شاء الله تعالى صح استحبابا •

ولابد أن تكون قبل الفجر ، من كل ليلة من ليالى شهر رمضان لحديث حفصة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يجمع[١] الصيام قبل الفجر فلا صيام له »[٢] .

وتصح فى أى جزء من أجزاء الليل ، ولا يشترط التلفظ بها فمن تسحر بالليل ، قاصدا الصيام وتقربا الى الله بهذا الامساك فهو ناو ، ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله ، فهو ناو كذلك وان لم يتسحر .

وقال كثير من الفقهاء : ان نية الصيام التطوع تجزىء من النهار ، وان لم يكن قد طعم .

قالت عائشة رضى الله عنها : « دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : هل عندكم شىء ؟ قلنا : لا . قال : فانى صائم »[٣] .

واشترط الأحناف أن تقع النية قبل الزوال ، وهذا هو المشهور من قولى الشافعى ، وظاهر قول ابن مسعود وأحمد :

أنها تجزىء قبل الزوال ، وبعده على السواء .

* * *

على من يجب

وقد أجمع العلمــاء على أنه يجب على المسلم العاقل البالغ ، الصحيح المقيم ، والمرأة الطاهرة من الحيض والنفاس .

وهذا معناه أنه لا يجب الصيام على كافر ، ولا مجنون ، ولا صبى ، ولا مريض ، ولا مسافر ، ولا حائض ، ولا نفساء ، ولا شيخ كبير ، ولا حامل ، ولا مرضع .

وبعض هؤلاء : لا صيام عليهم مطلقا ، كالكافر والمجنون . لأن الصيام عبادة اسلامية ، فلا تجب على غير المسلمين .

والمجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل الذى هو مناط التكليف .

---

(١) من الاجماع ، وهو احكام النية والعزيمة .

(٢) رواه احمد واصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان .

(٣) رواه مسلم وابو داوود .

وقد ورد فى حديث على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم »[١] .

أما الصبى : وان كان الصيام غير واجب عليه ، فانه يطلب من ولى أمره ، بل وينبغى أن يأمره به ، ليعتـــاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، وقادرا عليه . فقد ثبت عن الربيع بنت معوذ أنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة عاشوراء ، الى قرى الأنصار : « من كان صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه » ، فكنا نصومه بعد ذلك ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن[٢] ، فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه اياها ، حتى يكون عند الافطار[٣] .

وأما الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والمريض الذى لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال ، فان هؤلاء جميعا يرخص لهم فى الفطر ، اذا كان الصيام يجهدهم ، ويشق عليهم مشقة شديدة فى جميع فصول السـنة .

وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا ــ ان استطاعوا ــ وقدر ذلك بنحو صاع[٤] أو نصف صاع ، أو مد[٥] ، على خلاف فى ذلك ، ولم يأت من السنة ما يدل على التقدير .

يقول ابن عباس : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه[٦] .

وروى البخارى عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ : « **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** »[٧] قال ابن عبـــاس : ليست بمنسوخة ، هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، لا يستطيعان أو يصوما ، فيطعمان[٨] مكان كل يوم مسكينا .

---

(١) رواه أحمد ، وابو داوود ، والترمذى .
(٢) العهن : أى الصوف . (٣) رواه البخارى .
(٤) الصاع : قدح وثلث . (٥) المد : ربع قدح من قمح .
(٦) رواه الدارقطنى والحاكم وصححاه .
(٧) البقرة : ١٨٤
(٨) مذهب مالك وابن حزم أنه لا قضاء ولا فدية .

والحبلى والمرضع : اذا خافتا على أنفسهما ، أو أولادهما أفطرتا ، وعليهما الفدية ، ولا قضاء عليهما ، عند ابن عمر ، وابن عباس[١] •

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل اذا خافت على ولدها فقال : تفطر ، وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة[٢] •

وفى الحديث : « ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر[٣] الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم » •

وعند الأحناف وأبى عبيد وأبى ثور : أنهما يقضيان فقط ، ولا اطعام عليهمـــا •

وعند أحمد ، والشافعى : أنهما ان خافتا على الولد فقط وأفطرتا فعليهما القضاء والفدية ، وان خافتا على أنفسهما فقط ، أو على أنفسهما وعلى ولدهما ، فعليهما القضاء ولا غير •

أما المريض الذى يرجى برؤه ، والمسافر •
فانه يجب عليهما القضاء • وفى ذلك يقول الله تعالى :
« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »[٤] •

وروى أحمد ، وأبو داوود ، والبيهقى ، بسند صحيح من حديث معاذ ، قال : « ان الله تعالى فرض على النبى صلى الله عليه وسلم الصيام ، فأنزل : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »**[٥] الى قوله : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »**[٦] فكان من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه • ثم ان الله تعالى أنزل الآية الأخرى : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »**[٧] الى قـــوله : **« فمن شهد منكم الشهر فليصمه »**[٨] فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام » •

---

(١) معرفة ذلك بالتجربة او باخبار الطبيب الثقة ، أو غلبة الظن .
(٢) رواه مالك والبيهقى ، والحنطة هى القمح .
(٣) أى نصف الصلاة ، والمراد صلاة القصر .
(٤) البقرة : ١٨٤ — (٥) البقرة : ١٨٣
(٦) البقرة : ١٨٤ — (٧) البقرة : ١٨٥
(٨) البقرة : ١٨٥

والمرض المبيح للفطر هو المرض الشـديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى تأخر برؤه ، ويعرف هذا اما بتجربة أو باخبار طبيب ثقة أو بغلبة الظن •

وقد حكى عن بعض السلف : أنه أباح الفطر بكل مرض ، حتى من وجع الاصبع والضرس ، لعموم الآية فيه ، لأن المسافر يباح له الفطر ، وان لم يحتج اليه ، فكذلك المريض[1] والصحيح الذى يخاف المرض بالصيام ، يفطر مثل المريض ، وكذلك من غلبه الجوع والعطش ، ويخاف الهلاك : لزمه الفطر وان كان صحيحا مقيما ، وعليه القضاء •

وفى ذلك يقول تعالى : **« ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما »**[2] ويقـول : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**[3] •

واذا صام المريض ، وتحمل المشقة ، صح صومه ، الا أنه يكره له ذلك ، لاعراضه عن الرخصة التى يحبها الله[4] وقد يلحقه بذلك ضرر •

وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وبعضهم يفطر ، متابعين فى ذلك فتوى الرسـول صلى الله عليه وسلم •

قال حمزة الأسلمى : يا رسول الله •• أجد منى قوة على الصوم فى السفر ، فهل على جناح[5] ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه »[6] •

وقد اختلف الفقهاء فى أيهما أفضل :

فرأى أبو حنيفة ، والشافعى ، ومالك : أن الصيام أفضل لمن قوى عليه ، والفطر لمن لا يقوى على الصيام •

وقال أحمد : الفطر أفضل •

وقال عمر بن عبد العزيز : أفضلهما أيسرهما ، فمن يسهل عليه حينئذ ، ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك ، فالصوم فى حقه أفضل •

وحقق الشوكانى ، فرأى أن من كان يشق عليه الصوم ويضره ،

---

(١) وهذا مذهب البخارى ، وعطاء ، وأهل الظاهر .

(٢) النساء : ٢٩ (٣) الحج : ٧٨

(٤) فقد ورد فى حديث شريف : « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه » .

(٥) أى اثم . (٦) رواه مسلم .

كذلك من كان معرضا عن قبول الرخصة : فالفطر له أفضل ، وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء ، اذا صام فى السفر : فالفطر فى حقه أفضل • وما كان من الصيام خاليا من هذه الأمور ، فهو أفضل من الافطار •

واذا نوى المسافر الصيام بالليل ، وشرع فيه ، جاز له الفطر أثناء النهار ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فسار حتى بلغ كراع الغميم[1] ، وصام الناس معه ، فقيل له : ان الناس قد شق عليهم الصيام ، وانهم ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر ، فشرب والناس ينظرون اليه ، فأفطر بعضهم ، وصام بعضهم ، فبلغه أن ناسا صاموا ، فقال : أولئك العصاة »[2] •

وأما اذا نوى الصوم ، وهو مقيم ، ثم سافر فى أثناء النهار فقد ذهب جمهور العلماء الى عدم جواز الفطر له ، وأجازه أحمد واسحاق •

لما رواه الترمذى وحسنه عن محمد بن كعب قال :

أتيت فى رمضان أنس بن مالك ، وهو يريد سفرا ، وقد رحلت له راحلته ، ولبس ثياب السفر ، فدعا بطعام فأكل ، فقلت له : سنة ؟ فقال : سنة • ثم ركب[3] •

وعن عبيد بن جبير قال : « ركبت مع أبى بصرة الغفارى فى سفينة من الفسطاط[4] فى رمضان ، فدفع ، ثم قرب غداءه ، ثم قال : اقترب ، فقلت : ألست بين البيوت ؟ فقال أبو بصرة : أرغبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[5] ؟

يقول الشوكانى : والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه من الموضع الذى أراد السفر منه •

---

(١) اسم وادى أمام عسفان •

(٢) لأنه عزم عليهم فأبوا وخالفوا الرخصة — رواه مسلم والنسائى والترمذى وصححه •

(٣) وهذا الحديث ضعيف لأن فى سنده عبيد بن جعفر •

(٤) الفسطاط : مصر القديمة •

(٥) رواه أحمد وأبو داوود ورجاله ثقات •

ويقول ابن العربى : وأما حديث أنس ، فصحيح ، يقتضى جواز الفطر مع أهبة السفر • وقال الشوكانى : وهذا هو الحق :

والسفر المبيح للفطر ، هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه • ومدة الاقامة التى يجوز للمسافر أن يفطر فيها ، وهى المدة التى يجوز له أن يقصر الصلاة فيها •

وأقل مسافة يباح فيها الفطر للمسافر ثلاثة أميال ، أى فرسخ (٥٥٦٥) مترا عند الظاهرية •

ومدة فطر المسافر : هى مدة السفر ، فللمسافر الفطر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الاقامة خمسة عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لاقامته عند الحنفيين والثورى والمزنى والليث بن سعد •

وقال الأئمة الثلاثة : المسافر اذا نوى اقامة أقل من أربعة أيام أفطر ، وان نوى اقامة أربعة أيام غير يومى الدخول والخروج صام • وأما من لم ينو الاقامة بل عزم على الرجوع الى بلده متى قضى حاجته فانه يفطر مدة انتظاره قضاء حاجته عند الحنفيين ومالك ، وأحمد ، كما روى أيضا عن الشافعى •

وأما الحائض والنفساء :

فقد اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر عليهما ، ويحرم عليهما الصيام ، واذا صاما لا يصح صومهما ، ويقع باطلا ، وعليهما قضاء ما فاتهمـا :

روى البخارى ، ومسلم ، عن عائشة ، قالت : « كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة » •

* * *

التفريط فى رمضان

واذا كنا قد وقفنا على الأعذار التى تبيح الفطر فهذا معناه أن من أفطر رمضان من غير عذر ولا مرض عليه اثم كبير ، هذا بالاضافة الى احباط عمله وضياع ثوابه ••• وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام

من ترك واحدة منهن فهو كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان »[١] .

ويذكر عن أبى هريرة رفعه : « من أفطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وان صامه »[٢] .

وقال الذهبى فى « الكبائر » : وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عرض أنه شر من المكاس والزانى ومدمن الخمر بل يشكون فى اسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال . واذا كنا نرى فى هذا الزمان المريض من المتمسلمين والمتمسلمات من يأكل فى رمضان جهارا نهارا فى الشوارع والأسواق ، واذا كنا نرى المقاهى والمطاعم ودور اللهو واللعب ، وحانات الخمور ... الخ ، وقد فتحت أبوابها على مصراعيها لاستقبال الخارجين على حدود الله ، المستهترين بدينهم .

فكل هذا يؤكد شيئا واحدا وهو أن هؤلاء وهؤلاء قد خلعوا لباس الحياء ، وتجردوا من الخلق الكريم .

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتمـا وعويلا

* * *

وقد قرأت مقالا[٣] للأستاذ على الجندى تحت عنوان :

تاديب المفطـرين

يقول فيه : هناك أسباب مسوغة للافطار فصلها الفقهاء فى مظانها ، لأن الدين يسر لا عسر ، وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان ، كما تقضى الأحكام الشرعية .

ولكن مما يملأ النفس أسى ولوعة ، أن نرى بعض الشباب القوى المملوء صحة وعافية ، القادر على الصوم ، يفطر جهارا نهارا بلا حياء

---

(١) اخرجه ابو يعلى والديلمى بسند حسن وقال الذهبى : حديث صحيح .

(٢) اخرجه ابو داوود وابن ماجه والدارمى والبيهقى والدارقطنى وابن خزيمة .

(٣) « الوعى الاسلامى » العدد الخامس والاربعون ص ٥٢ السنة الرابعة

ولا خجل فى شهر رمضان ، ويتحدى الصائمين المخبتين ، ينفث الدخان فى وجوههم ، بالأماكن الضيقة ، وفى المجالس والسيارات الحافلة ! فكأنه لا يكفيهم أن يظهروا فى صورة الخارج على الدين ، الفاسق عن أمر ربه ، حتى يضموا الى ذلك ، التجرد من الحيـــاء ، والتخلق بأخلاق المجان والخلعاء ! السادرين فى الغواية والضـــلال ! وليتهم اذ أفطروا تستروا على أنفسهم تصونا من القحة والسفه ، عملا بالأثر : « رحم الله امرءا ذب الغيبة عن نفسه » .

ومثل هذا قل : فى بعض الشواب اللاتى يزدن على ذلك ، التبرج المقيت فى المعارض القصيرة المتبذلة ، الكاشفة عن الظهور ، والبطون ، والسيقان ، بل وبعض الأفخاذ !

وقد كان أبناء الأديان الأخرى فى الزمن السالف والى وقت قريب ، يوقرون شعور اخوانهم المسلمين ، فلا يطعمون ولا يشربون أمامهم !

ويروى بعض المؤرخين : أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل فى رمضان فضربه ، وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان ؟!

وبعض هؤلاء كان يصـــوم رمضان بالفعـــل ، كالأديب العظيم أبى اسحاق الصابى ، مجاملة للمسلمين ، كما كان يحفظ القرآن أحسن حفظ !

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العبادة النبيلة ، الا بعد أن رأى غير المسلمين أن المسلمين أنفسهم ، لا يرعون حرمة الصيام ! فكيف يرجون لهم وقارا ؟! .. وصدق الشاعر حيث يقول :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا لها كانت على الناس أهونا

ولم يكن أسلافنا ــ رضوان الله عليهم ــ يسكتون عن مثل هذه الجرأة الصارخة على انتهاك رمضان ! يحدث الكلبى عن عوانة .. قال : خرج النجاشى الشاعر فى أول يوم من شهر رمضان ، فمر بأبى سمال الأسدى وهو قاعد بفناء داره .. فقال له : أين تريد ؟ قال : أردت الكناسة[1] .

قال : هل لك فى رؤوس واليات[2] قد وضعت فى التنور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وتهرأت !

---

(١) الكناسة : بضم الكاف موضع بالكوفة .

(٢) يقصد اللحم والشحم .

قال : ويحك ! أفى أول يوم من رمضان ؟

قال : دعنا مما لا نعرف !

قال : مه !

قال : أسقيك شرابا كالورس[١] ، يطيب النفس ، ويجرى فى العرق ، ويزيد فى الطرق[٢] ويهضم الطعام ، ويسهل للفدم[٣] .

فنزل فتغديا ، ثم أتاه بنبيذ فشربا[٤] .

فلما كان آخر النهار ، فضحهما الله — تبارك وتعالى — فعلت أصواتهما ، وكان لهما جار من شيعة الامام على — كرم الله وجهه — فأتاه بخبرهما .

فأرسل الامام اليهما قوما أحاطوا بالدار .. فأما أبو سمال فوثب على دار من دور بنى أسد فأفلت ، وأخذ النجاشى .

وفى الصباح أقامه الامام فى سراويل ، وضربه ثمانين سوطا ثم زاده عشرين .

ونقل ابن حزم : أنه أحضره ثانى يوم ، وجلده عشرين سوطا !

فقال النجاشى : يا أمير المؤمنين .. أما الحد فقد عرفته ، فما هذه العلاوة (يعنى العشرين) ؟

فقال الامام : لجرأتك على الله ، وافطارك فى شهر رمضان !

ثم أقامه فى سراويل للناس فجعل الصبيان يصيحون به : خزى النجاشى ! خزى النجاشى !

وأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه برجل شرب الخمر فى رمضان ، فلما رفع اليه عثر الرجل ، فقال عمر : على وجهك ، ويحك .. وصبياننا صيام ! ثم أمر به فضرب ثمانين سوطا .

ثم سيره الى الشام .

وكان رضى الله عنه اذا غضب على انسان سيره الى الشام .

وفى عهد الملك الكامل الأيوبى ، كان يأمر فى رمضان باغلاق محلات الخمور فى القاهرة ، وجميع أنحاء البلاد ، واغلاق المطاعم والمقاهى نهارا ، وامساك البغايا والقيان .

---

(١) نبات كالسمسم لا يزرع الا باليمن ، تصبغ به الثياب .

(٢) الطرق : الوقاع .

(٣) الفدم : العى من الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والأحمق الغليظ الجافى .

(٤) أى خمر .

وكان يذيع هذا النداء :

« يا أهل مصر •• قد أظلكم شهر مبارك ، من لم يصمه بغير عذر شرعى ، فقد باء بغضب الله عليه ! واستحق أشد أنواع العقاب واستهدف لغضبنا عليه وانزال أشد عقوبتنا به » •

وكان عند ثبوت الرؤية ، ينزل بنفسه فى أول يوم من رمضان ، لمباشرة الأسواق ، وتفقد أحوال الرعية ، فاذا صادف مفطرا وتبين أنه أفطر تهاونا بحرمة الشهر أمر بطرحه وضربه ضربا مبرحا •

وقد نص العلماء : على أن المفطر عمدا من غير عذر مع اعترافه بأن الصوم فرض : حُكمه أن يحبس حتى يتوب أو يظهر من آثار التوبة ما يعرف عنه •• أن توبته توبة نصوح •

ونصوا كذلك ، على أن المصر على ترك الصوم يقتل وان كان منعته[1] لا يسلمونه للحبس يقاتلون كما فى ترك الصلاة[2] •

ولو أكل عمدا شهرة بلا عذر يقتل •

قال الشرنبالى : « تعمد من لا عذر له الأكل جهارا يقتل لأنه مستهزىء بالدين أو منكر لما ثبت منه بالضرورة ولا خلاف فى حل قتله والأمر به » •

ويقول الصفورى من الشافعية : لو امتنع انسان من الصوم لغير حاجة حبس ومنع من المفطرات •

وكان سعيد بن المسيب يوجب فى قضاء رمضان صوم شهر عن كل يوم !

ونقل عن الأوزاعى امام الشام : أنه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم !

وهذا كله من التغليظ على منتهك حرمة هذا الشهر الكريم بلا مقتض • والا فالكفارة الشرعية على من له عذر معروفة •• الخ المقال •

* * *

---

(١) اى عشيرته .

(٢) كما جاء فى « شرح الدر » على المذهب الحنفى .

حكم من يبيع الطعام والشراب للمفطرين

ثم الى هؤلاء الذين يبيعون الطعام والشراب للمفطرين فى نهار رمضان أسوق اليهم هذه الفتوى التى أجاب عليها الامام الراحل فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكى ، وكان قد وجه اليه السؤال الآتى :

ما قولكم فيمن يفتح محلا للطعام والشراب ويبيع ذلك للمفطرين فى شهر رمضان ويقدم لهم ذلك فى محله نهارا • أيجوز ذلك أم هو حرام ؟ أفيدونا مأجورين • فأجاب عليه رحمة الله بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى فرض على عباده الصيام ، وحرم على غير ذى العذر الافطار فى رمضان ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه •

أما بعد •• فان الله تعالى فرض صيام شهر رمضان على المكلف القادر الصحيح المقيم • والصيام ركن من أركان الاسلام قد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة • والفطر فيه بغير عذر من الكبائر ، وتقديم الطعام أو الشراب لمن لزمه الصيام حرام ، لما فيه من التعاون على المنكر •

قال الله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »(١) وعلى كل مسلم أن ينهى المفطر فى رمضان بغير عذر عن الفطر والا كان شريكا له فى الاثم ويوشك الله أن يعم الكل بعـــذاب •

وقال الله تعالى : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بمـــا عصوا وكانوا يعتـــدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** »(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »(٣) • وقال صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »(٤) • وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) المـــائدة : ٢ (٢) المـــائدة : ٧٨ ، ٧٩

(٣) اخرجه احمد ومسلم عن ابى سعيد الخدرى •

(٤) اخرجه البزار والخطيب والطبرانى فى « الأوسط » عن أبى هريرة =

قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

فعلى أرباب المطاعم والمشارب والمقاهى اغلاقها نهارا فى رمضان ، ويحرم عليهم تقديم الطعام والشراب نهارا لأى مكلف بالصيام ، لما فى ذلك من التعاون على الاثم والعدوان والتهاون بأحكام الدين وترك النهى عن المنكر وفى تركه الضرر العام وانتشار المعاصى والتظاهر بها .

وقد ذهب جمهور العلماء الى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم سيعذبون على تركها عذابا شديدا زائدا على عذاب الكفر . قال الله تعالى فى شأن أهل النار : **« ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين[1] »**[2] .

وعليه فيحرم على المسلم تقديم الطعام والشراب فى نهار رمضان للنصارى واليهود وغيرهم من الكفار فضلا عن المسلمين . وعلى ولاة الأمور أن ينتبهوا لهذا وأن يأخذوا على أيدى العابثين بأحكام الدين المفطرين فى رمضان المتجاهرين بالفسق والفجور خشية أن يعم الله الكل بالعذاب ، وكفى ما مضى من اهمال وتفريط حتى حل بنا ما حل وسلط الله تعالى علينا من لا يرحمنا ، ولا نجاة الا بالرجوع الى حظيرة الدين والعمل بأوامره والوقوف عند حدوده .

قال الله تعالى : **« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »**[3] .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها : **« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »**[4] وانا سمعنا النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب »[5] .

وذلك أن الهداية لا تتحقق الا بالقيام بما كلفنا به ، ومنه الأمر والنهى ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقه الأمة فى دينها ، وأن يلهم

---

(١) اليقين : المراد فى الآية : الموت .

(٢) المدثر : ٤٢ — ٤٧

(٣) محمد : ٧

(٤) المائدة : ١٠٥

(٥) أخرجه أبو داوود والترمذى .

الجميع الرشد والصواب ، وأن يوفق الكل لتعرف أحكام الدين واتباع طريق سيد النبيين عليه وعلى آله الصلاة والسلام ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين »[١] .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل صيام نهار رمضان فريضة فقد جعل :

قيام ليله تطوعا

وهذا دليل على أن قيام رمضان ليس فرضا وانما هو سنة كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم الى هذا فى حديث آخر قال فيه بعد قوله : « فرض صيام رمضان وسننت قيامه »[٢] ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه فى قيام رمضان كما ورد فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة[٣] ثم يقول : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[٤] .

قال الشوكانى : المراد قيام لياليه مصليا ويحصل بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قيل : ويكون أكثر الليل .

* * *

وقال النووى : ان قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح . يعنى أنه يحصل بها المطلوب من القيام لأن قيام رمضان لا يكون الا بها . و :

---

(١) هذا هو نص الفتوى التى نشرت فى رمضان سنة ١٣٦٠ هـ بالعدد الرابع من السنة الثالثة من مجلة « الاعتصام » ، وثابتة بالجزء الثامن من « الدين الخالص » ص ٢٩١ هامش طبعة ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م .

(٢) الحديث أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٣) اى بتحتيم وايجاب . قال الشوكانى : فيه تصريح بعدم وجوب القيام ، وقد فسره بقوله : « من قام ... » الخ ، فانه يقتضى الندب دون الايجاب .

(٤) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى . وزاد النسائى فى رواية أخرى : « وما تأخر » .

صـــلاة التراويح

سنة مؤكدة :

وقد رأيت اتماما للفائدة أن أسجل فى هذا الموضوع بحثا عظيما فى صلاة التراويح لفضيلة العالم العظيم الشيخ على حسن حلوة ــ مفتى الجمعية الشرعية السابق ــ عليه رحمة الله ، قال فيه بالحرف الواحد[١] :

رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام رمضان والتعبد فى لياليه فقال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[٢] .

والحكمة فى الترغيب فى قيام رمضان : رياضة الأرواح فى مدارسة القرآن بعد رياضتها بالصوم والتقرب الى الله سبحانه بكثرة الركوع والسجود .

وقد كان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم أن يصليها كل ليلة فى بيته ولكنه خرج ليلة من ليالى رمضان وصلى فى المسجد وصلى بصلاته من علم بوجوده ، فلما كان فى الليلة الثانية اجتمع ناس يرجون خروجه للصلاة خلفه فلم يخرج صلى الله عليه وسلم اليهم ، ولما سئل قال : « انى خشيت أن تفرض عليكم » .

ثم كان من أمر المسلمين أن يصلوا فى المسجد جماعات متفرقة كل جمع خلف امام واستمر الأمر حتى جمعهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على امام واحد حيث جمعهم على أبى بن كعب رضى الله عنه واستحسن هذا العمل لما فيه من جمع كلمة المسلمين واعلان ترابطهم .

عدد ركعاتها : الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم أنه ما زاد فى رمضان ولا فى غيره عن احدى عشرة ركعة ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة »[٣] ، ومنها الوتر .

وهذا هو المسنون المؤكد من فعله صلى الله عليه وسلم

---

(١) كما هو ثابت فى كتاب « محمد الرسول العظيم (ﷺ) وهديه فى رمضان » ص ٤٠ سلسلة الجمعية الشرعية .   (٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واحمد وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومالك .

ومضي الأمر على هذا فى حياته وعهد أبى بكر وجزء من خلافة عمر رضى الله عنهما .

فلقد جاء أبى بن كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انه كان من الليلة شيء — يعنى فى رمضان — قال : « وما ذاك يا أبى » ؟ قال : نسوة فى دارى قلن انا لا نقرأ القرآن فنصلى بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات وأوترت فكانت سنة الرضا ولم يقل شيئا[1] .

وقال السائب بن يزيد : « كنا نقوم فى زمان عمر بعشرين ركعة والوتر »[2] .

وفى رواية عنه لمالك : أنهم كانوا يقومون فى رمضان بعشرين ويقرأون بالمئين من القرآن ، وأنهم كانوا يعتمدون على العصى فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفى رواية : باحدى عشرة . قال البيهقى : يجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون باحدى عشرة ثم قاموا بعشرين وأوتروا بثلاث .

ويفهم من هذا أن القراءة كانت طويلة حيث قال السائب : ويقرأون بالمئين وأن ذلك شق عليهم حيث كانوا يعتمدون على العصى فى صلاتهم ، فأرادوا الجمع بين كثرة ما يقرأ وبين تخفيف القيام فصلوا عشرين ركعة ليتمكنوا فيها من قراءة وردهم من القرآن ولا تعارض بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل عمر فان العلماء قرروا أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم وهو صلاة الثمانية هو السنة غير الوتر والباقى مستحب :

فقد نقل الزرقانى فى شرح « الموطأ » عن ابن حبان أن التراويح كانت أولا احدى عشرة ركعة وكانوا يطيلون القراءة ، فثقل عليهم فخففوا القراءة وزادوا فى عدد الركعات فكانوا يصلون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة ، ثم زاد أهل المدينة الصلاة الى ست وثلاثين ركعة غير الشفع والوتر .

وأرجع النووى السبب فى زيادة صلاة أهل المدينة الى أن أهل مكة كانوا يطوفون بالكعبة بين كل ترويحتين ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة مساواتهم — أى فى الأجر — فجعلوا مكان

---

(١) اخرجه ابو يعلى والطبرانى بنحوه فى « الأوسط » بسند حسن .

(٢) اخرجه البيهقى بسند صحيح .

كل طواف أربع ركعات فزادوا بذلك على العشرين ست عشرة ركعة •

وقال الحافظ فى « الفتح » شرح البخارى : والجمع بين الروايات يمكن باختلاف الأحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقل الركعات وبالعكس ، قال : وبه جزم الداودى وغيره • اذا علمت هذا أيها الأخ الكريم تعلم أن الكل كان حريصا على احياء ليل رمضان بالطاعة والاستزادة من قراءة القرآن •

ولا شك أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم هو الأولى بالاتباع فهو أدعى الى الاطمئنان وقاطع لعذر من يخففون صلاة العشرين الى حد الاستهتار بها والضياع لها بحيث ينقرونها نقر الديكة ويقطعون الآية على الركعات تقطيعا يخل بآداب التلاوة ويحرم السامع والقارىء من ثمرة التدبر والمدارسة للقرآن الكريم ويخرجون منها بوزر المخالفة لأمره وفعله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهم لم يصلوا كصلاته ولم يفعلوا فعل أصحابه ، وانما زين لهم الشيطان السرعة فيها وبغض لهم الاطمئنان ، هدى الله الجميع للخير والثواب •• آمين •

والأفضل فى صلاتها ختم القرآن فى الشهر حتى يخرج المصلى بدرس كامل ووعى شامل لكتاب الله تعالى •

ومن أراد المزيد من الخير فصلى فى بيته ما تيسر له ، أخر صلاة الوتر ليختتم به قيام الليل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم وترا » •

وقال العالم الفاضل الأستاذ الكبير العامل الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتابه « مدرسة الصوم » :

وكان السلف يعتمدون على العصى من طول القراءة فى التراويح وما كانوا ينصرفون الا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال ، وبعضهم فى كل عشر ـــ وكانوا فى زمن التابعين يقرأون بالبقرة فى قيام رمضان فى ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها فى اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبى حنيفة والشافعى ستون ختمة فى رمضان فى غير الصلاة ـــ عن أبى يوسف وعلى العبدان وعبد الله ابن أسيد قالوا : كان أبو حنيفة يختم فى رمضان ستين ختمة ـــ ختمة بالليل وأخرى بالنهار ـــ وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا كان العشر الأواخر فقلما استطاع أحد أن يكلمه ، وكان مالك

اذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف ، وكانوا يسمونه شهر القطيعة من الخلق والاقبال على الخالق .

فهذا كله يدل على أن المؤمن له فى شهر رمضان عدة أمور : جهاد بالنهار على الصيام ، وجهاد بالليل على القيام ، وتهذيب للنفس بالاكثار من تلاوة القرآن ، ورياضة لها بالجود والعطاء ، فمن جمع بين هذه الخصال الحميدة ، ووفى بحقوقها وصبر عليها ، وفاه الله أجره بغير حساب .

ولله در المرحوم الأستاذ محمد الأسمر شاعر الأزهر فلقد قال معبرا عن هذا :

رعى الله شهر الصوم . أما نهاره فغافٍ . وأما ليله فهو ساهر
وحيا رجالا حين لاح هلاله مشت بينهم مشى النسيم البشائر
بطان اذا ما الشمس أرخت قناعها خماص اذا ما أقبلت وهى سافر
خضوعا لمن فوق السموات عرشه ويعلم منهم ما تكن السرائر
هو (الله) فاعبده العبادة كلها اذا راح يلهو بالعبادة فاجر

وقال آخر :

جاء الصوم فجاء الخير أجمعه ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب فى قول وفى عمل صوم النهار ، وبالليل التراويح

* * *

موسم الطاعات

واذا كنا قد وقفنا على أهم البركات والنفحات الرمضانية فهناك بركات أخرى ونفحات لا تقل أهمية عنها ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى نفس الخطبة بعد قوله : « ... شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا » فقال : « ... من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء ... » .

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخص رمضان من الطاعات بما لا يعمله فى غيره ، يكثر فيه من القربات ، فكان جوده يتضاعف وكان أجود ما يكون فى رمضان خصوصا عند لقاء جبريل ، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة »[1] .

فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بمدارسة القرآن فى رمضان ، وكيف لا ، ومن أجل القرآن شرع الصيام تكريما وشكرا فكان يعارض جبريل به ــ أى يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يسمع من جبريل[2] .

وكان يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان بما لا يجتهد فى غيره[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذ دخل الثلث الأخير من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله[4] .

وفى رواية ابن أبى عاصم عنها : طوى فراشه ، واعتزل النساء وجعل العشاء سحورا .

وعن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط فى قبة تركية[5] ثم أطلع رأسه فقال : « انى اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ــ يعنى ليلة القدر ــ ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أتيت فقيل لى : انها فى العشر الأواخر ، فقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها فى العشر الأواخر والتمسوها فى الوتر منه » قال : ــ فمطرت السماء تلك الليلة ــ وكان المسجد

---

(١) رواه البخارى .

(٢) كما ثبت فى الصحيح عن فاطمة كريمته رضى الله عنها .

(٣) كما روى فى حديث رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) خيمة صغيرة من لبود .

على عريش ، فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى جبهته أثر المـــاء والطين من صبيحة احدى وعشرين[١] •

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم واصل الصيام[٢] فأراد أصحابه أن يواصلوا مثله ، فقال : « لا ، انى لست كهيئتكم ، انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى »[٣] •

وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رجب قال : « اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان »[٤] •

وكان اذا رأى هلال رمضان قال :

« هلال رشد وخير ، هلال رشد وخير ، آمنت بالذى خلقك »[٥] •

وقال أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند السحور : « يا أنس •• انى أريد الصيام فأطعمنى شيئا » فأتيته بتمر واناء فيه ماء ، وذلك قبل الفجر بيسير ، فقال لى : « يا أنس •• انظر رجلا يأكل معى » فدعوت زيد بن ثابت فدخل وتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة[٦] •

وكذلك كان أصحابه الأجلاء عليهم جميعا رضوان الله يواسون الفقراء من افطارهم ، أو يؤثرونهم على أنفسهم ، ويطوون هم على الجـــوع •

فقد روى أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يصوم ولا يفطر الا مع المساكين فاذا لم يجد ، أو منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان اذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل ، فربما رجع فوجد أهله قد أكلوا ما بقى من الطعام فيصبح صائما وما أكل شيئا •

واشتهى بعضهم طعاما ، وكان صائما ، فأحضره بين يديه ليأكله عند الافطار ، فسمع سائلا يقول : من يقرض الملىء الوفى الغنى ؟ فقال

---

(١) رواه البخارى ومسلم •
(٢) اى وصل صوم النهار بامساك الليل مع صوم الذى بعده •
(٣) رواه البخارى ومسلم •
(٤) رواه الطبرانى وغيره عن أنس •
(٥) رواه النسائى •
(٦) اخرجه النسائى •

على الفور : عبده المعدم من الحسنات ، ثم قام وأخذ الصحفة وأعطى ما فيها للسائل ، وبات طاويا .

وجاء سائل الى الامام الورع التقى أحمد بن حنبل وكان صائما ، فدفع اليه رغيفين كان قد أعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائما .

وقد ورد أنه كان فى بيت على بن أبى طالب رضى الله عنه خمس من الأنفس : على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارث[1] لم يذوقوا فى ليلتهم طعاما فباتوا ليلتهم على الطوى[2] .

وما أن أصبحوا حتى دفعت فاطمة رداءها الى على ليبيعه ويقتاتون بثمنه فباعه على رضى الله عنه بستة دراهم وبينما هو فى الطريق الى بيته لقى جماعة كاد الجوع يقتلهم فآثرهم بالستة دراهم على نفسه وزوجته وأولاده وأعطاهم اياها . وما أن تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل فى يده ناقة فألقى عليه السلام ثم قال :

يا أبا الحسن .. ألك فى شراء هذه الناقة ؟ قال على : أجل[3] لو كان معى ثمنها . قال الرجل : خذها نسيئة[4] وأد ثمنها حين يفتح الله عليك . قال على : بكم تبيعها ؟ قال : بمائة درهم ، فاشتراها على وأخذ بزمامها وذهب ، فقابله رجل آخر فقال له : أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم . قال : بكم اشتريتها ؟ قال : بمائة درهم . فقال له الرجل : أنا أشتريها منك بربح ستين درهما . فباعها له بعد أن دفع الرجل اليه المائة والستين درهما .

ثم ذهب بعد ذلك قاصدا بيته فلقيه الرجل الأول فقال لعلى : أين الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : قد بعتها . قال : فأعطنى حقى اذن . فدفع اليه المائة وبقى معه الستون .

ثم هرول الى بيته وصب الدراهم فى حجر السيدة فاطمة الزهراء وقص عليها القصة قائلا : تاجرت مع الله بستة دراهم فأعطانى ستين لكل درهم عشرة دراهم . قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : لا نأكل من هذا المال حتى نعرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بالقصة ، فابتسم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال : « أبشر يا على .. تاجرت

---

(١) وهو الخادم .

(٢) اى وبطونهم خاوية .

(٣) اجل : اى نعم .

(٤) نسيئة : اى بثمن مؤجل .

مع الله فأربحك ، فالبائع جبريل ، والمشترى ميكائيل ، والناقة مركب فاطمة فى الجنة » ثم قال : « يا على .. أعطيت ثلاثا لم يعطها غيرك : لك زوجة سيدة أهل الجنة ، وولدان سيدا شباب أهل الجنة ، ولك صهر هو سيد المرسلين ، فاشكر الله على ما أعطاك واحمده فيما أولاك » .

فتذكر كل هذا وكن من الذين **« يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1] ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[2]** . ولا سيما فى شهر رمضان المبارك الذى عرفت عنه ما عرفت .

ولا تنس قوله تعالى فى الحديث القدسى :

« أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد : أحب أهل السخاء ، وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين ، وحبى للغنى المتواضع أشد ، وأحب التائبين ، وحبى للشاب التائب أشد .

وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد : أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ[3] الفاسق أشد » .

ولا تحتقر صدقة تصدقت بها مهما قلت فقد ورد فى الحديث الشريف : « رب درهم سبق ألف درهم » وفى القرآن الكريم يقول سبحانه : **« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[4]** .

ولم يقل : أكثر عملا . فقد يكون العمل كثيرا ولا ثواب له وقد يكون قليلا ويقبله الله سبحانه وتعالى . ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .. »[5] .

وكذلك لا تستكثر عملا من الأعمال التى تتقرب بها الى الله ، فقد ورد فى حديث شريف أن المحسن سيندم يوم القيامة عندما يجد ثواب أعماله الصالحة قائلا : ليتنى أكثرت من الأعمال الصالحة حتى يكون ثوابى أكثر وأكثر وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يموت الا ندم » قيل : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال :

---

(١) الخصاصة : اى الفقر .
(٢) الحشر : ٩ بلفظ **« ويؤثرون »** .
(٣) اى الرجل المسن الذى تجاوز سن الشباب .
(٤) الكهف : ٣٠ . (٥) حديث صحيح .

« ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد[١] احسانا ، وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع[٢] عن الذنوب » .

وحتى يتضح لك هذا المعنى الأخير اليك هذا الأثر :

روى أن أحد الصحابة مرض على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه يوما فقيل له : انه انتقل الى رحمة الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « ألم يقل شيئا » ؟ فقيل له : انه حين أحس بالموت قال : ليتها كانت كثيرة .. ليتها كانت الجديدة .. ليته كان كاملا . فلم ندر ماذا يعنى بذلك . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان هذا الصحابى يسعى ذات يوم جمعة مهرولا الى المسجد فوجد فى الطريق رجلا ضريرا وليس معه من يقوده الى المسجد فأخذ بيده . وعند الموت رأى ثواب ذلك — أى ثواب الخطوات — فقال : ليتها كانت كثيرة ، وكان يسعى لصلاة الصبح فى يوم اشتد برده ، فوجد رجلا فى الطريق كاد أن يقتله البرد ، وكان يلبس حلتين[٣] احداهما جديدة والأخرى قديمة ، فأعطى الرجل القديمة ، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال : ليتها كانت الجديدة ، وفى أحد الأيام رجع الى داره فسأل امرأته عما لديها من طعام فقدمت له رغيفا من خبز الشعير ، فلما هم بتناوله اذا بطارق يطرق الباب ويقول : انى جائع ، فأعطاه نصف الرغيف ، وعند الموت رأى ثواب ذلك ، فقال : ليته كان كاملا » .

فاذا كان المتصدق كما رأيت سيندم وسيتمنى أن يكون قد أكثر من الصالحات وفعل الخيرات ، فما بالك اذن بالذى لم يقدم شيئا ينفعه : **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**[٤] .

فلا تنس كل هذا وتأمل قول الشافعى رضى الله عنه :

أحب للصائم الزيادة بالجود فى شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولحاجة الناس فيه الى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم .

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما قرأت فى خطبته :

« ... من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من

---

(١) ذلك بالمسىء .
(٢) اى رجع .
(٣) اى كان يلبس جلبابين .
(٤) النبأ : ٤٠ .

النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ... » .

واجعل نصب عينيك ما قاله يوسف عليه السلام عندما سئل : لم تصوم كثيرا وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

* * *

ثم اليك بعد هذا العرض السريع الذى كان لابد وأن نقف عليه حتى نعرف حقيقة رمضان ونقف على سر عظمته ما يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم به فى نهاية الخطبة حيث يقول :

* « واستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه . وأما اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

كما قرأت سابقـــا فى نص الوصية التى رواها ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى وابن حبان :

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية الأخيرة يوصينا بهذه الخصال الأربع التى لابد وأن نحرص على تحقيقها والفوز بها . فهذا خير عظيم كلنا فى أشد الحاجة اليه اغتناما لفرصة وجودنا فى هذه الحياة ولا سيما فى شهر رمضان المبارك ، وارضاءا لربنا خالقنا ورازقنا ، والمتفضل علينا بنعمه التى لا تحصى ولا تعد القائل فى محكم كتابه : « **وان تعـــدوا نعمة الله لا تحصوها** »[1] والقـــائل : « **وما بكم من نعمة فمن الله** »[2] .

وحتى تقف على أهمية الشهادة والاستغفار وتكثر منهما ارضاء لربك واسعادا لنفسك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جلس مجلسا كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه

---

(١) النحل : ١٨ (٢) النحل : ٥٣

ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك • الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك »[١] •

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك ، فقالها فى مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ، ومن قالها فى مجلس لغو كان كفارة له »[٢] •

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل »[٣] زاد عبادة : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء »[٤] •

عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ رديفه على الرحل قال : « يا معاذ بن جبل » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك — ثلاثا — قال :

« ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار » قال : يا رسول الله •• أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : « اذن يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تأثما[٥] »[٦] •

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا اله الا الله »[٧] •

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم فى صفة بالمدينة فقص عليهم رؤيا رآها فى منامه قال فى آخرها :

---

(١) رواه ابو داوود والترمذى واللفظ له والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب .

(٢) رواه النسائى والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) اى ادخله الله الجنة حسب عمله ، او ايا كان عمله .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى .

(٥) اى خروجا من اثم كتمان العلم .

(٦) رواه البخارى ومسلم .   (٧) رواه احمد والبزار .

« ... ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »[١] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يوصى بالاكثار من شهادة أن لا اله الا الله ، فيقول فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « أكثروا من شهادة أن لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها »[٢] .

وذلك لأن شهادة أن لا اله الا الله هى الاقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى التى لا معنى للعبادة الا بها ، فهى :

كلمة التوحيد التى بعث الله من أجلها الرسل ، وأنزل الكتب وجعلها فارقة بين الايمان والكفر ، وبين أهل السعادة ، وبين أهل الشقاوة ، وهى الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملا الا اذا بنى عليها ، وهى القطب الذى لا تدور رحى الشريعة الا به ، وهى زبدة رسالات الرسل وخلاصة دعوتهم ، ومفتتح كلامهم ، فما أرسل أحدا منهم الى قومه الا كان التوحيد أول ما يدعوهم اليه ، وهى كلمة التقوى التى ألزمها الله حزبه وأولياءه وحرم منها أعداءه .

وقد جمعت هذه الكلمة العظيمة التى هى عنوان الاسلام بين النفى والاثبات ، فنفت بصدرها الألوهية عن كل ما سوى الله عز وجل ، وأعلنت البراءة من كل معبود باطل ، وأثبتت بعجزها الألوهية لله وحده ، ولهذا قالوا فى تفسيرها :

لا معبود بحق فى الوجود كله الا الله . فهى فى معنى قول مؤسس الحنيفية السمحة ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لأبيه وقومه : « **اننى برآء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين** »[٣] .

ولهذا كان من الحكمة حتى تكون من أهلها وتكثر من قولها أن أسوق اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك

---

(١) من حديث صحيح . (٢) رواه أبو يعلى باسناد جيد قوى .
(٣) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

لمـــا رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه ــ أو نفسه »[١] .

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » قيل : وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله »[٢] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قال عبد : لا اله الا الله قط ملخصا ، الا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى الى العرش ، ما اجتنبت الكبائر »[٣] .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وســـلم قال : « أفضل لذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جددوا ايمانكم » قيل : يا رسول الله .. وكيف نجدد ايماننا ؟ قال : « أكثروا من قول : لا اله الا الله »[٤] .

عن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك الا حرم على النار : لا اله الا الله »[٥] .

وأما عن الاستغفار : فهو طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى الغفور الرحيم الذى يقول فى كتابه العزيز : « **وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** »[٦] ويقــول : « **ان الله يغفر الذنوب جميعــا** »[٧] .

وقد رأيت وقبل أن تقرأ ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل الاستغفار أن أقرأ معك أولا هذه الرسالة القدسية التى يخاطب

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير ، الا انه قال : ان تحجزه عما حرم الله عليه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه أحمد والطبرانى ، واسناد أحمد حسن .

(٥) رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما وروياه بنحوه .

(٦) طه : ٨٢ (٧) الزمر : ٥٣

الله سبحانه وتعالى فيها عباده الآبقين كما ورد فى صحف ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يقول فيها سبحانه وتعالى : « من العزيز الحميد الى من أبق[1] من العبيد :

سلام عليكم .. هذه رسالتى اليكم بما اختصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم :

فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم الى الوجود ، واخترت لكم الجود ، وأنشأت لكم الأسماع فسمعتم ، والأبصار فأبصرتم ، والألسنة فنطقتم ، والقلوب فعلمتم ، والعقول ففهمتم ، وأشهدتكم على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم ، وعند الاقبال أدبرتم ، وبعد الاقرار أنكرتم ، ونقضتم عهودنا ، فلا يوحشنكم ذلك منا .

فان عدتم عدنا ، وزدنا فى الكرم وجدنا ، فمن عثر أقلنا ، ومن تاب قبلنا ، ومن نسى ذكرنا ، ومن عمل قليلا شكرنا . نعطى ونمنح ، ونجود ونسمح ، ونعفو ونصفح ، كرمنا مبذول ، وسترنا مسبول .

عبدى .. انظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشعاعها ، والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات واتيانها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ، وراكع وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، الكل يشهد بجلالى ، ويقر بكمالى ، ويعلن عن ذكرى ، ولا يغفل عن شكرى .

عبدى .. أذكرك وتنسانى ، وأسترك ولا ترعانى ، لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها ، أو البحار لأغرقتك فى معينها ، ولكن أحميك بقدرتى وأمدك بقوتى ، وأؤجلك الى أجل أجلته ، ووقت وقته ، فوعزتى وجلالى ، لابد لك من الورود على ، والوقوف بين يدى ، أعدد عليك أعمالك ، وأذكرك أفعالك ، حتى اذا أيقنت بالبوار ، وقلت لا محالة أنك من أهل النار ، واليتك غفرانى ، ومنحتك رضوانى ، وغفرت لك الأوزار وقلت لك لا تحزن ، فمن أجلك سميت نفسى : الغفار » .

ومن الأحاديث الشريفة التى ترغبك فى الاستغفار وسرعة العودة الى الله سبحانه وتعالى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الآبق : أى الهارب ، والمراد : الهارب من طاعة الله تعالى الى معصيته .

قال : « قال ابليس : وعـزتك لا أبرح أغوى عبـادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى »(١) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ؟ ألا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار »(٢) .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »(٣) .

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى(٤) لمن وجـد فى صحيفته اسـتغفارا كثيرا »(٥) .

عن الزبير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار »(٦) .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار »(٧) .

* * *

ولهذا ومن أجل كل هذا يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاكثار من شهادة أن لا اله الا الله ، وطلب المغفرة منه سبحانه وبصفة خاصة فى شهر رمضان المبارك الذى : « أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفس الخطبة التى ندور حولها .

هذا بالاضافة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أوصانا بالاكثار من هاتين الخصلتين ارضاءا لربنا ، يوصينا بعد ذلك بخصلتين

---

(١) رواه احمد والحاكم من طريق دراج ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه ابو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٤) أى العاقبة الطيبة .

(٥) رواه ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقى .

(٦) رواه البيهقى باسناد لا بأس به .

(٧) رواه البيهقى .

لا غناء بنا عنهما وهما : « فتسألون الجنة ، وتعوذون به من النار » .

وحتى تلح فى طلب الجنة من الله سبحانه وتسأله أن يجعلك من أهلها والمتمتعين بما فيها من النعيم المقيم ، والحور العين ، والولدان ، ولحم الطير ، والفواكه والأنهار الجارية من المـاء ، واللبن ، والعسل والخمر ، والسرر ، والحرير والذهب ، ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اليك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا ييؤس[١] ، ويخلد ولا يمـوت ، لا تبلى ثيـابهم ، ولا يفنى شـبابهم »[٢] .

عن أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه : « ألا مشمر للجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى حبرة[٣] ونضرة[٤] فى دور عالية سليمة بهية » .

قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : « قولوا ان شاء الله » ثم ذكر الجهاد وحض عليه[٥] .

عن حسان بن عطية قال : حدثنى سـعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن أهل الجنة اذا أدخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ،

---

(١) أى لا يحزن .
(٢) اخرجه احمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى .
(٣) الحبرة : النعمة وسعة العيش .
(٤) النضرة : البهجة والحسن .
(٥) اخرجه ابن ماجه وابن حبان .

فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم ــ وما فيهم أدنى ــ على كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله .. هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون[١] فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا . قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم عز وجل . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره[٢] الله عز وجل محاضرة حتى انه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره بعض غدراته فى الدنيـا ، فيقول : يا رب .. أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط . ثم يقـول :

قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها شىء ولا يشترى .

وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ــ وما فيها دنىء ــ فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه . وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف الى منازلنا ، فتتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا .. لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه . فنقول : انا جالسنا ربنا الجبار عز وجل ويحقنا أن ننقلب[٣] بمثل ما انقلبنا[٤] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ،

---

(١) أى هل تشكون .

(٢) المراد بالمحاضرة : كشف الحجاب عن أهل الجنة كلهم للرؤية بدون واسطة .

(٣) أى نرجع .

(٤) أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال : غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفيه عبد الحميد كاتب الأوزاعى مختلف فيه ، وبقية رجاله ثقات .

ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم[١] المسك ، ومجامرهم[٢] الألوة[٣] ، أزواجهم الحور العــين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء »[٤] .

فهذه يا أخى هى الجنة التى : « **أعدت للمتقين** »[٥] ، ولمن : « **خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** »[٦] فسل الله سبحانه وتعالى أن يجعلك منهم حتى تكون معهم « **فى جنات ونهر • فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »[٧] وحتى تكون من الذين تحدث الله عنهم فى قوله : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** »[٨] « **أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** »[٩] .

واحذر أن يرثك غيرك فقد ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد الا له منزلان ، منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار ، فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : « **أولئك هم الوارثون** »[١٠] .

ولا تنس قوله تعــالى : « **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا** »[١١] وما رواه الطبرى فى تفسيره ــ عبرة الاسراء والمعراج ــ وهو : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر فى ليلة الاسراء والمعراج على واديين فى أحدهما الجنة بغرفها وحسنها ، وفى ثانيهما النار بشرها وحرها • وقد قالت الجنة : يا رب •• ائتنى ما وعدتنى ، فقد كثرت

---

(١) العرق .
(٢) ما يوضع فيه النار والبخور .
(٣) العود الذى يتبخر به .
(٤) اخرجه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه .
(٥) آل عمران : ١٣٣
(٦) النازعات : ٤٠ بلفظ « **واما من خاف مقام ربه ...** » .
(٧) القمر : ٥٤ ، ٥٥
(٨) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨
(٩) المؤمنون : ١٠ ، ١١
(١٠) اخرجه ابن ماجه .
(١١) مريم : ٦٣

غرفى ، وحريرى واستبرقى ، وسندسى ، وعبقريى ، ولؤلؤى ، ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى وصحافى ، وأكوابى ، وأباريقى ، وأكؤسى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى ، وخمرى ، فائتنى ما وعدتنى .

فقال الله عز وجل : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسولى ، وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ، ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى أعطيته ، ومن أقرضنى جزيته ، ومن توكل على كفيته ، انى أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، فقالت : قد رضيت .

وأما جهنم فقالت : رب ائتنى ما وعدتنى . فقد كثرت سلاسلى ، وأغلالى ، وسعيرى ، وضريعى ، وغساقى ، وقد بعد غورى واشتد حرى .

فقال الله عز وجل : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . فقالت : قد رضيت » .

حتى لا تكون من هؤلاء الغافلين الذين يرجون رحمة الله تعالى بدون عمل .

وحسبك ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** »[١] .

وفى حديث قدسى أيضا ، يقول الله تعالى :

« ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » . .

فتذكر كل هذا ولاحظه عسى أن تكون بصلاحك وتقواك من الذين « **كانت لهم جنات الفردوس نزلا** »[٢] .

---

(١) أخرجه السبعة الا ابا داوود وزاد البخارى فى رواية : وقال محمد ابن كعب : انهم أخفوا الله عملا فأخفى لهم ثوابا ، فلو قدموا عليه ، اقر تلك الأعين — (والآية من سورة السجدة : ١٧) .

(٢) الكهف : ١٠٧

واستعذ بالله سبحانه وتعالى من النار وسل الله سبحانه وتعالى أن يجيرك منها • وحتى تتصور بشاعتها اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ناركم هذه التى توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم » قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله • قال : « فانها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها »[(١)] •

عن عتبة بن غزوان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما ما تفضى الى قرارها » •

وقال : وكان عمر رضى الله عنه يقول : « أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد »[(٢)] •

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه »[(٣)] ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : انى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الها آخر ، وبالمصورين »[(٤)] •

عن النعمان بن بشير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا »[(٥)] •

واعلم أن النار موجودة الآن •

وأنه لن يخلد فيها موحد ولو ارتكب الكبائر وفاء بوعده تعالى فى قوله :

---

(١) اخرجه احمد والشيخان والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٢) اخرجه الترمذى •

(٣) اخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٤) اخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب •

(٥) اخرجه الشيخان والترمذى •

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[١]
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره »[٢] .

وقد ورد من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ألم تر أنها صفراء ملتوية »[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة[٤] من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير »[٥] .

فلا تيأس من رحمة الله تعالى مهما كانت ذنوبك ما دمت من الموحدين الذين رسخ الايمان فى قلوبهم فكانوا من العارفين بالله .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى أن أسوق اليك هذا الحديث الشريف الذى يروى أن أبا طويل شطب الممدود أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

« أرأيت من عمل الذنوب كلها[٦] ، ولم يترك منها شيئا ، وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة[٧] الا أتاها ، فهل لذلك من توبة[٨] ؟ قال : فهل أسلمت ؟ قال : أما أنا فأشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله . قال : تفعل الخيرات وتترك السيئات[٩] فيجعلهن

---

(١) النساء : ٤٨ ، ١١٦ (٢) الزلزلة : ٧

(٣) اخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

(٤) اى قمحة .

(٥) اخرجه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٦) يعنى زنا وسرق وقتل ... الخ .

(٧) الحاجة : اى الصغيرة ، الداجة : اى الكبيرة .

(٨) يعنى اذا تاب يقبل الله توبته .

(٩) اى افعل كل ما يحبه الله من خير واهجر السيئات التى نهى عنها =

الله لك خيرات كلهن[١] . قال : وغدراتى[٢] وفجراتى ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ، فما زال يكبر حتى توارى[٣] »[٤] .

وهذا الحديث الآخر :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار[٥] ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل[٦] حتى تطلع الشمس من مغربها[٧] »[٨] .

واعلم أنه اذا كانت التوبة واجبة فهناك ما هو أوجب منها ألا وهو الاقلاع عن الذنب ، والا « فتوبتنا تحتاج الى توبة ، واستغفارنا يحتاج الى استغفار »[٩] .

وقد قرأت أن الشافعى رضى الله عنه سئل ذات يوم عن ثمانية أمور : واجب ، وأوجب .. وعجيب ، وأعجب .. وصعب ، وأصعب .. وقريب ، وأقرب ..

فكان جوابه عليه رضوان الله :

من واجب الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر فى صرفه عجيب وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجى قريب والموت من دون ذاك أقرب

فتأمل ما قاله الشافعى ، وأيضا قول القائل :

عجبت من عاقل لبيب يذهب بالفانيات عمره
ويبذل المال فى متاع يفنى ويبقى عليه حسره
بين يديه الغداة نار ما يتقيها بشق تمره

---

(١) اى يبدل الله سيئاتك حسنات كما وعد بذلك فى كتابه العزيز .
(٢) جمع غدرة وهى الخيانة . (٣) اى اختفى عن الانظار .
(٤) رواه البزار والطبرانى واللفظ له واسناده جيد قوى .
(٥) اى ليتمكن من أساء النهار من التوبة والرجوع الى الله فيقبل الله توبته ويغفر ذنبه .
(٦) اى يعطى الفرصة كذلك لمن اساء ليلا حتى يتوب من ذنبه .
(٧) اى حتى تجىء الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها فحينئذ يغلق باب التوبة ولا يقبل ايمان من كافر ولا احسان من مسىء .
(٨) رواه مسلم والنسائى . (٩) كما قال احد الصالحين .

والقـــائل :

اذا مد الصراط على الجحيم تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى وطال الويل واتصل العويل

واحرص على أن تكون من سكان الخلد الذين تحدث الله عنهم فى قـــوله : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** »[1] وإياك أن تكون من «**شر البرية**»[2] .

وكن متضرعا الى الله سبحانه وتعالى فى شـــهر الصيام قائلا : « اللهم أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار » وأكثر من هذا الدعاء المحمدى وأنت موقن بالاجابة لأنه ثبت :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[3] .

وفى رواية أخرى : « ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع »[4] فهذه بشرى أرجو أن تكون أهلا لها ، هذا بالاضافة الى أنه سيشفع لك يوم القيامة :

فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان[5] للعبد يوم القيامة ،

---

(١) البينة : ٧ ، ٨ (٢) البينة : ٦

(٣) رواه أحمد فى حديث ، والترمذى وحسنه ، واللفظ له ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما الا انهم قالوا : « حتى يفطر » والمعنى على هذه الرواية : أن دعوة الصائم تستجاب فى جميع لحظات صيامه حتى يفطر من الليل ولا يكون ذلك مخصوصا بوقت الافطار .

(٤) رواه البزار .

(٥) أى يطلبان من الله عز وجل أن يتجاوز عنه ويدخله الجنة .

يقول الصيام : أى رب .. منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه[١] ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه . قال : فيشفعان »[٢] أى باذن الله سبحانه وتعالى لهما أن يشفعا فيه لأن الشفاعة لا تكون الا باذن الله تعالى فهو القائل سبحانه : « **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه** »[٣] .

وأيضا لابد وأن يكون المشفوع له أهلا للشفاعة وفى ذلك يقول سبحانه : « **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** »[٤] .

فلاحظ كل هذا وضعه نصب عينيك حتى يكون سبيلا لك الى رحمة الله تعالى يوم العرض الأكبر .

واحرص كذلك على أن تكون من الذين سيردون حوض الرسول صلى الله عليه وسلم : وذلك باطعامك وعطفك على الصائم الفقير بحسب استطاعتك وامكانياتك ، وتستطيع ذلك كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر خطبته التى بين أيدينا : ولو بشربة ماء ، أو مذقة لبن[٥] .

وهذا الحوض : طوله مسيرة شهر ، مربع الشكل ، له ميزابان يصبان فيه من الكوثر : ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ظمأ ألم ، ولو دخل النار يعذب بغير العطش . ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم[٦] بعد ذلك لمجرد اللذة . يرده الأخيار ، وهم المؤمنون بالنبى صلى الله عليه وسلم الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين ، وكل من تعامل بالربا أو جار فى الأحكام ، أو أعان ظالما ، أو جاوز حدا من حدود الله تعالى وقد ورد فى هذا :

---

(١) يعنى أن القرآن كان سببا فى حرمانه من لذيذ الطعام وقربان النساء .

(٢) رواه احمد والطبرانى فى « الكبير » ورجاله محتج بهم فى الصحيح ، ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « الجوع » وغيره باسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) الأنبياء : ٢٨

(٥) وهو اللبن الممزوج بالماء .

(٦) قال تعالى : « **ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون** » (المطففين : ٢٧ ، ٢٨)

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبى حوضا ، وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة »[١] •

عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا »[٢] •

عن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، اذ أغفى اغفاءة[٣] ثم رفع رأسه ضاحكا • فقيل : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت على سورة آنفا » فقرأ : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، انا أعطيناك الكوثر** » حتى ختمها • قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « انه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول : ربى انه من أمتى • فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك »[٤] •

ولهذا قيل : ان الكوثر هو الحوض ، والمشهور عند السلف والخلف أنه نهر فى الجنة أعطاه الله النبى صلى الله عليه وسلم •

وقد ورد فى هذا :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه الذهب ، والماء يجرى على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل »[٥] •

وقد صحح الغزالى أن الحوض قبل الصراط ، وكذلك القرطبى الذى قال : ان المعنى يقتضيه ، فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه ، وأيضا فان من جاز الصراط لا يتأتى طرده من الحوض فقد كملت نجاته •

واذا كان هناك رأى للقاضى عياض عكس هذا فانه يمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ، وبعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يذهبوا منها على الصراط •• فالواجب علينا

---

(١) اخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٢) اخرجه البخارى ومسلم .
(٣) اى نام نومة .
(٤) اخرجه البخارى ومسلم .
(٥) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

اعتقاد أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضا تعدد أو اتحد ، تقدم على الصراط أو تأخر .

فاذكر كل هذا وكن حريصا على ورود هذا الحوض والشرب منه حتى لا تحرم من الخير الكثير الذى سيكون نتيجة لما قدمته يداك من أعمال الخير ، والذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قوله :

« كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم[1] فى الأيام الخالية »[2]

وحتى تكون حريصا كل الحرص على شربك من الحوض ولا تطرد بعيدا عنه كما يذاد البعير الضال ، اليك أيضا هذا الحديث الصحيح :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، وددت لو أنا قد رأينا اخواننا . قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، واخواننا الذين لم يأتوا بعد .. قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت او أن رجلا له خيل غرمحجلة بين ظهرى خيل دهم بهم[3] ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم[4] على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم : ألا هلم ، فيقال :

« انهم بدلوا بعدك . فأقول : سحقا[5] سحقا »[6] .

* * *

جعلنى الله تعالى واياك وجميع المسلمين والمسلمات من الصائمين القائمين الذين يعرفون قيمة هذا الشهر ويغتنمون كل لحظة فيه حتى نكون من العتقاء من النار فى أى ليلة من لياليه المباركة فقد ورد فى الحديث الشريف :

« اذا كانت أول ليلة من رمضان نادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »[7] .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى بما قدمتم من اعمال صالحة فى الأيام الماضية .

(٢) الحاقة : ٢٤

(٣) الدهم البهم اى السود ، والغر المحجلة ، اى التى بها علامات مميزة فى اليدين والرجلين .

(٤) اى انقدمهم .

(٥) اى بعدا .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه الخمسة الا ابا داوود مرفوعا .

الوصية السابعة عشرة

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل :

انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

(أخرجه أحمد ومسلم والنسائى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

محيطا بهذا المعنى الكبير الذى رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل ، وهو :

* (كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) حتى تصوم صياما مقبولا يحقق الثمرة المرجوة منه وهى التقوى . التى من أهم ثمارها أن يكون الصيام جنة .. أى وقاية لك من الوقوع فى مخالفة من المخالفات القولية والفعلية ما دمت مستشعرا لهذا المعنى الكبير الذى خلاصته أن الله وحده هو الذى يعرف حقيقة صيامك .. وهو الذى سيكافئك عليه ، ولهذا كان لابد لكى تكون بعيدا عن كل شىء يعرض صيامك للضياع ، أن تكون منفذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها بعد ذلك :

* (فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، ولا يجهل . فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم ...)

وخلاصة معانى هذه الكلمات الواردة فيها :

لا يرفث : أى لا يتكلم بفحش القول •
لا يصخب : أى لا يصيح ولا يخاصم •
لا يجهل : أى لا يرتكب شيئا من أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية[١] •
شاتمه : أى شتمه متعرضا لمشاتمته •
قاتله : أى نازعه ودافعه •
انى صائم : أى يقول ذلك بلسانه ليعلم مخاطبه أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل • أو يقول ذلك لنفسه منعا لها من مقابلة الجهل بالجهل • وقيل : يقول ذلك بلسانه فى الفرض ، ولنفسه فى التطوع •

فأنت مطالب اذن بكف جوارحك عما لا يرضى ربك والا فلا معنى لصيامك ولا ثمرة له غير الجوع والعطش ، ففى الحديث الشريف :
« رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع »[٢] وأيضا : « ليس الصيام من الأكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث »[٣] •
ولهذا ذكر العلماء أن الصوم على ثلاث مراتب :

الأول : صوم العوام : وهو مجرد الكف عن المفطرات بصرف النظر عن البعد عن المحرمات القولية والفعلية •

الثانى : صوم الخواص : وهو صيانة الجوارح السبع وهى : (العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل) عن استرسالها فى المخالفات وهذا هو الصوم المشار اليه فى قوله تعالى : **« لعلكم تتقون »**[٤] •

وفى هذا يقول أحد الشعراء :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم وفى مقلتى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذن من صومى الجوع والظما وان قلت انى صمت يوما فما صمت

ويقول آخر :

اذا المرء صام عن الخطايا فكل شهوره شهر الصيام

---

(١) وهذا لا يباح فى غير الصوم وانما المقصود ان المنع من ذلك يتأكد بالصوم •
(٢) اخرجه ابن ماجه • (٣) اخرجه ابن حبان والحاكم •
(٤) البقرة : ١٨٣

ويقول آخر :

اغضض الطرف واللسان اكففنه   وكذا السمع منه حين تصوم
ليس من ضيع الثلاثة عندى   بحقوق الصيام حقا يقوم

وآخر :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة   تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله   حتى تكون تصومه وتصونه

الثالث : صوم خواص الخواص : وهو صوم القلب عن الاهتمام بشىء لا يرضى الله ، وصيانته عن الالتفات للأغيار الدنيوية ، وشغل النفس بذكر الله تعالى وبطاعته فى جميع الحالات .

* * *

ومن هنا كان من التقوى أن :

١ ــ يصوم اللسان عن فحش القول ، والكذب والبهتان والمراء والخصومة الى غير ذلك من الآثام القولية التى من أكبرها وأبشعها الغيبة والنميمة وحسبه أن يشغل بذكر الله وتلاوة القرآن ، أو ليسكت .

فقد ورد : « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح » .

كما ورد : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »[1] .

وورد عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان امرأتين صامتا وان رجلا قال : يا رسول الله .. ان ههنا امرأتين قد صامتا ، وانهما قد كادتا أن تموتا من العطش . فأعرض عنه ــ أى سكت ــ ثم عاد فقال : يا نبى الله .. انهما والله قد ماتتا ــ أو كادتا أن تموتا ــ قال : ادعهما ، فجاءتا فجىء بقدح ــ أو عس[2] ــ فقال لاحداهما : قيئى ، فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى قاءت نصف القدح . ثم قال للأخرى : قيئى ، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط[3] وغيره حتى ملأت القدح . ثم قال : ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما

---

(١) حديث صحيح .
(٢) العس : هو القدح أو الاناء الكبير .
(٣) اى خالص طرى .

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس »[١] .

فاحذر الوقوع فى هذا الذنب حتى لا تحرم من ثواب صيامك وحسبك زجرا لك قول الله تعالى : « **لا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم** »[٢] .

٢ ـ وأن يصوم البصر عن النظر الى ما يشغل عن ذكر الله .

وقد قرأت فى تفسير قوله تعالى : « **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** »[٣] أن سليمان عليه السلام عندما سمع النملة تقول لبنى جنسها هذا الكلام « ... **تبسم ضاحكا من قولهـا** »[٤] ثم أمر الجند فعسكروا بعيدا عن وادى النمل ـ الذى فى الطائف أو بالشام ـ حتى يدخل النمل مساكنه .

وبعد ذلك ذهبت هذه النملة ـ التى روى أنها كانت عرجاء ـ الى سليمان عليه السلام لتشكره فعاتبها سليمان قائلا : لم حذرت النمل ؟ أخفت من لظمى ؟ أما علمت أنى نبى عدل ؟ فقالت : أما سمعت قولى : « **وهم لا يشعرون** » ثم قالت : مع أنى لم أرد حطم النفوس ، وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح والذكر[٥] .

فغض بصرك عن المحرمات حتى لا تقع فى شباك الحرام بسبب هذه النظرات الخبيثة التى هى سهم من سهام ابليس كما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « النظرة سهم من سهام ابليس من تركها مخافة الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه »[٦] .

٣ ـ وأن يصوم السمع عن الاصغاء لكل ما يحرم قوله أو يكره لأن كل واحد منهما يتنافى مع الكمال المطلوب التحلي به ، والذى هو من أهم صفات المؤمن الحق ، فاحذر الوقوع أيضا فى هذا الاثم وحسبك

---

(١) رواه أحمد واللفظ له وابن ابى الدنيا وابو يعلى ، وغيرهم .
(٢) الحجرات : ١٢ بلفظ « ولا يغتب ... » .
(٣) النمل : ١٨ (٤) النمل : ١٩ بلفظ « فتبسم » .
(٥) اقرأ هذا كلام فى تفسير القرطبى بسورة النمل الآية : ١٨
(٦) أخرجه الحاكم وصححه .

تحذيرا لك أن الله سبحانه وتعالى سوى بين القول الزور والفعل المذموم فى التنفير فقال تعالى :

« سماعون للكذب أكالون للسحت »[١] •

وقد ورد فى الحديث : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » •

٤ ــ وأن تصوم البطن عن الغذاء الحرام سواء أكان طعاما أو شرابا : بمعنى أن يكون مجدا فى أعماله التى يكلف بها ومراقبا الله سبحانه وتعالى فيها حتى يكون دخله حلالا سواء أكان موظفا أو عاملا ، وكذلك اذا كان تاجرا لابد وأن يكون أمينا فلا يطفف كيلا ولا يسرق من ميزان حتى يكون أيضا دخله لا شائبة فيه • وحتى يستجيب الله سبحانه وتعالى دعاءه فقد ورد فى الحديث الشريف : « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » •

٥ ــ وأن يصوم الفرج بصيانته من أسباب تلويثه بالحرام والوقوع فى معصية الله •

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم »**[٢] وفى الحديث الشريف : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[٣] •

٦ ــ واليد كذلك لابد وأن تصوم عن ارتكاب ما يغضب الله تعالى وذلك بكفها عن البطش بالضعفاء الى غير ذلك من الآثام •

٧ ــ والرجل أيضا لابد كذلك وأن تكف وتصوم عن الذهاب الى اللهو واللعب والأماكن الرخيصة التى يعصى فيها رب العالمين ولا سيما فى شهر رمضان المبارك فضلا عن غيره من الشهور •

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

---

(١) المائدة : ٤٢ (٢) النور : ٣٠

(٣) أخرجه مسلم .

وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[١] .

فلاحظ كل هذا وجاهد نفسك وحافظ على صيامك واياك اياك أن تكون من الذين عناهم الشاعر بقوله :

يسبون دين الله فى شهر صومهم   فمن دينهم صاموا وبالكفر أفطروا

* * *

واذا كنت قد فرطت أو حدث منك ما شوه صيامك ، وأفقدك جــزءا من ثوابك فاليك هذه البشرى : روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

زكاة الفطر

طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة[٢] فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات »[٣] .

وزكاة الفطر مشروعة بالكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى : « **قد أفلح من تزكى** »[٤] : روى نافع عن ابن عمر أنه كان يقول : نزلت هذه الآية فى زكاة رمضان[٥] .

وقال أبو سـعيد الخدرى رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسـلم يقول : « **قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى** » ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو الى المصلى يوم الفطر[٦] .

وقال البيهقى : أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر وان اختلفوا فى تسميتها فرضا ، فلا يجوز تركها .

وقد فرضت فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهى واجبة .. عند الحنفيين لأنها ثبتت بدليل ظنى وان ورد فى الحديث بلفظ : « فرض » ، لأن معناه قدر . والراجح أنها واجبة

---

(١) أخـرجه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقى فى « الشعب » بسند جيد .
(٢) اى قبل صلاة العيد .
(٣) اخرجه أبو داوود وابن ماجه والدارقطنى وقال : ليس فى رجاله مجروح ، والحاكم قال : صحيح على شرط البخارى .
(٤) الأعلى : ١٤
(٥) اخرجه البيهقى .
(٦) أخرجه ابن مردويه ــ (الأعلى : ١٤ ، ١٥) .

على الفور يوم عيد الفطر لأنهـا شرعت لاغناء الفقير عن السؤال يوم الفطر .

وهى فرض : عند مالك وأحمد والجمهور لحديث نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير ، قال ابن عمر : فجعل الناس عدله مدين من حنطة(١) .

وأصل الأمر الوجوب . والواجب والفرض عندهم بمعنى ، وهو ما طلب فعله طلبا جازما بدليل قطعى أو ظنى .

واذا كان من المـالكية والشافعية وبعض الظاهرية من قال : بأن الفطر سنة ، وتأول كلمة « فرض » بمعنى « قدر » فقد رد عليهم بورود الأمر بها والأمر للوجوب .

وتجب على المسلم الحر الموسر أو من يجد ما يؤديه زيادة عن قوته وقوت من يمونه يوم العيد وليلته .

وتجب عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ويلى أمره بسبب القرابة كطفله الفقير الذى عليه نفقته . لقـول عبد الله بن ثعلبة : خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس قبل الفطر بيوم أو يومين فقال : « أدوا صاعا من بر أو قمح بين اثنين أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر ، أو عبد صغير أو كبير »(٢) .

أما الأولاد الذكور الكبار العقلاء فلا يجب على الأب أن يخرج عنهم عند الحنفيين ومالك وان كانوا فى عياله فقراء عاجزين عن الكسب لأن أحد شطرى السبب وهو الولاية منعدم فيهم . وان أخرج عنهم بلا اذنهم جاز . وقال الشافعى وأحمد : على الأب فطرة أولاده الكبار ان كان ينفق عليهم لعجزهم عن الكسب ، أو لاشتغالهم بطلب العلم .

وتجب على الرجل فطرة زوجته المدخول بها وزوجة أبيه الذى عليه نفقته ولو غنية أو مطلقة رجعيا أو دعى للدخول بها ــ عند الأئمة الثلاثة والليث ــ لأن النكاح سبب تجب به النفقة فوجبت به الفطرة . وعند الحنفيين والثورى : لا يجب عليه فطرة الزوجة لأن ولايته عليها قاصرة على حقوق الزوجية ، فان كانت غنية فعليها فطرتها من مالها .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وابن ماجه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وأحمد وأبو داوود والدارقطنى بسند صحيح قـوى .

وبالنسبة للخادم فلا تلزمه فطرته عند الحنفيين وعليه فطرة نفسه ان كان غنيا ، وعنـــد غيرهم : ان التزم المخدوم بنفقة الخادم لزمه فطرته والا فلا •

وتجب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم الفطر عند الأحناف لأنها قربة تتعلق بيوم الفطر فلا تتقدم عليه كالأضحية •

وعند الشافعى وأحمد والثورى تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان وهو رواية أشهب عن مالك لأنها تضاف الى الفطر فتجب به •

وثمرة هذا الخلاف تظهر فيمن ولد أو أسلم قبل الفجر من يوم العيد وبعد غروب شمس آخر يوم من رمضان ، تلزم فطرته عند الحنفيين ولا تلزم عند غيرهم ، وان حدث ما ذكر بعد الفجر فلا زكاة اتفاقا •

ومن مات أو ارتد أو أعسر[1] قبل طلوع الفجر لزمت فطرته عند الشافعى ومن وافقه ولا تلزم عند الحنفيين •

ويجوز تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور الفقهـــاء :

قال ابن عمر : أمرنا رسول الله صلى الله عليه سلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة • قال نافع : وكان ابن عمر يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين • وعند أبى حنيفة : يجوز تقديمها على شهر رمضان • وعند الشافعى : يجوز التقديم من أول الشهر • وعند مالك ومشهور مذهب أحمد : يجوز تقديمها يوما أو يومين •

وقد اتفقوا جميعا على أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب ، وانما تصير دينا فى ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر •

واتفقوا كذلك على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد ، ونقل عن ابن سيرين والنخعى قالا : يجوز تأخيرها عن يوم العيد • وقال أحمد : أرجو أن لا يكون به بأس • وقال ابن رسلان : انه حرام بالاتفاق. لأنها زكاة ، فوجب أن يكون فى تأخيرها اثم كما فى تأخير الصلاة عن وقتهـــا •

***

(١) اى افتقر .

قـــــدرها

والواجب فى صدقة الفطر صاع[١] من القمح ، أو الشعير ، أو التمر ، أو الزبيب ، أو الأقط[٢] ، أو الأرز ، أو الذرة ، أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا •

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :
كنا اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك صاعا من طعام ، أو صاعا من أقط ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من تمر ، أو صاعا من زبيب ، فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية حاجا ـ أو معتمرا ـ فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : انى أرى أن مدين من سمراء[٣] الشام تعدل صاعا من تمر ، فأخذ الناس بذلك •
قال أبو سعيد : فأما أنا فلا أزال أخرجه أبدا ما عشت[٤] •

قال الترمذى : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون من كل شيء صاعا ، وهو قول الشافعى واسحاق • وقال بعض أهل العلم : من كل شيء صاعا ، الا البر فانه يجزيء نصف صاع وهو قول سفيان وابن المبارك وأهل الكوفة •
وقال مالك والشافعى : يجب فى صدقة الفطر صاع من غالب قوت البلد فى السنة •
ورجح الحطاب المالكى اعتبار غالب القوت فى رمضان •
واستظهر الأمير غالب القوت يوم الوجوب •

وقال أحمد : يجب فى الفطر صاع من البر والشعير ودقيقهما وسويقهما والتمر والزبيب يخير فى الاخراج من أيها ان وجدت • والا أخرج من المقتات من حب وتمر ، وهو قول الشافعى ، ويخرج الأقط فى رواية عن أحمد •

---

(١) الصاع : اربعة امداد ، والمد : حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين ، ويساوى قدحان بالكيل المصرى .
(٢) لبن مجفف لم ينزع زبده .
(٣) المدان : نصف صاع ، وسمراء : قمح .
(٤) رواه الجماعة وقال الترمذى : حسن صحيح .

وعند الحنفيين وزيد بن على يجزىء فى زكاة الفطر نصف صاع من بر ، وصاع من غيره .

ويجوز عند الحنفيين اخراج قيمة الواجب فى زكاة الفطر :

روى عن أبى يوسف أنه قال : الدقيق أحب الى من الحنطة والدراهم أحب الى من الدقيق والحنطة لأن ذلك أقرب الى دفع حاجة الفقير ، ولأن المطلوب اغناء الفقير فى هذا اليوم والاغناء يحصل بالقيمة بل هو بها أتم وأوفر .

وقال الأئمة الثلاثة : لا يجوز دفع القيمة .

قال أبو داوود : قيل لأحمد : أعطى دراهم فى صدقة ؟ قال : أخاف أن لا تجزئه . خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا : والأفضل عند الحنفيين اخراج زكاة الفطر مما هو أعلى قيمة . وقال مالك وأحمد : الأفضل اخراج التمر .

وقال الشافعى : البر أفضل .

واختار مالك وأحمد : اخراج التمر اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم

* * *

وتصرف الى الأصناف المذكورة فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله »(١) .

قال ابن قدامة : ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم فى أنه لا يجوز دفع الزكاة الى غير هذه الأصناف الا ما روى عن أنس والحسن أنهما قالا : ما أعطيت للجسور والطرق فهى صدقة ماضية . والصحيح الأول لأن الله تعالى قال : **« انما الصدقات للفقراء »** .

*** الفقير والمسكين :**

عند الحنفيين : الفقير : من له شىء دون النصاب أو قدر نصاب غير نام أو مشغول بالحاجة الأصلية — كمسكن وملبس ومركب — فيصح الدفع اليه ولو كان صحيحا أو مكتسبا أو يملك نصبا كثيرة غير نامية اذا كانت مستغرقة بالحاجة الأصلية ، ولذا يصح دفعها لعالم

---

(١) التوبة : ٦٠.

له كتب تساوى نصبا كثيرة لكنه محتاج اليها للدراسة والمراجعة ، وكذا آلات المحترفين والصناع والزراع والمجاهدين •

والمسكين : من لا شيء له ، ولذا يحل له السؤال لقوته أو ما يوارى جسده بخلاف الفقير ، فلا يحل له ولا لقادر على الكسب ولا من يملك خمسين درهما السؤال لحديث ابن مسعود : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش ـــ أو خدوش أو كدوح ـــ » فقيل : يا رسول الله •• وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهما أو قيمتها من الذهب »[1] •

وعند المـــالكية : الفقير : من لا يملك قوت عامه • والمسكين : عندهم هو المسكين عند الحنفية •

وعند الشافعية : الفقير : من لا مال له ولا كسب ، أو له مال أو كسب لا يكفيه ولا يحصل به نصف كفايته ومن تلزمه نفقته العمر الغالب ـــ وهو ستون سنة ـــ بحيث لو وزع ما عنده من المـــال فى غالب العمر لم يبلغ نصف كفايته • ولو كان يملك نصابا أو أكثر فعليه زكاته وله أن يأخذ زكاة غيره •

والمسكين : من له مال أو كسب يقع من كفايته ولا يكفيه :

بأن يحتاج فى اليوم الى عشرة دراهم مثلا وعنده كسب أو مال يبلغ خمسة فأكثر •

وعند الحنابلة : الفقير : من لا مال له ولا كسب يحصل به نصف كفايته كمن يكفيه عشرة ولا يحصل الا على ثلاثة ولا له خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، والمسكين : من يجد معظم كفايته أو نصفها مثل من يكفيه عشرة فيحصل على خمسة فما زاد •

* * *

*** والعامل على الزكاة :**

هو : من نصبه الامام لجمع الصدقات • ويدخل فيه الســـاعى والكاتب والقاسم والحاشر •• الخ •

ما دام قد فرغ نفسه لعمل من أعمال المسلمين فيستحق الأجر كالغزاة والقضاة • وكذلك أجازوا لطالب العلم أن يأخذ من الزكاة

---

(١) اخرجه احمد والاربعة وحسنه الترمذى .

ولو كان غنيا اذا فرغ نفسه لافادة العلم واستفادته ولم يكن له مرتب فى مال الدولة •

* * *

* **والمؤلفة قلوبهم** ثلاثة أقسام :

١ ــ كفار كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم تأليفا لهم ليسلموا هم وقومهم ، وهذا من الجهاد لأنه كما يكون بالسنان يكون بالاحسان •

٢ ــ وكافر كان يعطى لدفع شره •

٣ ــ من أسلم على ضعف كان يعطى ليثبت اسلامه ، وقد سقط نصيب المؤلفة عند الحنفيين من الزكاة لاجماع الصحابة على ذلك فى خلافة الصديق رضى الله عنه •

وعند الشافعية : من أسلم على ضعف فى ألفته بالمسلمين أو على ضعف فى يقينه يعطى تأليفا له وتثبيتا لاسلامه •

ويعطى مسلم ــ ذو شوكة يكفينا شر من يليه من الكفار أو مانعى الزكاة ــ ان رأى الامام الحاجة لاعطائه بأن يكون اعطاؤه أهون على المسلمين من محاربة الكفار أو مانعى الزكاة • أما المؤلف الكافر وهو من يرجى اسلامه أو يخاف شره فلا يعطى من الزكاة اتفاقا ولا من غيرها على الأصح عندهم الا لنازلة نزلت بالمسلمين كأسر بعضهم ، وهجوم الكفار على بعض بلاد الاسلام ولا يردون الأسير ولا يندفعون عن بلاد الاسلام الا ببذل مال لهم فيعطون من غير الزكاة حينئذ للضرورة ولا يعطون منها لأن الله أعز الاسلام وأهله وأغنى عن التأليف •

وعند مالك وأحمد : يعطى المؤلفة من الزكاة ولو كفارا لاطلاق قوله تعالى : «**والمؤلفة قلوبهم**»(١) •

* * *

* **والرقاب** : جمع رقبة ، والمراد بها المكاتب يعطى من الزكاة لتخليص رقبته من الرق •

* * *

* **والغارم** : **هو** : من استدان لاصلاح حاله ، أو لعمارة مسجد ، أو اكرام ضيف وعجز عن أداء دينه بأن كان لا يملك نصابا فاضلا عن

---

(١) التوبة : ٦٠

دبنه ولو له دين على غيره لكن لا يقدر على أخذه فيعطى من الزكاة ما يفى بدينه • أو استدان لاصلاح بين متخاصمين ، أو لضمان •

* * *

* **وسبيل الله :** هو الطريق الموصل الى مرضاته من العلم والعمل ، وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو وأن سهم سبيل الله يعطى للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة ، وفى سبيل الله : يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التى هى ملاك أمر الدين والدولة •

ويدخل فى عمومه انشاء المستشفيات العسكرية ، وكذا الخيرية العامة ، واشراع الطرق وتعبيـدها ومد الخطوط الحديدية العسكرية لا التجارية ، ومنها بناء البوارج المدرعة ، والمناطيد ، والطيارات الحربية ، والحصون والخنادق •

ومن أهم ما ينفق فى سبيل الله فى زماننا هذا اعداد الدعاة للاسلام . وارسالهم الى بلاد الكفر ، وكذلك النفقة على المدارس المخصصة للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ••• الخ •

* * *

* **وابن السبيل :** هو الغريب المنقطع عن ماله ، وقد اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده اذا لم يتيسر له شىء من ماله ، نظرا لفقره العارض • واشترطوا أن يكون سفره فى طاعة أو فى غير معصية ، وابن السبيل عند الشافعية قسمان :

١ ــ من ينشىء سفرا من بلد مقيم به ولو كان وطنه •

٢ ــ غريب مسافر يجتاز بالبلد •

وكلاهما له الحق فى الأخذ من الزكاة ولو وجد من يقرضه كفايته ، ولو ببلده ما يقضى به دينه •

وعند مالك وأحمد : ابن السبيل المستحق للزكاة يختص بالمجتاز دون المنشىء ، ولا يعطى من الزكاة اذا وجد مقرضا يقرضه وكان له من المال ببلده ما يفى بقرضه ، فان لم يجد مقرضا ، أو لم يكن له مال يقضى منه قرضه أعطى من الزكاة •

* * *

ولا تعطى للكفرة والملاحدة ، باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » •
والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم • ويستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم كما قرأت سابقا •
ويجوز أن يعطوا من صدقة التطوع • ففى القرآن : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** »(١) •
وفى الحديث : « صلى أمك » وكانت مشركة •

* * *

*** والخلاصة :**

ان زكاة الفطر أوجب الاسلام اخراجها عن الذكر والحر والعبد والصغير والكبير من المسلمين : ومن الأئمة من يبيح اخراجها فى أى يوم من شهر رمضان ، ومنهم من يجيز تقديمها عن العيد بيومين فقط ، والأفضل مراعاة الوقت الذى يكون أوفى لمصلحة الفقير واغنائه عن ذل السؤال يوم العيد •
ولا يجب اخراجها الا عن الشخص الذى أدرك جزءا من رمضان وجزءا من ليلة العيد حيا ، فمن مات قبل مغرب آخر يوم ، أو من ولد بعده لا زكاة عليهم لعدم جمعهم بين الصيام والفطر •
ويخرجها المرء عن نفسه ومن يعوله من زوجة وأطفال وخادم ووالدين •
وكل من وجبت عليه نفقته وجبت عليه زكاته ، والمكلف بها من فضل عن قوته وقوت من يعولهم ليلة العيد ويومه ما يخرجه وان كان فقيرا ، ويخرجها المرء من غالب قوت المكان الذى يعيش فيه •
والمقدار الواجب عن كل شخص : صاع وهو مقدار قدحين بالكيل المصرى ، وعند الحنفية يجوز أن يخرج قيمة الصاع نقودا •
وتجزىء الكيلة عند الشافعية عن أربعة ، وعند المالكية عن ستة •
واذا كان هناك قريب محتاج ويبعد عن البلد المزكى جاز نقلها اليه اذا لم تشتد حاجة أهل بلدته وتزيد عن حالة قريبه •
ويجوز أن يقتصر فى اعطائها على واحد أو أكثر تبعا للمصلحة •
ويجوز أن يعطيها لأخيه الفقير وأخته الفقيرة •

---

(١) الانسان : ٨

ولو كانت ابنته متزوجة شخصا فقيرا جاز أن يعطيه الزكاة لينفق منها على نفسه وأهله •

واذا بلغ ولد المرء واستقل بمعيشته لا يجب على أبيه اخراج زكاته اذ سقطت نفقته عنه ، أما اذا كان عاجزا عن الكسب فعلى أبيه زكاته •

فالزكاة مع النفقة وجودا أو عدما — وحقق بعض العلماء عدم جواز دفع الزكاة لجهات البر ومشروعات الخير كالمساجد والمستشفيات والملاجىء ••• اذ لابد فى الزكاة من التمليك لأشخاص معلومين وقصروا كلمة : « **وفى سبيل الله** » فى الآية الكريمة على المحاربين فى سبيل الله فقط :

وكما يقول أستاذنا الشيخ عبد اللطيف مشتهرى[1] : « ولو ألهم الله المسلمين رشدهم ووقاهم شح نفوسهم وعمموا اخراج هذه الزكاة ونظموها كما ينبغى لأحدثت أثرا طيبا يغتبط به كل مصلح •

ولو أن كل قرية أو مدينة ، قام منها قوم أمناء محتسبون بجمع هذه الزكاة على وجه الدقة بحيث لا يتركون انسانا عليه زكاة الا أخذوها ، ثم نظموا توزيع الاحسان حسب المصلحة العامة ، اذن لتكون من ذلك رأس مال ضخم فينفق منه على المعدومين وذوى العاهات والعجزة حتى يفد عليهم العيد وقد عمتهم رحمة الله وسرهم سخاء المؤمنين » •

ثم اذا كنا سنؤدى هذه الشعيرة بنفوس راضية وقلوب مطمئنة فنحن اذن من أهل العيد الذين سيفرحون بصومهم ويسعدون به عند فطرهم ، وعند لقاء ربهم •

ولهذا عندما دخل رجل على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوم عيد الفطر فوجده يأكل خبزا فيه خشونة — فى الوقت الذى يأكل فيه غيره من رعيته ما لذ وطاب من الأطعمة — قال : يا أمير المؤمنين •• يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال على : اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد •

وذلك لأنه عليه رضوان الله — مع غيره من الأصحاب الفضلاء — كان يعرف لمن يكون هذا العيد كما كان يعرف حقيقته ، وأنه ليس الا لهؤلاء الذين صاموا وقاموا وتقربوا الى الله سبحانه وتعالى فى شهر

---

(١) فى كتابه « مدرسة الصوم » •

الصيام بالأعمال الصالحة التى تؤكد وتبرهن أنهم قد انتفعوا بصيامهم وقيامهم ولم يكونوا من هؤلاء أو كهؤلاء الذين يصومون عن الطعام والشراب فقط ، وانما كانوا ـ عليهم رضوان الله ـ من المغتنمين لكل لحظة من لحظات هذا الشهر المبارك حتى يفوزوا بالجائزة الكبرى التى ستوزع على الصائمين القائمين فى يوم عيد الفطر الذى يسمى فى الأرض بيوم العيد ويسمى فى السماء بيوم الجائزة •

فقد روى أن الله سبحانه وتعالى يقول لملائكته فى هذا اليوم :

« ما جزاء الأجير اذا عمل عمله ؟ فيقولون : الهنا وسيدنا •• جزاؤه أن يوفى أجره •

فيقول سبحانه : أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى ، ثم يقول سبحانه وقد نظر الى جميع المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان :

سلونى يا عبادى ، فوعزتى ، لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم الا أعطيتكم ولا لدنياكم الا نظرت لكم ، قد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم »[1] •

* * *

هذا •• وهناك سنن ينبغى التحلى بها فى يوم العيد وليلته • وهى :

١ ـ احياء ليلة العيد بالطاعات ، فقد ورد فى الحديث الشريف :
« من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »[2] •

وتختص ليلة العيد بالاكثار من التكبير لورود ذلك • فان كان حاجا فليكثر من التلبية فى ليلة الأضحى •

٢ ـ الغسل للعيدين :

فقد اتفق العلماء على أنه سنة وان كانت الأحاديث الواردة فيه ضعيفة الا أن الآثار الواردة فيه عن الصحابة جيدة • فقد روى أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو الى المصلى[3] •

---

(١) اخرجه ابن حبان والبيهقى عن ابن عباس مرفوعا .
(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط .
(٣) اخرجه مالك والبيهقى .

٣ ــ التطيب والاستياك[١] لقول الحسن بن على : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتطيب بأجود ما نجد فى العيد[٢] .

٤ ــ لبس أحسن الثياب وأجملها : فقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا كان يفعل أصحابه :

يقول على بن ربيعة : شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد فرأيته معتما قد أرخى عمامته خلفه والناس مثل ذلك[٣] . ويقول نافع : كان ابن عمر يلبس فى العيدين أحسن ثيابه[٤] .

٥ ــ الأكل فى عيد الفطر قبل الخروج الى المصلى تمرا وترا ، وأن يؤخر الأكل عن الصلاة يوم الأضحى لقول بريدة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفطر لا يخرج حتى يطعم ، ويوم النحر لا يطعم حتى يرجع فيأكل من أضحيته[٥] .

٦ ــ وأن تؤدى زكاة الفطر قبل الخروج الى المصلى لقول ابن عمر : أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن نؤديها قبل خروج الناس الى الصلاة[٦] .

٧ ــ التوجه الى المصلى ماشيا بسكينة ووقار ــ لمن كان من أهل البلد ــ ويخير فى الرجوع بين المشى والركوب لقول على رضى الله عنه : من السنة أن تخرج الى العيد ماشيا ، وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج[٧] .

قال أكثر العلماء أخذا من الأحاديث الواردة فى هذه السنة : يستحب الخروج الى صلاة العيد ماشيا ويخير بين المشى والركوب حال الرجوع . وهو مذهب الأئمة الأربعة وعمــر وعلى وابراهيم النخعى ، وعمر ابن عبد العزيز ، وسفيان الثورى .

٨ ــ التبكير بعد صلاة الصبح الى المصلى ، الا الامام فانه يتأخر الى وقت الصلاة . كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كالجمــاعة .

(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٣ ، ٤) أخرجه البيهقى .

(٥) اخرجه احمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى .

(٦) اخرجه البخارى ومسلم .

(٧) اخرجه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

قال مالك : مضت السنة أن يخرج الامام من منزله قدر ما يبلغ مصلاه وقد حلت الصلاة • فأما غيره فيستحب له التبكير والدنو من الامام ليحصل له أجر ذلك •

٩ — التكبير جهرا حال السير الى المصلى ، وفى المصلى الى الشروع فى الصلاة • فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذلك •

وقد ورد فى كيفية التكبير صيغ أصحها :

١ — ما ورد عن سلمان الفارسى قال : كبروا : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا[١] •

٢ — وورد عن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما : الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد •

* * *

ويستحب التهنئة بالعيد :

فقد ورد عن جبير بن نفير قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : « تقبل — الله — منا ومنك »[٢] •

* * *

وبالنسبة لصلاة العيدين :

فقد شرعت فى السنة الأولى من الهجرة ، وهى سنة مؤكدة ، واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها •

ويشرع خروج الصبيان والنساء فى العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض ، لحديث أم عطية قالت : أمرنا أن نخرج العواتق[٣] والحيض من العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى[٤] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين[٥] •

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح •
(٢) قال الحافظ : اسناده حسن •
(٣) البنات الأبكار •
(٤) متفق عليه •
(٥) رواه ابن ماجه والبيهقى •

وعنه أيضا قال : خرجت[١] مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم فطر — أو أضحى — فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، وأمرهن بالصدقة[٢] .

ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس ثلاثة أمتار الى الزوال ، ويسن تقديم الأضحى ليتسع وقت الضحية ، وتأخير الفطر ليتسع وقت اخراج صدقة الفطر[٣] وليس لصلاة العيدين أذان ولا اقامة ولا قول : الصلاة جامعة . والسنة أن لا يفعل شىء من ذلك :

فقد ورد عن ابن عباس وجابر : لم يكن يؤذن يوم الفطر ، ولا يوم الأضحى[٤] .

ولمسلم عن عطاء قال : أخبرنى جابر : أن لا أذان لصلاة يوم الفطر حين يخرج الامام ولا بعد ما يخرج ولا نداء يومئذ ولا اقامة .

وعن سعد بن أبى وقاص : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيد بغير أذان ولا اقامة ، وكان يخطب خطبتين قائما يفصل بينهما بجلسة[٥] .

وصلاة العيد ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلى قبل القراءة فى الركعة الأولى : سبع تكبيرات بعد تكبيرة الاحرام ، وفى الثانية : خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام مع رفع اليدين مع كل تكبيرة . فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كبر فى عيد اثنتى عشرة تكبيرة سبعا فى الأولى وخمسا فى الآخرة ، ولم يصل قبلها ولا بعدها[٦] .

ومن الاشارة الأخيرة الواردة فى الحديث ترى أنه لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها ، وأنه لا صلاة فى مصلى العيد غير صلاة العيد الا لمن لم يصل الصبح فقط . فانه يجوز له أن يصلى الصبح فى مصلى العيد .

وتصح صلاة العيد من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، مسافرين

---

(١) وكان يومئذ صغيرا .
(٢) رواه البخارى .
(٣) وهو قول ابن قدامة .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .
(٦) رواه احمد وابن ماجه وقال احمد : وانا أذهب الى هذا .

كانوا أو مقيمين جماعة أو منفردين فى البيت أو فى المسجد أو فى المصلى •
ومن فاتته الصلاة مع الجماعة صلى ركعتين •

والخطبة بعد صلاة العيد سنة والاستماع اليها كذلك : فقد ورد عن عبد الله بن السائب قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فلما قضى الصلاة قال : « انا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب »[1] •

والأفضل صلاة العيد خارج البلد — ما عدا مكة فان صلاة العيد فى المسجد الحرام أفضل •

واذا كان هناك مطر أو عذر يتعذر بسببه الصلاة خارج البلد فانه يجوز أن تصلى فى المسجد •

فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى[2] ولم يصل العيد بمسجده الا مرة لعذر المطر •

* * *

آداب الصـــيام

وللصيام آداب منها :

١ — تعجيل الفطر اذا دخل وقته بتحقيق الغروب ، فقد ورد عن عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء الليل من ههنا وذهب النهار من ههنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم »[3] •

والمعنى أنه متى تحقق الصائم الغروب فليفطر ، فهو خبر بمعنى الأمر ، أو فقد دخل وقت افطاره •

والحكمة فى طلب تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب أن هذا أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة •

٢ — ويستحب أن يكون الفطر قبل صلاة المغرب ، ليطمئن قلبه فى الصلاة وينقطع عن الشواغل والتطلع للمفطر •

وأن يكون على رطبات وترا ، وان لم يجد فتمرات وترا ، فان لم يجد حسا حسوات من ماء :

---

(١) رواه النسائى وأبو داوود وابن ماجه •

(٢) موضع بباب المدينة الشرقى •

(٣) أخرجه الدارمى والسبعة الا النسائى وقال الترمذى : حسن صحيح •

فقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فإن لم تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من مـــاء »(١) .

مع ملاحظة أن السنة الافطار على واحد مما ذكر مرتبا . فان بدأ بالمـــاء مع وجود الرطب فاتته السنة . وقيل ان الترتيب لكمال السنة .

واذا كان قد ورد حديث فى موطأ مالك يفيد بأن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عليهما رضوان الله كانا يصليان المغرب حين ينظران الى الليل الأسود قبل أن يفطرا ، ثم يفطران بعد الصلاة . فهو لبيان جواز تأخير الفطر عن الصلاة ، لئلا يظن وجوب التعجيل .

والحكمة فى طلب الافطار على التمر ونحوه أنه حلو والحلو يقوى البصر الذى يضعف بالصوم .

٣ — واذا لم يكن الطعام حاضرا تناول الصائم شيئا مما تقدم ثم صلى المغرب وبعده يتناول حاجته من الطعام . وان كان الطعام حاضرا تناول شيئا مما تقدم ثم أخذ حاجته من الطعام . فقد ورد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قدم العشاء فابدأوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم »(٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء »(٣) .

٤ — ويستحب للصائم الدعاء عند فطره فانه مجاب فقد روى ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » وكان عبد الله بن عمرو يقول اذا أفطر : « اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى »(٤) .

وقال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر قال : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله تعالى »(٥) .

---

(١) أخرجه أبو داوود والحاكم والدارقطنى وقال : اسناده صحيح ، والترمذى وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

(٤) أخرجه ابن ماجه بسند صحيح .

(٥) أخرجه أبو داوود والبيهقى والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين

٥ — ويسن لمن أفطر عند غيره أن يدعو له بما فى حديث مصعب ابن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سعد بن معاذ فقال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة »(١) .

٦ — وقد أجمع العلماء على استحباب السحور حتى يقوى الصائم على الصيام ، وينشط له ، وتحصل بسببه الرغبة فى الازدياد منه لخفة المشقة فيه على المتسحر ، وقيل : لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى ذلك الوقت الشريف ، وقت تنزل الرحمة وقبل الدعاء والاستغفار .

هذا بالاضافة الى ما فيه من البركة التى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى قوله : « تسحروا فان فى السحور بركة »(٢) .

ويمتد وقت السحور الى طلوع الفجر الصادق حيث يجب الامساك عن كل مفطر وهو المراد بقوله تعالى : **« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »(٣)** .

٧ — ويسن تأخير السحور الى قبيل ظهور الفجر حتى يقبل النهار وفى المعدة ما يتقوى به الصائم على الطاعة فلا يجهده الصوم ولا يقعده عن الطاعة :

فقد ورد فى الحديث الشريف : « لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور »(٤) .

وعن أنس عن زيد بن ثابت رضى الله عنهم قال :

« تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قلت : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية »(٥) .

٨ — كما يطلب من العاقل : ترك الافراط فى تناول الطعام سواء أكان فى الافطار أو السحور .

فقد روى المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم

---

(١) اخرجه ابن ماجه .

(٢) اخرجه الستة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، واخرجه أحمد والنسائى من عدة طرق عن أبى هريرة .

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) اخرجه أحمد .

(٥) اخرجه السبعة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[١] .

وذلك حتى لا يكون هذا الافراط سببا فى تكاسله عن الطاعة ، فقد ورد : « من أكل كثيرا نام كثيرا ، وحرم من خير كثير » .

كما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه كان يقول للحواريين : « لا تأكلوا كثيرا فتقسوا قلوبكم » .

كما كان لقمان الحكيم عليه السلام يقول لولده :

« اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

ويستحب كذلك للصائم السواك أول النهار وآخره عند الحنفيين ومالك والثورى ومحققى الشافعية ، فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من خير خصال الصائم السواك »[٢] .

وقال الترمذى : ولم ير الشافعى بالسواك بأسا أول النهار وآخره .

هذا فى استياك الصائم بسواك يابس . وأما بالنسبة للاستياك بالعود الرطب فقد قال مالك واسحاق والشافعى : يكره .

وروى عن أحمد : خشية أن يتحلل منه فى الفم شىء ، ولما فيه من طعم .

(ورد) بأن ما يتحلل منه كماء المضمضة فاذا طرحه لا يفسده وكذا ما فيه من طعم . ولذا قال الحنفيون والثورى والأوزاعى والشافعى : لا بأس بالاستياك بالرطب اليابس . وروى عن أحمد .

قال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب . قيل : له طعم .

قال : والماء له طعم وأنت تتمضمض به[٣] .

وقال زياد بن جدير : ما رأيت أحدا كان أدوم لسواك رطب — وهو صائم — من عمر بن الخطاب .

١٠ — ويستحب للصائم الاكثار من العبادة والصدقة والاحسان الى الأقارب واليتامى والمساكين وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) أخرجه ابن ماجه والبيهقى والدارقطنى .

(٣) ذكره البخارى .

الذى قرأته سابقا والذى يقول فيه وهو يحدثنا عن بركات رمضان :

« ••• من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سـواه ••• » •

١١ ــ كما تسن صلاة التراويح : التى تقدم بيانها سابقا •

* * *

ما يبـاح للصـائم

يباح له أمور منها :

١ ــ الاكتحال : لقول عائشة رضى الله عنهـا : « اكتحل النبى صلى الله عليه وسلم وهو صائم »[1] •

ومثله ما يقطر فى العين لأنها ليست بجوف ولا منفذ منها الى الحلق •

٢ ــ ويباح له أيضا دهن شعره بزيت ونحوه عند الجمهور ولا يفطر وان وجد أثره فى الحلق ــ ان كان لغير الزينة ، والا كان مكروها •

٣ ــ وأيضا يباح له حقن الدواء ونحوه فى العروق ، ولا يفطر به لأنه يصل الى الجوف بواسطة المسام لا من منفذ مفتوح • وكذا الحقنة فى احليل الذكر لا يفطر بها الصائم عند النعمان ومالك ومحمد ابن الحسن وأحمد •

وقال أبو يوسف والشافعى : يفطر بها ان وصلت المثانة • والخلاف فيما اذا وصل الى المثانة • أما ما دام الدواء فى القصبة فلا يفطر اتفـاقا •

أما الحقنة فى دبر الرجل وقبل المرأة فانها تفسد الصوم : اتفاقا •

٤ ــ كما يباح له أن يدفع عن نفسه الحر أو العطش بصب المـاء على رأسه أو بدنه كله أو بالمضمضة والاستنشاق بلا مبالغة فيهما عند الجمهور ومنهم أبو يوسف لقول رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسكب على رأسه المـاء بالسقيا[2] اما من الحر واما من العطش وهو صائم • ثم لم يزل

---

(١) اخرجه ابن ماجه والبيهقى •

(٢) موضع بمكة •

صائما حتى أتى كديدا[١] ثم دعا بماء فأفطر وأفطر الناس • وهو عام الفتح[٢] •

٥ — ويباح له مضغ طعام لابد منه لطفل بأن لم يوجد من يمضغه له غير صائم ، ولم يوجد ما يأكله الطفل بلا مضغ للضرورة •

٦ — ويباح له الاحتجام والفصد اذا لم يضعفه عن الصوم لحديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم[٣] •

والحجامة هى أخذ الدم من الرأس ، والفصد أخذه من أى عضو فى الجسد •

٧ — ويباح له أن يصبح جنبا لحديث عائشة وأم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا فى رمضان من جماع غير احتلام ثم يصوم[٤] •

وعليه اذا أصبح الصائم جنبا من جماع أو احتلام صح صومه ، ولا قضاء عليه ، وسواء أكان الصوم فرضا أو نفلا ، ولو كان تأخير الغسل الى ما بعد الفجر عمدا •

وبهذا قال الجمهور والأئمة الأربعة[٥] وعلى الصائم اذا أصبح كذلك أن يعجل بالغسل حتى يؤدى الصلاة وحتى لا يحمل وزر مسيره بالجنابة لا سيما وهو صائم •

٨ — وكذلك يباح للصائم بلع ريقه أولا فأولا لأن فى انتقائه حرجا ومشقة ولا يمكن الاحتراز عنه لقوله تعالى : « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** »[٦] أما اذا جمع ريقه فى فمه ثم ابتلعه فانه يكره ، لما فيه من الشبهة ولا يفطر بذلك اجماعا •

أما اذا ابتلع ريق غيره فعليه القضاء اجماعا ، وكذا الكفارة عند مالك اذا ابتلعه عامدا عالما مختارا منتهكا حرمة الشهر •

---

(١) ماء على مرحلتين من مكة •

(٢) اخرجه احمد وهذا لفظه ، وأبو داوود والنسائى والحاكم والبيهقى وصححه ابن عبد البر •

(٣) اخرجه احمد والبخارى وهذا لفظه والبيهقى •

(٤) اخرجه احمد والشيخان والدارمى وابو داوود والنسائى •

(٥) وشذ من زعم ان من اخر الغسل عن الفجر عامدا لا يصح صومه •

(٦) الحج : ٧٨

وكذا عند الحنفيين اذا ابتلع ريق حبيبه لأنه مرغوب فيه طبعا يلتذ به • ولا كفارة عند الشافعية والحنابلة •

وان جمع شخص ريقه ثم ابتلعه قصدا : لم يفطره ، لأنه يصل الى جوفه من معدته فأشبه ما اذا لم يجمعه • وعن أحمد : أنه يفطره ، لأنه أمكنه التحرز منه فأشبه ما لو قصد ابتلاع غبار الطريق • والأول أصح فان الريق لا يفطر اذا لم يجمعه وان قصد ابتلاعه ، فكذلك اذا جمعه بخلاف غبار الطريق • فان خرج ريقه الى ثوبه أو بين أصابعه أو بين شفتيه ثم عاد فابتلعه أفطر ، لأنه ابتلعه من غير فمه فأشبه ما لو بلع ريق غيره •

ولو ترك فى فمه حصاة أو درهما فأخرجه وعليه بلة من الريق ثم أعاده : فيه نظر ، فان كان ما عليه من الريق كثيرا فابتلعه أفطر • وان كان يسيرا لم يفطر بابتلاع ريقه ، لأنه لا يتحقق انفصال ذلك البلل ودخوله الى حلقه فلا يفطره كالمضمضة والتسوك بالسواك الرطب والمبلول •

ولو أخرج لسانه وعليه بلة ثم عاد فأدخله وابتلع ريقه : لم يفطر ، وان ابتلع النخامة : ففيها روايتان ، احداهما : يفطر ، لأن النخامة تنزل من الرأس ، والريق من الفم ، ولو تنخم من جوفه ثم ازدرده : أفطر ، لأنه أمكنه التحرز منها فأشبه الدم ، ولأنها من غير الفم فأشبه القيء ، والرواية الثانية : لا يفطر لأنه معتاد من الفم غير واصل من خارج فأشبه الريق •

فان سال فمه دما أو خرج اليه قلس أو قيء فابتلعه أفطر وان كان يسيرا ، لأن الفم فى حكم الظاهر والأصل حصول الفطر بكل واصل منه ، لكن عفى عن الريق لعدم امكان التحرز منه • فما عداه يبقى على الأصل • وان ألقاه من فيه وبقى فمه نجسا أو تنجس فمه بشيء من خارج فابتلع فان كان معه جزء من المنجس أفطر بذلك الجزء والا فلا •

* * *

ما يكره للصـــائم

ويكره للصائم أمور منها ، أنه :

يكره له تحريما ذوق شئ مفطر من غذاء أو دواء بلا عذر لمـــا فيه من تعريض الصوم للفساد ولو كان نفلا لغير عذر • ولا بأس به مع العذر كسوء خلق الزوج فحينئذ لا يكره لامرأته ذوق المرق بلسانها •

ومثل المرأة فى ذلك الطاهى ، ومن أراد شراء مأكول أو مشروب ، له أن يذوقه اذا خشى أن يغبن فيه ولا يوافقه • واذا ذاقه وجب عليه أن يمجه لئلا يصل الى حلقه منه شئ •

ومن أصبح بين أسنانه طعام فان كان يسيرا لا يمكنه لفظه فابتلعه لا يفطر به لأنه لا يمكنه التحرز منه فأشبه الريق وهذا مجمع عليه •

ويكره له مضغ العلك (اللبان) وان لم يتحلل منه شئ لمـــا فى ذلك من الاتهام لأن من رآه يظن فطره •

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يمضغ العلك الصائم »[1] وأيضا ورد : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم » • وفى غير الصوم يستحب مضغ العلك للنساء ، ويكره للرجال الا اذا كان فى خلوة ولعذر كتسهيل ريح وتقليل بخر بفمه لحاجـــة •

ويكره له المبالغة فى المضمضة والاستنشاق احتياطا للعبادة فانه يخشى وصول شئ من المـــاء الى الحلق • وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فاذا استنشقت فأبلغ الا أن تكون صائما »[2] •

فاذا بالغ فى المضمضة أو الاستنشاق أو لم يبالغ ووصل الى جوفه شئ من المـــاء خطأ :

قال الحنفيون ومالك والمزنى : يفسد صومه وعليه القضاء ، وهو قول للشافعى وأحمد فيما اذا بالغ • وقال أحمد والشافعى : لا يفسد صومه كالناسى اذا لم يبالغ •

ويكره له القبلة الفاحشة ، وهى أن يتعانقا متجردين متماسى الفرجين ، فهذا مكروه مطلقا وان أمن الانزال والجماع لأن شأنه

---

(١) اخرجه البيهقى •

(٢) اخرجه احمد والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح •

تعريض الصوم للفساد ، وكذا يكره غير الفاحش من القبلة والمباشرة ان لم يأمن ما ذكر ولا يكرهان ان أمن ذلك : فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه :

أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له ، وأتاه آخر فسأله فنهاه ، فاذا الذى رخص له شيخ ، والذى نهاه شاب[١] ٠

والمراد بالمباشرة عدم الجماع ٠ فهى تشمل القبلة والمس باليد واتصال الجسم بالجسم ٠

وللمقبل والمباشر ثلاثة أحوال :

اذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا ٠

اذا أمنى[٢] أفطر اتفاقا ٠ لأنه انزال بمباشرة فأشبه الانزال بالاستمتاع بغير الفرج وعليه القضاء فقط عند الحنفيين والشافعى وأحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك واسحاق ٠

واذا أنزل مذيا[٣] أفطر وعليه القضاء عند مالك وأحمد[٤] ٠ وقال الحنفيون والشافعى : لا يفطر لأن المذى خارج لا يوجب الغسل فأشبه البول ٠

واللمس بشهوة كالقبلة فيما ذكر ٠

ويكره له تكرار النظر بشهوة الى امرأته وادامة الفكر فى الجماع ولا بأس بذلك عند الحنفيين والشافعى وأحمد ٠

وقال مالك : النظر والفكر كالقبلة ، فان أمن على نفسه من الانزال كرها ، وان لم يأمن حرما ٠

هذا : ولمكرر النظر ثلاثة أحوال :

اذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا ٠

اذا أمنى يفسد صومه عند أحمد ومالك ، وعليه القضاء فقط عند أحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك ان كان النظر محرما ٠

وقال الحنفيون : لا يفطر مطلقا لأنه لا نص فى الفطر بما ذكر ولا اجماع ٠

---

(١) اخرجه ابو داوود والبيهقى بسند جيد .

(٢) المنى : ما يتدفق بشهوة . (٣) المذى : ما ينزل اثناء المداعبة .

(٤) وحجتهم فى هذا انه خارج بشهوة عن مباشرة .

وقالت الشافعية : لا يفطر الا ان اعتاد الانزال بذلك فيفطر على المعتمـد •

واذا أمذى لا يفطر عند الحنفيين والشافعى وأحمد ، لأنه لا نص فى الفطر به ولا يمكن قياسه على انزال المنى لمخالفته له فى الأحكام فيبقى على الأصل ، فأما ان نظر فصرف بصره لا يفسد صومه وان أنزل عند الثلاثة •

وقالت المـالكية : ان أمذى بالفكر أو النظر فعليه القضاء ، وان أمنى بادامتهما فعليه الكفارة ان كانت عادته الانزال ولو فى حين ما • فان كانت عادته عدم الانزال بادامة النظر أو الفكر فخالف عادته وأمنى فلا كفارة على ما اختاره ابن عبد السـلام • وكذا لو أمنى بمجرد نظر أو فكر فلا كفارة عليه عند ابن القاسم •

وأما من فكر فأنزل فلا يفسد صومه عند الحنفيين والشافعى وهو الصحيح عن أحمد •

وقال مالك : يفسد صومه • وروى هذا عن أحمد[1] • فاحذر الوقوع فى هذا المكروه حتى لا تكون موضع خلاف بين الأئمة كما رأيت وتتحمل وحدك نتيجة ذلك •

وأيضا يكره للصائم وغيره طول الصمت لما فيه من تفويت الأجر العظيم والثواب الجزيل المترتب على خير القول من أمر بمعروف ونهى عن منكر أو تلاوة للقرآن •• الى غير ذلك من أنواع الخير القولية التى ينبغى الحرص عليها لا سيما وهو صائم • ولله در على رضى الله عنه فلقد قال :

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه • فقد عق يومه ، وظلم نفسه » •

وكذلك يكره للصائم الاكثار من النوم نهارا لئلا يذهب مشقة الصـوم •

وكذلك يكره له شم الروائح الزكية كالمسك والعنبر • كما يكره له مداواة أسنانه نهارا ولا شىء عليه ان سلم ، فان ابتلع منه شيئا غلبه قضى • وان تعمد كفر أيضا ، الا لضرورة فى تأخير الدواء لليل كشدة

---

(١) راجع كل هذا فى الجزء الثامن من « الدين الخالص » ص ٣٦٥

تألم ، وان لم يحدث منه مرض فلا تكره المداواة ، بل تجب ان خلف هلاكا أو شديد أذى •

كما يكره له أيضا عند أحمد أن يجامع وهو شاك فى طلوع الفجر الثانى ، ولا يكره له السحور مع الشك فى ذلك لأنه يتقوى به على الصوم بخلاف الجماع •

فلاحظ كل هذا أيضا حتى لا تتورط وحتى لا ينقص ثوابك أو يضيع •

* * *

مالا يفسد الصوم

ولا يفسد صوم الصائم :

اذا أكل أو شرب أو جامع ناسيا ، عند الحنفيين والشافعى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه »[١] يعنى ما وقع منه من الأكل والشرب لا يفسد صومه لأنه لم يكن له فيه اختيار لنسيانه •

والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وبه يقول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق •

وقال مالك بن أنس : اذا أكل فى رمضان ناسيا فعليه القضاء •

والأول أصح • لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة »[٢] •

وقال أحمد : يجب القضاء والكفارة بالجماع ناسيا ولا شىء فى الأكل والشرب • وهذا القول رد عليه[٣] •

وقالت المالكية : من تعاطى أى مفطر ناسيا فى رمضان فعليه القضاء دون الكفارة قياسا للصوم على الصلاة • فكما أن ترك ركعة منها نسيانا يفسدها كذلك ترك ركن من الصوم وهو الامساك عن المفطر يفسده •

---

(١) اخرجه السبعة وهذا لفظ مسلم وقال الترمذى : حديث حسن صحيح

(٢) اخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، والدارقطنى والبيهقى بسند رجاله ثقات .

(٣) لأنه استدل بحديث الرجل الذى واقع امراته فى رمضان .. وهو يدل على أنه واقع عمدا .

ويرد على كل هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم السابق وهو : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » . فهذا هو الحق وتلك رحمة من الله الرحمن الرحيم الذى يقول : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** »[1] .

ومن احتلم نهارا وهو صائم لا يبطل صومه اجماعا .

وكذلك من احتجم فى نهار رمضان كما قرأت سابقا عند الأئمة الثلاثة خلافا للامام أحمد .

وكذلك لا يفسد الصوم بانزال منى بنظر وان أدامه عند الحنفيين والشافعى ، لأنه فى معنى الاحتلام ، وعند مالك وأحمد يفسد صومه ، وان أمذى لا يفسد صومه عند الثلاثة ، ويفسد عند مالك كما تقدم الا ان غلبه المنى أو المذى بمجرد نظر أو فكر .

وأيضا لا يفسد الصوم اذا نزل المنى بسبب ادامة الفكر عند الحنفيين والشافعى ، وهو الصحيح عن أحمد . وقال مالك : يفسد صومه ، كما تقدم .

ولا يفسد الصوم بالاكتحال ولا بما يقطر فى العين ولو وجد طعمه فى حلقه أو رأى لونه فى بزاقه عند الحنفيين والشافعى لأن الداخل من المسام الغير النافذة لا ينافى الصوم كما اذا تبرد بالماء ووجد أثره بباطنه .

وقال مالك وأحمد : يبطل الصوم بالكحل ونحوه ان وجد طعمه فى حلقه أو علم وصوله اليه .

ولا يبطل بالادهان وان وجد أثر الدهن فى الحلق عند الثلاثة . وقال مالك : هو كالكحل الا اذا وضع دهنا على جرح فى بطنه واصل لجوفه لأنه لا يصل لمحل الطعام والشراب والا لمات من ساعته .

ولا يفسد الصوم كذلك لشم الروائح العطرية كالورد والنرجس والياسمين .

وكذلك لا يفسد بتأخير غسل الجنابة حتى تطلع الشمس ولو مكث جنبا كل اليوم .

ولا يفسد بدخول غبار طريق أو غربلة دقيق أو ذباب أو بعوض الى حلقه رغما عنه .

---

(١) البقرة : ١٨٥

ولا يفسد صوم المرأة عند أحمد اذا أدخلت اصبعها أو غيره في فرجها ولو مبتلا •

ومن غلبه القيء لا يبطل صومه ولو كان ملء الفم اذا لم يعد منه شيء اجماعا •

فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض »[١] •

ويتفرع على هذا أربع مسائل :

اذا كان القيء أقل من ملء الفم وعاد أي شيء منه لم يفطر اتفاقا لعدم الفعل ، عند محمد ، ولعدم ملء الفم عند أبي يوسف •

اذا كان أقل من ملء الفم وأعاده أو شيئا منه لم يفطر عند أبي يوسف • وهو المختار لعدم ملء الفم ويفطر عند محمد للفعل •

اذا كان ملء الفم وعاد أو شيء منه لا يفطر عند محمد[٢] لعدم الفعل ، وهو الصحيح ، ويفطر عند أبي يوسف ، لأنه يعتبر خارجا شرعا وقد دخل •

اذا كان ملء الفم وأعاد أو شيئا منه أفطر اتفاقا • لأنه خارج أدخله جوفه • وكذلك كل ما غلب على الانسان ودخل فمه[٣] •

* * *

ما يفسد الصوم

ما يفسد الصوم قسمان :

قسم يوجب القضاء وهو :

الافطار مكرها أو خطأ ، كأن تمضمض فسبق الماء الى حلقه •

وصول ما لا نفع فيه للبدن الى الجوف من منفذ مفتوح

---

(١) اخرجه احمد والدارقطني والحاكم وصححه والبيهقي والأربعة ، الا النسائي وقال الترمذي : حسن غريب .

واستقاء : اي اخرج القيء بمحاولة منه كهذا الذي يضع اصبعه في فمه لاخراج القيء .

(٢) محمد تلميذ أبي حنيفة ، وكذلك أبو يوسف .

(٣) كالذباب ، والماء .

أو الى باطن الرأس عمدا ، كأن ابتلع حصاة ، أو حديدا أو ملحا كثيرا ، أو لوزة بقشرها .

صب الدواء أو المـاء فى دبر الرجل ، أو قبل المرأة .

ايصال مائع وغيره الى الجوف من الأنف .

اقطار مائع ، ولو ماء فى الأذن على الصحيح عنـد الحنفيين والشافعى وأحمد ، لأنه وصل الى الجوف بفعله ، أما ان خاض المـاء فدخل أذنه لا يفسد صومه اتفاقا .

وقالت المـالكية : يفسد الصوم بوصول مائع الى الحلق من فم أو أذن أو عين أو أنف ، سواء أكان المـائع ماء أو غيره ، وصل عمدا أو سهوا أو غلبه ، كماء غلب من المضمضة أو السواك حتى وصل الى الحلق ، أو وصل خطأ كأكله نهارا معتقدا بقاء الليل أو غروب الشمس ، والا فلا يفسد صومه .

وفى حكم المـائع : البخور وبخار القدر اذا استنشقهما فوصلا الى حلقه ، وكذلك الدخان الذى اعتاد الناس شربه ، فمجرد وصوله الى حلقه مفطر وان لم يصل الى المعدة . وأما دخان الحطب فلا أثر له كرائحة الطعام اذا استنشقها .

اذا وصل الدواء الى جرح يبلغ الجوف .

اذا وصل الدواء الى جوف الرأس عن طريق شجة تصل أم الرأس وهى الآمة — لأن بين جوف الرأس وجوف المعدة منفذا أصليا ، وهذا اذا تحقق الوصول اتفاقا ، وكذا ان شك فيه وكان الدواء رطبا عند النعمـان ومالك ، لعموم ما ورد : « الفطر مما دخل وليس مما خرج »[1] .

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعى وأحمد : لا يفسد الصوم بالشك فى الوصول . أما اذا كان الدواء يابسا فلا فطر اتفاقا اذا شك فى وصوله الى الجوف .

القىء عمدا ولو قليلا عند الأئمة الأربعة ومحمد لعموم قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ومن استقاء عمدا فليقض » وقد تقدم .

انزال المنى عن مباشرة بنحو قبلة أو تبطين أو مجامعة فى غير

(١) اخرجه البخارى وغيره عن ابن عباس مرفوعا .

سبيلى آدمى حى مشتهى ، أو بوطء بهيمة أو ميتة ، أو صغيرة لا تشتهى ، أو استمناء بالكف — وهذا حرام — وان خرج منه المنى أو المذى لمرض فلا شىء عليه لأنه خارج بغير شهوة فأشبه البول ، ولأنه خرج من غير اختيار منه ولا تسبب فيه فأشبه الاحتلام •

ولو جامع فى الليل فأنزل بعد ما أصبح لم يفطر ، لأنه لم يتسبب فيه نهارا فأشبه ما لو أكل فى الليل فذرعه القىء نهارا • عند الحنفيين والشافعى وأحمد •

وقالت المالكية : يفسد الصوم بانزال المنى أو المذى مع لذة معتادة بنظر أو فكر أو غيرهما ، كالقبلة والمباشرة فيما دون الفرج • وأما اذا خرج المنى أو المذى لمرض فلا يفسد الصوم ، كما لا يفسد بخروج أحدهما بمجرد نظر أو فكر بلا استدامة اذا كان يكثر عروضه له بأن كان حصوله مساويا لعدم حصوله فى الزمن أو زائدا ، أما اذا كان زمن عروضه أقل من زمن ارتفاعه فانه يفسد الصوم •

تناول مفطر مع ظن المبيح — عند الأئمة الأربعة والجمهور — وفيه خمس صور :

الأولى : من تسحر يظن بقاء الليل — وقد طلع الفجر — بطل صومه وعليه القضاء عند الأربعة والجمهور •

الثانية : من أفطر آخر النهار يظن غروب الشمس ولم تغرب ، بطل صومه عند الأربعة والجمهور •

الثالثة : من أكل شاكا فى طلوع الفجر ولم يتبين الأمر فليس عليه قضاء ، وله الأكل حتى يتبين طلوع الفجر عند الحنفيين ، والشافعى وأحمد ، لقوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** »[1] •

وقال مالك : يجب القضاء لأن الأصل بقاء الصوم فى ذمته فلا يسقط بالشك ، ولأنه أكل شاكا فى النهار والليل فلزمه القضاء كما لو أكل شاكا فى غروب الشمس •

الرابعة : من أفطر شاكا فى غروب الشمس ولم يتبين الأمر ، فعليه القضاء عند الأئمة الأربعة والجمهور لأن الأصل بقاء النهار •

الخامسة : من أكل ظانا أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع

---

(١) البقرة : ١٨٧

ثم شك بعد الأكل ولم يتبين الأمر ، فلا قضاء عليه لأنه لم يوجد يقين يزيل ذلك الظن الذى بنى عليه فأشبه ما لو صلى بالاجتهاد ثم شك فى الاصابة بعد صلاته .

* * *

مع ملاحظة :

أن من جامع قبل طلوع الفجر ثم طلع فنزع فورا لم يفسد صومه عند الحنفيين ، والشافعى ، وهو مشهور مذهب أحمد ، لأنه ترك للجماع فلا يتعلق به حكمه .

وقال مالك : يفسد صومه ولا كفارة عليه ، لأنه لا يقدر على أكثر مما فعله فأشبه المكره .

وان لم ينزع فسد صومه وعليه القضاء اتفاقا وكذا الكفارة عند مالك والشافعى وأحمد .

وقال الحنفيون : لا كفارة عليه .

ومن جامع ظانا أن الفجر لم يطلع وتبين أنه قد طلع فسد صومه وعليه القضاء فقط عند الحنفيين ، والشافعى . وقال مالك وأحمد : عليه الكفارة أيضا .

ادخال خرقة أو خشبة أو اصبع مبلولة فى الدبر ، وقبل المرأة اذا لم يبق من المدخل شىء : يفسد الصوم .

أما اذا لم يغيبه كله لا يفسد صومه عند الحنفيين وأحمد ، ومالك . وقال الشافعى : يفسد بذلك .

اذا تعمد أثناء الاستنجاء ايصال الماء الى داخل دبره يفسد الصوم .

الأكل عمدا بعد أكله ناسيا الصوم فظن أنه أفطر فيلزمه القضاء اتفاقا لوجود المفطر ولا كفارة عليه عند الحنفيين والشافعى وأحمد للشبهة . كذا لو علم أن صومه لا يفسد بالفطر ناسيا وبلغه الحديث فى ذلك فلا كفارة عليه عند النعمان والشافعى وأحمد مراعاة لخلاف الامام مالك .

وقال أبو يوسف ، ومحمد ، ومالك : عليه الكفارة لعدم الشبهة .

الحيض والنفاس اجماعا ، وعليهما القضاء .

الردة اجماعا ، وعليه قضاء ذلك اليوم اذا عاد الى الاسلام سواء أسلم فى أثناء اليوم أو بعد انقضائه •

اذا نوى الفطر عند الأئمة الثلاثة وهو ظاهر مذهب أحمد لأنه عبادة من شرطها النية • وان عاد فنوى الصوم قبل الزوال أجزأه عند الحنفيين لأنه يصح بنية قبل الزوال • ولا يجزىء عند من يشترط تبييت النية فى رمضان •

مع مراعاة : أن من فسد صومه بشىء مما ذكر لزمه :

أولا : امساك بقية اليوم فى غير الحيض والنفاس احتراما للوقت بالقدر الممكن •

ثانيا : قضاء ما أفسده فى أيام أخر •

مع ملاحظة : أن القضاء لا يلزم فيه التتابع عند الأئمة الأربعة والجمهور لاطلاق قوله تعالى : « **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** »[1] •

وأنه لا يطلب أزيد مما أوجب أداؤه ـ عند الأئمة الأربعة والجمهور ـ فمن أفطر متعمدا بلا عذر يلزمه صيام يوم واحد قضاء عن اليوم الذى أفطره مع الكفارة ان لزمته •

وأن قضاء رمضان واجب على التراخى عند الجمهور لاطلاق الآية ، أى يجوز تأخير قضاء رمضان الى شعبان لعذر • وبه قال العلماء • أما تأخير القضاء لغير عذر فهو جائز عند الجمهور ان أفطر لعذر ، كمرض ، أو سفر ، أو حيض •

وروى الدارقطنى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قضاء رمضان : « ان شاء فرق وان شاء تابع » وان أخر القضاء حتى دخل رمضان آخر ، صام رمضان الحاضر ، ثم يقضى بعده ما عليه ولا فدية عليه ، سواء أكان التأخير لعذر أو لغير عذر • عند الأحناف ، والحسن البصرى •

ووافق مالك والشافعى وأحمد واسحاق الأحناف فى أنه لا فدية عليه اذا كان التأخير بسبب العذر ، وخالفوهم فيما اذا لم يكن له عذر فى التأخير فقالوا : عليه أن يصوم رمضان الحاضر ثم يقضى ما عليه بعده ، ويفدى عما فاته عن كل يوم مدا من طعام ، وليس لهم فى ذلك

---

(١) البقرة : ١٨٥

دليل يمكن الاحتجاج به ، فالظاهر ما ذهب اليه الأحناف ، فانه لا شرع الا بنص صحيح .

ومن مات وعليه صيام وكان قد تمكن من صيامه قبل موته فقد اختلف الفقهاء فى حكمه ، فذهب جمهور العلماء ومنهم أبو حنيفة ومالك ، والمشهور عن الشافعى : أن وليه لا يصوم عنه ، ويطعم عنه مدا عن كل يوم . وعند الأحنـاف نصف صاع من قمح وصاعا من غيره . والمذهب المختار عند الشافعية : أنه يستحب لوليه أن يصوم عنه ، ويبرأ به الميت ، ولا يحتاج الى اطعام عنه والمراد بالولى القريب سواء أكان عصبة أو وارثا أو غيرهما ، ولو صام أجنبى عنه صح ان كان باذن الولى ، والا فانه لا يصح ، واستدلوا بما رواه أحمد والشيخان عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » زاد البزار لفظ : « ان شاء » .

وأما ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة : فهو الجماع لا غير عند الجمهور ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : « وما أهلكك » ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . فقال : « هل تجد ما تعتق رقبة » ؟ قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين » ؟ قال : لا . قال : « فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا » ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق[1] فيه تمر ، فقال : « تصدق بهذا » ، قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لابتيها[2] أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : « اذهب فأطعمه أهلك »[3] .

والمرأة والرجل سواء فى وجوب الكفارة عليهما — عند الجمهور — ما داما قد تعمدا الجماع مختارين فى نهار رمضان ناويين الصيام .

فان وقع الجماع نسيانا أو لم يكونا مختارين بأن أكرها عليه ،

---

(١) العرق مكيال يسع ١٥ صاعا . (٢) المراد اطراف المدينة .
(٣) رواه الجماعة .

أو لم يكونا ناويين الصيام فلا كفارة على واحد منهما • فان أكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها •

ومذهب الشـافعى : أنه لا كفارة على المرأة مطلقا لا فى حالة الاختيار ولا فى حالة الاكراه • وانما يلزم فيه القضاء فقط •

ومن جامع عامدا فى نهار رمضان ولم يكفر ، ثم جامع فى يوم آخر منه فعليه كفارة واحدة عند الأحناف ، ورواية عن أحمد ، لأنها جزاء عن جناية تكرر سـببها قبل استيفائها فتتداخل • وقال مالك والشافعى ورواية عن أحمد :

عليه كفارتان ، لأن كل يوم عبادة مستقلة ، فاذا وجبت الكفارة بافساده لم تتداخل كرمضانين • ومن جامع مرتين فى يوم واحد لم يكفر عن الأول عليه كفارة واحدة ، فان كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانيا عند جمهور الأئمة ، وقال أحمد : عليه كفارة ثانية • وقد أجمعوا على أن من جامع فى نهار رمضان عامدا وكفر ، ثم جامع فى يوم آخر عليه كفارة أخرى ، وترتيب الكفارة عند جمهور العلماء هو نفس الوارد فى الحديث السابق :

العتق أولا ، فان عجز صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ولا أيام العيدين والتشريق • فان عجز عنه أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله • وقالوا : لا يصح الانتقال من حالة الى أخرى الا اذا عجز عنها • ومذهب المالكية ورواية لأحمد :

أنه مخير بين هذه الثلاثة فأيهما فعل أجزأ عنه •

* * *

الوصية الثامنة عشرة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام .

(رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى)

❋ ❋ ❋

فكن أخا الاسلام :

أهلا لتنفيذ هذه الوصية العظيمة التى ان كنت من منفذيها كنت من أهل الخير والفلاح والنجاح ، وحشرت يوم القيامة مع الأبرار **« الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »**(١) . وذلك بطاعتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى **« ... ما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »**(٢) .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك فى شخص أبى هريرة رضى الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فقد رأيت اتماما للفائدة ــ وفى ختام هذا العرض السريع الذى وقفت عليه فى الصفحات السابقة ــ أن ألخص لك أقسام الصيام .. فأقول وبالله التوفيق :

الصوم أقسام

❋ فرض معين .

❋ وفرض غير معين .

❋ وواجب معين .

❋ وواجب غير معين .

❋ ومنهى عنه وهو حرام .

❋ ومكروه تنزيها .

❋ وتطوع وهو سنة .

---

(١) النساء : ٦٩

(٢) النجم : ٣ ، ٤ ــ بلفظ « وما ينطق » .

وهاك بيانها بايجاز :

١ ـ الفرض المعين : هو صوم رمضان ، وقد عرفته ووقفت على أهم أحكامه .

٢ ـ الفرض غير المعين بوقت وهو : صوم الكفارات .

والفرض والواجب قسمان :

ما يلزم فيه التتابع وهو :

صوم رمضان ، وصوم الكفارات التى شرع فيها العتق ككفارة القتل والظهار ، والافطار فى رمضان ، وكذا كفارة اليمين عند الحنفيين وأحمـد .

وما لا يلزم التتـابع فيه وهو : قضاء رمضان ، وكل كفارة لم يشرع فيها عتق ـ كصوم التمتع والقران ـ وكفارة جزاء الحلق والصيد ، وصوم النذر المطلق ، واليمين المطلق ، كأن يقول : والله لأصومن شهرا .

٣ ـ الواجب المعين : كالنذر المعين بوقت كنذر صوم يوم الخميس .

٤ ـ وغير المعين : كالنذر المطلق ، واتمـام صوم التطوع بعد الشروع فيه .

٥ ـ والمنهى عنه وهو عشرة أنواع :

يوم الشك ، وهو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان اذا تحدث الناس بالرؤية ولم تثبت أو شهد بهـا من ردت شهادته لفسق ونحوه . فان لم يتحدث بالرؤية أحد فليس يوم شك ولو كانت السماء مغيمة عند الحنفيين والشافعى .

صوم العيدين : وهو حرام عند مالك ، والشافعى ، وأحمـد ، وبعض الحنفيين ، ومشهور مذهبهم أن صومهما مكروه تحريما لمـا فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى . والثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صومهما .

صوم أيام التشريق : وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر وصومها حرام ولو للمتمتع عند الليث بن سعد وهو المشهور عن الشافعى .

والأصح عند أحمد وبه قال بعض الحنفيين ، ومشهور المذهب أن صومها مكروه تحريما لما فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى •

صوم يوم الجمعة : وهو مكروه عند أبى يوسف ، والشافعى ، وأحمد ، اذا أفرده بالصوم الا أن يوافق عادة له • وفى الحديث : « لا يصم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده »[1] •

افراد يوم السبت أو الأحد بصيام : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التطوع بصوم يوم السبت ، وأباح صومه مع الجمعة ، وصامه هو مع الأحد ، مخالفة لليهود والنصارى •

صوم الدهر : فقد ورد النهى عن صومه • فيحرم صوم السنة كلها بما فيها أيام العيد ، والتشريق لحديث : « لا صام من صام الأبد »[2] •

وصال الصوم : وهو صوم يومين فأكثر بلا فطر بينهما قصدا • وهو منهى عنه فى حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والوصال » قالها ثلاث مرات ••• الحديث[3] •

الصوم فى النصف الثانى من شعبان : فانه يكره عند الشافعية التطوع فى النصف الثانى من شعبان الا صوما اعتاده أو وصله بصوم فى النصف الأول •

صوم المرأة وزوجها حاضر : فانه لا يحل للزوجة أن تصوم تطوعا وزوجها حاضر الا باذنه فقد ورد فى هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تصم المرأة يوما واحدا وزوجها شاهد الا باذنه الا رمضان »[4] •

وحكمة حرمة ما ذكر على المرأة ، أن زوجها له حق الاستمتاع بها فى أى وقت ، وهو واجب على الفور فلا يفوت بالتطوع ، ولا بواجب

---

(١) اخرجه البيهقى والستة الا النسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح
(٢) اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابن ماجه .
(٣) اخرجه مالك واحمد والبخارى ومسلم والبيهقى .
(٤) اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابو داوود والبيهقى والدارمى .

على التراخى كقضاء رمضان والكفارات والنذر المطلق . ولهذا قالوا :

اذا تطوعت المرأة بشىء من ذلك بلا اذن زوجها فله أن يفسده عليها بالجماع ، ويلزمها قضاؤه . وقال بعض الشافعية : يكره تطوعها بصوم وغيره بلا اذن زوجها . والصحيح الحرمة . فلو صامت بلا اذن صح صومها وان كان حراما ، لأن تحريمه لحق الزوج لا لمعنى يعود على الصوم . فهو كالصلاة فى دار مغصوبة ، فاذا صامت بلا اذن فلا ثواب لها .

كذلك يكره للضيف أن يتطوع بدون اذن رب المنزل : فقد ورد فى حديث شريف : « ... ومن نزل بقوم فلا يصومن الا باذنهم »[١] .

وكان ابن عمر اذا أراد أحد أن يصحبه فى سفر اشترط عليه ، ألا يصحبنا على تغير خلال ، ولا ينازعنا الأذان ، ولا يصومن الا باذننا[٢] .

والنهى فيما ذكر للتنزيه[٣] .

٦ ـ الصوم التطوع :

صوم ستة أيام من شوال : فقد ورد فيه حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر »[٤] .

والمعنى : أن من واظب على صيام رمضان وستة أيام من شوال فى كل سنة فكأنما صام طول حياته . أما من صام رمضان وستا من شوال سنة واحدة فكأنما صام سنة واحدة لأن الحسنة بعشر أمثالها ، ورمضان بعشرة أشهر والستة أيام بشهرين .

---

(١) من حديث اخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) والحكمة من هذه الكراهة هى دفع تحرج أهل المنزل صومه لتقييد الوقت واحسان الطعام للصائم بخلاف ما اذا كان مفطرا .

(٤) اخرجه احمد ومسلم والبيهقى والدارمى والأربعة الا النسائى وقال الترمذى : حسن صحيح .

والحكمة فى مشروعية صومها : أنها تجبر ما وقع فى رمضان من خلل .

والأفضل : عند الحنفيين والشافعى صومها متوالية عقب يوم الفطر لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم أتبعه بست من شوال » فان فرقها أو أخرها عن أول شوال فقد حصل أصل السنة .

وقال أحمد : يستوى التتابع وعدمه فى الفضل .

صوم شوال والأربعاء والخميس : فقد ورد فى هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ، وشوالا ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، دخل الجنة »(١) .

والمعنى صم شوالا بعد يوم الفطر ، والأربعاء ، واليومين بعده من كل شهر .

وقد ورد فى هذا أحاديث ضعيفة يقوى بعضها بعضا .

صوم تسع ذى الحجة : فقد ورد أنه يستحب لغير الحاج صيام تسعة أيام من ذى الحجة ففى الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذى الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس(٢) .

صوم يوم عرفة : وهو اليوم التاسع من ذى الحجة ويتأكد صومه بغير عرفة ، ففى الحديث :

« صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية »(٣) .

قال الترمذى : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة الا بعرفة .

ومعنى الحديث : صيام يوم عرفة يكفر ذنوب(٤) السنة الماضية ويحول بين صائمه وبين الذنب فى السنة الآتية :

صوم المحرم : أى يستحب صوم شهر الله المحرم فقد ورد فى

---

(١) اخرجه احمد وفيه من لم يسم وبقية رجاله ثقات .

(٢) اخرجه احمد وابو داوود والبيهقى بسند جيد .

(٣) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى من عدة طرق .

(٤) المراد : الذنوب الصغائر عند الجمهور ، لأن الكبائر لا يكفرها الا التوبة او عفو الله ، فان لم يكن له صغائر خفف عنه الكبائر ان كانت والا رفعت درجاته .

الحديث : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم »[1] وظاهره أن المراد صيام المحرم بتمامه •

صوم عاشوراء : وهو يوم معظم فى الجاهلية والاسلام •

فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم : لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء ، فسئلوا عن ذلك ، فقالوا : هو اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون ونحن نصومه تعظيما له • فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « نحن أولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه[2] •

وقد ورد أنه من السنة صيام عاشوراء واحياؤه بالطاعة والتوسعة فيه على الأهل والأقارب والفقراء بلا تكلف ولا التزام • ففى الحديث : « من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته »[3]

صوم يوم الاثنين والخميس : فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له : فقال : « ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم — أو لكل مؤمن — الا المتهاجرين[4] فيقول : أخرهما »[5] •

صوم ثلاثة أيام من كل شهر : فقد ورد فى الحديث : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله »[6] •

وقد دل هذا الحديث مع غيره من الأحاديث الواردة فى هذا : على استحباب صيام ثلاثة أيام غير معينة من كل شهر — عربى — ويؤيده حديث معاذ عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والأربعة والبيهقى .

(٢) اخرجه الدارمى والسبعة الا الترمذى والدارمى .

(٣) اخرجه ابن عبد البر فى « الاستذكار » والبيهقى فى « الشعب » على شرط مسلم .

(٤) من الهجر وهو ضد الوصل والمراد : العداوة والبغضاء .

(٥) اخرجه احمد وابن ماجه بسند صحيح .

(٦) اخرجه احمد وابن حبان وابن خزيمة والنسائى وابن ماجه والترمذى ، وزادوا : فانزل الله تصديق ذلك فى كتابه : « **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** » (الانعام : ١٦٠) — اليوم بعشرة . وحسنه الترمذى .

يصوم ثلاثة أيام من كل شهر . قالت : فقلت من أيه كان يصوم ؟ فقالت : لم يكن يبالى من أيه كان يصوم [١] .

صوم الأيام البيض : وهى الليالى المقمرة طول الليل ، فقد ورد فى الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نصوم البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . وقال : هى كصوم الدهر » [٢] .

صوم ثلاثة أيام متفرقة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر موزعة بين الاثنين والخميس وأحدهما مكرر ، أو يصوم من كل عشرة أيام يوما . لقول حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من الشهر : الاثنين والخميس والاثنين من الجمعة الأخرى » [٣] .

صيام ثلاثة أيام معينة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام معينة من كل شهر من أوله . أو السبت والأحد والاثنين من أول الشهر . ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذى بعده . أو الاثنين من أوله ثم الخميس والجمعة ، أو ثلاثة من آخره . لحديث ابن مسعود رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من غرة كل هلال وقلما يفطر يوم الجمعة » [٤] .

صوم داوود عليه السلام : وهو صوم يوم وافطار يوم وهو أحب الصوم وأفضله لأنه أشق على النفس ، فانه لا يعتاد الصيام ولا الفطر ، وفاعله يمكنه أن يؤدى حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره بخلاف من يتابع الصوم فانه لا يمكنه القيام بهذه الحقوق . فقد ورد عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصيام صيام داوود عليه السلام ، كان يصوم يوما ويفطر يوما » [٥] .

* * *

---

(١) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) اخرجه احمد ابو داوود والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

(٣) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والبيهقى .

(٤) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال : حسن غريب .

(٥) اخرجه البخارى والنسائى وهذا لفظه

فلا تنس كل هذا واحرص على أن تكون من أهل الخير الذى ستكون من أشد الناس حاجة الى ثوابه يوم القيامة ، ولله در أبى الدرداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده . قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى اعداد هذا الزاد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا »(١) .

* * *

ولهذا عندما دعا الحجاج أعرابيا ليأكل معه ، قال الأعرابى : دعانى من هو خير منك فلبيته . فقال الحجاج : من هو ؟ فقال الأعرابى : ربى دعانى للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الأعرابى : أتضمن لى الحياة لغد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال الأعرابى : فكيف أبيع حاضرا بآجل ؟ فقال الحجاج : انه طعام لذيذ طيب . فقال الأعرابى : والله ما طيبته أنت ، ولا طيبه طاهيك ، وانما طيبته العافية . فقال الحجاج : صدقت .. ولكن اليوم شديد الحر . فقال الأعرابى : وأنا صمت ليوم أشد منه حرا . فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابى : **« وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون »**(٢) فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

* * *

ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على سرية فى البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة .. قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه . فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة . قال راوى الحديث :

---

(١) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه .   (٢) البقرة : ١٨٤

فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الانسان ينسلخ فيه حرا فيصومه[1] .

* * *

وربك لو أبصرت قوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا
فياطالب الحوراء فى خدرها وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها
وقم اذا الليل بدا وجهه وصم نهارا فهو من مهرها

* * *

مع ملاحظة :

أنه لم يثبت من طريق صحيح فى صوم رجب نهى ولا ندب الا ما ورد فى الترغيب فى صوم الأشهر الحرم وهو منها .

وأن صوم نصف شعبان لعينه لم يرد به نص ثابت ولا أصل يعتمد بل يكره تخصيصه بالصوم .

وأنه يستحب صوم شعبان كله أو جله لحديث أم سلمة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان[2] .

* * *

وأما عن ركعتى الضحى فقد ورد فى فضلهما أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلى :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى[3] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر

---

(١) اخرجه البزار وابن ابى الدنيا .
(٢) اخرجه ابو داوود والنسائى .
(٣) عظامه ومفاصله .

بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى[١] من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[٢] .

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة فى المسجد يدفنها أو الشىء الذى ينحيه عن الطريق ، فلن لم يقدر فركعتا الضحى تجزى عنه »[٣] .

وهى عبادة مستحبة يبتدىء وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال ، والمستحب أن تؤخــر الى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر .

وأقل ركعاتها اثنتان ، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثمانى ركعات ، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة . وقد ذهب قوم الى أنه لا حد لأكثرها .

وعن أم هانىء : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين[٤] .

* * *

وأما عن الوتر :

فقد سبق الحديث عنه[٥] وحسبك أن تذكر هذا الحديث الشريف : « من ظن منكم أن لا يستيقظ آخره[٦] فليوتر أوله ، ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره فليوتر آخره فان صلاة الليل محضورة[٧] وهى أفضــل »[٨] .

* * *

---

(١) اى يكفى .
(٢) رواه احمد ومسلم وابو داوود .
(٣) رواه احمد وابو داوود .
(٤) رواه ابو داوود باسناد صحيح .
(٥) فى الجزء الثانى من « وصايا الرسول ﷺ »
(٦) اى الليل .
(٧) أى تحضرها الملائكة .
(٨) رواه احمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

الجزء الخامس

الوصية التاسعة عشرة

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« جاهدوا فى سبيل الله ، فان الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم » .

(رواه أحمد واللفظ له ، ورواته ثقات . والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » والحاكم وصحح اسناده)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المجاهدين فى سبيل الله ، الذين تعاقدوا مع الله سبحانه وتعالى فاشترى منهم **« ... أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله »**(١) فكانوا أهلا لبشارة الله سبحانه وتعالى فى قوله بعد هذا : **« فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »**(٢) .

وحسبى ترغيبا لك فى خوض معركة الشرف والصمود فى وجه أعدائنا المعتدين أن أسوق اليك فى أول هذا العرض الموضوعى قول الله تبارك وتعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم »(٣) .

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »(٤) .

---

(١) التوبة : ١١١
(٢) التوبة : ١١١
(٣) البقرة : ٢١٨
(٤) الأنفال : ٧٢

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا »[١] .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده اجر عظيم »[٢] .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو أجتباكم ... »[٣] .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ... »[٤] .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »[٥] .

* * *

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط[٦] يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة[٧] يروحها العبد فى سبيل الله ، أو الغدوة[٨] خير من الدنيا وما عليها »[٩] .

عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان[١٠] »[١١] .

---

(١) الانفال : ٧٤ (٢) التوبة : ٢٠ — ٢٢

(٣) الحج : ٧٨ (٤) العنكبوت : ٦٩

(٥) التوبة : ٤١

(٦) الرباط : مصدر بمعنى المرابطة وهى الاقامة فى الشمس تجاه العدو للحراسة .

(٧) الروحة : المرة الواحدة من المجىء .

(٨) الغدوة : هى المرة الواحدة من الذهاب .

(٩) رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

(١٠) والمراد ان المرابط بعد الموت لا يسئل فى قبره من منكر ونكير ، او يسلم من وسوسة الشيطان واغوائه عند الموت ، ويكون المراد من الفتان الشيطان .

(١١) رواه مسلم واللفظ له ، والترمذى والنسائى والطبرانى ، وزاد : « وبعث يوم القيامة شهيدا » .

عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة . ونفقة الدينار والدرهم منه أفضل من سبعمائة دينار ينفقه فى غيره »(١) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »(٢) .

عن أبى أمامة رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل يغبر وجهه فى سبيل الله الا آمنه الله دخان النار يوم القيامة ، وما من رجل تغبر قدماه فى سبيل الله الا آمن الله قدميه النار يوم القيـــامة »(٣) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رمى بسهم فى سبيل الله ، كان له نورا يوم القيامة »(٤) .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله »(٥) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله . ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(٦) .

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله ، فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر »(٧) .

عن أنس رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط فقال : « من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى »(٨) .

* * *

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٤) رواه البزار باسناد حسن .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه البخارى .
(٧) رواه ابو داوود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . وابن حبان فى صحيحه .
(٨) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد جيد .

فرضـية الجهـاد

الجهاد : مصدر جاهد جهادا ومجاهدة ، بمعنى بذل وسعه ، وهو مأخوذ من الجهد ــ بفتح الجيم ــ بمعنى المشقة ، أو بمعنى الطاقة والاستطاعة ، يقال : بذل فى الأمر جهده ، قال تعالى : « **وأقسموا بالله جهد أيمانهم** .. »(١) أى بالغوا فى اليمين واجتهدوا .

ولم يشرع الجهـاد الا بعد الهجرة ، فقد كان المسلمون فى مكة مأمورين بأن يكفوا أيديهم ويقابلوا أذى المشركين بالعفو والصبر ، فلما هاجروا الى المدينة وانضموا الى اخوانهم الأنصار قويت شوكتهم ، واشتد جناحهم فأذن لهم حينئذ فى القتال انتقاما ممن ظلموهم بمكة ولكنه لم يفرض عليهم وفى ذلك يقول تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** »(٢) . ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم وفى ذلك يقول تعالى : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** ... »(٣) ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة ، وفى ذلك يقول تعالى : « .. **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ... »(٤) . تلك هى مراتب مشروعية الجهاد الذى كان فى أول الأمر محرما ، ثم صار مأذونا فيه ، ثم مأمورا به لجميع المشركين . والمشهور أنه فرض كفاية .

والدليل على هذا هو : أن النبى صلى الله عليه وسـلم كان يغزو بنفسه تارة ، وتارة يرسل غيره ويكتفى ببعض المسلمين ، وقد كانت سراياه وبعوثه متعاقبة والمسلمون بعضهم فى الغـزو وبعضهم فى المدينة .

وقد ذهب الجمهور الى أنه فرض كفاية .

وقال المـاوردى : انه كان فرض عين على المهاجرين دون غيرهم .

وقال السهيلى : كان عينا على الأنصار ، وقال ابن المسيب : انه فرض . والصحيح مذهب الجمهور ، وذهب ابن القيم الى أن جنس الجهاد فرض عين ، وأما الجهاد بالنفس ففرض كفاية .

* * *

(١) النور : ٥٣
(٢) الحج : ٣٩
(٣) البقرة : ١٩٠
(٤) التوبة : ٣٦

أقسـام الجهـاد

وينقسم الجهاد من حيث المعنى العام الى ثلاثة أقسام :
الأول : جهاد النفس من الشيطان •
الثانى : جهاد أهل الفسوق والعصيان •
الثالث : جهاد الكفار •

* * *

فأما عن النفس والشيطان فهما من ألد أعداء الانسـان ، وهما من أهم أسباب شقائه فى هذه الحياة الأولى وفى هذا يقول أحدهم معبرا عن هذا الشقاء الذى نلمسه جميعا ، وربما نعيش فيه :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا   الا لشـدة شـقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ، ونفسى ، والهوى   كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وحسبنا اذا أردنا أن نعرف خطورة النفس أن نقرأ قول الله تعالى : « **وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء** »[1] وقول الرسـول صلى الله عليه وسلم — ان صح هذا الحديث — بعد رجوعه من احـدى غزواته[2] : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « جهاد النفس » •

ولهذا كان لابد اذا أراد الانسان أن يتغلب على عدوه ، أن يتغلب أولا على نفسه وهواه حتى اذا ما دعى داعى الجهاد لملاقاة العدو المعتدى على كرامته ووطنه كان بطلا جسورا ، وأسدا مغوارا فى وجه أعـدائه •

فالبطل اذن : هو الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة ، وهو الذى لا يبالى بكل هذه المتع الرخيصة التى تزينها له نفسه الأمارة ، فى سبيل الوصول الى الهدف الأسمى وهو الانتصار على عدوه الغادر اعلاء لكلمة الله ورفعة لوطنه ، وتأمينا له •

والصحابة الفضلاء ما انتصروا بقيادة قائدهم الأعلى صلوات الله وسلامه عليه على أعدائهم — أعداء الدين — الا بعد أن نقاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطهر قلوبهم من الغل والحسد ، وربط بين هذه القلوب الطاهرة برباط الأخوة الخالصة التى أساسها الحب لله تحت

---

(١) يوسف : ٥٣

(٢) قيل : هى غزوة تبوك .

شعار قول الله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة ...** »[١] ولهذا كانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى كتابه :

« **... ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »[٢]

وكانوا أيضا كما وصفهم الله تعالى : « **أشداء على الكفار رحماء بينهم ...** »[٣] .

ومن هنا كان لابد اذا أردنا أن نكون كهؤلاء الرجال : أن نسير على منوالهم ونتخلق بأخلاقهم القويمة التى ما تربعت على قلوبهم الا بعد أن طهروها من حب الدنيا وكراهية الموت ، لأنهم كانوا ينشدون هدفا أسمى رغبهم الله سبحانه وتعالى فيه بعد قوله : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** »[٤] ثم قال : « **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد** »[٥] .

ولهذا كانت الدنيا بكل ما فيها من شهوات لا وجود لها فى قلوبهم ، ولا بريق لها فى مخيلتهم . وما كان كل هذا الا نتيجة لما رأوه من قدوتهم الكامل صلوات الله وسلامه عليه الذى كان يزهدهم دائما وأبدا فى حب الدنيا قولا وعملا ، كما كان يرغبهم أيضا فى أعمال البر والمسارعة الى الأسباب التى تقربهم الى الله ، وتذكرهم به ، فكانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى حديث قدسى :

« ... رهبانا[٦] بالليل ، ليوثا[٧] بالنهار ، ينادى مناديهم فى جو السماء[٨] ، لهم دوى كدوى النحل ... »[٩] .

فكانت النتيجة الحتمية لهذه النماذج الأخلاقية النادرة أن انتشر الاسلام وذاع وشاع حتى ملأ البقاع ، وحتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيما .

---

(١) الحجرات : ١٠ — (٢) الحشر : ٩

(٣) الفتح : ٢٩ — (٤) آل عمران : ١٤

(٥) آل عمران : ١٥ — (٦) اى عبادا بالليل .

(٧) اى اسودا بالنهار فى مواعيد العمل .

(٨) كناية عن الأذان . — (٩) كناية عن قراءة القرآن .

فالاسلام : ما غزا شبه الجزيرة العربية وما انتصر على دولتى الفرس والروم الا بهؤلاء الرجال الذين انتصروا على أنفسهم وباعوها لله الذى تفضل عليهم بنعمة الاسلام الذى لولاه لظلوا الى ما شاء الله يتخبطون فى ظلمات الجهل ، ويعبدون الأحجار والأبقار ، ويقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه المنة فقال فى كتابه العزيز : **« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »**[١] .

ولما كان هؤلاء الرجال الأبطال قد أدوا واجبهم المقدس نحو دينهم ووطنهم وتركوا الاسلام أمانة فى أعناقهم ، كان لابد وأن نكون أهلا للمحافظة على هذه الأمانة التى تهون فى سبيلها الدنيا بأجمعها .

وذلك بالمجاهدة المستمرة مع النفس بكبح جماحها ، والسيطرة عليها حتى لا نكون مطية لها ، ونخسر كل شىء بسببها .

وحتى لا يحدث ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ما ظهر الغلول[٢] فى قوم الا ألقي الله فى قلوبهم الرعب . ولا فشا الزنا فى قوم الا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر[٣] قوم بالعهد الا سلط الله عليهم عدوهم »[٤] .

وقوله : « يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » قال قائل : يا رسول الله .. وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »[٥] .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٦٤

(٢) الغلول : الخيانة فى المغنم وغيره وفى التنزيل العزيز : **« ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »** (آل عمران : ١٦١) .

(٣) ختر قوم بالعهد : اى غدروا به ونكثوا .

(٤) رواه مالك .

(٥) رواه ابو داوود والبيهقى فى « دلائل النبوة » .

فجاهد هواك حتى لا تقع فى هـذه المخالفات التى تغضب الله رب العالمين والتى ان حدثت كانت وبالا عليك وعلى أمتك .

مع ملاحظة أن الايمان الذى هو من أهم أسباب النصر على الأعداء كما جاء فى قوله تعالى : « ... **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** »[١] : لن يكون حقيقة ملموسة الا بمجاهدة النفس والسيطرة عليها .

ولذا تراه سبحانه وتعالى فى حديثه عن المؤمنين يقول : « **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله** ... »[٢] .

لهذا ومن أجل هذه الصفات التى من أهمها المحافظة على حدود الله ، وعدم تعديها حتى لا يظلموا أنفسهم تنفيذا لقول الله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »[٣] وهم يذكرون قوله تعالى : « **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** »[٤] بشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله : « **وبشر المؤمنين** »[٥] .

* * *

وحتى تكون من هؤلاء المبشرين فى هذه الآية الكريمة ، وحتى تكون من المؤمنين حقا : اليك هذا الوصف الدقيق للمؤمن كما وصفه سيد المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه :

« المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم »[٦] .

« المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة »[٧] .

* * *

ويقول أحد المؤمنين فى وصف المؤمن :

« المؤمن رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر » .

« المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمـل » .

« المؤمن بشره فى وجهه ، وحزنه فى قلبه ، أوسع صدرا ، وأخفى

---

(١) الروم : ٤٧
(٢) التوبة : ١١٢
(٣) البقرة : ١٨٧
(٤) الطلاق : ١
(٥) التوبة : ١١٢
(٦) حديث صحيح .
(٧) حديث صحيح .

نفسا ، زاجرا عن كل شر ، آمرا بكل خير ، لا حقود ، ولا حسود ، ولا مرتاب ، ولا سباب ، ولا غياب ، يكره الرفعة ، ويبغض السمعة ، طويل الهم[١] كثير الغم[٢] حليف الصمت[٣] عزيز الوقت[٤] ، لا متفاخر ، ولا متهتك ، ولا متكبر ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يجهل ، قليل المنازعة ، جميل المراجعة ، عدل ان غضب ، رفيق ان طلب ، خليص الود ، وثيق العهد ، وفى الوعد ، شفوق وصول ، حليم حمول ، قليل الفضول[٥] ، راض عن مولاه ، مخالف لهواه ، لا يغلظ على من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ان سب وأوذى لم يسب ، وان طلب ومنع لم يغضب ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدا بغيبة ، هشاش بشاش ، لا فحاش ولا غشاش ، كظام بسام ، دقيق النظر ، عظيم الحذر ، فهذا هو المؤمن حقا »[٦] .

* * *

فاحرص أخا الاسلام على أن تكون متمتعا بهذه الصفات الحميدة وذلك بمجاهدتك لنفسك .

واحذر أن يقودك الشيطان الرجيم الى الهاوية التى ان هويت فيها كنت مع الهالكين .

وحسبك تحذيرا لك من كيده وترغيبا لك فى مجاهدته أن تعلم أنه عدوك اللدود الذى أقسم بعزة الله سبحانه وتعالى على اغوائك فقال مخاطبا رب العزة : **« ... فبعزتك لأغوينهم أجمعين »**[٧] .

ولذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى منه ومن كيده فقال : **« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »**[٨] .

---

(١) اى دائما وابدا مهموما بأمر الآخرة وما يتعلق بها .

(٢) أى فى الدنيا اذا رأى ما يغضب الله سبحانه وتعالى تراه دائما وابدا متألما .

(٣) اى لا ينطق الا بالكلمة المثمرة .

(٤) اى وقته ثمين .

(٥) اى لا يتدخل فيما لا يعنيه .

(٦) لذى النون المصرى .

(٧) سورة ص : ٨٢

(٨) الاعراف : ٢٧

فجاهد هذا اللعين واحذر أن يكون وليا لك ، واذا أردت أن تتغلب عليه وتتحصن منه فعليك بالاستغفار والاكثار من ذكر الله تعالى الذى يقول : « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** »[1] ويعش : أى يغفل •

وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى : « •• **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** »[2] صاح ابليس ودعا بالويل والثبور ، فاجتمعت عليه شياطينه وقالوا له : مالك ؟ قال : نزلت آية لا يضر بعدها ذنب ، وذكرها لهم فقالوا : نفتح لهم باب الأهواء وتحسين الأعمال حتى لا يتوبوا ، ففرح بذلك •

* * *

فلاحظ كل هذا •• واياك أن تكون من الذين تحدث الله عنهم فقال : « **وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون** »[3] • وضع نصب عينيك دائما وأبدا حتى لا تضل أو تزل ، قول الله تبارك وتعالى : « **ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** »[4] •

وحتى لا تقع فى شباك الشيطان وتغزوه قبل أن يغزوك ، لابد وأن تتحصن كذلك بالعلم النافع :

فقد ورد فى الحديث الشريف : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » •

لأنه بدون العلم يتخبط الانسان فى ظلمات الجهل وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فيكون بهذا من « ••• **الأخسرين أعمالا • الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** » [5] وكما يقول القائل :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام

* * *

وحتى يتضح لك أهمية العلم ، اليك هذين الأثرين بالاضافة الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة فى فضل العلم وأهله :

قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه

---

(١) الزخرف : ٣٦ (٢) الانفال : ٣٣
(٣) النمل : ٢٤ (٤) البقرة : ١٦٨
(٥) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ — بلفظ « بالأخسرين » •

من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تقتص آثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خلقهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلا ، والتفكير فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأسقياء .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل :

يا كميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق .

ولهذا كان يقول نظما :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا   والناس موتى وأهل العلم أحياء

* * *

وحتى يتضح لك خطورة الجهل ، والفرق الشاسع بين الجاهل والعالم ، وتعرف معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته فى السطور السابقة وهو : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »[1] .

اليك هاتين القصتين الهادفتين :

روى أن عابدا من بنى اسرائيل كان يعبد الله سبحانه وتعالى فى صومعة فوق الجبل وذات يوم خرج كعادته لكى يتجول متأملا فى

---

(١) من حديث رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

ملكوت الله تعالى حول صومعته ، وأثناء تجوله هذا رأى فى طريقه جثة آدمى تنبعث منها رائحة كريهة ، فمال العابد الى اتجاه آخر حتى يتفادى شم هذه الرائحة • عند ذلك ظهر له الشيطان فى صورة رجل من الصالحين الناصحين وقال له : لقد تبخرت حسناتك ولم يعد لك رصيد منها عند الله • فقال له العابد : ولم ؟ قال : لأنك أبيت أن تشم رائحة آدمى مثلك •

وعندما ظهر الألم على وجه العـابد ، قال له الشيطان مشفقا وناصحا : اذا أردت أن يغفر الله لك زلتك فانى ناصحك بأن تصطاد فأرا جبليا وتعلقه فى رقبتك على أن تعبد الله به طوال حياتك •

ونفذ العابد الجاهل نصيحة الشيطان الذى كان يتحين له الفرص ، فاصطاد الفأر الجبلى وظل يتعبد به حاملا النجاسة أكثر من ستين عاما الى أن مات •

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال معلقا على هذا الخبر :

« مسألة علم — وفى رواية : مجلس علم — خير من عبادة ستين سنة » •

وقد روى أن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كان يمشى ذات يوم فى الصحراء فتراءى له نور عظيم فى الأفق ، ثم سمع صوتا ينادى : يا عبد القادر •• أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات • فقال له : اخسأ يا لعين • فاذا بهذا النور ينقلب ظلاما ، واذا بالصوت يقول له : يا عبد القادر •• لقد نجوت منى بعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من كبار العباد ، ولولا علمك لضللت مثلهم •

ثم اليك كذلك ما جاء فى كتاب « أدب الدنيـا والدين » للحسن البصرى عليه رضوان الله حتى تتنبه أيضا لمداخل الشيطان وتعمل دائما وأبدا على مجاهدته بالعلم والعمل :

روى أن عيسى عليه السلام كان ذات يوم يقف فوق الجبـل فجاءه ابليس وقال له : ألستم تقولون ان الانسان اذا أراد الله له الموت لابد من موته ؟ قال : نعم • قال : والا ؟ قال : فلن يموت • عنده ذلك قال ابليس عليه لعنة الله لسيدنا عيسى عليه السلام : اذن فاقذف بنفسك من فوق الجبل فان كان الله قد أراد لك الموت فستموت ، والا فلا •••

فقال له سيدنا عيسى : اخسأ يا لعين ، ان لله تعالى أن يمتحن عبده ، وليس للعبد أن يمتحن ربه .

كما روى كذلك أن الشافعى عليه رضوان الله كان يجلس ذات يوم فى مجلس الدرس فاذا بابليس عليه لعنة الله يجلس بين تلاميذه فى صورة رجل منهم ثم يوجه اليه هذا السؤال الآتى :

ما قولك فيمن خلقنى كما اختار ، واستخدمنى فيما اختار ، وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة ، وان شاء أدخلنى النار ... أعدل فى ذلك أم جار ؟

وبنور من الله عرفه الشافعى ، ولهذا أجابه قائلا :

يا هذا .. ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل .

فلاحظ كل هذا ...

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

* * *

وأما عن المرتبة الثانية من مراتب الجهاد وهى :

مجاهدة أهل الفسوق والعصيان فهى أيضا من أهم واجبات المسلم نحو دينه ووطنه :

لأن الأخلاق اذا انحطت وصارت حطاما كانت سببا كبيرا فى ضياع الأمم وفى هذا يقول شاعرنا :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كما يقول :

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(١) .

ومن هنا كان لابد وأن نحافظ على هذا الخلق الكريم الذى هو أساس نهضتنا وسعادتنا ، وهو عنوان أمتنا ، وكرامتنا ، والذى من أهمه الالتزام بمبادىء ديننا السامية الثابتة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى خلاصتها قول الله تعالى :

---

(١) حديث صحيح .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »[١] .

وقوله : **« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »**[٢] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وقف على ناس جلوس فقال لهم :

« ألا أخبركم بخيركم من شركم » ؟ قال أبو هريرة — راوى الحديث — : فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل : بلى يا رسول الله ، أخبرنا بخيرنا من شرنا ، فقال : « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره »[٣] .

وقوله : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا — ويشير الى صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[٤] .

وقوله : « المؤمنون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى رأسه اشتكى كله »[٥] .

وقوله لأبى ذر رضى الله عنه : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[٦] .

ولهذا كانت الصلاة التى هى عماد الدين كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا لهذا الخلق الكريم ، وفى هذا يقول تعالى :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »[٧] .

وكذلك الصيام ما كتبه الله علينا كما كتبه على الذين من قبلنا الا لكى نتعود عن طريقه مراقبة الله تعالى فى جميع أعمالنا الدنيوية والأخروية وفى ذلك يقول تعالى : **« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**[٨] .

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) سورة العصر .

(٣) رواه الترمذى والبيهقى فى « شعب الايمان » ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه مسلم .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٧) العنكبوت : ٤٥ (٨) البقرة : ١٨٣

وأيضا الزكاة ما شرعت الا لتطهيرنا وتزكيتنا ، وفى ذلك يقول تعالى :
« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »(١) .

وكذلك الحج لابد وأن يكون الحاج فيه مجتنبا للرفث والفسوق والجـــدال .

وفى ذلك يقول تعالى : **« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج »**(٢) .

ولهذا كانت كل هذه العبادات مرفوضة عند الله سبحانه وتعالى الذى **« يعلم السر وأخفى »**(٣) اذا لم تؤد الهدف الأسمى من مشروعيتها .

وحسبنا اذا أردنا دليلا على هذا أن نقرأ مثلا قول الله تعالى فى حديث قدسى : « انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين ، وابن السبيل ، والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »(٤) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(٥) .

وقول الله تعالى : **« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »**(٦) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق : رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٧) .

* * *

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء ، وان أحسن الناس اسلاما ، أحسنهم خلقا »(٨) .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٣ — (٢) البقرة : ١٩٧

(٣) طه : ٧ — (٤) أخرجه البزار عن ابن عباس .

(٥) رواه البخارى وأحمد والترمذى وابو داوود .

(٦) البقرة : ٢٦٤

(٧) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه الا انه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٨) رواه الترمذى .

وأنه ليس من الاسلام :

أن يكون المرء نماما ، أو مغتابا ، أو لعانا ، أو سبابا ، أو غاشا ، أو خائنا •

أن يكون المرء ناقضا للعهد مخلفا للوعد ، متكبرا جبارا عنيدا مماطلا فى حقوق الناس •

وانما المسلم الحق :

من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا •

من أسلم المسلمون من لسانه ويده بحفظ العرض ، والدم ، والمال •

من لا يحرف الكلم عن مواضعه ، بل يحل الحلال ويحرم الحرام •

من تراه واقفا عند حدود الشرع ممتثلا أمر ربه تعالى •

من اذا ذكر الله وجل قلبه ، وخشعت نفسه ، وفاضت عينه •

من آمن بكل ما جاء به القرآن الكريم علما وعملا •

من يعرض عن اللغو والباطل ، ويرعى العهد والميثاق •

من يرضى بحكم الله وقضائه وبحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل فعله وقوله •

من يتخذ المؤمنين أولياءه واخوانه وأعوانه •

من يمقت الذلة والمهانة ، ولا يأبى الا العزة والكرامة •

من يلتزم الصدق ولا ينكر الحق ولو على نفسه •

من لا سلطان للشيطان عليه ، بل السلطان عليه هو الضمير •

من يهجر المناهى والملاهى ، وكل مالا يرضى العاقل •

من يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها •

* * *

ولا تنس قوله تعالى : **« انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا • ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى • جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى »**(١) •

* * *

---

(١) طه : ٧٤ — ٧٦

واحرص على أن تكون متخلقا بهذه الأخلاق الكريمة ، وكن قدوة صالحة لغيرك حتى تكون أهلا لاعلاء كلمة الله •

والا كان وعظك وارشادك لهم لا تأثير له ، لأنه كما يقولون : « اذا خرج الكلام من القلب وصل الى القلب ، أما اذا خرج من اللسان فلا يتجاوز الآذان » ولن يخرج الكلام من القلب الا اذا كان هذا القلب عامرا بالايمان ، ومشحونا بشحنة كبيرة من هدى القرآن ، وسنة النبى العدنان صلوات الله وسلامه عليه • وحسبك تذكيرا لك أن تقرأ قول الله تعالى :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »(١) •

وقوله : **« كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »**(٢) •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ، وننهى عن الشر ونأتيه »(٣) •

ثم ما قاله الله سبحانه وتعالى لسيدنا عيسى عليه السلام كما ورد فى الأثر : « يا عيسى •• عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى » •

لا تنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك اذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فأنهها عن غيها　　فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

* * *

واذا كان هناك من يحيد عن هذا الخط المستقيم والخلق القويم فهو خطر علينا وعلى أمتنا ، بل وعضو فاسد فى مجتمعنا ، من الواجب على كل مسلم أن يقاومه ويجاهده :

بيده : اذا كان حاكما ، لأنه وحده الذى يملك السلطة والقوة •

ولسانه : اذا كان عالما بالكتاب والسنة ويستطيع أن يبرهن على كلامه بالدليل العقلى والنقلى •

وقلبه : اذا لم يكن سلطانا أو عالما ، وليس فى استطاعته أن يفعل شيئا غير هز رأسه وتضرعه الى الله سبحانه وتعالى قائلا ودموعه

---

(١) البقرة : ٤٤　　(٢) الصف : ٣
(٣) جزء من حديث صحيح .

تتساقط من عينيه ، وقلبه يتمزق ألما وحسرة : اللهم ان هذا عمل باطل فغيره .

وبهذا يأمرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع ، فبقلبه وذلك أضعف الايمان »(١) .

فقد ورد فى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم »(٢) .

كما ورد أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى ، ويقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون ، الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا »(٣) .

وأيضا : « ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا ، فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة »(٤) .

* * *

واذا كان هناك من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر مستندا الى قول الله تبارك وتعالى : **« عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »**(٥) فاليه هذا الحديث : عن أبى ثعلبة فى قوله تعالى : **« عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »** فقال : أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى برأيه ، ورأيت أمرا لابد لك منه . فعليك نفسك ، ودع أمر العوام ، فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فيهن قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين منكم »(٦) .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ،

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) المائدة : ١٠٥
(٦) رواه ابو داوود وابن ماجه .

فقال : يا رب •• ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : فقال : اقلبها عليه وعليهم ، فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط »[١] •

كما ورد أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يسأل العبد يوم القيامة فيقول : مالك اذا رأيت المنكر فلم تنكره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيلقن حجته فيقول : يا رب •• خفت الناس ورجوتك »[٢] • فلاحظ كل هذا مع ملاحظة أن الله سبحانه وتعالى ما جعلنا خير أمة أخرجت للناس الا لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، بعكس الذين لعنوا : **« من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »[٣]** •

وقد قال الله تبارك وتعالى ممتنا علينا بهذه الخيرية : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »[٤]** •

* * *

فكن من أهل هذه الخيرية وكن شجاعا فى رفع صوتك بكلمة الحق ولا تخش فى الله لومة لائم ، وقل الحق وان كان مرا كما أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصية من وصاياه : « ••• واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك »[٥] •

* * *

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أسوق اليك بعض المواقف البطولية التى سترى من خلال عرضها كيف كانت شجاعة أهل الحق وكيف كانت جرأتهم وتحديهم لقوى الظلم والطغيان حتى ارتفعت راية الحق ، وسقطت راية الباطل ، لأنه كما يقولون : « ما قام الباطل الا لغفلة أهل الحق » فمن هذه المواقف :

موقف الرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى وجه أعداء الدعوة الاسلامية ومواجهته لهم بكل شجاعة وثبات معلنا أنه رسول من قبل الله جاء ليخرجهم من الظلمات الى النور •

(١ ، ٢) رواهما البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٣) البقرة : ٧٨ ، ٧٩ — (٤) آل عمران : ١١٠ .

(٥) جزء من حديث شريف صحيح .

وكان هذا فى أول الدعوة بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى بقوله : **« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »**(١) فبدل الدعوة سرا بالدعوة جهرا ممتثلا أمر ربه واثقا بوعده ونصره •

فصعد على الصفا وجعل ينادى بطون قريش ، فلما اجتمعوا حوله دعاهم الى الاسلام بالمنطق السليم قائلا لهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقى » ؟

فأجابوه قائلين : نعم • ما جربنا عليك كذبا ، فقال لهم : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » •

ولكن هذا المنطق لم يعجب أبا لهب ، ولهذا قال له : تبا لك •• ألهذا جمعتنا ؟ فبكى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان يتوقع هذا من غير أعمامه ، فرد الله على أبى لهب بقوله : **« تبت يدا أبى لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامرأته حمالة الحطب • فى جيدها حبل من مسد »**(٢) •

وأخذت الدعوة بعد ذلك تسرى بين الناس سريان السحر ، لأنها منطقية وضرورية ، ولأن ظلام الشرك كان قد انتشر فى شبه الجزيرة العربية بل وفى جميع بقاع الأرض ، حتى أصبح العالم أجمع فى حاجة الى منقذ وفى حاجة الى زعيم روحى أخروى ، يزيل الباطل ، وينصر المظلوم ، ويعيد الى الدنيا أنوار الحق ، وأسباب الفلاح •

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا المنقذ والزعيم هو : سيد السادات صلوات الله وسلامه عليه الذى لولاه لظل العالم أجمع الى يومنا هذا فى ضلال مبين ، وضياع مهين •

وكان من المفروض على أهل مكة وهم أهله وعشيرته أن يعتزوا بهذا الشرف الذى ساقه الله اليهم ، ويقفوا بجوار الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه الذى لم يجربوا عليه كذبا بشهادتهم جميعا ، حتى يتمكن من تبليغ دعوته ونشرها فى كل مكان ، ولكنهم للأسف الشديد ، رغم اقتناعهم الداخلى به وبدعوته : وقفوا له ولدعوته ، ولكل من آمن به بالمرصاد(٣) •

ومن ذلك ما رواه البخارى : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى

---

(١) الحجر : ٩٤ (٢) سورة المسد .

(٣) خاصة الضعفاء منهم : كبلال ، وعمار وابيه ياسر ، وامه سمية .

فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى فرث[١] جزور[٢] بنى فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد ؟ فقام عقبة بن أبى معيط — عليه لعنة الله — وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل عليه السلام ساجدا حتى جاءت فاطمة ابنته فأخذت القذر ورمته .

ويروى البخارى أيضا فى صحيحه : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط — عليه لعنة الله — فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : **« أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم »**[٣] .

وعندما تبين للمشركين من قريش أن محمدا ماض فى دعوته التى تنتشر رغم أنوفهم ، وأنه لا يخشى بأسهم ، ولا يخاف منهم ، ولا يهتز بتآمرهم ، فكروا فى الحيلة والترغيب . فأرسلوا اليه عتبة ابن ربيعة فى ثياب الحمل ليقول له : « يا ابن أخى .. انك منا حيث قد علمت — من المكان فى النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا : ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أكثرنا مالا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا[٤] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ » فقرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم انذارا من الله سبحانه وتعالى يقول فيه : **« حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون »**[٥] الى قوله : **« فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »**[٦] .

---

(١) الفرث : مافى كرش الناقة .

(٢) الجزور : من الابل ويطلق على الذكر والأنثى .

(٣) غافر : ٢٨ (٤) أى جنيا .

(٥) فصلت : ١ — ٤ (٦) فصلت : ١٣

فكان هذا الانذار ينزل على رأسه كالمطرقة ، الأمر الذى جعله يقوم مسرعا الى قومه معلنا فشله فى مهمته •

فحاولوا بعد ذلك التفريق بينه وبين عمه أبى طالب الذى كان يحميه منهم — حتى يستطيعوا أن يفتكوا به بسهولة ، ودون مقاومة من قومه — فذهبوا الى عمه مرة بعد مرة وطلبوا اليه فى النهاية أن يكف عنهم محمدا أو ينازلوه هو ومحمد حتى يهلك أحد الفريقين •

وكان أبو طالب محبا للسلام ، وغير راغب فى سفك الدماء ، فأرسل الى ابن أخيه صلوات الله وسلامه عليه فجاءه ، وعندما جاءه قال له :

« يا ابن أخى •• أبق على نفسك وعلى ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق » فظن النبى صلى الله عليه وسلم أن عمه سيخذله ، ولهذا أجابه اجابة تنطق بالحزم الصارم ، والايمان العميق قائلا : « والله يا عمى •• لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم بكى وقام منصرفا ، فقال له عمه الذى رأى منه الرجولة الكاملة والعزيمة القوية : « أقبل يا ابن أخى » فأقبل عليه • فقال له عمه : « اذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك اليهم أبدا » •

وعندما فشلت كذلك هذه المؤامرة ، وتبين لهم أن أمر محمد صلى الله عليه وسلم يتعاظم على الرغم مما يصيبه وأصحابه الضعفاء من الأذى والألم ، قرروا محاربته بسلاح أقوى ضراوة وهو سلاح المقاطعة

فأجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف ، واخراجهم من مكة والتضييق عليهم ، فلا يبيعون لهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، حتى يسلموا محمدا للقتل • وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة •

فكانت النتيجة عكس ما يريدون ويتوقعون ، فقد وقف بنو هاشم وبنو المطلب فى هذه المحنة الى جوار محمد فلم يخذلوه ، ولم يسلموه وانحازوا جميعا — مسلمين وكفارا عدا أبى لهب — الى شعب أبى طالب ومكثوا فى هذا السجن الرهيب ثلاثة أعوام عضهم فيها الجوع حتى أكلوا ورق الأشجار ، ومع ذلك لم يفكروا فى التخلص من محمد وخذلانه ، وفى ذلك يقول قائلهم :

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا — لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا — ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى — اذا طار أرواح الكماة من الرعب

الى أن أذن الله لهذا الليل الطويل بالانتهاء فقام خمسة نفر من قريش بالاتصال بهؤلاء الطغاة من قريش الى أن نجحوا فى استمالتهم بعد أن أقنعوهم بتمزيق تلك الصحيفة الظالمة القاطعة ، فخرج بنو هاشم وبنو المطلب الى الحياة من جديد •

وأخيرا وبعد كل هذه المؤامرات الدنيئة الفاشلة بسبب الموقف الرجولى من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أحبوه **« ••• وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه »**(١) •

قرر الطواغيت : القضاء على محمد صلى الله عليه وسلم بأيدى شبان — من جميع بطون قريش — يضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل •

فيخبره الله سبحانه وتعالى بخبر هذه المؤامرة فى قوله تعالى : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك(٢) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »**(٣) •

فكان هذا ايذانا له بالهجرة الى يثرب حيث الجو الملائم لدعوته ، وحيث الأنصار والمهاجرين الذين أذن لهم بالهجرة الى هناك حيث الأمان والايمان ، والاخاء والاخوان •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم طوال هذه السنين العشر التى قضاها فى مكة يدعو الى الله راسخا كالجبل ، وصابرا **« كما صبر أولوا العزم من الرسل »**(٤) كما أمره الله سبحانه وتعالى على لسان سفيره جبريل عليه السلام وكما هو ثابت فى كتابه العزيز •

وكان كلما أوذى من قومه ذكره الله سبحانه وتعالى بما حدث للأنبياء السابقين قبله من ايذاء حتى يصبر كما صبروا ، وحتى يكون فى ذلك أيضا عظة وذكرى للمؤمنين • وفى ذلك يقول تعالى : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »**(٥) لأن طريق الحق كما هو ثابت فى تاريخ الأمم والشعوب مفروش دائما بالأشواك ، ولهذا جعل الله تعالى التواصى بالحق مقترنا بالصبر فى قوله : **« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »**(٦) •

وذات يوم فكر فى أن يهاجر فرارا بدعوته قبل أن يؤذن له ،

---

(١) الاعراف : ١٥٧
(٢) اى يسجنوك .
(٣) الانفال : ٣٠
(٤) الاحقاف : ٣٥
(٥) هود : ١٢٠
(٦) العصر : ٣

فأنزل الله عليه قوله : « **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت** »[١] وهو يونس عليه السلام الذى كان قد ترك ميدان الدعوة دون أمر من الله سبحانه وتعالى عندما وجد اعراضا من قومه ، وعدم استجابة لدعوته ، فكان أن جعله الله فى بطن الحوت الى أن ألهمه سبحانه بكلمات قالهن كانت سببا فى نجاته ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفى ذلك يقول تعالى :

« **وذا النون**[٢] **اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** »[٣] •

فكانت النتيجة الحتمية لصبر الرسول صلى الله عليه وسلم وثباته فى مواجهة الباطل وتحديه لقوى الشرك والطغيان : أن انتشر دينه وذاع وشاع حتى ملأ البقاع وحتى أنزل الله عليه قوله : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »[٤] •

وبعدها فارق الدنيا الى جوار ربه بعد أن ترك رجالا تخرجوا من مدرسته لكى يخلفوه فى حمل الأمانة ، ونشر الرسالة •

* * *

وعلى رأس هؤلاء الخليفة الأول أبو بكر الصديق عليه رضوان الله الذى كان من أهم مواقفه : القضاء على الفتن التى اشتعلت نيرانها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتى منها :

المتنبئون : وهم قوم ادعوا النبوة ، ودفعهم حب الجاه والسلطان الى الكذب على الله وعلى الناس •

ومنهم : مسيلمة الحنفى (الكذاب) فى بنى حنيفة ، وسجاح بنت الحارث فى تميم ، والأسود العنسى فى اليمن ، وقد أيدتهم قبائلهم بدافع من العصبية القبلية المقوتة •

المرتدون : وهم الذين رجعوا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الى دينهم القديم كأنهم يظنون أن نبوة محمد مقصورة على أيام حياته أو أنه ما دام نبيا فلن يموت ، وهؤلاء كانوا فريقين : أحدهما

---

(١) القلم : ٤٨

(٢) ذا النون : أى صاحب الحوت .

(٣) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨ (٤) المائدة : ٣

انضم الى أتباع المتنبئين ، والآخــر : ظل مستقلا فى كفره وضلاله ، وهم سكان البحرين •

ومانعو الزكاة : وهم الذين زعموا أن الزكاة ضريبة خاصة كانوا يدفعونها لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يرون أنه ليس هناك مبرر لدفعها بعد وفاته ، مع ارتباطهم بعقيدة التوحيد التى هى عماد الدين •

فقد أخمد أبو بكر هذه الفتن المستعرة فى حزم وصرامة ، وعقد اللواء لأحد عشر قائدا فى وقت واحد ، ووجه كل قائد الى جهة خاصة من بلاد العرب ، وأمرهم ألا يقاتلوا الا من كفر بالله ورسوله ، كما أرسل لجميع المرتدين كتابا يخبرهم فيه أن الرسول بشر يموت كما يموت كل انسان ، ويدعوهم الى الاسلام من جديد ، فمن عاد الى الاسلام عفا عنه ، ومن أبى قوتل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله • فلم تمض سنة واحدة حتى تم له النصر ، ورجع الحق الى نصابه ، وعلت كلمة الدين من جديد •

* * *

فمن هذين الموقفين ترى بوضوح كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه قوى الشرك بكل شجاعة ، دون أن يهتز بكل هذه المؤامرات الدنيئة التى كانت تحيط به لأنه كان يهــدف الى الهدف الأسمى الذى بعث من أجله وهو تبليغ الرسالة مهما كلفه هذا من تضحيات ، فى الوقت الذى كان يتمنى فيه الهداية للجميع ، حتى لأبى جهل الذى كان يكيدا له ليلا ونهارا ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين ، عمرو بن هشام ، أو عمــر بن الخطاب » وكان يقول : « اللهم اهــد قومى فانهم لا يعلمون » •

ويوم أن دخل مكة فاتحا فى عشرة آلاف من جنــد الله ، عفا عن أعدائه فى الوقت الذى كان يستطيع فيه أن يفتك بهم وبسهولة •

فكانت النتيجة لهذا العفو أن دخل أكثرهم فى دين الله أفواجا •

* * *

كما ترى كيف كان الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حازما فى مواجهة المرتدين والمتنبئين الكاذبين ومانعى الزكاة حتى أعاد كل شىء الى نصابه •

وكان سيدنا عمر قد عارضه فى قتال مانعى الزكاة قائلا : يا خليفة رسول الله •• تألف الناس وارفق بهم ، كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه »[١] •

فكان جواب الصديق رضى الله عنه — الذى كان معروفا بلين الجانب عكس عمر عليه رضوان الله — : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المـال ، والله لو منعونى عناقا[٢] لقاتلتهم على منعهـا » ثم قال فى ثورة وقـد تملكه الغضب : « يا ابن الخطاب •• رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ؟ أجبار فى الجاهلية وخوار فى الاسلام ! انه قد انقطع الوحى وتم الدين ، أو ينقص وأنا حى » ؟ وحتى تعرف نتيجة هذه الصرامة من جانب الصديق فى مواجهة هؤلاء العصاة الذين فسقوا عن أمر ربهم ، اليك ما حدث بعد ذلك من جانب سيدنا عمر بعد أن قضى سيدنا أبو بكر على هذه الفتن التى كادت أن تقضى على الدعوة الاسلامية :

يقول أبو رجاء البصرى : « دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبـل رأس رجل ويقول له : أنا فداؤك ، ولولا أنت لهلكنا • قلت : من المقبل ومن المقبل[٣] ؟ قالوا : هو عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين » •

وهكذا أخا الاسلام ترى أن صاحب الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يتأثر بالعواصف والرياح والمؤامرات الدنيئة ما دام يؤمن بقول الله تعالى : **« لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »**[٤] •

* * *

وحتى يتبين لك بوضوح أن صوت الحق لا يعلى عليه ، اليك هذه القصة الموضوعية : جلس المـأمون للمظالم يوما فكان آخر من تقدم اليه — وقد هم بالقيام — امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السـلام عليك يا أمير المؤمنين ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٢) الأنثى من أولاد المعز .

(٣) المقبل والمقبل : الأولى بكسر الباء ، والثانية بفتحها .

(٤) التوبة : ٥١

فنظر المـأمون الى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله .. تكلمي فى حاجتك ، فقالت :

يا خير منتصف يهـدى له الرشد ويا اماما به قـد أشرق البـلد
تشـكو اليك عميد القوم أرملة عدا عليهـا فلم يترك لها سبد
وابتز منى ضياعى بعد منعتها ظلمـا وفرق بين الأهل والولد

فأطرق المـأمون حينا ثم رفع رأسه وهو يقول :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبـد
هـذا أذان العصر فانصرفى واحضرى فى اليوم الذى أعـد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الأحـد

فلما كان يوم الأحد ، جلس المـأمون فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام .. أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت الى العباس ابنه . فقال : يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبى خالد : يا أمة الله .. انك بين يدى أمير المؤمنين ، وانك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك . فقال المـأمون : دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها وأمر لها بنفقة .

ويحكى أن بعض الملوك الجبارين أغار على قرية فنهبهـا وفتك بأهلها ، واغتال أموالهم ومواشيهم ودوابهم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت : يا ويلك من ديان يوم الدين ، اذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء . فقال لها : يا عجوز .. أما سمعت فى القرآن : **« ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسـدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة »**[1] فقالت له : يا هذا .. حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ، أو نسيت الآية التى بعدها فى السورة نفسها حيث يقول الله تعالى : **« فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا »**[2] فاتعظ الملك ورد أموال الناس اليهم ، ثم قال : يا عجوز .. وكيف الخلاص ؟ قالت : **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات »**[3] .

* * *

---

(١) النمل : ٣٤ (٢) النمل : ٥٢
(٣) الشورى : ٢٥

وهكذا أخا الاسلام يثبت الحق وجوده ولو على لسان امرأة •

وذلك : لأن الباطل لا أساس له ، ولهذا تراه يهتز أمام صوت الحق ، وصيحات الدعاة اليه ، وكما يقول الله تعالى : **« ان البـــاطل كان زهوقا »**[١] •

فكن من أهل الحق (وارفع علم الحق يتبعك أهله) و : **« ادع الى ســبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »**[٢] عسى أن يهدى الله على يديك رجلا ، فتفوز فوزا عظيما ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها »[٣] •

واذا رأيت ظالمـــا ــ مثلا ــ فكن واعظا له وذكره بقول الله تعالى : **« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين »**[٤] وقـــوله : **« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار »**[٥] •

وقل له : اتق الله ورد الحقوق الى أصحابها قبل فوات الأوان •

وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينهـــا وبين الله حجاب » واقرأ عليه قول الشافعى عليه رضوان الله :

اذا اتخذ الظلم ابن آدم مذهبـــا ... ولج عتـــوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها ... ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالمـــا متجبرا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طغى وبغى حتى اذا غره البقـــا ... أناخت جميع النائبات ببابه

وقول معاوية : « انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله » •

وما كتبه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى أحد عماله وكان قد أرسل اليه يستأذنه فى تحصين مدينته فكتب اليه : حصنها بالعدل ونق طريقها من الظلم » •

واختم حديثك معه بقول الله تعالى : **« ألم تر كيف فعل ربك بعاد • ارم ذات العماد • التى لم يخلق مثلها فى البلاد • وثمود الذين**

---

(١) الاسراء : ٨١
(٢) النحل : ١٢٥
(٣) حديث صحيح .
(٤) الانبياء : ٤٧
(٥) ابراهيم : ٤٢

جابوا الصخر بالواد • وفرعون ذى الأوتاد • الذين طغوا فى البلاد • فأكثروا فيهـــا الفساد • فصب عليهم ربك ســـوط عذاب • ان ربك لبالمرصاد »[١] •

* * *

وحسبى حتى تكون شجاعا فى وعظك وارشادك ومجاهدتك لمن فسق[٢] عن أمر ربه أن أســـوق اليك أيضا بالاضافة الى المواقف السابقة موقفا بطوليا لغلام من الخوارج ، وخلاصته أنه :

بينما الحجاج[٣] جالسا فى منظرة له وعنده وجوه أهل العراق ، أتى بصبى من الخوارج عليه ، له من العمر نحو بضع عشرة سنة ، وله ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصره • فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج ولم يكترث به ، وانما صار ينظر الى بناء المنظرة ، وما فيها من العجائب ، ويلتفت يمينا وشمالا ثم اندفع يقول : « **أتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون** »[٤] •

وكان الحجاج متكئا فاستوى فى مقعده وقال : يا غلام •• انى أرى لك عقلا وذهنا ، أحفظت القرآن ؟

قال : أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه ، وقد حفظه الله تعالى •
قال : أفجمعت القرآن ؟
قال : أو كان مفرقا حتى أجمعه ؟ قال : أفأحكمت القرآن ؟
قال: أليس الله أنزله محكما ؟ قال : أفاستظهرت القرآن ؟
قال : معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهرى •
فقال الحجاج وقد ثار غضبا : ويلك •• قاتلك الله ، ماذا أقول ؟
قال الغلام : الويل لك ولقومك ، قل : أوعيت القرآن فى صدرك ؟
فقال الحجاج : فاقرأ شيئا •
فاستفتح الغلام : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم • اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس (يخرجون من دين الله) أفواجا ••• »[٥] •

---

(١) الفجر : ٦ ــ ١٤ (٢) اى خرج عن أمر ربه .
(٣) وكان معروفا بالظلم والقسوة . (٤) الشعراء : ١٢٨ ، ١٢٩
(٥) النصر بلفظ : « **يدخلون فى دين الله** » .

فقال الحجاج : ويحك •• انهم يدخلون • فرد عليه الغلام قائلا : كانوا يدخلون ، أما اليوم فقد صاروا يخرجون •

فقال الحجاج : ولم ؟ قال الغلام : لسوء فعلك بهم •

قال الحجاج : ويلك يا غلام •• وهل تعرف من تخاطب ؟

قال الغلام : نعم ، شيطان ثقيف الحجاج • قال الحجاج : ويلك •• من رباك ؟

قال الغلام : الذى زرعنى • قال الحجاج : فمن أمك ؟

قال الغلام : التى ولدتنى • قال الحجاج : فأين ولدت ؟

قال : فى بعض الفلوات • قال الحجاج : فأين نشأت ؟

قال : فى بعض البرارى •

قال الحجاج : أمجنون أنت فأعالجك ؟

قال : لو كنت مجنونا لما وصلت اليك ووقفت بين يديك كأننى ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك •

قال الحجاج : فما تقول فى أمير المؤمنين ؟

قال الغلام : رحم الله أبا الحسن ، رضى الله عنه وأسكنه جنان خلده •

قال الحجاج : ليس هذا عنيت ، انما أعنى عبد الملك بن مروان •

قال الغلام : على الفاسق الفاجر لعنة الله •

قال الحجاج : ويحك •• بم استحق اللعنة أمير المؤمنين ؟

قال الغلام : أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض •

قال الحجاج : ما هى ؟

قال الغلام : استعماله اياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم •

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : ما تشيرون فى هذا الغلام ؟

قالوا : اسفك دمه ، فقد خلع الطاعة ، وفارق الجماعة •

فقال الغلام : يا حجاج •• جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك ، حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه : « **أرجه وأخاه** »[1] وهؤلاء يأمرون بقتلى ، اذن والله تقوم عليك الحجة بين يدى الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين •

---

(١) الأعراف : ١١١

فقال له الحجاج : هذب ألفاظك وقصر لسانك فانى أخاف عليك بادرة الأمر ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم .

فقال الغلام : لا حاجة لى بها ، بيض الله وجهك وأعلى كعبك .

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : هل علمتم ما أراد بقوله : بيض الله وجهك وأعلى كعبك ؟ قالوا : الأمير أعلم .

قال : أراد بقوله : بيض الله وجهك : العمى والبرص ، وبقوله : أعلى كعبك : التعليق والصلب .

ثم التفت الى الغلام وقال له : ما تقول فيما قلت ؟

قال الغلام : قاتلك الله .. ما أفهمك .

فامترج الحجاج غضبا وأمر بضرب عنقه ، وكان الرقاشى حاضرا فقال : أصلح الله الأمير ، هبه لى ، قال : هو لك ، لا بارك الله لك فيه .

فقال الغلام : والله لا أدرى أيكما أحمق من صاحبه : الواهب أجلا قد حضر ، أم المستوهب أجلا لم يحضر ؟

فقال الرقاشى : استنقذتك من القتل وتكافئنى بهذا الكلام ؟

فقال الغلام : هنيئا لى الشهادة ان أدركتنى السعادة ، والله ان القتل — فى سبيل الله — أحب الى من أن أرجع الى أهلى صفر اليدين ، فأمر له الحجاج بجائزة وقال : يا غلام .. قد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعفونا عنك لحداثة سنك ، وصفاء ذهنك ، وحسن توكلك على الله ، واياك والجراءة على أرباب الأمر فتقع مع من لا يعفو عنك .

فقال الغلام : العفو بيد الله لا بيدك ، والشكر له لا لك ، ولا جمع الله بينى وبينك . ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان .

فقال الحجاج : دعوه .. فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا ولا أفصح منه لسانا ، ولعمرى ما وجدت مثله قط ، وعسى هو لا يجد مثلى ، فان عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصر (١) .

* * *

وكذلك اذا رأيت عاصيا لله تعالى ، ووجدت الفرصة سانحة لوعظه وارشاده : كن ناصحا له ومرشدا فقد ورد فى الحديث الصحيح :

عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى

---

(١) وقيل : انه امر بعض رجاله بأن يدس له السم ، فقتله .

صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين »(١) .

وحسبك أن تذكره مثلا بقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون »(٢) .

وقوله سبحانه فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم .. لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك الى الموت ، يا ابن آدم .. لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ، يا ابن آدم .. استح منى عند معصيتك ، أستحى منك فلا أعذبك » .

وقوله أيضا فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم .. قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها ، ولا تطيق شكرها ، وان مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك الى ما أحللت لك ، فان رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما .

وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك . فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك .

وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك .

ابن آدم .. انك لا تحتمل سخطى ولا تطيق انتقامى » .

* * *

ورغبه كذلك فى أعمال الخير حتى يكون أداة خير لا أداة شر ، وأداة بناء لا أداة هدم ، وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »(٣) .

وقول أحد الحكماء : « اذا أراد الله بعبد خيرا ، ألهمه الطاعة ، وألزمه القناعة ، وفقهه فى الدين ، وقواه باليقين ، فاكتفى بالكفاف ، واكتسى بالعفاف .

---

(١) رواه مسلم .　　(٢) السجدة : ١٨ — ٢٠

(٣) حديث صحيح .

واذا أراد بعبد شرا حبب اليه المال ، وبسط منه الآمال ، ورغبه فى الدنيا ، وزهده فى الآخرة ، فركب الفساد ، وظلم العباد » حتى يعمل ليوم الحساب ألف حساب .

* * *

ورغبه فى نهاية حديثك فى الرجوع الى الله سبحانه وتعالى عسى أن يكون من التائبين وحسبك أن تذكره بقول الله تعالى : « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** »[1] وقوله : « **استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** »[2] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس .. توبوا الى الله واستغفروه ، فانى أتوب فى اليوم مائة مرة »[3] .

وقوله : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[4] .

ثم قل له ناصحا[5] :

اتق الله يا ابن آدم واحذر ... يوم لا يغن عنك مالك شيئا
واتبع مابه أمرت وأصلح ... واستقم واسلك الطريق السويا
واسع بالخير بين قومك دوما ... واعمل الصالحات واخش العليا
واجتنب ما نهاك عنه ولا تعص ... فويل لمن يكون عصيا
وابتعد ما استطعت عن كل اثم ... وفجور وكن عفيفا أبيا
واذا ما أصابك الدهر فاصبر ... واشكر الله بكرة وعشيا
لا يغرنك كافر فى نعيم ... فله النار يوم يبعث حيا
رب ذى فاقة يكون لدى الله ... وجيها مقربا مرضيا
كل نفس تجزى بما قدمته ... طيبا كان أو اضلالا وغيا
وعد الله من عصاه سعيرا ... وعذابا يكوى الأضالع كيا
وأعد النعيم فى جنة الخلد ... لمن خافه وكان تقيا
فاتق الله كى تفوز وتنجو ... « **انه كان وعده مأتيا** »[6]

* * *

---

(١) النور : ٣١
(٢) هود : ٣ ، ٥٢
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) بقلم : الأستاذ ابراهيم عرفات بالداخلية .
(٦) مريم : ٦١

وأما المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد وهى : مجاهدة الكفار والمشركين والظالمين المعتدين ، فهى واجب مقـدس اعلاء لكلمة الله وانتصارا للحق على البـاطل ، وردعا للظالم الغاشم حتى نضع حدا لاعتداءاته الآثمة ، ونعيد الى المظلومين حقوقهم المسلوبة .

بل وهذا فرض عين علينـا ، بدونه تنتهك الحرمات ، وتداس المقدسات ، ونكون فى عداد الأموات ، وقد أمرنا الله سبحانه بقتال من نلمس منه الغدر ، ويحاول الاعتداء علينا فقال : « **فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** »[1] . ويقول فى آية سابقة : « **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** »[2] .

ففى هاتين الآيتين وما ماثلهما من آيات قرآنية وفى جلاء ووضوح يبين الله تعالى الهدف من القتال ، وهو رد العدوان ، فاذا انتهى العدوان فلا قتال .

وهذا هو نهاية العدل الذى أرسل الله سبحانه وتعالى به رسله مصحوبا بالقوة والبأس ، وفى ذلك يقول تعالى : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** »[3] .

وذلك حتى لا يكون هناك ظلم ، وينتشر العدل والسلام ، لأن (العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر) قال تعالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** »[4] .

ولذلك أوجب الله الجهاد وجعله شريعة ماضية الى يوم القيامة ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » لأن النزاع قائم ومستمر بين الخير والشر ما دامت هناك عداوة قائمة ومستحكمة بين بنى آدم وخلفاء الشيطان منذ قال الله لأبوينا ومعهما ابليس اللعين : « **اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** »[5] .

---

(١) النساء : ٩١
(٢) النساء : ٩٠
(٣) الحديد : ٢٥
(٤) البقرة : ٢٥١
(٥) البقرة : ٣٦

وقد تسلح اللعين بسلاح الغواية حيث قال لرب العزة كما هو ثابت فى الكتاب العزيز : « **لأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** »(١) وفى آية أخرى : « **فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** »(٢) .

ولعلك تلاحظ فى هذه الآية الأخيرة أنه لم يقل من فوقهم ، وكذلك لم يقل من تحتهم ، وحتى تشكر ربك ولا تيأس من رحمته اليك هذا الايضاح :

لم يقل : من فوقهم ، لأنه لا يستطيع أن يمنع عنك رحمة الله التى وسعت كل شىء ، ولم يقل : من تحتهم كبرا •

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بقتال أولياء الشيطان وهم الذين لا يؤمنون ، بدليل قوله تعالى : « **انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** »(٣) وفى ذلك يقول تعالى : « **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** »(٤) .

واذا كنا فى هذه الأيام المجيدة نقاتل عدوا ماكرا خبيثا أو كافرا خسيسا ، يستبيح الحرمات ، ويستحل الدماء ، ويمحو المقدسات ويهدف الى تجريد الدنيا من معتقداتها الحقة ، ليسهل عليه السيطرة عليها ، والتحكم فيها • فحسبى وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى أن أقرأ معك ما كتبه أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتابه « المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح »(٥) حتى تعرف حقيقة هذا العدو المبين ـ بالاضافة الى ما عرفته عنه من معلومات ـ وحتى تدرك خطورته على دينك ووطنك وتقاتله بكل شجاعة واستبسال بالنفس والمال وتقضى عليه قبل أن يقضى عليك •

يقول شيخنا الفاضل تحت عنوان (اعرف عدوك) :

« هذا العدو •• الذى لا يعترف الا بمادياته وشهواته ، ويعمل ليله ونهاره فى تسخير الوجود كله لهذه الشهوات « **ولتجدنهم أحرص**

---

(١) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣
(٢) الأعراف : ١٦ • ١٧
(٣) الأعراف : ٢٧
(٤) النساء : ٧٦
(٥) صفحة : ١٠

الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون »[١] .

حتى مقام الألوهية ــ سبحانه ــ تعدوا عليه ، وقالوا : « **ان الله فقير ونحن أغنياء** »[٢] بل وقالوا : « **يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** » وقالوا لرسولهم[٣] : « **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهــرة** »[٤] فاذا أضفنا الى ذلك ما حكاه القرآن عنهم ، من كفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ، واتخاذهم العجل الها ، وطلبهم من نبيهم أن يجعل لهم الها ماديا محسوسا حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واتهامهم للرسل بأشنع الفسوق ، وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وتمردهم على الشريعة وامتناعهم عن قبولها حتى رفع الله عليهم الجبل « **كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة** »[٥] ، « **خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا** »[٦] .

اذا تتبعنا ذلك من واقع الكتب السماوية ومن واقع تاريخهم وماضيهم وحاضرهم ، الذى هو استمرار للعناد والفساد والالحاد ، وجدنا أنفسنا أمام سرطان مدمر ، يتحتم علينا كمسلمين وكعرب ، بل ويتحتم على البشرية كلها أن تقف وقفة رجل واحد ، لصد هذا السيل الجارف ، والاعصار المروع المهلك للحرث والنسل ، الكافر بالخالق ، والظالم للخلق » .

ثم قال بعد ذلك ما خلاصته : « ان كتاب الله (القرآن) حذر الانســانية من شر الصهاينة الآثمين الممثلين فى اسرائيل الطاغية ، فوصفهم بالكفر والجحــود والحجاج والأنانية ، والزهو والتبجح ، والترفع عن الغير ، واعتبار أنفسهم فوق مستوى الناس ، فقالوا : « **نحن أبناء الله وأحباؤه** »[٧] وأنهــم « **أولياء الله من دون الناس** »[٨] حتى أطلقوا على أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) .

---

(١) البقرة : ٩٦
(٢) آل عمران : ١٨١
(٣) موسى عليه السلام .
(٤) البقرة : ٥٥
(٥) الأعراف : ١٧١
(٦) البقرة : ٩٣
(٧) المـائدة : ١٨
(٨) الجمعة : ٦

وأن القرآن وصفهم كذلك بالتضليل والتدليس ، والدس والشره الشديد للناس مهما كان لديهم من نعم ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد ... الخ ، هذه الصفات الدنيئة التى ان دلت على شىء فانما تدل على أنهم حثالة البشر .

وكذلك تحدث القرآن عن كيدهم للاسلام ذاته بصورة واضحة فقال تعالى : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** »(١) .

وقد روى الخطيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلا يهودى قط بمسلم الا حدث نفسه بقتله »(٢) .

ولقد كان هذا واضحا فى علاقة اليهود بالاسلام والمسلمين بالرغم من تسامح الاسلام وأمته معهم .

فقد قابلوا الاحسان بالاساءة ، والعفو بالتآمر ، وكلما ازداد الاسلام حلما معهم وكرما ازدادوا هم لؤما وشرا حتى حقت عليهم كلمة الله وجاءهم بأسه الذى أطاح بهم وقضى عليهم .

وكان الاسلام قد اصطدم بهم فى بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وخيبر ، ووادى القرى ، وفدك ، وتيماء ، وغيرها من حصونهم ومستعمراتهم ، حتى طهر الجزيرة العربية من رجسهم ، وأجلاهم عنها جزاء عادلا لما اقترفوه مع الله ورسوله وكتبه وخلقه وفى ذلك يقول تعالى : « **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار** »(٣) .

كما كانوا يحقدون على النبى صلى الله عليه وسلم أن صار رسولا من غير جنسهم ، لأن شريعته تكشف خفاياهم ، وتفضح طواياهم .. ولهذا ناصبوه ودعوته العداء من أول لحظة ، وفى ذلك يقول تعالى : « **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده** »(٤) ويقول : « **ود كثير من أهل الكتاب**

---

(١) المائدة : ٨٢

(٢) رواه فى الجامع الصغير .

(٣) الحشر : ٢

(٤) البقرة : ٩٠

لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق »[1] .

* * *

ولهذا كان من تآمرهم الثابت فى تاريخهم الأسود مع الاسلام ونبيه قديما وحديثا :

أنهم حاولوا :

قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا يوم أن ذهب اليهم ومعه عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وكانوا قد أظهروا الغبطة بمقدمهم فى الوقت الذى كانوا قد دبروا فيه مع مجرم من مجرميهم وهو عمر بن جحاش اليهودى قتل الرسول صلى الله عليه وسلم .

كانوا قد اتفقوا معه على أن يعلو السطح الذى جلس الرسول بجوار جداره ، ثم يلقى عليه حجرا ليقتله ، ولكن الله العليم الخبير عصم نبيه منهم ومن كيدهم . فأوحى اليه بما ائتمروا عليه فقام فورا من مكانه عائدا الى المدينة قبل أن تقع الكارثة ، وتبعه أصحابه وهم فى دهشة لأنهم لم يعرفوا بعد ما حدث فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بخبر المؤامرة الدنيئة ، ثم بعث محمد بن مسلمة ، وقال له : « اذهب الى يهود بنى النضير ، وقل لهم : ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرسلنا اليكم ، أن اخرجوا من بلادى . ولقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى ، لقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » .

فاتصلوا بعد ذلك بحلفائهم الذين حرضوهم على أن يثبتوا فى ديارهم ولا يخرجوا وان احتاجوا الى عون حربى كانوا معهم ، وطمع اليهود فى الوعد البراق الذى كان من جانب ربائب الشرك وشيخ المنافقين ابن أبى وأتباعه .

فأبوا الجلاء ، فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه ، فذلوا صاغرين ، وسلموا بالجلاء ، وخذلهم منافقوهم الذين كثيرا ما حرضوهم . وفى ذلك يقول تعــالى : **« الم تر الى الذين نافقوا**

---

(١) البقرة : ١٠٩

يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون • لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون »[١] .

❋ ❋ ❋

كما حاولوا أيضا :

سم الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا بعد تمام فتح خيبر ، فقد عهدوا الى اليهودية (زينب ، امرأة سلام بن مشكم) أن تسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضع السم فى الطعام الذى دعوه اليه فكان أن صنعت شاة وسمتها ، وحينما لاك منها مضغة لم يسغها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها وأساغها وازدردها فمات ، أما الرسول فكان قد لفظها ، وهو يقول : « ان العظم ليخبرنى أنه مسموم » واعترفت زينب قائلة : ان كنت ملكا استرحنا منك ، وان كنت نبيا فستخبر ، واعترف معها من اليهود من حضروا المؤامرة[٢] .

حتى روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل طوال حياته يعانى من هذا السم حتى مات بأثره ليجمع الله له بين ثواب الشهادة والرسـالة :

روى ابن السنى وأبو نعيم بسند حسن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما زالت أكلة خيبر تعاودنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى »[٣] .

❋ ❋ ❋

وعندما رأوا وحدة المسلمين وتآلفهم والتفافهم حول نبيهم أكل الغيظ قلوبهم فأخذوا يبثون الفتن ويعملون على اثارتها بين الأوس والخزرج ليعيدوهم الى جاهليتهم الحمقاء « **حمية الجاهلية** »[٤] .

---

(١) الحشر : ١١ ، ١٢
(٢) ورد فى البخارى مرفوعا عن أبى هريرة .
(٣) كما ورد هذا أيضا فى الصحيح عن عائشة مرفوعا .
(٤) الفتح : ٢٦

فكان أن جلس بينهم خبيث من خبثاء الصهاينة وهو شاس بن قيس اليهودي الحقود ، فذكرهم بما كان بينهم فى الجاهلية من حروب وعداوة وأخذ يذكرهم بالنعرة والعصبية — التى أماتها الاسلام — حتى أحياها فى نفوسهم بصورة جعلتهم يتنادوا بالسلاح والحرب ، وحتى قال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة ، ورجعنا الى مثلها •

ولكن الله أطفأ هذه النار التى كادت أن تقضى على ما بين الأوس والخزرج من اخاء غرسه الاسلام فى قلوبهم •

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم فى نفر من المهاجرين ، حتى حجز بينهم ، وهو يقول مذكرا : « يا معشر المسلمين •• الله ، الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد اذ هداكم الله الى الاسلام ، أكفر وأنا بين أظهركم والقرآن غض طرى يتنزل عليكم » ؟

فكانت النتيجة أن أفاقوا من غشيتهم ، وتعانقوا وتسامحوا ، وندموا على ما كان منهم بعد أن عرفوا عدوهم وتعاهدوا على الحذر منه والقضاء على مؤامراته دائما ، يقول أنس : فما رأيت يوما شرا منه فى أوله ، وخيرا منه فى آخره •

وقد سجل القرآن هذا الحادث اليهودى حتى يكون موعظة للمسلمين ، وتنبيها للغافلين على مر السنين ، وحتى لا يدخل الشيطان بين صفوفهم ، ويعمل على تمزيق وحدتهم فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »**(١) الى أن حذرهم بعد ذلك من الانسياق وراء عصبية الاختلاف فقال : **« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »**(٢) •

* * *

وحاولوا أيضا :

زحزحة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مبدئه

فعرض عليه كبراؤهم بأن يقضى لصالحهم فى الأحكام اذا احتكموا اليه حتى يتبعوه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم تمسك بالحق • وكان الله

---

(١) آل عمران : ١٠٠ ، ١٠١ (٢) آل عمران : ١٠٥

قد أنزل عليه يحذره من مجاملتهم بالباطل : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون • أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** »[١] .

* * *

كما تظاهروا بالاسلام :

لتشكيك المسلمين فى دينهم

بعد أن تواصى أحبار قرى (عرينة) وكانوا اثنى عشر حبرا من اليهود على أن يدخلوا فى دين محمد أول النهار ، ويرجعوا آخره الى دينهم قائلين : رجعنا الى علمائنا فحدثونا أن محمدا كاذب • وذلك حتى يفتنوا المسلمين عن دينهم • فكشف الله سوءاتهم وغدرهم وأنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعــون** »[٢] .

* * *

كما استغلوا :

حادث تحويل القبلة

فقاموا بحملات التشكيك فى الدين والرسول صلى الله عليه وسلم •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد هاجر الى المدينة وفيها اليهود واستمر بها نحو عام ونصف يستقبل فى صلاته بيت المقدس ، ففرح اليهود ، وقالوا : استقبل قبلتنا ، وغدا سيتبع ديننا ، فلما حوله الله الى الكعبة ، قام اليهود بحملات التشكيك فى الدين الاسلامى • وكذلك فى رسوله الذى أنزل الله عليه قوله : « **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** »[٣] .

* * *

---

(١) المـــائدة : ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) آل عمران : ٧٢
(٣) البقرة : ١٤٢

وفى يوم بدر أشاعوا :

اشاعة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكانوا قد استغلوا حضور زيد بن حارثة من موقعة بدر يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويركب ناقته حاملا البشرى بانتصار المسلمين ، فأشاعوا : أن محمدا قتل ببدر ، واستدلوا على ذلك بعودة ناقته مع غيره وصاحوا جميعا : « قتل محمد وهزم أصحابه ، ولو انتصر لبقيت عنده ناقته ، وأن كلام زيد فى البشرى ما هو الا من الرعب الذى أصابه » •

ولكن سرعان ما رد الله كيدهم ، وأعاد سهامهم الى صدورهم وتبين النصر الأكبر يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان •

وكان هذا ردا كافيا على تكذيب اشاعاتهم •

* * *

الى آخر هذه المؤامرات الدنيئة التى استمرت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى زماننا هذا الذى رأينا فيه منهم ما رأينا من الخسة والنذالة التى كان منها :

مؤامرة قتل عثمان وعلى ، والحسين ، وسم أخيه الحسن ، ومواقع صفين والجمل ، وما جرى من تمزيق الوحدة الاسلامية وتصييرها الى دويلات وأحزاب • ثم غارات التتار والصليبيين على بلاد الاسلام ، واضاعة الأندلس وفلسطين واحتلال بعض أجزاء البلاد العربية •

هذا بالاضافة الى اشاعة التحلل ، وافساد الشباب بالميوعة ، والخمر ، والنساء ، والمال[1] ، واذاعة الالحاد والتنكر لأديان الله ، ومهما تمسحوا فى عقيدة التوراة أو انتسبوا لداوود أو سليمان ، فما ذاك الا لترويج أهدافهم البعيدة ، وخداع الجماهير والرأى العام ليعموا عن خططهم الدنيئة التى كان من أهمها اغتصاب حقوق أبناء فلسطين ، والعمل بكل ما أوتوا من مكر وخديعة على تفتيت وحدة العرب حتى يحققوا أهدافهم الاجرامية التى من أهمها التوسع الذى يجب أن يمتد فى نظرهم وأحلامهم من الفرات الى النيل •

---

(١) عن طريق المجلات الهدامة مثل « الشبكة والصياد » وغيرهما من المفاسد المستوردة .

وأملهم كذلك من وراء هذه الأهداف ـ التى لن تتحقق أبدا ما دام هناك رجال يعتزون بعروبتهم ومقدساتهم وعقيدتهم القويمة ـ أن يكون هناك وطن لهم فى هذه المنطقة المقدسة يشكل امبراطورية يهودية يجلس على عرشها زعماء من شعب الله المختار من نسل داوود وسليمان والأسباط ، امبراطورية مقدسة عاصمتها القدس ، ومركزها اسرائيل . التى يجب أن تمتد ـ فى نظرهم كما علمت قبل ذلك ـ من الفرات الى النيل .

* * *

وأخذوا يعملون فى كل لحظة على تحقيق هذا الهدف الاجرامى الكبير ، وهم يرقبون الأحداث عن كثب منتظرين الفرصة السانحة ، الى أن تم لهم تنفيذ بعض هذه المخططات التى كان من أهمها وأنشطها :

احراق المسجد الأقصى

الذى بارك الله حوله ، وعلق به قلوب الملايين من المسلمين ، على مدى الدهور ، واختصه بمزايا لم يشركه فيها مقدس سواه بالاضافة الى أنه أولى القبلتين ، وثالث الحرمين التى تشد اليها الرحال[1] .

وعن ذى الأصابع ، قال : قلنا يا رسول الله .. ان ابتلينا بعدك بالبناء ، أين تأمرنا ؟ قال : « عليك ببيت المقدس ، فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدوا الى المسجد وتروح »[2] .

وعن أنس مرفوعا : « صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة »[3] .

وعن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبى الله .. أفتنا فى بيت المقدس ، فقال لها : « أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه فان صلاتكم فيه كألف صلاة » قالت : أرأيت ان لم يطق أن يتحمل اليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد اليه زيتا يسرج فيه ، فانه من أهدى كان كمن صلى »[4] .

وعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله .. أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد

---

(١) كما ورد فى حديث رواه الخمسة مرفوعا عن أبى هريرة .
(٢) أخرجه أحمد . (٣) أخرجه ابن ماجه .
(٤) رواه أحمد .

الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عاما ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل »[١] •

هذا هو بيت المقدس الذى أحرقوه ، ودنسوه بأرجاسهم فى شهر أغسطس عام ١٩٦٩ ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان ، ويعيدوا من ورائه : ملك داوود •• الى آخر هذه الأمانى الرخيصة التي مهدوا لها قبل ارتكابهم لهذا العمل الاجرامى الكبير الذى لن يغتفر لهم •

ولسوف يأتى اليوم الذى سننتقم فيه بعون الله وقوته للمسجد الأقصى ولجميع مقدساتنا ، وكرامتنا ، وأرضنا ، وعرضنا ، كما انتقمنا منهم فى معركتنا الأخيرة بل وأكثر • ولسوف يتحقق فيهم قول الله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر • بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** »[٢] •

* * *

ولله در القائل الذى قال منفعلا مع الأحداث :

تطالعنا الأحداث فى كل ساعة	ونلقى من الصهيون غدرا مجسما
أأتباع طه والمسيح ابن مريم	أنترك للصهيون بيتا محرما
نسيتم رسول الله والرسل خلفه	يحيون من أضحى الامام المكرما
وانا سألنا الله تطهير أرضنا	وانا سنفدى الأرض بالروح والدما
أأتباع خير الخلق ماذا أصابنا	لنترك أرض القدس للبغى مغنما
و (سبحان من أسرى) نسيتم نزولها	نسيتم حبيبا فيه صلى وسلما
بنى العرب دين العرب عز وثورة	وكل ذليل لا أسميه مسلما
حلفت بمولانا قديرا وناصرا	بأنا سنأتى القدس وعدا محتما

* * *

واننى أستطيع الآن أن أقول لهذا الأخ الغيور ، ولا سيما بعد تلك الانتصارات العظيمة التى حققناها بكل شجاعة واستبسال فى اليوم العاشر من رمضان المبارك الذى سيظل رمزا لهذه البطولات العربية المصرية فى تاريخ أمتنا المجيدة : أبشر يا أخى فلقد اجتزنا والحمد لله

---

(١) اخرجه الشيخان •

(٢) القمر : ٤٥ ، ٤٦

أهم مرحلة فى طريق النصر على هؤلاء المجرمين الآثمين الذين صـور لهم (تلمودهم)[١] :

« أن الله ليس معصوما من الطيش ، ولا من الغضب ، وأنه محتاج دائما الى حاخاماتهم » .

« وأن الله لا شغل له فى الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة . مع ملك الشياطين فى مدرسة السماء » .

« وأن الله لم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الى الرقص مع حواء ، بعد ما زينها بملابسها ، وعقص لها شعرها » .

« وأن الله قد اعترف بخطئه فى تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكى ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلا : تبا لى ، لأنى صرحت بخراب بيتى واحراق الهيكل ! ونهب أولادى » .

« وأن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء » .

كما جاء فى التلمود : « ان تعـاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ! وقد وقع يوما الاختلاف بين البارى وعلماء اليهود فى مسألة فبعد أن طال الجدال تقرر احالة فصل الخلاف الى أحد الحاخامات الرابيين واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور »[٢] .

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

* * *

بل ويعتقد المجرمون الكلاب :

« أن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده » .

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح الغـير يهودية هى أرواح شيطانية وشـبيهة بأرواح الحيوانات »[٣] .

---

(١) وهو الكتاب الذى يعتبر شرحا للتوراة ، وهو من وضع علمائهم وأحبارهم ، وهم يزعمون أنه الوحى الغير مكتب الذى تركه موسى عليه السلام ـ وهم يعتقدون أنه أعظم من التوراة .

(٢) التلمود صفحة ٧٤ (٣) الكنز المرصود صفحة ٥٠.

وأنه لا يدخل الجنة الا اليهود ، أما الجحيم ، فهو مأوى الكفار •
وبما أن اليهود جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه لذلك ذكر فى التلمــود :

« أنه اذا ضرب أممى[١] اسرائيليا ، فالأممى يستحق الموت »[٢] •

كما صور لهم التلمود غير اليهود ، بأنهم حيوانات فى صور انسان وأنهم حمير ، وكلاب وخنازير ، بل الكلب أفضل منهم ، لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم •

ولهذا جاء فى التلمود أيضا[٣] :

« وخلق الله الأجنبى على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم » • ان اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الالهية فتكون الدنيا كلها لهم ، ولهم حق التسلط عليها • ولهذا كانت وصاياهم على الشكل الآتى :

لا تقتل : يعنى يهوديا ، لا تسرق : يعنى من يهودى •

لا تزن : يعنى بيهودية ، ولا تشهد بالزور : يعنى على يهودى •

كما جاء فى التلمود[٤] :

« ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيدة فى منزلها ، يستحضر لها زوجها النقود وتأخذها دون أن تشترك معه فى العمل والتعب » •

« مسموح غش الأممى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش » •

وهذا مصداق قوله تعالى : **« ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »**[٥] •

« ان الرابى صموئيل ــ أحد الحاخامات المهمين ــ كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاسا ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهما أيضا من البائع » •

---

(١) الأممى فى عرف اليهود كل من ليس يهوديا .
(٢) الكنز المرصود صفحة ٥٠ (٣) الكنز المرصود صفحة ٦٩
(٤) التلمود صفحة ٧٤ (٥) آل عمران : ٧٥

« ان الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأممى ماله المفقود » ص ٧٧
« غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى الا بالربا » ص ٨١
« اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودى ، أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة يقع فيها » ص ٨٤
« اذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر » ص ٨٥

* * *

وقد اعترفوا فى كتابهم المسمى « سد حادرون » :
« أن الحاخامات ، تسببوا فى روما فى قتل جملة من النصارى » .
« وأن الامبراطور (مارك أوريل) قتل جميع النصارى بناء على ايعاذ اليهود » .
« وأنه فى سنة ٤١٢ بعد المسيح ، قتل اليهود مائتى ألف مسيحى فى روما وكل نصارى قبرص » .
« وأنه فى زمن البابا (كليمان) قتل اليهود فى روما وخارجا عنها جملة من النصارى كرمال البحر » .
« وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الامبراطور (دبوكليسيين) جملة من المسيحيين ، ومن ضمنهم باباوات » ص ٨٨
« لقد ثار اليهود على المسيحيين فى فلسطين عام ٧٠ م وذبحوا منهم خلقا كثيرا » .
« وفى عام ١٠٥ م وفى عهد الحاخام (أكيا) ذبحوا من المسيحيين ٢٠٠ ألف فى ليبيا ، ٢٤٠ ألف فى قبرص » .
« وفى عام ١٢٤ م ذبحوا منهم وشنقوا عشرات الآلاف فى فلسطين » .
« وفى عام ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة (باركوخيا) عشرات الآلاف من المسيحيين فى فلسطين » .
« وفى عام ١٥٥ م قتل الامبراطور جميع النصارى فى رومانيا بناء على دسائس الحاخام (يهوذا) » .

واذا أضفنا الى هذه الحروب الدينية الطاحنة التى دارت بين الكاثوليك والبروتستانت والتى كان من ورائها اليهود الذين اندسوا بين الفريقين يحرضون كلا منهما على الآخر ويزينون لكل منهما قتل أخيه ، مما سبب قتل مئات الملايين .

الوصايا الجامعة كما جاء فى كتبهم الدينية والتى منها :

« اهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر ، كى تنفع يهوديا بفلس » .

« اقتلوا جميع من فى المدن : من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر ، والغنم ، والحمير بحد السيف » .

« اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود » .

« العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات فى كل يوم » .

بالاضافة الى ما أعلنه الدكتور أيدر (رئيس اللجنة الصهيونية فى عبارته الآتية) : « أهداف الصهيونية هى ابادة العرب جميعا » .

وما أعلنه وزير الحربية موشى ديان بكل وقاحة قائلا : « لقد استولينا على أورشليم ونحن فى طريقنا الى يثرب والى بابل » .

* * *

اذا عرفنا هذا .. لتبين لنا وبوضوح أنهم كلاب البشر .

ولتبين لنا أيضا أن أطماع اليهود بالنسبة للعرب تتلخص فى نقطتين :

الأولى : ابادة الشعب العربى بكامله ، واجتثاث أمة العرب من جذورها اجتثاثا تاما حتى لا يبقى أمامهم وجه عربى ولا يسمعون صوتا عربيا .

الثانية : الاستيلاء على أرض العرب جميعا من غير استثناء ليكونوا المالكين لها والمسيطرين على ثرواتها ، والمتمتعين وحدهم بخيراتها .

* * *

بل هناك حلم يراود أفكارهم ويلاعب خيالهم وهو : امتلاك العالم والسيطرة على الدنيا بقاراتها الخمس ، ومحيطاتها الخمس أيضا .

وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن ما سواهم ما خلق الا لخدمتهم .

ولهذا زعموا فى كتبهم : « أن اسرائيل : سأل الهه قائلا : لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟ فأجابه قائلا :

لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم » .

ولتبين لنا وبوضوح أن الصهاينة المجرمين هم جرثومة البشر :

وأنه لابد من سحقهم بكل ما أوتينا من قوة حتى نطهر الأرض المقدسة من أرجاسهم ، ونؤمن الأمة العربية من شرورهم :

بنفس الشجاعة التى قاومناهم بها فى العاشر من رمضان[1] وما بعده من أيام ستظل خالدة فى تاريخ أمتنا المجيدة :

ففى هذا اليوم وبعد ست سنوات طوال صبرنا فيها على مضض ونحن نعد العدة ونتحين الفرصة للانقضاض عليهم حتى نثأر لكرامتنا ونسترد الأرض العزيزة المغتصبة : استطعنا بتوفيق من الله أن نعبر أصعب مانع مائى ، ونخترق (خط بارليف) المنيع الذى كان مستحيلا فى نظرهم اختراقه .

* * *

وحتى ندرك أهمية هذا العمل العظيم ونشكر الله سبحانه وتعالى على تحقيقه بهذا النجاح الباهر المنقطع النظير ، الذى سيظل موضع اعجاب العسكريين فضلا عن غيرهم فى جميع أنحاء العالم الى قيام الساعة :

فقد رأيت ومن خلال هذه السطور المضيئة أن أقرأ معك بكل اعتزاز هذا التصريح الذى نشرته جريدة الأخبار فى ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ للسيد الفريق رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى هذا الوقت والذى يقول فيه بعد حديثه عن صعوبة الموانع المائية : « ... أما عن قناة السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والقنوات للأسباب الآتية :

ـ انحدار الشاطىء من الناحيتين وتدبيشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

ـ قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ ـ ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر .

ـ انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى قوات تحاول العبور ، وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة

---

(١) الموافق السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣

بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفى أى جزء منها •

— وجود خزانات للمواد الملتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد الملتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق سطح المـاء ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمم ملتهبة تحرق كل شىء فوق المـاء بل وتشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملتهبة الى سطح المـاء •

ومع كل هذا يا أخى فقد عبرنا القناة التى كما يقول سيادته بعد ذلك : « ان قناة السويس ليست مجرد مانع مائى ، بل انه مانع فريد ليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المـانع ••• » •

فاذا كان هذا قد حدث فانه ما كان الا لأن الله قد أراد بنا خيرا والا لأننا قد تغيرنا وتحولنا تحولا ملحوظا فى أكثر أحوالنا :

فها نحن نرى الآن وبوضوح ما يثلج الصدور : كيف تحولت القلوب الى الله تعالى ، وكيف ارتفعت الأكف ضارعة اليه فى خشوع العابد وخضوع المستغيث به المقر بتقصيره فى عبادته ، أن ينصرنا على أعدائه وأعدائنا •

وها نحن نرى كذلك كيف تحولت الشعارات الجوفاء الى تكبيرات تدوى فى جميع الأرجاء والأجواء حتى أصبحت أنشودة الدنيا وهدير المقـاتلين •

حتى فى أغانينا أصبحنا نقول فيها : « بسم الله ، والله أكبر ، ولا اله الا الله ، وما رميت اذ رميت لكن الله رمى ••• » •

بعكس ما كنا نسمعه فى أيام النكسة التى كنا نسمع فيها ، مثلا : « اضرب من أجل البنـات ، اضرب من أجل النســاء ، اضرب من أجل البنات ، اضرب من أجل عشاق الحياة ••• » الخ •

أما اليوم والحمد لله وكما هو واضح للقريب والبعيد فقد أصبحنا لا نعتمد الا على الله ، ولا نسأل سواه •

فقائدنا المؤمن بالله لا يبدأ خطابه الا باسم الله ، ولا يعلق شيئا الا بمشيئة الله • وهذا أيضا ما عهدناه من أكثر رجاله المخلصين وعلى رأسهم السيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى قال بالحرف

الواحد فى أول تصريحه المشار اليه سابقا : « ولكنها أولا وأخيرا رعاية الله لنا ، التى مكنتنا من تحقيق المفاجأة بالصورة التى تمت بها » .

ثم يقول بعد ذلك وفى نفس التصريح : « ... العقيدة والاصرار التى كان يقاتل بهما جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته أحداث ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ظلما بالتراب . كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى الاسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع ، هل وضع ديان فى حسابه الأثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الألوف وهى تعبر القناة وتصيح فى وقت واحد : الله أكبر ، الله أكبر ؟؟

لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته » ، الى أن يقول فى ختام حديثه : « وكان كل ضابط وجندى يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار لمصر ولقواتها المسلحة » .

* * *

وهكذا أخا الاسلام يتحقق الأمل المنشود بفضل الله وقوته الذى أراد لأمتنا العربية أن تعود الى مجدها وعزها ، وتثأر لكرامتها ومقدساتها ، وهكذا لعبت العقيدة دورا كبيرا فى معركتنا الأخيرة حتى جعلت منا أبطالا لهم بأسهم وعزهم .

وما كان كل هذا الا ببركة الاتحاد الأخوى الذى ربط العربى بأخيه العربى بهذه الصورة التى جعلتهم فى وجه الأعداء « كالبنيان يشد بعضه بعضا »[1] أو : « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] .

ولقد تجسم هذا فى المساندة العربية التى شكلت خطرا كبيرا على أعداء الوطن العربى ولا سيما فى هذه المقاطعة البترولية التى (عطلت) مصالحهم ، وأوقفت مصانعهم ، بل وعرضتهم لشتاء قارس كاد أن يهلكهم : الأمر الذى جعلهم يفكرون فى ضرورة الاعتراف بهذا الحق العربى ويعملون على ضرورة العمل من جانبهم على اعادة هذه الحقوق

(١ ، ٢) جزءان من حديثين شريفين .

المسلوبة الى أصحابها الشرعيين وهم أبناء فلسطين وكذلك ازالة آثار العدوان الغادر الذى كان فى سنة ١٩٦٧ •

وما كان كل هذا أيضا الا بسبب تلك البطولات العربية التى كانت مدعمة بنصر الله وقوته ، والتى أرغمت العدو على التقهقر أمام قواتنا العربية التى كانت تدك حصونه المنيعة بصورة ما كانت تخطر له ولا لأحد على بال ، تلك الحصون التى كان من أهمها كما عرفت سابقا (خط بارليف) الذى أنفقوا فى بنائه مئات الملايين من الجنيهات وهم يحسبون أنهم لن يقهروا **« وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب »**(١) وحسبى فى هذا العرض أن أقرأ معك هذه الأبيات التى استوحاها الشاعر على الجمبلاطى من معركة العبور التى يقول فيها :

عبروا بأجنحة من الأقدار ... كالسيل كالطوفان كالاعصار
يتسابقون الى الجهاد كأنهم ... جن أغار بمارج من نار
رفعوا اللواء على الرمال فكبرت ... وجرى بها نهر من الأنوار
سنوات ست لم تذق طعم السنى ... بل جللتها ظلمة الأشرار
سنوات ست غاب عن محرابها ... صوت المؤذن فى دجى ونهار
يا أرض (سينا) عانقى حرية ... جاءتك من أبنائك الأحرار
المارد المصرى هب مزمجرا ... مستهزئا بالموت والأخطار
ما المال ما الدم ما الحياة جميعها ... ان لم نعش فى عزة وفخار
كم من بيان عسكرى صوته ... فى مسمعى أحلى من الأوتار
يلقى لنا بالنصر اثر النصر ... فى أضرى معارك جيشنا الجبار
جيش يقوم الشعب حصنا خلفه ... ويقيه بالأسماع والأبصار
ما أعظم الجيش القوى اذا عدا ... وله قلوب الشعب كالأسوار

الى أن يقول :

(ديان) أية قوة تزهى بها ... ورجالك الأسرى مثال العار
التائهون بكل أرض أينما ... حلوا تحل مباءة الأقذار
بلل بدمعك (حائط المبكى) وعش ... فى مأتم واندب خراب الدار
لم يبق جيشك فى الورى أسطورة ... بل صار رمز الذل والادبار

* * *

---

(١) الحشر : ٢

وإذا كانت هذه الانتصارات قد تحققت بالنسبة للجبهة المصرية فقد تحققت كذلك بالنسبة للجبهة السورية التى كانت تحارب فى نفس الوقت الأعداء الغادرين الذين فروا أمامهم كذلك فرار (الأرانب) أذلاء صاغرين بعد أن فقدوا جزءا كبيرا من عددهم وعددهم[1] . وفى هذا يقول نفس الشاعر السابق فى نفس القصيدة مخاطبا اياهم :

يا فتية الجولان أى بطولة سجلتموها بالدم المدرار
ما زالت الدنيا تمجد عزمكم زهوا بكل مقاتل مغوار
خضتم قتالا لا سبيل لوصفه مهما نصغ من رائع الأشعار
الجو يمطر بالمنايا وابلا والبحر يقذف باللظى الموار
والأرض فيها من جهنم لفحة تشوى وجوه الصخر والأشجار
ماذا فعلتم بالعدو فجيشه قد عاد موسوما بكل صغار
مزقتم الأعداء شر ممزق فى كل ميدان وكل مطار

* * *

ولما كانت كل هذه الانتصارات العظيمة قد تحققت فى شهر عظيم مبارك انتصرت فيه قوى الخير على قوى الشر كما تم الفتح الأكبر ، فقد قال كذلك فى نفس القصيدة التى تعبر بحق عن انتصاراتنا الجيدة التى تعتبر امتدادا لانتصاراتنا العربية الخالدة :

نا لأوس فى القتال وخزرج وأعز جند الله فى الأنصار
لما لمسنا (خط بارليف) هوى واندك تحت سلاحنا البتار
قد كان مفخرة اليهود فأصبحت لبناته مبهوتة الأحجار
انا نبارك بالصيام جهادنا فجهادنا صوم بلا افطار
شهر يعز الله فيه جنوده ويمدهم بالعزم والاصرار
كم حقق الرحمن فيه أمانيا عليا لجند نبيه المختار
شهداء بدر لم يزل تاريخهم قصصا مقدسة من الاكبار

* * *

يا أمة الاسلام هبى وابعثى ذكرى النبى وصحبه الأبرار
من كل متقد العزيمة باسط كفيه نحو الموت باستكبار
قد جاهدوا فى الله حق جهاده وتسابقوا للبذل والايثار
فتحوا من الأمصار كل محصن لله ما فتحوا من الأمصار

---

(١) عددهم وعددهم : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

سادوا وعزوا حين كان شعارهم (الله أكبر) وهو خير شعار
أخلق بنا أن نقتفى آثارهم فخلودنا فى هذه الآثار
ماض سنربطه بأغلى حاضر مهما بذلنا غالى الأعمار

* * *

وقد رأيت ختاما لهذا العرض الضرورى الموضوعى أن أسوق اليك بعض :

البطولات الاسلامية

التى سجلها التاريخ لأمتنا العريقة منذ عهد محرر الأفكار والانسان صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لولاه لما كانت هناك بطولات عقائدية ومفاخر انسانية نعتز بها ونفخر مدى الدهور والأزمان :

وما حرر الأفكار الا محمد فعودوا الى قرآنه وتعلموا

* * *

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى فى الشجاعة والاقدام ، فقد رأيت وفى بداية حديثى عن البطولات الاسلامية أن يكون الحديث عن :

سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم

فقد روى أن أهل المدينة فزعوا فى ليلة من الليالى ، عندما سمعوا صوت استغاثة مزعج ، فخرج رجالهم وشبابهم الى مصدر ذلك الصوت ، ليعرفوا سبب هذه الاستغاثة ، وكانوا جميعا حريصين على أن يذهبوا الى ذلك الخطر فيزيلوه دون أن يعلموا بذلك رسول الله ، حتى لا يقلقوا راحته ويزعجوا منامه .

وما كادوا يصلون الى مكان الخطر ، حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه .

وكانت نار قد شبت فى بيت من بيوتها ، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وأطفأها قبل أن يتجمع الناس ، وكان على فرس عار لا شىء عليه ، فاستقبلهم عائدا وجعل يطمئنهم قائلا لهم : « لقد أطفأتها ، ولن تراعوا » .

فعادوا وكلهم اعجاب بشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كانت موضوع أحاديثهم .

ويقول سيدنا على رضى الله عنه وهو البطل الصنديد : « كنا اذا حمى الوطيس[1] اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أى احتمينا به وفيه ــ فيكون أقربنا الى العدو » •

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يتراجع فى غزوة قط ، فى الوقت الذى كان الأبطال فيه من المهاجرين والأنصار يتراجعون أو يفرون أحيانا فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ثبات الجبال الراسيات ، ولم يتزحزح عن موقفه بينما كان المشركون يحرصون بكل ما استطاعوا من قوة أن يقضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن الله القوى العزيز عصمه منهم •

وفى غزوة حنين ، وقد فر المسلمون على كثرتهم اذ ذاك ، وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وحده على فرسه وسط الميدان ، وجعل يضرب وجوه المشركين بسيفه ، وهو يصرخ فيهم قائلا :

أنا النبى لا كذب　　أنا ابن عبد المطلب

ويقول البراء بن عازب رضى الله عنه :

« أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فعرضت لنا صخرة فى مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول ، فشكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ثم هبط الى الصخرة ، فأخذ المعول وقال : بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله انى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا ، ثم قال : بسم الله ، وضرب أخرى ، فكسر ثلث الحجر • فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا • ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا »[2] •

فأشاع بهذه البشائر وهذا التفاؤل : الاطمئنان فى المسلمين •

كما كانت شجاعته تلك رائدة لهم فى جميع المعارك الاسلامية التى سجلوا فيها من البطولات العظيمة مالا حصر له الى أن تم الفتح المبين وهم يذكرون دائما وأبدا قول القائد الأعلى صلوات الله وسلامه

---

(١) اى الحرب .　　(٢) رواه احمد .

عليه : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »[١] وقوله : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » كما كان مثلا أعلى لتلاميذه الأبطال فى حياته وبعد مماته .

* * *

فمن هؤلاء الذين تأثروا به وتتلمذوا على يديه صلى الله عليه وسلم :

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

الذى تشبع بخصال النبى صلى الله عليه وسلم وتعلم منه الكثير من المواقف البطولية منذ أن كان فى كفالة النبى صلى الله عليه وسلم الذى ضمه اليه تعاونا مع عمه أبى طالب .

وكان هذا عندما أصاب القحط قريشا ذات عام ... وناء أبو طالب بأمر أسرته فاقترح النبى صلى الله عليه وسلم على ذوى القربى أن يضم كل منهم اليه ولدا من أولاد أبى طالب وهم : جعفر ، وعقيل ، وطالب ، وعلى . فكان على من نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم فشب على حب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من آمن به من الفتيان كما كان متحمسا لعقيدته وهو صبى .

ومن شجاعته ما حدث وهو فى العاشرة من عمره حين أحاط المشركون بالنبى قبل انتشار الدعوة الاسلامية وهم ينذرون النبى ويتوعدونه ، ويقولون له : انك وحيد ليس لك فينا نصير .

وعندما سمع ذلك على ، صاح قائلا وهو ينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم : أنا نصيرك ، فضحك القوم من هذا الصبى الصغير .. ولكنه شد قبضته كأنه فارس مغوار ، وهو يهم بالهجوم على القوم دفاعا عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى ليلة الهجرة افتدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه عندما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يلتحف ببرده الأخضر وينام فى فراشه فقبل ذلك وهو يعلم أن قريشا تأتمر بالنبى صلى الله عليه وسلم لقتله .

وقد حدث فعلا — بعد أن خرج النبى صلى الله عليه وسلم من داره فى الطريق الى دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى صاحبه بعد ذلك الى الغار — أن هاجمه القوم فى أول الصباح ، ولما لم يجدوا الرسول

---

(١) فأقتل : بضم الهمزة وفتح التاء .

صلى الله عليه وسلم فى الدار وأن عليا هو الذى كان ينام مكانه ، أوسعوه ضربا وحبسوه فى المسجد وأقاموا عليه الحراس والأرصاد •

وقد عبر شاعر مصرى عن هذا بقوله[1] :

ولن ينسى النبى له صنيعا عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه فى الله نفسا لغير الله تكبر أن تساما
فأرخصها فدى لأخيه لما تسجى فى حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والمنايا لحرب الله تنتحم انتحاما
فلم يأبه لها أنفا على ولم تقلق بجفنيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت ولم تر ذلك البدر التماما

وقد عرف عنه رضى الله عنه أنه ما صارع أحدا الا صرعه ، وأنه كان جريئا على الموت •

فقد ورد أنه بارز عمرو بن ود ــ فارس الجزيرة العربية ــ وهو لا زال حدثا فى سنه :

وكان هذا أيام وقعة الخندق ، عندما برز ابن ود مزهوا بقوته ينادى فى المسلمين : من يبارز ؟

فهتف على : أنا له يا رسول الله •• فيبتسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول له : « اجلس •• انه عمرو » ، ولكن الرجل المزهو عاد يصيح : من يبارز ؟

وراح يهزأ بالمسلمين قائلا : أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها •• أجبنتم •• أفلا يبرز لى منكم رجل ؟

فكان على ينهض المرة بعد الأخرى وهو يكرر فى حماس : أنا له يا رسول الله •• والنبى صلى الله عليه وسلم يشفق عليه ويقول له : « اجلس •• انه عمرو » ولكنه ظل بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أذن له •• فلما تقدم نحو عمرو سخر منه وهو يكتسحه بنظرات الاستصغار قائلا له : من أنت ؟ فيجيبه بعزة ورجولة : أنا على •

فيقول له عمرو : أنت ابن عبد مناف ؟

فيقول : على بن أبى طالب •• فأقبل عليه عمرو مشفقا وقائلا : يا ابن أخى •• من أعمامك من هو أسن منك ، وانى أكره أن أهريق دمك •

---

(١) وهو المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب .

فقال له على : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك •• ولكنى أذكرك يا عمرو بما ينفعك ويعصم دمك ، انك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه أحسنهما • قال عمرو : أجـــل •

فقال على : فانى أدعوك الى الاسلام ، أو الى النزال •

فقال عمرو مستصغرا لشأن على : ولم يا ابن أخى •• فوالله ما أحب أن أقتلك • ثم غضب وأهوى بسيفه عليه يريد أن يذهب به بضربة واحـــدة •

ولكن عليا راوغه وما زال به حتى خر الرجل صريعا تحت قدميه • فكبر المسلمون تكبيرة تفيض بنشوة النصر ، ثم استقبلوا عليا مهللين مكبرين •

وعندما علمت ابنة عمرو بقتله سألت عن قاتله ، فلما علمت أنه على وجدت عزاءها فى أن الذى قتله فتى لا يشق لشجاعته غبار • وذهبت توثيه شعرا فتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظـــير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وقد خاض على المعارك كلها الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على شجاعته لا يبدأ أحدا بقتال •• وكان يأمر جنده أن لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا رجلا استسلم أو هرب موليا ، وفى وقعة الجمل كان يصلى على الموتى من أعدائه •

***

ومن الأبطال العظام أيضا :

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الذى كان ولا يزال مضرب الأمثال فى القوة والشجاعة وقول الحق • يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا ، الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه وانتضى فى يده سهما ، واختصر عنزته ــ عصا لها زج كالرمح الصغير ــ ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم :

شاهت الوجوه .. لا يرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن يثكل أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى .

وروى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن . فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فدخل ، والرسول يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله . قال : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن تهاب . ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن .. أتهبننى ولا تهبن رسول الله ؟ قلن : ان فيك غلظة . قال النبى : « يا عمر .. والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غيره » .

ولما ولى الخلافة صعد المنبر وقال :

اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ، وارزقنى الشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق . اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير .

بلغنى أن الناس هابوا شدتى ، وخافوا غلظتى ، وقالوا : كان عمر يشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف اذا صارت الأمور اليه ؟

ومن قال ذلك فقد صدق ، كنت سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله . ثم انى وليت أموركم ، فاعلموا أن تلك الشدة ضوعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدى ، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، فاذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم ولكم على ألا أجتنى شيئا من خراجكم الا فى جهته .

ولقد حكم (عمر) عشر سنوات كانت من أبرز سنوات الاسلام حياة وجهادا وقوة : جمع القرآن بعد أن استحر القتل فى القراء ، وفتح فى عهده العراق والشام ومصر .

فكان فعلا (فاروقا) كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، وأعز الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين : عمرو بن هشام ، أو عمر بن الخطاب » .

وحسبى فى نهاية الحديث عنه أن أضيف ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه : « كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » •

* * *

ومنهم كذلك سيف الله المسلول :

خالد بن الوليد رضى الله عنه

الذى يقول عن نفسه : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها •• وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة رمح • ولقد طلبت الموت فى مظلنه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، ما من عمل أرجى عندى وأحب بعد أن لا اله الا الله من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين •• وما ليلة يهدى الى فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم المشركين » •

ولقد كان خالد طوال حياته البطولية فى ظل العقيدة الاسلامية سيفا مسلولا فى وجه أعداء الاسلام بصورة أذهلت الأعداء الذين بهرتهم شجاعة خالد واستبساله فى منازلة أعدائه ولا سيما فى معركة اليرموك التى ضرب فيها أروع الأمثلة فى البطولة والرجولة وحسن القيادة •

وكان هذا بعد أن دار حديث بينه وبين قائد الروم (ماهان) الذى طلب أن يبرز له خالد قبل بدء القتال ليقول له بضع كلمات •

فذهب اليه خالد ، وعندما تواجها فوق جواديهما فى الفراغ الفاصل بين الجيشين قال قائد الروم مخاطبا خالدا :

لقد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ، وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها •

فيرد عليه خالد بكل صرامة وقوة :

انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت ، ولكنا قوم نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك •

ثم لوى زمام جواده عائدا الى صفوف جنده لكى يندفع بهم بعد ذلك بكل شجاعة واقدام تجاه الأعداء الذين كانوا يفرون أمام ضرباتهم ، « **كأنهم حمر مستنفرة • فرت من قسورة** »[1] رغم الفارق الكبير فى العدد والعدد[2] •

* * *

فهذا بطل من أبطال الاسلام فى هذه المعركة والقتال دائر ، يقترب من أبى عبيدة بن الجراح قائلا له :

انى قد عزمت على الشهادة ، فهل لك من حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغها له حين ألقاه ؟ فيقول له أبو عبيدة :

نعم ، قل له : يا رسول الله •• انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا •

ثم يندفع البطل بعد ذلك كالسهم المقذوف وسط الهول مشتاقا الى مصرعه ومضجعه يضرب بسيفه بكل شجاعة واستبسال حتى يفوز بالشهادة •

* * *

وهذا عكرمة (ابن أبى جهل) فى هذه المعركة أيضا ينادى فى رفاقه المسلمين حين ثقلت وطأة الروم عليهم :

لطالما قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهدينى الله للاسلام ، أفأفر من أعداء الله اليوم ؟ ثم يصيح قائلا :

من يبايع على الموت ؟ فيبايعه على الموت كوكبة من الأبطال الذين انطلقوا معه فى ساحة الشرف حتى فازوا جميعا بالشهادة •

فى الوقت الذى كان فيه خالد ينقض على ميسرة الأعداء بمائة جندى أمام أربعين ألفا من الروم ، وهو يصيح فى جنوده الشجعان قائلا : والذى نفسى بيده ما بقى مع الروم من الصبر والجلد الا ما رأيتم وانى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم •

وبالايمان الذى يصنع المعجزات تنتصر قوى الحق بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد على قوى الباطل بصورة أبهرت قواد الروم وأمراء جيشهم مما حمل أحدهم واسمه (جرجه) على أن يدعو خالدا للبروز اليه فى احدى فترات الراحة بين القتال •

---

(١) قسورة : اى الأسد — والآية من سورة المدثر : ٥٠ ، ٥١

(٢) العدد والعدد : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

وحين يلتقيان ، يوجه القائد الرومانى حديثه الى خالد قائلا : يا خالد •• اصـــدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على أحـــد الا هزمته ؟

قال خالد : لا ••

قال الرجل : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد : ان الله بعث فينا رسوله ، فمنا من صدقه ، ومنا من كذب •• وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا الى الاسلام ، وهدانا برسوله فبايعناه فدعا لي الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وقال لى : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت : سيف الله •

قال القائد الرومانى : والام تدعون ••• ؟

قال خالد : الى توحيد الله ، والى الاسلام •

قال القائد الرومانى : هل لمن يدخل فى الاسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم ، وأفضل •

قال القائد : كيف •• وقد سبقتمونا ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأينا آياته ومعجزاته • وحق لمن رأي ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر •• أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فان أجركم أجزل وأكبر اذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم » •

وما كاد خالد ينتهى من كلامه هذا حتى دفع القائد الرومانى جواده الى ناحية خالد ووقف بجواره • ثم قال :

« علمنى الاسلام يا خالد » •• !!

وكان فعلا أن أسلم •• وصلى ركعتين لم يصل سواهما ، ثم قاتل فى صفوف المسلمين ــ عندما استؤنف القتال بين الجيشين ــ واستمات فى طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها •

وما كان كل هذا الاستبسال من جانب الجنود ، وما كانت هذه النتيجة المشرفة من جانب القائد الرومى الا نتيجة لانتصارات خالد وبطولاته التى ستظل مضرب الأمثال الى قيام الساعة ، ولله در حافظ ابراهيم فلقد قال فى مدح خالد :

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت ... له الفتوح وهل أغنى تواليها ؟
غزى فأبلى وخيل الله قد عقدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها(١)
يرمى الأعادى بآراء مسددة ... وبالفوارس قد سالت مذاكيها(٢)
ما واقع الروم الا فر قارحها(٣) ... ولا رمى الفرس الا طاش راميها
لم يجز بلدة الا سمعت بها ... الله أكبر تدوى فى نواحيها
عشرون موقعة مرت محجلة(٤) ... من بعد عشر بنان الفتح تحصيها
وخالد فى سبيل الله موقدها ... وخالد فى سبيل الله صاليها(٥)

* * *

وأسد الله وأسد رسوله :

حمزة بن عبد المطلب عليه رضوان الله

بطل بدر الذى برز للأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان رجلا شرسا سيء الخلق ، عندما أراد أن يسخر من المسلمين قائلا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأموتن دونه » وكان الحوض من وراء المسلمين — وكان يحسب أن أحدا من المسلمين لن يجرؤ على الوقوف فى سبيله ، وأنه سيخترق صفوفهم آمنا أو كالآمن .

وما كاد يبرز من صفوف المشركين متجها نحو الحوض حتى تقدم اليه (حمزة) وضربه بالسيف ضربة قطعت ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على الأرض تشخب ساقه دما .. وبلغ به العتو أن أراد الزحف نحو الحوض حتى يبر بيمينه .

لكن حمزة لم يمهله وانما أتبعه بضربة أجهزت عليه فى الحوض ، والمشركون ينظرون ذاهلين من جرأة هذا البطل .

وعندما تزاحف الجمعان ، واستعرت المعركة كان حمزة — الذى علم نفسه بريشة نعامة ثبتها فى صدره — طوال المعركة كالعلم الأشم والأسد الضارى لا يكاد يثبت فى مكان ، ولا يرى أحدا من كبار المشركين

---

(١) النواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس .
(٢) الخيل التى انتشرت .
(٣) قارحها : اى القوى المكتمل منهم .
(٤) محجلة : اى واضحة مشرقة بالانتصار فيها ، ومعنى البيت ان خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .
(٥) صاليها : اى يقاسى حرها رشدتها .

الا انقض عليه انقضاض الصاعقة ، ولا يرى واحدا من اخوانه المسلمين الا خف لنجدته على عدوه :

فهذا على بن أبى طالب يقول : رأيت طعيمة قد علا رأس كثيب يوم (بدر) وقد ساواه (سعد بن خيثمة) فصمدت له ولم آته حتى قتل (سعد) فلما رآنى أصعد الكثيب اليه انحط على — وكان رجلا جسيما — فخشيت أن يعلو على ، فانحططت فى السهل ، فظن أنى فررت منه ، فصاح بأعلى صوته : فر على بن أبى طالب ، وكنته أخادعه لآخذه على غرة ، فلما استوت قدماى بالأرض وقفت له ، فانحدر الى وأهويت اليه ، فسمعت قائلا من خلفى يقول : طأطىء رأسك ، فجعلت رأسى فى صدر طعيمة ، واذا برقة من السيف أخذته قحف (طعيمة) فسقط ميتا ، واذا بالقاتل حمزة بن عبد المطلب .

وكان أمية بن خلف وابنه على بن أمية قد أسرهما عبد الرحمن ابن عوف واقتادهما الى صفوف المسلمين ، وانه لسائر بينهما اذ سأله أمية : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ فقال عبد الرحمن : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فيقول أمية : ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل .

وعندما عادت قريش بالخزى والعار نادى مناديهم : « لقد أذل حمزة بن عبد المطلب شرفكم ، ووضع من قدركم وجعلكم الأذلة المستبعدين فى الأرض ، مات بيديه صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم ، فيا لثارات قريش ، ويا للأحقاد الكامنة » .

ولهذا عندما خرج المشركون فى غزوة أحد لكى يثأروا لقتلاهم ، كان نصفهم يطلب ثأرا من هذا البطل — حمزة بن عبد المطلب — ولذا أحاطت به الأرصاد من كل ناحية .

فى الوقت الذى كان فيه حمزة أيضا فى المعركة أسدا جسورا كعادته لا يلقى مشركا الا صرعه ، فقد لقيه أرطأة بن عبد شرحبيل ابن هشام أحد كماة بنى عبد الدار ، وأحد النفر الذين يحملون لواء قريش — فقتله حمزة ، وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة حامل لواء قريش أيضا ، وعرض له سباع بن عبد العزى الغبشانى ، فأجهز عليه ، ومضى على عهده يضرب بسيفه يمنة ويسرة والعيون له رصد وكل مشرك موتور يتسقط لحظة يغتاله فيها .

وكان جبير بن مطعم قد دعا غلامه الحبشى وحشى — الذى كان يجيد رمى الحربة الطويلة التى قلما يخطىء بها ، شأن الأحباش —

وقال له : اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة ابن عدى فأنت حر[١] .

وكانت هند بنت عتبة التى خرجت مع زوجها أبى سفيان بن حرب كلما مرت بالعبد الحبشى وحشى أو مر بها قالت له : « ويها أبا دسمة .. اشف واشتف » تحرضه على قتل حمزة لأن قريشا بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا اذا ما واجهوه فى قتال — اذن فليقتلوه غيلة .

ولم يكد حمزة يفرغ من سباع بن عبد العزى حتى أمكنت العبد الحبشى الفرصة ليصوب حربته نحوه .

وفى ذلك يقول وحشى : والله انى لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ثائر الرأس ما يلقى بشىء يمر به مثل الجمل الأورق ، اذ قد تقدمنى اليه (سباع) وهو يقول : ألا من مبارز ؟ فقال له حمزة : هلم يا ابن ... — وكانت أم (سباع) هذه ختانة بمكة — ثم ضربه ضربة هائلة قتلته . وكنت كامنا تحت صخرة لا يرانى (حمزة) وهززت حربتى حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته — أسفل البطن — حتى خرجت من بين رجليه ، فنهض متثاقلا نحوى فغلب فوقع وتركته واياها حتى مات ثم أتيته ، فأخذت حربتى ، ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغير (حمزة) حاجة .

وخرجت (هند بنت عتبة) تبحث عن قاتل أخيها حتى اذا عثرت على جثمان (حمزة) الطاهر مثلت به شر تمثيل ، فقد بقرت عن كبد سيد الشهداء فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نحن جزيناكم بيوم (بدر) والحرب بعد الحرب ذات سعر[٢]
ما كان من (عتبة) لى من صبر ولا أخى وعمه وبكرى[٣]
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت (وحشى) غليل[٤] صدرى
فشكر (وحشى) على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

---

(١) لأن حمزة هو قاتل طعيمة يوم بدر .

(٢) السعر — بضمتين : الالتهاب .

(٣) كان ابوها عتبة قد قتل فى معركة بدر ، وكان حمزة قاتل اخويها ، لهذا كانت اشد نساء قريش دعوة للثار .

(٤) الغليل : العطش او حرارة الجوفة .

ثم عادت بعد ذلك تقول :

شفيت من (حمزة) نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد

ولهذا عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه الشهيد ، ووجده ببطن الوادى على هذه الصورة المحزنة ، وقد بقرته بطنه ، ومثل به ــ جدع أنفه وأذناه ــ .

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا بلغ مداه ، ولهذا قال : « لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفا أغيظ الى من هذا » ثم يعود فيقول : « قد جاءنى جبريل فأخبرنى : ان حمزة ابن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » .

ثم يقول مخاطبا أصحابه الذين كانوا كذلك فى حزن عميق لا على استشهاد البطل حمزة ولكن لما فعل به من تمثيل « ولولا أن تحزن (صفية)[1] وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن واحد لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » .

وعندما رأى المسلمون عميق حزن الرسول صلى الله عليه وسلم وبالغ غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : « لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب » .

فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »**[2] فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة .

هذا هو حمزة البطل الشهيد الذى قال فى حقه صلوات الله وسلامه عليه فى حديث رواه جابر : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب » والذى عاش لايمانه وفى سبيله مات ، فسلام عليه : « مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » الى يوم الدين .

* * *

---

(١) صفية بنت عبد المطلب ، وكان حمزة اخاها لأبيها وأمها .

(٢) النحل : ١٢٦

و :

خبيب بن عـــدى

الذى كان قد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض حفظة القرآن الكريم الى (عضل) ليعلموهم كتاب الله بناء على طلبهم ، فخانوهم وقتلوهم ، أما خبيب ، وزميله زيد بن الدثنة ، فقد أسروهما ، وانتظروا عليهما ليشترك فى قتلهما كل من له ثأر عند المسلمين .

وكان خبيب قـــد أسره الحارث بن عامر وأودعه بيت ماوية بنت حجير ، التى راعها ايمانه لأنها كانت لا تراه الا مصليا أو صائما ، وشاهدته مرة يأكل قطف عنب وما بمكة عنب فسألته ، فقال : هو من عند الله . وقد أبى أن يأكل مدة الأسر مما لم يذكر اسم الله عليه ، فكان يتناول اللبن ، ويوصى صاحبه (زيدا) بالصبر والايمان ، وكان يقرأ القرآن فيجتمع عليه النساء ويبكين تأثرا ، ولم يزلزل ايمانه وانما كان متزايدا وراسخا كالجبل .

وفى الوقت الذى حان فيه موعد قتله ، حمد الله كثيرا ورضى بقضاء الله ، فأرسلوا اليه من يساومه فى ايمانه ، ان كفر بمحمد مقابل اطلاق سراحه ، فرفض بعنف وهو يقول لهم : الموت أدنى مما تتوهمون ، ثم أنشـــد :

الى الله أشكو غربتى بعد كربتى وما جمع الأحزاب لى عند مصرعى
فذو العرش صـبرنى على ما أصابنى
فقد قطعوا لحمى وقد ضل مطمعى[1]
وقد عرضوا بالكفر والموت دونه[2] وقد ذرفت عينـــاى فى غير مدمع
وما بى حـــذار المـــوت انى لميت ولكن حذارى حـــر نار تلفع
ولست بمبـــد للعـــدو تخشعا ولا جـــزعا انى الى الله مرجعى
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشـــأ يبـــارك على أوصال شـــلو ممزع

فأخذوه بعد ذلك الى مكان يسمى (التنعيم) ليقتلوه ، فقال لهم : دعونى أصلى ركعتين ، فصلاهما تامتين ، ثم قال لهم : والله لولا أنى أخشى أن تقولوا خائف من الموت لأطلت الصلاة . ثم صلبوه على العمود فاستقبل القبلة وقال : الحمد لله الذى جعل وجهى قبل بلدة رسوله

---

(١) اى تاه رجائى فى النجاة . (٢) اى ساوموه على الكفر .

وقبلته التى ارتضاها لعباده المؤمنين ، ثم قال : اللهم بلغ رسولك منى السلام ، وبلغه ما يصنع القوم بنا ، اللهم انى لا أرى هنا حولى الا وجه عدو ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحـدا .

فسقط أبو سفيان على الأرض ، خشية أن تصيبه دعوة خبيب المظلوم ولم يكن أبو سفيان قد أسلم يومئذ ، ثم قتلوه وهو فى نشوة بلقاء الله متوجا بالشهادة التى كان ينشدها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يجلس بين أصحابه ، فغشى عليه ثم أفاق وهو يقول : « وعليك السلام يا خبيب ورحمة الله وبركاته » فيسأله الأصحاب : فيقول لهم : « قتلته قريش » ، ثم أرسل بعض الأبطال لاحضار جثته ، فوجدوها كما هى لم تتغير ، والدم بلونه وله رائحة المسـك ، وكان قد مضى على استشهاده أربعين يوما .

وقد ثبت أنه كان كلما طعن برمح أو سيف قال : « لا اله الا الله » .

ومن اكرام الله له أن الكفار تيقظوا للفوارس حينما أخذوه ، فأسرعوا وراءهم ، فوضعوه على الأرض ليتخففوا ولينجوا بأنفسهم من موت محقق ، ولكن الله لم يدعه طرفة عين على ظهر الأرض ، بل ابتلعته من فورها ، ابعادا لجسده من الامتهان حتى لا يعبث به الفجرة ولذلك سمى « بليع الأرض » .

* * *

وأمـا :

زيد بن الدثنة

فقد ساوموه أيضا ـ كما ساوموا زميله خبيب ـ على ايمانه ، ولكنه رفض فصلبوه ، ثم قال له أبو سفيان : يا زيد .. أسألك بالله ، ألا تحب أن تكون أنت الآن معاق فى أهلك ، ومحمد هنا عوضا عنك ؟ فغضب (زيد) أشد الغضب ثم قال : والله يا أبا سفيان ، ما أود أن أسلم لأهلى وعيالى ونفسى ، ونبيى يصاب بعثرة فى اصبعه .

فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

وكان أحد الشعراء العرب قد شاهد هذا المشهد الرائع الذى يؤكد أهمية الايمان فى مواجهة العدو ، فقال مصورا هذا المشهد العظيم :

أسرت قريش مسلما فى غزوة   فمضى بلا وجل الى السياف
سألوه : هل يرضيك أنك سالم   ولك النبى فـدى من الاتلاف
فأجاب : كلا لا نجوت من الردى   ويصاب أنف محمـد برعاف

* * *

و :

غسيل الملائكة

حنظلة بن عامر وهو المعروف فى كتب الحديث : (بغسيل الملائكة) .

وذلك لأنه كان قد تزوج بنت عبد الله بن أبى ، ودخل بها ليلة أن هم المسلمون بلقاء المشركين فى غزوة أحد ، وفى صبيحة هذا اليوم ، أذن مؤذن الجهاد : أن يا خيل الله اركبى ...

فما كان من حنظلة حين سمع النداء الا أن سارع بالخروج ملبيا دعوة الله ومجيبا لنداء المنادى بالجهاد دون التفكير فى عروسه .

وفى الميدان أخذ يكر على المشركين بسيفه حتى فاز بالشهادة .

وعندما تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم القتلى وجد الملائكة تغسل حنظلة فتعجب من ذلك ، لأن الشهيد لا يغسل ، فأخبر أصحابه بذلك وقال لهم :

« ان الملائكة تغسل حنظلة بمـاء السحاب فى صحاف الفضة » فيتعجب الأصحاب أيضـا ، وأقبلوا على حنظلة ، فشاهدوا المـاء يتقاطر منه ، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته فقالت : يا رسول الله .. لقد أعجله داعى الجهاد عن طهره فخرج جنبا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لذلك غسلته الملائكة » .

* * *

وحتى يتبين لك أخا الاسلام أن الجهاد ليس قاصرا على الأبطال من الرجال فقط ، وانما تستطيع النسوة ، بل والصبية كذلك المشاركة فيه ، اليك أيضا هذه القصة : يقول أبو قدامة أحد قادة المسلمين فى غزواتهم ضد الروم اللئام :

كنت أميرا ، فدعوت الى الجهاد فى سـبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها ، ولأنظر ما فيهـا فاذا فى تلك الورقة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله المسلمة الى أمير جيش المسلمين .. سلام الله عليك ، أما بعد .. فانك قد دعوتنا الى الجهاد

فى سبيل الله ولا قوة لى على الجهاد ، ولا مقدرة على القتال ، وهذه الصرة فيها ضفيرتى ، فخذها قيدا لفرسك لعل الله يكتب لى شيئا من ثواب المجاهدين •

يقول أبو قدامة : فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ، ويتكتلون ضد أعدائهم ، فلما واجهنا العدو ، أبصرت صبيا حدثا ظننت أنه ليس أهلا للقتال لصغر سنه ، فزجرته رحمة به ، فقـال : كيف تأمرنى بالرجوع ، وقد قال الله تعـالى : « **انفروا خفافا وثقالا** »(١) • قال أبو قدامة : فتركته ثم أقبل على وقال : أقرضنى ثلاثة سهام ، فقلت له وأنا معجب به ، ومشفق عليه : انى أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى ان من الله عليك بالشهادة — وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير — فقال : نعم ان شاء الله • فأعطيته السهام الثلاثة ، ثم أقبل على العدو فى قوة وحماس ، وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعا فى ميدان القتال ، وكانت عينى لا تفارقه طوال المعركة اعجابا به ، واشفاقا عليه ، فلمـا خر صريعا أقبلت عليه ، وسألته : هل تريد طعاما أو ماء ؟ فقال : لا ، انى أحمد الله على ما صرت اليه ، ولكن لى اليك حاجة •

فقلت له : ليس أحب الى من قضائها يا بنى فمرنى بما تشاء •

فقال وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة : أقرىء أمى منى السلام ، ثم ادفع اليها متاعى •

فقلت : ومن أمك أيها الشاب ؟

قال : أمى هى التى أعطتك شعرها ليكون قيدا لفرسك حين عجزت عن أن تقاتل بنفسها فى سبيل الله تحت لوائك •

قلت : بارك الله فيكم من آل بيت •• ثم فارق الحياة ، فقمت نحوه بما يجب فلما دفنته لفظته الأرض ، فعاودت دفنه مرة أخرى ، فلفظته الأرض أيضا ، فأعمقت له فى الحفر ثم دفنته ، فلفظته الأرض مرة ثالثة •

فقلت : لعله خرج بغير رضاء أمه ، فصليت ركعتين ، ودعوت الله أن يكشف لى عن أمر ذلك الغـلام • فسمعت من يقول لى :

---

(١) التوبة : ٤١

يا أبا قدامة .. دع عنك ولى الله . فتركته وشأنه ، وعلمت أن له مع الله حال . وبينما نحن كذلك ، اذا بطير قد أقبل فأكله ، فتعجبت كثيرا ، ثم رجعت الى أمه تنفيذا لوصيته ، فلما رأتنى ، أقبلت على وقالت : ما وراءك يا أبا قدامة ؟ هل جئتنى معزيا ، أم جئتنى مهنئا ؟

فقال لها : وما معنى ذلك يا أمة الله ؟ فقالت : ان كان ابنى قد مات فقد جئتنى معزيا .. وان كان قد قتل فى سبيل الله ، وظفر بما كان يطمع فيه من الشهادة ، فقد جئتنى مهنئا .

فقصصت عليها قصته ، وأخبرتها عن الطير وما فعلت به .

فقالت : لقد استجاب الله دعاءه .

فقلت لها : وما ذاك ؟

فقالت : انه كان يدعو الله فى صلواته وخلواته ، ويقول فى صباحه ومسائه : « اللهم احشرنى فى حواصل الطير » . والحمد لله على تحقيق أمله واجابة دعائه .

قال أبو قدامة : فانصرفت عنها ، وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الأعداء .

* * *

وحتى تكون مخلصا فى جهادك اليك أيضا هذه القصة :

روى صاحب كتاب « عيون الأخبار » عن الأصمعى قال :

حدثنا أبو عمرو الصفار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس الى نقب منه . فما دخله أحد ، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة :

أين صاحب النقب ؟ فما جاء أحد ، فنادى : انى أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء .

فجاء رجل فقال : استأذن لى على الأمير ، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال له : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا — أى يشترط — : ألا تسودوا اسمه فى صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشىء ، ولا تسألوه ممن هو ؟ قال : فذاك له . قال : أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

* * *

فكن أخا الاسلام :

شبيها بهؤلاء المجاهدين المخلصين واحرص على طلب الشهادة فى سبيل الله ، وحسبى ترغيبا لك فيها أن أسوق اليك بعض الأحاديث الصحيحة التى قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل :

الشهـــادة

عن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له ما على الأرض من شىء الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لمـا يرى من فضل الشهادة »(١) .

وعن أنس أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له : يا ابن آدم .. كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب .. خير منزل . فيقول : سل وتمنه . فيقول : وما أسألك وأتمنى ؟ أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات . لمـا يرى من فضل الشهادة »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل »(٣) .

* * *

كما ورد فى فضل :

الشــــهداء

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لمـا قتل عبد الله ابن عمرو بن حرام يوم أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر .. ألا أخبرك ما قال الله لأبيك » ؟ قلت : بلى ، قال : « ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا(٤) فقال : يا عبد الله .. تمن على فأعطيك ، قال : يا رب .. تحيينى فأقتل فيك ثانية . قال : قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون .

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم .

(٢) رواه النسائى وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) أى مواجهة .

قال : يا رب .. فأبلغ من ورائى . فأنزل الله هــذه الآية : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى ســبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون** »(١) .

وعن جابر أيضا ، قال : جىء بأبى الى النبى صلى الله عليه وسلم قد مثل به ، فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قومى فسمع صوت صائحة فقيل : ابنة عمرو ــ أو أخت عمرو ــ فقال : « لم تبكى ــ أو لا تبكى ــ ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها »(٢) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته »(٣) .

وعن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دما فازدحموا على باب الجنة . فقيل : من هؤلاء ؟ قيل : الشهداء كانوا أحياء مرزوقين »(٤) .

وعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه »(٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه : « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله** »(٦) : من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم شهداء الله »(٧) .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه ، وحسنه الترمذى وصححه الحاكم ، والآية من سورة آل عمران : ١٦٩ (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه ابو داوود فى سننه ، وصححه ابن حبان .
(٤) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٥) رواه الترمذى وابن ماجه . (٦) الزمر : ٦٨
(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

عن راشد بن سعد رضى الله عنه ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال : يا رسول الله .. ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[١] .

وعن سمرة بن جندب — فى حديث الرؤيا الطويل — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالا لى : أما هذه فدار الشهداء »[٢] .

* * *

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

الشـــهداء هم

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : « ما تعـــدون الشهداء فيكم » ؟ قالوا : يا رسول الله .. من قتل فى سبيل الله فهو شهيد . قال : « ان شهداء أمتى اذن لقليل » قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : « من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات من البطن فهو شهيد »[٣] قال ابن مقسم : أشهد على أبيك — يعني أبا صالح — أنه قال : « والغريق شهيد » .

وعن أبى هريرة أيضا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشهداء خمسة : المطعون[٤] ، والمبطون[٥] ، والغريق[٦] ، وصاحب الهدم[٧] ، والشهيد فى سبيل الله »[٨] .

---

(١) رواه النسائى ، واسناده جيد .

(٢) رواه البخارى .　　　(٣) رواه مسلم .

(٤) اى من طعن بالرمح مثلا ، فمات من تلك الطعنة .

(٥) المبطون : هو الذى يشتكى بطنه من اسهال او نحو ذلك .

(٦) الغريق : هو من سافر فى البحر سفرا مباحا او سفر طاعة ثم هاج البحر فغرق ، اما اذا كان قاصدا سرقة ، او قتلا ، او غير ذلك من المعاصى فغرق فانه لا يكون شهيدا . وقس على ذلك ما شابه فى جميع الحوادث التى يتعرض لها الانسان فى دنياه .

(٧) صاحب الهدم : هو الذى وقع عليه بيت ، او نحوه فمات تحت الهـــدم .　　　(٨) رواه مالك والبخارى .

وعن أبى مالك الأشجعى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فصل[١] فى سبيل الله فمات ـــ أو قتل : فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة على فراشه بأى حتف شاء الله انه شهيد وان له الجنة »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال : أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : « قاتله » قال : أرأيت ان قتلنى ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أرأيت ان قتلته ؟ قال : « فهو فى النار »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد »[٤] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل الا قتل شـــهيدا »[٥] .

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه[٦] فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[٧] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موت الغربة شهادة »[٨] .

* * *

---

(١) فصل : اى خرج وفى ذلك يقول تعالى : « **ولمـــا فصلت العير** » (يوسف : ٩٤) : اى خرجت من مصر .

(٢) رواه الآجرى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه احمد فى المسند واسناده حسن .

(٦) يعنى فى غير الجهاد فى ميدان القتال .

(٧) رواه الأربعة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٨) رواه ابن ماجه .

وحتى تعرف الى أين تذهب :

أرواح الشـــهداء

اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أنس رضى الله عنه : أن أم ربيع بنت البراء رضى الله عنها ، وهى أم حارثة بن سراقة : أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله .. ألا تحدثنى عن حارثة ؟ — وكان قد قتل يوم بدر — فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك ، اجتهدت عليه بالبكاء . فقال : « يا أم حارثة .. انها جنان فى جنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى »(١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه سـلم : « رأيت جعفر بن أبى طالب ملكا يطـير فى الجنة ذا جناحين(٢) يطير منها حيث شاء ، مضرجة قوادمه بالدماء »(٣) .

وعن عبد الله بن مرة عن ابن مسعود : « أرواح الشهداء عند الله كطير خضر »(٤) .

وعن ابن كعب بن مالك عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرواح الشهداء طير خضر تتعلق فى شجرة الجنة »(٥) .

والخلاصة : أن أرواح الشهداء ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها سواء أكانت فى حواصل طير خضر أم بيض ، أو كانت طيرا خضراء ، وسواء أكانت فى السماء أم فى الأرض(٦) .

فهم كما قال الله تعالى فى كتابه : « **أحياء عند ربهم يرزقون** »(٧) .

* * *

---

(١) رواه البخارى .

(٢) لأن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قطعت يداه فى سبيل الله يوم مؤتة ، فأبدله الله بهمـــا جناحين ، وجاء فى صحيح البحارى : أنهم عندما التمسوه فى القتلى وجدوا بما اقبل من جسده بضعا وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة .

(٣) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٤) فى رواية الأعمش .

(٥) رواه ابن شهاب .

(٦) فقد ورد كل هذا ، وغير هذا .. والله أعلم .

(٧) آل عمران : ١٦٩

الجهاد بالمـال

واعلم .. أنه اذا كان الجهاد يحتاج الى المجاهدين بأنفسهم فانه كذلك يحتاج الى المجاهدين بأموالهم .

وحسبى فى هذا العرض أن أسوق اليك جزءا من مقال موضوعى نشرته مجلة « الوعى الاسلامى »[١] تحت عنوان : (الجهاد بالمـال) جاء فيه :

« وأنفقوا فى سـبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »[٢] :
أن الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمـال ، ولقد كان المجاهد المسلم الأول : يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال .. لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، وانما كان هناك تطوع بالنفس ، وتطوع بالمـال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين فى الجهاد والذود عن العقيـدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عـدة الحرب ، ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحملهم عليه « **تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون** »[٣] .

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق فى سبيل الله والانفاق لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمـال فى القرآن مقترنا بالجهاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سـبيل الله ، أولئك هم الصادقون** »[٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[٥] .

والجهاد بالمـال يكون ببذله عن طيب نفس : « دعما للجيش ،

---

(١) العدد ١٠٦ ص ٨٨
(٢) البقرة : ١٩٥
(٣) التوبة : ٩٢
(٤) الحجرات : ١٥
(٥) حديث صحيح .

واعدادا للمعركة ، وتجهيزا للمجاهدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا »[١] .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة فى المسارعة بالانفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكرى ، وتجهيز جيوش المسلمين . وفى غزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التى تجمعت فى الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المال ما يكفى لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد ، والتبرع بالمال ، وتسابق المسلمون فى هذا الجهاد .

فكان أبو بكر رضى الله عنه أول من قدم ماله ، جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت » .

وتبرع العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بتسعين ألف درهم .

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية ذهبا .

وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث الجيش .

وجاء جابر بن عبد الله رضى الله عنه بحفنة من بر ، هى كل ما يملك .

والدعوة الى الانفاق فى سبيل الله دعوة عامة لجميع المسلمين أغنيائهم وفقرائهم ، قال تعالى : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وانتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »**[٢] .

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٢) محمد : ٣٨

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله ، أو طروقة فحل[١] فى سبيل الله »[٢] .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة : بالمال ، بالغذاء ، بالكساء ، بالغطاء ، بالدم ، بالأدوية ، بالخيام ، بالسيارات ...

والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين ، يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الايثار .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من ابذل والعطاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفى المسلمين ثراء ، وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لمولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الأرض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان . والأرقام التى تنشر من تبرعات الصهاينة فى العالم أرقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى ، فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى أن ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيوش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟

متى تملأ هذه الصكوك البيضاء بالأرقام ؟

متى تفك الأغلال عن الأيدى المربوطة الى الأعناق ؟

متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ؟

---

(١) طروقة فحل : هى الناقة التى صلحت لطرق الفحل وأقلها ثلاث سنين وبعض الرابعة .

(٢) رواه الترمذى .

متى يكون الله ورسوله أحب الينا من أنفسنا وأموالنا ؟

ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمـال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتموين الغذائى وكفالة أسر المقاتلين ومدها بما تحتاج اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم** ••• »[1] •

* * *

ولمـا كانت :

الحـرب النفسـية

من أخطر الأسلحة التى تستخدمها الصهيونية فى حربنا معها حتى تتمكن من اضعاف الثقة فى نفوسنا : فقد رأيت أيضا وفى هذا العرض السريع أن أسجل هنا مقالا ورد بنفس العدد من مجلة « الوعى الاسلامى » تحت عنوان (الحرب النفسية)[2] جاء فيه :

« الحرب النفسية من أخطر الأسلحة التى تستخدم فى الحروب لاضعاف الثقة فى نفوس المقاتلين ، ولاشاعة البلبلة ، واذاعة القلق والأضطراب فى صفوف من خلفهم من أممهم وشعوبهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية فى عصرنا الحاضر علمـا كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار فى علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التى تخصص لميزانية الحروب •

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضع المنهج الذى يجب على المؤمن أن ينتهجه فى مواجهة الشائعات وأخبار المعارك الحربية التى تصـدر عن الأعداء والتى يرددها الناس دون تحر للحقائق أو تبصر بها •

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددى الاشاعات ومروجى الفتن فقـال : « **واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** »[3] •

ان المؤمن الواعى لا يأخذ أنباء المعارك من بيانات العدو ، ولا من

---

(١) الحج : ٧٧ ، ٧٨

(٢) العدد ١٦٠ صفحة ١٠١

(٣) النساء : ٨٣

اذاعات العدو ، ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة من مصدرها الذى يطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .

فى غزوة « أحد » نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم أبو بكر ؟ أفى القوم ابن الخطاب ؟ فلما لم يجبه أحد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا .. قد كفيتموهم . ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر فى معنويات المسلمين . ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك . وبهذا وأد عمر الشائعة فى مهدها وفوت على مروجها هدفه وقصده .

اننا يجب أن نعى وندرك أن العدو كاذب وأنه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه اثارة الشكوك .. وواجبنا أن نتصدى للحرب النفسية التى يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت فى مواقعنا ، ونمضى فى جهادنا والله معنا .

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات بيننا لتشكيكنا فى قدرتنا ، وتوهين قوتنا واثارة الفتن فى صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »**[1] .

* * *

فضع أخا الاسلام كل هذا نصب عينيك وكن مجاهدا بنفسك ومالك حذرا من الاستماع الى اشاعات المغرضين حتى تفوت عليهم أغراضهم الخبيثة وحتى تكون من أهل الجنة ، وينجيك الله من الهم والغم اللذين أشار اليهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر وصيته التى ندور حولها .

---

(١) النساء : ٧١

ولسوف يذهب باذن الله وعونه كل هم وغم • ولسوف تذهب كذلك جميع النكسات بدون رجعة •

* * *

وأنت أخا الجهاد يا من تخوض معركة الشرف اليك فى ختام هذا الموضوع الحيوى هذه الوصايا التى أرجو أن تكون رائدا لك حتى النصر ، والتى أرجو أن تظل منتفعا بها :

يقول الله تبارك وتعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين • ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط »**(١) •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى أمراء السرايا والبعوث بما طبع عليه من الأخلاق السامية والآداب العالية التى تؤكد سماحة الاسلام ، ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه •

فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله • ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »(٢) •

وعندما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى فى غزوة خيبر ، قال على : يا رسول الله •• أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »(٣) •

وعندما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل أقعده بين يديه وعممه بيده ، ثم أوصاه بقوله : « اغز باسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر ولا تغل ، ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا » • ثم قال له : « ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » •

---

(١) الانفال : ٤٥ — ٤٧ (٢) رواه أبو داوود .

(٣) صحيح البخارى ، باب (غزوة خيبر) ج ٥ ص ١٧١

وعندما خرج صلى الله عليه وسلم ليودع الجيش المتجه الى مؤتة كان مما قاله لأفراده : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ولا كبيرا ، ولا فانيا ولا منعزلا فى صومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء » •

وبعد أن عاد النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، كانت عنايته متجهة الى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام لأن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا ما زالوا يناوئون الدولة الاسلامية ، ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيئو لغزو الروم ، ثم دعا أسامة ابن زيد وقال له :

« سر الى موضع أبيك — يابنى — فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فاغز صباحا على أهل « ابنى » ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فان أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك » •

ثم عقد النبى صلى الله عليه وسلم لأسامة اللواء بيده وأوصاه بقوله : « اغز باسم الله ، وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله » •

وثقل المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » •

وجاء أسامة ليودع النبى صلى الله عليه وسلم قبل سيره بجيشه ، فلما دخل عليه جعل صلى الله عليه وسلم يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة ، ثم قال له : « اغد على بركة الله » ثم قال له : « أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » •

وبعد أن ودع أسامة الرسول صلى الله عليه وسلم واستعد مع رجاله للرحيل ، اذا برجل يأتى ليقول له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فيعود ومعه عدد من الصحابة الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وصوله بوقت قليل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد فارق الدنيا الى الرفيق الأعلى •

فيشترك فى تجهيزه صلى الله عليه وسلم للدفن مع الأصحاب الفضلاء وبعد مبايعة أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة ، يتهيأ أسامة للتحرك بجيشه فيخرج أبو بكر يودعه وهو يمشى على قدميه ، وأسامة راكب على فرسه ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله .. لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ثم أوصى أبو بكر أسامة ومن معه بقوله : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل » .

وعندما أرسل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله طلب منه أن يمده بجند آخرين ليتمكن من قهر العدو والتغلب عليه ، أرسل اليه سيدنا عمر بهذه الوصية : « يا سعد .. أوصيك ومن معك بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأوصيك ومن معك بأن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم ، فان استوينا فى المعصية لم تكن لنا عليهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله » .

* * *

ولما كانت هناك صلة وثيقة بين الجهاد والحج بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل ــ كما ورد فى حديث صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه ــ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « جهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

فقد رأيت أن تكون : « الوصية العشرون » عن الحج والترغيب فيه بصورة موجزة ومؤقتة ، فاليك :

الوَصيّة العشرُون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس ٠٠ ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » ٠

فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ٠

ثم قال : **« ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ٠ فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » ٠**

(رواه مسلم)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من هؤلاء الحريصين على أداء فريضة الحج ان استطعت الى ذلك سبيلا وحسبك ترغيبا لك قول الله تعالى : **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »**[1] ٠

والبيت الذى يشير الله سبحانه وتعالى اليه فى الآية الكريمة هو :

« ٠٠٠ أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ٠ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا »[2] ٠

وهو : الكعبة التى تحدث الله تعالى عنها ، فقال : **« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس »**[3] ٠

---

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ بلفظ **« ان أول بيت ٠٠٠ »** .

(٣) المائدة : ٩٧

وهو البيت العتيق الذى تحدث الله سبحانه وتعالى عنه أيضا فقال : **« وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »**[١] .

وهذه الكعبة المشرفة هى قبلة المسلمين فى الصلاة وقد أضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه تشريفا لها فى قوله لسيدنا ابراهيم عليه السلام : **« وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود »**[٢] .

فاذا كانت روحك ستلبى دعوة ابراهيم عليه السلام عندما أمره الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »**[٣] .

فأنت اذن من الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لزيارة بيته العتيق تحقيقا لدعوة سيدنا ابراهيم أيضا عندما دعا الله قائلا : **« فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »**[٤] .

وحتى تدرك هذه النعمة اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة التى سترى من خلالها أهمية الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام الخمس بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[٥] .

عن ابن شماسة رضى الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص ، وهو فى سياقة الموت[٦] فبكى طويلا ، وقال : لما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله .. ابسط يمينك لأبايعك ، فبسط يده فقبضت يدى[٧] ، فقال : « مالك يا عمرو » ؟ قال : أردت أن أشترط ، قال : « تشترط ماذا » ؟ قال : أن يغفر لى[٨] ، قال : « أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان

---

(١) الحج : ٢٩ (٢) الحج : ٢٦

(٣) الحج : ٢٧ (٤) ابراهيم : ٣٧

(٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) اى وهو فى النزع الأخير .

(٧) أى كففتها ولم أضعها فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) يعنى ما فعلته فى الجاهلية من حربك وعداوتك .

قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهـدم ما كان قبـله »[١] .

وعن عبد الله بن جراد الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حجوا ، فان الحج يغسـل الذنوب كما يغسل المـاء الدرن »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج »[٣] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله .. جئنا نسألك ، فقال : « ان شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت ، وان شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت » ؟ فقالا : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفى للأنصارى : سل ، فقال : أخبرنى يا رسول الله ، فقال : « جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم[٤] البيت الحرام ، وما لك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف ، وما لك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة » فقال : والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : « فانك اذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه الا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة ، فان الله يهبط الى السماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ــ أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر ــ لغفرتها ، أفيضوا عبادى مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا مختصرا ، ورواه مسلم وغيره أطول منه .

(٢) الدرن : اى الوسخ الذى يكون على الجسم او الثوب .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) أى تقصد وتريد .

من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى »[١] .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام ، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة »[٢] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات فى طريق مكة ذاهبا ، أو راجعا ، لم يعرض ولم يحاسب ــ أو غفر له ــ »[٣] .

* * *

وحسبى أخا الاسلام اذا أردت أن تعرف :

كيف حج الرسول صلى الله عليه وسلم

أن أسوق اليك هذا العرض الموضوعى : عن جابر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ...

فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصواء[٤] حتى اذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شىء عملنا به .

فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ...

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » والبزار واللفظ له وقال : روى هذا الحديث من وجوه لا نعلم له أحسن من هذا الطريق .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط . (٣) رواه الاصبهانى .

(٤) اسم ناقة الرسول ﷺ .

قال جابر : لسنا ننوى الا الحج ، ولسنا نعرف العمرة حتى اذا أتينا البيت معه استلم الركن[١] ، فرمل[٢] ثلاثا ، ومشى أربعا ، ثم نفذ الى مقام ابراهيم عليه السلام ، فقرأ : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** »[٣] فجعل المقام بينه وبين البيت .

فكان يقرأ فى الركعتين : « **قل هو الله أحد** » و « **قل يا أيها الكافرون** » ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا ، قرأ : « **ان الصفا والمروة[٤] من شعائر الله** »[٥] أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت . فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل الى المروة حتى اذا نصبت قدماه فى بطن الوادى سعى ، حتى اذا صعدنا مشى . حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .. حتى اذا كان آخر طوافه على المروة ، فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، وجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة » .

فقام سراقة بن مالك فقال : يا رسول الله .. ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه ، واحدة فى الأخرى ، وقال : « دخلت العمرة فى الحج — مرتين — لا ... بل لأبد أبد » .

وقدم على من اليمن ببدن[٦] للنبى صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل[٧] ، ولبست ثيابا صبيغا ، واكتحلت فأنكر ذلك عليها . فقالت : ان أبى أمرنى بهذا .

قال : فحل الناس كلهم وقصروا[٨] الا النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن كان معه هدى .

---

(١) ركن الكعبة : الذى به الحجر الاسود .

(٢) رمل : اى هرول .   (٣) البقرة : ١٢٥

(٤) ربوتان بالقرب من الكعبة يكون بينهما السعى .

(٥) البقرة : ١٥٨   (٦) اى ابل .

(٧) اى حلوا احرامهم .   (٨) اى قصوا شعر الراس .

فلما كان يوم التروية[١] توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس . وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة[٢] .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى اذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت[٣] له ، فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس وقال : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع[٤] ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم أضع من دمائنا : دم ابن ربيعة ابن الحارث — كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل — وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ... ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .

أما بعد .. أيها الناس .. فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون[٥] من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس .. **« انما النسىء[٦] زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله »** ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ورجب الفرد الذى بين جمادى وشعبان .

اتقوا الله فى النساء ، فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ،

---

(١) الثامن من ذى الحجة ، والتروية مشتقة من الارتواء حيث يجمعون الماء بمنى فى ذلك اليوم . (٢) مكان شرقى عرفات .

(٣) اى وضع عليها رحلها واعدت للركوب .

(٤) اى مهدر . (٥) اى تستصغرون .

(٦) النسىء : تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ، فقد كان المشركون ان اهل شهر حرام وهم محاربون استمروا فى حربهم وابدلوا ايامه فى شهر آخر — (والآية من سورة التوبة : ٣٧) .

فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ، ان اعتصمتم به : كتاب الله .

وأنتم تسئلون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت . فقال وهو يرفع اصبعه السبابة الى السماء ويرددها مشيرا الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد .. ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وظل يدعو حتى غربت الشمس .

عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر دعاء من كان قبلى من الأنبياء ، ودعائى يوم عرفة أن أقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا .

اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق[1] الدهر » .

وأردف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة خلفه ، ودفع من عرفات الى مزدلفة ، وكان يقول : أيها الناس .. السكينة ، السكينة .. حتى أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا .

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة . ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده . فلم يزل واقفا حتى أسفر[2] جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف[3] الفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما .

---

(١) أى مهلكات . (٢) أسفر الصبح : أى أضاء .
(٣) أى أركبه خلفه .

فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر •

حتى أتى (بطن محسر)[١] فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصى الخذف ، رمى فى بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده •

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره ، استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله ، وقال له وهو قائم على رأسه بالموسى : « يا معمر •• أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفى يدك الموسى » قال معمر : أما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله على ، قال : « أجل » وحلق للرسول شعر رأسه ، وحلق كثيرون من الصحابة ، وقصر بعضهم • وقد دعا صلى الله عليه وسلم للمحلقين بالمغفرة ثلاثا ، وللمقصرين مرة ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض[٢] الى البيت وبعد أن طاف بالبيت طواف الافاضة شرب من ماء زمزم ، وصلى الظهر • ثم رجع الى منى فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، ويقول مع كل حصاة : « الله أكبر » ، ثم يقدم على الجمرة ، فقام مستقبل القبلة ، ثم رفع يده ودعا دعاء طويلا ••• ثم أتى الى الجمـرة الوسطى فرماها كذلك ، ثم انحدر ذا اليسار مما يلى الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو ، قريبا من وقوفه الأول •

ثم أتى الجمرة الثالثة ، وهى جمرة العقبة ، فاستبطن[٣] الوادى ، واستعرض الجمرة[٤] فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات كذلك • فلما أكمل الرمى رجع من فوره •

---

(١) مكان بين منى ومزدلفة ، كان فيه هلاك أصحاب الفيل ، ولهذا أسرع الرسول ﷺ وهو يجتازه •
(٢) افاض : اى اندفع ونزل •
(٣) اى وقف ببطن الوادى •
(٤) اى استقبلها •

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين ، احداهما يوم النحر ، والأخرى فى اليوم التالى وهو أوسط أيام التشريق[١] •

قالت سرى بنت بنهان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم •

قال : هذا وسط أيام التشريق • قال : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم •

قال : هذا المشعر الحرام • ثم قال : انى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا •••

ولما أكمل صلى الله عليه وسلم الرمى فى أيام التشريق الثلاثة ، أفاض بعد الظهر الى المحصب ، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء • ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ، ونادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس •

* * *

والخلاصة

اذا كنت قد نويت الحج واستطعت الى ذلك سبيلا بحيث لا يترتب على خروجك لأداء هذه الفريضة ضرر مادى أو اجتماعى بالنسبة لك ولأسرتك فانه يحسن بك •

أن تبادر بالتوبة ، ورد المظالم الى أصحابها : تنفيذا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » •

وأن تعد المال الذى يلزم أهلك أثناء تغيبك عنهم بالقدر الذى يكفيهم حتى تعود من سفرك •

وأن تعد كذلك لنفسك ما يكفيك من مال حلال حتى تتمكن هناك من قضاء مطالب الحج ، والتصدق على الفقراء والضعفاء •

وأن تكتب وصيتك وتسدد ما عليك من ديون حان وقت سدادها

---

(١) أيام التشريق هى : يوم النحر — اى عيد الأضحى — واليومان الثانى والثالث •

وترد الودائع والحقوق الى أصحابها وكذلك تكتب ما لك من ديون وما عليك من ديون حرصا على ضمان حقك وحق الآخرين •

وأن تقصد بحجك وعمرتك وجه الله تعالى حتى لا يضيع ثوابك وتكون من هؤلاء المرائين الذين لا ثواب لهم فى الآخرة •

وأن تحسن اختيار الرفيق الذى سيصحبك فى هذه الرحلة الروحية حتى يكون لك معينا على طاعة الله •

وقبل خروجك من منزلك تصلى ركعتين عملا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء » تقرأ فى الأولى بعد فاتحة الكتاب : « **قل يا أيها الكافرون** » وفى الثانية : « الاخلاص »(١) وبعد فراغك من الصلاة سل الله بقلب خاشع ونية صادقة أن يوفقك ، ثم ودع أهلك وجيرانك واخوانك ، والتمس دعاءهم لك بالتوفيق •

وعندما تركب السيارة ، أو الباخرة ، أو الطائرة : سم الله تعالى واحمده وكبره ثلاثا ثم قل : « **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وانا الى ربنا لمنقلبون** »(٢) اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده •• اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد •

مع ضرورة الحرص على صيانة لسانك وجميع جوارحك عن كل ما يغضب الله تعالى حتى يشملك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٣) •

* * *

ثم اليك أيضا هذه التوجيهات

اذا كنت مقبلا على أداء فريضة الحج بالطائرة عليك أن تحرم فى بيتك •

---

(١) اى « **قل هو الله احد ...** » الخ .

(٢) الزخرف : ١٣ ، ١٤ — (٣) حديث صحيح .

أما اذا كنت ستسافر بالباخرة فاغتسل قبل (رابغ)[١] وأزل شعرك وقلم أظافرك وشاربك ثم اغتسل وأحرم وانتعل واكشف رأسك .

وعنــدما تصل الى مكة توضــأ وطف مرات بالكعبة مبتدئا فى كل شوط بالحجر الأسود جاعلا الكعبة الى يسارك .. والمس الركن اليمانى فى كل مرة .. وقبل الحجر الأسود معتقدا أنه حجر لا يضر ولا ينفع .

ثم ادخل البيت العتيق من باب السلام واتجه لمقام ابراهيم وبعد أن تصلى ركعتين فى مقام ابراهيم .. تقصد الى بئر زمزم فتشرب من مائها وتقول : « اللهم انى أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » ثم تسلم الحجر الأسود ثانية وردد الدعاء المــأثور : « اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى .. وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى » .

وعندما تبدأ السعى بين الصفا والمروة بعد ذلك ، ادع بما تشاء من طيب الدعاء .. وابدأ بما بدأ به الله ورسوله : **« ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »**[٢] مع ملاحظة : أن نية السعى أن تقول : « اللهم اننى أريد أن أسعى بين الصفا والمروة سبع مرات » على أن تسرع فى كل مرة بين العمودين الأخضرين .

واذا كنت محرما للعمرة فقط فيمكنك أن تفك احرامك بأن تحلق شعر رأسك أو تقصر . ثم تذهب الى البيت المخصص لك (فى مكة) حيث تخلع ملابس الاحرام وترتدى الزى العادى .

وفى الثانى من شهر ذى الحجة عد الى الاحرام بأن تغتسل وتصلى ركعتين وتنوى الاحرام للحج قائلا : « اللهم انى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى » الى غير ذلك من الأدعية المختارة . ثم تتجه الى (منى) وتظل هناك لفجر عرفات .

---

(١) رابغ : ميقات أهل المغرب ومصر والشام ، وأما ميقات أهل العراق : فذات عرق (قرية ذات جبل مشرف على وادى العقيق) ، وميقات أهل اليمن والهند جبل من جبال تهامة اسمه : (يلملم) أما ميقات أهل المدينة : فذو الخليفة .

(٢) البقرة : ١٥٨

وعليك عندما تطلع الشمس يوم عرفات أن تتجه الى جبل عرفات وتقول عند دخولك اليه وأنت ذاكرا الله مستغفرا ملبيا : « اللهم اجعلنى ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، انك على كل شيء قدير » ويفضل أن تقف بالقرب من جبل الرحمة وتتلو دعاء الوقوف بعرفة • ووقت الوقوف يبدأ من وقت زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة ، وينتهى بطلوع فجر يوم العيد •• ويبقى الحاج اليوم التاسع فى عرفات •

وعند أذان الظهر صل الظهر والعصر معا جمع تقديم •

وعندما ينادي بالافاضة والنزول من عرفات •• اتجه الى المزدلفة حيث يقع مسجد (المشعر الحرام) وصل المغرب والعشاء جمع تأخير •

واجمع من المزدلفة ٧٠ حصاة اذا أردت أن تمكث بمنى أربعة أيام ، أو ٢١ حصاة اذا أردت أن تمكث بها ثلاثة أيام •

وفى الفجر قف بالمشعر الحرام مستقبلا القبلة داعيا : « اللهم كما وفقتنا فيه وأريتنا اياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا ، بقولك وقولك الحق : **« فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين • ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم »**(١) وهناك أدعية أخرى كثيرة •

ثم سر عند اقتراب الشمس من الظهور الى (منى) لكى تصل اليها بعد طلوع الشمس ليوم العيد بقليل •• وهناك أسرع فى رمى جمرة العقبة ، وهى سبع من الحصوات التى جمعتها من المزدلفة ويستمر الرمى الى وقت الزوال ، ثم اذبح ما معك من الهدى ووزعه على الفقراء والمساكين •• وعليك أن تبيت ليلتين لترمى بقية الحصوات •

وعليك أن تعود الى مكة ، لكى تطوف طواف الافاضة سبع مرات ثم اسع بين الصفا والمروة سبعا •• ان كان سعيك للسابعة عن العمرة فقط • أما اذا كان سعيك الأول عن الحج وحده أو عن الحج والعمرة فلست مكلفا بالسعى ، واذا أردت الخروج من مكة فعليك أن تطوفه

---

(١) البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩

بالكعبة طواف الوداع قائلا : « **ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معـاد** »[١] يا معيد أعذنى ، ويا سميع اسمعنى ، ويا جبار اجبرنى ، ويا ستار استرنى ، ويا رحمن ارحمنى ، واردنى الى بيتك هذا ، وارزقنى اليه العود ثم العود مرات بعد مرات تائبين غابدين سائحين لربنا حامدين •

واقصد بعد ذلك الى المدينة المنورة لزيارة مثوى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا ، وشفيعنا ، وحبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » •

وادخل على الحبيب صلوات الله وسلامه عليه من باب السلام •• وصل ركعتين ، ثم سلم عليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، ثم اتجه بعد ذلك الى قبرى صاحبيه الكبيرين أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله ، وسلم عليهما ، ثم اتجه بعد ذلك الى المحراب وادع دعاء القبلة •

وسل الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بهذه الزيارة حتى تكون من أحبابه صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته والعاملين بشرعه ، وحتى تكون معه فى الجنة فقد ورد فى حديث صحيح :

« من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » •

وأخيرا أخا الاسلام : لعلك بعد أن وقفت على أهمية الجهاد فى سبيل الله تعالى ، قد عقدت العزم على أن تكون من المجاهدين بالنفس والمـال •

* * *

*** وختـاما :**

أخا الاسلام •• ولمـا كانت عادتى فى آخر كل جزء من أجزاء الوصايا أن أسوق اليك نصا من النصوص النافعة التى تنير لك الطريق الى الله ، فقد رأيت وفى ختام هذه الرسالة المتواضعة ــ التى حرصت فيها على تقديم أهم ما يجب عليك الاحاطة به ــ أن أسوق اليك وصية علوية جامعة لمكارم الأخلاق يقول فيها عليه رضوان الله لولده محمد ابن الحنفية رضى الله عنه ، موصيا :

---

(١) القصص : ٨٥

يا بنى •• أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، والعدل على الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله عز وجل فى الشدة والرخاء •

يا بنى •• ما شر بعده الجنة شر ، ولا خير بعده النار خير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية •

يا بنى •• ان من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابر الأمور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن سلك مسالك السوء اتهم ، ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار •

يا بنى •• من نظر فى عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه ، ومن تفكر اعتبر ، ومن اعتبر اعتزل ، ومن اعتزل علم ، ومن ترك الشهوات كان حرا ، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند النـــاس •

يا بنى •• عز المؤمن غناه عن الناس ، والقناعة مال لا ينفد ، ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه • العجب ممن خاف العقاب فلم يكف ، ورجا الثواب فلم يعمل • الفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره • الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين •••

يا بنى •• ليس مع القطيعة نما ، ولا مع الفجور غنى •

يا بنى •• العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى ، وواحد فى ترك مجالسة السفهاء •

ومن تزين بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلا ، ومن طلب العلم علم •

يا بنى •• رأس العلم الرفق ، وآفته الحـــذق[1] ، ومن كنوز الايمان الصبر على المصائب ، العفاف زينة الفقراء ، والشكر زينة الأغنيـــاء •

يا بنى •• أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب الخلق ، اياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ، واياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون اليه ، واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه[2] •

يا بنى •• كثرة الزيارة تورث الملال ، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم ، واعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله •

يا بنى •• كم نظرة جلبت حسرة ، وكم كلمة سلبت نعمة : لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أعز من الزهد ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا لباس أجمل من العـــافية ، ولا مال أذهب للفاقة[3] من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة[4] الكفاف تعجل الراحة •

يا بنى •• الحرص مفتاح التعب ، ومطية النصب ، وداع الى اقتحام الذنوب ، والشره جامع لمساوى العيوب : وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك ، لأخيك عليك مثـــل الذى لك عليه ، ومن تورط فى الأمور من غير تبصر فى الصواب فقد تعرض لفدحات النوائب ، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم •

من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ •

---

(١) يقال : تحذلق الرجل ، بزيادة اللام اذا أظهر الحذق فادعى اكثر مما عنـــده .

(٢) بالتافه : أى بالشىء الحقير .

(٣) أى الفقر .

(٤) أى ما يتبلغ به من العيش .

يا بنى •• البخل جلباب المسكنة ، والحرص علامة الفقر ، وصول معدم خير من جاف مكثر •

لكل شيء قوت ، وابن آدم قوت الموت •

يا بنى •• لا تؤيسن مذنبا على ذنبه ، فكم عاكف على ذنب ختم له بالخير ، وكم مقبل على عمله أفسده فى آخر عمره فصار الى النار •

يا بنى •• فى خلاف النفس رشدها ، الساعات تنقص الأعمار •

* * *

الجزء السادس

الوصية الحادية والعشرون

عن جابر رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس .. توبوا الى الله قبل أن تموتوا .. وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا .. وصلوا الذى بينكم وبين ربكم ، بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا ، وتنصروا ، وتجبروا » .

(رواه ابن ماجه)

***

فكن أخا الاسلام :

من المستجيبين لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية الجامعة لأسباب الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة :

وحسبك ترغيبا لك فى تنفيذ ما أمرك الرسول صلى الله عليه وسلم به فى هذه الوصية أنك ستفوز فى النهاية بهذه النتائج العظيمة التى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى نهايتها .

***

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا فى أولها بالتوبة الى الله سبحانه وتعالى قبل فوات هذه الفرصة الغالية التى لا زلنا نتمتع بها وهى تواجدنا فى هذه الحياة ، فهذا دليل كاف على أن النبى صلى الله عليه وسلم يريد بنا خيرا ، ويؤكد هذا قوله تعالى :

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[1] .

وحسبى وقبل أن أدور معك حول هذا الموضوع الحيوى أن أقف معك وقفة وجيزة أمام هذه الأقوال المأثورة فى معنى التوبة :

قال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ، وأن تضيق عليك نفسك . قال الله تعالى

---

(١) النور : ٣١

فى كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية حين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون خمسين صباحا ثم جاءت توبتهم : « **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم** »[1] الآية • فالتائب دائم التأسف ، كثير التلهف ، يعرف من بين أمثاله بذبوله ، ويستدل على حاله بنحوله •

وقال الجنيد : التوبة على ثلاثة أركان : الندم على ما فات ، والعزم على ترك المعاودة ، والسعى فى تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس ، فان لم يكن فالزم على الوفاء ، والدعاء للخصوم •

وقال سهيل بن عبد الله : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك الا فى الخلوة ، والصمت وأكل الحلال •

ويقال : أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتذكر العبد تفريطه ، واساءته ، وكثرة جناياته مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه ، وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة • فاذا حصل له هذا العلم أثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله تعالى ، ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات ، وقضاء الواجبات ، ورد الظلامات ، والعزم على اصلاح ما هو آت • فهذه الأمور الثلاثة اذا انتظمت فهى التوبة •

ويقال : التوبة الحياء العاصم ، والبكاء الدائم •

ويقال: التوبة الندم على ما فات ، واصلاح ما هو آت •

ويقال : التوبة قود النفس الى الطاعات بخطام الرغبة ، وردها عن المعصية بزمام الرهبة •

ويقال : التوبة أن يعلم العبد جراءته على الله تعالى ، ويرى حلم الله تعالى عليه حيث لم يأذن للأرض أن تخسف به ، أو للنار أن تحرقه بما عمل من المعاصى • ثم يتوب من الذنوب ويعزم أن لا يرجع اليه كما لا يرجع اللبن الى الضرع •

ويقال : التوبة خلع لباس الجفاء ، ونشر بساط الوفاء •

---

(١) التوبة : ١١٨

وأصل التوبة فى اللغة : الرجوع ، يقـال : تاب وأناب بمعنى رجع .

فلاحظ كل هذا وتعمق فى فهمه ، واحذر الوقوع فى شباك الشيطان حتى لا تكون من حطب جهنم .

واذا أردت أن تكون حذرا منه ، ومنتصرا عليه : كن حريصا على المبادرة الى التوبة ، وعاملا فى قطع الأسباب الباعثة على الذنب . مع هجرة من كنت تصحبه على تلك الحالة وتدارك ما أفسدته لتمحوه بصالح أعمـالك .

فقد ورد فى الأثر : ان الذنب اذا أتبع بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوا :

أربعة فى القلب وهى : التوبة ، والعزم على أن لا يعود ، وحب الاقلاع عنه ، وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه .

وأربعة فى الجوارح وهى : أن يصلى أربع ركعات فى المسجد ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ويقول : سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ، ويتصدق بصدقة ، ثم يصوم يوما .

قال الله تعـالى : **« ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »**(١) .

مع ضرورة اجتناب الكبائر لأن الله سبحانه وتعـالى يقول : **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريمـا »**(٢) .

أى : ان اجتنبتم الكبائر غفرنا لكم الصغائر ، والصغائر هى : اللمم كما قال أكثر المفسرين ، والى هذا أشار الله سبحانه وتعالى فى قوله : **« الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم »**(٣) .

وقد اختلف العلماء فى تعريف الكبيرة والصغيرة ، فقالوا : كل ما نهى الله تعـالى عنه فى القرآن فهو كبيرة ، وما نهى الرسـول صلى الله عليه وسلم عنه فهو صغيرة .

كما اختلف الصحابة والتابعون عليهم رضوان الله فى عدد الكبائر :

فقال ابن مسعود : أربع .

---

(١) هود : ١١٤
(٢) النساء : ٣١
(٣) النجم : ٣٢

وقال ابن عمر : سبع •
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : تسع •
وقيل : احدى عشر •

وقال أبو طالب المكى جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها :
أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى •
وأربعة فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات ، واليمين الغموس[1] ، والسحر •
وثلاثة فى البطن : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم •
واثنان فى الفرج وهما : الزنا ، واللواط •
واثنان فى اليدين وهما : القتل ، والسرقة •
وواحدة فى الرجل وهى : الفرار من الزحف •
وواحدة فى جميع البدن وهى : عقوق الوالدين[2] •
ويقال : ستة أشياء اذا قاربت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها ، وتزايد أمرها :
الأول : الاصرار ، وهو العود الى مثل الذنب ، ولذلك قيل : لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم ، والاقلاع والالتجاء الى الله عز وجل بالقلب •

ويقال آفة الاصرار على الصغائر : الوقوع فى الكبائر ، وقل أن يقع العبد فى كبيرة حتى يتقدمها صغيرة ، كالزنا مثلا ، لا يتصور من غير تقدم نظر ، ولمس ، ونحوه •
الثانى : أن يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على قدر استصغاره له ، فان فى تصغير الذنب تصغير أمر الرب ، وفى تعظيم الذنب تعظيم الرب

---

(١) وهى التى يحلف بها الحالف متعمدا الكذب ، وقيل هى التى يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من أراك ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النـــار .

(٢) وعقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما ، أو يسألاه حاجة فلا يقضها ، أو يسباه فيضربهما ، أو يجوعا فلا يطعمهما .

سبحانه وتعالى • وفى الحديث : « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فأطاره » وقال بعضهم : أكبر من الذنب قول الانسان : ليت كل ذنب عملته كان مثل هذا • وأوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : « لا تنظر الى قلة الهدية ، وانظر الى عظم مهديها ، ولا تنظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها » وقال أبو سعيد الخدرى : انكم لتعملون أشياء هى أدق عندكم من الشعر كنا نعدها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات : وذلك لأنهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى •

الثالث : السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ، ويروى أن رجلا من بنى اسرائيل تاب من ذنب وعبد الله تعالى سنين ، ثم سأل بعض الأنبياء أن يدعو له بالقبول فأوحى الله عز وجل اليه : « لو تشفع بأهل السموات والأرض ما قبلته وحلاوة الذنب فى قلبه » • ومثال العاصى كمثال من غلبه عدوه فأوقعه فى نار ، وما يخاف الهلاك فيه فينبغى أن يغلب عليه الأسف والحزن ففرحه من غاية الجهل ويقال : من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح بأن ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه كراهة أن يستعمله ، وهذا لا يرجى شفاؤه •

الرابع : أن يتهاون بمنة الله تعالى عليه فى ستره عليه ، وحلمه عنه وامهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ، ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله تعالى وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة •

الخامس : اظهار الذنب بأن يفعله مجاهرا ويتحدث به ، ويفتخر به ، وفى ذلك زيادة جرأة وعدم حرمة وابطال نعمة ، فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح ، وفيه تحريك داعية من علم بذنوبه الى الوقوع فى مثله • وفى الخبر : « كل الناس معافى الا المجاهرون »[1] وقال بعضهم : لا تذنب •• فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين • قال الله تعالى : **« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف »**[2] •

وقال بعض السلف : ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية الله تعالى •

---

(١) حديث شريف .

(٢) التوبة : ٦٧

السادس : أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد فى الحديث :
« من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا »[١] . قال الله تعالى : « **ونكتب ما قدموا وآثارهم** »[٢] . وآثار العمل ما يبقى بعد العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق » . ويقال : « العالم مثل السفينة اذا غرقت غرق أهلها » .

وروى : أن عالما من بنى اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل فى الاصلاح دهرا ، فأوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائهم : « قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار » . وكما يعظم وزر العالم فى السيئات كذلك يعظم أجره فى الطاعات .

فلا تنس أخا الاسلام كل هذا حتى لا تكون من الجاهلين الذين يتخبطون فى ظلمات الجهل ، وحتى لا تكون من الذين : « **نسوا الله فأنساهم أنفسهم** »[٣] فكانوا من الهالكين المطرودين من رحمة الله سبحانه وتعالى الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسى :

« ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » .

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

من أراد غنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، وعزا بلا عشيرة : فليتق الله فان الله يأبى أن يذل الا من عصاه .

ويقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه :

لأن أدخل النار وقد أطعت الله عز وجل أحب الى من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله عز وجل .

ولهذا كان لابد — اذا أردت أن تكون أهلا لرحمة الله تعالى — من الرجوع الى الله سبحانه وتعالى والمصالحة معه مهما كانت الأخطاء فانه سبحانه كما قال عن نفسه : « **غفور رحيم** »[٤] أحن على عبده

---

(١) من حديث رواه مسلم والنسائى .
(٢) يس : ١٢ (٣) الحشر : ١٣
(٤) التوبة : ٢٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، وآيات كثيرة من القرآن الكريم .

حن الوالدة على ولدها • وذلك لا يتحقق الا بالبعد عن كل شيء نهى عنه سبحانه :

حتى تكون مطيعا له ، وأهلا لكرامته ، ودخول جنته :

فقد ورد : أن الله سبحانه وتعالى قال فى الكلمات العشر التى أنزلت على موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من الله الملك الجبار ، العزيز القهار ، لعبده ورسوله موسى بن عمران : سبحنى وقدسنى ، لا اله الا أنا فاعبدنى ، ولا تشرك بى شيئا ، واشكر لى ولوالديك الى المصير أحييك حياة طيبة • ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فتضيق عليك السماء بأقطارها وتضيق عليك الأرض برحبها ، ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لم يعظم اسمى ، ولا تشهد بما لا يعى سمعك ، وتحفظ عينك ولا يقف عليك قلبك ، فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسألهم عنها ، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ، ساخط لقسمتى • ولا تزن ، ولا تسرق فأحجب عنك وجهى ، وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ، ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان الأرض الا ما ذكر عليه اسمى ، ولا تغدرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى • وأحب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك » •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما :

لما سار موسى عليه الصلاة والسلام الى الميقات قال له ربه : « ما تبتغى ؟ قال : أبتغى الهدى • قال : قد وجدته يا موسى • قال : يا رب •• أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى • قال : أى عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى • قال : أى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس الى علمه ليسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى » •

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا جالسا فى ظل العرش فقال : يا رب •• ما هذا ؟ قال : هذا عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وبر بوالديه ، لا يمشى بالنميمة • قال : يارب •• أى العمل أحب اليك أن أعمل به ؟ قال : تذكرنى ولا تنسانى • قال : أى عبادك خير عملا ؟ قال : من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزنى فرجه ، مؤمن فى خلق حسن •

قال : وأى عبادك شر عملا ؟ قال : فاجر فى خلق سىء ، جيفة بالليل ، بطال بالنهار » .

وإياك أن تقنط من رحمة الله لأنه : « **لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »[١] .

وحسبك ترغيبا لك فى التوبة وعدم القنوط من رحمة الله تعالى أن **تقرأ** قوله تعالى : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا** »[٢] وقوله سبحانه وتعالى : « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما** »[٣] .

وقوله المـأثور : « لا تقنطوا من رحمتى ، هل رأيتم من انقطع الى ذل ؟ هل رأيتم من احتمى من أجلى اعتل ؟ هل رأيتم من تنسم رياض قربى اختل ؟ هل رأيتم من رأى أعلام نصرتى انخل ؟ هل رأيتم من وجد حلاوة ذكرى انسل ؟ يا عبدى .. لا تقنط من رحمتى ، فانك ان كنت بالغدر موصوف ، فأنا بالجود معروف ، وان كنت ذا خطايا فأنا ذو عطايا . وان كنت ذا جفاء ، فأنا ذو وفاء ، وان كنت ذا أساة ، فأنا ذو أناة . وان كنت ذا غفلة وسهوة ، فأنا ذو عفو ورحمة . وان كنت ذا خشية وانابة ، فأنا ذو قبول واجابة . لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف من السحرة ، وجعلهم من البررة » .

* * *

وحتى يتأكد لك كل هذا ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[٤] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « للجنة ثمانية أبواب : سبعة مغلقة[٥] ، وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه[٦] »[٧] .

---

(١) يوسف : ٨٧ ، والروح : اى الرحمة .
(٢) الزمر : ٥٣ (٣) الفرقان : ٧٠
(٤) رواه مسلم والنسائى .
(٥) ولا تفتح لأهل الجنة الا بشفاعة النبى ﷺ .
(٦) اى من جهته .
(٧) رواه ابو يعلى والطبرانى باسناد جيد .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[٢] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة ، وليس عليه شاهد من الله بذنب »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم »[٤] .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه : « أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله .. أصبت حدا[٥] فأقمه على ، فدعا نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها[٦] ، فقال : « أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها » ففعل ، فأمر نبى الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله ، وقد زنت ؟ قال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل »[٧] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) رواه الأصبهانى وابن عساكر والحاكم والترمذى عن انس ، وقال شارح « الجامع الصغير » : قال الشيخ مدين : ضعيف .

(٤) رواه مسلم .

(٥) اى فعلة توجب اقامة الحد ، وحد الزانى المحصن هو الرجم .

(٦) اى من يلى امرها من اب او اخ او غيرهما .

(٧) رواه مسلم .

نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا ، فان بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى نصف الطريق فأتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين . فالى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد . فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفى رواية : « فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلهـــا » .

وفى رواية : « فأوحى الله الى هذه الأرض أن تباعدى . والى هذه أن تقربى . وقال : قيسوا بينهما . فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له » .

وفى رواية : قال قتادة : قال الحسن : ذكر لنا أنه لمـــا أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها[1] .

* * *

وهـــذه الآثار :

خرج عيسى عليه الصلاة والســـلام يوما ومعه عابد من عباد بنى اسرائيل فتبعهما رجل عاص فمقته العابد وقال : اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى . فقال العاصى : اللهم اغفر لى . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الســـلام : قد استجبت دعاءهما فرددت الصالح ، وغفرت للمحروم .

وكان سفيان الثورى رضى الله عنه كثير البكاء والجزع فقيل له : يا أبا عبد الله .. عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ؟ .. لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

وكان أبو عثمان يتكلم فى الرجاء كثيرا فرئى بعد موته فى المنام

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه بنحوه .

فقيل له : كيف كان قدومك على الله تعالى ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : ما الذى حملك على ما فعلت ؟ فقلت : أردت أن أحببك الى خلقك • فقال : قد غفرت لك •

وروى أن رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبيدى منها •

وروى أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما : كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل وأسـوأ مصير • فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد • فيأمر بردهما الى النار • فأما أحدهما فيبادر اليها وأما الآخر فيتوقف • فيقول الله تعالى للذى بادر : ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : عصيتك فى الدنيا أفأعصيك فى الآخرة ؟ ويقول للذى توقف : ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك يا رب حين أخرجتنى منها أن لا تعيدنى اليها • فيرحمهما ، ويأمر بهما الى الجنة •

وقال أبو يعقوب القارئ : رأيت فى المنام أويسا القرنى فقلت : أوصنى • فقال : ابتغ من رحمة الله عند محبته ، واحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك •

وقال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار بعد موته فى المنام فقلت له : ما لقيت بعد الموت ؟ فقال : لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا • قلت : فماذا كان بعد ذلك ؟ قال : ما تراه يكون من الكريم الا الكرم ؟ قبل منا الحسنات ، وعفا عنا السيئات ، وضمن عنا التبعات •

قال : ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد ذلك بأيام ، وكانوا يرون أن قلبه قد انصدع •

ورئى بعضهم فى المنام فقيل له : بماذا قدمت على الله تعالى ؟ قال : بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله تعالى •

ونظر الفضيل الى الناس يوم عرفة وهم واقفون يبكون ويتضرعون فقال لرجل الى جانبه : أرأيت لو أن هؤلاء كلهم واقفون على باب رجل من الأغنياء يطلبون دانقا[1] أكان يردهم ؟ فقال : لا • قال : فان المغفرة عند الله تعالى أهون من دانق عند أحدكم •

---

(١) دانقا : اى شيئا قليلا من المـال •

وكان بعض الصالحين يتعلق بأستار الكعبة ويقول : ههنا وعدتنى والى هنا دعوتنى ، أفتدخلنى النار وتوحيدك فى قلبى ؟ ما أظنك تفعل ذلك ، وان فعلت فلا تجمع بينى وبين قوم عاديتهم فيك .

ونظر أعرابى الى الناس بالموقف فأنشد يقول :

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ألفاظها شتى بمعنى مفـرد
يصفون بحرك يا عزيز وما عسى أن يبلغوا منه بوصف مجهد
فاسمح لمغفرة تكون لسفرنا زادا اليـك غداة يوم المشهد

وأتى آخر الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. قلت فسمعنا ، وبلغت عن ربك فقبلنا . وكان فيمـا بلغت عن ربك أنه قال : « **ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** »[1] . وها نحن قد ظلمنا أنفسنا ، وقد جئناك مستغفرين فاستغفر لنا .

وعن الحسن البصرى أنه قال : لمـا تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام هبط جبرائيل ، وكذلك ميكائيل ، ودريائيل ، عليهم السلام . وقالوا : يا آدم .. قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك . فقال آدم : يا جبرائيل .. فان كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله تعالى اليه : يا آدم .. ورثت ذريتك التعب والنصب ، وورثتهم أنا التوبة ، من دعانى منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك لأنى قريب مجيب . يا آدم .. احشر التائبين من القبور مستبشرين ودعاؤهم مستجاب .

وروى : أن آدم عليه الصلاة والسلام لمـا أكل من الشجرة ونزع عنه لباس الجنة ولى هاربا وجعل يستتر بورق الجنة ، فناداه ربه : أفرارا منى يا آدم ؟ قال : بل حياء منك يا رب . فقال الله تعالى : أما خلقتك بيدى ؟ أما أسجدت لك ملائكتى ؟ أما نفخت فيك من روحى ؟ أما أسكنتك جنتى فى جوارى ؟ فلم عصيتنى ؟ اخرج من جوارى فلا يجاورنى من عصـانى . فقال آدم : سبحانك اللهم وبحمـدك لا اله الا أنت . عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين . سبحانك اللهم وبحمدك . لا اله الا أنت . رب عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين ، سبحانك اللهم وبحمدك

---

(١) النساء : ٦٤

لا اله الا أنت ، رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فتب على انك أنت التواب الرحيم .

وقال الحسن : الكلمات قوله تعالى : « **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** »[١] .

وقال ابن عباس وقتادة : الكلمات أنه قال : « أى رب أتتوب على ان تبت ؟ فقال تعالى : نعم . فتاب الله عليه » .

ولا تناقض بين هذه الأقوال فانه يجوز أن يكون قال ذلك كله فتاب الله عليه .

ومن عظات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

« أيها الناس .. لا تستصغروا الذنب والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة : « **ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** »[٢] .

وقال عز وجل : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** »[٣] .

ومن أروع ما قرأت :

أن الله تبارك وتعالى اذا أراد ستر عبده كان معه يوم القيامة لا يفضحه على رؤوس الأشهاد . وقد خاف العبد هذا الموقف العظيم لعلمه كثرة ذنوبه فيقرأ بعد أن يعطى كتابه بيمينه الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقول : سبحان الله ليست حسنة واحدة ؟ وتقول الخلائق : سبحان الله ليس فى كتاب هذا العبد سيئة واحدة !! فاذا فرغ من القراءة تجلى المولى عليه ، وأسمعه قولة تشيع فى نفسه الرضا : يا عبدى .. هذه حسناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى ، وسترت عنهم سيئاتك فى الدنيا والآخرة ، يا ملائكتى .. اذهبوا به فقد رحمته ، وأدخلوه الجنة .

وأن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

أربع آيات فى سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها :

---

(١) الأعراف : ٢٣ (٢) هود : ١١٤

(٣) آل عمران : ١٣٥

قوله عز وجل : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(١) .

وقوله تعالى : **« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »**(٢) .

وقوله تعالى : **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**(٣) .

وقوله تعالى : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**(٤) .

فيا من أسا فيما مضى ثم اعترف
كن محسنا فيما بقى تلقى الشرفَ
واسمع كلام الله فى تنزيله
« ان ينتهوا يغفرْ لهم ما قد سلفَ »(٥)

و :

بادر الى التوبة فى وقتها — فالمرء مرهون بما قد جناه
وانتهز الفرصة ان أمكنت — ما فاز بالكرم سوى من جناه

و :

لا تفكر فالرب فضلا وجودا — عود العبد باصطناع الجميل
حاش لله أن تضام بنقص — وتمام الاحسان بالتكميل

* * *

فهو الذى أوجد الأشيا وقدرها — وهو الذى يرحم العاصى ويستره
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة — ويغمر العبد احسانا ويشكره
ومن يلوذ به فى دفع نائبة — يعطيه من فضله عزا وينصره
فنسأل الله جمعا حسن خاتمة — عند الممات وصفوا لا يكدره

* * *

---

(١) النساء : ٤٨ (٢) النساء : ٦٤
(٣) النساء : ٣١ (٤) النساء : ١١٠
(٥) الأنفال : ٣٨

واذا أردت أن يبارك الله سبحانه وتعالى توبتك ويغفر زلتك فحسبك أن تحرص على :

صـــلاة التـــوبة

فقد روى : عن أبى بكر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ، ثم يقوم فيتطهر[١] ثم يصلى[٢] ، ثم يستغفر الله الا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية : **« والذين اذا فعـــلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله[٣] »[٤]** الى آخر الآية[٥] .

وعن الحسن ــ يعنى البصرى ــ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أذنب عبد ذنبـــا ، ثم توضأ فأحسن الوضـــوء[٦] ، ثم خرج الى براز[٧] من الأرض فصلى فيه ركعتين ، واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له »[٨] .

وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه عن أبيه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فدعا بلالا ، فقال : « يا بلال .. بم سبقتنى الى الجنة ؟ انى دخلت الجنة البارحة[٩] ، فسمعت خشخشتك[١٠] أمامى » فقال : يا رسول الله .. ما أذنبت قط الا صليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط الا توضأت عندها ، وصليت ركعتين »[١١] .

* * *

واعلم أن العجلة من الشيطان ، الا فى خمسة أشياء فانها من السنة :

---

(١) يعنى يتوضأ .
(٢) وفى بعض الروايات : « ثم يصلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشىء » .
(٣) أى ذكروا وعيده سبحانه وهيبته ومقامهم بين يديه .
(٤) آل عمران : ١٣٥
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وأبو داوود ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى وقالا : « ثم يصلى ركعتين » .
(٦) يعنى أسبغه وأتمه .
(٧) البراز : الأرض الفضاء .
(٨) رواه البيهقى مرسلا .
(٩) يعنى الليلة المـــاضية .
(١٠) أى صوت نعليك ، وفى رواية : « دف نعليك » .
(١١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والحديث متفق عليه .

اطعام الضيف اذا دخل ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب[١] .

وأن من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة .

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :

« تسويف التوبة ، والشره فى الدنيا ، والتكاسل عن الطاعة »[٢] .

واذكر دائمـــا وأبدا قول الله تعالى حتى تسارع بالتوبة قبل فوات الأوان :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن »[٣] .

* * *

وأما عن العمل الصالح الذى يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمبادرة به بعد أن أوصانا بالتوبة الى الله سبحانه وتعالى قبل أن نموت :

فهو الدليل الوحيد على صدق التوبة بدليل قوله تعالى : **« ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »**[٤] .

هذا بالاضافة الى أن العمل الصالح هو البرهان الوحيد على صدق الايمان .

ولهذا كان مقترنا به فى كثير من الآيات القرآنية التى منها :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »[٥] .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون »[٦] .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا »[٧] .

« ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[٨] .

---

(١) لابن أدهم رضى الله عنه .
(٢) لحمد بن اللقاف رحمه الله .
(٣) النساء : ١٨
(٤) الفرقان : ٧١
(٥) البقرة : ٢٥
(٦) البقرة : ٨٢
(٧) الكهف : ١٠٧
(٨) العصر : ٢ ، ٣

ولما كان العمل الصالح هو زاد الآخرة التى سيكون العبد فيها فى أشد الحاجة الى رصيد من الحسنات يغنيه عن غيره **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**(١) . **« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه »**(٢) .

كان لا بد وأن يغتنم العبد فى دنياه خمسا قبل خمس :

شبابه قبل هرمه ، وصحته قبل سقمه ، وغناه قبل فقره ، وفراغه قبل شغله ، وحياته قبل موته ، كما جاء فى موعظة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك حتى يكون فى دنياه وأخراه من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وحتى يكون يوم القيامة مع عباد الله الصالحين الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

ولهذا كان أكيس الناس وأحزمهم « أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم استعدادا للموت »(٣) .

وكان أزهدهم : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غدا من أيامه ، وعد نفسه من الموتى »(٤) .

وكان : « خير الناس : من طال عمره ، وحسن عمله »(٥) .

وقد ورد : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخيركم »(٦) ؟ قالوا : نعم . قال : « خيركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا »(٧) .

---

(١) النبأ : ٤٠ . (٢) عبس : ٣٤ — ٣٦

(٣) من حديث رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى الصغير باسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد ، والبيهقى فى « الزهد » .

(٤) رواه ابن ابى الدنيا ، وهو مرسل .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٦) اى بأكثركم ثوابا وأرفعكم منزلة عند الله .

(٧) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى ورواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح على شرطهما .

وعن أبى بكر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. أى الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : فأى الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله »[١] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا الموت ، فان هول المطلع شديد ، وان من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله الانابة »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمن أحدكم الموت ، اما محسنا فلعله يزداد ، واما مسيئا فلعله يستعتب[٣] »[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمن أحدكم الموت لضر[٥] نزل به ، فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى »[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله »[٧] قيل : كيف يستعمله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »[٨] .

فمن كل هذه الأحاديث يتضح لك أن العمل الصالح هو سفينة النجاة التى أشار اليها سيدنا على رضى الله عنه فى قوله :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فكن من هؤلاء الفطناء الذين عرفوا الله تعالى فأطاعوه ، وعرفوا

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والطبرانى باسناد صحيح والحاكم والبيهقى فى « الزهد » وغيره .
(٢) رواه أحمد باسناد حسن والبيهقى .
(٣) أى لعله يتوب .
(٤) رواه البخارى ، واللفظ له ومسلم .
(٥) أى الفقر والمرض .
(٦) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٧) يعنى على حال يستعمله .
(٨) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

الحق فاتبعوه ، والباطل فاجتنبوه ، والنار فهربوا منها ، والجنة فعملوا من أجلهـا .

* * *

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أقرأ معك هذا الحديث الشريف الذى أرجو بعد قراءتك له أن تكون من هؤلاء الحريصين على تنفيذ ما فيه حتى تكفر عن سيئاتك ، وترفع من درجاتك : عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه قال : احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غـداة فى صـلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب[1] بالصـلاة وصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال : « كما أنتم على مصافكم » ثم أقبل الينا فقال : « انى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة ، انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فاذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال : يا محمد .. أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى[2] ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب .

فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، وتجلى لى كل شىء وعرفت . فقال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام الى الجماعات[3] والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء عند الكريهات .

قال : وما الدرجات ؟ قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام .

قال : سل . قلت : اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل

---

(١) المراد بالتثويب فى هذا الحديث : هو الاقامة .

(٢) وهم الملائكة .

(٣) وفى رواية : « الى الجماعات » .

يقربنى الى حبك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها حق فادرسوها وتعلموها »[١] .

* * *

وتذكر دائما وأبدا قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغــير زاد

وقول أحد الأصحاب عليهم جميعا رضوان الله يوم أن وقف أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده . فقال :

« حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

وقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه عندما سئل :

لم زهدت الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث :

الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد .

الثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس .

الثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

* * *

واعلم أن الاخلاص سر العبادة وروحها وشرطها الباطن الذى لا تصح الا به .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليــه »[٢] .

وهذا معناه : أنه لا عمل صحيح الا بالنية ، والمراد بها الأعمال

---

(١) أخرجه الامام احمد والترمذى وقال : حديث صحيح ، قال : وسألته محمد بن اسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث حسنٌ صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

الشرعية التى هى مناط التكليف سواء أكانت مقصودة لذاتها كالصلاة ، أو وسيلة لغيرها كالوضوء .

وعن أبى أمامة قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » ثم قال : « ان الله عز وجل ، لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه »[١] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما يبعث الناس على نياتهم »[٢] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم »[٣] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى فراشه[٤] وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه »[٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت : يا رسول الله .. أخبرنى عن الجهاد والغزو ؟ فقال : « يا عبد الله بن عمرو .. ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرائيا مكاثرا ، بعثك الله مرائيا مكاثرا ، يا عبد الله بن عمرو .. على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال »[٦] .

وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اياكم وشرك السرائر » قالوا : يا رسول الله .. وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه ، فذلك شرك السرائر »[٧] .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟

---

(١) رواه ابو داوود والنسائى باسناد جيد .
(٢) رواه ابن ماجه باسناد حسن .
(٣) رواه مسلم . (٤) يعني نام .
(٥) رواه النسائى وابن ماجه باسناد جيد .
(٦) رواه أبو داوود . (٧) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

قال : « الرياء ، يقول الله عز وجل اذا جزى النـاس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جـزاء »(١) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »(٢) .

ومن أقوال الحكماء : من عمل سبعة دون سبعة لم ينتفع بما يعمل ، أولها : أن يعمل بالخوف دون الحذر (يعنى يقول : انى أخاف عذاب الله ولا يحذر من الذنوب ، فلا ينفعه ذلك القول شيئا) .

الثانى : أن يعمل بالرجاء دون الطلب (يعنى يقول : انى أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة ، لم تنفعه مقالته شيئا) .

الثالث : بالنية دون القصد (يعنى ينوى بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات ولا يقصد بنفسه ، لم تنفعه نيته شيئا) .

الرابع : بالدعاء دون الجهـد (يعنى يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ولا يجتهد ، لم ينفعه دعاؤه شيئا وينبغى له أن يجتهد ليوفقه الله تعالى ، كما قال الله تعالى : **« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين »**(٣) (يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفقنهم لذلك) .

الخامس : الاستغفار دون الندم (يعنى يقول : أستغفر الله ولا يندم على ما كان من الذنوب ، لم ينفعه الاستغفار ، يعنى الندامة) .

السادس : العلانية دون السريرة (يعنى يصلح أموره فى العلانية ولا يصلحها فى السر ، لم تنفعه علانيته شيئا) .

السابع : أن يعمل بالكد دون الاخلاص (يعنى يجتهد فى الطاعات ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى ، لم تنفعه أعماله بغير اخلاص ويكون ذلك اغترارا منه بنفسه) .

---

(١) رواه احمد باسناد جيد ، وابن ابى الدنيا والبيهقى فى « الزهد » .
(٢) رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى .
(٣) العنكبوت : ٦٩

ومن أقوالهم أيضا :

مثل الذى يعمل للرياء والسمعة ، كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصاة ، فيقول الناس : ما أملأ كيس هذا الرجل ، ولو أراد أن يشترى به شيئا لا يعطى به شىء ، فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة ، لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة •

للمرائى أربع علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان مع الناس ، ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم به •

قال عمر رضى الله عنه : من أظهر للناس خشوعا فوق مافى قلبه أظهر نفاقا على نفاق •

وقال أيضا : من تخلق للناس بما ليس خلقا له شانه الله •

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله عنك بغافل ولا أن ما تخفى عليه يغيب

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ولا تنس قول الله تعالى : « **لئن أشركت ليحبطن عملك** »[1] وضع نصب عينيك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه التى يقول فيها :

« أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » •

وتأمل قول القائل :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات ، وازهد ، ودع ما ليس يعنيك ، واعملن بنية

* * *

وأما عن ذكر الله تعالى الذى يوصينا به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فهو السبيل الوحيد الى توطيد الصلة بين العبد وربه ، وهو أيضا الطريق الى المغفرة والأجر العظيم بدليل قوله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ

---

(١) الزمر : ٦٥

خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى يمشى أتيته هرولة »[١] .

وقوله تعالى فى كتابه العزيز : « **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** »[٢] .

وهذا هو المعنى الكبير الذى تشير اليه الآية الكريمة : « **فاذكرونى أذكركم** »[٣] أى :

اذكرونى بخدمتى .. أذكركم بنعمتى .
اذكرونى بالتوحيد .. أذكركم بالتأييد .
اذكرونى بالشكر .. أذكركم بالمزيد .
اذكرونى بالمحبة .. أذكركم بالقربة .
اذكرونى بالخوف .. أذكركم بالأمان .
اذكرونى بالرجاء .. أذكركم بتحقيق الآمال .

كما يقول الموحدون الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروه فذكرهم فكانوا بذلك على صلة وثيقة به لدرجة أن أحدهم قال : « اننى أعرف متى يذكرنى ربى » وعندما تعجب القوم تلا قول الله تعالى : « **فاذكرونى أذكركم** » .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بأن نذكره ذكرا كثيرا فى قوله تبارك وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** »[٤] .

فحسبى حتى تعرف حقيقة الذكر الكثير أن أسوق اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعا كتبا فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم .　　(٢) الأحزاب : ٣٥
(٣) البقرة : ١٥٢ .　　(٤) الأحزاب : ٤١
(٥) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه فى سننهم .

قال : « سبق المفردون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات »[1] .

وهذه الأقوال المأثورة :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « المراد : يذكرون الله فى أدبار الصلوات ، وغدوا ، وعشيا ، وفى المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى » .

وقال مجاهد : « لا يكون من الذاكرين كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما ، وقاعدا ، ومضطجعا » .

وقال عطاء : « من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »** .

وسئل الامام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فقال : « اذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا » .

ويكون الذكر بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا ، فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل .

ومن أهم شروطه : أن يكون الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى ، وأن لا يكون غافلا ولا ذاهلا عند ذكره :

فان القلب كما يقولون : أوعية أسرار الغيوب ، فرب ذاكر لله لحظة بقلب حاضر ، خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب .

وثمرة حضور العبد مع الله : شهوده له تعالى فى كل شىء بحيث يعلم أنه ناظر اليه ، ومطلع عليه ، وعند ذلك يتحقق بقوله تعالى فى كتابه المجيد : **« ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »**[2] .

وفى هذا يقول أحدهم :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بكل عيان

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة ق : ١٦

كما كان أحدهم يقول :

الأصول التى يبنى عليها المريد أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية النية لعبوديته ، وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب •

وفى الذكر فوائد كثيرة ذكرها ابن قيم الجوزية فى كتابه « الوابل الصيب من الكلم الطيب » خلاصتها باختصار وتصرف :

أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره •
وأنه يرضى الرحمن عز وجل •
وأنه يزيل الهم والغم عن القلب •
وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط •
وأنه يقوى القلب والبدن •
وأنه ينور الوجه والقلب •
وأنه يجلب الرزق •
وأنه يكسو الذاكرة المهابة ، والحلاوة ، والنضرة •
وأنه يورث المحبة التى هى روح الاسلام •
وأنه يورث المراقبة التى توصله الى درجة الاحسان •
وأنه يورث الانابة ، وهي الرجوع الى الله عز وجل •
وأنه يورث القرب من الله عز وجل •
وأنه يفتح للذاكر بابا عظيما من أبواب المعرفة التى تزداد بكثرة ذكره لله •
وأنه يورثه الهيبة لله عز وجل الذى تربع حبه على قلبه •
وأنه يورثه ذكر الله تعالى له •
وأنه يورثه حياة القلب •
وأنه قوت القلب والروح •
وأنه يورث جلاء القلب من صدئه •
وأنه يحط الخطايا ويذهبها لأنه من أعظم الحسنات •
وأنه يزيل الوحشة بين العبد وربه تبارك وتعالى •
وأنه يذكر العبد الذاكر عند ربه فى وقت الشدائد •
وأنه منجى من عذاب الله تعالى •

وأنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر •

وأنه يشغل اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل •

وأن مجالسه هى مجالس الملائكة ، بعكس مجالس اللغو والغفلة فهى مجالس الشياطين •

وأنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة •

وأنه مع البكاء والخلوة سبب لاظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه سبحانه وتعالى •

وأنه سبب لعطاء الله سبحانه وتعالى الذاكر الذى شغله ذكره عن مسألته سبحانه •

وأنه أيسر العبادات •

وأنه غراس الجنة •

وأنه أساس العطاء والفضل الذى لم يرتب على غيره من الأعمال •

وأنه يوجب الأمان من نسيان الله سبحانه وتعالى للعبد الذاكر فى معاشه ومعاده •

وأنه نور للذاكر فى الدنيا ، وفى قبره ، وفى معاده يسعى بين يديه على الصراط •

وأنه ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته •

وأنه شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر اليها السالكون •

وأنه يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل فى سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف فى سبيل الله •

وأنه رأس الشكر •

وأنه شفاء القلب ودواؤه •

وأنه أصل موالاة الله عز وجل ورأسها •

وأنه يجلب نعم الله عز وجل ، ويدفع نقمه •

وأنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر •

وأنه من أكبر العون على طاعة الله عز وجل •

وأنه يسهل الصعب ، وييسر العسير ، ويخفف المشاق •

وأنه يذهب عن القلب مخاوفه كلها •

وأنه يعطى الذاكر قوة نورانية •

وأنه سد بين العبد وبين جهنم .
وأنه أمان من النفاق .
وأنه يكسو الوجه نضرة فى الدنيا ،ونورا فى الآخرة .

* * *

وحسبى بعد ذكر هذه الفوائد العظيمة التى أرجو أن تكون من الفائزين بها ، أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة المرغبة فى الذكر :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « ذكر الله عز وجل »[١] .

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت »[٢] .

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. ان شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »[٣] .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : ان آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت : أى الأعمال أحب الى الله ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله »[٤] .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « لكل شىء صقالة ، وان صقالة القلوب : ذكر الله عز وجل » قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل ؟ قال : « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع »[٥] .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل »[٦] .

---

(١) رواه الامام أحمد باسناد حسن ، وابن أبى الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، والبيهقى عن أبى الدرداء .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الحاكم باسناد صحيح .
(٤) رواه الطبرانى وغيره .
(٥) رواه البيهقى مرفوعا .
(٦) رواه الامام أحمد فى مسنده .

ومن أجمل وصاياه صلوات الله وسلامه عليه تلك الوصية الجامعة التى أوصى بها أم أنس رضى الله عنها حينما قالت له : يا رسول الله .. أوصنى ، فقال لها : « اهجرى المعاصى ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله فانك لا تأتين بشىء أحب اليه من كثرة ذكره » .

قال النووى فى كتابه « الأذكار » :

واعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى ، كذا قاله سعيد بن جبير رضى الله عنه وغيره من العلماء .

* * *

وأما عن مجالس الذكر وهى : مجلس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وتحج ، وأشباه هذا .. كما يقول عطاء رحمه الله :

فهى : المجالس التى يذكر فيها كلام الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبار السلف الصالحين ، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع ، والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع .. كما يقول القرطبى رحمه الله .

فهى : مجالس الذكر والطاعات .. كما يقول ابن حجر رحمه الله . فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرغب فيها ، فقد ورد :

عن معاوية رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم » ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا . قال : « آلله ما أجلسكم الا ذلك » ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا الا ذلك . قال : « أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق — يلتمسون أهل الذكر —

---

(١) رواه مسلم .

فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا .

قال : فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — : ما يقول عبادى ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك .

قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب .

قال : فيقول : كيف لو رأونى ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا .

قال : فيقول : فما يسألونى ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها .

قال : فيقول فكيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، انما جاء لحاجة .

قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[١] .

وفى رواية أخرى : « فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[٢] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : « حلق الذكر »[٣] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » قال :

---

(١) رواه البخارى . (٢) من رواية مسلم .

(٣) رواه الترمذى وحسنه .

فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يا رسول الله .. صفهم لنا نعرفهم . قال : « هم المتحابون فى سبيل الله من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرون »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة »[٣] .

* * *

فاذكر كل هذا مع ملاحظة : أنه ينبغى أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، فان كان جالسا فى موضع استقبل القبلة وجلس متذللا متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة فى حقه ، لكن ان كان بغير عذر كان تاركا للأفضل . والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى : « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** »[٤] .

وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر فيه خاليا عن كل ما يشغل البال ويحصل من وجوده الاشتغال والوسواس ، ونظيفا[٥] فانه أعظم فى احترام الذكر والمذكور ، ولهـذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة .

وينبغى أن يكون الذاكر فمه نظيفا ، فان كان فيه تغير[٦] أزاله بالسواك ، فان كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالمـاء ، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يحرم . ولو قرأ القرآن وفمه نجس : كره .. وفى تحريمه وجهان أصحهما : لا يحرم .

---

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه فى السنن .
(٤) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٥) اى طاهرا .
(٦) اى تنبعث منه رائحة كريهة .

وأنه قد أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء • وذلك فى التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، أما قراءة القرآن فانها تحرم على الجنب والحائض والنفساء سواء أكانت القراءة قليلة أو كثيرة حتى بعض آية •

ويجوز لهم اجراء القرآن على القلب من غير لفظ كما يجوز لهم النظر فى المصحف وامراره على القلب •

قال النووى فى كتابه « الأذكار » : وقال أصحابنا : ويجوز للجنب والحائض أن يقولا عند المصيبة : **« انا لله وانا اليه راجعون »**[2] •

وعند ركوب الدابة : **« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »**[3] •

وعند الدعاء : **« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »**[4] •

اذا لم يقصدا به القرآن ، ولهمـــا أن يقولا : « بسم الله والحمد لله » •

اذا لم يقصدا به القرآن سواء قصدا الذكر أو لم يكن لهما قصد ، ولا يأثمان الا اذا قصدا القرآن ، ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته : « كالشيخ والشيخةِ اذا زنيا فارجموهما » •

* * *

هذا : وتلاوة القرآن هى أفضل الأذكار •

وقد ورد فى فضلها وفضله :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[5] •

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتى ،

---

(١) والدعاء وغير ذلك .
(٢) البقرة : ١٥٦
(٣) الزخرف : ١٣
(٤) البقرة : ٢٠١
(٥) رواه الترمذى .

أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه[٢] له أجران » .

وفى رواية : « والذى يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ، ويزاد بكل آية حسنة »[٤] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن ، فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى اليه .

لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله »[٥] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور ، ضوءه مثل الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن »[٦] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٧] .

* * *

---

(١) رواه الترمذى . (٢) أى وهو عليه شاق .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

(٤) رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٥) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

وإذا أردت أن تعرف :

أحب الكلام الى الله عز وجل بعد القرآن

فاليــك :

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »[١] .

وفى وجه آخر : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع ــ وهن من القرآن ــ : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »[٢] .

وفى أثر آخر : « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس »[٣] .

وابدأ ذكرك بالاستغفار .

وحسبك ترغيبا لك فيه قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : **« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »**[٤] وقــوله : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**[٥] وقوله على لسان سيدنا نوح عليه السلام : **« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا »**[٦] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) عزاه السيوطى فى « الجامع الصغير » الى الامام احمد عن رجل وعلم عليه بالصحة وليس فيه : « بعد القرآن » ولا « وهى من القرآن » .

(٣) رواه مسلم .

(٤) الانفال : ٣٣

(٥) النساء : ١١٠

(٦) نوح : ١٠ ــ ١٢

وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كلّ ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم »[٢] .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا »[٣] .

ومن أهم صيغه :

« ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »[٤] .

«لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين »[٥] .

« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم »[٦] .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لي وتب على ، انك أنت التواب الرحيم »[٧] .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف »[٨] .

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد :

اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجه باسناد جيد .
(٤) الأعراف : ٢٣
(٥) الأنبياء : ٨٧
(٦) حديث شريف متفق عليه ، وفى رواية أخرى : « ظلما كبيرا » .
(٧) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٨) رواه أبو داوود والترمذى ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم .

من قالها بالنهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة »(١) .

* * *

فاذكر كل هذا مع ملاحظة ما روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »(٢) .

وفى رواية أخرى : « ينزل الله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك .. أنا الملك .. من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر »(٣)

وفى رواية : « اذا مضى شطر الليل ـــ أو ثلثاه ـــ » .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الأخير فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن »(٤) .

وكن من : « **المستغفرين بالأسحار** »(٥) .

« ... **واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار** »(٦) .

« ... **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** »(٧) .

وحسبك : أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول :

« انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة »(٨) .

---

(١) رواه البخارى ، و « أبوء » أى أعترف .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) آل عمران : بلفظ « ... والمستغفرين » .

(٦) غافر : ٥٥

(٧) محمد : ١٩

(٨) رواه مسلم .

ويقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »[١] .

وأكثر من التهليل وهو الذكر : بلا اله الا الله ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك »[٣] .

مع ملاحظة أنها : كلمة التوحيد ، وكلمة الاخلاص ، وكلمة التقوى ، والكلمة الطيبة ، ودعوة الحق ، والعروة الوثقى ، وثمن الجنة .

وأن معناها : لا معبود بحق الا الله .

ولهـذا كان :

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »[٤] .

وكان أسعد الناس بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من قال :

« لا اله الا الله خالصا من قلبه ـ أو نفسه »[٥] . وجاء فى معنى اخلاصها : عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا[٦] دخل الجنة ، قيل : وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله »[٧] .

وأكثر كذلك من التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة ، تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله :

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .

(٢) رواه الترمذى بسنده .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه الحاكم وقال عنه : انه صحيح الاسناد .

(٥) رواه البخارى .

(٦) اى معتقدا لمعناها ، والا كان منافقا .

(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، الا انه قال : « أن تحجزه عما حرم الله عليه » .

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه وأدبار السجود »[١] •

« وسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن الليل فسبحه وادبار النجوم »[٢] •

« فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا »[٣] •

* * *

وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »[٤] •

« لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس »[٥] •

« أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، لا يضر بأيهن بدأت »[٦] •

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله »[٧] •

واعلم : أن كل شيء فى هذا الملكوت يسبح الله تبارك وتعالى ، وفى ذلك يقول سبحانه : **« وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم »**[٨] ويقول : **« سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »**[٩] •

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع :

أن سليمان عليه السلام عندما كان على بعد ثلاثة أميال من وادى النمل سمع النملة تقول لبنى جنسها : **« يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها**

---

(١) سورة ق : ٣٩ ، ٤٠ (٢) الطور : ٤٨ ، ٤٩

(٣) النصر : ٣

(٤) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمرو •

(٥) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة •

(٦) رواه مسلم وابن ماجه عن سمرة بن جندب •

(٧) رواه احمد وابو يعلى والنسائى عن أبى سعيد الخُدرى •

(٨) الاسراء : ٤٤ (٩) الحديد : ١

وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »[١] •

ثم أمر جنده بأن ينتظروا بعيدا عن وادى النمل الذى قيل انه بالطائف — أو بالشام — حتى يدخل النمل مساكنه •

وعندما ذهبت النملة بعد ذلك لكى تشكره عاتبها قائلا : لم حذرت النمل •• أخفت من ظلمى ؟ أما علمت أنى نبى عدل ؟ فلم قلت : **« لا يحطمنكم سليمان وجنــوده »** ؟ فقالت : أما سمعت قــولى : **« وهم لا يشعرون »** مع أنى لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب ، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح والذكر •

واعلم كذلك أن معناه : تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك فى الخلق ، وعن الشريك فى القدرة أو الارادة ، أو المنح ، أو المنع •

فكن من أجل كل هذا من أولى الألباب :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض »[٢] ، ثم يقولون : **« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »**[٣] •

* * *

وتأمل كذلك هذا الأثر الذى يحكى : أن رجلا من الصالحين مر على رجل ضربه الفالج والدود يتناثر من جنبيه ، وأعمى وأصم وهو يقول : « الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه • فتعجب الرجل ثم قال له : يا أخى •• ما الذى عافاك الله منه ؛ لقد رأيت جميع المصائب وقد تزاحمت عليك ؟ فقال له : اليك عنى يا بطال ، فانه عافانى اذ أطلق لى لسانا يوحده ، وقلبا يعرفه ، وفى كل وقت يذكره •• ثم قال :

حمــدت الله ربى اذ هــدانى   الى الاســلام والدين الحنيف
فيذكره لســانى كلّ وقتٍ   ويعـــرفه فؤادى باللطيف

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد أن صلى عليه

---

(١) النمل : ١٨ ، ١٩
(٢) آل عمران : ١٩١
(٣) آل عمران : ١٩١

مع ملائكته ، فيقول : « **ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما(١) »(٢)** •

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغبنا فى الصلاة والسلام عليه فيقول :

« من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا »(٣) •

ويقول : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة »(٤) •

ويقول : « البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على »(٥) •

فهذا معناه : أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة باتفاق العلماء ، وان كانوا قد اختلفوا فى تعين الواجب :

فعند الامام مالك رضى الله عنه : تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة •

وعند الامام الشافعى رضى الله عنه : تجب فى التشهد الأخير من كل فرض •

وعند غيرهما : تجب فى كل مجلس مرة •

وقيل : تجب عند ذكره صلى الله عليه وسلم •

* * *

وحتى تعرف أهميتها وتكثر من الذكر بها اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله •• أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : الثلثين ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : فصلاتى كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك »(٦) •

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال : « يا أيها الناس •• اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبى بن كعب :

---

(١) الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن المؤمنين دعاء •

(٢) الأحزاب : ٥٦ (٣) رواه مسلم •

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن •

(٥) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح •

(٦) رواه الطبرانى ، والمراد الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ •

فقلت : يا رسول الله .. انى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟
قال : « ما شئت » قال : قلت : الربع ؟
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خـــير لك » قال : فقلت : فالثلث ؟
قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قال : قلت : النصف ؟
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خير لك » قال : قلت : أجعل صلاتى كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك »(١) .

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوبة فى كل وقت ، غير أنه صلى الله عليه وسلم قد حث عليها فى يوم الجمعة بالذات لمـا فيه من البركة والنور .

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة ، وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام »(٢) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على » قالوا : يا رسول الله .. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ــ يعنى بليت ــ فقال :
« ان الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »(٣) .

* * *

وأفضل صيغ الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه ما روى :
عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال :
أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له ابن بسير بن ســـعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رســـول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
(٢) رواه ابن ماجه باسناد جيد .
(٣) رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .. والسلام كما قد علمتم »[١] .

وعن رويفع بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : اللهم صل على محمد ، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى »[٢] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة[٣] فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه .

قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا :

اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، امام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة .

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد »[٤] .

* * *

وهناك صيغ كثيرة من المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عرفوا قدره ، قد لا تحصى ولا تعد ، وكلها تؤكد الصلة الوثيقة بينهم وبين هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين والذى لولاه لما كان هناك نور ، ولظل العالم أجمع الى يومنا هذا فى ضلال مبين .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الكبير والاوسط ، وبعضهم اسانيدهم حسنة ، وكذلك رواه الامام أحمد .

(٣) أى اتقنوها وجودوها واذكروه فيها بما هو اهله .

(٤) رواه ابن ماجه موقوفا باسناد حسن .

وحول هذا المعنى الكبير يقول امامنـــا السبكى عليه رحمة الله (فى مقاماته العلية) :

يقــول طه لعمــوم الانس   وغيرهم غراســكم من غرسى
(وهو الذى أنشأكم من نفس)   لولا وجودى وطلوع شمسى
لم تبــدلوا من طيكم بالنشر

يقول طه لجميــع الخــلق   لولا وجودى وظهور برقى
(ما أنزل الله لكــم من رزق)   ولم يكن أمــدكم بودق[1]
لكن لعين ألف عين تجرى

كما يقول عليه رحمة الله معبرا عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرغبا فى الصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه :

طه الذى عم الأنام بـفضـله   ساد النبيين الأولى من قبله
هو صفوة البارى وخاتم رسله   يا أيهــا المستمسكون بحبله
ان تبتغــوا أجرا يكون جــزيلا   صــلوا عليه بكرة وأصــيلا
الله أدناه اليــــه وقـــربا   فعــلا مقاما لم ينله أولو النبا
وله يقول : أبشر فأنت المجتبى   أهلا وســهلا بالحبيب ومرحبا
أنت الذى تستوجب التفضيلا   صــــلوا عليه بكرة وأصــيلا
ملأت نبوته الوجود وأظهــرا   بحسامه الدين الصحيح فأسفرا
واستبشرت فرحا ببعثته الورى   ومحا الضـــلال كما بذلك خبرا
نص الكتاب مفصلا تفصــيلا   صـــلوا عليه بكرة وأصــيلا
والسحب لا تحكى عطاياه فمــا   أنداه بحــرا بالسخاء وأكرما
أنعم بمن أسنى الكمال له انتمى   مولاه قد صلى عليه وسلما
من لم يصل عليه كان بخيــــلا   صـــلوا عليه بكرة وأصــيلا

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واذكر الله بكرة وأصيلا . و :

ان شئت من بعد الضلالة تهتدى   صل على الهادى البشير محمد
يا فــوز من صلى عليه فانه   يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى

وقد قيل : ان للمصلين على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عشر كرامات :

---

(١) الودق : اى المطر .

احداهن : صلاة الغفار ، الثانية : شفاعة النبى المختار ، الثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار ، الرابعة : مخالفة المنافقين والكفار ، الخامسة : محو الخطايا والأوزار ، السادسة : قضاء الحوائج والأوطار ، السابعة : تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة : النجاة من النار ، التاسعة : دخول دار القرار ، العاشرة : سلام الملك لغفار •

يا قومنا صلوا عليه فتظفروا ... بالبشر والعيش الهنى الأرغد
ويخصكم رب الأنام بفضله ... بأفاضل الجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله ... ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

* * *

وتذكر :

أن فى الجنة ملائكة يغرسون الأشجار للذاكرين فاذا ترك الذاكر الذكر توقف الملك عن الغرس وقال : ترك صاحبى الذكر •

وأن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر كما نرى نحن النجوم فى السماء •

وأن من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكراه كل شىء ، وحفظ الله عليه كل شىء ، وكان له عوضا من كل شىء[1] •

وأن ذكر اللسان حسنات ، وذكر القلب قربات ودرجات •

وابحث عن قلبك فى ثلاث مواطن : عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة •

فان لم تجده فى هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فانه لا قلب لك[2] •

واعلم أن :

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر
اخلاء بطن ، وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

* * *

وأما عن الصدقة التى يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاكثار منها فهى باب من أبواب الخير بنص الحديث الشريف

---

(١) اثر لذى النون المصرى •

(٢) من كلام الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه •

الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء المـاء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين » .

واذا كانت الصدقة تطفىء الخطيئة كما ورد فى الحديث فهى أيضا تطفىء غضب الرب سبحانه وتعالى كما ورد فى حديث آخر قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« ان الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء »[١] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يرغب فى الصدقة ويحث عليها فيقول :

عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد ليتصدق بالكسرة[٢] تربو عند الله عز وجل حتى تكون مثل أحد »[٣] .

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله ليربى لأحدكم الثمرة كما يربى أحدكم فلوه[٤] أو فصيله[٥] حتى تكون مثل أحد »[٦] .

وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى منها الا كتفها . قال : « بقى كلها غير كتفها »[٧] .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة .. استترى من النار ، ولو بشق تمرة[٨] ، فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان »[٩] .

وعن ميمونة بنت سعد أنها قالت : يا رسول الله .. أفتنا

---

(١) رواه الترمذى فى جامعه من حديث انس بن مالك .
(٢) أى القطعة من الخبز . (٣) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٤) هو المهر اول ما يولد .
(٥) أى ولد الناقة الى أن يفصل عن امه .
(٦) رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٨) أى نصفها .
(٩) اى تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع . رواه احمد باسناد حسن.

عن الصدقة[١] فقال : « انها حجاب من النار لمن احتسبها[٢] يبتغى بها وجه الله عز وجل »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبق درهم مائة درهم » فقال رجل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه[٤] مائة درهم تصدق بها ، ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به »[٥] .

ولا شك أنه تصدق به وهو أحوج ما يكون اليه فكان أدل على اخلاص صاحبه وشدة رغبته فى الصدقة وفى هذا يقول تعالى : **« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »**[٦] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب فى الصدقة بهذه الصورة التى وقفت عليها فقد بين فى أحاديث أخرى أفضل الصدقات التى تكون للمتصدق أكثر ثوابا ، وأعظم أجرا ، ومن هذه الأحاديث ما روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله .. أى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد المقل[٧] وابدأ بمن تعول »[٨] .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. من أبر ؟ قال : « أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب »[٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل رجل مولاه من فضل[١٠] هو عنده فيمنعه اياه ، الا دعى له يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعا أقرع »[١١] .

---

(١) أى حدثنا عن اجر الصدقة وفضيلتها .

(٢) أى ادخرها عند الله . (٣) رواه الطبرانى .

(٤) أى من جانبه .

(٥) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم

(٦) الحشر : ٩ (٧) أى القليل المال .

(٨) رواه أبو داوود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٩) كالأخت والأخ ، ثم العمة والعم ، ثم الخال والخالة .. وهكذا .

(١٠) المراد ما زاد عن حاجته .

(١١) رواه أبو داوود واللفظ له والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن

وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم[1] ثنتان : صدقة ، وصلة »[2] .

فاذكر كل هذا مع ملاحظة :

قول الله تبارك وتعالى : **« ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »**[3] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر »[4] .

فهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... وكثرة الصدقة فى السر والعلانية » .

وذلك حتى يكون هناك الاخلاص الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح قال فيه : « ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[5] .

والا رفض الله تعالى صدقتك كما جاء فى قوله تعالى : **« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس »**[6] .

ثم اليك هذه الآثار التى أرجو أن تنتفع بها :

كان رجل من قوم صالح قد آذاهم ، فقالوا : يا نبى الله .. ادع الله عليه ، فقال : اذهبوا فقد كفيتموه . وكان يخرج كل يوم يحتطب . قال : فخرج يومئذ ومعه رغيفان ، فأكل أحدهما وتصدق بالآخر . قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما فلم يصبه شىء ، قال : فدعاه صالح ، وقال : أى شىء صنعت اليوم ؟ قال : خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر . فقال صالح عليه السلام : حل حطبك ، فحله فاذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع

---

(١) اى ذوى القربى المحتاجين .

(٢) رواه النسائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٣) البقرة : ٢٧١

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن .

(٥) من حديث رواه البخارى ومسلم .

(٦) البقرة : ٢٦٤

عاض على جذع من الحطب ، فقال : بهذا دفع عنك • يعنى بالصدقة •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن نفرا مروا على عيسى عليه السلام فقال : يموت أحد هؤلاء اليوم ان شاء الله تعـالى ، فمضوا ثم رجعوا عليه سالمين بالعشى ومعهم حزم حطب • فقال : ضعوا ، وقال للذى قال انه يموت اليوم : حل حطبك ، فحله فاذا فيه حية سوداء ، فقال : ما عملت اليوم ؟ قال : ما عملت شيئا ، الا أنه كان معى فى يدى فلقة من خبز فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها ، فقال له سيدنا عيسى عليه السلام : بها دفع عنك •

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل أتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه ، فشكا ذلك الطائر الى الله تعالى ما يفعل به ، فأوحى الله تعالى اليه : ان عاد فسأهلكه • فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل الى وكره على العادة ليأخذ أولاده ، فلما كان فى طرف القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر ثم وضع سلمه فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران اليه ، فقالا : ربنا •• انك لا تخلف الميعاد ، وقد وعدتنا أنك تهلك هذا اذا عاد ، فقد أخذ فرخينا ولم تهلكه • فأوحى الله اليهما : ألم تعلما أنى لا أهلك أحدا تصدق فى يومه بميتة سوء » •

وفى الحديث ما يؤكد هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا بالصدقة ، فان البلاء لا يتخطى الصدقة »[١] • وباكروا : أى عجلوا ، وبادروا بالصدقة لأنها تدفع البلاء وتمنعه من نزوله •

وعن وهب بن منبه قال : بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبى لها يدب بين يديها اذ جاءها سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى ، فجعلت تعدو خلفه وهى تقول : يا ذئب •• ابنى • فبعث الله ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به اليهـا وقال : لقمة بلقمـــة •

وقيل ان قصارا[٢] كان فى زمن سيدنا عيسى عليه السلام يهرش

---

(١) رواه البيهقى مرفوعا وموقوفا على انس •
(٢) القصار : هو الحطاب •

على الناس أقمشتهم ، فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعو عليه ، فدعا عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب الشمس ، واذا القصار قد دخل ورزمته على رأسه ، فعجبوا من ذلك وأتوا عيسى عليه السلام ، فطلبه فحضر برزمته فقال : افتح رزمتك ، ففتحها ، فاذا فيها ثعبان عظيم مطوق قد ألجم بلجام من حديد ، فقال له سيدنا عيسى : ما صنعت اليوم من الخير ؟ قال : ما صنعت شيئا الا أن رجلا نزل من صومعته فشكا الى جوعا فدفعت له رغيفا كان معى • فقال له عيسى عليه السلام : ان الله بعث اليك هذا العدو ، فلما تصدقت أمر الله ملكا فألجمه بهذا اللجـــام •

* * *

فتذكر كل هذا وكن من المتصدقين الشاكرين لله تعالى على ما أعطاهم بالمعنى الصحيح حتى تكون من الذين قال الله سبحانه وتعالى فى حقهم : **« ان المتقين فى جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليـــلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »**(١) •

وحتى لا تكون من : **« الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »**(٢) •

واياك اياك أن تكون من هؤلاء الذين تحدث الله عنهم فى قوله :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون »(٣) •

واياك كذلك أن تكون بعيدا عن ميادين الخير حتى اذا جاءك ملك الموت قلت كما قال القائل الغافل الذى حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه فى كتابه العزيز : **« رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين »**(٤) •

---

(١) الذاريات : ١٥ ـــ ١٩

(٢) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ بلفظ **« ••• والذين »** •

(٣) التوبة : ٧٥ ـــ ٧٧ (٤) المنافقون : ١٠

واعلم .. أنه من آثار الصدقة : الاستظلال بها يوم القيامة واكرام الله للمتصدق وتأمينه يوم الفزع الأكبر ، فقد ورد عن يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير مرثد بن عبد الله حدثه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل امرىء فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس — أو يحكم بين الناس — » قال أبو زيد : وكان أبو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشىء ولو كعكة أو بصلة أو كذا[١] .

وأنه : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا »[٢] .

وأن : « كل سلامى[٣] من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس » قال : « تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها — أو ترفع له عليها متاعه — صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط[٤] الأذى عن الطريق صدقة »[٥] .

وأن : « كل تسبيحة صدقة ، وتهليلة صدقة ، وتكبيرة صدقة ، وتحميدة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، ويجزىء أحدكم من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى »[٦] .

وأن : « كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى انائه »[٧] .

وأن : « على كل مسلم صدقة » قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قيل : أرأيت ان لم يستطع أن يفعل ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل : أرأيت ان لم يستطع ؟

---

(١) اخرجه احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . (٢) اخرجه مسلم .

(٣) اى مفصل ، وفى الانسان ٣٦٠ مفصل .

(٤) تميط الأذى ، اى تنحيه عن الطريق كالشوك والحجر .

(٥) اخرجه احمد والشيخان ، وهذا لفظ مسلم .

(٦) من حديث اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والنسائى والبيهقى .

(٧) اخرجه احمد والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح ، واخرج مسلم صدره عن حذيفة ، والحديث رواه جابر .

قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قيل : أرأيت ان لم يفعل • قال : « يمسك عن الشر فان له صدقة »[١] •

و : « اذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا »[٢] •

قال الامام السبكى رحمه الله فى كتابه « الدين الخالص »[٣] :

(والحديث) محمول على ما اذا علمت المرأة والخادم رضا رب المـال بالتصدق منه • أما ان علم عدم رضاه أو شك فيه فلا يجوز لغيره التصدق من ماله الا باذن صريح ، وفرق بعض العلماء بين الزوجة والخادم بأن الزوجة : لها النظر فى مال الزوج والتصرف فى بيته ، فلها أن تتصدق بالمعتاد بلا اسراف •

وأما الخادم : فليس له التصدق من مال سيده الا باذن صريح •

وقال أبو أمامة الباهلى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبة عام حجة الوداع : « لا تنفق المرأة شيئا من بيت زوجها الا باذن زوجها » قيل : يا رسول الله •• ولا الطعام ؟ قال : « ذاك من أفضل أموالنا »[٤] •

وأن : الصالح التقى الواقف عند الحدود القائم بحق العبـاد والمعبود الذى ترجى بركته وتستجاب دعوته ، أولى بالصدقة من غيره ، وفى الحديث الشريف : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعـامك الا تقى »[٥] •

واذا أردت أن لا يقطع عملك الصالح بعد موتك فاليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[٦] •

---

(١) اخرجه احمد والشيخان والنسائى •

(٢) أخرجه الستة وابن حبان •

(٣) الجزء الثامن ص ٢٤٦

(٤) أخرجه الترمذى وحسنه •

(٥) اخرجه احمد وأبو داوود والترمذى وابن حبان والحاكم وقال : صحيح ، واقره الذهبى •

(٦) أخرجه احمد ومسلم والثلاثة •

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع تجرى عليهم أجورهم بعد الموت : رجل مات مرابطا فى سبيل الله ، ورجل علم علما فأجره يجرى عليه ما عمل به ، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجرى عليه ما جرت عليه ، ورجل ترك ولدا صالحا يدعو له »[١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أن الله تعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك »[٢] .

* * *

ولله در الحافظ السيوطى عليه رحمة الله ، فلقد قال فى هذا نظما :

اذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى ... اليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر

* * *

فشمر يا أخى عن ساعديك ، و :

بادر الى التوبة فى وقتها ... فالمرء مرهون بما قد جناه
وانتهز الفرصة ان أمكنت ... ما فاز بالكرم[٣] سوى من جناه

و :

تب الى الله قبل أن تموت
وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تشغل ،
وصل الذى بينك وبين ربك :
بكثرة ذكرك له ، وكثرة الصدقة ،
فى السر والعلانية
حتى ترزق ، وتنصر ، وتجبر ...

* * *

---

(١) اخرجه احمد والطبرانى ، وفيه ابن لهيعة ورجل لم يسم ، لكن حسنه السيوطى لثبوته بالحديث السابق .

(٢) اخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) اى العنب .

الوصية الثانية والعشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى • قال :

« **لا تغضب** » •

فردد مرارا • قال :

« **لا تغضب** » •

(رواه البخارى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية الجامعة لخصال الخير ، والتى تؤكد بعد نظر أستاذ الأساتذة ، ونابغة العصور ، وحسبه فخرا أن الله سبحانه وتعالى قد أدبه فأحسن تأديبه ، حتى كان أهلا لأن يتوجه الله سبحانه وتعالى بقــوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[1] فكان قدوة صالحة وأسوة حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، وكان سيدا للأولين والآخــرين •

فهو هنا فى هذه الوصية التى بين يديك يقول للرجل الذى سأله أن يوصيه : « لا تغضب » وعندما يكرر الرجل المطلب يقول له أيضا : « لا تغضب » • وذلك لأن الغضب : هو ثوران دم القلب ، وارادة الانتقام ، وفى الحديث : « اتقوا الغضب فانه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » •

وعن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وســلم قال : قال رجل : يا رســول الله •• أوصنى • قال : « لا تغضب » قال : ففكرت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما قال ، فاذا الغضب يجمع الشر كله[2] •

---

(١) القلم : ٤

(٢) رواه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح •

وهذا المعنى الأخير هو ما أريد أن يفهمه كل مسلم يريد أن يقوم أخلاقه ، وينتصر على شيطانه لأن الانسان اذا غضب لا يبالى بما يرتكب من الحماقات والمخالفات والمنكرات .

ولهذا كان البطل الحقيقى كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو : من يملك نفسه عند الغضب ، فقد روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة[١] انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[٢] .

وفى رواية أخرى : « ليس الشديد من غلب الناس ، وانما الشديد من غلب نفسه »[٣] ، وغلب نفسه : أى قهرها وكسر شهوتها للانتقام وتنفيذ الغضب .

ولهذا أيضا كان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع الانتصار على النفس والتغلب عليها :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه[٤] ، وستر عليه برحمته ، وأدخله فى محبته[٥] : من اذا أعطى شكر ، واذا قدر غفر[٦] ، واذا غضب فتر »[٧] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دفع غضبه[٨] دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته »[٩] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) أى ليس القوى الذى يغلب الناس ويصرعهم بقوته .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) رواها ابن حبان فى صحيحه مختصرة .

(٤) أى ضمه الى حضرته وحماه بحمايته وأحاطه برعايته ، والكنف : اى الجانب .

(٥) وفى رواية : « وأدخله جنته » .

(٦) اى اذا قدر على الانتقام ممن آذاه صفح عنه وغفر له أساءته .

(٧) اى انكسرت حدته . رواه الحاكم من رواية عمر بن راشد وقال : صحيح الاسناد .

(٨) اى كفه وقاومه .

(٩) اى عيوبه ونقائصه . رواه الطبرانى فى الأوسط .

عليه وسلم : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله »[١] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفـذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق[٢] حتى يخيره من الحور العين ما شاء »[٣] .

بل لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لأصحابه ولأمته الى قيام الساعة فى الحلم ، والرفق ، والأناة ، فقد روى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما[٤] ، ما لم يكن اثما[٥] . فان كان ثم[٦] اثم كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شيء قط ، الا أن تنتهك حرمة الله[٧] ، فينتقم لله تعالى »[٨] .

يقول أنس رضى الله عنه : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد[٩] نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى ، فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك[١٠] .

فالتفت اليه ، فضحك ثم أمر له بعطاء »[١١] .

---

(١) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .
(٢) يعنى على مشهد من أهل الموقف كلهم .
(٣) أى يختار منهن ما أحب . رواه أبو داوود والترمذى وحسنه ابن ماجه .
(٤) اى أسهلهما وأخفهما كلفا . (٥) يعنى معصية .
(٦) بمعنى هناك .
(٧) وفى رواية : « حرمات الله » بالجمع .
(٨) وفى رواية : « فينتقم بها الله » رواه البخارى ومسلم .
(٩) نوع من الثياب معروف .
(١٠) وفى بعض الروايات : « فانك لا تأمر لى من مالك ولا من مال أبيك » .
(١١) وفى بعض الروايات أنه قال له : « ويقاد منك يا أعرابى ؟ فقال : لا . فقال : لم ؟ فقال : لأنك لا تجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو وتصفح » . رواه البخارى ومسلم .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه ، فأدموه[١] وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون »[٢] .

وذات يوم بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر رضى الله عنه فآذاه[٣] ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر[٤] فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أوجدت على يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك[٥] ، فلما انتصرت ذهب الملك ، وقعد الشيطان[٦] ، فلم أكن لأجلس اذن مع الشيطان »[٧] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف الداء كما رأينا ، فقد تبين كذلك أنه قد عرف دواءه ، كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة التى منها ما روى :

عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب ، والا فليضطجع »[٨] .

وعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : استب رجلان[٩] عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ، ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا[١٠] : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقام الى الرجل رجل ممن سمع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل تدرى

---

(١) اى اسالوا دمه . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) اى سبه . (٤) يعنى رد عليه .

(٥) يعنى كلما قال لك شيئا قال له الملك : كذبت .

(٦) وفى رواية : « وحضر الشيطان » .

(٧) رواه أبو داوود هكذا مرسلا ومتصلا من طريق محمد بن غيلان ، وذكر البخارى فى تاريخه ان المرسل أصح .

(٨) رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه .

(٩) يعنى تشاتما وتهاجيا . (١٠) يعنى هذا الذى اعتراه .

ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ؟ قال : لا . قال : قال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقال له الرجل : أمجنونا ترانى[1] ؟

وعن أبى وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدة فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الغضب من الشيطان[2] ، وان الشيطان خلق من النار وانمـا تطفأ النار بالمـاء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ »[3] .

وفى حديث طويل رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى آخره : « ... ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه[4] ، فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض »[5] .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :

ونفذ أمره تعالى فى قوله : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »**[6] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« ادفع بالتى هى أحسن »** قال : الصبر عند الغضب ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم »[7] .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : « أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم »[8] .

ومعنى ادفع : أى ادفع السيئة وقابلهـا بالتى هى أحسن من الصفح والعفو .

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) أى ان باعثه ومهيجه هو الشيطان . (٣) رواه ابو داوود .

(٤) هى ما يحيط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح .

(٥) أى فليقعد اذا كان قائما فان ذهب غضبه والا فليضطجع .

(٦) فصلت : ٣٤ (٧) ذكره البخارى تعليقا .

(٨) ذكره ابن كثير .

ومن أجمل الآثار التى قرأتها فى هذا الموضوع الحيوى :

يحكى أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شابا حسن الهيئة ، جميل المنظر نظيف الملابس ، راكبا دابة قوية نشيطة ، فسأل ، فقيل له : هذا الحسن بن على بن أبى طالب ، فامتلأ قلبه حسدا له ، وحقدا عليه ، وتقدم اليه وقال له : أأنت ابن أبى طالب ؟ فقال الحسن : أنا ابن ابنه • فقال الرجل : لقد قلت فيك وفى أبيك كلاما قبيحا أشتمكما به ، وذكر له ذلك الكلام • فقال الحسن : أظنك غريبا ، فقال الرجل : نعم • فقال الحسن : اذا احتجت الى منزل أسكنتك ، أو الى مال أعطيتك ، أو الى حاجة ساعدتك • فعجب الرجل من حلم الحسن رضى الله عنه ، وانصرف وهو يقول : ليس على وجه الأرض شىء أحب الى من هذا الشاب ، أسأت اليه فأحسن الى •

وشتم رجل أبا ذر رضى الله عنه ، فقال له : يا هذا •• لا تستغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع الله فيه •

وقال معاوية رضى الله عنه : لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم •

وله رضى الله عنه فى الحلم أخبار مشهورة ، منها :

أنه كتب الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شىء جرى بينهما يقول : من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب ، أما بعد •• يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب مناف ، وصفوة هاشم ، فأين أخلاقكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، ولقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ، ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى •

فكتب اليه عقيل :

صدقت وقلت حقا غير أنى   أرى أن لا أراك ولا ترانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع •

وأنه كان له أرض وعبيد بجوار أرض عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فدخل فيها عبيده ، فكتب اليه يقول : أما بعد •• يا معاوية ان عبيدك دخلوا أرضى فانههم عن ذلك ، والا كان لى ولك شأن ، والسلام • فلما وقف على الكتاب دفعه لولده يزيد ، وقال له : ما ترى ؟ قال :

أرى أن نبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه •
فقال له : غير هذا خير ، ثم كتب كتابا يقول فيه : أما بعد •• فقد
وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءنى
ما ساءه ، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه ، وقد نزلت عن
أرضى لك ، فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والأموال •• والسلام •

فلما وقف ابن الزبير عليه كتب اليه : قد وقفت على كتاب
أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش
هذا المحل •• والسلام •

فلما وقف معاوية عليه رمى به الى ابنه ، فلما رآه تهلل وجهه
وأسفر ، فقال له : يا بنى •• من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز
استمال عليه القلوب فاذا ابتليت بشىء من هذه الأمور فداوه بمثل
هذا الدواء •

وأنه قسم قطفا فأعطى شيخا من أهل الشام قطيفة فلم تعجبه ،
فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه فأخبره • فقال له معاوية :
أوف بنذرك ، وليرفق الشيخ بالشيخ •

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كلاما ، فقال عمر :
أردت أن يستفزنى الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله
منى غدا ، فانصرف رحمك الله •

وقال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ، ورجل يشتمه ،
فما ترك عيبا الا ذكره ، فلما فرغ ، قال له عمرو : آجرك الله على ما ذكرت
من صواب ، وغفر لك ما ذكرت من خطأ • قال خالد : فما حسدت أحدا
حسدى لعمرو على هاتين الكلمتين •

وحكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت
عشرا ، فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة •

وشتم رجل الشعبى الفقيه فقال له : ان كنت صادقا يغفر الله لى ،
وان كنت كاذبا ، يغفر الله لك •

وحكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له ،
وقال له : اذا غضبت فناولنيه ، وكان فيه : مالك والغضب ، انما أنت
بشر ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء •

وكان بعض ملوك الطائف اذا غضب ألقى عنده مفاتيح مقابر
الملوك ، فيزول غضبه •

هذا ولا يفوتنى بعــد أن وقفت على كل هذه الحقائق الحيوية والنماذج الموضوعية أن أشير الى حقيقة هامة ، وهى :

ان الانتصار الحقيقى على الحساد والمنافسين لا يتحقق الا بالعمل الجاد فى ميادين العلم والعمل اللذين هما أساس كل فلاح ونجاح :

فالعلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والكرم

لهذا : كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول :

تعــلم فليس المرء يولد عالمــا وليس أخــو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنــده صــغير اذا التفت عليه المحافل

* * *

وحسبى بعد هذه اللفتة الهامة أن أقرأ معك قول القائل الذى عرف وانتفع :

عــداتى لهم فضــل على ومنة فلا أبعد الله عنى الأعاديا
هموا خبروا عن مذلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

* * *

بل وحسبى حتى تعرف حقيقة الانتصار العلمى ، وتذوق حلاوته وتحرص على أن تكون من أهله :

أن أسوق اليك هذا الخبر الذى يحكى : أن بعض فطاحل العلماء فى العراق كانوا يحقدون على الامام الشافعى رضى الله عنه ويكيدون له : لأنه كان متفوقا عليهم فى العلم والحكمة ، وكان متربعا على قلوب أكثر طلاب العلم والمعرفة الذين أصبحوا لا يحرصون الا على مجلسه ، ولا يقتنعون الا برأيه وعلمه •

ولهذا اتفق هؤلاء العلماء الحاقدين على الامام الشافعى ، فيما بينهم على تحضير بعض الأسئلة المعقدة ، وفى أسلوب الألغاز ، حتى يختبروا بها ذكاء الشافعى ومقدار تضلعه وادراكه أمام الخليفة الرشيد الذى كان يحب الشافعى ويثنى عليه كثيرا •

وبعد أن وضعوا الأسئلة أخبروا الخليفة الذى حضر المناظرة ، واستمع الى الأسئلة التى أجاب عليها الامام الشافعى رضى الله عنه بكل ذكاء وفصاحة والتى كانت على النحو الآتى :

س ١ : ما قولك فى رجل ذبح شاة فى منزله ، ثم خرج لحاجة وعاد ، فقال لأهله ، كلوا أنتم الشاة فقد حرمت على • فقال أهله : ونحن حرمت علينا كذلك •

جـ ١ : ان هذا الرجل كان مشركا فذبح الشاة على اسم الأنصاب ، وخرج من منزله لبعض المهمات ، فهداه الله تعالى الى الاسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله باسلامه أسلموا هم أيضا فحرمت عليهم الشاة كذلك •

س ٢ : ما قولك فى رجل هرب له غلام[1] فقال : هو حر ان أكلت طعاما حتى أجده ، فكيف المخرج له عما قال ؟

جـ ٢ : يهب الغلام لبعض أولاده ، ثم يأكل ، ثم بعد ذلك يسترد ما وهب •

س ٣ : شرب مسلمان عاقلان حران الخمر يحد أحدهما ولا يحد الآخـــر ؟

جـ ٣ : ان أحدهما كان بالغا ، والآخر كان صبيا •

س ٤ : لقى امرأتان غلامين ، فقالتا : مرحبا بابنينا ، وزوجينا ، وابنى زوجينا ؟

جـ ٤ : ان الغلامين كانا ابنى المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها : فكان الغلامين ابنيهما ، وزوجيهما ، وابنى زوجيهما •

س ٥ : أخذ رجل قدح ماء ليشرب ، فشرب نصه حلالا ، وحرم ، عليه بقية ما فى القدح ؟

جـ ٥ : ان الرجل شرب نصف القدح ورعف فى المـــاء الباقى فى القدح ، فاختلط الدم بالمـــاء فصار محرما عليه •

س ٦ : زنا خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم الرجم ، وثالثهم الحد ، ورابعهم نصف الحد ، وخامسهم لا شىء عليه ؟

جـ ٦ : استحل الأول الزنا فصار مرتدا فوجب عليه القتل ، والثانى كان محصنا[2] ، والثالث كان غير محصن ، والرابع كان عبدا ، والخامس كان مجنونا •

س ٧ : رجل صلى ولمـــا سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولمـــا سلم عن يساره بطلت صـــلاته ، ولمـــا نظر الى السماء وجب عليه دفع ألف درهم ؟

---

(١) اى عبد مملوك .

(٢) اي متزوجا .

ج ٧ : لمـــا سلم الرجل عن يمينه رأى شخصا تزوج هو[1] امرأته فى غيبته ، فلما رآه حضر طلقت زوجته منه ، ولمـــا نظر عن شماله رأى نجاسة فى ثوبه فبطلت صلاته ، ولمـــا نظر الى السماء رأى الهلال وقد ظهر فى السماء وكان غليه دين ألف درهم يستحق سداده فى أول الشهر من ظهور الهلال .

س ٨ : كان امام يصلى مع أربعة نفر فى مسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الامام فلما سلم الامام عن يمينه ورأى ذلك الرجل وجب على الامام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد الى أساسه .

ج ٨ : ان الرجل القادم كانت له زوجة وسافر وتركها فى بيت أخيه ، فقتل الامام هذا الأخ وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتا للمقتول ، فجعله الامام مسجدا .

س ٩ : أعطى رجل لامرأته كيسا مملوءا مختوما وطلب اليها أن تفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهى ان فعلت شيئا من ذلك فهى طالق .

ج ٩ : ان الكيس كان مملوءا بالسكر أو الملح ، وما على المرأة الا أن تضعه فى المـــاء فيذوب ما فيه .

س ١٠ : رأى رجل وامرأة غلامين فى الطريق فقبلاهما ، ولمـــا سئلا فى ذلك ؟ قال الرجل : أبى جدهما ، وأخى عمهما ، وزوجتى امرأة أبيهما ، وقالت المرأة : أمى جدتهما وأختى خالتهما .

ج ١٠ : ان الرجل كان أبا للغلامين ، والمرأة أمهما .

س ١١ : كان رجلان فوق سطح منزل فسقط أحدهما فمات ، فحرمت على الآخر امرأته .

ج ١١ : ان الرجل الذى سقط فمات كان مزوجا ابنته من عبده الذى كان معه فوق السطح ، فلما مات الرجل أصبحت البنت تملك ذلك العبد الذى هو زوجها فحرمت عليه .

الى هنا ولم يستطع الرشيد الذى كان حاضرا تلك المساجلة اخفاء اعجابه من ذكاء الشافعى ، وسرعة خاطره ، وجودة فهمه ، وحسن

---

(١) اى المصلى .

ادراكه وقال : لله در بنى عبد مناف ، فقد بينت فأحسنت ، وفسرت فابلغت ، وعبرت فأفصحت •

فقال الشافعى : أطال الله عمر أمين المؤمنين ، انى سائل هؤلاء العلماء فى مسألة ، فان أجابوا عليها فالحمد لله ، والا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عنى شرهم •

فقال الرشيد : لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعى •• فقال لهم الشافعى :

مات رجل عن ٦٠٠ درهم فلم تنل أخته من هذه التركة الا درهم واحد ، فكيف كان الظرف فى توزيع التركة ؟

فنظر العلماء بعضهم الى بعض طويلا ، ولم يستطع أحدهم الاجابة على السؤال ، وأخذ العرق يهطل من جباههم ، ولما طال بهم السكوت ، قال الخليفة : قل لهم الجواب يا شافعى •

فقال الشافعى بعد أن تورط هؤلاء الذين أرادوا أن يفقدوه مكانته عند الخليفة الذى كان يحبه حبا جما لعلمه وتقواه :

مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثنى عشر أخا ، وأخت واحدة •

فأخذت البنتان الثلثين وهو : ٤٠٠ درهم ، وأخذت الأم السدس ، وهو : ١٠٠ درهم ، وأخذت الزوجة الثمن وهو : ٧٥ درهم ، وأخذ الاثنا عشر أخا ٢٤ درهما ، فبقى درهم واحد أخذته الأخت •

فتبسم الرشيد وقال : أكثر الله فى أهلى منك وأمر له بألفى دينار فتسلمها الشافعى ووزعها على خدم القصر وحاشيته •

* * *

وهكذا أخا الاسلام كما رأيت يستطيع الانسان بعلمه وصموده أن يتغلب على حاسديه ومنافسيه الذين ما أعلنوا الحرب عليه الا لأنه أعظم منهم •

وفى هذا يقول ايليا أبو ماضى فى قصيدة له تحت عنوان « ابتسم » :

قال السماء كئيبة وتجهما	قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال الليالى جرعتنى علقما	قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
قال العدى حولى علت صيحاتهم	أأسر والأعداء حولى فى الحمى
قلت ابتسم لن يطلبوك بذمهم	ما لم تكن منهم أجل وأعظما

* * *

فلاحظ يا أخي كل هذا وتعمق فى فهمه ، ولا تنس هذه الأقوال المأثورة حتى لا تغضب :

قال على رضى الله عنه لولده الحسن عليه رضوان الله : احذر الغضب ، فانه يسفه الحليم ، ويطيش العالم ، ويفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل •

وروى : أن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال لعلى رضى الله تعالى عنه : ما الذى يباعدنى عن غضب الله عز وجل ؟ قال : أن لا تغضب •

وحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال :

ما عادانى أحد قط الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال :

ان كان أعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى رفعت قدرى عنه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه • فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه الى الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ، ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فأحلم دائبا ... أصون به عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أو هفا ... تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم

ومن أقوال الحكماء :

أحب مكارم الأخلاق جهدى ... وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

* من غرس شجرة الحلم اجتنى ثموة السلم •
* الحلم حجاب الآفات •
* غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله •
* اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا ، وأوجعته عقابا •
* ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن :

لا يعرف الجواد الا فى العسرة ، والشجاع الا فى الحرب ، والحليم الا فى الغضب •

ليست الأحلام فى حال الرضا ... انما الأحلام فى حال الغضب

* من كثر شططه كثر غلطه •
* أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل : اذا غضب •

* فى اغضائك ، راحة أعضائك .
* ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام .
* الحلم والأناة[١] توأمان نتيجتهما علو الهمة .
* ما شىء أشـد على الشيطان من عالم معه حلم ، ان تكلم تكلم بعلم ، وان سكت سكت بحلم ، ويقول الشيطان : سكوته أشد على من كلامه .

وكان أبو بكر رضى الله عنه كثير العلم شديد الحلم ، قال له رجل يوما : والله لأسبنك سبا يدخل القبر معك ، فقال له : معك يدخل لا معى .

* * *

واعـلم :

أن الغضب قد يكون فى بعض المواضع أنفع من الحلم كما قال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولـما أنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وسلم قال له : لا يفضض الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية .

وقال على كرم الله وجهه : الخـير بالخير والبادىء أكرم ، والشر بالشر والبادىء أظلم .

وفى هذا المعنى يقول المتنبى :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

كما يقول أحد الحكماء :

اذا زل الكريم فكن حليما فان الحلم حينئذ مزية
وان جاء اللئيم اليك عمدا بما كسبت يداه من الأسية
ولم يخضع لعفوك باعتراف فعجل بالمكافأة القوية
فان الحر يكفيه ملام وان العبد تصلحه الأذية
فعامل كل انسان بحلم وفى هذا ترى فصل القضية

* * *

(١) تأنى فى الأمر ، أى ترفق ، والاسم : الأناة .

الوصية الثالثة والعشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال :
يا رسول الله .. انى أريد السفر ، فأوصنى . قال :
« عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف » .
فلما ولى الرجل قال :
« اللهم اطو له الأرض وهون عليه السفر » .
(رواه الترمذى بسند حسن)

* * *

فكن أخا الاسلام :
متعمقا فى فهم ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل الذى أراد السفر فطلب منه أن يزوده بوصية من وصاياه الغالية تخفف عنه متاعب السفر الذى ورد فى الخبر أنه قطعة من العذاب[1] وتحفظه فى غدوه ورواحه من الشرور والآثام :

* (عليك بتقوى الله) :
وحسبك حتى تدرك أهمية التقوى أن تقرأ قول الله تعالى :
« وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب »[2] .
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه :
« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله »[3] .
وأن تعلم أنها السلاح الوحيد الذى يستطيع المؤمن به أن يواجه جميع العقبات ، وينتصر على جميع الأزمات بدليل قوله تعالى :
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب »[4] .
وأنها السبيل الى الفلاح بدليل قوله تعالى :
« واتقوا الله لعلكم تفلحون »[5] .

---

(١) هو بعض حديث شريف اخرجه مالك واحمد والشيخان عن أبى هريرة .
(٢) البقرة : ١٩٧
(٣) راجع الوصية الثالثة ص ٢٢ من هذا الكتاب .
(٤) الطلاق : ٢ ، ٣
(٥) البقرة : ١٨٩

بل وهى السبيل الى الجنة والأجر العظيم وفى ذلك يقول تعالى :

« **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار** »(١) .

« **للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** »(٢) .

« **والآخرة خير لمن اتقى** »(٣) .

***

ولهذا أوصانا الله سبحانه وتعالى بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا كما جاء فى قوله تعالى :

« **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله** »(٤) .

***

كما أوصى بها الأنبياء أقوامهم وفى ذلك يقول تعالى :

« **اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون** »(٥) .

« **اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون** »(٦) .

« **اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون** »(٧) .

« **اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون** »(٨) .

« **اذ قال لهم شعيب ألا تتقون** »(٩) .

« **وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه ألا تتقون** »(١٠) .

***

وحتى تعرف أيضا حقيقة التقوى بالاضافة الى ما قرأته سابقا اليك أيضا هذه الأقوال المـأثورة :

التقوى : فى الطاعة يراد بها الاخلاص ، وفى المعصية يراد بها الترك والحذر .

وقيل : المحافظة على آداب الشريعة .

وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى .

وقيل : أن لا ترى فى نفسك شيئا سوى الله .

وقيل : أن لا ترى نفسك خيرا من أحد .

وقيل : ترك ما دون الله .

---

(١) آل عمران : ١٥ — (٢) آل عمران : ١٧٢

(٣) النساء : ٧٧ — (٤) النساء : ١٣١

(٥ — ٩) الشعراء : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٧٧

(١٠) الصافات : ١٢٣ ، ١٢٤

وقيل : الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا •
وقيل : الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته •

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى وصفها :

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير الى خير •

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، ليكون حجابا بينه وبين الحرام فان الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه فقال : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »[1] • فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ، ولا شيئا من الشر أن تتقيه •

* * *

وأما عن المتقين فمن أجمل ما قرأت فى وصفهم :

أن عابدا يقال له همام جاء الى الامام على كرم الله وجهه وقال له : صف لى المتقين حتى كأنى أنظر اليهم ؟ فقال عليه رضوان الله :

هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى ربهم ، عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم • قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة • وصبروا أياما قصيرة ، أعقبتهم راحلة طويلة ، تجارة رابحة سيرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها • أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلا ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت أنفسهم اليها شوقا ، واذا مروا بآية فيها تخويف صغوا اليها بمسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ،

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨

فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم ، وأما النهـار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض •

لا يرضون من أعمـالهم بالقليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له ، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بنفسى منى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة فى الدين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتخرجا عن طمع • يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، مكظوما غيظه ، ميتة شهوته ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه . فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور ، ولا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، ولا يضيع ما استحفظ . ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضر بالجار ، ولا يشمت بالمصائب •

ان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، وليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة •

* * *

وقال موسى بن أعين رحمه الله : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله المتقين •

وقال سفيان الثورى رحمه الله : انما سموا متقين لأنهم إتقوا مالا يتقى ، فهو سبحانه أهل أن يتقى ، ويخشى ، ويهاب ، ويجل ، ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه ، لمـا يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس •

* * *

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالتقوى التى أوصى الله سبحانه وتعالى بها كما عرفت ، كذلك كان أصحابه عليهم جميعا رضوان الله يوصي بعضهم بعضا بالتقوى ، فقد روى :

أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى خطبته : « أما بعد .. فانى أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة ، وتجمعوا الالحاف فى المسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : **« انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين »**[1] .

ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله ، دعاه فوصاه بوصية قال فى أولها : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابنه عبد الله عليه رضوان الله : أما بعد .. فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فانه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك .

واستعمل على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، لابد لك من لقاه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف .

وكتب الى رجل : أوصيك بتقــوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم الا أهلها ، ولا يثبت الا عليها ، فان الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله واياك من المتقين .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصنى . فقال : أوصيك بتقوى الله والاحسان ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال له رجل – يريد الحج – : أوصنى . فقال له : اتق الله ، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا . فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل : **« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »**[2]

---

(١) الأنبياء : ٩٠ . (٢) النحل : ١٢٨

وكتب رجل من السلف الى أخ له : أوصيك بتقوى الله فانها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله واياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها •

وكتب رجل منهم أيضاً الى أخ له : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فانها خير زاد الآخرة والأولى • واجعلها الى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلنا بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون •

* * *

فمن كل هذا يتضح لك أن التقوى هي خير زاد للناس عامة ، وللمسافر خاصة حتى يكون فى حفظ الله ورعايته ، وقد يكون هذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى وصية أخرى: « احفظ الله يحفظك » •

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيه كذلك بأن يكبر على كل شرف[1] فذلك حتى يكون مؤتنسا فى وحشته وغربته بالكبير المتعال ، والقوى العزيز الذى لا يقهر . والذى يقول كما جاء فى الحديث القدسى : « ••• وأنا معه اذا ذكرنى » وحسبه أن الله معه •

* * *

هذا : وللسفر آداب ذكرها الامام النووى فى كتاب « الأذكار » أجملها وبايجاز فيما يلى : قال عليه رحمة الله : اذا استقر عزم المسافر على السفر اجتهد فى تحصيل أمور ، منها :

أن يوصى بما يحتاج الى الوصية به ، وليشهد على وصيته ، ويستحل كل من بينه وبينه معاملة فى شىء أو مصاحبة ويسترضى والديه ، وشيوخه ومن يندب الى بره واستعطافه ، ويتوب الى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات ، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره ، وليجتهد فى تعلم ما يحتاج اليه فى سفره :

فان كان غازيا : تعلم ما يحتاج اليه الغازى من أمور القتال والدعوات وأمور الغنائم ، وتعظيم تحريم الهزيمة فى القتال ، وغير ذلك •

وان كان حاجا أو معتمرا : تعلم مناسك الحج أو استصحب معه كتابا بذلك ، ولو تعلمها واستصحب كتابا كان أفضل •

---

(١) الشرف بفتحتين : المكان المرتفع .

وان كان تاجرا : تعلم ما يحتاج اليه من أمور البيوع وما يصح منها وما يبطل ، وما يحل ويحرم ، ويستحب ويكره ويباح ، وما يرجح على غيره •

وان كان متعبدا سائحا معتزلا للناس تعلم ما يحتاج اليه فى أمور دينه ، فهذا أهم ما ينبغى له أن يطلبه •

وان كان ممن يصيد : تعلم ما يحتاج اليه أهل الصيد ، وما يحل من الحيوان وما يحرم ، وما يحل به الصيد وما يحرم ، وما يشترط ذكاته وما يكفى فيه قتل الكلب أو السهم وغير ذلك •

وان كان راعيا : تعلم ما يحتاج اليه مما قدمناه فى حق غيره ممن يعتزل الناس ، وتعلم ما يحتاج اليه من الرفق بالدواب وطلب النصيحة لها ولأهلها • والاعتناء بحفظها والتيقظ لذلك ، واستأذن أهلها فى ذبح ما يحتاج الى ذبحه فى بعض الأوقات لعارض وغير ذلك •

وان كان رسولا من سلطان الى سلطان أو نحوه : اهتم بتعلم ما يحتاج اليه من آداب مخاطبات الكبار وجوابات ما يعرض فى المحاورات ، وما يحل من الضيافات والهدايا وما لا يحل ، وما يجب عليه من مراعاة النصيحة واظهار ما يبطنه ، وعدم الغش والخداع والنفاق ، والحذر من التسبب الى مقدمات الغدر أو غيره مما يحرم وغير ذلك •

وان كان وكيلا أو عاملا فى قراض أو نحوه : تعلم ما يحتاج اليه مما يجوز أن يشتريه ومالا يجوز ، وما يجوز أن يبيع به ومالا يجوز ، وما يجوز التصرف فيه ومالا يجوز ، وما يشترط الاشهاد فيه ومالا يشترط ، وما يجوز له من الأسفار ومالا يجوز •

ويستحب أن يكون السفر يوم الخميس ، لقول كعب بن مالك : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر لم يسافر الا يوم الخميس »[1] •

وفى رواية : « قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج اذا أراد سفرا الا يوم الخميس »[2] •

ومنه يعلم أن الحصر فى الرواية الأولى بالنظر الى الغالب •

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود وفى سنده احمد بن لهيعة .
(٢) اخرجه احمد والبخارى وابو داوود بسند جيد .

وحكمة ذلك : أن الخميس يوم مبارك ترفع فيه أعمال العباد الى الله تعالى .

ويستحب لمريد السفر طلب الوصية والدعاء من أهل الخير والصلاح .

ويستحب توديع المسافر : لقول سالم بن عبد الله : « كان أبى عبد الله بن عمر اذا أتاه الرجل وهو يريد السفر قال له :

ادن أودعك الله كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يودعنا فيقول : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »[١] .

ولقول أبى موسى بن وردان : قال أبو هريرة لرجل : « أودعك كما ودعنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أو كما ودع رسول الله : أستودعك الله الذى لا يضيع ودائعه »[٢] .

ويستحب لمريد السفر أن يودع من يخلفه لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه »[٣] .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوته فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا »[٤] .

ويستحب لمريد السفر أن يصلى ركعتين قبل خروجه يقرأ فيهما بعد الفاتحة ما شاء ، لحديث المقطم بن المقدام أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا »[٥] .

ويستحب لمريد السفر : اتخاذ رفيق يأنس به ويتعاون معه على مشاق السفر ، لحديث عمر رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوحدة : أن يبيت الرجل وحده ، أو يسافر وحده »[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وزاد فى رواية : « واقرأ عليك السلام » .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والنسائى فى « اليوم والليلة » بسند حسن

(٣) أخرجه أحمد وابن السنى ، وكذا الطبرانى بلفظ : « استودعك الله الذى لا تخيب ودائعه » .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والطبرانى فى الأوسط .

(٥) أخرجه الطبرانى وكذا ابن شيبة مرسلا .

(٦) أخرجه أحمد وحسنه السيوطى .

وحكمة النهى عن ذلك أن الواحد لو مات فى سفره لم يجد من يقوم بشأنه ، وكذا الاثنان اذا ماتا أو مات أحدهما لم يجد الآخر من يعينه بخلاف الثلاثة ففى الغالب أنه لا يخشى عليهم شىء من ذلك .

ولذلك ورد فى الحديث : « الراكب شيطان[1] والراكبان شيطانان والثلاثة ركب »[2] .

ويستحب لمريد السفر : أن يستشير فيه من يعلم منه النصيحة والشفقة والصلاح والاستقامة لقوله تعالى : **« وشاورهم فى الأمر »**[3] ثم يستخير الله فيصلى ركعتين من غير الفريضة ويدعو بدعاء الاستخارة وهو كما ورد فى الحديث : عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول :

« اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ـ أو قال : عاجل أمرى وآجله ـ فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ـ أو قال : عاجل أمرى وآجله ـ فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » قال : ويسمى حاجته[4] .

فان شرح الله صدره فهذا خير ينبغى أن يسير فيه وان وجد انقباضا فى صدره فهو شر ينبغى أن يبتعد عنه ، وان لم يجد شيئا كرر الصلاة والدعاء الى سبع مرات .

مع ملاحظة : أن ما ألفه الناس من الاستخارة المنامية أو الكف ، أو الفنجان ، أو السبحة ، أو الكوتشينة ، لا أصل له وهو من المنكرات والضلالات لأنه لا يعلم الغيب الا الله ، وقد ورد فى الحديث الشريف :

---

(١) المسافر وحده راكبا او ماشيا .

(٢) اخرجه مالك واحمد والاربعة بسند حسن ، وصححه ابن خزيمة والحاكم .

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٤) رواه البخارى .

أن من جلس بين يدى كاهن أو عراف يستنبئه الغيب فقد كفر بما أنزل الله على سيد الكائنات صلوات الله وسلامه عليه .

ويستحب وصية المقيم المسافر بالدعاء له فى مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر ، لقول عمر : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن لى وقال : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وفى رواية : « أشركنا يا أخى فى دعائك » فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيـــا[1] .

ويستحب الدعاء فى السفر فانه مستجاب : لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »[2] ولحديث أنس رضى الله عنه أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر »[3] .

ويستحب للمسافر أن يدعو بالأدعية الواردة عند نهوضه وخروجه وركوبه ونحوها وغير ذلك ليرضى عنه ربه ويحفظه فى سفره .

فقد ورد عن أنس رضى الله عنه أنه قال : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم لك انتشرت ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى ومالا أهتم له ، وما أنت أعلم به ، اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير أينما توجهت » ثم يخرج[4] .

وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره ، فقال حين يخرج : باسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، الا رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شر ذلك المخـــرج »[5] .

---

(١) أخرجه ابو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) اخرجه احمد وابو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه ، والبخارى فى « الأدب » .

(٣) اخرجه الضياء المقدسى فى « المختارة » والبيهقى .

(٤) اخرجه ابن جرير .

(٥) اخرجه احمد بسند فيه رجل لم يسم وبقيته ثقات .

وعن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا قال : « اللهم بك أصول ، وبك أحول ، وبك أسير »[١] .

وعن على بن ربيعة أنه قال : رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال : « بسم الله . فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون . ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعل مثل مافعلت ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لى ، ويقول : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى »[٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا أراد أن يخرج الى سفر قال : « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من الضبنة[٣] فى السفر والكآبة فى المنقلب ، اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر » .

واذا أراد الرجوع قال : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » واذا دخل على أهله قال : « توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا »[٤] .

ويستحب لمن قدم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتى القدوم وأن يجلس من يقصد للسلام عليه فى مكان بارز سهل على زائريه ، وألا يأتى أهله بغتة ، لقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سفر فلما قدمنا المدينة قال لى : « ادخل المسجد فصل ركعتين »[٥] .

ولقول كعب بن مالك رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يقدم من سفر الا نهارا[٦] فى الضحى ، فاذا قدم بدأ بالمسجد

---

(١) اخرجه البزاز بن أحمد فى زوائد المسند بسند رجاله ثقات .

(٢) اخرجه احمد والثلاثة بأسانيد صحيحه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) ما تحت يدك من مال وعيال .

(٤) اخرجه احمد والطبرانى والبزار بسند رجاله رجال الصحيح .

(٥) اخرجه البخارى ومسلم .

(٦) التقيد بالنهار باعتبار الغالب .

فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيأتيه الناس فيسلمون عليه »[١] .
ولقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسلم، لا يطرق أهله ليلا ، كان يدخل عليهم غدوة أو عشية »[٢] . الغدوة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، والعشية : ما بعد الزوال الى الغروب .

والمراد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى من سفره ليلا مكث بالمسجد حتى يصلى الصبح ثم يذهب الى بيته ، واذا أتى نهارا مكث به ولا يدخل بيته الا فى العشية ، والحكمة فى ذلك أن يستعد أهله له بتنظيف البيت وتغيير الملابس الغير نظيفة ، وكان هذا تعليما لأصحابه .

ويستحب لمن قدم من سفر ودخل بيته أن يقول : توبا توبا لربنا أوبا ، لا يغادر حوبا . لقول ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره فدخل على أهله قال : « توبا توبا ، لربنا أوبا لا يغادر حوبا »[٣] .

ويستحب أن يقال لمن قدم من سفر : الحمد لله الذى سلمك ، الحمد لله الذى جمع الشمل بك ، لقول عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما دخل استقبلته فأخذت بيده فقلت : الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك »[٤] .

ويستحب لمن له أكثر من زوجة وأراد السفر باحداهن : أن يقرع بينهن تطبيبا لخاطرهن ، فمن خرج سهمها أخذها معه لقول عائشة رضى الله عنها « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه »[٥] وفى رواية أخرى : « كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه »[٦] .

(١ ، ٢) اخرجه احمد والبخارى ومسلم .
(٣) الأوب : من آب اذا رجع ، والحوب : الاثم . اخرجه ابن السنى وكذا البزار وابو يعلى بلفظ آخر ، واخرجه احمد والطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .
(٤) اخرجه ابن السنى . (٥) اخرجه احمد والبخارى .
(٦) اخرجه البخارى ومسلم وابو داوود وابن ماجه .

وكيفية القرعة : أن يؤخذ خاتم هذا ، وخاتم هذا ويوضعان فى جراب أو نحوه فيخرج واحد منهما ، وقيل : يكتب اسم كل فى ورقة وتطوى ثم توضع فى جراب ونحوه ، فمن خرجت ورقته فهو صاحب القـــرعة .

مع ملاحظة هذا الحكم : لا يحل للمرأة السفر ولو للحج الا مع محرم[١] لقول أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة الا مع ذى محرم من أهلها »[٢] .

ولمـــا كانت هناك أحكام أخرى تتعلق بالسفر فقد رأيت اتماما للفائدة وباختصار أن أختم بها حديثى معك ، وحتى لا أطيل عليك فاليـــك :

اذا أردت سفرا طويلا أو قصيرا فاقصر الصلاة الرباعية لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم »[٣] .

ولم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم دليل صحيح صريح يفيد تحديد مسافة القصر ، وان كان هناك خلاف بين الأئمة فى هذا .

قال فى « الدين الخالص » : ان الأحاديث وردت مصرحة بالسفر مطلقا ، وبالسفر يوما وليلة ويومين وثلاثة أيام فصاعدا ، وأن كل ذلك يسمى سفرا .

ولظاهر الآية التى يقول تعالى فيها : **« واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة »**[٤] فظاهر الآية يتناول كل ضرب فى الأرض[٥] .

---

(١) والمحرم كل من حرم عليه نكاح المراة على التأبيد لسبب مباح لحرمتها

(٢) اخرجه ابن خزيمة والجماعة الا النسائى .

(٣) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه وابن حبان بسند رجاله ثقات .

(٤) النســـاء : ١٠١

(٥) هناك كلام كثير بين الائمة وخلاصته هذا ، وسوف أعود باذن الله تعالى الى هذا الموضوع بتوسع فى كتاب « من أعمال الرسول » ﷺ .

ولا يصلى مسافر خلف مقيم أو مسافر يتم الصلاة ، فان اقتدى المسافر بمن ذكر لزمه الاتمام ، ولو أدركه فى التشهد الأخير .

وتصح امامة المسافر لمسافر مثله ولمقيم ، على أن يتم المقيم الصلاة بعد سلام الامام .

والصلاة فى السفينة والقطار والطائرة جائزة ، وتتوجه الى القبلة فى أول الصلاة ، فان استدار القطار عن القبلة واستطعت أن تستدير بغير مشقة فافعل ، والا فكن على حالتك وصل ولا يضرك التحويل عن القبلة سواء أكنت جالسا أو قائما .

ويشترط مجاوزة المسافر محل اقامته من الجانب الذى خرج منه لقول ابن المنذر : ولا أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قصر فى سفر من أسفاره الا بعد خروجه من المدينة .

ويستمر المسافر يقصر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الاقامة خمسة عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لاقامته لقول ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما : « اذا قدمت بلدة وأنت مسافر وفى نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة بها ، وان كنت لا تدرى متى تظعن فاقصرها »[1] حتى ترجع وان طالت المدة .

ووطنك الذى تتم فيه الصلاة هو محل اقامتك ، فاذا ولدت أو نشأت بالاسكندرية مثلا وانتقلت الى القاهرة مستوطنا أتممت بالقاهرة ، وقصرت بالاسكندرية .

والسنن القبلية والبعدية أنت مخير فى أدائها ولا تقصر ، وسنة الصبح والوتر مؤكدة فى السفر .

ويجوز الجمع : بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمع تقديم وتأخير عند الضرورة . فاذا صليت الظهر وأردت السفر ، وعلمت أنك لن تدرك العصر فى وقته ، ولن تستطيع أداءه فى القطار من قيام ، فصله بعد الفراغ من صلاة الظهر مباشرة جمع تقديم ، وان وصلت قبل المغرب فلا تعد صلاة العصر واذا سافرت قبل الظهر ولم تتمكن من أدائه قياما فى القطار ووصلت بعد العصر فصل الظهر ثم العصر جمع تأخير ، وكذلك اذا سافرت قبل المغرب فاجمع بينه وبين العشاء

---

(١) اخرجه الطحاوى .

جمع تأخير ، واذا لم يتيسر لك الجمع وخفت ضياع الوقت فصله في القطار أو السيارة من قيام أو جلوس ، مستقبل القبلة أو غير مستقبل لها بحسب الاستطاعة ، وان لم يتيسر لك الوضوء في مثل هذه الحالة فتيمم .

واذا جمعت بين صلاتين فأذن للأولى فقط ، وأقم للأولى والثانية .

واعلم أن العصر لا يجمع مع المغرب بحال من الأحوال ، كذلك الصبح لا يجمع مع أى صلاة .

وأن القصر في السفر أفضل من الاتمام ولو لم يكن فيه مشقة لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه .

وأنه يباح السفر يوم الجمعة ، على أن يصلى بدلها الظهر ركعتين قصرا ، وان صلاها فلا حرج .

* * *

وأخيرا أخا الاسلام :

فقد رأيت وبعد هذا العرض السريع لأحكام السفر (الدنيوى) وآدابه ، أن أدور معك حول ما يذكرنى واياك بالسفر (الأخروى) الطويل الذى يجب علينا أن نعمل له ولما بعده ألف حساب قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى لا زلنا نتمتع بها :

— ألا وهى وجودنا الى هذه اللحظة فى هذه الحياة الأولى — وقبل أن نندم ونقول كما قال القائل الذى لم يغتنم فرصة وجوده فى هذه الحياة حتى انتهت أيامه كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

« رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون »(١) .

* * *

ولهذا ومن أجل كل هذا : كان لابد وأن يستعد الانسان العاقل لهذا السفر الطويل الذى أشرت اليه — أعلاه — حتى اذا ما فارق هذه الدنيا كان سعيدا هناك — فى الدار الآخرة — بما قدم من أعمال صالحة تضمن له الفوز والنجاة يوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى : **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**(٢) .

---

(١) المنافقون : ١٠ ، ١١ (٢) النبأ : ٤٠

ولله در أبى الدرداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

« أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

* * *

وهذا هو ما أريد أن أركز عليه فى هذا التلخيص الموضوعى السريع الذى خلاصته : أن الانسان فى هذه الدنيا له أيام أو لحظات ستنتهى حتما — طالت أم قصرت — وبعدها سيفارق هذه الدنيا الى عالم الحساب الذى سيعرض عليه فيه كتابه كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

« وكل انسان ألزمناه طائره[1] فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[2] .

* * *

وحسبى وحتى لا أطيل عليك واختصارا للموضوع أن أسوق اليك هذا الحديث الشريف الذى قرأته فى كتاب « مع الله » للشيخ محمد الغزالى ، والذى أورده الامام الغزالى رحمه الله ضمن رسالة أرسلها الى أحد الملوك ليعظه ، وهاك نصه :

« يحشر الأغنياء أربع فرق :

رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال ، فيقال : قفوا هذا وسلوه : لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر فى الصلاة ، أو فى وضوئها ، أو فى ركوعها ، أو فى سجودها ، أو فى خشوعها ، أو ضيع شـيئا من فرض الزكاة والحج ؟ فيقول الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقته فى حلال ، وما ضيعت شيئا من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها . فيقال : لعلك باهيت بمالك ،

---

(١) اى عمله .

(٢) الاسراء : ١٣ ، ١٤ .

واختلت فى شىء من ثيابك ؟ فيقول : يا رب .. ما باهيت بمالى ، ولا اختلت فى شىء من ثيابى . فيقال: لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ؟ ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر فى حقنا . فان ظهر تقصيره ، ذهب الى النار ، والا قيل له : قف .. هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسئل ويسئل ... » .

ثم يقول الامام الغزالى بعد هذا الحديث الشريف : فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله ، فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات ... ؟

* * *

فمن كل هذا كما رأيت يتبين لك خطورة الموقف وما بعده من أحوال ، اللهم الا اذا كانت هناك أعمال صالحة تحول بين الانسان وهذه الأحوال التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله :

« ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا . فويل يومئذ للمكذبين . الذين هم فى خوض يلعبون . يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . هذه النار التى كنتم بها تكذبون »(١) .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بآيتين :

« ان المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون »(٢) .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، وقدم لنفسك خيرا ينفعك :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »(٣) .

و :

قدم لنفسك خيرا   وأنت مالك مالك
من قبل تصبح فردا   ولون حالك حالك
ولست والله تدرى   أى المسالك سالك
اما جنة عدن   أو فى المهالك هالك

---

(١) الطور : ٧ ــ ١٤   (٢) الطور : ١٧ ــ ١٩
(٣) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

واعمل دائما وأبدا ليوم رحيلك وأنت تذكر قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغـير زاد

* * *

وتذكر أيضا قول على رضى الله عنه :

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه » .

* * *

وكن دائما وأبدا من الفطناء الذين تحدث عنهم القائل فى قوله :

ان لله عبـــادا فطنـــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيهـا فلمـا علموا أنهـا ليست لحى وطنـا
جعلوها لجة[1] واتخـذوا صالح الأعمـال فيها سـفنا

* * *

*** وختـــاما ..**

اليك هذه الوصية اللقمانية التى أرجو أن تكون لك زادا فى جميع أسـفارك :

يا بنى .. اذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم ، وأكثر التبسم فى وجوههم ، وكن كريما على زادك ، واذا دعوك فأجبهم ، واذا استعانوك فأعنهم ، واذا سـألوك فأعطهم ، واذا أنزلوا بك حاجة أو كلفوك أمرا فتبرع لهم ، وقل : نعم ، ولا تقل لا ، فان (لا) عى و (لا) لؤم ، واذا استشهدت فاشهد ، واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر ، واسمع لمن هو أكبر منك .

واذا أراد أصحابك يمشون فامش معهم ، أو يعملون فاعمل معهم ، واحذر أن تشير برأى مالا تدرى ، واذا تحيرتم فى طريقكم فانزلوا واذا شككتم فى القصد فتآمروا ، واذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن الطريق ، ولا تسترشدوه ، فان الشخص الواحد فى الفلاة مريب ، ولعله يكون عينا للصوص ، أو يكون هو الشيطان الذى حيركم ، واحذروا الشخصين أيضا الا أن تروا مالا أرى ، فان العاقل اذا أبصر

---

(١) لجة : أى بحرا .

شيئا بعينه عرف الحق بقلبه والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، واذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها لشيء وصلوها في وقتها واستريحوا منها فانها دين من ديون الله ، وصلوها في جماعة ولو على طرف زج ، ولا تنامن على دابتك فان ذلك سريع في دبرها ، واذا نزلت منزلا فابدأ بعلفها قبل نفسك فانها نفسك ، واذا أردتم النزول فعليكم من الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشبا ، واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تقعد ، واذا استطعت أن لا تأكل طعاما حتى يبدو فتصدق منه فافعل ، وعليك بقراءة كتاب الله ما كنت راكبا ، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا ، وعليك بالدعاء ما كنت خاليا .

واذا أردت الحاجة فأبعد المذهب في الأرض واستتر ما استطعت ثم استنق بالطوب ، واذا رحلت فصل ركعتين قبل أن تركب وودع الأرض التي خليتها وسلم على أهلها ، فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة ، واياك والسير من أول الليل ، فانه مسايرة الجن ومخاطرة شرهم ، وعليك بالتعريس حينئذ وبالدلجة دون نصف الليل الى آخره .

واياكم ورفع صوتكم في مسيركم فانكم تؤذنون بكم اللصوص وتدلون بكم السباع ، وسافر بقوسك وسيفك وعمامتك وحذائك واشفالك ومخرزك ومحذاك وملتك وابرك وخيوطك ، وتزود معك من الأدوية فتنتفع بها وتنفع بها من يليك ، وكن لأصحابك موافقا ، ولهم في جميع الأمور مواتيا الا في معصية الله .

اذا رافقت في الأسفار قوما ... فكن لهم كذى الرحم الشفيق
يعيب النفس ذا بصره وعلم ... وأعمى العين عن عيب الرفيق
عليك معالى الأخلاق فيهـا ... ولا تسفف الى الخلق الدقيق
ولا تأخـذ بعـثرة كل قوم ... ولكن قل : هلم الى الطريق
فان تأخـذ بعثرتهم يقولوا ... وتبقى في الزمان بلا صـديق

* * *

الوصية الرابعة والعشرون

عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :

« لا يموتن أحـــدكم الا وهو : يحسن الظن بالله عز وجل » .

(رواه مسلم وابو داوود)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى زود بها المصطفى صلى الله عليه وسلم كل فرد من أمته قبل انتقاله الى جوار ربه بثلاثة أيام كما يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن لا نفارق الدنيا الا ونحن نحسن الظن بالله عز وجل الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى ... »[1] .

فمن الخير أن تكون حسن الظن بالله عز وجل مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبت الى الله سبحانه وتعالى وندمت على ما فعلت .

وحسبك ترغيبا لك فى هذا قول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »[2] .

فقد روى أن السبب فى نزول هذه الآية : أن قوما قالوا : يا رسول الله .. يغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره ؟ فنزلت هذه الآية .

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم .　　(٢) الزمر : ٥٣

يقول ثوبان رضى الله عنه : لمـا نزلت قال صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » •

ومعناها : أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب •

ويقول سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى شأنها : هى أرجى آية فى القرآن •

وقيل : أرجى آية فى القرآن : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(١) •

وقيل : أرجى آية : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**(٢) •

وقال زين العابدين رضى الله عنه : أرجى آية : **« ولسوف يعطيك ربك فترضى »**(٣) فان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته فى النار •

بل وحسبك أن تقرأ هذا الحديث القدسى الذى رواه ابن مسعود رضى الله عنه : « يقول الله تعالى : يا عبدى •• لم تقنط ؟ أليس أنا الذى أظهرتك ، ولأمانى طوقتك ، مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتنى ، وتنتحى كأنك ما وافقتنى •

عبدى •• ان استقلتنا أقلناك ، وان تبت الينا قبلناك ، وان عزمت على قصدنا أدنيناك ، وان اضطرب دليلك أريناك ، وان عاديت نفسك فى حب ودنا والريناك ، وان بكيت لعوز دوائك داويناك ، وان بكيت لضرك شفيناك ، وان بكيت خشية أحضرناك ، وان بكيت خوفا أمناك ، وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك ••• » •

فكن راجيا رحمة الله ، فهو كما رأيت صاحب الكرم والعطاء الذى يقول كما ورد أيضا فى حديث قدسى :

« ••• وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » ••

* * *

واعلم أن الرجاء هو حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقت لها ، أو مغفرة سيئة تبت منها •

---

(١) النساء : ٤٨ (٢) النساء : ١١٠

(٣) الضحى : ٥

وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور ، وقد نهى الله عنه فقال : **« ولا يغرنكم بالله الغرور »**[١] يعنى الشيطان ، فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه .

وقد وصف الله الراجين بالمعنى الحقيقى فقال متحدثا عنهم بأهم الأعمال التى يرجون رحمة الله تعالى بها : **« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور »**[٢] .

كما ذم الله سبحانه وتعالى من انقطع رجاؤه من فضله تعالى فقال : **« انه لا ييأس من روح[٣] الله الا القوم الكافرون »**[٤] .

* * *

وقد رأيت فى هذا العرض — حتى تكون من الذين يرجون تجارة لن تبور ، وحتى لا تكون من الذين ذمهم الله تعالى فى هذه الآية الأخيرة — أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم »[٥] .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة »[٦] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار » ؟ قلنا : لا والله ، فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها »[٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) لقمان : ٣٣ (٢) فاطر : ٢٩
(٣) أى رحمته . (٤) يوسف : ٨٧
(٥) رواه مسلم وغيره . (٦ — ٧) متفق عليه .

وسلم : « لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتى تغلب غضبى » وفى رواية : « غلبت غضبى » وفى رواية : « سبقت غضبى »(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم عليه السلام :

« رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى »(٢) الآية . وقول عيسى عليه السلام : **« ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »**(٣) فرفع يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى » وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل .. اذهب الى محمد — وربك أعلم — فسله : ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : يا جبريل .. اذهب الى محمد فقل : انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك(٤) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال :

« أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « والذى نفس محمد بيده انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة ، وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود » — أو قال : « الشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر — »(٥) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى : **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »**(٦) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه(٧)

---

(١) متفق عليه .
(٢) ابراهيم : ٣٦
(٣) المائدة : ١١٨
(٤) رواه مسلم .
(٥) متفق عليه .
(٦) متفق عليه — والآية من سورة ابراهيم : ٢٧
(٧) كنفة : ستره ورحمته .

عليه فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب .. أعرف ، قال : فانى قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته »[١] .

وليس هذا معناه أن نتكل على رحمة الله وكرمه دون عمل فقد ورد فى الحديث القدسى : « ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » .

ولهذا قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى حديثه عن الذين كتب لهم رحمته : **« ورحمتى وسعت كل شىء »**[٢] ولو انتهت الآية عند هذا الحد لجاز لابليس — عليه لعنة الله — أن يطالب بدخول الجنة لأنه شىء من الأشـــياء ، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير الذى **« لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها »**[٣] لم يترك للأبالسة احتجاجا ، ولهذا نراه بعد قوله : **« وسعت كل شىء »** يقـــول : **« فسأكتبها[٤] للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهـــاهم عن المنـــكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم[٥] والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه[٦] ونصروه واتبعوا النور[٧] الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »**[٨] .

فاذا كنت من هؤلاء فأنت من أهل الفلاح ، بل وأنت من أهل الرحمة الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وما دمت فى هذه الدنيا فأنت فى دار ابتلاء الى أن تموت ، وفى هذا يقول أحدهم :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا   الا لشـــدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى   كيف الخلاص وكلهم أعدائى

---

(١) متفق عليه .
(٢) الأعراف : ١٥٦
(٣) النساء : ٤٠
(٤) أى الرحمة .
(٥) أى التكاليف الشاقة .
(٦) أى حموه من عدوه حتى لا يناله سوء .
(٧) وهو القرآن .
(٨) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

ولهذا كان لابد وأن تكون مع الرجاء خائفا من الله سبحانه وتعالى الى أن تموت حتى تظل مشمرا عن ساعد الجد فى طاعته سبحانه وتعالى ، فقد ورد فى الحديث الشريف :

« من خاف أدلج[1] ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة »[2] .

ولهذا كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه أزيز اذا وقف يصلى كحس المرجل ، وكان كثير البكاء ، وفى هذا يقول تعالى : **« ان ابراهيم لحليم أواه منيب »**[3] فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : الجبار يقرئك السلام ويقول لك : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟ فقال : يا جبريل .. اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى .

وكان داوود عليه السلام اذا عوتب فى كثرة بكائه يقول : « دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء ، وقبل انحراق العظام ، واشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم ـــ وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـــ اذا وقف يصلى يسمع لدمعه وقع كوقع المطر .

وكان اذا تغيرت الريح تغير وجهه ويتردد خارجا وداخلا خوفا على أمته من عذاب الله تعالى .

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرعد فزعا من الجبار عز وجل » .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـــ وهو الذى أعز الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم[4] ـــ دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى .

---

(١) أدلج ـــ باسكان الدال ـــ اى سار من اول الليل ، والمراد التشمير فى الطاعة .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .   (٣) هود : ٧٥ .

(٤) يوم ان قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين : عمرو بن هشام او عمر بن الخطاب » .

وقرأ عليه رضوان الله : « **اذا الشمس كورت** »[١] فلما بلغ « **واذا الصحف نشرت** »[٢] خر مغشيا عليه ، وسمع مرة أخرى قارئا يقرأ فى سورة الطور فوقف ، فلما بلغ قوله تعالى : « **ان عذاب ربك لواقع • ماله من دافع** »[٣] استند الى الحائط ساعة وذهب الى منزله فمرض شهرا والناس لا يدرون ما سبب مرضه •

وصلى زرارة بن أوفى بالناس صلاة الصبح فلما قرأ : « **فاذا نقر فى الناقور**[٤] • **فذلك يومئذ يوم عسير** »[٥] وقع ميتا رحمه الله تعالى •

ولما نزل قوله تعالى : « **وان جهنم لموعدهم أجمعين** »[٦] صاح سلمان الفارسى صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام •

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه •

واجتمع أصحاب الحديث يوما على باب الفضيل رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ويرجف ، فقال : عليكم بالقرآن ، عليكم بالصلوات ، فهذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق ، هذا زمان : احفظ لسانك ، وليسعك مكانك ، وعالج قلبك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر •

وكان رحمه الله يوما ماشيا فقيل له : الى أين ؟ فقال : لا أدرى • وكان والها من الخوف •

ووقف قوم بعابد يبكى فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم ، قالوا : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله تعالى •

وكان الخواص يبكى ويقول : الهى •• كبرت وضعف جسمى عن خدمتك فأعتقنى •

وكان طاووس يفرش فراشه ويضطجع عليه فيتقلى كما تتقلى

---

(١) التكوير : ١ (٢) التكوير : ١٠

(٣) الطور : ٧ ، ٨

(٤) المراد : نفخ فى الصور لبعث الناس من القبور •

(٥) المدثر : ٨ ، ٩ (٦) الحجر : ٤٣

الحبة فى المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلى الى الصبح ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين •

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا جلس كأنه أسير قدم ليضرب عنقـــه •

وقال رجل لبعض الصالحين : أوصنى • قال : يا أخى •• ان استطعت أن تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع أو تنهشه الهوام ، فهو خائف حذر وجل القلب فهو فى الخوف فى ليله وان أمن المغترون ، وفى الحزن فى نهاره وان فرح البطالون • فقال : زدنى رحمك الله • قال : يا أخى •• الظمآن يجزيه من المـــاء يسيره •

وسمع يحيى البكاء رجلا يقرأ : « **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** »(١) فصاح صيحة مرض منها أربعة أشهر ، يعاد من أطراف البصرة •

هذا •• واعلم أن الخائفين على مراتب :

فخوف العارفين اجلال وتعظيم لـــا غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة فى شىء من أفعاله ، وهذا خوف الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء •

وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة مع فكرتهم فى الجنايات والتفريط ، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة ما يربى على المعاصى الظاهرة كالعيب والرياء والحسد والكبر ونحوها ، وأشـــد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة اذ العبد لا يدرى هل سبق له فى علم الله تعالى السعادة أو الشقاوة ، والخاتمة تجرى على ما جرت به السابقة ، فمن سبق له فى علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الايمان ••• ومن سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخزلان ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : « **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** »(٢) ويقول صلى الله عليه وسلم : « ••• يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا »(٣) وأكثر ما يمكر عند الموت بأربابها

---

(١) الأنعام : ٣٠ (٢) الأنفال : ٢٤

(٣) من حديث شريف صحيح ، رواه مسلم •

البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصى ، فمن كان ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة .

ولهذا روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه : « لو وضع ايمان أبى بكر فى كفة وايمان الأمة فى كفة لرجح ايمان أبى بكر » كان يقول : « لو كانت احدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله »[1] .

وقيل لسفيان الثورى — وقد كان كثير البكاء والجزع — : يا أبا عبد الله .. عليك بالرجاء ، فان عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ، لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه : اقعد عند رأسى حتى أموت ، فان مت على التوحيد فاشتر بجميع ما أملكه لوزا وسكرا ووزعه على صبيان البلد وقل : هذا عرس فلان .

وان لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتى ، فقعد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى اللوز والسكر ووزعه على صبيان البلد .

وكان حبيب العجمى يبكى ويقول : من ختم له بـ « لا اله الا الله » دخل الجنة ، ثم يبكى ويقول : ومن لى بأن يختم لى بـ « لا اله الا الله » .

وقال سفيان الثورى : رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم سلم سلم . فقلت : يا أخى .. ما قضيتك ؟ فقال : كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ، ولم يبق الا أنا فما أدرى بم يختم لى .

وروى أنه اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة : كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا ؟

وكان يحيى بن معاذ يبكى ويقول : الهى ليس يبكينى اليوم ذنب وان عظم ، وانما يبكينى حالتى التى لا أدرى كيف أنا بها عندك ، الهى .. العياذ بذكرك من مكرك ، والاستعانة على قدرك بقدرك ، لا تبل قلبى بالفراق فانه يا رب أضعف من بلى بفراق .

* * *

---

(١) اى استدراجه .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وسل الله أن يثبتك على الحق حتى تلقاه موحدا .

وتذكر دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ... لن يدخل أحدا الجنة عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته »[١] .

وقوله لابنته فاطمة رضى الله عنها : « اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

وقل مع الرجل الصالح :

اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ، ولا تجعله لنا استدراجا ، اجعله لنا سلما الى جنتك ، ولا تجعله مكرا الى مشيئتك ، انك أنت الحليم الغفـور .

* * *

وحتى نعود الى موضوعنا الى ندور حوله والذى هو موضوع الوصية ، اليك ما قاله النووى فى « رياض الصالحين » :

واعلم : أن المختار للعبد فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفى حال المرض بمحض الرجاء .

وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظـاهرة على ذلك .

قال الله تعالى : « **فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون** »[٢] .

وقال : « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »[٣] .

وقال : « **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** »[٤] .

وقال : « **ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم** »[٥] .

وقال : « **ان الأبرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم** »[٦] .

وقال : « **فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية** »[٧] .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء فى آيتين مقترنتين ، أو آيات ، أو آية .

---

(١) من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) الأعراف : ٩٩

(٣) يوسف : ٨٧

(٤) آل عمران : ١٠٦

(٥) الأعراف : ١٦٧

(٦) الانفطار : ١٣ ، ١٤

(٧) القارعة : ٦ — ٩

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضعت الجنازة واحتملها الناس — أو الرجال — على أعناقهم فان كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وان كانت غير صالحة قالت : يا ويلها .. أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعه صعق »[٢] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك »[٣] .

* * *

فلاحظ كل هذا ، مع الاحاطة بأن :

الخوف من مقام الله وحسابه يدعو الى المواظبة على العمل والعلم لتنال رتبة القرب من الله تعالى ، والخوف سوط الله تعالى يقوم به الشاردين عن بابه ، فمن خاف المقام بين يدى ربه يوم العرض ونهى النفس عن هواها وردها عن غيها فان الجنة هى المأوى ، وينبغى للمؤمن أن يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الأهوال ، كثير المحاسبة لنفسه فى عد نعم الله تعالى وعد جنايات نفسه ليدوم بذلك خوفه ، فان الخوف اذا فارق القلب خرب والغالب على النفس الفتور والأمن والكسل عن الطاعات ، والميل الى الشهوات ودواء ذلك الخوف . فأما من دام عليه الخوف حتى مال الى القنوط والاياس من رحمة الله تعالى فينبغى أن يداوى بالرجاء ويذكر سعة رحمة الله تعالى ، فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة ، فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوى بالآخر حتى يرجع الى حد الاعتدال .

وفى الحديث : « ... ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » .

وفائدة الخوف : التقوى والورع والمبادرة والاجتهاد ، فان مال الى حد يخرج عن حد الاعتدال وقع فى القنوط ، وبطل العمل ، وذهبت

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .

فائدة الخوف ، واذا دخل عليه الرجاء والطمع رده الى التقوى والورع ، والمطلوب التقوى ، وانما الخوف والرجاء طريقان .

* * *

وحتى تعرف أهمية الخوف والرجاء وثمرة كل منهما اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** »[١] تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيا عليه فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده[٢] فاذا هو يتحرك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا فتى .. قل : لا اله الا الله » فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله .. أمن بيننا[٣] ؟ قال : أو ما سمعتم قوله تعالى : « **ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد** »[٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ، اذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة ، واذا أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة »[٥] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل[٦] : أخرجوا من النار من ذكرنى يوما ، أو خافنى فى مقام »[٧] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان رجلا كان قبلكم رغسه[٨] الله مالا ، فقال لبنيه لما حضر[٩] : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب ، قال : فاننى لم أعمل خيرا قط .

---

(١) التحريم : ٦
(٢) ليرى هل فارق الحياة أم لايزال حيا .
(٣) أى أتبشره من بيننا بالجنة وتخصه بذلك .
(٤) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ــ والآية من سورة ابراهيم : ١٤.
(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٦) والخطاب للملائكة .
(٧) رواه الترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث غريب .
(٨) الرغس : هو النعمة والبركة والنماء .
(٩) أى لما حضرته الوفاة ، أو حضرته الملائكة لقبض روحه .

فاذا مت فأحرقونى ثم اسحقونى[١] ، ثم ذرونى فى ريح عاصف[٢] ، ففعلوا ، فجمعه الله ، فقال : ما حملك ؟ فقال : مخافتك ، فتلقاه برحمته »[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت[٤] فقال : « كيف تجدك »[٥] ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، وانى أخاف ذنوبى[٦] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف »[٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الظن[٨] من حسن العبادة »[٩] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال :

« والذى لا اله غيره لا يحسن عبد الظن بالله الا أعطاه ظنه ، وذلك بأن الخير فى يده »[١٠] .

* * *

وهذا الحديث القدسى الذى يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن القضية الكبرى التى بينه وبين عباده من الجن والانس فيقول :

« انى والجن والانس فى نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى ، خيرى الى العباد نازل ، وشرهم الى صاعد ، أتقرب اليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم ، ويتبغضون الى بالمعاصى وهم أفقر شىء الى ، من أقبل الى تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى ناديته من قريب ، فانى أحب التوابين وأحب المتطهرين .

---

(١) اى دقونى دقا ناعما . (٢) اى عاتية شديدة الهبوب .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) اى وهو يعالج سكرات الموت .

(٥) اى على اى حال انت اراج ام خائف ؟

(٦) اى انه جمع بين الرجاء فى رحمة الله ومغفرته وبين الخوف من المؤاخذة على الذنب .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، وابن ماجه وابن أبى الدنيا كلهم من رواية جعفر بن سليمان الصيفى عن ثابت بن انس ، وقال الحافظ اسناده حسن .

(٨) اى بالله تعالى والمسلمين .

(٩) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه واللفظ لهما والترمذى والحاكم ولفظهما قال : « حسن الظن من حسن العبادة » .

(١٠) رواه الطبرانى موقوفا ورواته رواة الصحيح .

أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل مغفـرتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى ، فان تابوا الى فأنا حبيبهم ، وان أعرضوا وأبوا فأنا طبيبهم •

أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب ، الحسنة عندى بعشرة أمثالها ، والسيئة عندى بواحدة ، ومن استغفرها غفرتها له ، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، وكن عبدا مطيعا لله سبحانه وتعالى الذى كما رأيت يقابل الاساءة بالاحسان « **هل جـزاء الاحسان الإ الاحسان** »(١) •

وحسبك أنه سبحانه وتعالى يفتح لك باب توبته على مصراعيه ، ويرحب بعودتك اليه مهما كنت عاصيا ما دمت لا تشرك به سبحانه وتعـالى شيئا •

واعلم أن الله سبحانه وتعالى ان عدت اليه واصطلحت معه سيغفر لك جميع ذنوبك وأخطائك بل وسيجل لك مكانها حسنات كما أشار الى هذا سبحانه وتعالى فى قوله : « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما** »(٢) •

وقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب » • فلا تنس كل هذا •

واحذر القنوط من رحمة الله تعالى •

وحسبك أن تقرأ دائما وأبدا قول الله تعالى : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ...** »(٣) •

ولا تيأس فان اليـأس كفر وان الله مـولانا جميـل
ولا تظنن بربك ظن سـوء فان الله أولى بالجميـل

وتأمل كذلك هذه الآثار الموضوعية التى أرجو كذلك أن تنتفع بها :

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال لطائر : ليتنى مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا •

---

(١) الرحمن : ٦٠
(٢) الفرقان : ٧٠
(٣) الزمر : ٥٣

وقال أبو ذر رضي الله عنه : وددت لو أني شجرة تعضد • وكذلك قال طلحة عليهما رضوان الله •

وقال عثمان رضي الله عنه : وددت أني اذا مت لم أبعث •

وقالت عائشة رضي الله عنها : وددت أني كنت نسيا منسيا •

ومر سيدنا عمر رضي الله عنه بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة (الطور) فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى : « **ان عذاب ربك لواقع • ما له من دافع** »[1] نزل عن حماره ، واستند الى حائط ، ومكث زمانا ، ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه •

وهكذا كما رأيت كانوا مع ايمانهم وتقواهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورد أنه كان يقول كما ورد في الصحيحين : « والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » •

* * *

فكن من هؤلاء الذين يرجون رحمة الله عز وجل ويخشون عذابه فهو سبحانه « **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** »[2] •

واياك أن تكون من الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :

« ليس الايمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »[3] •

* * *

واذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى : « **انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا • ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى • جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى** »[4] •

---

(١) الطور : ٧ ، ٨ (٢) غافر : ٣

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ » •

(٤) طه : ٧٤ ــ ٧٦

و :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر   الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا   يغفر بالليل ذنوب النهار

وليكن نصب عينيك دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قاله فى خطبته يوما : « ألا ان الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، ألا وان الآخرة أجل صادق ، ويقضى فيها ملك قادر . ألا وان الخير كله بحذافيره فى الجنة ، ألا وان الشر كله بحذافيره فى النار . ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(١) .

* * *

مع ملاحظة هذين الحديثين الشريفين :

عن عمر بن حصين قال : قال رجل : يا رسول الله .. أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : « كل يعمل لما خلق له ــ أو لما يسر له ــ »(٢) .

وعن على رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به فى الأرض وقال : « ما منكم من أحد الا كتب مقعده من النار أو من الجنة » فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : « لا ، اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ : **« فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى »**(٣) .

* * *

وتستطيع بعد وقوفك على كل هذا واقتناعك به ، وحرصك على تحقيقه وفهمه أن تقول مع القائل :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن   فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا   فلئن رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا   وجميل عفوك ثم انى مسلم

حتى تموت وأنت تحسن الظن بالله تعالى .

---

(١) رواه الشافعى .   (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ــ والآية من سورة الليل : ٥ ــ ٧

الوَصيّة الخامسة والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه سلم :

« يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

(رواه البخارى ومسلم واللفظ له)

* * *

فكن أخا الاسلام :

يا من يعنيك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولا سيما اذا كنت من الشباب[1] الذين لا زالوا فى مقتبل العمر ، وفى كامل صحتهم وقوتهم ما دمت تستطيع القيام بواجب الزوجية من جميع الجوانب الحسية والمعنوية ، وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

قال النووى : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته وهى مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء[2] ، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا .

والقول الثانى : أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح . سميت باسم ما يلازمها وتقديره : من اســتطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن » اهـ .

---

(١) الشباب من سن البلوغ الى الثلاثين تقريبا ، وانما خص الشباب لأن الغالب وجود قوة لدواعى فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ .

(٢) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء .

وحتى لا أطيل عليك : حسبك ترغيبا لك فى الزواج الذى هو من سنن المرسلين كما جاء فى الحديث الشريف :

عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين[١] : الحناء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » وقال بعض الرواة : « الحياء »[٢] .

ومن خير متاع الدنيا بنص الحديث الشريف الذى رواه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع[٣] ، وخير متاعها المرأة الصالحة »[٤] .

والمرأة الصالحة هى كما ورد فى الحديث الشريف : « من اذا نظر اليها المرء سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا أقسم عليها أبرته ، واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله » .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى هذا الخير الذى أنت من أفقر الناس اليه أن تقرأ قول الله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا[٥] اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٦] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا من زوجة

---

(١) اى من طريقتهم وهديهم .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، رواه الامام احمد والبيهقى ، قال العلقمى : حسن .

(٣) المتاع : اسم لكل ما يتمتع به ، اى ينتفع ويتلذذ .

(٤) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

(٥) بيان لحكمة الزواج .

(٦) الروم : ٢١

صالحة(١) ، ان أمرها أطاعته(٢) ، وان نظر اليها سرته(٣) ، وان أقسم عليها أبرته(٤) ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله »(٥) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من أعطيهن ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجة لا تبغيه حوبا(٦) فى نفسها(٧) وماله »(٨) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر(٩) دينه فليتق الله فى الشطر الباقى »(١٠) .

* * *

واذا أردت أن تكون موفقا فى اختيار الزوجة التى تكون عونا لك فى دينك ودنياك فاليك هذه التوجيهات المحمدية :

---

(١) اى برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر قليلة الشكوى رحيمة القلب . . . الخ .

(٢) اى فيما لا معصية لله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

(٣) يعنى لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح . فهى دائمة الابتسام نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات .

(٤) اى ابرت يمينه ولم توقعه فى الحنث .

(٥) ونصيحتها له فى نفسها ان لا تخرج من بيتها ما دام غائبا الا لضرورة وان لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها وان لا توطىء فراشه من يكره ، وان تكون على الحال التى يحبها منها ونصيحتها له فى ماله ان تجتهد فى حفظه وتنميته وان لا تنفق منه الا بقدر حاجتها بلا تبذير ولا تقتير . رواه ابن ماجه عن على بن زيد من طريق ضعيف .

(٦) اى اثما . (٧) بأن تمكن غيره من الزنا بها .

(٨) بأن تتصرف فيه بما لا يرضيه . رواه الطبرانى فى « الكبير والأوسط » واسناد احدهما جيد .

(٩) اى على نصفه .

(١٠) رواه الطبرانى فى « الأوسط » والحاكم . ومن طريقه البيهقى وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة على احدى خصال[١] : لجمالها ، ومالها ، وخلقها ، ودينها . فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع[٣] : لمـالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين[٤] تربت يداك »[٥] .

* * *

مع ملاحظة هذه الأحاديث :

عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمـالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه »[٦] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن[٧] ولا تزوجـوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمـة خرماء[٨] سـوداء ذات دين أفضـل »[٩] .

---

(١) يعنى أن التى يرغب الرجال فى نكاحها واحدة من هذه الخصال .

(٢) اى الزمها واظفر بها فهى خير لك من ذات الحسب والمال والجمال - رواه احمد باسناد صحيح ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .

(٣) اى لأجل أربع خصال حسب عادة الناس .

(٤) اى اخترها وآثرها على من سواها .

(٥) تربت يداك : اى افتقرتا والتصقتا بالتراب ان لم تفعل ، وهى جملة دعائية . رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه .

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٧) اى يجلب لهن الشقاء والهلاك .

(٨) اى مثقوبة الأذن .

(٩) رواه ابن ماجه .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟

فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك . ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود[١] ، فانى مكاثر بكم الأمم »[٢] .

* * *

وحتى لا تخطب على خطبة الغير فتكون من « ... **الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** »[٣] وتكون من المعتدين ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن عبد الرحمن بن شماسة : أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن أخو المؤمن ، لا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر »[٤] .

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد ، أو يتناجشوا ، أو يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء[٦] مافى انائها ــ أو ما فى صحفتها ــ زاد عمرو فى رواية : ولا يسم الرجل على سوم أخيه[٧] .

هــذا : والزواج كما ذكر الأستاذ الشيخ محمــد أبو زهرة عليه رحمة الله فى كتابه « الأحوال الشخصية » وباختصار وتصرف : يعرفه بعض الفقهاء بأنه عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقدين بالآخر على المشروع ، ويعرفه صاحب « الكنز » بأنه عقد يرد على ملك المتعة قصدا .

---

(١) الودود : أى كثيرة الود لزوجها . والولود : أى الكثيرة الولادة .

(٢) مكاثر الأمم : أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم . رواه أبو داوود والنسائى والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الاسناد .

(٣) الأحزاب : ٥٨ (٤ ، ٥) رواه مسلم .

(٦) كناية عن أخذ ما عندها من الزوج وخيراته .

(٧) رواه مسلم .

والتعريفان — كما يقول — متقاربان فى المعنى ، وللفقهاء تعريفات أخرى كلها تدور حول هذا المعنى ، وان اختلف التعبير ، وهى تؤدى فى جملتها الى أن موضوع عقد الزواج هو : امتلاك المتعة على الوجه المشروع والى أن الغرض منه فى عرف الناس والشرع هو جعل هذه المتعة حلالا •• ولكن ليست هى كل أغراضه ، ولا أسمى أغراضه فى نظر الشارع الاسلامى بل ان غرضه الأسمى هو التناسل وحفظ النوع الانسانى ، وأن يجد كل من العاقدين فى صاحبه الأنس الروحى الذى يؤلف الله تعالى به بينهما وتكون به الراحة وسط متاعب الحياة وشدائدها ، ولذلك قال تعالى : « **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »**»[1] ولعل التعريف الموضح لذلك أن نقول : « انه عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة ، وتعاونهما ، ويحدد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات » •

وحكمته : فى الاسلام ليس هو قضاء الوطر الجنسى ، بل الغرض أسمى من ذلك ، ولهذا اعتبره النبى صلى الله عليه وسلم سنة الاسلام فقال : « وان من سنتنا النكاح » •

وما كان الزواج سنة الاسلام ، لأن فيه قضاء الطبع الجنسى فقط بل لمعان اجتماعية ونفسية ودينية ، منها :

أن الزواج هو عماد الأسرة الثابتة التى تلتقى الحقوق والواجبات فيها بتقديس ديني ، يشعر الشخص فيه بأن الزواج رابطة مقدسة ، تعلو بها انسانيته ، وتسمو به عن دركة الحيوانية التى تكون العلاقة بين الأنثى والذكر فيها هى الشهوة البهيمية فقط •

وهو العماد الأول للأسرة التى هى الوحدة الأولى لبناء المجتمع الذى يتكون من الأسرة التى ان كانت قوية كان المجتمع بها قويا •

وهو السبيل الى حفظ النوع الانسانى الكامل الذى يسير فى مدارج الرقى والذى لا يتحقق الا بالزواج الذى يشكل الحياة الانسانية الرفيعة ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث على طلب النسل بالزواج كما جاء فى هذا الحديث الذى رواه معقل بن يسار ، والذى يقول فيه : ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أصبت

---

(١) الروم : ٢١

امرأة ذات حسن وجمال وحسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال : « تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الأمم »[1] .

وهو الراحة الحقيقية للرجل والمرأة على سواء اذ أن المرأة تجد فيه من يكفل لها الرزق ، فتعكف على البيت ترعاه وعلى الأولاد تربيهم .

ومن أجل كل هذه المعانى العظيمة حث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم على الزواج ورغب فيه كما قرأت سابقا ولا سيما بالنسبة للشباب .

كما نهى عن التبتل وهو عدم الزواج واعتبر هذا خروجا عن سنته .

فعن أنس رضى الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : لا أتزوج ، وقال بعضهم : أصلى ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى »[2] .

وروى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل ثم قرأ قتادة : **« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »**[3] .

والوصف الشرعى للزواج يختلف باختلاف حال المكلف من حيث قدرته على القيام بواجباته ومن حيث خشيته الوقوع فى الفاحشة .

فيكون فرضا اذا كان المكلف يتأكد الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج ، وهو قادر على كل نفقات الزواج ، ويعدل مع أهله ان تزوج .

ويكون واجبا اذا كان المكلف قادرا على تكاليف الزواج واقامة العدل مع أهله ، ويغلب على ظنه الوقوع فى الزنا ان لم يتزوج ، والالزام فى هذه الحالة دون الزام فى الحالة السابقة .

ويكون حراما اذا كان المكلف غير قادر على نفقات الزواج أو يقع فى الظلم قطعا ان تزوج .

---

(١) كما قرأت سابقا .

(٢) من حديث رواه البخارى .

(٣) الرعد : ٣٨

ويكون مكروها اذا كان المكلف يغلب على ظنه أنه يقع فى الظلم ان تزوج •

واذا كان الشخص فى حال اعتدال لا يقع فى الزنا ان لم يتزوج ولا يخشاه ، ولا يقع فى الظلم ولا يخشاه ، فان فقهاء الحنفية يرون مع جمهور الفقهاء أن الزواج فى هذه الحال يكون مندوبا ، أى أنه يكون سنة يحسن فعله ولا يأثم ان لم يفعل •

والحقيقة أن هذه الحالة هى الأصل ، وغيرها أمور عارضة ، ولذلك قرر فقهاء الحنفية أن الأصل فى النكاح أنه سنة أو مندوب أو مستحب على اختلاف العبارات الواردة فى الكتب ، وكلها بمعنى واحد تقريبا ، والفرضية والوجوب والكراهية والتحريم تجىء لأمور نفسية عارضة ترفع النكاح الى مرتبة اللزوم ، أو تنزل به الى درجة المحرم •

وقبل أن نقف على انشاء عقد الزواج وشروطه هناك مقدمات للعقد لابد أن نقف عليها كذلك وهى ما يسمى فى لسان الشارع : بالخطبة وهى طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها ، والتقدم اليها أو الى ذويها ببيان حاله ، ومفاوضتهم فى أمر العقد ، ومطالبه ومطالبهم بشأنه ، فقد قيل :

يجب لسلامة هذه الخطبة أن يكون كلا العاقدين على علم قاطع ، أو ظن راجح بحال العاقد الآخر وما عليه من عادات وأخلاق ، ليكون العقد على أساس صحيح ، وتكون العشرة التى يحلها مرجوة الصلاح والبقاء ، ومعرفة ذلك تكون مما يعطى علما قاطعا ، أو ظنا راجحا •

ويجب أيضا أن يكون على علم بخلق الطرف الآخر وتكوينه الجسمى ، ويتم ذلك العلم بالرؤية ، وهى أجدى طريق للمعرفة ، ولذلك أباح الشارع الاسلامى للرجل أن ينظر الى من يريد الزواج منها ، بل حبب الى ذلك ، وندب اليه •

ويروى فى ذلك أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ليتزوجها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أنظرت اليها » ؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » •

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خطب أحدكم امرأة فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » •

والقدر الذى يباح النظر اليه هو الوجه ، والكفان ، والقدمان ، ولا يتجاوز ذلك عند الحنفية ، والاقتصار عليه فيه الكفاية لمن يريد معرفة خلقها وروحها .

وقد أجاز بعض الأئمة تجاوز ذلك القدر ، ومنع بعض الأئمة النظر الى القدمين واليدين ، ومذهب الحنفية هو الوسط .

وقد اتفق الفقهاء على أن رؤية الخاطب لمخطوبته لا تكون فى خلوة ، لأن الخلوة بين الرجل والمرأة حرام ، ولم يرد من الشارع ما يبيحها لأجل الخطبة ، فبقى النهى العام قائما . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان » والرؤية تكون عند الخطبة .

وقد روى أن الشافعى رضى الله عنه يفضل أن تكون الرؤية قبل الخطبة عند نية الزواج من هذه المرأة ، حتى اذا أنتجت الرؤية اقداما أقدم ، وان أنتجت احجاما لم يكن فى ذلك ايذاء لها ، ولا حرج لأسرتها ، والرؤية قبل الخطبة برؤيتها خفية ، أو فجأة من غير أن تعلم أو يعلم ذووها بنية الزواج التى يخفيها ، ولذلك الاستحسان مكانة من اللياقة والعرف ، والخلق الكريم يرضاه ويؤيده . وعن جابر أنه قال : « خطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى الى نكاحها فتزوجتها » .

وهذا المنهاج الذى سنه الشارع الاسلامى هو المنهاج السليم اذ أجاز للخاطب أن يرى المخطوبة ، وفى غير خلوة ، وذلك المسلك هو الوسط بين مغالاة المتشددين فى التستر الذين حرموا على الخاطب كل سبيل لأن يلقى على مخطوبته نظرة قبل أن تزف اليه مكتفين بوصف الواصفات اللائى يبالغن فى الاستحسان أو الاستهجان ، وبين اسراف الذين تغالوا فأباحوا للرجل أن يصطحب مخطوبته فى الغدوات والروحات ، وفى الحدائق والملاهى ، فى النهار وفى طرف من الليل ، وكشفوا للخاطب كل أستار البيت ، وأزالوا من بين يديه الحجب ، فكانت النتائج خطيرة ان لم يتم الزواج .

وقد زعم هؤلاء المسرفون أن الذى يدفع الى سلوك ذلك المسلك أو قبوله هو تسهيل التعارف التام بين الخاطب والمخطوبة ، فيعرف كل واحد منهما صاحبه على حقيقته ، ويقدم على بينة ، وهذا زعم باطل ، لأن الخاطب مهما يدم اختلاطه بمخطوبته لا يستطيع أن يعرف

طباعها ، ولا تستطيع أن تعرف حقيقة طباعه ، لأن كليهما يتكلف لصاحبه ما ليس فى طبعه ، ويكسو نفسه من المظـاهر ما ليس من عاداته ، والتحرى عن الأخلاق ، والطباع والعادات بالسؤال والبحث أهدى سبيلا ، وان لكل أسرة عادات وتقاليد مشهورة معروفة تغنى معرفتها أحيانا عن غيرها من أسباب المعرفة ، وتعجبنى فى ذلك كلمة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » : « يستحب أن تكون المرأة من كورة وقبيلة وعادات نسائها صالحة ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وعادات القوم ورسومهم غالبة على الانسان ، بمنزلة الأمر المجبول عليه »[1] .

* * *

ثم يقول عليه رحمة الله :

والخطبة كما علمنا مقدمة لعقد الزواج ، ولذلك لا تباح خطبة امرأة الا اذا كانت صالحة لأن تكون زوجة فى الحال ، حتى يمكن أن يتم العقد لأنها وسيلة لغاية هى الزواج ، فان كانت الغاية ممنوعة فالوسيلة غير جائزة ولذلك اشترط الفقهاء لاباحة الخطبة :

ألا تكون محرمة على الرجل حرمة مؤبدة ، ولا حرمة مؤقتة ، فلا يجوز له أن يخطب ذات زوج بحال من الأحوال ، لأنها محرمة عليه ما دامت زوجة ، ولأن خطبتها اعتداء على حق الزوج .

وتحرم خطبة المعتدة من طلاق رجعى باتفاق الفقهاء ، لا بطريق التصريح ، ولا بطريق التعريض ، لأن المطلقة طلاقا رجعيا زوجيتها قائمة . وحقوق الزوج عليها ثابتة ما دامت فى العدة ، فله مراجعتها من غير تراض فى أى وقت شاء ، فخطبتها كخطبة الزوجة تماما ، فتكون حراما من كل الوجوه .

والمعتدة من وفاة تجوز خطبتها تعريضا لا تصريحا ، لقوله تعالى :

« ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء »[2] .

وظاهر الآية أنها للمتوفى عنها زوجها ، لأنها جاءت عقب قوله تعـالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

---

(١) هكذا فى كتاب « الأحوال الشخصية » للشيخ أبى زهرة ، بتصرف .

(٢) البقرة : ٢٣٥

وعشرا »[١] فكان التعريض جائزا بهذا النص الكريم والتصريح على أصل المنع •

والفرق بين التعريض والتصريح : أن التصريح أن يذكر لفظا يدل على ارادة الخطبة من غير احتمال لسواها ، والتعريض ذكر الخطبة بلفظ يحتمل الخطبة ويحتمل غيرها ، ويكون ظاهره فى سواها وان كانت رغبة الخطبة تكشف عنها اشارات القول •

ولنذكر مثلا كان لخطبة بالتعريض : فانه يروى أن سكينة بنت حنظلة قالت : استأذن على محمد بن على بن الحسين ، ولم تنقض عدتى من مهلك زوجى ، فقال : قد عرفت قرابتى من رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتى من على وموضعى فى العرب • قلت : غفر الله لك يا أبا جعفر ، انك رجل يؤخذ عنك ، تخطبنى فى عدتى ؟! قال : انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتى من على •

ألا ترى من ذلك التعريض الرائق وضوح الغرض ، وهو الخطبة مع أن ظاهر اللفظ لسواها ، ولذلك استطاع رضى الله عنه أن يتنصل من تبعة القول سريعا ، خشية أن يتحول التعريض الى تصريح •

ولا تجوز خطبة المعتدة من وفاة تصريحا ، لأن الجواز الذى جاء به النص مقصور على التعريض ، فكان التصريح على أصل المنع ، لعدم امكان العقد فى الحال ، ولأن التصريح قد يوغر صدور أولياء الميت ، فلا يسوغ •

والمعتدة من طلاق بائن لا تجوز خطبتها قبل انتهـاء العدة ، لا تصريحا ولا تعريضا ، لأن جواز التعريض جاء فى المتوفى عنها زوجها ، دون سواها ، فالباقى على أصل المنع •

والفرق بين حال المعتدة من وفاة ، والمعتدة من طلاق بائن يوجب هذه التفرقة ، اذ أن المعتدة من طلاق عدتها بالحيض غالبا ، فاذا طمعت فى التعريض بالخطبة ربما دفعها الطمع الى الخيانة ، فتعلن أن العدة قد انتهت ، وهى لم تنته ، والقول قولها فى اخبارها بانتهاء العدة ، وليس لأحد سبيل الى تكذيبها ما دام فى الامكان تصديقها ، أما المعتدة

---

(١) البقرة : ٢٣٤

من وفاة ، فان عدتها بالأشهر ، وهى تعرف بالحساب والكتاب ، فلا سبيل الى الخيانة والكذب لتعجل انهائها ، والخطبة تقتضى الرؤية ، ولا سبيل الى رؤية المعتدة من طلاق بائن لالتزامها منزل الزوجية ، فهى لا تخرج ، ولا يدخل عليها أحد من غير اذن مطلقها ، والمعتدة من وفاة لا تلزم منزل الزوجية ، والمطلقة بائنا تحتمل العودة الى زوجها بعقد ومهر جديدين فى بعض الأحوال ، وعودة الزوجية فى حال الوفاة مستحيلة فلا اعتداء فى خطبتها على أحد ، بينما ثمة نوع اعتداء فى خطبة المعتدة من طلاق بائن[١] .

والخطبة ليست عقدا قد التزم فيه طرفاه التزامات لها قوة الالزام ، ولكن أقصى ما تؤديه الخطبة اذا تمت أن تكون وعدا بعقد ، وليس للوعد بعقد قوة الزام عند جمهور الفقهاء ، خلافا للامام مالك فى بعض أقواله :

فالوعد عند الامام رضى الله عنه ، فيه أربعة أقوال : (أولها) أنه لا الزام فيه ، ولا يقضى بمقتضاه بشىء ، سواء أكان الوعد سببا للدخول فى شىء أو ترك شىء ترتبت عليه التزامات أو مغارم أو لم يكن . (الثانى) أن الوعد ملزم ويقضى به فى كل الأحوال ، وهذا مقابل القول الأول . (الثالث) أنه يجب الوفاء بالوعد الذى يكون سببا لأمر لا يستطيع من بذل له الوعد القيام به ، بدون تحقيق الوعد ، كمن يعد شخصا بأن يعطيه مقدارا من المال ليسد ما عليه من دين ، فانه يقضى بالوفاء ، لأن المدين والدائن كلاهما اعتمد على بذل الوعد . (الرابع) أنه يجب الوفاء اذا كان الوعد له سببا للتصرف ، ودخل من بذل الوعد فى التصرف بسبب ذلك الوعد ، كمن يقول لشخص : اشتر هذه الأرض ، وأنا أدفع تكاليف البناء ، فانه يجب الوفاء اذا اشترى »[٢] .

واذا لم تكن فى الخطبة قوة الالزام لأحد الطرفين ، فلكل منهما أن يرجع عن قوله ، وان فعل فهو يستعمل خالص حقه ، وليس لأحد عليه من سبيل .

---

(١) ما ذكر كله مذهب الحنفية وعليه جمهور الفقهاء .
(٢) راجع الالتزامات للحطاب .

والمصلحة توجب أن يكون كلا طرف عقد الزواج له الحرية التامة قبل ابرامه • لأنه عقد الحياة ، ومن المصلحة التروى وترديد الأمر فيه ، حتى اذا كان ذلك برضا صحيح كامل لم تشبه شائبة[١] •

مع ملاحظة : أن هدايا الخطبة ليست من حق الخاطب اذا كان العدول من جانبه •

وله أن يرجع بما قدمه منهدايا عينا ، أو قيمتها نقدا وقت الشراء اذا هلكت أو استهلكت ، وذلك اذا كان العـــدول من الطرف الآخـــر •

واذا اشترت المرأة بالمهر جهازا أو ببعضه ، ثم عدل الخاطب فللمرأة الخيار بين رد المهر نقدا ، أو تسليم ما يساويه من الجهاز وقت الشراء •

أما بالنسبة للمهر ففى حالة العدول عن الخطبة يكون للخاطب أن يرجع بما أداه من مهر لأن المهر حكم من أحكام الزواج ، ولم يتم الزواج ، فلا يستحق ، ويرد بذاته ان كان قائما ، وبمثله أو قيمته ان هلك أو استهلك[٢] •

وأما انشاء عقد الزواج : فانه لا ينعقد عقد الزواج الا بالايجاب والقبول ، وشروط انعقاده هى الشروط التى يجب تحقيقها عند انشاء كل عقد وهى :

ألا يكون أحد العاقدين فاقد الأهلية فان كان أحد العاقدين كذلك فعبارته ملغاة لا أثر لها ، ولا ارتباط ينشأ بوجودها ، وناقص الأهلية يصح عقده الزواج بالنيابة عن غيره ، وعقده لنفسه موقوف على اجازة من له حق الاجازة ، وكامل الأهلية هنا ، ولذلك يصح وينفذ عقد زواجه ، اذ لا حجر عليه فى الزواج وآثاره •

وأن يكون الايجاب والقبول فى مجلس واحد فلو تفرقت المجالس بعد الايجاب وقبل القبول بطل الايجاب •

---

(١) راجع « الاحوال الشخصية » لأبى زهرة ص ٣٦

(٢) راجع « الأحوال الشخصية » ص ٣٨ حتى تقف على أقوال الأئمة بتوسع وكذلك نص المـــادة ١٨

وألا يرجع الموجب فى ايجابه قبل قبول الآخر لأنه اذا رجع الموجب فى ايجابه قبل القبول ألغى الايجاب ، فاذا جاء القبول بعد ذلك جاء على غير ايجاب ، ويجوز للموجب الرجوع فى الايجاب ما دام لم يرتبط بقبول ، لأن الالتزام لا يتم قبل الارتباط بين ركنى العقد • وهما الايجاب والقبول ، واذا لم يتم الالتزام فلا الزام لأحد ، فللموجب أن يرجع •

وألا يصدر عن العاقد الثانى بعد الايجاب ما يدل على الاعراض كالفصل بكلام أجنبى ، فان الفصل بكلام أجنبى اعراض عن الايجاب ورفض فان قبل بعد ذلك ، فقد ورد القبول على غير ايجاب ، فلا يلتفت اليه •

هذا ويلاحظ أن الايجاب ان كان برسالة رسول ، أو بكتاب مكتوب فالقبول مقيد بمجلس تبليغ الرسالة أو وصول الكتاب اذا كان الشهود حاضرين وقت وصول الرسالة ، فاذا انفصل عن المجلس من غير قبول ، فلا يعتبر قبوله بعد ذلك •

وموافقة القبول للايجاب ، ولو ضمنا : كأن تقول : تزوجتك على مهر قدره مائة ، فيقول : قبلت بمائتين • فان العقد يصح ، وتلزم المائة الثانية اذا قبلتها ، واذا قال : تزوجتك على مائة ، فقالت : قبلت على خمسين ، صح العقد وحط من المهر • واذا لم يرد الحط ، وذكر المهر فى العقد يجعل العقد غير صحيح اذا لم يقبل المهر ولو ضمنا ، واذا لم يذكر يصح العقد من غير بيانه •

وعقد الزواج لا ينعقد الا بالألفاظ الدالة عليه سواء أكانت حقيقة لغوية فى دلالتها عليه أم كانت مجازا مشهورا وصل الى درجة الحقيقة اللغوية ، أم كانت مجازا وضحت فيه القرينة ، واستبان المعنى بها ، حتى صار الكلام صريحا فى ارادة الزواج •

وقد اختلف العلماء فى هذا تضييقا وتوسعة ، وقد اتفقوا على أن الزواج ينعقد بلفظ النكاح ، وبلفظ الزواج ، واختلفوا فيما عدا ذلك •

واذا كان أحد العاقدين لا يستطيع الكلام فقد اتفق الفقهاء على جواز عقده بالاشارة المفهمة لمعنى الزواج اذا كان لا يحسن الكتابة ، لأن الاشارة أقصى طرق التعبير بيانا عنده •

واذا كان يحسن الكتابة ففى المذهب الحنفى روايتان احداهما ، وهى رواية الأصل : أنه لا يصح عقده بالاشارة ، لأن الكتابة أبين دلالة من الاشارة •

ومن يستطيع الأعلى لا يقبل منه الأدنى ، فلا يقبل منه العقد بالاشارة وقد اختار هذه الرواية جمع من المحققين ، وهى معقولة فى ذاتهـا •

وعلى رواية الجامع الصغير يصح عقده بالاشارة ، لأن الأصل فى العقد أن يكون بالخطاب ، فاذا عجز عنه استعين بغيره من أنواع الدلالات ، فكانت الكتابة والاشارة سواء •

* * *

ويشترط فى صيغة الزواج أن تكون بلفظين أحدهما للماضى ، والآخر للمستقبل ، وأن تكون منجـزة ، غير معلقة ولا مضافة الى المسـتقبل •

* * *

وتنقسم شروط الزواج الى ثلاثة أقسام : شروط صحة ، وشروط نفاذ ، وشروط لزوم •

أما شروط الصحة فهى التى لا يعتبر العقد بغيرها موجودا وجودا يحترمه الشارع وتثبت فيه الأحكام التى ناطها بالعقد •

وشروط النفاذ هى الشروط التى لا تنفذ أحكام العقد على كلا عاقديه بغير وجودها ، ويستمر العقد موقوفا اذا لم تتوافر هذه الشروط ، حتى تكون الاجازة ، فيكون النفاذ •

وشروط اللزوم هى الشروط التى لا يلزم العقـد كلا طرفيه الا بوجودها وبغيرها يكون لأحد العاقدين أن يفسخ العقد •

* * *

ويشترط لصحة الزواج شرطان :

(أحدهما) حضور الشاهدين (ثانيهما) أن تكون المرأة محلا للعقد ، بأن تكون غير محرمة على الرجل مؤقتا أو مؤبدا •

أما شرط الشهادة فقد اتفق فقهاء المسلمين فى كل العصور على أن الغاية منه شهر الزواج واعلانه بين الناس • كما وردت بذلك الآثار ،

وكما تعارف الناس من وقت أن عرفوا شريعة الزواج الى الآن ، ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعلنوا النكاح ، ولو بالدف » وكما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « لا يجوز نكاح السر ، حتى يعلن ويشهد عليه » •

ولكن هل تعتبر شهادة اثنين كافية للاعلان من غير حاجة الى اعلان غيرها • ولو تواصيا بالكتمان ؟ ان الأقوال فى ذلك ثلاثة :

القول الأول : هو قول أبى حنيفة : ان الشهادة وحدها هى الاعلان ولو تواصى الشاهدان بالكتمان ، وهذا رأى بعض الفقهاء ، وحجتهم ما استفاض من الأخبار من اشتراط الشهود ، وتعينهم طريقا للاعلان وحدهم ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح الا بشهود » وروت عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح الا بولى وشاهدى عدل ، فان تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له » •

وذلك لأنه بحضور الشاهدين مع العاقدين يتحقق معنى الجهر والاعلان ولو تواصوا بالكتمان لأن السر لا يكون بين أربعة ، بل هو الجهر ولذلك يقول القائل :

وسرك ما كان عند امرىء   وسر الثلاثة غير الخفى

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد نفى النكاح من غير شهود فهذا دليل على أن الشهادة أمر لابد منه وأنها كافية للاعلان •

القول الثانى : وهو المشهور عند مالك أن الشهادة ليست شرطا لانشاء العقد مطلق الاعلان • والشهادة شرط لحل الدخول ، أى أنها ليست شرطا للانعقاد ، ولكنها شرط لترتب الآثار ، والشهادة وحدها لا تكفى للاعلان وأن الشاهدين اذا تواصيا بالكتمان لا ينشأ العقد ، بل لا بد من توافر الاعلان للانعقاد ، ثم تتعين الشهادة لترتيب الآثار •

القول الثالث : أن الاعلان وحده كاف لانشاء العقد من غير حاجة مطلقا الى تعيين الشهادة حدا مرسوما للاعلان ، ومن غير اشتراطها لترتب الآثار ، لأن القصد هو الاعلان ، وهو فرق ما بين النكاح -

وهذا قول عند مالك رضى الله عنه ، وقول أحمد رضى الله عنه ، ولكن المشهور عن أحمد أنه مع الجمهور •

* * *

ويشترط لنفــاذ العقد أن يكون الذى تولى انشاءه له ولاية انشائه • فاذا كان الذى تولى عقد الزواج كامل الأهلية وعقد لنفسه فعقده صحيح نافذ ، وكذلك اذا عقد لمن هو فى ولايته ، أو من وكله فى انشاء العقد ففى كل هذه الأحوال كانت له ولاية الانشاء بالأصالة فى الأولى وبالولاية الشرعية فى الثانية ، وبالوكالة فى الثالثة •

واذا لم يكن للعاقد ولاية الانشاء ، اما لأنه ليس كامل الأهلية ، أو لأنه كامل الأهلية ، ولكن عقد لغيره من غير انابة بحكم الشارع أو بغير توكيل صاحب الشأن فان العقد لا يكون نافذا ، بل يكون موقوفا ، ولذلك يشترط فى النفاذ أن يكون العاقد بالغا عاقلا ، يعقد لنفسه ، ولمن هو فى ولايته أو لمن وكله ، فاذا كان العاقد ناقص الأهلية فعقــده موقوف ، وكذلك اذا عقد كامل الأهلية من غيره بغير انابة يكون فضوليا ويكون عقده موقوفا على اجازة غيره •

هذا ويلاحظ أمران : (أحدهما) أنه لا يشترط فى نفاذ العقد الرشد ، فيصح عقد الزواج وينفذ من السفيه ، ولو كان محجورا عليه ، وكذلك ذو الغفلة ، وذلك لأن موضع الحجر فى السفيه وذى الغفلة هو التصرفات المــالية •

وأما التصرفات الشخصية فليست موضع حجر ، فيجوز الزواج ، ولكن لا يثبت من المهر أكثر من مهر المثل ، اذا كان السفيه هو الزوج ، ويثبت لها مهر مثلها على الأقل اذا كان السفيه هو الزوجة •

(الأمر الثانى) أن مذهب أبى حنيفة ورواية عن أبى يوسف أن المرأة لها كامل الولاية فى شأن زواجها ، وليس لأحد عليها ولاية الأجبار ما دامت بالغة عاقلة ، كما أن العقد يصح بعبارتها وينشأ ، وان كان الأحب والأحسن أن توكل عنها وليها العاصب فى شأن زواجها •

وجمهور الفقهاء على أن المرأة ليس لها أن تزوج نفسها بنفسها ، وأن العقد لا ينشأ بعبارة النساء ، وان لم يكن للولى عليهــا ولاية الاجبار ، فهو يشترك معها فى اختيار زوجها وهو يتولى مباشرة العقد •

* * *

وعقـد الزواج عقد لازم فى أصـل حقيقته ليس لأحـد أن ينفرد بفسخه ، ونقصـد بفسخه نقض العقد من أصله ، والطلاق ليس نقضا للعقد من أصله ، بل هو انهاء لأحكامه ، وهو من الحقوق التى يملكها الزوج بمقتضى العقد لا باعتبار أن ذلك فسخ ونقض للعقـد ... الخ .

* * *

والمحرمات عليك قسمان :

محرمات على وجه التأبيد لا يحل للرجل أن يتزوج بهن أبدا ، وهن اللاتى كان سبب تحريمهن وصفا غير قابل للزوال كالبنوة والأخوة ، والعمومة ... وهكذا .

ومحرمات تحريما مؤقتا ، وهن اللاتى :

يكون سبب تحريمهن أمرا قابلا للزوال فيكون التحريم ما بقى ذلك الأمر ، ككونها زوجة للغير ، وكونها مشركة ، أو كونه غير مسلم ، فان هذه أمور قابلة للزوال ، فان زالت زال التحريم .

والمحرمات على التأبيد ثلاثة أنواع : محرمات بسبب القرابة ، ومحرمات بسبب المصاهرة ، ومحرمات بسبب الرضاعة .

فان هذه الأنواع الثلاثة تنشىء صلات غير قابلة للزوال ، فيكون التحريم أيضا غير قابل للزوال .

* * *

والمحرمات بسبب القرابة أربع شعب ، وهى :

(ا) فروع الرجل من النساء وان نزلن ، فتحرم عليه بنته ، وبنت بنته ، وبنت ابنه ، وهكذا كل فرع يكون جزءا منه أو جزء مما يتصل به ذلك الاتصال .

(ب) أصوله من النساء وان علون ، فأمه وجدته من جهة أبيه ، أو من جهة أمه جميعا من أصوله من النساء ، وهن حرام عليه ، اذ هو جزء منهن فكما حرم عليه جزءه ، فكذلك حرم عليه من هو جزءهن .

(جـ) فروع أبويه وان نزلن ، وفروع الأبوين هن الأخوات ، سواء أكن شقيقات ، أم لأب ، أم لأم ، وفروع الاخوة والأخوات .

فيحرم على الرجل أخواته جميعا ، وأولاد أخواته واخوته جميعا ، وفروعهم مهما تكن الدرجة •

(د) فروع الأجـداد والجدات اذا انفصلن بدرجة واحدة ، فالعمات والخالات حرام عليه ، مهما تكن درجة الجد والجدة ، ولكن بنات الأعمام والأخوال والخالات والعمات حلال ، مهما بعد الجد أو الجدة التى تفرعن منها ، اذ المحرم من فروع الأجداد والجدات من ينفصل عن الأصل بدرجة واحدة •

وقد أجمعت الشرائع المنزلة على تحريم الزواج من المذكورات •• لأنه مشتق من الفطرة الانسانية ، بل بعض الحيوان العالى لا يأخـذ أليفه من عشه أو وجاره ، انما يسعى الى عش آخر أو وجار آخر •

* * *

والمحرمات بسبب المصاهرة على التأبيد أربع شعب :

أولاها : من كانت زوجة أصله ، وان علا ذلك الأصل ، سواء أكان من العصـبات كأبى الأب ، أم كان من ذوى الأرحام كأبى الأم وسواء أدخل بها الأصل أم لم يدخل •

الثانية : من كانت زوجة فرعه سواء أكان من العصبات كابن الابن ، أم ذوى الأرحام كابن البنت وسواء أدخل بها أم لم يدخل •

الثالثة : أصول من كانت زوجته وان علون ، سواء أدخل بزوجته أم لم يدخل •

الرابعة : فروع من كانت زوجته وان نزلن ، ولكن يشترط الدخول بزوجتـه •

وقد وافقت الشرائع السماوية الشريعة الاسلامية فى التحريم بسبب المصاهرة فكان هذا دليلا على أن ذلك مشتق من الفطرة الانسانية • والحق أنه يتفق مع الطبع السليم ، فان المرأة اذا اقترنت بالرجل صارت قطعة من نفسه ، وصار هو قطعة منها ، قال تعالى :

« **هن لبـاس لكم وأنتم لباس لهن** »[١] • واذا صارت جزءا لا ينفصل من نفسه كان منطق الزواج أن تكون أمها كأمه ، وابنتها

---

(١) البقرة : ١٨٧

كابنته ، وتحرم هى على أبيه كما يحرم على أمها ، اذ صار أبوه أباها أيضا ، وتحرم على ابنه كما يحرم ابنها عليها ، وما باعدت الحق كثيرا الشرائع التى تسمى أبا الزوجة أبا للزوج ، وابنها ابنا له وأباه أبا لها .. وما جاوز النـــاس فى عرفهم الطبيعة والحق اذا أطلقـــوا هـــذه الأسماء .. الخ .

* * *

ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمصاهرة . والمحرمات من الرضاع على ذلك شعب ثمان ، هى :

أمهاته اللاتى أرضعنه ، وبعبـــارة عامة أصوله من الرضاعة ، سواء كن من جهة الأب أم من جهة الأم ، كأم من أرضعته ، وأم أبى من أرضعته ، وأم أبيه رضاعا . والأب الرضاعى هو زوج الأم الرضاعية الذى كان سبب اللبن الذى رضع منه الطفل ، فاذا كانت امرأة متزوجة برجل أعقبت منه نسلا فرضع طفل من لبن ذلك النسل ، فهو ابن للزوج ولو كانت وقت الارضاع ليست زوجة لصاحب اللبن .

فروعه من الرضاع ، فتحرم عليه ابنته رضاعا ، وهى التى تكون قد رضعت من لبن كان هو سبب وجوده على ما بينا ، وابنة بنته من الرضاع وهى من أرضعتها ابنته الصلبية ، أو ابنته الرضاعية .

فروع أبويه من الرضاع وان نزلن ، سواء أكانت صلتهم من جهة الأب أم جهة الأم ، فيشمل أخته الرضاعية التى أرضعتها أمه ، وفروعها ويشمل أخته التى رضعت من امرأة كانت زوجة لأبيه ، اذا رضعت من لبن كان أبوه سببه ، وفروعها كذلك .

ويحرم فروع أجداده ، اذا انفصلن بدرجة واحدة ، سواء أكن جدود من جهة الأم أم من جهة الأب كما بينا ، وسواء أكانت فروعهم طريق الاتصال بينه وبين الأب ، أم الأم .

الأصول الرضاعية لزوجته ، فأمها التى أرضعتها تحرم عليه ، وجدتها كذلك سواء أكانت أم أمها رضاعا أم أم أبيها . وسواء أدخل بزوجته أم لم يدخل ، لأن الرضاع فى المصاهرة ، كالنسب فيها .

فروع زوجته من الرضاع ان دخل بزوجته : فتحرم عليه ابنتها رضاعا ، وحفيدتها رضاعا ، سواء أكانت طريقها البنت ، أم كان طريقها الابن .

زوجة أصله الرضاعى : وأصله الرضاعي هو من كان أبا لمن أرضعته أو كان هو سبب اللبن الذى رضع منه .

زوجة فرعه : فتحرم عليه زوجة ابنه الرضاعى ، وهو الذى رضع من لبن كان هو سببه ، كما يحرم عليه زوجة ابن بنته الرضاعى ويشمل ابن بنته الصلبية التى أرضعته ، وابن بنته الرضاعية .. وفى الجملة : كل علاقة بسبب النسب أوجدت تحريما ، فمثل هذه العلاقة اذا كانت رضاعا توجب التحريم أيضا ، بخلاف هذه الصور :

أخت الابن أو البنت من الرضاع لا تحرم لعدم وجود أى علاقة ، بخلاف أخت الابن النسبى ، لأنها اما أن تكون ابنته ، أو ابنة زوجته المدخول بها وكلتاهما حرام عليه .

أم أخته أو أخيه رضاعا لا تحرم لأنه لا تربطهما به علاقة .

جدة ابنه أو بنته رضاعا لا تحرم عليه ، لعدم وجود علاقة .

وأخت أخيه رضاعا لا تحرم عليه لعدم العلاقة ، وكذلك أخت أخيه نسبا لا تحرم اذا لم تكن علاقة .

* * *

مقدار الرضاعة المحرمة ووقتها :

قال أبو حنيفة وأصحابه : ان الرضاع ليس له قدر معلوم ، فكل مقدار يحرم قليلا كان أو كثيرا ، ولو كان مصة أو مصتين ، لأن النصوص الواردة بالتحريم بسبب الرضاع لم تذكر مقدارا قليلا أو كثيرا ، فالآية : « **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم** »[1] تشمل القليل والكثير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » يشمل أيضا القليل والكثير ، ويروى أنه قد جاءت أمة سوداء فذكرت أنها أرضعت اثنين عقد عليهما ففرق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما من غير أن يسأل عن عدد الرضعات . ولو كان التحريم منوطا بعدد ، ما فرق النبى بين عاقدين من غير أن يتحراه ، وأيضا فان التحريم فى النصوص سببه مجرد الارضاع ، فحيثما ثبت ذلك وجد الحكم . والحكمة فى التحريم بالارضاع أن الرضيع يصير كالجزء ممن أرضعته ، اذ يدخل لبنها فى تكوينه ، وذلك يتم بالقليل والكثير .

---

(١) النســاء : ٢٣

ومذهب الحنفية فى هذا هو مذهب مالك والأوزاعى والثورى وحماد وطائفة كبيرة من التابعين والصحابة ٠

وقالت طائفة أخرى : ان التحريم لا يثبت بأقل من ثلاث رضعات ٠

وقالت ثالثة : لا يثبت بأقل من خمس رضعات مشبعات ، وهو مذهب الشافعى ٠

وقيل : لا يحرم بأقل من سبع ٠ وقيل : لا يحرم بأقل من عشر ٠ وأساس هذا التقدير نصوص واردة فهموها ، فالذين قدروا ثلاث رضعات : ساقوا أخبارا ، منها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحرم الاملاجة ، والاملاجتان » وروى أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول الله ٠٠ هل تحرم الرضعة الواحدة ؟ قال : « لا » ٠ واذا انتفى التحريم عن الرضعتين فقد استمر ثابتا فى الزائد ، فكان الحد الأدنى هو ثلاث رضعات فلا يحرم ما دونهـا ٠

والذين حددوا بالسبع ، وكذلك من حددوا بالعشر ، تعلقوا بأخبار لم يثبت صحتها عند مخالفيهم ، أو لم يثبت تعينها للمراد ٠

أما الذين حددوا العدد بالخمس وهم الشافعية ، والحنابلة فى أرجح الأقوال عندهم ، فقد احتجوا :

بما روى عن مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان فيما نزل : عشر رضعات يحرمن ، حتى صرن الى خمس » وقد صححوه ٠

وبأن علة التحريم كون الارضاع منبتا للحم ومنشزا للعظم ، وذلك لا يكون الا برضاع يوم كامل على الأقل ، ولا يكون بما دون خمس رضعات مشبعات ٠

وقد اختار ذلك الرأى ابن القيم فى « زاد المعاد » ووضحه وفسر الرضعة فقال : الوضعة فعلة من الرضاع ، فهى مرة منه ، فمن التقم الثـدى فامتص منه ، ثم تركه باختيـاره من غير عارض كان ذلك رضـعة ٠٠٠

* * *

ووقت الرضاعة المحرمة هو الصغر عند جمهور الفقهاء ، وخالفهم فى ذلك عدد قليل من الفقهاء ، وقد ورد من الآثار الصحاح ما يفيد تعيين

وقت الرضاع منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الرضاعة من المجاعة » أى أن الرضاع المحرم هو الذى يدفع اليه الجوع ، وهذا لا يكون الا فى الصغر ، اذ لبن المرأة لا يكون غذاء دافعا للجوع كافيا فى الجملة الا فى الصغر .

وقد حدد أبو حنيفة مدة الرضاعة بسنتين ونصف ، أى بثلاثين شهرا ، وحدد الصاحبان[1] والشافعى ومالك مدة الرضاع بسنتين كاملتين ، وذلك لقوله تعالى :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة »[2] .

واستدل أبو حنيفة بقوله تعالى : **« وحمله وفصاله ثلاثون شهرا »**[3] فكانت هذه أقل مدة يفصل بعدها الابن ، ويبتدىء يستقل بغذاء مستقل ليس من لبن أمه ، وليس المراد من الحمل ما يكون فى البطن على اليقين ، بل يحتمل بالبطن وبالذراع والحجر .

والرضاع يثبت بالبينة أو بالاقرار ، ولا توجه فيه اليمين عند أبى حنيفة ، وتوجه عند الصاحبين .

* * *

والمحرمات تحريما مؤقتا هن اللاتى كان سبب التحريم فيهن أمرا يقبل الزول فيزال التحريم بزواله ، والتحريم على التأقيت يكون فى سبع أحوال وهى :

الجمع بين المحارم .

المطلقة ثلاثا على مطلقها حتى تتزوج زوجا غيره ، ويدخل بها ، ثم يطلقها وتنتهى عدتها .

زواج خامسة ، وعنده أربع فى عصمته ، ولو حكما .

تزوج الأمة ، وعنده حرة .

زوجة غيره ، والمعتدة من غيره .

والملاعنة ممن لاعنها ، حتى يكذب نفسه .

من لا يدين بدين سماوى .

* * *

---

(١) ابو يوسف ومحمد تلميذا أبى حنيفة ، رحم الله الجميع .

(٢) البقرة : ٢٣٣ (٣) الأحقاف : ١٥

فلاحظ كل هذه الأحكام[1] التى خلاصتها اجمالا أنه :

تحرم عليك أمك وجداتك ، وبناتك وبناتهن ، وأخواتك وبناتهن ، وبنات أخيك وبناتهن ، وعماتك وخالاتك ، فان عقدت على واحدة من هؤلاء فالعقد باطل والنكاح زنا .

وتحرم عليك زوجة أبيك ، وزوجات أبنائك ، ووالدة زوجتك ولو لم تدخل بها ، وبنت زوجتك من رجل آخر بشرط دخولك على أمها ، فان لم تدخل بها أو ماتت بعد عقد العقد فالبنت حلال لك ، وتحرم عليك عمة زوجتك وخالتها وأختها وبنت أخيها وبنت أختها ما دامت الزوجة فى عصمتك ، وهى حرمة مؤقتة فلا يحل لك النظر الى واحدة منهن .

واذا علمت أن امرأة قد أرضعتك قبل فطامك خمس مرات متفرقات فهى أمك من الرضاع وأولادها أخواتك ، وأمها جدتك وأختها خالتك وبنات أولادها بنات أخواتك ، وزوجها والدك وأخته عمتك ، وأولاده من امرأة أخرى أخواتك ، وهكذا فلا يحل لك أن تتزوج واحدة منهن ، ففى الحديث : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وهذا الحكم بالنسبة لك وحدك لأنك أنت الذى تغذيت باللبن ، أما أخوك وأختك فيباح لهما الزواج من هؤلاء .

واحذر أن ترضع امرأة أجنبية ولدك[2] الا بعد أن تدون اسمها وأسماء أقاربها الذين يرتبطون بالرضيع حتى لا تختلط الأنساب ، وحتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير الذى وقع فيه كثير من الناس بسبب اهمالهم وجهلهم بهذه الأحكام حتى أصبح الرجل يتزوج أخته أو عمته من الرضاع ويعيش معها فى سفاح وهو لا يشعر .

وليس للأقارب من الرضاع حق فى الميراث ، واذا كنت قد علمت أن أقل من خمس رضعات لا يحرم الزواج ، فالأسلم البعد ولو عن أقل من ذلك ، ففى هذا الموضوع خلاف كبير[3] .

ويحرم على المسلم أن يتزوج المشركة لأنها لا تؤمن باليوم الآخر وتباح له اليهودية والنصرانية لأنهما أهل كتاب ويستطيع الرجل المسلم

---

(١) اذا أردت الوقوف على كل هـذا بالتفصيل فارجع الى « الأحوال الشخصية » لأبى زهرة ص ٨٨ ، لأن ما قرأته يعتبر تلخيصا لهذه الأحكام .

(٢) أى بعد أن تصير أبا ان شاء الله .

(٣) كما عرفت سابقا .

بحسن معاملته لها وبحكم أنه صاحب السلطان عليها أن يرغبها فى الاسلام فتعتنقه ، فان بقيت على دينها تحرم من ميراث زوجها بعد وفاته ، وكذلك لا يرثها زوجها ولا أولادها منه لأن الأولاد على دين أبيهـم .

ولا تخطب امرأة سبقك بخطبتها مسلم ولو كان فاسقا حتى يتركها ، فان خالفت فالزواج صحيح وعليك الاثم .

ولا تتزوج الزانية ما لم تتب من ذنبها ويظهر منها ما يبرهن على صدقها فى توبتها ، والا فانها ستجلب لك العار وتجعلك ديوثا يسمع المنكر فى أهله ويقرهم عليه ، وان كان عقد الزواج بها صحيحا .

ويحرم عليك أن تخطب امرأة فى عدتها ، والعدة للمطلقة ثلاث حيضات أو وضع الحمل ، وأربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل : لمن مات عنها زوجها ، وتشتد الحرمة اذا خطبت معتدة للمطلقة الأولى أو الثانية لأن زوجها الأول أحق بردها فى عدتها ، فان خالفت وتزوجتها فى هذه المدة فأنت آثم والزواج باطل .

ويبـاح التعريض (أى التلميح) بالخطبة فى العـدة لمن مات زوجها أو طلقت ثلاثا كأن تقول لها أو لوليها : « أريد الزواج وأرجو أن ييسر الله لى زوجة صالحة » أو « اذا مضت العدة فعرفونى » وهكذا ، وحكمة اباحة التعريض وحرمة التصريح لئلا تكذب المرأة فى انقضاء العدة عند تحقيق الرغبة .

ومن أشنع المنكرات زواج امرأة وهى فى عصمة رجل آخر وذلك هو أفظع أنواع الزنا ، والعقد باطل .

ومن سعى فى افساد امرأة على زوجها ليطلقها ثم يتزوجها فانه فاسق مطرود من رحمة الله ، وعقد الزواج بها صحيح .

واذا أردت الزواج فتخير زوجة صالحة من بيت طيب فالولد ينزع الى أصل أمه ، وذات الدين يحفظها دينها من الوقوع فى الفحشاء والمنكر ، ويحملها على أداء حقوقك والمحافظة على مالك وشرفك ولا تجعل كل همك فى اختيارها من أجل غناها أو جمالها أو حسبها ، ولكن ركز على ذات الدين حتى يبارك الله لك فيها ويبارك لها فيك كما ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته سابقا .

وقد ورد أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أراد الزواج فعرض عليه أختان احداهما فى غاية الجمال ، والثانية عوراء ولكنها أعقل من الأولى ، فقال : زوجونى العوراء ، فليس هناك شىء أرجح فى ميزان المرأة من كمال عقلها •

وفى الحديث : « ••• ولأمة سوداء ذات دين أفضل » ومن وصايا لقمان لولده : « اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل وقت المشيب » •

والبكر أفضل من الثيب ، وكذلك تخير الولود ، ويعرف ذلك بالنظر الى حال أمها وأخواتها وأقاربها •

واذا تخيرت الزوجة فاستشر فيها مؤمنا تقيا يخلص لك النصيحة ، فان وافقك عليها فاستخر ربك ، وذلك بأن تصلى ركعتين فى غير أوقات الكراهة بنية صلاة الاستخارة ، ثم بعد الفراغ من الصلاة تقول داعيا ربك : « اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن زواجى بفلانة بنت فلان خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وآجله ، فقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن زواجى بها شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » • وانظر بعد ذلك فان وجدت انشراحا فى صدرك فاعلم أن زواجك بها خير وأقدم على خطبتها ، وان وجدت انقباضا فاعلم أن زواجك بها شر وابحث عن غيرها ، فان لم تجد شيئا فكرر الصلاة والدعاء الى سبع مرات وستجد الخير ان شاء الله واحرص على ذلك ففى الحديث : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » •

واحذر الذهاب الى المنجمين وغيرهم لحساب النجم والموافقة ، وغير ذلك كما يفعل الجهلاء والسفهاء ، لأن ذلك حرام لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » ــ صلى الله عليه وسلم •

واذا اخترت الزوجة فاخطبها من ولي أمرها ، وعليه أن يرجىء الأمر حتى يستشيرها ويعلم ارادتها فذلك أدعى لهناءة حياتها وأرجى لدوام الألفة بينها وبين قرينها ، وليس لأحد أن ينفــرد بتزويجها لمن يشاء دون رضاها الا اذا كانت صغيرة لا تدرك اختيار من يصلح لها ، وصمت البكر اذن منها بالزواج •

ومن السنة أن تنظر الى وجهها وكفيها ، فذلك أدعى لدوام العشرة بينكما ، فان وافقتك والا فاكتم ما رأيت منها ، ولا تتحدث بشىء من عيوبها ، فان لم يتيسر لك النظر اليها فأرسل امرأة تثق بها لتتأملها وتشم فمها ثم تصفها لك ، ولا بأس من أن تقدم هدية لخطيبتك اذا كانت حالتك تساعدك على ذلك فى حدود طاقتك وميزانيتك .

وعلى والد المرأة أو من يتولى أمرها أن يلاحظ أن الرجل التقى ولو كان فقيرا أفضل بكثير من غيره من الرجال الذين لا أخلاق لهم حتى ولو كانوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وقد تزوج بلال ، وهو العبد الحبشى ، أخت عبد الرحمن بن عوف وهو الغنى القرشى ، ورضى الله عن سعيد بن المسيب فقد رفض أن يزوج ابنته لأمير من الأمراء وزوجها لفقير تقى لا يملك من الحياة غير درهمين دفعهما مهرا لابنته ، وما هى الا ساعات معدودة وبنت ابن المسيب فى بيت زوجها تقول له : « اجلس أعلمك علم سعيد » .

والرجل العاقل هو الذى يتذكر أن ابنته أمانة عنده فيختار لها زوجا له دين قويم ، وخلق كريم ، لأن الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية .

فمن وضع كريمته عند فاسق حبا فى جاهه أو طمعا فى ماله فقد جنى عليها وسيسأله الله عنها .

ولقد قال رجل للحسن البصرى رحمه الله : جاءنى ناس كثيرون يخطبون ابنتى ، فأيهم أزوجها له ؟ فقال : زوجها التقى فانه ان أحبها أكرمها ، وان كرهها لم يظلمها .

ولا عيب فى أن يعرض الرجل ابنته على أهل التقوى والصلاح للتزوج ، فقد عرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان عليهما رضوان الله ، ثم عرضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ، وذلك من تمام بره بها واحسانه اليها .

مع ملاحظة أن المرأة انسان كامل لا حق لأحد عليها فى اكراهها على مالا تحب وترضى كما كان يحدث قبل الاسلام ، فلقد كانت المرأة فى الجاهلية وضيعة الشأن لا رأى لها ولا ارادة ، وكان لوليها أن يزوجها

بمن يشاء أو يحرمها من الزواج طول حياتها ، فجاء الاسلام وفك عنها قيود العبودية وأعطاها قسط الحرية .

* * *

وأما عن المهر فهو واجب على الزوج لزوجته ، ولو كان حفنة من قمح ، ومن يمن المرأة قلة مهرها وتسهيل أمرها ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة رضى الله عنها على مهر قيمته ما يوازى جنيها مصريا ، وتزوج السيدة أم سلمة رضى الله عنها على مهر قدره ٢٢ قرشا صاغا ونصف قرش ، وأثاث بيت عبارة عن رحى يد وجرة ووسادة (مخدة) حشوها ليف ، وزوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى من هى فى الفضل والشرف لعلى بن أبى طالب ، على درع (قميص حرب) وكان أثاث بيتها هينا لا عناء فيه ، فقد قالت أم سلمة والسيدة عائشة رضى الله عنهما : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على على ، فعمدنا الى بيته ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين (مخدتين) ليفا فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا تمرا وزبيبا وسقينا ماء عذبا ، وعمدنا الى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء[1] ، فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة » .

فهذه صورة من الزواج النبوى تبين لك أن سعادة المرأة فى الرضا باليسير من المهر ، وأن أول شؤمها أن يكثر صداقها ، وأن يتشدد فى طلبات نفقاتها ، والمهر جميعه حق للزوجة وحدها ، فليس لزوجها ولا لأحد من أقاربها حق فيه ، ولا تكلف بشراء جهاز العروس منه فان فعلت فالجهاز ملك لها ، ومن تزوجت ولم يقدر لها مهر فلها عند زوجها مهر أمثالها من النساء ، وينبغى أن يدفع لليتيمة مهر أمثالها ، ولا ينتهز فرصة يتمها فيبخس حقها ، ومن خطب امرأة فقدم اليها هدية (كالشبكة) ثم عدل عن خطبته فليس له أن يطالب بهديته ، ففى الحديث الشريف : « العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه » وان سلمت اليه بغير طلبه فله قبولها ، ومن طلقها زوجها قبل أن يدخل بها وجب عليه أن يدفع لها نصف جميع المهر مقدمه ومؤخره ، ان كان قد حدد لها مهرا ،

---

(١) السقاء : اى قربة المـاء .

أما اذا كان لم يحدد أى شىء فليس لها عنده الا نفقة تقدر بحسب حالته ، لقول الله تبارك وتعالى : « **ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين** »[1] ومن طلق امرأة بعد دخوله عليها ، أو مات عنها ، ولو لم يدخل بها ، فجميع المهر حق شرعى لها •

واذا كان الناس قد اعتادوا أن يجعلوا المهر بعضه مقدما والباقى مؤخرا الى أقرب الأجلين : موت أو طلاق ، ويقولون بأن المؤخر ينفع المرأة عند موت زوجها أو طلاقها منه ، فهذا منابذ للسنة ، والأفضل لمن وجد سعة أن يعجل بدفع جميع المهر لأن المؤخر دين فى عنق الزوج لزوجته يجب سداده ، وللمرأة عند طلاقها أو موت زوجها رب يتولى أمرها ويدبر شأنها فهو القائل سبحانه : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته** »[2] •

وان تنازلت المرأة عن شىء من مهرها لزوجها بغير حياء منه ولا تحت ضغط أو تأثير فهو حلال له ، لقول الله تعالى : « **فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** »[3] •

* * *

ولا زواج الا بعقد يتكون مجلسه من ولى أمر الزوجة والزوج أو وكيله وشاهدين ، ولا يحل للمرأة أن تزوج نفسها بل لابد أن يتولى زواجها رجل من أقاربها ، وأحق الناس بالولاية عليها أقربهم اليها ، فأبوها مقدم على ابنها ، وابنها مقدم على أخيها ، وأخوها مقدم على غيره وهكذا ، ولا يجوز للقريب البعيد أن يتولى العقد عند وجود القريب الأقرب الا باذنه ، ولا يجوز لأحد من أقاربها أن يزوجها بغير توكيل منها ، فان فعل فالزواج باطل ولابد من الاعادة ، ولا يشترط الاشهاد على أنها وكلت فلانا فى زواجها ، وان لم يكن لها أقارب بالكلية أو كان لها ولكنهم يريدون الانتقام منها بعدم زواجها لأمر ما ، مع وجود الكفء ، أو كانوا جميعا فى غيبة طويلة ، فلها أن توكل عنها قاضيا من قضاة المحاكم الشرعية لأنه النائب عن السلطان ، ولا توكل أحدا غير ، والا فالزواج باطل •

---

(١) البقرة : ٢٣٦
(٢) النساء : ١٣٠
(٣) النساء : ٤

وللزوج أن يوكل عنه فى عقد الزواج من يشاء ولو كان الوكيل عنه هو الوكيل عن الزوجة •

أما الشاهدان فلابد أن يكونا رجلين مسلمين وعلى جانب من التقوى والاستقامة ، ومتى اجتمع هؤلاء وقال ولى الزوجة للزوج : « زوجتك موكلتى فلانة » وقال الزوج : « قبلت زواجها » فقد تم عقد الزواج ، ويسن أن يخطب الزوج أو رجل من أهل الفضل خطبة قبل العقد ، وهذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : « الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا** »[1] « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون** »[2] « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** »[3] •

ويسن ذكر المهر عند العقد ، فان لم يذكر فالعقد صحيح •

ويستحب دعوة الأقارب والجيران والأصدقاء لشهود هذا العقد ، وتوزيع التمر أو مافى معناه كالشربات والحلوى عليهم مع عدم التكليف وارهاق أحد الجانبين ، لأن هذا يعتبر تبذيرا له آثاره السيئة بعد الزواج ، الى جانب أنه مخالفة للسنة •

* * *

واذا تم عقد الزواج على هذا النحو الذى وقفت عليه ينبغى التعجيل بالزفاف ما لم تكن الزوجة صغيرة فينتظر حتى ينمو بدنها •

وعليها أن تزين نفسها ليلة زفافها مع البعد عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والفالجة والمتفلجة »

---

(١) النساء : ١ (٢) آل عمران : ١٠٢
(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

أما المستوصلة فهى التى تصل شعرها بشعر العيرة أو بصوف أو قماش ، والواصلة هى التى تفعل لها ذلك ، وأما الوشم ، فهو المعروف بالدق الأخضر ، وهو حرام على الرجال والنساء ، ومن فعله فى الصغر ولم يستطع ازالته فى الكبر فلا شىء عليه ، ومن استعمله بدون لون لمرض فلا شىء عليه •

والنامصة : هى التى تزيل بعض الشعر من حواجب النساء •
والمتنمصة : هى التى يفعل بها ذلك •
والمتفلجة : هى التى تبرد أسنانها لتكون رفيعة مستوية •
والفالجة : هى التى تفعل لها ذلك •

فالواجب على المسلمة البعد عن كل ذلك كما يجب البعد عن صبغ الشعر بالسواد أو قص شىء منه الا لضرورة كمرض ، وعن تغيير الوجه بالبودرة وأنواع المساحيق (التواليت) •

وتمنع كذلك من الذهاب الى (الكوافير) كما يحدث فى هذا الزمان المريض ، لأنها هناك ستجلس بين يدى أجنبى عنها لا يحل له أن يخلو بها ولا يحل لها أن تخلو به ، لكى يمشط لها شعرها ويجمل وجهها ••• الخ ، وهذا كله حرام ، وكل راض عنه مشترك فى الاثم •

وعند استحمامها لا تكشف من سرتها الى ركبتيها أمام أى امرأة ولو كانت أمها •

وعند ذهابها الى بيت زوجها تكون متسترة ، وتتخير أقرب الطرق الموصلة اليه ، فاما أن تركب واما أن تمشى فى وسط جملة من النساء المحتشمات •

وحسبك وحسبها أن تستمعا الى عائشة رضى الله عنها وهى تقول متحدثة عن يوم زفافها فى حديث ما معناه : « تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست ودخل على وأنا بنت تسع ، استيقظت من نومى وخرجت ألعب مع صويحباتى على مرجيحة واذا بأمى تنادينى فجئتها مسرعة ونفسى يتتابع فمسحت وجهى ثم دخلت البيت فوجدت جملة من النساء يقلن لى : على الخير والبركة ، ثم غسلن رأسى وأصلحن أمرى ، وألبسننى أحسن ثيابى وذهبن بى وأنا فى وسطهن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلننى عليه وشربن لبنا ثم تركننى ورجعن الى بيوتهن ، وكان ذلك نهارا ضحى ، فى شوال » •

فاذا جاءتك زوجتك ودخلت عليها فحيها بتحية الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وضع يدك على جبهتها وقل :

« اللهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » •

واياك اياك : أن تزيل البكارة بالاصبع ، فهذا منكر ليس من الدين •

* * *

وقد رأيت ، والشىء بالشىء يذكر ، أن أشير الى هذه المنكرات التى تحدث فى الأفراح والتى منها :

ما يكون عند الخطوبة والعقـد : وذلك باستبدال رؤية المخطوبة بتقديم صورتها الشمسية الى من جاء يخطبها وعدم سماح أهلها له برؤيتها ، ويظنون ذلك من تمام الغيرة أو الشهامة ، وهو جهل مركب نعوذ بالله منه فقد أباحوا لها بأن تكون متهتكة أمام المصور وحلاق الكوافير ، وربما كانا كافرين ، وأنفت نفوسهم أن يراها المسلم ليطمئن على رفيقة حياته •

ومن أشنع المنكرات : اختلاط من يريد الزواج بمن يخطبها بحجة اختبار أخلاقها ، وكثيرا ما نتج عن ذلك أسوأ العواقب •

وقراءة الفاتحة عند قبول الخطبة عادة لا أصل لها ولا يترتب عليها أمر شرعى ، فاذا عدل أحد الزوجين عن تنفيذ الزواج لم يكن ذلك رجوعا فى العقد بل خلفا للوعد •

ومن المحرمات : لبس الزوج دبلة من الذهب لتكون رمزا للخطوبة كما هو شائع الآن ، لأن الذهب حرام على الرجال •

ومن المنكرات : ذهاب رجلين من الأجانب الى الزوجة وقت عقد الزواج ليشهدا بأنها وكلت فلانا فى زواجها •

ووضع الوكيل عن الزوجة يده فى يد الزوج والقاء (منديل) عليهما عند اجراء صيغة العقد ، عادة لا أصل لها •

وارهاق الزوج بنفقات لا يقدر عليها ليس من شأن المؤمنين •

وكذلك تقديم العرائس والجمال من الحلوى فى المواسم والأعياد للزوجة حرام لأنها من التماثيل المنهى عنها •

وما يحدث كذلك قبل الزفاف من العادات السيئة : مثل نقل الجهاز الى بيت الزوج على عدد كثير من العربات ، وربما تكون عربة واحدة كافية فى نقله •

ومن المنكرات : شراء تماثيل لتكون فى حجرة الجلوس أو غيرها ، والتماثيل حرام ولو كانت على مقابض الدواليب وأمثالها ، وكذلك الفوط والبشاكير والستائر والخداديات ، وغير ذلك مما فيه صور على هيئة آدمى أو حيوان ، فهى من المنهيات .

وكذلك جلوس الرجل على (الكراسى) المكسوة بالحرير والتحافه بما فيه حرير ، فهو من المحرمات ، فانه كما يحرم لبس الحرير على الرجال فكذلك يحرم عليهم استعماله .

ويحرم شراء الأوانى والملاعق والمقابض الفضية والذهبية ، ففى الحديث : « ان الذى يأكل فى آنية الذهب والفضة أو يشرب فى صحافها ، انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » .

ومن أشنع المنكرات : دخول أصدقاء الزوج ، أو بعض الحلاقين عليه أثناء استحمامه ليلة زفافه واطلاعهم على عورته ، واستحضار راقصات ، أو مغنيات يعلمن الناس الفسق والفجور ، أو فرقة مضحكة لاحياء ليلة الحناء فى بيت الزوج والزوجة بما يغضب جبار الأرض والسماء ، ووضع الحناء فى يدى الرجل أو رجليه حرام ، فهى حلية النساء ، ولا تجوز للرجل الا للضرورة كمرض ، على ألا يتجاوز موضع الألم .

وفض البكارة بالاصبع عادة وحشية منكرة ، وجناية على الصحة قد يترتب عنها للزوجة العقم والرهقان ، هذا بالاضافة الى أنه حرام بلا خلاف .

ومن البدع المنكرة أيضا : الطواف حول القرية بقميص العروس ملوثا بدم البكارة ، بل دم الجناية على هذا العضو الرقيق من ذلك الوحش الذى لا يراقب الله تعالى فى هذه المسكينة فى أحرج الأوقات .

ومن منكرات الأفراح أيضا : زغردة النساء والموسيقى والرقص والغناء .

وحسبك زجرا لك وحتى لا تقع فى هذه المنكرات أو تشارك فيها أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين** »[١]

---

(١) لقمان : ٦

فقد فسر ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لهو الحديث بأنه الغناء ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت المـاء الزرع » وجاء عنه أيضـا : « الغناء رقية ــ مقدمة ــ الزنا ، ما عاناه صبى الا فسد ، ولا امرأة الا بغت[1] ، ولا شاب الا وقع فى محظور » .

كما روى الترمذى بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نعمة : لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عنـد مصيبة : خمش وجوه وشق جيوب ورنة » ففى الحديث يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الغناء بأنه صوت أحمق ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ، بل سماه من مزامير الشيطان ، وهذا الحديث نص فى حرمة زغردة النساء ، فما الزغردة الا رنة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى معلم أولاده :

« ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فانه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على المـاء » .

وروى البخارى عن أبى مالك الأشجعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر ــ الزنا ــ والحرير ، والخمر ، والمعازف » والمعازف : اسم لآلات اللهو والطرب . وحسبك ذما لها أن يذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى معرض الذم مقرونة بالخمر والزنا .

وروى ابن ماجه فى سننه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا اتخذ الفىء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ،

---

(١) أى : زنت .

وتعلم العلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات (المغنيات) والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا ، وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع » .

ورحم الله الشافعى رضى الله عنه فلقد قال : « من داوم على سماع الأغانى ردت شهادته ، وبطلت عدالته ، ومن جمع الناس على مغنية فهو ديوث » .

* * *

فهذه أخا الاسلام بعض الأدلة التى تبرهن على أن الأغانى وآلات اللهو وزغاريد النساء المتفشية فى زماننا ، والتى تذاع على الناس فى كل صباح ومساء ، ومن الرجال والنساء فى الأفراح وغيرها ، منكرات ، من استمع اليها فقد عرض نفسه لسخط الله ، وليس له يوم القيامة الا الرصاص المذاب يصب فى أذنيه .

ورضى الله عن ابن عمر — رضى الله عنهما — فقد مر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصابعه فى أذنيه وأسرع فى مشيته ، فقيل له : تفعل ذلك وهى زمارة راع ؟! فقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

واذا كان قد ورد فى السنة النبوية اباحة الضرب بالدف[١] والأغانى التى لا خنوثة فيها ولا تثير شهوة الرجال فى الأفراح والأعياد .

فقد كان هذا القدر الذى أبيح لقوم فى قلوبهم ايمان ، وفى نفوسهم طهر وعفاف .

كما كان هذا النوع من الغناء يحارب المنكر فى عباراته ويوجه النفوس الى مكارم الأخلاق ، من هذه الأغانى :

نحن جوار من بنى النجار   يا حبذا محمد من جار

* * *

---

(١) وهو الطار الذى لا جلاجل فيه .

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيـــونا نحييـــكم
ولولا الحبـــة الســـوداء ما سمنت عـــــذاريكم
ولولا الـــذهب الأحمـــر ما حلت بواديـــكم

* * *

وها هي الربيع بنت معوذ تقول : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرسى وعندى جوار يغنين ويندبن آبائى الذين قتلوا ببدر » . فانظر الى قولها : يندبن آبائى ، أى يعددن محاسن آبائها لتعلم أن أغانيهم كانت دعوة للتحلى بمكارم الأخلاق ، خالية من الخلاعة والميوعة ، بعيدة عن كل ما يثير شهوة الرجال ، بخلاف أغانينا العصرية التى أغلبها يدعو الى الفسق والخنوثة والخلاعة وفساد الأخلاق .

وفى هذا يقول امامنا السبكى عليه رحمة الله فى كتابه « المقامات العلية » متحدثا عن المجون الذى قد يحدث غالبا فى الأفراح :

ويحضرون غادة النســـاء والمومســـات بغية الشقاء
يرقصن عند ساحة الغنـــاء للفـــاسقين مرتع البـــلاء
من للخنا بأمهم يميلوا

وأحضروا لتفـــرح النســـاء آلات لهـــو كلهـــا بلاء
وزغـــردوا لتفضـــح الآباء وطبـــلوا لتكثر الغـــوغاء
ويختلى بالغـــادة الخليل

ويزعمـــون أنهم أقامـــوا أفراحهم وعزهم أدامـــوا
وأنهـــم لحـــزنهم أنامـــوا وأنهم على الهـــدى استقاموا
وهم على النيران قد أحيلوا

وان رأوا من يصنع الأفراحا طبقا لشرع من أتى مصباحا
المصطفى من زين الاصـــباحا قالوا جميعا أخطـــأ الاصلاحا
وقرروا أن الفتى ثقيل

* * *

ومن منكرات الأفراح : اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات والنظر اليهن ، وذهاب أقارب الزوج والزوجة صبيحة زفافهما للمصافحة ودفع مبلغ من المـــال[١] ، وفيهم من لا يحل له النظـــر الى الزوجة ،

---

(١) وهو ما يسمى (بالنقطة) التى تعتبر دينا فى ذمة الزوج ، وقد يطلب منه فى وقت لا يملك فيه شيئا ، وهذا بالطبع ليس محمودا ، أما اذا كان هذا المـــال هدية فلا بأس ، ما دام لن يرد بعد هذا .

وهى فى ذلك الوقت فتنة للناظرين ، وهذا منكر لا يرضى به الا كل من فقد رجولته •

ومن المنكرات أيضا : اختلاط المرأة بأقارب زوجها كأخيه وابن أخيه وأقاربها كأولاد عمها وأولاد أخوالها وأولاد عمتها ، وزوج أختها ، وأولاد جيرانها ، والسقاء ، واللبان ، وبائع الفواكه ، والخضروات ، وقد تظهر أمامهم فى ثيابها الرقيقة أو القصيرة وربما تكون كاشفة صدرها ورأسها وذراعيها ، حتى نما الشر وانتشر الفساد •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام بعد زواجك واعلم أن زوجتك من يوم مجيئها عندك تعتبر أمانة فى عنقك حتى لا يختلط بها أحد ، حتى ولو كان أخوك ، ففى الحديث الشريف : « الحمو الموت » والحمو : هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه •

ولقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مخالطته للزوجة بالموت لأنه قد يستخدم صلته بالزوج فى تنفيذ مآربه الدنيئة ولا يساء به الظن •

* * *

واعلم : أنه لا يحل لرجل أن ينظر الى امرأة الا اذا كان محرما لها ، والمحارم هم : أبوها ، وجدها ، وابنها ، وأخوها ، وعمها ، وخالها ، وابن أخيها وأولاده ، وابن أختها وأولاده ، وابن زوجها ، ووالد زوجها ، وزوج ابنتها ، وزوج أمها ، فهؤلاء هم محرمها الذين يباح لهم النظر اليها والاختلاط بها والسفر معها •

* * *

وحتى تدرك خطورة النظر الى المرأة الأجنبية والخلوة بها اليك :

قول الله تبارك وتعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن »**(١) •

وقوله : **« واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن »**(٢) •

وقوله : **« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »**(٣) •

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١
(٢) الأحزاب : ٥٣
(٣) الاسراء : ٣٦

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى :

« يا على .. لا تتبع النظرة النظرة ، فانما لك الأولى وليست لك الآخرة »[١] .

وقوله : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[٢] .

وقوله : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : « الحم الموت »[٣] .

والحم كما عرفت سابقا هو : قريب الزوج كأبيه وأخيه وعمه ، فاذا كان قريب الزوج موتا وهلاكا للمرأة فكيف بالأجنبى ؟

وقوله : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط[٤] من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[٥] .

* * *

واعلم أنه من السنة :

اذا تزوجت البكر على غيرها أن تقيم عندها سبعة أيام ، واذا تزوجت الثيب تقيم عندها ثلاثا :

وهذا لا يمنعك من أداء الصلاة مع الجماعة فى المسجد .

وأن نهنئك بالدعاء الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » .

وأن تصنع وليمة بقدر مايتيسر لك فى اليوم التالى لدخولك ، ويجوز تأخيرها الى سبعة أيام ، فهى بركة على الزوجين وشكر لله على نعمة الزواج وما ينفق فيها يخلفه الله ، ويجوز فعلها بعد الزواج والأفضل أن تكون بعد الدخول ، وتدعو اليهـا الأصدقاء والفقراء[٦] والأقرباء ولا تتكلف لها فوق طاقتك ، فقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بلحم وثريد ، وأخرى بتوزيع اللبن ، وثالثة بتمر وطعام آخر ، ويستحب للقادر ألا يقيمها على أقل من شاة .

---

(١) رواه أبو داوود . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) كالابرة والمسلة .
(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .
(٦) بصفة خاصة فهم أولى من غيرهم وأحق .

والوليمة التى يدعى اليهـا الأصدقاء والأغنياء دون الفقراء ، أو التى يكون فيها طيب الطعام للأغنياء والفضلات للفقراء ، تعتبر شرا ووبالا على صاحبها .

ومن دعى لوليمة عرس يجب عليه شرعا تلبية الدعوة ولو كان صائما ، وهو مخير بين الدعاء بالبركة أو الافطـار ان كان الصوم نفلا وتألم الداعى بامتناعه عن الأكل ، ولا يجوز التخلف عن هذه الدعوة الا لأعذار قهرية ومنها وجود معاص هناك ، فقد دعى رسـول الله صلى الله عليه وسلم الى وليمة فذهب ، ولمـا رأى فى البيت تصاوير رجع ولم يدخل .

فان ذهبت فلابد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فان استمع لقولك فاجلس ، والا فاترك المكان .

* * *

وحتى لا تسرف فى اعداد وليمة العرس وتقدم ما فى استطاعتك دون حياء ، اليك هاتين الصورتين :

عن أسماء بنت عميس قالت : « كنت صاحبة عائشة رضى الله عنها فى الليلة التى هيأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة .

قالت : فوالله ما وجدنا عنده من قرى الا قدحا من اللبن نال منه الرسول ، ثم ناوله عائشة ــ قالت أسماء ــ فاستحيت الجارية ــ تعنى عائشة ــ قالت : فقلت : لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه .. فأخذته منه على حياء ، فشربت منه ، ثم قال : ناولى صواحبك . فقلت : لا نشتهيه !!

فقال : لا تجمعن جوعا وكذبا .

قالت أسماء : فقلت : يا رسول الله .. ان قالت احدانا لشىء تشتهيه لا أشتهيه ، أيعد ذلك كذبا ؟ فقال : « ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة » .

ولمـا عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة ابنته كان الطعام الذى أحضره النبى صلى الله عليه وسلم للمدعوين طبقا من بسر[1] .

---

(١) المراد تمر .

ففى الحديث : « وان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة ، ان رضى بذلك على •
ثم دعا بطبق من بسر ، ثم قال : انتهبوا !! فانتهبنا » •

فكهذا تزوجت امرأة نبى وابنة نبى ! فى أحفال لا كلفة فيها ولا مغـــارم •

فلاحظ هذا ، واعلم أن البساطة سنة الاسلام فى كل شىء •

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : نهينا عن التكلف •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا هلك المتنطعون » ثلاث مرات •

والتنطع هو مجانبة الفطرة بالمزيد من التكلف والاستقصاء •

وروى عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة عليهم جميعا رضوان الله : « أنهم كانوا يقدمون لاخوانهم ما حضر ، من الكسر اليابسة وحشف التمر • ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وزرا ؟ الذى يحتقر ما قدم اليه ، أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه » ؟

فلا تنس كل هذا حتى تكون موفقا فى زواجك •

* * *

وحتى تدوم العشرة والألفة والمودة والمحبة ويدوم الصفاء الذى لا تشوبه شائبة بينك وبين زوجتك لابد وأن تعطيها حقوقها كما هى مطالبة باعطائك حقوقك •

* * *

أما حقوقها عليك :

أن تطعمها وتكسوها مما رزقك الله بلا تقتير أو اسراف كما قال الله تعـــالى : « **لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها** »(١) •

أن تسكنها فى وسط قوم صالحين لئلا تتأذى من معاشرة الأشرار والفجار •

أن تؤدى اليها ما بقى لها عندك من مهرها ــ مؤخر الصداق ــ فهو دين فى عنقك ملزم بأدائه لها •

---

(١) الطلاق : ٧

أن تعلمها أحكام دينها وتراقبها فى تنفيذها وخاصة الصلاة فى وقتها ، وحذرها من الشر حتى لا تقع فيه ، ومرها بالصبر عند نزول المصائب ، ولا تتركها ترتكب أعمال الجاهلية[١] فأنت المسئول عنها بين يدى الله عز وجل .

أن تفى لها بما وعدتها به قبل دخولك عليها ما لم يكن فى الوفاء اثم أو ضرر أو قطيعة رحم .

أن تعاشرها بالمعروف فتعاملها على أنها انسان مثلك لها عليك مثل الذى لك عليها ، فلاطفها وبالغ فى اكرامها ، وكلما دخلت عليها فحيها بتحية الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فافشاء السلام سبب لدوام المحبة ، واذكر أنها آخر ما وصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اتقوا الله فى الصلاة واتقوا الله فى النساء » .

ولا تدخل عليها الا بعد أن تطرق بابها حتى تتهيأ لاستقبالك بالصورة التى تحبها فربما كانت فى وضع أو فى صورة لا تسرك .

واعلم أنها خلقت من ضلع أعوج فالاعوجاج شأنها . فلا تؤاخذها على كل ما يصدر منها ما لم يكن متعلقا بأحكام الدين .

واذا ارتكبت ما يغضب الله فعظها وحذرها عاقبة أمرها ، وكرر الوعظ ، فان لم يفد فاهجرها فى البيت ، فبعض النساء يؤلمهن الهجر أكثر من الضرب ، فان لم يفد فاضربها ضربا غير مبرح ، واياك أن تكسر عظما أو تضرب الوجه فانه منهى عنه ، فان لم يفد كل ذلك فأرسل الى أقاربها عسى الله أن يوفق بينكما ، فان لم يرد الله وفاقا فلا تمسكها ضرارا لتعتدى عليها .

واياك والهجر بلا سبب ، والضرب بلا مبرر : فقد قال الله تعالى :

« فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا »[٢] .

وتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيته فى خدمة أهله : يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويحلب الشاة ، ويكنس البيت ، فتأس به ليرفعك الله مكانا عليا .

---

(١) كلطم الخدود وشق الجيوب ، وقولها : يا جملى ، او يا غزالى .. عند فقد عزيز .

(٢) النساء : ٣٤

وإذا أردت اتيانها[1] فلاعبها ومازحها ثم قل : « بسم الله : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » فانك ان قلت ذلك وقضى بينكما ولد فهو محفوظ من الشيطان .

وان أحببت أن تعود الى اتيانها مرة أخرى فيستحب الغسل بينهما أو الوضوء فذلك أنشط للأعضاء ، واتيان المرأة فى دبرها[2] من أشنع المنكرات وأكبر المحرمات ، وفاعل ذلك مطرود من رحمة الله ، ويحرم اتيانها مدة حيضها أو نفاسها ففى ذلك اثم كبير وضرر بليغ فقد قال الله تعـالى : « **ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** »[3] ويحرم على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها فى هذه المدة فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وان تغلبت عليك الشهوة فى هذه المدة وخفت الوقوع فى المنكر فلتستر المرأة ما بين سرتها وركبتها ثم تمتع بباقى بدنها .

ومن أكثر المحرمات أن تتحدث الى أصدقائك بما كان بينك وبين زوجتك أثناء الجماع .

فعن أبى معبد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه »[4] .

وفى رواية : « ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها »[5] .

* * *

وأما حقوقك عليها فمن أهمها : أن تطيعك ولا تعصيك :

فقد روى الحاكم من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، ولا تجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهى على ظهر قتب »[6] .

---

(١) أى جماعها .
(٢) أى من الخلف فى غير فرجها .
(٣) البقرة : ٢٢٢
(٤) رواه مسلم وأبو داوود .
(٥) رواه مسلم وأبو داوود .
(٦) الاكاف الصغير الذى يوضع على سنام البعير .

وأن لا تتخلف عنك لحظة واحدة اذا دعوتها لفراشك ما لم يكن هناك عذر شرعى كحيض أو نفاس ، والا فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دعا الرجل امرأته لفراشه فلم تأته فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح »[١] •

وألا تصوم نفلا الا بلذنك •

فعن أبى هريرة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم[٢] وزوجها شاهد الا باذنه ، ولا تأذن فى بيته الا باذنه »[٣] فربما احتجت اليها فى وسط النهار • فقد ورد فى الحديث : « ••• فاذا وقع بصر أحدكم فى الطريق على امرأة أعجبته فليرجع بيته وليأت زوجته فان البضع واحد » •

وأن تحافظ على مالك ولا تسرف فيه ، وتكون مدبرة ، ولا تعطى أحدا من مالك شيئا الا باذنك ، ولا تقدم طعاما لأحد أقاربها أو لسائل الا بعد وثوقها من رضاك •

وأن تحافظ على عرضك وعرض بناتك ، فلا تخرج الا باذنك ، ولا تطلب منك ذلك الا للضرورة القصوى على أن تكون فى غاية الأدب والاحتشام عند خروجها ، وألا تقف على باب أو تطل من نافذة ، فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله عنها : « يا فاطمة •• أى شىء خير للمرأة » ؟ قالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل • فضمها الى صدره وقال : « ذرية بعضها من بعض » •

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أسماء •• ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه[٤] •

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) المراد صوم النفل .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه ابو داوود وقال : هذا مرسل .

وحتى تكون واعظا لها ذكرها بهذه الأحاديث الثلاثة :

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل عين زانية ، والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا ــ يعنى زانية »[١] .

وروى النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى الصحيح ولفظهم : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية ، وكل عين زانية » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت[٢] المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[٣] .

وألا تدخل أحدا بيتك الا باذنك ، وأن تصون فراشك فلا يطؤه أحد غيرك :

فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ألا أدلك على خير ما يكنز الرجل ؟ امرأة صالحة .. ان نظر اليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

وحسبك أن تقرأ عليها قول الله تبارك وتعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن[٤] ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن[٥] أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة[٦] من الرجال أو الطفل**

---

(١) أى آخذة فى أسباب الزنا . رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) الابل الخراسانية . (٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) جمع جيب وهو للثوب الشق فى اعلاه .

(٥) أى أزواجهن .

(٦) الاربة : أى الحاجة الى النساء من الرجال . فأصحاب الحاجة الى النساء لا يصح لهم رؤية الزينة منهن .

الذين لم يظهــروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيهــا المؤمنون لعلكم تفلحون »(١) .

وليس معنى الآية الكريمة أن تبدى المرأة من الزينة لأبيهــا أو والد زوجها مثل ما تبديه لزوجها ، وانما المقصود أن تراعى المرأة فى ابداء الزينة لكل من هؤلاء ما يوافق الحياء والفطرة .

كما يلاحظ أن زوج الأخت لم يرد ذكره فى الآية مع أنه من المحارم ، والحكمة فى عدم السماح للمرأة بابداء زينتها أمامه أن تحريمه عليها تحريم وقتى ، ، أى يحرم عليه الجمع بينها وبين أختها وربما افتتن الرجل بزينة أخت زوجته فيكره امرأته ويطلقها ليتروج أختها ، أو يخادعها فيقع فى أغلظ الفــاحشة وهى نكاح المحارم ، وكذلك ليس معنى السماح للنساء برؤية الزوجة أن تنظر المرأة الى عورة المرأة فان هذا حرام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل الى الرجل فى الثوب الواحد ، ولا المرأة الى المرأة فى الثوب الواحد »(٢) .

أما الخدم والتابعون(٣) فيباح لهم رؤية زينة المرأة لأنهم من الطوافين عليهن بحكم عملهم ، ومن الضيق والحرج الذى رفعته الشريعة أن يحرم عليهم ذلك . فقــد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى ابنته فاطمة رضى الله عنها بعبد قد وهبه لها ، وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها ، واذا غطت به رجليها ، لم يبلغ رأسها . فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما تلقى ، قال : « انه ليس عليك بأس ، انما هو أبوك ، وغلامك »(٤) .

أى لا حرج عليك يا فاطمة ، فليس موجود يرى زينتك الا أنا ــ والدك ــ وكذلك خادمك .

---

(١) النور : ٣١

(٢) رواه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى .

(٣) التابع : هو الذى لا شهوة له ، وقيل : الأبله . وقيل : المخنث الذى لا ينتصب ، الا اذا كان فاسقا يصف أهل البيت للناس .

(٤) رواه ابو داوود .

وإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن فلا بأس بأن يدخل عليهن •

ولم يذكر الله جل شأنه ـ كذلك ـ العم والخال فى الآية ، وذلك لأنه لا يحل للمرأة أن تبدى زينتها لعمها وخالها •

قال عكرمة رضى الله عنه فى توضيح حكمة ذلك : لأنهما ينعتان لأبنائهما ، أى يصف جمال بنت أخته أو أخيه لأبنائه •

وعورة المرأة شرعا : هى جسمها خلاف الوجه والكفين على الرأى الراجح لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » ـ وأشار الى وجهه وكفيه ـ[1] •

ومع ذلك فالأفضل أن تغطى المرأة وجهها اذا خرجت من بيتها لأن الرجال فى هذا الزمان قد أصبحوا لا يغضون أبصارهم كما أمر الله جل شأنه ، بل ذهب الحياء ولم تؤمن الفتنة •

لا تأمنن على النساء ولو لأخ ما فى الرجال على النساء أمين
ان الشقيق ولو تنزه جهده لابد أن بنظـرة سـيخون

ولهذا يجب أن يكون الزوج غيورا ليحمى زوجته من الدنس ، ويوجهها الى ما يحفظ عليها شرفها ، فقد تكون المرأة فى ذاتها فاضلة شريفة أمينة ، وباهمال الزوج تتجرأ على الخنا ، والنساء ناقصات عقل ودين •

وليس معنى ذلك أن يشتط الزوج فى الغيرة حتى تنقلب الى شك قاتل وريبة مدمرة ، وانما يعتدل فى غيرته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الغيرة ما يحب الله ، وما يكره الله : فأما ما يحب الله فالغيرة فى الريبة ، وأما ما يكره الله فالغيرة فى غير ريبة »[2] •

وفى الحديث : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا ، الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر » قالوا : يا رسول الله •• أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : « الذى لا يبالى من دخل على أهله » قيل : فما الرجلة من النساء ؟ قال : « التى تتشبه الرجال »[3] •

---

(١) رواه أبو داوود . (٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه الطبرانى بسند قال الحافظ المنذرى : لا أعلم فيه مجروحا ، وله شواهد كثيرة .

وأن تقوم بتربية أولادك وغرس الآداب السامية فى نفوسهم وتعويدهم العمل بأحكام الدين والتحلى بمكارم الأخلاق ، وتكون لهم فى ذلك خير قدوة .

وأن تتجمل لك حتى لا تنظر الى غيرها ، ولا تكون من اللائى يتبذلن فى ثيابهن ما كن فى البيت فان خرجن فهن الكاسيات العاريات المـائلات المميلات ، وليكن فى مقدمة ما تعنى به خدمة بيتك ونظافة نفسها وأولادها وطعامها وفراشها فالنظافة من الايمان ، وهى نعم المسرة للانسان .

وأن تعاونك على فعل الخيرات : ففى الحديث الشريف : « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ليصلى فان أبى نضحت فى وجهه المـاء » .

وأن تعاونك على بر أبويك باحسانها اليهما ، وتحملها هفواتهما ، وألا تحملك مالا تطيق ولا ترهقك فى مطعم أو كسوة .

* * *

فلاحظ كل هذا اذا أردت أن تكون سعيدا فى حياتك الزوجية ، مع ملاحظة أنه قد يقوم الزوج بواجباته وتقوم الزوجة بواجباتها ولكن فى جفاء وجفاف ، يذهب حلاوة الحياة الزوجية ويجعلها كالسخرة البغيضة .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثال الرقة واللطف مع أزواجه ، يداعبهن ويدخل السرور عليهن ، تقول عائشة رضى الله عنها : « كان الحبش يلعبون بحرابهم ، فسترنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنظر فما زلت حتى كنت أنصرف ! فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو »[1] .

وتقول أيضا : « كنت ألعب بالبنات ــ لعب الأطفال ــ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، وكان لى صواحب يلعبن معى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن ــ يهربن ــ فيسربهن فيلعبن معى »[2] .

وكان صلى الله عليه وسلم فى غاية السماحة مع أزواجه ، فيصفح عنهن ويوسع صدره ، قال لعائشة : « انى لأعلم أن كنت عنى راضية ،

---

(١) رواه البخارى . (٢) متفق عليه .

واذا كنت على غضبى ! قالت فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما اذا كنت عنى راضية فانك تقولين : لا ورب محمد ، واذا كنت غضبى ، قلت : لا ورب ابراهيم ! قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك » .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نسائه فى مرضه ، فاجتمعن . فقال : « انى لا أستطيع أن أمر عليكن فان رأيتن أن تأذن لى فأكون عند عائشة فعلتن » فأذن له[1] .

فتمعن معى فى قوله اللطيف ــ صلى الله عليه وسلم : « فان رأيتن أن تأذن لى » يطلب الاذن منهن وهو رسول الله !!

وروت كتب السنة أن نساء رسول الله كن يراجعنه ــ يناقشن أوامره ــ وتهجره الواحدة منهن اليوم الى الليل[2] .

كما ورد فى كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ كان فى خدمة أهله ــ أى يساعدهم فى أعمال البيت .

فلا تنس كل هذا وطبقه حتى تكون زوجا مثاليا وحتى تستمر سعادتك طوال حياتك الزوجية .

* * *

وحتى تدوم المودة بينكما أرجو أن تلاحظ هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمــانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم »[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فاذا ذهبت تقيمه كسرته ، فان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء »[5] .

---

(١) رواه أبو داوود .
(٢) رواه الامام أحمد وغيره .
(٣) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

وهذه الأحاديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان عنده امرأتان فلم يعـــدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط »[(١)] .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل »[(٢)] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : « اللهم هــذا قسمى فيما أملك[(٣)] فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »[(٤)] يعنى القلب .

* * *

واذا حدث لا قدر الله أن استطاع الشيطان أن يفرق بينكما ووقع أبغض الحلال عند الله ، وهو الطلاق النهائى :

فاياك اياك أن تقع فى هذا الاثم الذى وقع ولا زال يقع فيه كثير من الجهلاء السفهاء وهو التحليل الذى قال فيه الشيخ ابن حجر الهيثمى فى كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ما ملخصه :

أخرج أحمد والنسائى وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن المحلل والمحلل له .

وروى ابن ماجه باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس[(٥)] المستعار » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : « هو المحلل .. لعن الله المحلل والمحلل له » .

وروى أبو اسحاق الجوزانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة لا نكاح دلة[(٦)] ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ، ثم تذوق العسيلة »

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .
(٢) رواه أبو داوود .
(٣) ما يملك : هو النفقة والمبيت ، ومالا يملك : هو المحبة .
(٤) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٥) الذكر من الظباء والمعز والوعل .
(٦) خديعة تدليس .

وأما عن تحريم الصحابة له :

فقد روى ابن المنذر وابن أبى شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضى الله عنه أنه قال :

لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما • فسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان •

وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، الا نكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحا[1] على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وسئل عن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها فأراد آخر أن يتزوجها ليحلها له ، فقال : كلاهما زان ، وان مكث عشرين سنة أو نحوها اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها •

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثا ثم ندم • فقال : هو عصى الله فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا •

وأما من حرمه من فقهاء التابعين :

فقد قال الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم منهم عمرو وابنه عثمان ، وهو قول الفقهاء من التابعين •

ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد •

وعن النخعى أنه قال : اذا كانت نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل ، فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول •

وعن ابن المسيب أنه قال : من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول لم تحل له •

وأما من حرمه من الأئمة :

فقد نقل ابن حجر التحريم عن الامام مالك والليث وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل •

ونقل عن أحمد أنه سئل عمن تزوج امرأة وفى نفسه أن يحلها للأول ولم تعلم هى بذلك • فقال : هو محلل ، واذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون •

---

(١) اى فجورا •

وقد أخذ المحرمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين والأئمة السابقين باطلاق الأحاديث السابقة •

وقال الامام الشافعى : ان التحريم محله اذا شرط التحليل فى طلب العقد[١] اهـ •

* * *

واذا لم تستطع الزواج ــ الذى يغض بصرك ، ويحصن فرجك[٢] ــ لعدم وجود الباءة التى هى مؤن النكاح[٣] •

فعليك بالصوم فانه لك وجاء :

أى وقاية لك من الوقوع فى جريمة الزنا الذى حرمه الله سبحانه وتعالى فقال : « **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** »[٤] •

كما نهاك الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوقوع فيه فقال موجها كلامه الى كل شاب : « يا شباب قريش •• احفظوا فروجكم لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة »[٥] •

وحتى لا تقع فى هذه الفاحشة كان لابد وأن تكون بعيدا عن جميع أسبابها ، وذلك : بغض البصر عن جميع المغريات الجنسية التى يزينها لك الشيطان الرجيم •

هذا بالاضافة الى ضرورة تجنبك لمشاهدة الأفلام الماجنة ، وغشيان المسارح الفاجرة ، وقراءة الروايات والكتب الخليعة ، والائتناس بأهل الميوعة والتحلل •

وتعمل على أن تكون بعيدا عن الفراغ الذى هو كذلك من أهم أسباب الفساد وفى ذلك يقول الشاعر :

ان الشباب والفراغ والجدة[٦] مفسدة للمرء أى مفسدة

وذلك بشغل نفسك ببعض الأنشطة الدينية ، والاجتماعية ، والرياضية ، والثقافية ، حتى ييسر الله لك طريق الزواج •

---

(١) كلام ابن حجر .

(٢) كما أشار الرسول ﷺ فى وصيته .

(٣) كما عرفت سابقا .

(٤) الاعراف : ٣٣

(٥) رواه الحاكم والبيهقى وقال : صحيح على شرطهما .

(٦) اى المال .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بالصيام فليس هذا معناه أن تصوم بصفة مستمرة حتى لا تقوى على العمل ، وانما المراد أن تصوم ولو يومين كل أسبوع ، كالاثنين والخميس فهما بالاضافة الى هذا الهدف المراد (وهو اضعاف الشهوة الجنسية) سنة ، وحتى يتضح لك هذا المعنى اليك هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمرو بن العـــاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل ، فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، صم وأفطر ، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر » • قلت : يا رسول الله •• ان لى قوة • قال : « فصم صوم داوود عليه السلام صم يوما ، وأفطر يوما » فكان يقول : يا ليتنى أخذت بالرخصة[1] •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس »[2] •

* * *

وأخـــيرا :

ولمـــا كان كثير من الأزواج والزوجات فضلا عن غيرهم وغيرهن من المسلمين والمسلمات ، يجهل غسل الجنابة وما يتعلق به من الأحكام •

فقد رأيت وفى ختام هذا الموضوع الحيوى واتماما للفائدة : أن أشير الى أحكام هذا الموضوع الهام الذى أمر الله تعالى به فى قوله : « ••• **وان كنتم جنبا فاطهروا** »[3] •

وحتى لا أطيل عليك فاليك :

الغســـــل

الغسل بالفتح ، مصدر غسلَ • وبالضم اسم مصدر لاغتسلَ ؛ وهو تعميم الجسد بالمـــاء ، وبالكسر اسم لمـــا يغسلَ به من صابون

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

(٢) رواه النسائى وابن ماجه وقال : حسن غريب •

(٣) المـــائدة : ٦

وأشنان[١] ونحوهما • وهو لغة : الاسالة • وشرعا : ايصال المـاء الى الجسد ، ودليله ــ كما قرأت سابقا ــ قول الله تعالى :

« وان كنتم جنبا فاطهروا » •

* * *

موجبـات الغسـل

أولا : خروج المنى وبروزه من حشفة الرجل الى فرج المرأة الظاهر ولو حكما لمحتلم رأى بللا ولم يدرك الشهوة • لقول عائشة رضى الله عنها : « المنى : المـاء الأعظم الذى منه الشهوة وفيه الغسل »[٢] •

ولقول على رضى الله عنه : كنت رجلا مذاء ، فسألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « فى المذى الوضوء ، وفى المنى الغسل »[٣] •

وعن أنس : أن أم سليم سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن امرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل • فقال :

« من رأت ذلك منكن فأنزلت فلتغتسل » قالت أم سلمة : أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ماء الرجل غليظ أبيض • وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق ــ أو علا ــ أشبهه الولد »[٤] •

ثانيا : التقاء الختانين : والدليل على وجوب الغسل بالتقاء الختانين حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا قعد بين شعبها الأربع ثم مس الختان الختان فقد وجب الغسل »[٥] •

وقالت عائشة رضى الله عنها : « اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل • فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغتسلنا »[٦] •

---

(١) الأشنان : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة : دقاق الترمس .

(٢) اخرجه المنذرى .

(٣) أخرجه أحمد والاربعة وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه والبيهقى .

(٥) أخرجه أحمد ومسلم .

(٦) أخرجه الشافعى فى « الأم » والنسائى وصححه ابن حبان وابن القطان وأعله البخارى بأن الأوزاعى أخطأ فيه .

والمراد بالتقاء الختانين ومسهما : تغيب الحشفة فى الفرج ، وليس المراد حقيقة اللمس ولا حقيقة الملاقاة •

ثالثا : انقطاع دم الحيض والنفاس : لحديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : ان فاطمة بنت أبى حبيش كانت تستحاض فسألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

« ذلك عرق وليس بالحيضة فاذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة ، واذا أدبرت فاغتسلى وصلى »(١) •

وعن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا مضى للنفساء سبع ثم رأت الطهر فلتغتسل ولتصل »(٢) •

رابعا : الولادة بلا دم : وهو واجب عند أبى حنيفة ومالك على من ولدت ولم تر دما احتياطا ، لأنها لا تخلو من أثر دم • وقال أبو يوسف ومحمد والحنابلة : لا غسل عليها لعدم الدم ولأنه لا نص فيه ولا هو فى معنى المنصوص •

خامسا : الموت : فقد أجمع العلماء على أنه يفترض على الأحياء فرض كفاية : تغسيل الميت المسلم الذى لم يقم به ما يمنع الغسل كالشهادة فى المعركة والبغى والقتل ظلما • لقول ابن عباس رضى الله عنهما : بينما رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة فوقصته ناقة فمات ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اغسلوه بماء وسدر(٣) وكفنوه فى ثوبين »(٤) •

وسبب لزومه عند الحنفيين : الحدث على الأصح لأن الموت سبب للاسترخاء وزوال العقل ، وهو عند الشافعية : للنظافة ، وروى عن مالك فلا تلزم فيه النية ويصح من الكافر والمجنون • وعند الحنابلة : سببه الموت تعبدا •

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم • (٢) اخرجه البيهقى •

(٣) السدر بكسر فسكون : شجر النبق ، والمراد ورقه •

(٤) اخرجه مالك واحمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

سادسا : اسلام الكافر : وان اغتسل قبل اسلامه ، وكذلك لو كان مرتدا أسلم ولو صبيا مميزا ، لقول قيس بن عاصم : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فأمرنى أن أغتسل بماء وسدر »(١) .

* * *

مالا يوجب الغسل :

لا يلزم الغسل لأربعة أنواع :

لا يفترض الغسل اتفاقا : لمذى ، ولا لودى(٢) ولا لاحتلام بلا بلل . لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، فاذا احتلمت بلذة ولم يخرج ماؤها الى فرجها الظاهر ، فلا غسل عليها .

ولا يفترض بتغيب بعض الحشفة ولا بوطء فى غير قبل ودبر ، ولا بسحاق — وهو اتيان المرأة المرأة بلا انزال — ولا بالتصاق الختانين بلا ايلاج(٣) .

ولا يفترض عند الشافعية بخروج منى بلا لذة ولو حكما .

ولا يجب عند المالكية : بمنى خرج بلذة غير معتادة ، كأن خرج لنزوله فى ماء حار ، ولحك جرب ، وتحريك دابة ان لم يتماد فيهما . فان تمادى بعد شعوره باللذة من حك الجرب وتحريك الدابة وجب الغسل .

* * *

أركان الغسل

النية : عند المالكية ، والشافعية .

وتعميم الجسد بالماء : عند المالكية ، وتعميم البشرة والشعر بالماء : عند الشافعية ، وتعميم سائر الجسد بالماء : عند الأحناف . وتعميم الجسد بالماء حتى داخل الفم والأنف وظاهر الشعر وباطنه وحشفة أغلف ان أمكن تشميرها بلا مشقة : عند الحنابلة .

وتخليل الشعر : عند المالكية . وعند الحنفيين : لا يجب على المرأة نقض ضفيرتها ان بل أصلها لحديث عبد الله بن رافع مولى أم سلمة

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه ابن السكن .

(٢) المذى : هو الذى ينزل اثناء مداعبة الرجل لزوجته .. وليس منه الغسل . والودى : هو الذى يخرج من القبل قبل البول او بعد البول وليس منه الغسل .

(٣) اى ادخال .

أن أم سلمة قالت : يا رسول الله •• انى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنفضه للجنابة ؟ قال :

« انما يكفيك أن تحثى عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضى على سائر جسدك ، فاذا أنت قد طهرت »[١] •

والموالاة مع الذكر والقدرة : عند المـــالكية •

التسمية فى أوله : بأن يقول : باسم الله والحمد لله ، عند الحنفيين والشافعى • ومندوبة عند مالك ، وواجبة على العالم الذاكر عند الحنابلة •

غسل الكفين ثلاثا فى أوله : لقول عائشة رضى الله عنها :

« كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن يغتسل من جنابة يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما فى المـــاء »[٢] •

والحكمة فى ذلك : أنهما آلة التنظيف فيطهران أولا •

غسل القبل والدبر قبل الغسل ، وان لم يكن عليهما نجاسة ، لمـــا فى حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه :

« ••• ثم يفرغ على شماله فيغسل فرجه »[٣] •

ازالة ما على الجسد من نجاسة فى أول الغسل ، ولو قليلة ، لأنه لا يرتفع حدث ما تحتها حتى تزال هذه النجاسة •

وأن يبدأ بغسل أعضاء الوضوء •

وافاضة المـــاء ثلاثا وكذلك التيامن ، لأنه صلى الله عليه وسلم كما ورد : كان اذا استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض على سائر جسده • وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن فى شـــأنه كله •

تخليل اللحية والشعر : أى أنه يلزم المغتسل ايصال المـــاء الى أصول شعره وايصاله الى ما تحت لحيته الخفيفة ، ويسن له تخليل شعر اللحية والرأس ان وصل المـــاء الى أصول الشعر بلا تخليل ، والا لزم عند الحنفيين • وعند الشافعية والحنابلة : يسن تخليل الشعر ان وصل المـــاء الى البشرة بدونه ، والا لزم •

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والاربعة وقال الترمذى : حسن صحيح .
(٢) اخرجه السبعة . (٣) اخرجه البخارى ومسلم .

والمعتمد عند المالكية : أنه يجب تخليله مطلقا ، ولو كثيفا وصل الماء الى ما تحته لحديث : « خللوا الشعر وأنقوا البشرة ، فان تحت كل شعرة جنابة »[١] .

تخليل الأصابع : أى أنه يسن للمغتسل تخليل أصابع يديه ورجليه عند غير المالكية ، وهو فرض عند المالكية فى أصابع اليدين والرجلين ، لحديث : « خلل أصابع يديك ورجليك »[٢] .

التثليث : أى أنه يسن فى الغسل تثليث غسل الرأس اتفاقا ، وكذا باقى الجسد عند المالكية ، لحديث : « اذا اغتسل أحدكم فليغسل كل عضو ثلاثا »[٣] .

التستر حال الغسل : أى أنه يطلب من المغتسل ستر العورة حال الاغتسال ، وأن يغتسل بمكان لا يراه فيه من لا يحل له النظر الى عورته ، لحديث : « ان الله عز وجل حيى ستير يحب الحياء والستر ، فاذا أراد أحدكم أن يغتسل فليستتر »[٤] .

استعمال السدر ونحوه : أى أنه يسن فى الغسل استعمال سدر ونحوه كأشنان وصابون لحديث عائشة رضى الله عنها : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله .. أخبرنى عن الطهور من الحيض ، فقال : « نعم .. لتأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر ... »[٥] .

* * *

اقســـام الغســل

أقسام الغسل ثلاثة :

فرض ، وسنة ، ومندوب :

فيفترض لواحد من الأسباب المتقدمة :

وهى : انزال المنى بشهوة ولو حكما ، وتغيب حشفة فى قبل أو دبر

---

(١) أخرجه النسائى والترمذى .

(٢) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن غريب .

(٣) اخرجه الديلمى .

(٤) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى بسند صحيح .

(٥) اخرجه احمد والبخارى وابو داوود .

ولو من كافر ثم أسلم ، وانقطاع حيض أو نفاس ولو من كافرة ثم أسلمت ، وولادة ولو بلا دم ، وموت •

ويلزم الغسل لازالة نجاسة أصابت كل البدن أو بعضه وخفى مكانهـا •

ويسن لخمسة أشياء :

غسل الجمعة ممن يريد صلاة الجمعة وان لم تلزمه ، وغسل العيدين ، وغسل من غسل ميتا ، وغسل الاحرام ، وغسل الوقوف بعرفة •

ويندب الغسل لأمور ، منها :

دخول مكة ، والافاقة من جنون أو اغماء أو سكر ولم يجد بللا • وللمبيت بالمزدلفة ، ورمى الجمار ، والطواف ، والزيارة ، وطواف الوداع ، وصلاة الكسوف ، والاستسقاء ، والفزع ، وظلمة النهار ، والريح الشديدة •

لأن هذه عبادات يجتمع لها الناس مزدحمين فيعرقون فيؤذى بعضهم بعضا ، فاستحب الغسل للنظافة ودفع الأذى كالجمعة •

* * *

كيفية الغســل الكامل

وهو المشتمل على الفرائض والسنن والمندوبات • وكيفيته : أن ينوى المغتسل بقلبه رفع الحدث الأكبر أو استباحة الصلاة ونحوها • ثم يقول : باسم الله والحمد لله ، ثم يغسل كفيه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء ، ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يدخل أصابعه كلها فى المــاء فيغرف غرفة يخلل بها أصول شعره من رأسه ولحيته ، ثم يحثى على رأسه ثلاث حثيات ، ثم يفيض المــاء على سائر جسده ، يبدأ بالشق الأيمن ثم الأيسر ، ويتعاهد معاطف بدنه كالابطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الاليتين وأصابع الرجلين وعكن البطن وغير ذلك • فيوصل المــاء الى جميع ذلك ويدلك ما تصل اليه يداه من بدنه •

وان كان يغتسل فى نهر أو نحوه انغمس حتى يصل المــاء الى جميع بشرته وشعره ظاهره وباطنه وأصول منابته •

ويستحب أن ينوى الغسل من أول شروعه فيه ، ويستصحب النية الى الفراغ منه • ويكفى الظن فى تعميم الجسد بالمــاء ، ثم يتحول من مكان غسله فيغسل قدميه ان لم يكن غسلهما أولا •

ودليل ذلك حديث عائشة الذى تقول فيه : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثلاثا ، ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يأخذ المــاء ويدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى اذا رأى أن قد استبرأ[1] حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه » أخرجه الشيخان ، وفى رواية لهما : « ثم يخلل بيده شعره حتى اذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه المــاء ثلاث مرات » •

وأما عن غسل الحائض والنفساء فأجمع حديث ورد فى كيفيته حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : ان أسماء سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال : « تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ، ثم تصب عليها المــاء ، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتتطهر بها » قالت أسماء : وكيف تتطهر بها ؟ قال : « سبحان الله •• تطهرى بها » فقالت عائشة ــ كأنها تخفى ذلك ــ : تتبعى أثر الدم[2] •

وسألته عن غسل الجنابة ، فقال : « تأخذى ماءك فتتطهرين فتحسنين الطهور ــ أو أبلغى الطهور ــ ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها المــاء » •

فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين • أخرجه السبعة الا الترمذى •

* * *

ما يحرم على الجنب

يحرم على الجنب :

الصلاة والطواف ومس القرآن وحمله الا بغلاف منفصل •

ويحرم عليه أيضا قراءة شىء من القرآن بقصده ولو بعض آية •

---

(١) استبرأ : اى وصل المــاء البشرة ، وكذا (أروى) .

(٢) اخرجه أبو يعلى بسند رجاله ثقات وأخرجه احمد مطولا .

لقول على كرم الله وجهه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن ، ثم قال : « هكذا لمن ليس بجنب • فأما الجنب فلا ، ولا آية » •

ويحرم على الجنب : دخول المسجد ولو عبورا بلا مكث الا لضرورة ، لقول عائشة رضى الله عنها : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة[1] فى المسجد فقال : « وجهوا هذه البيوت عن المسجد » • ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن ينزل فيهم رخصة ، فخرج اليهم فقال : « وجهوا هذه البيوت عن المسجد ، فانى لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب »[2] •

* * *

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة :

أنه لو أجنب فى المسجد تيمم وخرج من ساعته ان لم يقدر على استعمال المـاء • وكذا لو دخله جنبا ناسيا ثم ذكر • وان خرج مسرعا بلا تيمم جاز • وان لم يقدر على الخروج تيمم ومكث ، ولكنه لا يصلى به ولا يقرأ •

وقال ابن مسعود وابن عباس والشافعية والحنابلة : يجوز المرور للجنب فى المسجد بوضوء وبغيره ولو لغير حاجة لقوله تعـالى : « **ولا جنبا الا عابرى سـبيل** »[3] ، والعبور بمـا يكون فى محل الصلاة ، وحملوا الأحاديث السابقة •• على منع المكث فقط ، للآية المذكورة ••

ومثال الجنب فى ذلك الحائض ان أمن التلويث بمرورها •• الخ[4] •

* * *

---

(١) اى ابوابها مفتحة فيه •

(٢) أخرجه ابو داوود والبخارى فى « التاريخ » •

(٣) النساء : ٤٣

(٤) راجع كل هذا باطناب فى الجزء الأول من « الدين الخالص » •

الوصية السادسة والعشرون

عن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا بنى .. ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل » .

ثم قال لى :

« يا بنى .. وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

(رواه الترمذى بسند حسن)

* * *

فكن أخا الاسلام :

فى صباحك ومسائك خالى القلب من الغش لاخوانك المسلمين فضلا عن غيرهم تنفيذا لهذه الوصية العظيمة التى أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم بها فى شخص سيدنا أنس رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث الشريف .

وحسبك ترغيبا لك فى تنفيذ هذه الوصية أنك ستكون مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومتخلقا بأخلاقه ، كما أشار الى ذلك فى قوله : « ... وذلك من سنتى » ثم يرغبك فى ذلك فيقول : « ... ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

بل وحسبك تحذيرا لك من الوقوع فى شباك هذا الداء الدفين ، ما جاء فى هذا الحديث الصحيح الذى يعلن فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم براءته من الغشاش فيقول : « من غشنا فليس منا »[1] .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الغش ، فالغش : أخو الخيانة ، ومقترفه آثم يتجافاه الناس ويبغضونه ويحتقرونه ، نفوسهم منه مشمئزة ، وجلودهم لرؤيته مقشعرة ، وقلوبهم عليه ساخطة ، وألسنتهم بذكره لاعنة .

---

(١) من حديث مسلم .

والغشاش أخو الكذاب ، فكلاهما مطرود من رحمة الله تعالى ، والاسلام ينكرهما ، والرسول صلى الله عليه وسلم منهما براء •

* * *

وللغش صور متعددة :

فقد يكون — وبصورة واضحة — فى الصداقة المزيفة التى لا تعتمد الا على جلب المصالح الشخصية التى يحرصون على تحقيقها بكل ما أوتوا من نفاق حتى ولو كان هذا على حساب غيرهم •

وفى هذا المعنى يقول الشاعر المجرب :

وإخوان تخذتهموا دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهموا سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب ... نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى ... لقد صدقوا ولكن فى فسادى

ولهذا كان الصديق الوفى المخلص هو الذى أوصى به علقمة ابن لبيد ولده فى وصيته التى يقول فيها : « يا بنى •• ان احتجت الى صحبة الرجال فاصحب من ان صحبته زانك ، وان أصابتك خصاصة[1] أعانك ، وان قلت سدد قولك ، وان صلت[2] قوى صولتك ، وان بدت منك ثلمة[3] سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان نزلت بك احدى المهمات واساك ، من لا تأتيك منه البوائق[4] ولا تختلف عليك منه الطرائق » •

وفى هذا المعنى أيضا يقول أحدهم :

ان أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

فلاحظ كل هذا و :

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أدرى بالمضرة

---

(١) اى فقر •
(٢) اى وثبت •
(٣) اى خلل •
(٤) اى الشر والمصائب •

و :

اذا الذئاب استنعجت لك مـرة   فحـذار منها أن تعود ذئابا
فالذئب أخبث ما يكون اذا بدا   متلبسـا بين النعـاج اهابا

* * *

وقد يكون كذلك فى اظهار الصلاح للناس والقلب منه خراب : وفى هذا يقول أحدهم :

أظهـروا للنـاس نسـكا   وعلى الدينـار داروا
وله صـاموا وصـلوا   وله حجـوا وزاروا
لو يرى فـوق الثريا[1]   ولهـم ريش لطـاروا

وهذا ما يعنيه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله : « من تخلق للناس ما ليس خلقا له شانه الله » وقوله : « من أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق » .

فاحذر الاتصاف بهذه الصفة الذميمة فانه لا عبرة بالزى الظاهر اذا تدنست القلوب والسرائر .

* * *

وقد يكون كذلك فى كتمان النصيحة ، وفى هذا يقول الرسـول صلوات الله وسلامه عليه : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[2] وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »[3] .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن ناصحا أمينا والا كنت شريكا للاثم — الذى رأيته يرتكب منكرا ولم تتطوع بتبصيره — فى الاثم لأنك ستعتبر فى هذا الوقت راضيا عنه ومشجعا له . وقد ورد فى هذا المعنى من أقوال سيدنا على رضى الله عنه : « الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فيه اثمان : اثم العمل به ، واثم الرضا به » كما ورد فى الحديث الشريف : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » .

---

(١) اى النجوم .   (٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

وقد يتعلق فى رقبتك يوم القيامة ويقول : يا رب .. خذ لى حقى من هذا ، لأنه رآنى أفعل المنكر ولم ينهنى .

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واحذر الوقوع فى هذا الاثم وكن ناصحا أمينا لاخوانك المسلمين ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسى ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم »[١] .

* * *

كما يكون الغش كذلك فى البيع والشراء : فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة[٢] طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء[٣] يا رسول الله ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا »[٤] . وعن أبى سباع قال : اشتريت ناقة من دار واثلة بن الأسقع ، فلما خرجت بها أدركنى يجر ازاره فقال : اشتريت ؟ قلت : نعم . قال : أبين لك ما فيها . قلت : وما فيها ؟ انهــا لسمينة ظاهرة الصحة ، قال : أردت بها ســـفرا أو أردت بها لحما ؟ قلت : أردت بها الحج ، قال : فارتجعها ، فقال صاحبها : ما أردت الى هذا .. أصلحك الله ، تفسد على ؟ قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لأحد يبيع شيئا الا يبين ما فيه ، ولا يحل لمن علم ذلك أن لا يبينه »[٥] .

وعن صفوان بن سليم : أن أبا هريرة رضى الله عنه مر بناحية الحرة[٦] فاذا انسان يحمل لبنا يبيعه ، فنظر اليه أبو هريرة فاذا هو خلطه بالمــاء ، فقال له أبو هريرة : كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة خلص المــاء من اللبن .

* * *

وقد يكون كذلك فى الحســد المذموم الذى أمرنا الله تعــالى بالاستعاذة منه فقال تعالى : **« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق .**

---

(١) رواه الطبرانى من رواية عبد الله بن أبى جعفر .
(٢) اى طائفة من الطعام .   (٣) اى المطر .
(٤) رواه مسلم وابن ماجه .
(٥) رواه البيهقى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٦) بفتح الحاء وتشديد الراء : ارض بظاهر المدينة .

ومن شر غاسق اذا وقب • ومن شر النفاثات فى العقد • ومن شر حاسد اذا حسد »[١] •

واذا كان الحسد من أمراض القلب التى كثيرا ما تقضى عليه وعلى صاحبه الذى ابتلى به :

فهو كذلك المعصية الأولى التى عصى الله تعالى بها فى السماء وفى الأرض : عندما حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى ، وكان تعليله لهذا هو قوله لرب العزة سبحانه وتعالى عندما قال : « **••• ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين • قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك لعنتى الى يوم الدين** »[٢] •

وعندما قبل قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل ، وكانا قد : « **••• قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر** »[٣] فقال له قابيل وهو الذى لم يقبل قربانه : « **لأقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين** »[٤] • ورغم هذا التسامح الذى كان من جانب هابيل يقول القرآن بعد ذلك : « **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** »[٥] •

ولهذا حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من الحسد فقال :

« اياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[٦] •

وقال : « لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف عبد الايمان والحسد »[٧] •

والحسد المشار اليه فى هذين الحديثين ، هو الحسد المذموم والمراد به : تمنى زوال نعمة الغير •

أما الحسد المحمود وهو : تمنى مثل النعمة حتى يتقرب الى الله تعالى بها مثل صاحبها ، فلا بأس به وقد ورد فى الحديث الشريف

---

(١) سورة الفلق •
(٢) سورة ص : ٧٥ — ٧٨
(٣) المائدة : ٢٧ بلفظ : « اذ ••• » •
(٤) المائدة : ٢٧ ، ٢٨
(٥) المائدة : ٣٠
(٦) رواه ابو داوود •
(٧) اخرجه البيهقى •

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[١] .

فلاحظ هذا ، واحذر أن تكون مريضا بمرض الحسد المذموم الذى وقفت عليه حتى لا تموت كمدا .

واذا أردت مزيدا فى رزقك فكن آخذا بالأسباب التى شرعها الله سبحانه وتعالى مع التوكل عليه سبحانه ، بمعنى تفويض الأمر اليه والاعتماد عليه **« ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدرا »**[٢] .

ثم اليك كذلك هذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تكون دائما وأبدا نصب عينيك حتى لا تصاب بداء الحقد والحسد اللذين هما أساس المصائب :

عن عبد الله بن عمرو قال : قيل : يا رسول الله .. أى الناس أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لا اثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد »[٣] .

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[٤] .

« ان النميمة والحقد فى النار ، لا يجتمعان فى قلب مسلم »[٥] .

« ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم »[٦] .

وحسبى فى النهاية أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر »[٧] .

بل وحسبى أن أدعو معك الله سبحانه وتعالى بقوله :

« ... ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم »[٨] .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) الطلاق : ٣
(٣) اخرجه ابن ماجه .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه البيهقى .
(٧) رواه أبو داوود .
(٨) الحشر : ١٠

وختـــــاما :

اليك أخا الاسلام هذا الحديث الموضوعى الذى يتصل اتصالا وثيقا بموضوعنا ، والذى أرجو كذلك أن تنتفع به :

عن أنس بن مالك قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال • فلما كان الغد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى •

فلما قام النبى تبعه عبد الله بن عمرو — تبع الرجل — فقال : انى لاحيت أبى ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت • قال : نعم •

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار — تقلب فى فراشه — ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر • قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا •

فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله • قلت : يا عبد الله •• لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة • ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — ثلاث مرات — : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات ، فأردت أن آوى اليك فأنظر ما عملك فأقتدى بك ، فلم أرك عملت كبير عمل !! فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ؟ قال : ما هو الا ما رأيت • قال عبد الله : فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت •• غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه • فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك •• رواه أحمد •

وفى رواية : « ما هو الا ما رأيت يا ابن أخى ، الا أنى لم أبت ضاغنا على مسلم » رواه البزار •

* * *

الجزء الثامن

الوصية السابعة والعشرون

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخـذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال :

« كن فى الدنيا كأنك غريب — أو عابر سبيل — » •

وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك •

(رواه البخارى)

***

فكن أخا الاسلام :

فى هذه الدار الفانية التى تسمى الدنيا لدنوها ، أو لقلة متاعها : كأنك غريب عنها ، أو عابر سبيل فيها •

تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يوصينا جميعا بها فى شخص عبد الله بن عمر رضى الله عنهما[1] •

أى : كما يقول الامام النووى عليه رحمة الله فى تفسير المراد منها :

« لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه » •

واذا كان الامام النووى قد وقف على هذا المعنى الكبير بما أوتى من نور ، فقد أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل[2] فى ظل شجرة ثم راح وتركها »[3] •

---

(١) راوى هذا الحديث •

(٢) اى استظل بها من حرارة الشمس •

(٣) من حديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

وقوله لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « اذا أردت اللحوق بى(١) فليكفك من الدنيـا كزاد الراكب(٢) ، واياك ومجالسة الأغنيـاء ، ولا تستخلفى(٣) ثوبا حتى ترقعيه »(٤) . يقول عروة معلقا على هذا : « فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنسكه(٥) ولقد جاءها يوما من معاوية ثمانون ألفا فما أمسى عندها درهم ، فقالت لها جاريتها : فهلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم ؟ قالت : لو ذكرتينى لفعلت » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « اشتكى سلمان(٦) ، فعاده سعد(٧) فرآه يبكى ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أخى ، أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟

قال سلمان : ما أبكى واحدة من اثنتين ، ما أبكى ضنا(٨) على الدنيا ، ولا كراهية الآخرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا ما أرانى الا وقد تعديت(٩) .

قال : وما عهد اليك ؟ قال : عهد الينا أنه يكفى أحدكم مثل زاد الراكب ، ولا أرانى الا وقد تعديت ، وأما أنت يا سعد .. فاتق الله عند حكمك اذا حكمت ، وعند قسمك اذا قسمت ، وعند همك اذا هممت .

قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك الا بضعة وعشرين درهما مع نفيقة(١٠) كانت عنده »(١١) .

وقال الحافظ : وقد جاء فى صحيح ابن حبان : أن مال سلمان رضى الله عنه جمع ، فبلغ خمسة عشرة درهما .

وفى الطبرانى : أن متاع سلمان بيع فبلغ أربعة عشرة درهما .

* * *

(١) أى مرافقتى فى الجنة .

(٢) أى ما يحتاج اليه المسافر من الزاد .

(٣) أى لا تتخذى ثوبا آخر بدلا منه .

(٤) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى من طريقهـا وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٥) أى تغسله بالمـاء وتطهره .

(٦) سلمان الفارسى .

(٧) سعد بن أبى وقاص .

(٨) أى حرصا على الدنيا وخوفا من فراقها .

(٩) أى تجاوزت العهد ولم أف به .

(١٠) تصغير نفقة ، والنفقة : اسم من الإنفاق ، أو ما ينفق من الدراهم .

(١١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات احتج بهم الشيخان .

والذى نريد أن نناقشه الآن هو : لماذا يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا ، وما الذى يريده منا ؟

وهل يريد منا أن نكون متواكلين فى هذه الحياة بحيث نكون عالة على غيرنا من باقى الشعوب ؟ وهل الزهد فى الدنيا معناه الانقطاع لعبادة الله تعالى دون العمل من أجل الحياة الدنيا ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة أستعين بالله تعالى قائلا :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن نعتبر أنفسنا فى هذه الدنيا غرباء ، لأنه عرفها ووقف على خطورتها من خلال وصف الله سبحانه وتعالى لها فى قوله : « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث[1] أعجب الكفار[2] نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** »[3] .

ومن مخاطبة الله تعالى لها كما ورد فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام : « يا دنيا .. ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ، ما خلقت خلقا أهون على منك ، انى قضيت عليك يوم خلقتك : أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد » .

ولهذا كان صلوات الله وسلامه عليه يعمل دائما وأبدا على التحقير من شأنها ، وشأن محبيها فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل[4] عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء »[5] .

ويقول فى حديث : روى عن الضحاك بن سفيان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ضحاك .. ما طعامك » ؟

---

(١) اى المطر .

(٢) الكفار فى هذه الآية هم الزراع .

(٣) الغرور : ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا — والآية من سورة الحديد : ٢٠ .

(٤) اى تزن وتساوى .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

قال : يا رسول الله .. اللحم واللبن . قال : « ثم يصير الى ماذا » ؟ قال : الى ما قد علمت[1] . قال : « فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا »[2] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال : « والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها »[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له » رواه أحمد ، وزاد : « ومال من لا مال له » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد من وراء هذا التحقير لشأن الدنيـــا وأهلها : أن يكون هناك حب للدار الآخرة التى هى دار البقاء التى رغبنا الله سبحانه وتعالى فيها فقال :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ... »[4] .

وقال : **« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ، وللدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون »[5] .**

وقال : **« ... أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »[6] .**

وقال : **« ... والآخرة خير وأبقى »[7] .**

كما كان صلى الله عليه وسلم يقول مشيرا الى هذا :

« من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى »[8] .

ولهذا كان من الفطنة أن يأخذ الانسان من هذه الحياة الدنيا ما يكفيه دون طمع ، ودون تعلق بها وحرص عليها حتى لا يكون لها مكان فى قلبه .

---

(١) يعنى الى عذرات وابوال .

(٢) رواه احمد ورواته رواة الصحيح .

(٣) رواه احمد باسناد لا بأس به .

(٤) النساء : ٧٧ — (٥) الانعام : ٣٢

(٦) التوبة : ٣٨ — (٧) الاعلى : ١٧

(٨) رواه احمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى « الزهد » وغيره ، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه مبينا خطورة حب الدنيا والانشغال بها وما يتبع ذلك من نكبات :

« من أشرب[١] حب الدنيا التاط[٢] منها بثلاث : شقاء لا ينفد عناه[٣] ، وحرص لا يبلغ غناه[٤] ، وأمل لا يبلغ منتهاه[٥] ، فالدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه »[٦] .

وقوله : « من قضى نهمته[٧] فى الدنيا حيل بينه وبين شهوته فى الآخرة[٨] ، ومن مد عينيه الى زينة المترفين كان مهينا فى ملكوت السموات ، ومن صبر على القوت الشديد صبرا جميلا أسكنه الله من الفردوس حيث شاء »[٩] .

ولهذا كان العبد المؤمن خالى القلب من حب الدنيا بسبب حماية الله سبحانه وتعالى له ، وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ان الله ليحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب »[١٠] . وهذا يؤكد خطورتها .

وقد يكون هذا هو السر فى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحرص على غرس حب القناعة فى قلوب أصحابه ، الى جانب التحذير من عواقب الجشع الذى ان تربع على قلب الانسان كان سببا فى هلاكه ، وقد ورد فى هذا :

عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها .. من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه[١١] وهو لا يشعر »[١٢] .

---

(١) اى اختلط حبها بقلبه مثل الشراب .
(٢) اى التصق وتعلق .
(٣) اى لا ينتهى تعبه .
(٤) اى لا يشبع مهما أوتى من مال .
(٥) اى لا يدرك غايته ونهايته قبل الموت .
(٦) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٧) اى حقق رغبته وادرك شهوته .
(٨) اى حرم فى الآخرة من المشتهيات .
(٩) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير .
(١٠) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(١١) اى هلاكه .
(١٢) رواه البزار .

كما ورد أن رجلا قال له : يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟ فقال له : « ما سد جوعتك[١] ، ووارى عورتك[٢] ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كانت لك دابة فبخ »[٣] .

* * *

بل وقد رفض النبى صلى الله عليه وسلم أن تكون له بطحاء[٤] مكة ذهبا حتى يكون قدوة ومثلا أعلى لأصحابه ولكل فرد فى أمته الى قيام الساعة : فى الزهد ، والقناعة ، والصبر والعفة ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، قلت لا يارب ، ولكن أشبع يوما ، وأجوع يوما — أو قال ثلاثا ، أو نحو هذا — فاذا جعت تضرعت اليك[٥] وذكرتك ، واذا شبعت شكرتك وحمدتك »[٦] .

وهذا الحديث كما ترى هو الفيصل فى هذا الموضوع ، ولا شك أنك قد اتفقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى الكبير الذى أشار اليه وسلط الأضواء عليه ، وقديما قالوا : « أيام وتنقضى ، ولا يغلب الأيام الا من رضى » .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زهد فى الدنيا ، وزهد فيها كما رأيت وكما جاء فى قوله : « ما تزين الأبرار فى الدنيا بمثل الزهد فى الدنيا »[٧] . وقوله : « اذا رأيتم من يزهد فى الدنيا فادنوا منه[٨] فانه يلقى الحكمة »[٩] .

---

(١) يعنى ما سد فراغ المعدة من الطعام .

(٢) يعنى ما ستر عورتك ، وعورة الرجل ما بين السرة الى الركبة ، وعورة المرأة جميع جسمها الا وجهها وكفيها .

(٣) بخ : كلمة تقال عند المدح والرضا . رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) بطحاء : أى مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى .

(٥) أى سألتك من فضلك ضارعا اليك .

(٦) أى قمت لك بحقك من الشكر . قال الترمذى : حديث حسن .

(٧) أى أن الزهد فى الدنيا هو أعظم حلية يتحلى بها الأبرار ويتجملون بها . رواه أبو يعلى .

(٨) أى اقتربوا منه وجالسوه حتى تستفيدوا بحكمته .

(٩) الحكمة هى العلم النافع المؤدى الى العمل . رواه أبو يعلى .

فى الوقت الذى يدعو فيه الى ضرورة العمل فى ميـادين الحياة الشريفة كما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« من أمسى كالا[١] من عمل يده ، أمسى مغفورا له »[٢] .

وقوله : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده »[٣] .

* * *

فهذا دليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد بزهده فى الدنيا وتزهيده فيها ، أن يكون هناك انقطاع لعبادة الله تعالى دون سعى على الأرزاق .

ولـما كان هذا الفهم الخاطىء يتنافى مع ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه فى الحض على المشى فى مناكب الأرض طلبا للرزق .

فقد رأيت اتماما للفائدة ، وتبصيرا للأفئدة أن أركز فى هذا العرض الموجز على توضيح معنى الزهد وحقيقة الزاهدين .

وحسبى فى بداية هذا التوضيح الحيوى أن أبدأ بحديث شريف يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا اضاعة المـال ، ولكن الزهادة فى الدنيـا : أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك »[٤] .

وعن الضحاك رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله .. من أزهد الناس[٥] ؟ قال : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضـل زينة الدنيـا[٦] ، وآثر ما يبقى على ما يفنى[٧] ، ولم يعد غدا فى أيامه ، وعد نفسه من الموتى »[٨] .

* * *

---

(١) اى متعبا .

(٢) رواه الطبرانى والأصبهانى .

(٣) رواه البخارى وغيره .

(٤) اخرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد .. كما رواه الامام احمد فى كتاب « الزهد » .

(٥) اى اكثرهم زهدا فى الدنيا .

(٦) يعنى ترك مالا يحتاج من متاع الدنيا واكتفى بالضرورى منها .

(٧) اى آثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .

(٨) رواه ابن أبى الدنيا مرسلا .

ثم اليك هذه الأقوال المـأثورة :

قال ابن الجلاء : الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها •

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد •

وقال الامام أحمد : الزهد على ثلاثة أوجه :

الأول : ترك الحرام ، وهو زهد العوام •

والثانى : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص •

والثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين •

وقال الحفنى : الزهد لغة ترك الشيء احتقارا له سواء أكان محتاجا له أو لا •

واصطلاحا : ترك ما زاد على حاجته من الحلال ، والورع : ترك الحرام والشبهة •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة ، والورع : ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة •

وقال تلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه « مدارج السالكين » : هذه العبارة من أحسن ما قيل فى الزهد والورع وأجمعها •

وقال بعض الحكماء : من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد • وذلك لأن الزهد يكون أولا فى المـال ، ثم فى الطعام ، ثم فى اللباس ، ثم فى الاستئناس بالناس ، ولا يزهد فى الحمد مع عدم المبالاة بالذم الا من كمل زهده فى الرياسة ، وهو أعلى المراتب • ولذا قيل : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة •

وقال آخر : الزهد هو أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود •

وقال الفضيل بن عياض : الزهد حرفان فى كتاب الله تعـالى : **« لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم »**[1] •

وقال ابن أدهم : على القلب ثلاثة أغطية : الفرح ، والحزن ، والسرور ، فاذا فرحت بالموجود : فأنت حريص ، والحريص محروم ، واذا حزنت على المفقود : فأنت ساخط ، والساخط معذب ، واذا سررت بالمدح : فأنت معجب ، والمعجب محبط عمله •

* * *

---

(١) الحديد : ٢٣ ــ بلفظ **« لكيلا تأسوا ... »** .

فمن كل هذا يتبين لك أن المراد ليس رفض الدنيا من الملك وانما المراد رفضها من القلب .

ولهذا قال العلماء : « ليس الزاهد من لا مال عنده ، وانما الزاهد من لم يشغل المـال قلبه وان أوتى مثل ما أوتى قارون » .

كما قالوا ان الذم الوارد فى الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا الى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان الى يوم القيامة ، فان الله تعـالى جعلهما : **« خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا »**(١) .

وليس الذم راجعا الى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى آدم مهادا ومسكنا ، ولا الى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا الى ما أنبته الله فيها من الزرع والشجر ، ولا الى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك ، فان ذلك كله من نعم الله على عباده ، لمـا لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ..

وانما الذم راجع الى أفعال بنى آدم الواقعة فى الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا ينفع .

وأنشد بعضهم فى هذا :

انما الدنيـا الى الجنة والنار طريق
والليالى متجر الانسان والأيام سوق

* * *

بل واختلف العلماء فى التفضيل بين الدنيا والآخرة ، فذهب قوم الى أن الدنيا أفضل من الآخرة ، واحتجوا بأمور منها :

أن الدنيـا وسيلة والآخرة مقصـد ، وقد يوجد فى الوسائل مالا يوجد فى المقاصد .

وأن الدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصلة اليها ، فلا ينتهى الانسان الى الآخرة الا بعد سلوكه فى دار الدنيا ، ومن زرع فيها زرعا حصده ، ومن عمل عملا وجده . قال تعـالى : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**(٢) .

---

(١) الفرقان : ٦٢ (٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

وأن الدنيا دار تكليف وعمل ، والآخرة دار جزاء وفضل ، ولا خفاء أن العمل أفضل من الجزاء لما ورد أن أهل القبور يودون أن يرجعوا الى الدنيا ليعملوا فيها خيرا لما رأوه من ثواب الأعمال •

وأن الدنيا ورد مدحها فى حديث شريف قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن : عليها ينال الخير ، وبها ينجو من الشر »[1] وأنه اذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه •

وقد حدث أن ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا الذى يذمها ؟ وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا ؟! فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه : متى خدعتك الدنيا ؟ أم متى استذمت اليك[2] ؟ أبمصاوع آبائك فى البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وكم عللت بكفيك ؟ تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يغنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك » •

* * *

وذهب آخرون الى أن الآخرة أفضل من الدنيا واحتجوا بأمور منهـا :

أن الدنيا وان عظم أمرها وتناهى فخرها بما يوجد فيها من الأعمال الصالحات فهى آيلة الى الفناء والزوال ، ومن المعلوم أن الدائم الباقى أفضل من الزائل الفانى •

وأن الآخرة يؤول فيها أمر المؤمنين الى الخلود فى الجنان والخيرات الحسان والخير العظيم والنعيم المقيم والنظر الى وجه الله الكريم وغير ذلك مما ورد فى الخبر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

* * *

---

(١) قيل انه اثر .

(٢) اى متى صنعت اليك ما تستحق به الذم .

فلاحظ كل هذا ، وحسبك أن تقرأ هذا الحديث الشريف الذى سترى معى أنه يعتبر فيصلا فى هذا الموضوع :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال : قلنا يا رسول الله .. من خير الناس وأفضلهم ؟ قال : « كل مخموم القلب[١] صدوق اللسان » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « من ينشىء الدنيا ويحب الآخرة » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « مؤمن فى خلق حسن »[٢] .

وهذا هو أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز[٣] حتى فى يوم الجمعة الذى نستريح فيه حيث قال :

• **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ... »**[٤] .

ويقول : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**[٥] .

* * *

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا فقال :

« التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء »[٦] .

وقال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة فعليكم بها »[٧] .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول :

« ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى ، ولأن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت شهيدا فى سبيله لأن الله قدم ذاك على هذا فى كتابه فقال تعالى : **« ... وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ... »**[٨] .

* * *

كما كان صلى الله عليه وسلم يشجع الصناعة فيقول :

« ان الله يحب المؤمن المحترف »[٩] .

---

(١) اى الطاهر الذى لا غل فيه ولا حسد .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى بسند صحيح .

(٣) كما اشرت سابقا .

(٤) الجمعة : ١٠

(٥) الملك : ١٥

(٦) اخرجه الترمذى بسند حسن .

(٧) حديث مرسل رجاله ثقات اخرجه الحربى فى « غريب الحديث » .

(٨) المزمل : ٢٠

(٩) رواه الطبرانى عن ابن عمر وكذا ابن عدى مرفوعا .

ويقول : « خير الكسب الصانع والعامل اذا نصحا »[١] .

وعندما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحث أهلها على العمل : جاءته امرأة ببردة وقالت : نسجت هذه لك يا رسول الله لأكسوكها ، ففرح بها وقبلها تشجيعا للصناعة .

* * *

كما شجع صلى الله عليه وسلم الزراعة فقال :

« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كان له بها صدقة »[٢] .

وقال : « التمسوا الرزق من خبايا الأرض »[٣] .

وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما التقى بسعد بن معاذ ووجد كفيه خشنتين من آثار العمل قال له : « هذان كفان يحبهما الله ورسوله ولن تمسهما النار » ثم قبل يده تكريما للعمل والصناعة وتشجيعا للكادحين .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »[٤] .

وحسبك بالاضافة الى ما وقفت عليه أن تقرأ هذه الوصية اللقمانية التى يوصى بها سيدنا لقمان ولده فيقول : « يا بنى .. استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته . وأدهى من هذه الثلاث : استخفاف الناس به » .

وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لم تمطر ذهبا ولا فضة » .

وقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « انى أكره أن أرى الرجل

---

(١) رواه احمد عن ابى هريرة بسند حسن مرفوعا .
(٢) رواه البخارى ومسلم واحمد والترمذى عن انس مرفوعا .
(٣) رواه ابن عساكر عن عائشة مرفوعا .	(٤) القصص : ٧٧

فارغا ، لا فى أمر دينه ولا فى أمر دنياه » .

* * *

بل وحسبك تشجيعا لك على العمل أن تعلم أن جميع الأنبياء كانوا يعملون ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

آدم عليه السلام كان زارعا .

نوح عليه السلام كان نجارا [١] .

ادريس عليه السلام كان خياطا [٢] .

ابراهيم عليه السلام كان بزازا [٣] .

اسماعيل عيله السلام كان قناصا [٤] .

داوود عليه السلام كان يصنع العتاد [٥] .

سليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل [٦] .

اسحاق كان راعيا وكذلك يعقوب وشعيب وموسى عليهم السلام .

الياس عليه السلام كان نساجا .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم راعى غنم ، ثم تاجرا ، ومجاهدا فى سـبيل الله .

* * *

وكذلك كان أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم يعملون ، وعلى سبيل المثال كذلك :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بزازا .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان دلالا وكان له أرض بخيبر تدعى « تمع » .

وعثمان بن عفان رضى الله عنه كان تاجرا .

وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كان عاملا ، وكان يقول مفتخرا :

لحملى الصخر من قمم الجبال ... أحب الى من منن الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذل السؤال

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان تاجرا ، وكانت ثروته من التجارة تعد بالملايين .

---

(١) وهو اول من صنع الفلك .

(٢) وهو اول من خاط الثياب ولبس المخيط .

(٣) اى تاجر أقمشة .

(٤) اى صيادا .

(٥) اى السلاح .

(٦) سلال الخوص .

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه خياطا ٠

وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه نبالا[١] ٠

وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه جزارا ٠

وكان لابن مسعود والحسن وأبى هريرة عليهم رضوان الله مزارع بالسواد يزرعونها ويؤدون خراجها ٠

* * *

وقد سخر الله سبحانه وتعالى كل شىء فى هذا الوجود لخدمة هذا الانسان الذى جعله سبحانه خليفة فى الأرض ليعمرها حتى لا يجد عناء فى تحصيل رزقه ، وحتى يكون شاكرا له سبحانه وتعالى ، وفى ذلك يقول تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ٠ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار »[٢] ٠

ويقول : **« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ٠ وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يذكرون ٠ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »[٣] ٠**

ويقول : **« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٠ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٤] ٠**

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى فى كتابه العزيز عن التلهى بالتجارة والبيع عن واجب الدين والعبادة فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[٥] ٠

---

(١) أى يصنع النبال ٠
(٢) ابراهيم : ٣٢ ، ٣٣
(٣) النحل : ١٢ — ١٤
(٤) الجاثية : ١٢ ، ١٣
(٥) المنافقون : ٩

واذا كان قد مدح المؤمنين المحافظين الذين لم تلههم التجارة ولا البيع عن ذكر الله فقال :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »[١] .

واذا كان سبحانه قد عاتب قوما انصرفوا الى التجارة قبل فراغهم من واجب العبادة فقال :

« واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين »[٢] .

فهذا دليل على أن الله تعالى لن يبارك فى الأرزاق الا اذا كان هناك حرص على أداء فرائضه سبحانه وتعالى ، والا فهو الخسران المبين .

وقد ثبت أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أوصنى . فقال له :

« لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك ، فانه ليس بفائتك ما قسم لك وليس بلاحق ما زوى عنك » .

* * *

ولهذا قال الحكماء : اذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعا . أولها : أن يكون لسانه نقيا من ثلاثة : الكذب ، واللغو ، والحلف . وثانيها : أن يكون صافيا من ثلاثة : الغش ، والخيانة ، والحسد . وثالثها : أن يكون محافظا على ثلاث : الجمعة ، والجماعات ، وطلب العلم فى بعض الساعات .

* * *

وقال حكيم : الناس فى الكسب على مراتب :

منهم : من يرى الرزق من الله ولا يدرى أيعطيه أم لا ، فهو منافق شـاك .

ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لأجل الكسب ولا يؤدى حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مسىء .

ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ويخرج حقه ولا يعصى الله لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص .

* * *

---

(١) النور : ٣٧ (٢) الجمعة : ١١

وقيل لبعض الحكماء : ما خير المكاسب ؟ فقال :

خير مكاسب الدنيا : طلب الحلال لزوال الحاجة ، والأخذ منه للقوة على العبادة ، وتقديم فضله لزاد يوم القيامة •

وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم معمول به نشرته ، وعمل صالح قدمته ، وسنة حسنة أحييتها •

وأما شر مكاسب الدنيا : فحرام جمعته ، وفى المعاصى أنفقته ، ولمن لا يطيع ربه خلفته •

وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها اصرارا ، وسنة سيئة أحييتها عدوانا •

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاســـلام مع ملاحظة قول الرســـول صلى الله عليه وسلم :

« من اكتسب مالا من مأثم فتصدق به أو وصل به رحمه ، أو أنفقه فى سبيل الله : جمع الله ذلك كله وألقاه فى النار » •

وقد ورد عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه أنه قال :

« لا يقبل حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة : من ربا ، ولا رشوة ، ولا خيانة ، ولا غلول ، ولا سرقة » •

* * *

فاحذر الحرام حتى لا يكون سببا فى ضياع جميع أموالك ، وتأمل قول القائل :

جمع الحرام على الحلال ليكثره   دخل الحرام على الحلال فبعثره

هذا الى جانب الضياع الأخروى الذى يجب أن تعمل له ألف حســـاب •

* * *

وحتى لا أطيل عليك فقد رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أسوق اليك بعض الأخبار والآثار والأشعار الموضوعية التى قد تتصل اتصالا وثيقا بموضوع الوصية التى أرجو أن تنتفع بها كما انتفع بها راويها عليه رضوان الله ، فقد روى أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يقول : « الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى وليس بيدك منه شىء ، ويوم يأتى لا تدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه » •

وروى أن لقمان الحكيم قال لابنه : « يا بنى •• ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها ، والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والموت ساحلها ، والقيامة أرض المتجر التى تخرج اليها ، والله مالكها » •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما :

« ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أما بعد •• فان الانسان ليسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ، ولا لما فاتك منها ترحا ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل : فأن قد •• والسلام » •

وذكر أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء وأنيابها بادية ، مشوهة الخلقة لا يراها أحد الا كرهها ، فتشرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال لهم : هذه التى تفاخرتم بها ، وتحاربتم عليها ، ثم يؤمر بها الى النار ، فتقول : يا رب •• أين أتباعى وأصحابى وأحبابى ؟ فيلحقونها » •

ومعنى القائها فى النار : لكى يراها أهلها ويرون هوانها على الله تعالى •

* * *

ومن كلام سيدنا على رضى الله عنه : اذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، واذا أدركت الطالب لها قتلته •

وقيل لزاهد : أى خلق أصغر ؟ فقال : الدنيا لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر اليها ، ولا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها ، واذا أردت أن تزهد فيها فانظر هى عند من وفى يد من •

وفى هذا يقول أحدهم وقد تصور الدنيا أمامه :

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ... وخفض لذى عُلم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم ... وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى
أأترك أبنائى يموتون ضيعة ... وأرضع أبناءا لضرتى الأخرى

وقال حاتم الأصم :الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع ، وان طلبته تبـــاعد •

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

وما دنياك الا مثل ظل   أظلك ثم آذن بارتحال

وروى عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : الدنيا مزرعة لرب العالمين ، والناس فيها زرعه ، وملك الموت منجله ، والمقبرة مدارسه ، والقيامة تذريته ، والجنة بيت أحبابه ، والنار بيت أعدائه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير •

وقال أحد الحكماء : الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة •

وقال آخر : الدنيا ان أقبلت بلت ، وان أدبرت برت ، وان أطنبت نبت ، وان أركبت كبت ، وان أبهجت هجت ، وان ماجنت جنت ، وان سامحت محت ، وان صالحت لحت ، وان وصلت صلت ، وان بالغت لغت •

وقال آخر : سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، وغمها أن تغتم لمـــا لم ترزق •

وكان بعض الصالحين يقول : ما أصنع بدنيا ان بقيت لم تبق لى ، وان بقيت لم أبق لها[1] •

وكان بعضهم يقول : اذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هى :

وقد شبه الحكماء حال الدنيا وأهلها والزاهدين فيها : بحال طعام صنعه صانعه من السكر وعجنه بالسم بحضور بعض الناس دون بعض ثم وضعه بين يدى من أبصره فى حال صنعه ومن لم يبصره ، فان من أبصره وعلم ما فيه من الآفات لا يقرب منه ، ومن غاب عنه ذلك اغتر بما فيه من الحلاوة وحرص عليه ولا يصبر عنه •

فحلاوة الدنيـــا لجاهلهـــا   ومرارة الدنيـــا لمن عقـــلا

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

هى الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام   فقولى مضحك والفعل مبكى

---

(١) بقيت : الأولى بفتح القاف وتسكين الياء وضم التاء ، والثانية بكسر القاف وفتح الياء وتسكين التاء .

وحكى أن رجلا خطر بباله وهو فى الطواف طلب الدنيا فلما قام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومنزل الفرقان
ما العيش فى المال الكثير وجمعه بل فى الكفاف وصحة الأبدان

وعندما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عظنى .. فقال : بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين اذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير والفتيل والقطمير ، وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون ؟ فخنقته العبرة وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضهم به ، ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فان الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص غنى كل من يقنع

ودخل بعض وزراء المأمون عليه فوجد فى يده رقعة فيها هذه الموعظة :

انك فى دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها أمل الآمل
تعجل بالذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة ما ذاك فعل الحازم العاقل

وقال آخر :

انما هذه الحياة متاع والغرور الغرور من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

وما ألطف قول بعضهم :

ألا انما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالأمس لذة وأفنيتها هل أنت الا كحالم

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، و :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملأ الأعلى اليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت سطرها ألا كل شىء ما خلا الله باطل

* * *

وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها   هل راح كل منها بغير القطن والكفن

* * *

و :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى   تضحى الى كل الأنام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم   فغدا مقيما فى البيوت ربيبا

* * *

و :

تورع عن سؤال الخلق طرا   وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زهوات دنياك اللواتى   تراها لا محالة ذاهبات

* * *

وكن بعد كل هذا ومع كل هذا منفذا لهذه التوجيهات التى يوصيك بها ابن عمر ، والتى كانت بمثابة تلخيص ختامى لأبعاد هذه الوصية العظيمة التى انتفع بها ، وهى :

اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وخلاصة هذا التوجيه الحيوى الذى فيه ما فيه من أبعاد : أن الأيام تمضى مسرعة الى العالم الآخر الذى فيه سيحاسب الانسان ويسئل عن كل شىء فعله فى هذه الحياة الأولى التى هى دار العمل ، وأنه اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفع الإنسان فى هذا الموقف الكبير الذى له خطورته : سيكون هذا الانسان فى حالة لا يحسد عليها :

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا »[1] .

ولهذا : كان لا بد وأن تكون مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ، فأنت لا تدرى متى ستموت ولا فى أى مكان ستموت كما أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « ... **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت** »[2] .

---

(١) النبأ : ٤٠   (٢) لقمان : ٣٤

وهذا يتطلب منك كانسان عاقل يعرف ما له وما عليه نحو دينه ودنياه : أن تأخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك . أى : اذا كنت الآن صحيحا وفى استطاعتك أن تعمل وتتحرك فى جميع ميادين الخير بنشاط واقدام ، فاعمل قبل أن يأتى اليوم الذى قد تكون فيه عاجزا عن الحركة والاقدام بسبب مرضك الذى قد يفاجئك فى أية لحظة ، وكذلك بالنسبة للموت الذى يأتى بغتة ، المفروض أن تعمل لما بعده حتى تكون من الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » حتى تكون مع الأبرار **« الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »**[1] .

* * *

وقد رأيت أخا الاسلام أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التى تأثرت بها شخصيا والتى سترى من خلالها أنك اذا كنت قد قدمت ولا زلت تقدم فى دنياك ما ينفعك فى أخراك ، فانك ستكون فى يوم مماتك فرحا بلقاء الله تعالى :

فقد ورد أن بلالا عليه رحمة الله وهو يحتضر كانت ابنته تبكى وتقول : واأبتاه ، واكرباه ، واحزناه .. فانتبه وهى تقول هذا الكلام ، فنهرها قائلا لها : لا تقولى ذلك ، لا كرب على أبيك بعد اليوم ، اليوم نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه .

وأن أعرابيا قيل له : انك تموت . فقال : الى أين يذهب بى ؟ قالوا : الى الله تعالى . قال : وكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه .

وأن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال : اللهم انى كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم أنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

فلما اشتد النزع به قال : وعزتك انك لتعلم أن قلبى يحبك ، ثم أفاق ، وكان له ولد قتل شهيدا ، فقال : أتى ولدى فأخبرنى

---

(١) النساء : ٦٩

أنه لحق بالذين أنعم الله عليهم • وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى فى مائة ألف من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومائة ألف من الملائكة المقربين يتلقون روحى ويصلون على ويشيعونى الى قبرى •

ثم جعل يصافح قوما لم نرهم ويسلم عليهم حتى طلعت روحه ، فلما مات رؤى فى المنام على فرس أبلق وخلفه زحاه كزحام منى ، ورجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول :

« ••• يا ليت قومى يعلمون • بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين »(١) •

وقال الحريرى : حضرت الجنيد عند وفاته وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت : يا أبا القاسم •• فى مثل هذه الحالة ؟ فقال : ومن أولى بهذا منى ، والآن تطوى صحيفتى •

واحتضر أحد الصالحين فبكت عليه امرأته ، فقال لها : ابكى على نفسك ، فأما أنا فقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة •

* * *

وقال الجنيد : دخلت على السرى فى مرضه فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى الطبيب لما بى والذى قد أصابنى من طبيبى
ليس لى راحة ولا لى شفاء من سقامى الا بوصل حبيبى

وقيل للكسائى لما حضرته الوفاة : ما كان عملك ؟ قال : لو لم يقترب أجلى ما أخبرتكم ، وقفت على باب قلبى أربعين سنة ، كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه •

ولما احتضر مكحول ضحك ، وكان الغالب عليه الحزن ، فقيل له : لم ضحكت ؟ فقال : دنا فراق من كنت أحذره ، ولقاء من كنت أرجوه •

* * *

وهكذا ترى أخا الاسلام أن المؤمن المقبل على الله تعالى ولا سيما عندما ينكشف له ثواب طاعته ، تراه فرحا مسرورا بهذا اللقاء الذى كثيرا ما تمناه وعمل من أجله •

---

(١) يس : ٢٦ ، ٢٧

بخلاف الغافل الذى كان مشتغلا بالدنيا متمتعا بزهراتها ، فانه عند الموت كما يقولون ، يكون كسارق دخل دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ، ونسى صولة الملك وبطشه • فاذا أخذه الملك وأزعجه عن داره ، تحسر عن مفارقة ما كان فيه من اللذات ، وانكشف له عاقبة ما قدم من الجنايات •

أما المؤمن الذى كان يعتبر جسده سجنا لروحه ، وحياته طريقا الى مقصوده فانه اذا مات يعتبر نفسه قد خرج من هذا السجن •

ولهذا — كما رأيت — لم ينزعج ولم يبال بما تركه من الزاد بعد أن عاين مطلوبه ، ووصل الى محبوبه الذى كثيرا ما تنعم بذكره •

وفى ذلك يقول تبــارك وتعالى : **« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »**(١) • أى أن الذين آمنوا واتقوا تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند قبض أرواحهم ويقولون لهم لا تخافوا مما بين أيديكم فان مصيركم الى رحمة الله تعالى ، ولا تحزنوا على ما فارقتم من الدنيا ، فقد صرتم الى أحسن مما كنتم فيه ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون •

وقد روى أن الملائكة يقولون للمؤمن : السلام عليك يا ولى الله •• أبشر بالجنة ، فحينئذ يحب لقاء الله تعالى •

وقد ورد فى معنى قول الله تعالى : **« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيــا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفــوز العظيم »**(٢) أن أبا الدرداء رضى الله عنه قال : سألت رســول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : « ما سألنى عنها أحد قبلك ، هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن ، أو ترى له ، واعلم أن المرء لا يموت حتى يعلم مصيره » •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وتأمل معى قول الحكيم :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيــا والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا فى يوم مــوتك ضاحكا مسرورا

* * *

(١) فصلت : ٣٠ (٢) يونس : ٦٢ — ٦٤

وكن من أكيس الناس وأحزمهم ، وحسبك فى النهاية هذا الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا نبى الله .. من أكيس[١] الناس ، وأحزم[٢] الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »[٣] .

وتأمل موعظة الحسن البصرى عليه رضوان الله التى يقول فيها :
يا ابن آدم .. بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا .

يا ابن آدم .. طء الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك . واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك .

وتأمل كذلك قول الشافعى عليه رحمة الله :

تالله لو عاش الفتى فى دهره ... ألفا من الأعوام مالك أمره
متمتعا فيها بكل نفيسة ... متلذذا فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة ... كلا ولا ترد الهموم بفكره
ما كان هذا كله فى أن يفى ... بمبيت أول ليلة فى قبره

* * *

ثم قل مع الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر »[٤] .

* * *

---

(١) أى أعقلهم واشدهم فطنة . (٢) أى أكثرهم حزما .
(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى « الصغير » باسناد حسن . ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد .
(٤) أخرجه مسلم .

الوصية الثامنة والعشرون

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال :

« يا غلام .. انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

(رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المنتفعين بهــذه الوصية العظيمة الجامعة التى تؤكد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه كل فرد فى أمته ـــ سواء أكان صغيرا أم كبيرا ـــ الى أسباب الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة .

وهو هنا فى هــذه الوصية ـــ كما رأيت ـــ يقول لابن عباس رضى الله عنهما ، وقد كان يركب خلفه صلى الله عليه وسلم على دابة :

يا غلام[1] انى أعلمك كلمات « ينفعك الله بهن »[2] .

* (احفظ الله يحفظك) :

أى احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده ، وملازمة تقواه ، واجتناب مالا يرضاه ، يحفظك فى نفسك وأهلك ودنياك ، ولا سيما عند الموت اذ الجزاء من جنس العمل .

* * *

أما عن الفرائض فقد ورد :

عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الشعر فقال : يا رسول الله .. أخبرنى ما فرض الله على

---

(١) الغلام هو الصبى من حين يفطم الى تسع سنين ، وكان سنه اذ ذاك تسع سنين .

(٢) كما فى رواية أخرى .

من الصلوات ؟ فقال : « الصلوات الخمس ، الا أن تطوع شيئا » فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام ؟ فقال : « شهر رمضان » الا أن تطوع شيئا » فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الزكاة ؟ قال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام كلها ، فقال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله على شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق — أو دخل الجنة ان صدق »(١) .

ولما كانت الصلاة هى أهم هذه الفرائض التى جمعها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »(٢) .

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »(٣) .

وقوله : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »(٤) .

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أمر فى كتابه العزيز بالمحافظة على الصلوات فى الحضر ، والسفر ، والأمن ، والخوف ، والمرض ، فقال تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى(٥) وقوموا لله قانتين . فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »(٦) .

ولما كانت الصلاة كذلك هى : عماد الدين ، أو عموده ، كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) متفق عليه .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٥) الصلاة الوسطى هى صلاة العصر كما ورد فى احاديث صحيحة .
(٦) البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

« ... رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد »[١] ، وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات ، وبدون واسطة كما جاء فى قول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمد .. أنه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين »[٢] .

فقد رأيت أن أركز فى هذا العرض الحيوى على فريضة الصلاة التى تعتبر جامعة ومذكرة بجميع الفرائض الأخرى[٣] ، حتى نحافظ على الصلاة كما أمرنا الله تعالى ، وحتى نكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[٤] .

وقوله : **« والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون »**[٥] . وحتى لا أطيل عليك ، فاليك هذا الايجاز .

الصلاة لغة : الدعاء ، وشرعا : عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم ، وهى مشتقة من الصلة ، لأنها توصل العبد الى رحمة ربه ، وهى ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى : **« وأقيموا الصلاة ... »**[٦] .

وقال : **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »**[٧] أى مفروضا مقدرا وقتها فلا تؤخر عنها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين أرسله الى اليمن : « انك ستأتى قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم

---

(١) من حديث صحيح رواه الترمذى .
(٢) رواه احمد والنسائى والترمذى وصححه .
(٣) وقد أشرت اليه ووضحته فى الجزء الثالث من « الوصايا » انظر ص ١٩٤ وما بعدها من هذا المجلد .
(٤) المؤمنون : ٩ — ١٢
(٥) المعارج : ٣٤ ، ٣٥
(٦) البقرة : ١١٠
(٧) النساء : ١٠٣

أطاعــوك لذلك فأعلمهم أن الله تعــالى قد افترض عليهــم خمس صلوات ... »[١] .

وقد فرضت[٢] ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم وتكفير الذنوب بأدائها ، ففى الحديث الشريف :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون : يبقى ذلك من درنه شيئا » ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا »[٣] .

وثمرة أدائها : سقوط الطلب ، والبعد عن المخالفات فى الدنيا ، ونيل الثواب فى العقبى ، قال تعالى :

« وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... »[٤] .

وقال : **« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[٥] .**

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم »[٦] .

هذا .. ولمــا كانت الصلاة ــ كما رأيت ــ قد قدر الله سبحانه وتعالى أوقاتها ، كما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أمنى[٧] جبريل عليه الســـلام عند البيت مرتين ، وصلى بى الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك[٨] ، وصلى بى العصر حين كان ظل كل شىء مثله ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بى الفجر حين حرم

---

(١) أخرجه الستة .
(٢) اى الصلاة .
(٣) أخرجه الشيخان .
(٤) العنكبوت : ٤٥
(٥) الكهف : ٣٠ .
(٦) أخرجه البيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٧) أمنى ... الخ ، اى صلى بى اماما عند الكعبة ؛ وكان ذلك صبيحة ليلة الاسراء .
(٨) الشراك بكسر أوله ، أحد سيور النعل :

الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بى الظهر حين كان ظل كل شىء مثله ، وصلى بى العصر حين صار ظل كل شىء مثليه ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بى العشاء الى ثلث الليل ، وصلى بى الفجر فأسفر[١] ، ثم التفت الى وقال : يا محمد .. هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين »[٢] .

كان من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس وفى أوقاتها ، والا كان من الذين قال الله فى شأنهم :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »[٣] .

قال ابن كثير : قال الأوزاعى عن ابراهيم بن زيد : أن عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : لم تكن اضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها .

وقال سعيد بن المسيب ، امام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر الى المغرب ، ولا يصلى المغرب الى العشاء ، ولا يصلى العشاء الى الفجر ، ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس . فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ « غى » وهو واد فى جهنم بعيد قعره ، خبيث طعمه .

وحسب هذا اللاهى الغافل عن ذكر الله أن يقرأ قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[٤] .

قال الذهبى فى « الكبائر » : قال المفسرون : المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين .

---

(١) اسفر : اى اخره الى وقت الاسفار وهو ظهور نور الصباح جليا .

(٢) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والبيهقى والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

(٣) مريم : ٥٩

(٤) المنافقون : ٩

بل وحسبه كذلك أن يقرأ قوله تعالى :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون »(١) •

قال الشوكانى : أخرج الفريابى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى سننه ، عن مصعب بن سعيد قال : قلت لأبى : أرأيت قول الله تعالى : **« الذين هم عن صلاتهم ساهون ••• »** أينا لا يسهو ، أينا لايحدث نفسه ؟ قال : انه ليس كذلك ، انه اضاعة الوقت •

وزاد المنذر فى « الترغيب » : يلهو حتى يضيع الوقت ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الصلاة :

« تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا »(٢) •

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

« اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به الى النار ، فيقول : يا رب •• لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن وقتها ، وحلفك بى كاذبا » •

وقد ذكر الذهبى عن بعض السلف الصالح : أنه بعد أن دفن أختا له فى قبرها وانصرف بعد ذلك مع الناس تذكر أن كيس نقوده قد سقط فى قبرها ، فعاد فنبشه فوجد القبر يشتعل عليها نارا ، فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا ، فقال : يا أماه •• أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى •• رأيت قبرها يشتعل نارا • قال : فبكت الأم ، ثم قالت : يا ولدى •• كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها •

فاذا كان هذا يا أخى هو حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فما بالك بمن لا يصليها نهائيا •••

ولهذا رأيت أن أسوق اليك بعض الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع الذى هو مفتاح الجنة ، كما ورد فى حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة الصلاة »(٣) ، حتى تكون دائما

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥ (٢) متفق عليه من حديث انس •

(٣) رواه الدارمى •

وأبدا محافظا عليها ومن الحريصين على أدائها فى أوقاتها ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

من ترك الصلاة جحودا بها وانكارا لها • يعتبر كافرا وخارجا عن ملة الاسلام باجماع المسلمين ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »[١] •

أما من تركها مع ايمانه بها واعتقاده فرضيتها ، ولكن تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها بما لا يعد فى الشرع عذرا ، فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله ، من هذه الأحاديث المصرحة بقتله ما ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان »[٢] •

وفى رواية أخرى : « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا[٣] وقد حل دمه وماله » •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله عز وجل »[٤] •

واذا كانت الأحاديث المتقدمة ــ كما رأيت ــ ظاهرها يقتضى تكفير تارك الصلاة واستباحة دمه ، فقد رأى كثير من علماء السلف والخلف ، منهم أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى : أنه لا يكفر ، بل يفسق ويستتاب ، فان لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعى وغيرهما ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل ، بل يعزر[٥] ويحبس حتى يصلى ، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد ، أو المستحل للترك ، وعارضوها ببعض النصوص العامة التى منها قول الله تعالى :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[٦] •

---

(١) رواه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه •

(٢) رواه ابو يعلى باسناد حسن •

(٣) اى لا يقبل منه فرض ولا نفل •

(٤) رواه البخارى ومسلم •

(٥) وهو الضرب دون الحد •

(٦) النساء : ١١٦

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة ـ ان شاء الله ـ من مات لا يشرك بالله شيئا »[1] .

وحول هذا المعنى أنشد بعضهم :

خسر الذى ترك الصلاة وخابا	وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه	أضحى بربك كافرا مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل	غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له	ان لم يتب حد الحسام[2] عقابا
والرأى عندى للامام[3] عذابه	بجميع تأديب يراه صوابا

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واحذر الوقوع فى هذا الذنب الكبير ، وهو ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن وقتها حتى لا تكون من هؤلاء الخاسرين المضيعين الذين : « **أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا** »[4] .

وحسبك حتى تحافظ على الصلوات الخمس التى فرضها الله عليك أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة :

عن حنظلة الكاتب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله ، دخل الجنة » أو قال : « حرم على النار »[5] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ، على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وصام رمضان ، وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا ، وآتى الزكاة طيبة بها نفسه ، وأدى الأمانة » قيل : يا رسول الله .. وما أداء

---

(١) رواه احمد ومسلم عن ابى هريرة .
(٢) اى السيف .   (٣) وهو أبو حنيفة رحمه الله .
(٤) مريم : ٥٩
(٥) رواه احمد باسناد جيد ورواته رواة الصحيح .

الأمانة ؟ قال : « الغسل من الجنابة ، ان الله لم يأمن ابن آدم على شىء من دينه غيرها »[١] .

وعن رجل من بنى عبد القيس يقال له عياض : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكم بذكر ربكم[٢] ، وصلوا صلاتكم فى أول وقتكم ، فان الله يضاعف لكم »[٣] .

* * *

واعلم : أن « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »[٤] .

وأن : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[٥] بسبع وعشرين درجة »[٦] .

وأن : « من صلى لله أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق »[٧] .

وأن : « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار »[٨] .

وأن : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر ــ قالوا : وما العذر ؟ قال : خوف أو مرض ــ لم تقبل منه الصلاة التى صلى »[٩] .

وأن : « من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم مشى الى الصلاة

---

(١) رواه الطبرانى باسناد جيد . (٢) اى الزموه وواظبوا عليه .
(٣) اى يضاعف لكم الأجر اذا احسنتم العمل . رواه الطبرانى فى الكبير .
(٤) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٥) اى المنفرد .
(٦) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .
(٧) رواه الترمذى . (٨) رواه ابن ماجه واللفظ له .
(٩) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه بنحوه .

المكتوبة فصلاها مع الناس ، أو مع الجماعة ، أو فى المسجد الا غفر له ذنوبه »(١) .

وأن : « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله »(٢) .

وأن : « الجفاء كل الجفاء ، والكفر والنفاق مع من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجيبه »(٣) .

وأن : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »(٤) .

وأن : « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء ، فانه من يطلبه من ذمته بشىء يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم »(٥) .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة ؛ غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية ، فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح فى الساعة الرابعة ، فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »(٦) .

وأن : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا »(٧) .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب — ان كان عنده — ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع ما بدا له ، ولم يؤذ أحدا ، ثم أنصت حتى يلى ؛ كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى »(٨) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٣) رواه أحمد والطبرانى .
(٤) رواه البخارى والنسائى .
(٥) رواه مسلم واللفظ له وابو داوود والترمذى وغيرهم .
(٦) رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٧) قيل معناه : خاب من الأجر ، وقيل : صارت جمعته ظهرا ، وقيل : غير ذلك . رواه مسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٨) رواه احمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه ورواة احمد ثقات .

وأن : « من غسل يوم الجمعة واغتسل ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها »[١] .

وأن : « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة ، طبع الله على قلبه »[٢] .

وأن : « أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من الحطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار »[٣] .

وأن : « عمرو بن أم مكتوم رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. أنا ضرير شاسع الدار[٤] ولى قائد لا يلائمنى ، فهل تجد لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ قال : « تسمع النـداء » ؟ قال : نعم ، قال : « ما أجد لك رخصة »[٥] .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تكون محافظا على الصلوات الخمس دون تأخير أو نقصان ، وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، ان شاء غفر له وان شاء عذبه »[٦] .

* * *

---

(١) رواه احمد وابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وصححه .
(٢) رواه أحمد باسناد حسن والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٣) أخرجه البخارى واحمد ومسلم .
(٤) اى بعيد الدار .
(٥) رواه أحمد وابو داوود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم .
(٦) رواه مالك وابو داوود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

هذا .. ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
« لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ »[١] .
ولما كان سبب وجوب الوضوء ، وجوب الصلاة ، أو ارادة مالا يحل الا بالطهارة كصلاة ، ولو نافلة أو سجدة تلاوة .

ولما كان الوضوء الحسن كما رأيت هو الأساس فى صحة الصلاة التى ان قبلت منك كنت من الفالحين .
فقد رأيت ، وفى ختام هذا الموضوع أن أقف معك على :

كيفية الوضــوء

كما هو ثابت عن المعلم الخالد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد ورد :
عن حمران بن أبان قال : دعا عثمان رضى الله عنه بماء وهو على المقاعد ، فسكت على يمينه فغسلها ، وفى رواية : « فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلها » ثم أدخل يمينه فى الاناء فغسل كفيه ثلاثا . ثم غسل وجهه ثلاث مرار ، ومضمض واستنشق واستنثر . وغسل ذراعيه الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، وأمر بيديه على ظهر أذنيه ، ثم غسل رجليه الى الكعبين ثلاث مرار . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما ، غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية : « غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس »[٢] .

وعن عبد خير قال : جلس على رضى الله عنه بعدما صلى الفجر فى الرحبة[٣] ، ثم قال لغلامه : ائتنى بطهور ، فأتاه الغلام باناء فيه ماء وطست[٤] ونحن جلوس ننظر اليه . فأخذ بيمينه الاناء فأكفأه على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه ، فعله ثلاث مرار ، كل ذلك لا يدخل يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى ، وفعل ذلك ثلاث مرات ، وفى رواية : فتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحدة ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى

---

(١) رواه الشيخان وابو داوود و الترمذى عن أبى هريرة .
(٢) أخرجه احمد والشيخان . (٣) موضع بالكوفة .
(٤) اناء من نحاس .

ثلاث مرات الى المرفق ، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات الى المرفق ، ثم أدخل يده اليمنى فى الانئاء حتى غمرها المـاء ، ثم رفعها بما حملت من المـاء ، ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم مسح رأسه بيديه كلتيهما مرة • وفى رواية : « فبدأ بمقدم رأسه الى مؤخره » ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليمنى ، ثم غسلها بيده اليسرى • ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليسرى ، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب فضل وضوئه(١) ، ثم قال : هذا طهور نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم(٢) •

* * *

ولقد كان :

من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الوضوء

أنه كان : يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه ، وربما صلى الصلوات بوضوء واحد •

وكان : يتوضأ « بالمد »(٣) تارة ، وبثلثيه تارة ، وبأزيد منه تارة •

وكان : من أيسر الناس صبا لمـاء الوضوء •

وكان : يحذر أمته من الاسراف فى ماء الوضوء ، ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له : « لا تسرف فى المـاء » •

وصح عنه أنه توضأ مرة ، ومرتين مرتين ، وثلاثا ثلاثا ، وفى بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثا •

وكان : يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة ، وتارة بغرفتين ، وتارة بثـلاث •

وكان : يصل بين المضمضة والاستنشاق ، فيأخذ نصف الغرفة لفمه ، ونصفها لأنفه • ولا يمكن فى الغرفة الا هذا • وأما الغرفتان والثلاث ، فيمكن فيهما الفصل والوصل ، الا أن هديه صلى الله عليه وآله وسلم كان الوصل بينهما كما فى الصحيحين من حديث عبد الله ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمضمض واستنشق من كف واحدة • فعل ذلك ثلاثا ، وفى لفظ : « تمضمض واستنثر بثلاث غرفات » • فهذا أصح ما روى فى المضمضة والاستنشاق •

---

(١) وضوء بفتح الواو ، وهو ما يتوضأ به .
(٢) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والدارقطنى والدارمى بسند جيد
(٣) المد : رطلان .

وكان : يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى .

وكان : يمسح رأسه كله ، بل كان اذا كرر غسل الأعضاء أفرد مسح الرأس ، هكذا جاء عنه صريحا ، ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتة . ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة .

ولم يتوضأ صلى الله عليه وسلم الا تمضمض ، ولم يحفظ عنه أنه أخل به مرة واحدة .

وكذلك كان وضوءه مرتبا متواليا لم يخل به مرة واحدة ألبتة .

وكان : يمسح على رأسه تارة ، وعلى العمامة تارة ، وعلى الناصية والعمامة تارة ، وأما اقتصاره على الناصية مجردة فلم يحفظ عنه كما تقدم .

وكان : يغسل رجليه اذا لم يكونا فى خفين ولا جوربين ، ويمسح عليهما اذا كانا فى الخفين .

وكان يمسح أذنيه مع رأسه ، وكان يمسح ظاهرهما مع باطنهما .

ولم يحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئا غير التسمية فى أوله ، وقد ورد فى هذا أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنه : « اذا توضأت فقل : بسم الله والحمد لله ، فان حفظتك لا تبرح تكتب لك الحسنات حتى تحدث من ذلك الوضوء »(١) . كما ورد أنه كان يقول فى آخره : « أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » . كما ورد أيضا أنه كان يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك » .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقول فى أول الوضوء : نويت رفع الحدث ، ولا استباحة الصلاة ، لا هو ولا أحد من الصحابة عليهم جميعا رضوان الله ، ولم يرو عنه فى ذلك حرف واحد لا باسناد صحيح ولا ضعيف .

ولم يتجاوز الثلاث قط .

* * *

---

(١) أخرجه الطبرانى فى « الصغير » بسند حسن .

واعلم أن :

السواك مستحب فى جميع الأوقات لكن فى خمسة أوقات أشد استحبابا : عند الصلاة ، عند الوضوء ، عند قراءة القرآن ، عند الاستيقاظ من النوم ، عند تغير الفم . فقد ورد :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء »[١] .

وعنه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[٢] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب »[٣] .

ويحصل الاستياك بكل طاهر خشن يزيل الوسخ والأفضل أن أن يكون بالأراك والزيتون لحديث أبى خيرة الصباحى ، قال : كنت فى الوفد فزودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأراك وقال : « استاكوا بهذا »[٤] . ويسن غسله بعد الاستعمال .

ويحصل فضله بالاصبع عند فقد السواك ، أو فقد أسنانه أو ضرر بفمه ، لحديث النضر بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجزىء من السواك الأصابع »[٥] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « يا رسول الله .. الرجل يذهب فوه .. أيستاك ؟ قال : نعم . قلت : كيف يصنع ؟ قال : يدخل اصبعه فى فيه »[٦] .

وأنه من مستحبات الوضوء كذلك :

استقبال القبلة . لحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير المجالس ما استقبل به القبلة »[٧] .

---

(١) رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم .
(٢) اخرجه الجماعة .
(٣) رواه احمد والنسائى والترمذى .
(٤) اخرجه البخارى فى « التاريخ » .
(٥) اخرجه البيهقى وقال : حديث ضعيف .
(٦) اخرجه الطبرانى فى « الأوسط » .
(٧) اخرجه أبو نعيم فى « الحلية » .

وتقديم الوضوء على الوقت لغير المعذور •

وترك لطم الوجه وغيره من الأعضاء ، لأن كل من وصف وضوء النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر أنه ضرب وجهه بالمـاء •

وعدم التكلم حال الوضوء ، الا لحاجة تفوته ، كأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وارشاد ضال ، ورد سلام •

وتحريك الخاتم وما يشبهه من الأساور والخلاخل ونحوها •

والبدء بتطهير مقدم الأعضاء ـ أى بأعلى الوجه ـ وأصابع اليدين والرجلين ، ومقدم الرأس •

واطالة الغرة والتحجيل • والمراد باطالة الغرة غسل شىء من مقدم الرأس وما يجاوز الوجه زائدا على المفروض غسله • والمراد بالتحجيل غسل ما فوق المرفقين والكعبين بأن يغسل الذراعين لنصف العضدين ، والرجلين لنصف الساقين لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين[1] من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »[2]

والاقتصاد فى المـاء : أى لا يقتر ولا يزيد على قدر الكفاية اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد ورد :

عن عبيد الله بن أبى يزيد أن رجلا قال لابن عباس : كم يكفينى من الوضوء ؟ قال : مد[3] • قال : كم يكفينى للغسل ؟ قال : صاع[4] • فقال الرجل : لا يكفينى • فقال : لا أم لك ، قد كفى من هو خير منك رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] •

ومسح الرقبة بظهر يديه : لعدم استعمال بلتهما ، فقد ورد هذا من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان لم يثبت فى هذا حديث صحيح الا أن الأحاديث الواردة فى هذا لكثرتها يقوى بعضها بعضا • أما مسح الحلقوم وهو مقدم العنق فبدعة اتفاقا •

---

(١) اى على وجوههم وفى ايديهم وأرجلهم نور •
(٢) اخرجه احمد والشيخان •   (٣) المد : رطلان •
(٤) الصاع : ثمانية أرطال •
(٥) اخرجه احمد والبزار والطبرانى فى « الكبير » ورجاله ثقات •

وعدم الاستعانة بالغير : فقد اتفق العلماء على أنه يستحب للقادر أن يتولى تطهير الأعضاء بنفسه من غير معاونة ، أما الاستعانة لاحضار المـاء وصبه فقد اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السنة على اباحتـه .

والدعاء بعد الوضوء : لحديث عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »[1] .

ويختم الدعاء بما فى حـديث أبى سـعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من توضأ فقال : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك ، كتب فى رق ثم طبع بطابع فلا يكسر الى يوم القيامة »[2] .

أما ما اعتاده بعض الناس وذكره بعض الفقهاء من الدعاء عند كل عضو كقولهم عند غسل الوجه : اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وعند غسل اليد اليمنى : اللهم أعطنى كتابى بيمينى ولا تعطنى كتابى بشمالى . وعنـد غسل اليد اليسرى : اللهم يسر ولا تعسر . فلم يثبت فيه شىء عن النبى صلى الله عليه وسلم .
قال النووى فى الروضة : هذا الدعاء لا أصل له ، ولم يذكره الشافعى ولا الجمهور .

وقال ابن الصلاح : لم يصح فيه حديث[3] .
والشرب من فضل الوضوء قائما أو قاعدا مستقبلا القبلة : لأنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما من فضل وضوئه ومن ماء زمزم .. كما ورد[4] .

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى وزاد : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .
(٢) أخرجه الحاكم والنسائى وصحح وقفه .
(٣) انظر « تحفة الأحوذى » جـ ١ ص ٥٩
(٤) كما قرأت سابقا .

وصلاة ركعتين بعد الوضوء : فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين أتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا »[١] •

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة ضرورة :

الاستبراء من البول قبل الشروع فى الوضوء ، وهو : طلب البراءة من أثر الخارج فيلزم الرجل الاستبراء حسب عادته بنحو مشى أو تنحنح أو ركض أو اضطجاع ، ولا يصح الشروع فى الوضوء حتى يطمئن بزوال الرشح لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه »[٢] •

ولا تحتاج المرأة الى استبراء بل تصبر قليلا ثم تستنجى ولابد من الاستنقاء أيضا ، وهو طلب النقاوة بدلك المقعدة بالأحجار حال الاستجمار ، أو بالأصابع حال الاستنجاء بالمـاء حتى تذهب الرائحة •



وأما عن :

حفظ الحدود وملازمة التقوى واجتناب مالا يرضى الله

فالحدود جمع حد ، وهو فى اللغة المنع ، وأما فى الشرع فهى محارم الله وعقوباته التى قرنها بالذنوب • قال فى النهاية : « أصل الحد المنع والفصل بين الشيئين ، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام ، فمنها مالا يقرب كالفواحش المحرمة ، ومنه قوله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »[٣] • ومنها مالا يتعدى كالمواريث المعينة وتزوج الأربع • ومنه قوله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تعتدوها** »[٤] ، ومنه الحديث : « انى أصبت حدا فأقمه على ••• »[٥] ، أى أصبت ذنبا أوجب على حدا أى عقوبة »اهـ •

---

(١) اخرجه احمد .

(٢) اخرجه الدارقطنى والحاكم وصححه .

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) البقرة : ٢٢٩

(٥) من حديث رواه مسلم .

والمراد هنا عدم الاقتراب من محارم الله تعالى حذرا من الوقوع فيما يوجب دخول جهنم : وقد ورد فى هذا المعنى عن ابن عبـــاس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أنا آخذ بحجزكم[١] أقول : اياكم وجهنم[٢] ، اياكم والحدود[٣] ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود ــ ثلاث مرات ــ فاذا أنا مت تركتكم وأنا فرطكم[٤] على الحوض فمن ورد أفلح »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يغار ، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه »[٦] .

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأعلمن أقواما من أمتى يأتون يوم القيامة بأعمال[٧] أمثال جبال تهامة[٨] بيضــاء ، فيجعلها الله هباء منثــورا »[٩] . قال ثوبان : يا رسول الله .. صفهم لنا ، جلهم لنا[١٠] لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « أما انهم اخوانكم ومن جلدتكم[١١] ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها »[١٢] .

---

(١) جمع حجزة وهى مقعد الازار : اى ممسك بها .

(٢) أى احذروا ما يوجب لكم دخول جهنم من تعدى الحدود وانتهاك الحــرمات .

(٣) أى لا تتعدوها ولا تقعوا فيها .

(٤) أى سابقكم ومتقدمكم .

(٥) يعنى من ورد على الحوض وشرب منه فقد فاز ، لأن ورود الحوض دليل على حسن ايمانه ومتابعته . رواه البزار من رواية ليث بن أبى سليم .

(٦) يعنى أن يفعل ما نهاه الله عز وجل عنه من الفواحش والمنكرات .. رواه البخارى ومسلم .

(٧) يعنى صالحة من صلاة وصدقة وصيام ونحوها .

(٨) أى انها تساويها فى الثقل .

(٩) اى يحبطهم ولا يثيبهم عليها .

(١٠) أى أظهرهم لنا .

(١١) أى من عشيرتكم .

(١٢) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبتى[١] الصراط سوران[٢] فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة[٣] ، وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا[٤] ، وفوق ذلك داع يدعو ، كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك[٥] لا تفتحه ، فانك ان فتحته تلجه[٦] ، ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الاسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله[٧] ، والداعى على رأس الصراط هو القرآن ، والداعى من فوقه هو واعظ الله فى قلب كل مؤمن »[٨] .

* * *

فمن هذه الأحاديث ترى بوضوح أن الوقوف عند حدود الشرع وعدم الاقتراب منها أو تعديها يضمن لك السلامة فى الدارين ، وأن اتقاءك للمحارم يجعلك من أعبد الناس ، كما جاء فى الحديث الشريف الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ... اتق المحارم تكن أعبد الناس »[٩] .

* * *

غير أن كل هذا لن يتحقق الا بملازمة التقوى التى تعتبر من أهم أسباب الفلاح والنجاح ، كما جاء فى قوله تعالى : **« ... واتقوا الله لعلكم تفلحون »**[١٠] .

---

(١) تثنية جنبة وهى الناحية .
(٢) تثنية سور وهو البناء المحوط .
(٣) اى مسبلة .
(٤) اى لا تميلوا .
(٥) كلمة ترحم واشفاق .
(٦) اى تدخله .
(٧) التى أمر بالوقوف عندها ونهى عن تعديها .
(٨) وفى رواية : « مسلم » بدل « مؤمن » .
ذكره رزين ولم أره فى أصوله ، وانما رواه احمد والبزار مختصرا بغير هذا اللفظ باسناد حسن ، وعزاه السيوطى فى « الجامع » بهذا اللفظ الى احمد والحاكم عن النواس بن سمعان وقال الحاكم : صحيح ، واقروه .
(٩) من حديث رواه الترمذى وقد سبق شرحه فى سلسلة « الوصايا » .
(١٠) آل عمران : ٢٠٠

وهذا يتطلب دوام استحضار القلب احاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته ، لأن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه : لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . وهو سبحانه **« يعلم السر وأخفى »**(١) ، **« وهو معكم أين ما كنتم »**(٢) .

* * *

ولهذا :

قال ابن عطاء الله : أفضل الطاعات ، مراقبة الحق فى جميع الأوقات .

وقال ذو النون المصرى : علامة المراقبة ايثار ما آثر الله ، وتعظيم ما عظم الله .

وقال بعض العارفين : من راقب الله فى خواطره عصمه الله جوارحه .

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا المعنى :

كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها فى الظاهر فأراد أن يختبر باطنه ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : انها ليست لى . فقال : قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة . فقال الغلام : فأين الله .. فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول : فأين الله ...

وحكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت الى حاجة لها ، فتبعها ، فلما خلا بها فى البادية ، والناس نيام حولها ، راودها عن نفسها ، فقالت له : انظر .. أنام الناس جميعا ؟ ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته ، فقام وطاف حول مضارب الحى ، فاذا الناس نيام ، فرجع اليها وأخبرها ، فقالت له : ما تقول فى الله تعالى ، أنائم هو فى هذه الساعة ؟ فقال الرجل : ان الله لا ينام ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، فقالت المرأة : ان الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف ، فاتعظ الرجل وتركها ، وتاب خوفا من الله تعالى . ولما مات رئى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى لخوفى منه ، وتوبتى اليه .

* * *

---

(١) طه : ٧ (٢) الحديد : ٤

واعلم أخا الاسلام : أن من أطاع الله تعالى أطاعه فى كل شيء ، ومن خاف الله تعالى خافه فى كل شيء . ولما كان العلماء هم أخوف الناس من الله تعالى بدليل قوله سبحانه : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »(١)

فقد رأيت أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التى سترى من خلالها عزة العلماء وهيبتهم وكيف كان الأمراء يعملون لهم ألف حساب ، لا لشيء الا لأنهم كانوا ينظرون اليهم نظرة تقدير واكبار بعد أن رأوا منهم الاخلاص والعزوف عن الدنيا التى ان تربعت على قلب العالم سلبته مهابته ، وأفقدته كرامته ومكانته .

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : ائتونى برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين .. ماتوا . قال : فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذن وقال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك . فقال : يا طاووس .. ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم تكننى ، وجلست بازائى بغير اذن ، وقلت : يا هشام كيف أنت .

فقال طاووس : أما خلع نعلى بحاشية بساطك ، فانى أخلعها بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على .

وأما قولك : لم تسلم على بامرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك ، فخفت أن أكون كاذبا .

وأما قولك : لم تكننى ، فان الله عز وجل سمى أنبياءه فقال : يا داوود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : « **تبت يدا أبى لهب ...** »(٢) .

---

(١) فاطر : ٢٨ (٢) المسد : ١

وأما قولك : جلست بازائى فانى سمعت على بن أبى طالب يقول : اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام • فقال : عظنى • فقال : سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : ان فى جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل فى رعيته •

وأن الامام الأوزاعى دخل على المنصـــور ــ وقد كان شديد الهيبة ــ فقال له المنصور : عظنى • فقال : اعلم يا أمير المؤمنين •• ان الله هو الحق المبين ومن كره الحق فقد كرهه الله ، يا أمير المؤمنين •• ان الملك لا يدوم لمخلوق ، وانما الملك لله وحده ، ولو كان يدوم لأحد لمـــا وصل اليك • يا أمير المؤمنين •• ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للقصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا وهو غير متعمد • فقال الأعرابى : بأبى وأمى يا رسول الله •• قد أحللتك وما كنت لأفعل ذلك أبدا • يا أمير المؤمنين •• ان خير الكرم عند الله التقوى ، ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه ، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله • فلما انتهى من عظته أمر له المنصور بمال ، فاعتذر واستعفى من قبوله وقال : يا أمير المؤمنين •• ما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا فأحرم ثوابها وأقلل من نفعها ، وما دام أمير المؤمنين قائما فينا بالعدل فنحن فى خير الله ثم فى خيره •

وناظر أبو جعفر المنصور الامام مالك رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام مالك : يا أمير المؤمنين •• لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال تعالى : « **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** »(١) ومدح قوما فقال : « **ان الذين يغضون أصواتهم عند رســـول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم** »(٢) وذم قوما فقال : « **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** »(٣) وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا • فاستكان له أبو جعفر •

---

(١) الحجرات : ٢
(٢) الحجرات : ٣
(٣) الحجرات : ٤

فبكل هذا أخا الاسلام تكون أهلا لرحمة الله تعالى ورعايته لك ولأهلك ومالك ودينك ودنياك ، اذ الجزاء كما عرفت سابقا من جنس العمــل ، والى هذا يشير سبحانه وتعــالى فى قوله : « **فاذكرونى أذكركم** »[1] .

وقوله : « **ان تنصروا الله ينصركم** »[2] .

وقد مدح الله تعالى المتقين الحافظين لحدوده فقال : « **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** »[3] .

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (احفظ الله تجده تجاهك) : فالمراد : احفظ الله وكن ممن « **خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** »[4] : تجده أمامك ، أى معك بالحفظ والاحاطة والتــأييد والاعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغنى به عن خلقه .

واذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

* * *

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا :

* (واذا سألت فاسأل الله) أى : اذا أردت سؤال شىء فاسأل الله أن يعطيك اياه ، ولا تسأل غيره ، لأنه لا قادر ولا متفضل غيره ، فهو أحق أن يقصد .

وقد أمر الله الناس أن يدعوه ويضرعوا اليه ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤالهم ، فقال تعالى : « ... **ادعونى أستجب لكم** »[5]

وقال : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** »[6] .

ولهذا كان الدعاء هو العبادة كما جاء فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدعاء

---

(١) البقرة : ١٥٢
(٢) محمد : ٧
(٣) سورة ق : ٣١ — ٣٣
(٤) سورة ق : ٣٣
(٥) غافر : ٦٠
(٦) الأعراف : ٥٥

هو العبادة ، ثم قرأ : « **ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** »(١) .

وعن الحسن رضي الله عنه : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه : أين ربنا ؟ فأنزل الله : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان** »(٢) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : « أربع خصال : واحدة منهن لى ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بينى وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادى ، فأما التى لى : لا تشرك بى شيئا . وأما التى لك : فما عملت من خير جزيتك عليه . وأما التى بينى وبينك : فمنك الدعاء وعلى الاجابة ، وأما التى بينك وبين عبادى : فارض لهم ما ترض لنفسك »(٣) .

وحتى تعرف فضل الدعاء وتكون من الحريصين عليه ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شىء أكرم على الله من الدعاء »(٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان(٥) الى يوم القيامة »(٦) .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر »(٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض »(٨) .

* * *

---

(١) غافر : ٦٠ .   (٢) البقرة : ١٨٦

(٣) رواه ابو يعلى .   (٤) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٥) أى يتصارعان ويتدافعان .

(٦) رواه البزار والطبرانى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٨) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ورواه ابو يعلى من حديث على

هذا وللدعاء آداب ، منها :

تحرى الحلال : وهو من أهم شرائطه ، فقد أخرج الحافظ ابن مردويه عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا** »[١] ، فقام سعد بن أبى وقاص فقال : « يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد .. أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

ـ استقبال القبلة ان أمكن ، فقد خرج النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فدعا واستسقى واستقبل القبلة .

ـ ملاحظة الأوقات الفاضلة ، والحالات الشريفة : كيوم عرفة . وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ونزول الغيث ، وبين الأذان والاقامة . والتقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب .

ـ رفع اليدين حذو المنكبين : فقد روى عن مالك بن يسار أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها » .

ـ البدء بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته ولم يمجد الله تعالى ، ولم يصل على النبى فقال : « عجل هذا » ثم دعاه فقال له ـ أو لغيره ـ : « اذا صلى[٢] أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل ، والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يدعو بما شاء »[٣] .

ـ حضور القلب واظهار الفاقة والضراعة الى الله جل شأنه وخفض الصوت بين المخافة والجهر ، قال الله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك**

---

(١) البقرة : ١٦٨ (٢) صلى : اى دعا .

(٣) رواه أبو داوود والنسائى والترمذى وصححه .

ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »[١] ، وقال : **« ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين »**[٢] .

ـ الدعاء بغير اثم أو قطيعة رحم : فعن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر . قال : « الله أكثر »[٣] .

ـ عدم استبطاء الاجابة : فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى »[٤] .

ـ الدعاء مع الجزم بالاجابة : فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له »[٥] .

ـ اختيار جوامع الكلم ، مثل : **« ... ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »**[٦] .

ـ تجنب الدعاء على النفس والأهل والمال : فقد ورد عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء يستجاب لكم » .

ـ تكرار الدعاء ثلاثا : فقد ورد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا[٧] .

ـ البدء بالدعاء للنفس قبل الدعاء للغير : وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : **« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا**

---

(١) الاسراء : ١١٠ .
(٢) الأعراف : ٥٥
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه مالك .
(٥) رواه أبو داوود .
(٦) البقرة : ٢٠١
(٧) رواه أبو داوود .

بالايمــان »[١] ، وعن أبى بن كعب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه »[٢] .

ـ مسح الوجه باليدين عقب الدعاء وحمد الله وتمجيده والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى مسح الوجه باليدين من عدة طرق كلها ضعيفة ، وأشار الحافظ الى أن مجموعها تبلغ به درجة الحسن .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن دائما وأبدا مع الله سبحانه وتعالى حتى يكون معك .. واياك أن تسأل غيره ، وحسبك هذه الأقوال :

قال طاووس لعطاء : اياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك ، وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة وقد أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك .

وقال الفضيل بن عياض : أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم ، وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره .

وقال ابن السماك : فى طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ، ان هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه وان منعه ذم غير الذى منعه ، لأنه لا معطى ولا مانع فى الحقيقة الا الله .

وقال عامر بن قيس : قرأت آيات فى كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن النــاس ، قوله تعــالى : **« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو »**[٣] فلم أسأل غيره كشف ضرى ، وقوله تعالى : **« وان يردك بخير فلا راد لفضله »**[٤] ، فلم أرد الخير والفضل الا منه ، وقوله عز وجل : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »**[٥] ، فلم أطلب الرزق من غيره فأغنانى عن الناس بهذه الآيات .

---

(١) الحشر : ١٠

(٢) رواه الترمذى باسناد صحيح .

(٣) الأنعام : ١٧ ، ويونس : ١٠٧

(٤) يونس : ١٠٧

(٥) هود : ٦

وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه لأن السؤال فيه ذل وافتقار •

وكان بعضهم يقول : من احتجت اليه هنت عليه •

***

واعلم أن السؤال مذموم اذا كان لآدمى وأما سؤال الله سبحانه وتعالى فينبغى للانسان أن لا يتركه فى أمر من الأمور لأنه سبحانه وتعالى أمرنا به حيث قال : **« واسألوا الله من فضله »**(١) •

وفى الحديث الشريف : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** » •

وحول كل هذا يقول أحدهم :

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

***

وأما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :

* (واذا استعنت فاستعن بالله) أى : اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله تعالى لأنه القادر على كل شىء، وغيره عاجز عن كل شىء حتى جلب مصالح نفسه ودفع مضارها • وقد كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز : « **لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه** » • وتأمل قول القائل :

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وحسبك هذا الحديث القدسى الذى يقول الله تعالى فيه :

« ابن آدم •• أنزلت عليك سبع آيات ، ثلاث لى ، وثلاث لك ، وواحدة بينى وبينك ، فأما التى لى : فـ « **الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين** » ، والتى بينى وبينك : « **اياك نعبد واياك نستعين** » ، منك العبادة وعلى العون ، وأما التى لك : « **اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** »(٢) •

---

(١) النساء : ٣٢

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه « الأوسط » عن أبى بن كعب •

واعلم أن : « من اعتمد على ماله قل ، ومن اعتمد على عقله ضل ، ومن اعتمد على جاهه ذل ، ومن اعتمد على الله لا قل ، ولا ضل ، ولا ذل »[١] .

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف »[٢] .

وهذا معناه أنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنفع أو تضر الا بارادة الله سبحانه وتعالى التى قدرها أزلا فى لوحه المحفوظ .

وأن كل انسان فى هذه الحياة الأولى ميسر لما خلق له كما جاء فى الحديث الذى رواه جابر رضى الله عنه والذى يقول فيه :

جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه فقال : يا رسول الله .. بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن .. فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؟ قال : ففيم العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله »[٣] .

ولهذا كان من المفروض أن لا يكون هناك جبن أو خوف ، وهم أو حزن ، ما دام الله سبحانه وتعالى قد قدر كل هذا وأراده .

مع ضرورة الأخذ بالأسباب كما أمر الله سبحانه وتعالى سواء أكان هذا فى سبيل الدفاع عن الدين والوطن كما جاء فى قوله تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[٤] .

وسواء أكان فى سبيل طلب الرزق كما جاء فى قوله تعالى : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**[٥] فالله سبحانه وتعالى قبل أن يأمرنا باعداد العدة لملاقاة الأعداء ، والسعى فى مناكب الأرض طلبا للرزق ، كان قد قدر أزلا نتائج المعارك ، كما قسم الأرزاق ،

---

(١) من كلام سيدنا على .
(٢) من حديث رواه الترمذى .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) الأنفال : ٦٠
(٥) الملك : ١٥

ومع هذا كما عرفت فقد أمر باعداد العدة وطلب الرزق أخذا بالأسباب كما أشرت وفى هذا يقول أحدهم :

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزى اليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدلى الجزع من غير هزه ... اليها ولكن كل شىء له سبب

* * *

واذا كانت الوصية التى وقفت على شرحها بايجاز قد رواها الترمذى عليه رحمة الله فقد رواها غيره بهذا النص الذى أرجو أن تنتفع به كذلك وهو :

* (احفظ الله تجده أمامك ، تعرف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة .

واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك .

واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) .



الوصية التاسعة والعشرون

روى اسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أجمعين : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أوصنى وأوجز . فقال :

« عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى ، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، واياك وما يعتذر منه » .

(رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وقال الحاكم : صحيح الاسناد) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الموفق الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم — كما عرفت — أوصنى ... فقال له ولجميع أحبابه الذين يرجو لهم العزة والكرامة بين الناس حتى يتحقق الايمان فيهم ، كما جاء فى قول الله تعالى : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**(1) :

* (عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى) :

أى : اذا أردت أن تكون غنيا عن الناس لا تمدن عينيك الى ما فى أيديهم من حطام أو طعام ، لأن الناس عادة لا يحبون غير الذى لا ينازعهم فيما فى أيديهم ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الواضح ى حديث شريف روى :

عن العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله .. دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »(2) .

---

(1) المنافقون : 8

(2) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

فبهذا وحده تستطيع أن ترفع رأسك بين الناس بالاضافة الى حبهم لك كما عرفت •• وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

كن زاهدا فيما حوت أيدى الورى   تضحى الى كل الأنام حبيبا

وقال الحسن البصرى رحمه الله : لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه •

وقال أعرابى لأهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن • قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم ، فقال : ما أحسن هذا •

وسأل كعب الأحبار عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه ؟ فقال : يذهبه الطمع وطلب الحاجات الى الناس • فقال : صدقت •

وقال الحسن الشاذلى عليه رحمة الله : دخل على بالمغرب بعض الأكابر ، فقال : ما أرى لك كبير عمل •• فيم فقت الناس وعظموك ؟ فقلت : بخصلة واحدة وهى : الاعراض عنهم وعن دنياهم •

* * *

وحسبك توضيحا لهذا المعنى أن تقرأ قول الله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى • وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ،لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى »[1] •

فقد ورد فى تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابل بنى المصطلق وقد عبست فى أبوالها وأبعارها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى ، لقوله عز وجل : **« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ••• »** الآية ، ثم سلاه ، فقال : **« ورزق ربك خير وأبقى »** أى ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا أولى ، لأنه يبقى والدنيا تفنى • وقيل : يعنى بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنـــائم •

وأما قوله تعالى : **« وأمر أهلك بالصلاة ••• »** الآية ، فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع أمته ، وأهل بيته

---

(١) طه : ١٣١ ، ١٣٢

على التخصيص ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلى رضوان الله عنهما ، فيقول : « الصلاة » .

ويروى أن عروة بن الزبير رضى الله عنه ، كان اذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر الى منزله فدخله ، وهو يقرأ : « **ولا تمدن عينيك** ... » الآية الى قوله : « **وأبقى** » ، ثم ينادى بالصلاة : الصلاة يرحمكم الله ، ويصلى .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلى وهو يتمثل بالآية .

وقال القرطبى فى قوله تعالى : « **لا نسألك رزقا** ... » الآية ، أى لا نسألك أن ترزق نفسك واياهم ، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق ، بل نحن نتكفل برزقك واياهم ، فكان عليه الصلاة والسلام اذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة ، وقد قال تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »(١) .

وفى قوله تعالى : « **والعاقبة للتقوى** » أى الجنة لأهل التقوى ، يعنى العاقبة المحمودة ، وقد تكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهى كالمعدومة .

* * *

فلاحظ كل هذا حتى تنتفع به ، ثم اقرأ بعد ذلك قوله تعالى :

« **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شىء عليما** »(٢) .

• فقد روى الترمذى فى تفسير هذه الآية عن أم سلمة أنها قالت : يغزوا الرجال ولا يغزوا النساء ، وانما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله تعالى : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** » .

وقال مجاهد : فأنزل الله فيها : « **ان المسلمين والمسلمات** ... »(٣) وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة .

---

(١) الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨ (٢) النساء : ٣٢
(٣) الأحزاب : ٣٥

وقال قتادة : كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين تمنى النساء أن لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال ، وقال الرجال : انا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث ، فنزلت : **« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض »**(١) .

قال القرطبى : التمنى نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل كالتلهف ونوع منها يتعلق بالماضى ، فنهى الله سبحانه المؤمنين عن التمنى ، لأن فيه تعلق البال ونسيان الأجل .

وقد اختلف العلماء : هل يدخل فى هذا النهى الغبطة وهى أن يتمنى الرجل أن يكون له حال صاحبه وان لم يتمن زوال حاله ، والجمهور على اجازة ذلك : مالك وغيره ، وهو المراد عند بعضهم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

فمعنى قوله : « لا حسد » أى لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة فى هذين الأمرين .. وقد نبه البخارى على هذا المعنى حيث بوب على هذا الحديث : « باب الاغتباط فى العلم والحكمة » .

وقال المهلب : بين الله تعالى ما لا يجوز تمنيه ، وذلك ما كان من عرض الدنيا وأشباهها .

وقال ابن عطية : وأما التمنى فى الأعمال الصالحة فذلك هو الحسن ، وأما اذا تمنى المرء على الله من غير أن يقرن أمنيته بشىء مما قدمنا ذكره فذلك جائز ، وذلك موجود فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « وددت أن أحيا ثم أقتل » .

ثم قال القرطبى : وهذا كله يدل على أن التمنى لا ينهى عنه اذا لم يكن داعية الى الحسد والتباغض ، والتمنى المنهى عنه فى الآية من هذا القبيل ، فيدخل فيه أن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أو دنيا على أن يذهب ما عند الآخر ، وسواء تمنيت مع ذلك أن يعود اليك أو لا .
وهذا هو الحسد بعينه ، وهو الذى ذمه الله تعالى بقوله :

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. »(٢) .

---

(١) النساء : ٣٢　　(٢) النساء : ٥٤

ويدخل فيه أيضا : خطبة الرجل على خطبة أخيه ، وبيعه على بيعه ، لأنه داعية الى الحسد والمقت ، وقال الضحاك : لا يحل لأحد أن يتمنى مال أحد ، ألم تسمع الذين قالوا :

« يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ... »(١) .

الى أن قال : **« وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون .. »**(٢) حين خسف به وبداره وأمواله : **« لولا أن من الله علينا لخسف بنا »**(٣)

وقال الكلبى : لا يتمن الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ، ولا دابته ، ولكن ليقل : اللهم ارزقنى مثله ، وهو كذلك فى التوراة ، وكذلك قوله تعالى فى القرآن : **« واسألوا الله من فضله »**(٤) .

وقال ابن عباس : نهى الله سبحانه وتعالى أن يتمنى الرجل مال أخيه وأهله ، وأمر عباده المؤمنين أن يسألوه من فضله .

ومن الحجة للجمهور قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الدنيا لأربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا أفضل المنازل . ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ... »(٥) .

وقال الحسن : لا يتمن أحدكم المـال وما يدريه لعل هلاكه فيه ، وهذا انما يصح اذا تمناه للدنيا ، وأما اذا تمناه للخير فقد جوزه الشرع . فيتمناه العبد ليصل به الى الرب ، ويفعل الله ما يشاء .

والمراد بقوله تعالى : **« للرجال نصيب مما اكتسبوا »**(٦) أى من الثواب والعقاب . وللنساء كذلك ، قاله قتادة ، فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها كما للرجال .

وقال ابن عباس : المراد بذلك الميراث ، والاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فنهى الله عز وجل عن التمنى على هذا الوجه لما فيه من دواعى الحسد ، ولأن الله تعالى أعلم بمصالحهم منهم ، فوضع القسمة بينهم على التفاوت على ما علم من مصالحهم .

---

(١) القصص : ٧٩ (٢) القصص : ٨٢
(٣) القصص : ٨٢ (٤) النساء : ٣٢
(٥) الحديث اخرجه الترمذى وصححه .
(٦) النساء : ٣٢

وأما المراد بقوله تعالى : « **واسألوا الله من فضله** » فقد روى الترمذى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فانه يحب أن يسئل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » وخرج أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب ..

وقال سعيد بن جبير : « **واسألوا الله من فضله** » العبادة ، ليس من أمر الدنيا . وقيل : سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشبع ، فانه ان لم ييسره الله عز وجل لم ييسر .

وقال سفيان بن عيينة : لم يأمرنا بالسؤال الا ليعطى .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام وكن دائما وأبدا معتمدا على الله تعالى وحده فهو سبحانه وتعالى المعز المذل الذى بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وحسبى فى نهاية هذا العنصر أن أسوق اليك هذه الآثار التى تتصل اتصالا وثيقا به والتى سترى من خلالها ضرورة الاستغناء عن الناس :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم — وقد كان من العلماء العاملين — بعد أن استمع الى مواعظه وتأثر بها : يا أبا حازم .. أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ هذا المال ، قال أبو حازم : مالى خير من مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله .

وقال ابن عباد الصيرفى البغدادى : بينما أنا نائم ، اذ قيل لى فى المنام : يا عباد .. قم فأغث الملهوف ، فقلت : وأين هو ؟ فقيل لى : اركب دابتك ، فهو حيثما وقفت . قال : فانتبهت من نومى ، وركبت دابتى ، وجعلت أتخلل أزقة بغداد ، حتى انتهيت الى مسجد ، فوقفت الدابة ، ونزلت عنها ، ودخلت المسجد ، فاذا برجلٍ مستقبلَ القبلة ، فسلمت عليه وقلت : ما قضيتك ؟ قالَ : انى رجلٌ ذو عيالٌ ، ولم يكن

عندهم الليلة شيء ، فجلست ههنا ، وطلبت من الله الفرج ، قال : فأعطيته مائة دينار ، وقلت له : أنا ابن عباد الصيرفى ، فاذا احتجت الى شيء فائتنى ، فقال : سبحان الله •• أترك الذى أقامك من فراشك ، وأتى بك الى فى ظلمة الليل ، وأذهب الى غيره ؟ فودعته وانصرفت •

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعا فى بطنى فنهرنى ثم قال : يا ابن أخى •• اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى أحد فانما الناس رجلان : صديق تسوءه وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى •• أحدى عينى هاتين ما أبصر بها سهلا ولا جبلا من أربعين سنة وما أطلعت على ذلك امرأتى ولا أحد من أهلى •

وروى أن حاتم الأصم قال لأولاده : انى أريد الحج فبكوا وقالوا : الى من تكلنا ؟ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا ، فجعلوا يوبخون تلك البنت ، فقالت : اللهم لا تخجلنى بينهم ، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماء ، فناوله أهل حاتم (كوزا) جديدا وماء باردا فشرب ، فقال : دار من هذه ؟ فقالوا : دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبنى وافقنى ، فرمى العسكر كلهم ما معهم من المال فى هذا الاناء • فجعلت البنت تبكى ، فقالت أمها : ما يبكيك وقد وسع الله علينا ؟ فقالت : لأن مخلوقا نظر الينا فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق الينا !!

وحكى أن ملكين تقابلا فى السماء ، فقال أحدهما للآخر : أين كنت ؟ فقال : كنت فى المشرق ، اذ أرسلنى ربى الى كنز فى بيت رجل ، فخسفت به الأرض ، ثم قال لصاحبه : وأنت أين كنت ؟ قال : كنت فى المغرب ، اذ أرسلنى ربى أن أضع الكنز الذى خسفته فى بيت رجل فقير ، فسمعمها رضوان ، خازن الجنة ، فقال : قصتى أعجب من أمركما ، لقد أمرنى ربى أن أبنى قصرين فى الجنة لصاحب الكنز والفقير ، ثم قالوا : يا ربنا •• أطلعنا على هذه الكرامة التى أكرمت بها صاحب الكنز والفقير ، فقال سبحانه : أما صاحب الكنز ، فانه لما خسف بكنزه صبر وقال : الحمد لله الذى جعلنى راضيا بقدره • وأما الفقير فلم يبطره الكنز ، بل شكر ، وقال : الحمد لله الذى أغنانى عن خلقه ، والصابر والشاكر لهما الجنة •

وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه ، فقال له عمر : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصـــون لدينك ، وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة :

انى أقيم على الزوراء أعمرها ... ان الكريم على الاخوان ذو مال

وجاءت ريح عاصفة فى اليم ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم وكان معهم فيها : أما ترى هذه الشدة ؟ فقال : ما هذه بشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس •

وسمع أحد الأدباء رجلا فى الثلث الأخير من الليل يقول :

أكرم نفسى اننى ان أهنتهـــا ... وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فأعجبه قوله فأتاه حتى وقف على رأسه فاذا به يقم الشارع (زبال) ليبيع القمامة ويمون نفسه وعياله ثمنها ، فقال له : أنت تقول : أكرم نفسى ؟ فأى اكرام أنت فيه مع ما تصنع من جمع القمامة ؟ فقال له : اليك عنى •• لقد أكرمتها بهذه الحرفة عن ذل السؤال لمثلك • فقال : صدقت وقبله بين عينيه •

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذرك بعد ذلك من الطمع فقال :

* (واياك والطمع فانه الفقر الحاضر) :

فحسبك هذا المعنى الكبير الذى ركز عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى •

وذلك لأن الانسان اذا ابتلى بداء الطمع لا يشبع أبدا مهما أعطاه الله من خيرات ، وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب »[1] •

ولهذا كان لابد من كسر جماح هذه النفس الأمارة بالسوء والتى ان تركها الانسان وما تشتهى أوردته المهالك ، وعلاج هذا الداء الوبيل وهو الرضا بالقليل ومحاربة هذه الشهوات النفسية التى ترجو المزيد

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس وانس •

من حطام الدنيا ، وحسبك حتى لا أطيل عليك هذه الآثار التى أرجو أن تنتفع بها فى هذا الموضوع :

روى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال : أقنعهم بما أعطيته • قال : فأيهم أعدل ؟ قال : من أنصف الناس من نفسه •

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة •• اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » •

وقال عمر رضى الله عنه : ان الطمع فقر ، وان اليأس غنى ، وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم •

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك ، وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع : يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ، ويقول : من قنع بهذا لم يحتج الى أحد •

وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به ، وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم •

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ما من يوم الا وملك ينادى : يا ابن آدم •• قليل يكفيك ، خير من كثير يطغيك •

وقال سميط بن عجلان : انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر ، فلم يدخلك النار ؟

وقيل لحكيم : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر ، والقصد فى الباطن ، واليأس مما فى أيدى الناس •

وروى أن الله عز وجل ، قال : يا ابن آدم •• لو كانت الدنيا كلها لك ، لم يكن لك منها الا القوت ، واذا أنا أعطيتك منها القوت ، وجعلت حسابها على غيرك ، فأنا اليك محسن •

وقال ابن مسعود : اذا طلب أحدكم الحاجة ، فليطلبها طلبا يسيرا ، ولا يأتى الرجل فيقول : انك وانك ، فيقطع ظهره ، فانما يأتيه ما قسم من الرزق — أو ما رزق .

وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم ، يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه ، فكتب اليه : قد رفعت حوائجى الى مولاى ، فما أعطانى منها قبلت ، وما أمسك عنى قنعت .

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى ؟ حلتان لشتائى وقيظى ، وما يسعفنى من الراحلة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش ، لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ، فوالله ما أدرى أيحل ذلك لى أم لا ؟

وقال أبو محمد البريدى : دخلت على الرشيد ، فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب ، فلما رآنى تبسم . فقلت : فائدة .. أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا ، وأنشدنى :

اذا سد باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها
ولا تك مبذالا لقرضك واجتنب ... ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : يا بنى .. اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد ، واياك والطمع فانه فقر حاضر ، وعليك باليأس فانك لم تيأس من شىء الا أغناك الله عنه .

ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد : أمسك على بغلتى ، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة ، فخرج على وفى يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما ، فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين ، فقال على رضى الله عنه : ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له .

وقيل لحكيم : ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب ؟ قال : لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب .

وقيل للاسكندر : ما سرور الدنيا ؟ قال : الرضا بما رزقت منها ، قيل : فما غمها ؟ قال : الحرص عليها •

ولله در القائل :

أيا من عاش فى الدنيا طويلا وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيمـا سيفنى وجمع من حـرام أو حـلال
هب الدنيا تقـاد اليك عفوا أليس مصير ذاك الى زوال

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية ، فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية ، وقام عيسى يصلى ، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصراف عيسى ، فأكل رغيفا ، فانصرف عيسى — من الصلاة — فقال : أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كانا الا رغيفين ، فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى ، فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذبحه ، ثم أكلا منه ، ثم قال عيسى للظبى : قم باذن الله فقام ، فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟ قال : ما كانا الا إثنين ، فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على المـاء حتى جاوزاه • فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟ قال : ما كانا الا اثنين ، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منهما ثلاث أحجار كبيرة من ذهب ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث ، فقال : أنا صاحب الرغيف الثالث ، فقال سيدنا عيسى : هى لك كلها • وفارقه ، فأقام عليها ليس معه ما يحملها عليه ، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب • فقال اثنان منهم لواحد : انطلق الى القرية فأتنا بطعام ، فذهب ، فقال أحد الباقين : نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا ، قال الآخر : نعم • قال الذى ذهب يشترى الطعـام : أجعل فى الطعام سما فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى ، ففعل ما أملاه عليه شيطانه • فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضا بجوار الذهب ، فمر سيدنا عيسى عليه السلام عليهم بعد ذلك وعندما رآهم صرعى أشار اليهم

والى الذهب قائلا لمن معه من الحواريين : هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحـــذروها .

* * *

وهكذا ترى أخا الاسلام أنه لا عز الا فى القناعة ، وأنه اذا تربع الطمع على قلب العبد الغافل كان سببا فى هلاكه وحرمانه من السعادة فى الدارين .

ولهذا — كما رأيت — كان لابد وأن يكون الانسان قنوعا بما أعطاه الله تعالى دون تقصير من جانبه فى ميدان العمل ودون تبذير فى أمواله حتى يظل مستورا فى حياته الأولى الى أن يموت مرفوع الهامة موفور الكرامة .

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس »(١) .

وقال : « ما عال(٢) من اقتصد »(٣) .

وقال : « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب »(٤) .

وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله ، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله »(٥) .

* * *

فلا تنس كل هذا مع الاستفادة بقول القائل :

ان ضن زيد بما فى بطن راحته(٦) — فالأرض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الأشـــياء بحكمته — لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

والقـــائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى — أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أســـعى اليـــه فيعيينى تطلبه — ولو قعـــدت أتانى ليس يعيينى

---

(١) متفق عليه من حديث ابى هريرة .

(٢) اى افتقر .　　(٣) رواه احمد والطبرانى .

(٤) رواه البزار والطبرانى وابو نعيم والبيهقى فى « الشعب » من حديث انس بسند ضعيف .

(٥) رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله .

(٦) يعنى بما فى يده .

والقـــائل :

اذا طاوعت حرصك كنت عـــ ـــبدا لكل دنيئة تدعى اليها

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (وصل صلاتك وأنت مودع) :

فالمراد به كما هو واضح فى هذا التركيز المحمدى : أن يكون هناك استعداد للقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ، وذلك حتى يظل مراقبا لله سبحانه وتعالى ومقدما لنفسه أطيب الأعمال الى أن يموت قرير العين دون غفلة أو نسيان •

* * *

وحسبنا اذا أردنا أن نقف على أبعاد هذا التركيز الحيوى أن نقرأ هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : مر بى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أطين[1] حائطا لى أنا وأمى فقال : « ما هذا يا عبد الله » ؟ فقلت : يا رسول الله •• وهى[2] فنحن نصلحه ، فقـــال : « الأمر أسرع من ذلك »[3] •

وفى رواية قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا وهى ، فقال : « ما هذا » ؟ فقلنا : خص لنا وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : « ما أرى الأمر الا أعجل من ذلك »[4] •

* * *

وهذا الفهم يتطلب أن يكون الانسان ذاكرا دائما وأبدا للموت دون انهماك فى هذه الدنيا التى أولها عناء وآخرها فناء •

* * *

وحتى تقف على أهمية ذكر الموت وفوائده اليك ما قاله الامام الغزالى عليه رحمة الله فى كتابه « الاحياء » :

---

(١) طانه وطينه : اى طلاه بالطين ولطخه به .

(٢) اى ضعف وهم بالسقوط .

(٣) يعنى انك لا تبقى فى الدنيا الى ان يسقط هذا الحائط ، بل العمر اقصر واسرع من ذلك .

(٤) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

اعلم أن المنهمك فى الدنيا ، المكب على غرورها ، المحب لشهواتها ، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، واذا ذكر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم : « **قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** »[١] .

ثم : الناس اما منهمك ، واما تائب مبتدىء ، أو غارف منته :

فأما المنهمك : فلا يذكر الموت ، وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا .

وأما التائب : فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل اصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت . ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه »[٢] فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره .

وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه . وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شغل له سواه ، والا التحق بالمنهمك فى الدنيا .

وأما العارف : فانه يذكر الموت دائما لأنه موعد للقائه بحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب . وهذا فى غالب الأمر يستبطىء مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل الى جوار رب العالمين ، كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم ، اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، والموت أحب الى من العيش ، فسهل على الموت حتى ألقاك .

فاذن التائب معذور فى كراهة الموت ، وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه ، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره الى الله تعالى ، فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء اليه أحبها الى

---

(١) الجمعة : ٨

(٢) متفق عليه من حديث ابى هريرة .

مولاه ، فهذا قد انتهى بفرض الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا ، وهو الغاية والمنتهى •

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ، فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت : التجافى عن الدنيا ، اذ ينغص عليه نعمه ، ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة •

* * *

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات »[١] •

ويقول : « أيها النــاس •• استحيوا من الله حق الحياء » ، فقال رجل : يا رسول الله •• انا لنستحى من الله تعــالى ، فقال : « من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، وليترك زينة الدنيا »[٢] •

* * *

وحتى تذكر الموت دائما وأبدا ولا تنس ما بعده من مواقف وأهوال اليك أيضا هذه الآثار الموضوعية التى أرجو أن تكون منتفعا بها حتى تلقى الله :

قال الربيع بن خيثم : ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت •

وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه : يا أخى •• احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده •

وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه •

* * *

وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها •

وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا ، وعليه حزينا •

---

(١) رواه الترمذى وقال : حسن ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه الطبرانى فى « الاوسط » .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى .. فقال : لست أول خليفة تموت . قال : زدنى ، قال : ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك .

وقال عليه رحمة الله لعنبسة : أكثر ذكر الموت ، فان كنت واسع العيش ضيقه عليك ، وان كنت ضيق العيش وسعه عليك .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت ، وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه .

وقال أبو سفيان الدارنى : قلت لأم هارون : أتحبين الموت ؟ قالت : لا . قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه ، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وانتظر لقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ولا تنس أن الموت يأتى بغتة ، فقد تموت وأنت فى الطريق وقد تموت وأنت فى عملك أو بين أهلك ، وقد تموت فى غربة .

وتذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى لنبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **انك ميت وانهم ميتون** »(١) .

وتأمل قول القائل :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد　　لكان رسول الله فيها مخلدا

واذا كنت تريد تذكيرا بقرب منيتك ولا سيما اذا كنت شيخا مسنا فحسبك هذا الخبر الذى يحكى :

أن يعقوب عليه السلام كان مؤاخيا لملك الموت عليه السلام الذى زاره ذات يوم فقال له سيدنا يعقوب :

انى طالب منك حاجة بحق ما بيننا من اخوة وصداقة ، فقال له ملك الموت : سل ولك منى أن أنفذ لك مطلبك ما دام فى المستطاع ،

---

(١) الزمر : ٣٠

فقال له : أريد منك أن تخبرنى اذا دنى أجلى • فقال له ملك الموت : لك منى هذا ، ولن أرسل لك رسولا واحدا وانما سأرسل اليك رسولين أو ثلاثة •

وبعد أن اتفقا على هذا انصرف ملك الموت ، ثم عاد بعد فترة من الزمن الى سيدنا يعقوب الذى قال له متسائلا : أزائرا جئت أم قابضا ؟ فقال ملك الموت : بل قابضا • فتعجب سيدنا يعقوب ، ثم قال له : وأين رسلك الثلاثة ؟ فقال ملك الموت عليه السلام مخاطبا سيدنا يعقوب عليه السلام : بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم •

أما اذا كنت شابا فحسبك أن تقرأ قول القائل :

تزود من التقوى فانك لا تدرى … اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة … وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم … وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح ساهيا … وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها … وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

* * *

واعلم أنه ليس هناك انسان يموت الا بعد أن يستوفى أجله الذى قدره الله سبحانه وتعالى له ، ولهذا كان من الخطأ الفاحش أن تقول لمن تعزيه فى وفاة عزيز : « البقية فى حياتك » لأن الفقيد الذى تعزى فيه لم ينتقل الى الدار الآخرة تاركا بقية من حياته حتى تطلب اضافتها الى عمر من تعزيه •

وحتى تعزى كما كان يعزى رســـول الله صلى الله عليه وسلم اليك أيضا هذين الحديثين الشريفين :

روى البخارى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبى صلى الله عليه : ان ابنا لى قبض فأتنا ، فأرسل يقرىء السلام ويقول : « ان لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ، ولتحتسب » •

وروى الطبرانى والحاكم وابن مردويه بسند فيه رجل ضعيف عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أنه مات ابن له فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزيه بابنه ، فكتب اليه : « بسم الله الرحمن

الرحيم ، من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل •• سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد •• فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ، ورزقنا واياك الشكر فان أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة ، متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير ، الصلاة والرحمة والهدى ان احتسبته فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ، ولا يدفع حزنا ، وما هو نازل فكأن قد •• والسلام » •

والتعزية تؤدى بأى لفظ يخفف المصيبة ويحمل الصبر والسلوان ، والأفضل أن يقتصر على اللفظ الوارد •

وقد قال العلماء : فان عزى مسلما بمسلم قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك •

وان عزى مسلما بكافر قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك •

وان عزى كافرا بمسلم قال : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك •

وان عزى كافرا بكافر قال : أخلف الله عليك •

وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى ويقول للمعزى : آجرك الله •

وعند أحمد : ان شاء صافح المعزى وان شاء لم يصافح ، واذا رأى الرجل شق ثوبه على المصيبة عزاه ولا يترك حقا لباطل ، وان نهاه فحسن •

* * *

فلاحظ كل هذا بالاضافة الى كل ما وقفت عليه بالنسبة الى موضوع ضرورة ذكر الموت والاستعداد له قبل فوات فرصة الوجود فى هذه الحياة الأولى •

* * *

وقد يكون المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وصل صلاتك وأنت مودع » هو : أن يكون المصلى خاشعا فى صلاته بمعنى أن يكون حاضر القلب فيها ، والا كانت صلاته لا ثمرة لها ، وقد ورد فى هذا حديث شريف يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما ورد أيضا أنه قال : « ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها » •

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها ، وركوعها وسجودها ، خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولا سجودها ، خرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق[١] ، ثم ضرب بها وجهه »[٢] .

وعن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزىء صـــلاة الرجل حتى يقيم ظهـــره فى الركوع والسجود »[٣] .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » قالوا : يا رسول الله .. كيف يسرق من الصـــلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ــ أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود ــ »[٤] .

وعن أبى عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد » ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »[٥] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان العبد اذا صلى فلم يتم صلاته خشوعها ولا ركوعها ، وأكثر الالتفات لم تقبل منه ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه وان كان على الله كريما »[٦] .

---

(١) القديم البالى .
(٢) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .
(٣) رواه أحمد وابو داوود واللفظ له .
(٤) رواه أحمد والحاكم . (٥) رواه الطبرانى فى « الكبير » .
(٦) رواه الطبرانى .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه ، فصلى الرجل ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه السلام ، ثم قال : « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » ـ ثلاث مرات ـ فقال فى الثالثة : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره ، فعلمنى . فقال عليه الصلاة والسلام : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه ، ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلى ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ، فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام اذا أردت أن تصلى صلاة صحيحة يقبلها الله سبحانه وتعالى منك : مع ضرورة اجتناب المنهيات التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها والتى منها ما ورد :

عن عبد الرحمن بن شبل قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه ابو بكر بن خزيمة فى صحيحه .

عن نقرة الغراب ، وافتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان فى المسجد كما يوطن البعير »[١] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس .. انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالقيام ، ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى » ثم قال : « والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : « رأيت الجنة والنار »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار »[٣] .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته[٤] بيد شيطان »[٥] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ــ أو صورته صورة حمار »[٦] ؟

* * *

والخلاصة كما ذكر الامام الغزالى فى كتابه « الاحياء » أن النبى صلى الله عليه وسلم : نهى عن الاقعاء فى الصلاة ، وهو عند أهل اللغة : أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب .

وعن السدل ، ومذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك ، وكان هذا هو فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم .

---

(١) رواه احمد وابو داوود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) اى مقدم راسه .
(٥) اخرجه مالك .
(٦) اخرجه الخمسة .

وعن الكف ، وهو : أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود ، وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال •• وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة وعده من الكف •

وعن الاختصار ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته •

وعن الصلب ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام •

وعن المواصلة ، وهى خمسة : اثنان على الامام : أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ، ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم : أن يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ، ولا تسليمه بتسليمه ، وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية ، وليفصل بينهما •

وعن صلاة الحاقن : أى من البول •

وعن صلاة الحاقب : أى من الغائط •

وعن صلاة الحاذق : أى صاحب الخف الضيق •

فان كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفى معناه الجائع والمهتم ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا حضر العشاء ، وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء »[١] •

ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه فى الصلاة ، أو يفرقع أصابعه ، أو يستر وجهه ، أو يضع احدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه فى الركوع ، قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه •

ويكره أيضا أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف ، وأن يسوى الحصى بيده •

ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخده ، ولا يستند فى قيامه الى حائط ، فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط يسقط ، فالأظهر بطلان صلاته •

وقال بعض السلف : أربعة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى ، وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك •

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة .

وحتى تكون خاشعا فى صلاتك بصورة تؤكد حضور قلبك فيها اليك هذه الآثار :

روى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول : اللهم زوجنى الحور العين ، فقال له : بئس الخاطب أنت ، تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى .

وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟ قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى . قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة .

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم .

وروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة .

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه . فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها .

ويروى عن على بن الحسين أنه كان اذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه : أنه سئل عن صلاته فقال : اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا

بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الاخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟

* * *

فكن شبيها بهؤلاء الرجال فى صلاتك التى قد تكون آخر صلاة لك ، حتى تكون من أهل الفلاح الذين قال الله تعالى فى شأنهم : **« قد أفلح المؤمنون · الذين هم فى صلاتهم خاشعون »**(١) .

ولا تنس أن الخشوع قسمان : ظاهرى وباطنى ، فالخشوع الظاهرى : التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ، ووضع اليد فى الخاصرة ، وغير ذلك ، والخشوع الباطنى : استحضار عظمة الله وعدم التفكر الدنيوى .

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (واياك وما يعتذر منه) : فالمراد به ـ كما هو واضح ـ أن يكون الانسان حكيما فى كل تصرفاته الفعلية والقولية ولا سيما فى معاملاته مع الناس بحيث لا يقول قولا ، ولا يعمل عملا ، ولا يتصرف تصرفا مع غيره الا بعد دراسة وتفكير لكل ما يصدر منه ، وذلك حتى لا يرتكب ما يوقفه موقف اعتذار قد يقبل وقد لا يقبل ، وقد يكون سببا فى هلاكه .

وفى هذا يقول أحد الحكماء : من نظر فى العواقب سلم من النوائب ، ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب ، ومن ركب العجل أدركه الزلل ، ومن ضعفت آراؤه قويت أعداؤه .

ولله در على رضى الله عنه فلقد قال أيضا فى هذا المعنى : اياك وما يسبق الى القلوب انكاره ، ولو كان عندك اعتذاره .

* * *

ولما كانت الحكمة من أكبر نعم الله تعالى على العبد ، كما جاء فى قوله تبارك وتعالى : **« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »**(٢) .

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ .　　(٢) البقرة : ٢٦٩

فقد رأيت حتى تدرك ذلك بنفسك أن أذكرك بأن لقمان الحكيم عليه السلام ــ كما يقولون ــ خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وقد روى فى هذا أنه كان نائما فى وسط النهار فنودى : « يا لقمان .. هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت بقوله : ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم أن الله تعالى ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى . فقالت الملائكة بصوت أيضا : لم يا لقمان ؟ فقال : ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ، فان عدل نجا ، وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة ... » .

فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنــام نومة ، أعطى الحكمــة فيها فانتبه وهو يتكلم بها . وقد روى أن رجلا لقيه وهو يتكلم بالحكمة فقال له : ألست فلانا الراعى ؟ قال : بلى . قال : فبم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنينى . ومن أجل هذا الخير الذى أكرمه الله سبحانه وتعالى به ، فقد أمره سبحانه بأن يشكره عليه فقال تعالى :

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ... »[1] .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى تكون من أهل الحكمة التى تجعلك محبوبا عند الله وبين الناس .

واعلم أنه : يستدل على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله .

وأن : اللسان وزير الانسان .

وأن : لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه .

وأن : المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر .

وحسبك بالاضافة الى هذه الحكم المــأثورة هذا الحديث الشريف الذى روى فيه أن النبى صلى الله عليه وســلم قال لعمه العباس : « يعجبنى جمالك » قال : وما جمــال الرجل يا رسول الله ؟ قال : « لســانه » .

---

(١) لقمان : ١٢

وتأمل كذلك قول القائل :

احفظ لسانك أيهـا الانسان   لا يلدغنـك انه ثعبـــان
كم فى المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

* * *

وقبل أن تقدم على فعل شىء استشر اخوانك ، وحسبك قول الله تعالى لنبيه : « **وشاورهم فى الأمر** »[1] .

وفى الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة » .

* * *

و :

اذا كنت فى حاجة مرســـلا   فأرســل حكيما ولا توصــه
وان بات أمر عليـك التوى   فشــاور لبيبــا ولا تعصــه

* * *

واعتصم بالنهى تفز بنعيم الدهر   غضــا فالعقل خـــير عتــاد
أن فى الحكمة البليغة للروح   غـــذاء كالطب للأجســـاد

* * *

***وختـــاما :**

اليك أخا الاسلام هذه الوصية اللقمانية التى انتفعت بها وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بها كذلك ، والتى يقول فيها سيدنا لقمان الحكيم لولده :

يا بنى .. انى موصيك بثمانية أمور :
احفظ قلبك فى الصلاة .
واحفظ نظرك فى بيوت الناس .
واحفظ لسانك فى مجالس الناس .
واحفظ بطنك من حلقومك .
واذكر اثنين ، وانس اثنين :
اذكر الله والموت .
وانس احسانك الى الناس ، واساءتهم اليك .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٥٩

وأيضا اليك أخا الاسلام هذا الأثر الذى نصه :

كان أبو محمد عبد الله بن يحيى المصعبى من أصحاب الشافعى ، اماما صالحا من أهل اليمن ، وقد روى : أن ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع فيه ، فسئل عن ذلك ، فقال : كنت أقرأ قوله تعالى :

« ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم »(١) .

« ويرسل عليكم حفظة »(٢) .

« ان ربى على كل شىء حفيظ »(٣) .

« فالله خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين »(٤) .

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »(٥) .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(٦) .

« وحفظناها من كل شيطان رجيم »(٧) .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا »(٨) .

« وحفظا من كل شيطان مارد »(٩) .

« وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم »(١٠) .

« وربك على كل شىء حفيظ »(١١) .

« الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل »(١٢) .

« وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون »(١٣) .

« ان كل نفس لما عليها حافظ »(١٤) .

« ان بطش ربك لشديد • انه هو يبدىء ويعيد • وهو الغفور الودود • ذو العرش المجيد • فعال لما يريد • هل أتاك حديث الجنود • فرعون وثمود • بل الذين كفروا فى تكذيب • والله من ورائهم محيط • بل هو قرآن مجيد • فى لوح محفوظ »(١٥) .

* * *

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) الأنعام : ٦١

(٣) هود : ٥٧

(٤) يوسف : ٦٤

(٥) الرعد : ١١

(٦) الحجر : ٩

(٧) الحجر : ١٧

(٨) الأنبياء : ٣٢

(٩) الصافات : ٧

(١٠) فصلت : ١٢

(١١) سبأ : ٢١

(١٢) الشورى : ٦

(١٣) الانفطار : ١٠ — ١٢

(١٤) الطارق : ٤

(١٥) البروج : ١٢ — ٢٢

الوصية الثلاثون

روى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب :

« يا عباس .. يا عماه .. الا أعطيك ؟ الا أمنحك ؟ الا أحبوك ؟ الا أفعل بك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطاه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا . ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا .

فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » .

(اخرجه النسائى وابو داوود وابن ماجه والبيهقى فى « الدعوات » والدارقطنى وابن حبان والطبرانى والحاكم وابن خزيمة فى صحيحه) .

* * *

فكن أخا الاسلام :
يا من ترجو سعادة الدارين وحسن الختام :
من الفائزين بهذا الخير العظيم الذى أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه .
وحسبك ترغيبا لك فيه : هذا التقديم الذى قدم به المصطفى صلى الله عليه وسلم وصيته ، وهو :
* (يا عباس .. يا عماه .. ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك[1] ، ألا أفعل بك عشر خصال[2] ، اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ...) .
واذا كان ما أوصاه به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك هو :

صلاة التسبيح[3]

فكيفيتها : كما قرأت فى نص الوصية : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة[4] ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت :
« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، خمس عشرة مرة[5] ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا[6] ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد

---

(١) اى اخصك .
(٢) اى أعلمك ما يكفر عشرة إنواع من ذنوبك .
(٣) التسبيح : اى التنزيه ، وسبحان الله : معناه التنزيه لله ــ هكذا ذكر فى مختار الصحاح . (٤) اى سورة دون تقييد .
(٥) وفى رواية الترمذى من حديث ابى رافع : « فاذا انقضت القراءة فقل : الله اكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع »اهـ . وفيه أن الترتيب بين هذه الكلمات غير لازم .
(٦) اى تقولها بعد تسبيح الركوع . ففى الترمذى قال ابو وهب : واخبرنى عبد العزيز بن ابى رزمة عن عبد الله (ابن المبارك) انه قال : يبدأ فى الركوع : بسبحان ربى العظيم ، وفى السجود بسبحان ربى الأعلى (ثلاثا) ثم يسبح التسبيحات اهـ . وكذا التسبيح حال الاعتدال والجلوس بين السجدتين ، يكون بعد الدعاء الوارد فيهما .

فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا[١] ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات » •

* * *

واذا كانت هذه الرواية ــ كما عرفت ــ قد أخرجها النسائى وأبو داوود وابن ماجه والبيهقى فى « الدعوات » والدارقطنى وابن حبان والطبرانى والحاكم وابن خزيمة فى صحيحه وقال : اذا صح هذا الخبر ، فان فى القلب من هذا الاسناد شيئا اه •

فالصحيح أنه ثابت يطلب العمل به ، فقد صححه الحاكم وحسنه جمـــاعة •

قال ابن حجر : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن فان له شواهد تقويه •

وقد رواه أبو داوود من حديث ابن عمرو باسناد لا بأس به • والحاكم من حديث ابن عمر •

وأما حديث ابن عمرو فلفظه :

قال لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ائتنى غدا أحبوك وأثيبك وأعطيك » حتى ظننت أنه يعطينى عطية ، قال : « اذا زال النهار فقم فصل أربع ركعات » فذكر نحوه ، قال : « ثم ترفع رأسك ــ يعنى من السجدة الثانية ــ فاستو جالسا ولا تقم حتى تسبح عشرا ، وتحمد عشرا ، وتكبر عشرا ، وتهلل عشرا ، ثم تصنع ذلك فى الأربع ركعات ، قال : فانك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفر لك بذلك » قال : قلت : فان لم أستطع أن أصليها تلك الساعة ؟ قال : « صلها من الليل والنهار »[٢] •

وأما حديث ابن عمر فلفظه :

قال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب الى بلاد الحبشة • فلما قدم اعتنقه وقبله بين عينيه • ثم قال : « ألا أهب لك ؟ ألا أبشرك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أتحفك » ؟ قال : نعم

---

(١) ترفع رأسك ، اى من السجدة الثانية فتقولها عشرا قبل قيامك كما صرح به فى رواية لابن ماجه والترمذى .

(٢) واخرجه ايضا البيهقى من طريق أبى جناب الكلبى عن ابى الجوزاء عن ابن عمرو . وقال المنذرى : رواة هذا الحديث ثقات .

يا رسول الله . قال : « تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بالحمد وسورة . ثم تقول بعد القراءة وأنت قائم قبل الركوع : سبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، خمس عشرة مرة ، ثم ترفع فتقولهن عشرا تمام هذه الركعة . . أى وهكذا تفعل الى تمام هذه الركعة فتسبح عشرا فى الاعتدال من الركوع ، وعشرا فى السجود ، وعشرا فى الجلوس بين السجدتين ، وعشرا فى السجدة الثانية وعشرا فى جلسة الاستراحة — قبل أن تبتدئ بالركعة الثانية تفعل فى الثلاث ركعات كما وصفت لك حتى تتم أربع ركعات »[1] .

* * *

ولما كان حديث ابن عباس هو موضوعنا الذى ندور حوله : فقد قال ابن حجر فى « الأمالى » : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن ، فان له شواهد تقويه ، قال : وممن صحح هذا الحديث وحسنه ابن منده وأبو الحسن بن الفضل والمنذرى وابن الصلاح والنووى والسبكى وآخرون .

وقال المنذرى فى « الترغيب » : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة . وأمثلها حديث عكرمة هذا . وقد صححه جماعة منهم : الحافظ أبو بكر الآجرى ، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصرى ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى .

وقال أبو بكر بن أبى داوود : سمعت أبى يقول : ليس فى التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال الزبيدى فى « شرح الاحياء » : هذا حديث صحيح غريب جيد الاسناد والمتن .

* * *

وقد قال الدارقطنى : أصح شىء ورد فى فضائل الصلوات ، فضل صلاة التسبيح .

وقال عبد الله بن المبارك : صلاة التسبيح مرغب فيها يستحب أن يعتادها فى كل حين ولا يتغافل عنها .

---

(١) قال الحاكم : هذا اسناد صحيح لا غبار عليه ، وتعقبه الذهبى بأن فى سنده أحمد بن داوود شيخ الحاكم ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة وكذبه الدارقطنى .

وقال الترمذي : وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيه •

وقال الشوكاني في « تحفة الذاكرين » : قال السبكي : صلاة التسبيح من مهمات مسائل الدين ، ولا تغتر بما فهم من النووي في « الأذكار » من ردها ، فانه اقتصر على رواية الترمذي وابن ماجه •

* * *

والخلاصة : ما قاله ابن قدامة بعد أن ذكر حديث ابن عباس : ولم يثبت أحمد الحديث المروى فيها ولم يرها مستحبة ، وان فعلها انسان فلا بأس ، فان النوافل والفضائل لا يشترط صحة الحديث فيها •

* * *

واذا كان قد علم من حديث عكرمة عن ابن عباس أن التسبيح بعد القراءة لا قبلها وأنه يسبح في جلسة الاستراحة • كما قال جمهور الفقهـاء •

فقد اختار الحنفيون وابن المبارك : التسبيح قبل القراءة وبعدها ، وترك التسبيح بعد السجدة الثانية •

وقد قال أحمد بن عبده الضبي : حدثنا أبو وهب قال : سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها • قال : يكبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك • ثم يقول : خمس عشرة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ثم يتعوذ ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وسورة • ثم يقول عشر مرات : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر • ثم يركع فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا • ثم يسجد فيقولها عشرا • ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا • ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا • يصلي أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة ، يبدأ في كل ركعة بخمس عشرة تسبيحة ثم يقرأ ثم يسبح عشرا ، فان صلى ليلا فأحب الى أن يسلم في كل ركعتين ، وان صلى نهارا فان شاء سلم وان شاء لم يسلم •

قال أبو وهب : أخبرني عبد العزيز بن أبي رزمة عن عبد الله ابن المبارك أنه قال : يبدأ في الركوع بسبحان ربي العظيم ، وفي السجود

بسبحان ربى الأعلى ثلاثا ، ثم يسبح التسبيحات[١] .

وقال فى « المرقاة » : قال السبكى : وجلالة ابن المبارك تمنع من مخالفته ، وانما أحب العمل بما تضمنه حديث ابن عباس ولا يمنعنى من التسبيح بعد السجدتين الفصل بين الرفع والقيام ، فان جلسة الاستراحة حينئذ مشروعة فى هذا المحل ، وينبغى للمتعبد أن يعمل بحديث ابن عباس تارة ، وبحديث ابن المبارك أخرى .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على تنفيذ الوصية فى كل يوم مرة ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة .. كما أوصاك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى شخص عمه العباس رضى الله عنه .

وحسبك تشجيعا لك كما عرفت أنها ستكون سببا فى غفران ذنوبك أولها وآخرها ، قديمها وحديثها ، خطئها وعمدها ، صغيرها وكبيرها ، وسرها وعلانيتها .

* * *

واعلم أن هذا التسبيح الذى ستردده فى هذه الصلاة هو غراس الجنة فقد ورد فى حديث الاسراء والمعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى السماء السابعة على سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فقال له : « يا محمد .. أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة المـــاء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »[٢] .

* * *

وأن كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى يسبح بحمده ، وفى ذلك يقول تبارك وتعالى :

« سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »[٣] .

ويقول : **« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »[٤] .**

---

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) الحديد : ١ (٤) الاسراء : ٤٤

ويقول : « **ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته** »(١) .

ويقول : « **وأن من شيء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** »(٢) .

ويقول : « **يسبح لله ما في السموات وما في الأرض** »(٣) .

ويقول : « **وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير** »(٤) .

ويقول : « **وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم** »(٥) .

ويقول : « **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم** »(٦) .

ويقول : « **أن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** »(٧) .

* * *

ولهذا كان من المفروض عليك حتى تكون عبدا حقيقيا لله سبحانه وتعالى كبقية مخلوقاته الذين يسبحونه في الأرض وفي السماء : أن تكون مسبحا له سبحانه وتعالى .

واذا كنت أقول : من المفروض عليك ، فانني أعني بهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به في قوله : « **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** »(٨) .

وقوله : « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** »(٩) :

وقوله : « **فسبح باسم ربك العظيم** »(١٠) .

وقوله : « **فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا** »(١١) .

* * *

وحسبك حتى تكون من المسبحين أن تعلم :

أن سيدنا يونس عليه السلام لم ينقذ من بطن الحوت الا لأنه

---

(١) الرعد : ١٣
(٢) الاسراء : ٤٤
(٣) الجمعة : ١ ، التغابن : ١
(٤) الأنبياء : ٧٩
(٥) الزمر : ٧٥
(٦) غافر : ٧
(٧) الأعراف : ٢٠٦
(٨) الحجر : ٩٨
(٩) طه : ١٣٠
(١٠) الواقعة : ٧٤
(١١) النصر : ٣

كان من المسبحين لله تعالى ، والى هذا يشير سبحانه وتعالى فى قوله : **« فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون »**(١) .

وكان الله سبحانه وتعالى قد أرسل يونس عليه السلام الى قومه فى « نينوى » لكى يدعوهم الى عبادة الله تعالى دون عبادة الأوثان ، ولكنه رغم ما بذله فى سبيل ذلك من اقناع لم يقابل منهم الا بالاعراض والاعتراض ، مع تحذيره لهم من انتقام الله منهم فكان أن قالوا له : **« فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين »**(٢) .

فما كان منه الا أن قرر وبدون اذن من الله أن يتركهم الى ميدان آخر راجيا أن يجد هناك من يستجيب لدعوته ويؤمن به .

وفعلا وبدون انتظار اتجه الى الشاطىء الذى وجد عنده قوما يعبرون فطلب منهم أن يأخذوه معهم الى الشاطىء الآخر ، فرحبوا به دون أن يطلبوا منه أجرا عندما لمحوا الصلاح على وجهه .

ولكنه ما كادت السفينة تتحرك متجهة الى منتصف البحر حتى تعرضت لأمواج هائجة جعلت كل ركابها يتوقعون سوء المصير ، الأمر الذى جعلهم يفكرون سريعا فى حل لهذا المـأزق الذى تعرضوا له ، فكان أن قرروا بنفس السرعة التى فكروا بها : القاء أحدهم فى اليم حتى يكون فداء للباقين .

ولكى يفعلوا ذلك دون ظلم لهذا الذى سيلقى به ، اقترعوا فيما بينهم فوقع السهم على سيدنا يونس ، فقالوا : كيف نجود بهذا الرجل الذى أبينا أن نأخذ منه أجرا . ولهذا لكى تستريح ضمائرهم أعادوا القرعة مرة أخرى فوقع السهم عليه كذلك ، وأعادوها مرة ثالثة فكانت النتيجة هى الأولى والثانية .

فعند ذلك فهم سيدنا يونس أنه هو المقصود بهذا الابتلاء الذى كان نتيجة لتسرعه ، ولهذا كان لابد وأن يستسلم لقضاء الله ومشيئه ، فألقى بنفسه فى اليم لكى يكون بعد ذلك فى بطن الحوت الذى كان الله سبحانه وتعالى قد أمره بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة حتى اذا ما ألقى بيونس عليه السـلام التقمه برفق دون أن يسـتعمل معه أسنانه أو يهضمه ، فكان الحوت نعم المكلف .

---

(١) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

(٢) الاعراف : ٧٠.

وقد روى الطبرى فى هذا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أراد الله تعالى — ذكره — حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش لحما ، ولا تكسر عظما ، فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر ، فلما انتهى به الى أسفل البحر ، سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه وهو فى بطن الحوت : ان هذا تسبيح دواب البحر ، قال : فسبح وهو فى بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا .. انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة ، قال : ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ؟ فقال : نعم ، فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت بقذفه فى الساحل ... »(١) .

وقد روى أنه مكث أربعين يوما فى بطن الحوت يسبح الله تعالى الى أن ألهمه الله تعالى بكلمات قالهن كانت سببا فى نجاته ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفى ذلك يقول تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات(٢) أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين »(٣) .

وقد ورد فى فضل هذا الدعاء : أنه لم يدع به مسلم الا استجاب الله له .

فعن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا بدعاء يونس ، استجيب له » قال أبو سعيد : يريد به **« وكذلك ننجى المؤمنين »** .

وعن سعيد بن المسيب قال : سمعت ابن مالك — وهو ابن أبى وقاص — يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل أعطى ، دعوة يونس ابن متى » قال : قلت : يا رسول الله .. هى ليونس خاصة أم لجماعة

---

(١) راجع تفسير ابن كثير لسورة الأنبياء .
(٢) قال ابن مسعود : اى ظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .
(٣) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨

المسلمين ؟ قال : « هى يونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة ، اذا دعوا بها ، ألم تسمع قول الله عز وجل : « **فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** » فهو شرط من الله لمن دعاه به » •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام بالاضافة الى هذه الأحاديث الشريفة :

« من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر »(١) •

روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عنى الدنيا ، وقلت ذات يدى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون » قال : فقلت : وماذا يا رسول الله ؟ قال : « قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله ، مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلى الصبح تأتيك راغمة سافرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه »(٢) •

« أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت »(٣) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »(٤) •

وعنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس »(٥) •

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى كلاما أقوله ، قال : « قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ،

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر .

(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم .

وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم » قال : فهؤلاء لربى فما لى ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى »(١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى »(٢) .

وعنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ركوعه وسجوده : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح »(٣) .

وعنها : افتقدت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فتحسست فاذا هو راكع — أو ساجد — يقول : « سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت » وفى رواية : فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »(٤) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة »(٥) .

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حتى صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : « ما زلت على الحال الذى فارقتك عليها » ؟ قالت : نعم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » رواه مسلم .

---

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم .
(٥) رواه مسلم .

وفى رواية له : « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » .

وفى رواية الترمذى : « ألا أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله مداد كلماته » .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى — أو حصى — تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا — أو أفضل — فقال : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك »[١] .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال نوح لابنه : انى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها .. أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى : أوصيك بلا اله الا الله ، فان السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتها ، ولو كانتا فى كفة وزنتها ، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق ، وبها يرزق الخلق . وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله وصالح خلقه منهما ، أنهاك عن الشرك بالله ، والكبر »[٣] .

* * *

(١ ، ٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) أخرجه النسائى والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وهذه الآثار :

روى أن سليمان عليه السلام بينما كان يركب ذات يوم بساطه الذى كان يحمله الريح : مر فوق فلاح يحرث أرضه فقال الفلاح عندما رأى موكب سليمان وما فيه من عظمة :

سبحان من أعطاكم ملكا يا آل داوود . فنقل الريح كلمة الفلاح الى أذنى سيدنا سليمان عليه السلام الذى أمر الريح عندئذ بأن يهبط بالبساط بجوار هذا الفلاح الذى فوجىء بعد أن قال كلمته بلحظات بالموكب فى حقله وسيدنا سليمان يقول له :

ماذا قلت يا هذا ؟ فيقول الرجل وهو ترتعد فرائصه : اننى لم أقل الا خيرا ، فقال له سليمان عليه السلام بعد أن أخبره بأنه قد استمع الى ما قال ، وبعد أن هدأ من روعه : أما علمت يا هذا أن تسبيحة واحدة منك خير من ملك آل داوود ؟!

وروى أن أحد الصالحين وقد كان كثير التعبد ، بكى شوقا الى الله عز وجل ، فرأى فى منامه كأنه على ضفة نهر يجرى بالمسك حافتاه شجر لؤلؤ ونبته من قضبان الذهب ، فاذا بجوار مزينـات ينشدن بصوت واحد :

سبحان المسبح بكل لسان سبحانه ، سبحان الموحد بكل مكان سبحانه ، سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه . فقال لهن : ما تصنعن هنا ؟ فقلن :

برانا اله النـاس رب محمد لقوم على الأقـدام بالليل قوم
يناجون رب العـالمين الههم وتسرى هموم القوم والناس قوم

فقال : بخ بخ لهؤلاء من هم ؟ لقد أقر الله أعينهم بكن ، فقلن : أو ما تعرفهم ؟ قال : لا ، فقلن : بلى .. هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر .

وروى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم . فقال : ما أفضل ما رأيت ثم[1] من الأعمال ؟ قال : رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هـذه : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، عدد ما خلق ، وعدد ما هو خالق ، وزنة ما خلق

---

(١) أى هناك فى الجنة .

وزنة ما هو خالق ، وملء ما خلق ، وملء ما هو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، واذا رضى ، وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى ، وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى : كل سنة ، وشهر ، وجمعة ، ويوم وليلة ، وساعة من الساعات وشم نفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره .

وروى أن ابراهيم بن أدهم كان يقول فى دعائه : « سبحانك يا على يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار ، سبحان من سبحت له السموات بأكنافها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها ، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها ، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته ، تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك يا حى يا قيوم يا عليم يا حليم ، سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير » .

* * *

وحسبك فى النهاية أن تقول مع القائل :

فسبحان من لا قط يبلغ مدحه ... بليغ ومن عنه الثنا متعذر
ففى الفعل فضل عن جميل صفاته ... وعن ذاته كل البرايا تحيروا
تسبحه الحيتان فى الماء وفى الفلا ... وحوش وطير فى الهواء مسخر
وفى الفلك والأملاك كل مسبح ... نهارا وليلا دائما ليس يفتر
تسبح كل الكائنات بحمده ... سماء وأرض والجبال وأبحر
جميعا ومن فيهن والكل خاضع ... لهيبته العظمى ولا يتكبر
له كل ذرات الوجود شواهد ... على أنه البارى الاله المصور

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصانا جميعا فى شخص عمه العباس رضى الله عنه بصلاة التسبيح الجامعة لكل هذا الخير

الذى وقفت عليه ، والذى من أهمه كما عرفت : تكفير الذنوب التى كثيرا ما يقع الانسان فيها بسبب اغراء الشيطان له : فقد أوصانا كذلك بخيرات أخرى ، كلنا وبدون استثناء فى أشد الحاجة اليها . وهذه الخيرات أو الصلوات الأخرى :

صـــلاة الضحى[1]

وهى مشروعة مرغب فيها ، نفعها عظيم ، وفضلها عميم ، وقد ورد فى فضلها عدة أحاديث شريفة ، منها :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى[2] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى[3] من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[4] .

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة فى المسجد يدفنها ، أو الشىء ينحيه عن الطريق ، فان لم يقدر فركعتا الضحى تجزىء عنه »[5] .

وقد قال الشوكانى فى تعليقه على هذين الحديثين : « والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها ، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلثمائة وستين صدقة ، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة ، ويدلان أيضا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميـــد والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ودفن النخامة ، وتنحية ما يؤذى المـــار عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الانسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم » .

---

(١) الضحى بالضم والقصر : وقت ارتفاع الشمس أول النهار ، وبه سميت صلاة الضحى .
(٢) عظام البدن ومفاصله .
(٣) يجزى ــ بفتح أوله ــ بمعنى يكفى ، أو بضمه ويكون من الاجزاء .
(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داوود .
(٥) رواه أحمد وأبو داوود .

كما روى عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم .. لا تعجزن عن أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية[٢] فغنموا وأسرعوا الرجعة ، فتحدث الناس بقرب مغزاهم[٣] وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة وأوشك[٤] رجعة ؟ من توضأ ثم غدا الى المسجد لسبحة الضحى ، فهو أقرب مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعة »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام فى كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام »[٦] .

فمن هذه الأحاديث يتبين لك أنها : عبادة مستحبة ، من شاء ثوابها فليؤدها والا فلا تثريب عليه فى تركها فعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : « كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصليها »[٧] .

ووقتها يبتدىء بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال ، ولكن المستحب أن تؤخر الى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر .

فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : خرج صلى الله عليه وسلم على أهل قباء[٨] وهم يصلون الضحى فقال : « صلاة الأوابين[٩] اذا رمضت الفصال[١٠] من الضحى »[١١] .

وأقل ركعاتها اثنتان كما قرأت فى حديث أبى ذر رضى الله عنه وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ،

---

(١) رواه الحاكم والطبرانى ورجاله ثقات .

(٢) اى فرقة من الجيش . (٣) انتهاء الغزو بسرعة .

(٤) اى قرب .

(٥) رواه احمد والطبرانى وروى ابو يعلى نحوه .

(٦) رواه البخارى ومسلم . (٧) رواه الترمذى .

(٨) مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين . (٩) اى الراجعين الى الله .

(١٠) رمضت : اى احترقت ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة ، أى اذا وجدت الفصال الشمس ، ولا يكون ذلك الا عند ارتفاعها .

(١١) رواه احمد ومسلم والترمذى .

وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة • وقد ذهب قوم — منهم أبو جعفر الطبرى وبه جزم الحليمى والرويانى من الشافعية — الى أنه لا حد لأكثرها •

فقد روى عن أم هانئ أن النبى صلى الله عليه وسلم : « صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين »(١) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله »(٢) •

وقد روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعا كتب من العابدين ، ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ، ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين ، ومن صلى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ، وما من يوم وليلة الا لله من يمن به على عباده وصدقة ، وما من الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره »(٣) •

هذا : وحكمة مشروعية صلاة الضحى ألا يخلو كل ربع من النهار عن عبادة الله تعالى والحكمة فى اختلاف عدد ركعاتها : التخفيف على الأمة ليفعل ما استطاع ، وحتى يتنافس فى ذلك المتنافسون •

ويقرأ فى كل ركعة منهـا بالفاتحة وسـورة والأفضل قراءة : **« والشمس وضحاها » ، « والضحى • والليل اذا سجى »(٤)** •

لقول عقبة بن عامر : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى الضحى بسور منها : والشمس وضحاها ، والضحى »(٥) •

كما يستحب أن يقال بعدها ما فى حديث صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الضحى بشىء فقلت : يا رسول الله •• ما هذا الذى تقول ؟ قال : « أقول : اللهم بك أصاول

---

(١) رواه أبو داوود باسناد صحيح . (٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .

(٣) اخرجه الطبرانى فى الكبير بسند فيه موسى بن يعقوب الزامعي ، وثقه ابن معين ، وابن حبان ، وضعفه ابن المدينى وغيره وبقية رجاله ثقات ، قاله الهيثمى ، وقال المنذرى : روى عن جماعة من الصحابة ومن طرق ، وهذا احسن اسانيده فيما أعلم .

(٤) سجى : اى غطى بظلامه كل شىء ، أو سكن اهله .

(٥) اخرجه الحاكم .

وبك أجاول[١] وبك أقاتل »[٢] .

***

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن من الحريصين على الفوز بصلاة الضحى حتى لا تكتب من الغافلين ، وحتى تكتب من المحسنين أو القانتين أو الفائزين ، وحتى لا يكتب لك ذنب فى ذلك اليوم ، ويبنى الله لك بيتا فى الجنة ، كما ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى حديث يقول فيه : لقيت أبا ذر فقلت : يا عم .. أقبسنى خيرا . فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : « ان صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين ، وان صليتها أربعا كتبت من المحسنين ، وان صليتها ستا كتبت من القانتين ، وان صليتها ثمانيا كتبت من الفائزين ، وان صليتها عشرا لم يكتب لك ذلك اليوم ذنب ، وان صليتها اثنتى عشرة ركعة بنى الله لك بيتا فى الجنة »[٣] .

وحسبك أن تعلم أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان صلاة الضحى لفى القرآن وما يغوص عليها الا غواص . قال تعالى : **« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو[٤] والآصال[٥] »**[٦] .

وقال أيضا : طلبت صلاة الضحى فى القرآن فوجدتها ههنا : **« يسبحن بالعشى[٧] والاشراق »**[٨] .

بل وحسبك أن تقرأ كذلك هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن جراد بن أبى جراد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المنافق لا يصلى الضحى ، ولا يقرأ : قل يا أيها الكافرون »[٩] .

---

(١) احاول : اى اسطو واقهر ، واحاول من المحاولة وهى تطلب الشىء بحيلة ، او التحرك والتحول ، وفى حديث آخر : « وبك احول » .

(٢) اخرجه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » بسند رجاله ثقات .

(٣) اخرجه البيهقى .

(٤ ، ٥) الغدو : أول النهار ، والآصال : جمع اصيل وهو آخر النهار والآية من سورة النور : ٣٦

(٦) اخرجه ابن ابى شيبة والبيهقى فى الشعب .

(٧) العشى : ما بعد الزوال ، والاشراق : طلوع الشمس وتمام ضوئها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى .

(٨) سورة ص : ١٨

(٩) اخرجه الديلمى .

وهذا الحديث القدسى الذى روى عن نعيم بن عمار الغطفانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : صل لى يا ابن آدم أربعا فى أول النهار أكفك آخره »(١) .

قال فى « الدين الخالص »(٢) : وفى الباب أحاديث أخرى تدل على عظيم فضل صلاة الضحى والحث عليها وكثرة فوائدها ، وأنها أعظم غنيمة يغتنمها المسلم ، وينتصر بها على الشيطان ، ويرضى بها عنه الرحمن ، ويعمه بالاحسان .

كما قال : ومن فوائدها أن مصليها يكون فى حفظ الله ورعايته طول يومه ، ومنها أنها تكفر صغائر الذنوب ، وتحفظ مصليها من ارتكاب الكبائر ، ومنها أنها تجزىء عن ستين وثلثمائة صدقة المطلوبة على مفاصل البدن .

فعلى العاقل أن يهتم بتأديتها ويواظب عليها ، ويكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وسائر أنواع الطاعة ، ليؤدى بذلك ما عليه من الصدقات المطلوبة على أعضائه .

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تحرص على أداء صلاة الضحى التى وقفت عليها وعلى ما فيها من خيرات .

وحتى تعرف وقتها بسهولة ويسر فهو : (تقريبا) بعد طلوع الشمس بثلث ساعة الى ما قبل الظهر بثلث ساعة .

* * *

ومن الصلوات الأخرى التى أرجو أن لا تحرم من نتائجها :

صلاة الاستخارة(٣)

وهى مستحبة لمن أراد أمرا من الأمور المباحة المهمة كالزواج والتجارة وغيرهما مما لا يعلم فيه وجه الخير والشر(٤) . وهى : عبارة عن ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والدارمى بسند جيد .

(٢) راجع الجزء الخامس من « الدين الخالص » ص ٢٣٠

(٣) الاستخارة : هى طلب الخير من الله تعالى فيما يقصد من الأمور . يقال : خار الله لك : اى اعطاك ما هو خير لك .

(٤) أما المعروف خيره كالعبادة وعمل المعروف فيفعل بلا استخارة . والمعروف شره كالمحرم والمكروه ، فيترك بلا استخارة .

المسجد فى أى وقت من الليل أو النهار[١] يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها[٢] كما يعلمنا السورة من القرآن يقول :

« اذا هم[٣] أحـدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل[٤] : اللهم انى أستخيرك[٥] بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر[٦] خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله[٧] — فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به — قال : ويسمى حاجته — أى يسمى حاجته عند قوله : « اللهم ان كان هذا الأمر ... » .

قال النووى : ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة ، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسا والا فلا يكون مستخيرا لله بل يكون غير صادق فى طلب الخيرة وفى التبرى من العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى ، فان صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

وحتى تعرف قيمة هذا الدعاء المحمدى الذى وقفت عليه وتدرك

---

(١) حتى فى أوقات الكراهة عند الشافعية لأنها صلاة لها سبب ، وقال الجمهور : تؤدى فى غير أوقات النهى تقديما للحاظر على المبيح .

(٢) اى صغيرها وكبيرها .

(٣) الهم بالأمر ارادته وهو ترجيح الفعل على الترك .

(٤) وهذا دليل على أنه لا يضر تأخر دعاء الاستخارة عن الصلاة ، وأنه لا يضر الفصل بكلام يسير ، وأنه لا يجزىء الاتيان به فى أثناء الصلاة .

(٥) اى أطلب منك الخيرة او الخير .

(٦) يسمى حاجته هنا .

(٧) يجمع بينهما .

أهميته ، اليك ما ذكره امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى ف كتابه « الدين الخالص »[1] بالحرف الواحد :

من تأمل دعاء الاستخارة الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد فيه من البلاغة والأسرار والفوائد ما لا يوجد فى أى دعاء يختاره الانسان لنفسه ، ثم قال : قال ابن الحاج فى المدخل :

ثم انظر الى تلك الألفاظ الجليلة التى شرعها عليه الصلاة والسلام لأمته ليرشدهم الى مصالحهم الدنيوية والأخروية وهى : « اللهم » أى أسألك بجميع ما سئلت به ، ويؤيده ما نقل : أنه اسم الله الأعظم الذى ترجع اليه جميع الأسماء « انى أستخيرك بعلمك » : أى بعلمك القديم الكامل لا بعلمى أنا المخلوق القاصر . فمن فوض الأمر الى ربه اختار له ما يصلح « وأستقدرك بقدرتك » : أى بقدرتك القديمة الأزلية ، لا بقدرتى أنا المخلوق المحدثة القاصرة ، فمن تعرى عن قدرة نفسه وكانت قدرته منوطة بقدرة ربه عز وجل مع السكون والضراعة اليه فلا شك فى وجود الراحة له ، اما عاجلا أو آجلا أو هما معا ، وأى راحة أعظم من الانسلاخ من عناء التدبير والاختيار والخوض لفكرة عقله فيما لا يعلم عاقبته « وأسألك من فضلك العظيم » : فمن توجه بالسؤال الى مولاه دون مخلوق واستحضر سعة فضل ربه عز وجل وتوكل عليه ونزل بساحة كرمه ، فلا شك فى نجاح سعى من هذا حاله ، اذ فضل المولى سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يرجع الى قانون معلوم وتقدير « فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب » : فمن تبرأ وانخلع من تدبير نفسه وحوله وقوته ورجع بالافتقار الى مولاه الكريم الذى لا يعجزه شىء فلا شك فى قضاء حاجته وبلوغ ما يؤمله ووقوع الراحة « أو قال : فى عاجل أمرى وآجله » الشك هنا من الراوى فى أيهما قال عليه الصلاة والسلام .

واذا كان كذلك فينبغى للمكلف أن يحتاط لنفسه فى تحصيل بركة افظه عليه الصلاة والسلام على القطع فيأتى بهما معا « فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه » : فمن رضى بما اختاره له سيده ، العالم بعواقب الأمور كلها وبمصالح الأشياء جميعها بعلمه القديم الذى لا يتبدل ولا يتحول فقد سعد السعادة العظمى « فاصرفه عنى واصرفنى عنه

---

(١) الجزء الخامس فى باب صلاة الاستخارة .

واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » فمن سكن الى ربه عز وجل وتضرع اليه ولجأ فى دفع جميع الشر عنه ، فلا شك فى سلامته من كل ما يتوقع من المخاوف ...

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام بالاضافة الى أن الحكمة فى تقديم الصلاة على الدعاء هو أن المراد من الاستخارة : الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، لأن ذلك يحتاج الى قرع باب الملك ولا شىء لهذا أنجع من الصلاة لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه واظهار الافتقار اليه حالا ومآلا .

واعلم أنه من السنة أن تبدأ أولا باستشارة من تعلم منه حسن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة وتثق بدينه ومعرفته ، لقوله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر** »[١] وقوله : « **وأمرهم شورى بينهم** »[٢] أى يتشاورون بينهم فيه ، وقد ورد فى الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة وأمان الملامة »[٣] .

واذا شاورت وظهر أنه مصلحة استخر الله سبحانه وتعالى بهذه الاستخارة المشروعة التى وقفت عليها[٤] .

واذا تعذرت صلاة الاستخارة ، فاستخر بالدعاء ــ الذى وقفت عليه ــ بعد استفتاحك بالحمد لله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وافعل بعد ذلك ما ينشرح له صدرك ، ولا تعتمد على انشراح كان لك قبل الاستخارة ، بل ينبغى كما عرفت قبل ذلك ترك اختيارك رأسا والا فانك لن تكون مستخيرا لله ، بل مستخيرا لهواك .

فان لم تجد انشراحا لشىء فى صدرك : فقد قيل : تكرر الاستخارة ثلاثا ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا كرر الدعاء ثلاثا .

وقيل : تكررها سبعا لحديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر الى الذى يسبق الى قلبك فان الخير فيه »[٥] .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ (٢) الشورى : ٣٨

(٣) من كتاب « أدب الدنيا والدين » للحسن البصرى .

(٤) والجمع بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة . فينبغى للمكلف أن لا يقتصر على احداهما فان كان ولابد من الاقتصار فعلى الاستخارة .

(٥) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس . . وهو ضعيف .

فاحرص على هذا الخير الذى وقفت عليه وحسبك ترغيبا لك فيه حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الذى يقول فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله عز وجل »[1] .

واذا كنت وقفت على الاستخارة الشرعية الواردة والثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكانت بالصلاة أو الدعاء ، فهناك استخارات أخرى مبتدعة رأيت فى نهاية هذا العرض أن أحيطك بها علما حتى استخارة النوم لا تفعلها ، وهى :

استخارة النــوم

التى يعملها صاحب الحاجة أو يعملها له غيره ، بأن يقرأ الشخص شيئا من القرآن ويدعو الله أن يريه فى منامه ما نواه أو يريه خضرة أو بياضا ان كان ما يقصده خيرا ، ويريه حمرة أو سوادا ان كان ما يقصده لا خير فيه .

فهذه الاستخارة لم تشرع وفيها عدول عن تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة ، وهذا يتنافى مع كمال الايمان وحسن اليقين الذى يقتضى التخلى عن البدع ، والتحلى بالسنن .

وقد ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية : **« وربك يخلق ما يشاء ويختار ... »**[2] صلاة الاستخارة ودعاءها . ثم قال : فان لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقل : « اللهم خر لى واختر لى » كما روى عن عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما .

استخارة السبحة

التى يعملها صاحب الحاجة أو تعمــل له ، وطريقتها أن يأخذ الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته ، ثم يحصر بعض حباتها بين يديه ثم يعدها فان كانت فردية عدل عما نواه ، وان كانت زوجية اعتبر ما نواه خيرا وسار فيه .

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبزار بسند جيد ، والترمذى وقال : حديث غريب .

(٢) القصص : ٦٨

وهذا يشبه ما كان يحدث فى الجاهلية الأولى من اطلاق الطير فى الجو وهو ما سماه الشرع الشريف : بالطيرة ، ونهى عنها .

استخارة الفنجان

ويعملها عادة غير صاحب الحاجة ويقوم بعملها رجل أو امرأة ، وطريقتها أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة اليه ثم يكفىء الفنجان وبعد قليل يقدمه لقارئه فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة رسوما وأشكالا يحدثها عادة كل راسب فى اناء اذا انكفأ .

ثم يأخذ هذا الدجال فى سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة الذى كثيرا ما يتأثر بهؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

ومثلها : استخارة الورق (الكوتشينة) ، استخارة الرمل ، استخارة انودع ، واستخارة الكف .

فكل هذا يعتبر تضليلا يعتمد أساسا على قوة فراسة هذا الدجال الذى يستخلص كلامه من ميول الشخص وموافقته له فى بعض الأشياء .

فاحذر الوقوع فى هذا الاثم وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أتى عرافا[1] فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[2] .

وقوله : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » — صلى الله عليه وسلم —[3] .

وقد قالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية : لأن الله تعالى يقول : **« قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله »**[4] .

فتذكر كل هذا حتى تكون بعيدا عن هذا الضلال وتكون حربا على المضلين ومنقذا للضالين ، ولا تنسى قول الله تعالى على لسان

---

(١) اى ذهب اليه .

(٢) اخرجه أحمد ومسلم عن حفصة .

(٣) أخرجه أحمد والحاكم عن ابى هريرة بسند صحيح .

(٤) اخرجه ابن جرير الطبرى — والآية من سورة النمل : ٦٥

نبيه صلى الله عليه وسلم : **« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء »**(١) .

وعن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى على ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئا ، فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار »(٢) .

فلا تنس كل هذا وحسبك ما وقفت عليه من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاستخارة وتذكر كذلك قوله : « طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة »(٣) .

* * *

ومن الصلوات الأخرى صلاة قد تحتاج اليها كثيرا وكثيرا فى هذه الدار التى لا تخلو من الابتلاءات ، وهذه الصلاة هى :

صلاة الحاجة

فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا »(٤) .

وفى رواية أخرى أيضا عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعا مكتوبة(٥) أو غير مكتوبة يحسن فيها الركوع والسجود ثم استغفر الله ، غفر له »(٦) .

قال فى « الدين الخالص » : يستحب لمن أهمه أمر أو كانت له حاجة الى الحق أو الخلق يريد قضاءها أن يتطهر ويصلى ركعتين ثم يدعو بدعاء الكرب أو غيره مما يأتى ... ثم ذكر أحاديث منها : حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ،

---

(١) الأعراف : ١٨٨ (٢) أخرجه الجماعة .

(٣) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أخرجه أحمد بسند صحيح . (٥) أى مفروضة .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن .

لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم[١] »[٢] .

وحديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أكربه أمر قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث »[٣] .

وقول أنس : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عـذاب النار »[٤] .

وحديث عبد الله بن أبى أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد فقال : « من كانت له حاجة الى الله تعالى أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل ، وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل : لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك[٥] وعزائم[٦] مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين »[٧] .

* * *

ومن الصلوات الأخرى التى قد تحتاج اليها كذلك :

صـلاة الضائع والآبق

فقد قال كذلك فى « الدين الخالص » :

يسن لمن ضاع له شىء أو أبق[٨] وأراد العثور عليه أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويدعو بما ورد فى ذلك :

---

(١) العظيم والكريم بالجر صفة للعـرش . وهو الثابت فى رواية للجمهور ، أو بالرفع صفة الرب . أو خبر لمبتدأ محذوف . فهو نعت للعرش قطع للمدح .

(٢) اخرجه الستة الا ابا داوود ، وفى رواية لمسلم : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر ـ اى نابه والم به أمر شديد ـ قال ذلك .

(٣) اخرجه الترمذى : وفى سنده يزيد الرقاشي ضعيف لسوء حفظه .

(٤) اخرجه الشيخان .

(٥) موجبات الرحمة : التوفيق والهداية الى الطريق المستقيم .

(٦) العزائم : جمع عزيمة بمعنى معزومة ، اى مقطوع بوقوعها ، فالمعنى : اسالك انواعا من المغفرة يتحتم حصولها بارادتك ، او تقطع عنى كل تقصير مانع من استجابة الدعاء .

(٧) اخرجه الترمذى وقال : حديث غريب وفى اسناده مقال .

(٨) المراد : ابق اى هرب له عبد .

فعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ضاع له شيء أو أبق يتوضأ ويصلى ركعتين ويتشهد ويقول : باسم الله يا هادى الضلال ، وراد الضالة .. اردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك »[1] .

وفى رواية أخرى بلفظ : « اللهم راد الضالة وهادى الضلالة ، أنت تهدى من الضلالة ، اردد على ضالتى بقدرتك وسلطانك ، فانها من عطائك وفضلك »[2] .

واحذر أن تنشد الضالة فى المسجد ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشراء والبيع فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار[3] وأن تنشد فيه الضالة ، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة »[4] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل : لا ردها الله عليك ، فان المساجد لم تبن لهذا »[5] .

* * *

ومن الصلوات الأخرى التى أرجو أن تواظب عليها :

صلاة الليل

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »[6] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة والحاكم وقال : رواته موثقون مدنيون لا يعرف واحد منهم بجرح . (٢) أخرجه أحمد والطبرانى .

(٣) الشعر المنهى عنه ما اشتمل على هجو مسلم أو مدح ظالم أو فحش ونحو ذلك ، أما ما كان حكمة أو مدحا للاسلام أو حثا على بر فلا بأس به .

(٤) رواه الخمسة وهم البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وصححه الترمذى . (٥) رواه مسلم .

(٦) قال الترمذى : هذا الحديث حسن . وهو بعض حديث أخرجه ايضا مسلم وابو داوود والنسائى وابن خزيمة عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وقد كان قيام الليل فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لقوله تعالى : « **يا أيها المزمل**[١] • **قم الليل الا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا** »[٢] •

ثم نسخ بقوله تعالى : « **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن** »[٣] •

قال ابن عباس فى تفسيره : قم الليل كله الا قليلا منه • فاشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وقاموا الليل كله ولم يعرفوا ما حد القليل ، فأنزل الله تعالى : « **نصفه أو انقص منه قليلا** » فاشتد ذلك أيضا عليهم وقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ففعلوا ذلك سنة ، فأنزل الله تعالى ناسختها فقال : « **علم أن لن تحصوه** » يعنى قيام الليل من الثلث والنصف ، وكان هذا قبل فرض الصلوات الخمس •• اهـ •

وعن عكرمة أن ابن عباس قال فى المزمل : « **قم الليل الا قليلا • نصفه** » نسختها الآية التى فيها : « **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن** »[٤] •

وعن سماك الحنفى أن ابن عباس قال : لما نزلت أول المزمل كانوا يقرأون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة[٥] •

---

(١) أصله المتزمل أى المتلفف بثيابه وهو وصف للنبى ﷺ .

(٢) أى خفف عنكم باسقاط فرض قيام الليل ، فالمراد بالتوبة : التوبة اللغوية وهى التخفيف — والآية من سورة المزمل : ١ — ٣

(٣) أى صلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين ، وعبر عن الصلاة بالقراءة ، لأنها بعض اركانها ، والأمر للندب . ويحتمل ابقاء القراءة على حقيقتها ، أى اقرأوا فى الصلاة ، فالأمر للوجوب ، أو فى غيرها والأمر للندب وبهذه القراءة تنالون ثواب القيام . فعن ابن عمرو بن العاص : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » . أخرجه ابو داوود — والآية من سورة المزمل : ٢٠

(٤) الأثر : أخرجه ابو داوود والبيهقى .

(٥) أخرجه ابو داوود والبيهقى ومحمد بن نصر .

وبهذا صار قيام الليل مندوبا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمتـــه[١] .

وبهذا قال الجمهور ، وحكى عن ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم ، وقال مالك : لم يزل قيام الليل فرضا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابن عباس والشافعي لظاهر قوله تعالى : « **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** »[٢] أى فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك .

والمعنى كما قال الجمهور : جعل التهجـــد نفلا فى حقك زيادة لدرجاتك وشكراً منك لمولاك على ما أولاك . أما فى حق الأمة فشرع تكفيرا للسيئات .

* * *

وقد ورد فى فضل قيام الليل أحاديث شريفة منها :

حديث بلال : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى الله تعالى ، ومنهاة عن الاثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد »[٣] .

وحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ فقال : « الصلاة فى جوف الليل » قيل : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : « شهر الله المحرم »[٤] .

وحديث أبى مالك الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وقام بالليل والناس نيام »[٥] .

---

(١) ويؤيده حديث رواه مسلم والنسائى والبيهقى ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها فى آخره : « ثم انزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة » .

(٢) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم بالتهجد وهو الصلاة ليلا بعد النوم . ـــ والآية من سورة الأنفال : ٧٩

(٣) أخرجه أحمـــد والبيهقى والترمذى والحاكم وقال : على شرط البخارى .

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

(٥) أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الاكبير بسند رجاله ثقات .

وحديث عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تنفطر[١] رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله .. أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « يا عائشة .. أفلا أكون عبدا شكورا »[٢] ؟

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تحافظ على قيام الليل والا كنت كهذا الرجل الذى بال الشيطان فى أذنه :

فقد روى فى حديث يونس عن الحسن عن أبى هريرة أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان فلانا نام البارحة ولم يصل شيئا حتى أصبح . فقال : « بال الشيطان فى أذنه » . قال يونس وقال الحسن : ان بوله والله ثقيل[٣] .

وحسبك بالاضافة الى هذا الفضل الذى وقفت عليه أنك بقيامك الليل وصلاتك فيه ستحل عقد الشيطان الثلاث ، وستصبح نشيطا طيب النفس .

فقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان »[٤] .

* * *

هذا .. وقد اتفق العلماء على أن كل الليل وقت للتهجد وأن أفضله الثلث الأخير لأنه وقت الغفلة ونزول الرحمة واستجابة الدعاء .

وقد اتفقوا كذلك على أنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ، وأن العبد كلما زاد فيها ازداد أجره ، واختلفوا فيما فعله النبى صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه ، والغالب من أحواله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى تتشقق قدماه من طول القيام .
(٢) اخرجه احمد والشيخان .
(٣) اخرجه احمد واخرج الشيخان نحوه عن ابن مسعود .
(٤) اخرجه الشيخان وابو داوود .

أنه كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة بالوتر ٠ وقد صلى تسعا وسبعا لما كبر سنه ٠

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل فى صلاة الليل أن تكون مثنى ويسن أن تفتتح بركعتين خفيفتين لينشط بهما لما بعدهما ، ثم يطيل القراءة والركوع والسجود ، وهو مخير فى القراءة بين الاسرار والجهر وهو أفضل ما لم يكن فيه (تشويش) على مصل أو نائم ٠

* * *

وحتى تقف على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صلاة الليل اليك هذا الحديث :

عن كريب مولى ابن عباس أنه أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم — وهى خالته — قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة[١] واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انتصف الليل — أو قبله بقليل أو بعده بقليل — استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران[٢] ثم قام الى شن[٣] معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلى ٠ قال ابن عباس : فقمت فصنعت مثل الذى صنع ٠ ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع يده على رأسى وأخذ أذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ٠ ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح[٤] ٠

وقد ورد فى صلاة الليل أذكار وأدعية منها :

حديث طاووس عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة من جوف الليل يقول : « اللهم لك الحمد

---

(١) الوسادة بكسر الواو : المخدة توضع تحت الرأس .

(٢) من قوله تعالى : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب »** (الآية : ١٩٠) الى آخر السورة .

(٣) الشن بفتح الشين وشد النون : القربة الخلق .

(٤) أخرجه احمد والشيخان .

وأنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيام[١] السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولكُ الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت[٢] واليك حاكمت[٣] فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى[٤] أنت المقدم وأنت المؤخر ، أنت الذى لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله »[٥] .

وحديث ربيعة الجرشى قال : سألت عائشة فقلت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام من الليل ؟ وبم كان يستفتح ؟ قالت : كان يكبر عشرا ، ويهلل عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : « اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى — عشرا — ويقول : اللهم انى أعوذ بك من الضيق يوم الحساب — عشرا — »[٦] .

* * *

وكذلك يسن الاكثار من الدعاء والذكر والاستغفار فى كل ساعة من الليل ، ولا سيما النصف الأخير لقول جابر بن عبد الله : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وذلك فى كل ليلة »[٧] .

---

(١) قيام بالتشديد : اى قائم بشئون خلقه مدبرها ، وفى رواية : « قيوم » ، وفى أخرى : « قيم » .

(٢) بك خاصمت : أى بما وهبت من البراهين والحجج ، خاصمت من عاند وكفر بك .

(٣) واليك حاكمت : اى جعلتك الحاكم بينى وبين من جحد الحق ، او جعلت محاكمتى معه الى كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم لا الى غيرهما .

(٤) سأل صلى الله عليه وسلم المغفرة وهو مغفور له ، تواضعا واجلالا لله تعالى ، وتعليما لأمته .

(٥) اخرجه الجماعة .

(٦) اخرجه احمد والنسائى بسند جيد وابن حبان وصححه .

(٧) اخرجه احمد ومسلم .

ولحديث عمرو بن عبسة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر[١] ، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن »[٢] .

* * *

وقد ورد فى أذكار الليل أحاديث منها :

حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان جنح[٣] الليل فكفوا صبيانكم ، فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا ذهبت ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك واذكر اسم الله ، وخمر اناءك[٤] واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئا »[٥] .

والمعنى كما قال فى « الدين الخالص » :

امنعوا الصبيان من الخروج فى أول الليل ، وذلك لأنهم ملوثون بالنجاسة التى يلوذ بها الشيطان ، ولأنهم لا يأتون بالذكر الذى يحفظ به الانسان من الشياطين الذين ينتشرون حين ظلمة الليل ، فاذا ذهبت ساعة من العشاء اشتغل كل منهم ومضى الى ما قدر له التشاغل به .

وحديث ابن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة[٦] فى ليلته كفتاه[٧] »[٨] .

وحديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة » ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن »[٩] .

---

(١) أى حال تكون فيه رحمة الرب قريبا من العبد آخر الليل .

(٢) اخرجه النسائى وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) يعنى طائفة من الليل .

(٤) تخمير الاناء : تغطيته .

(٥) أخرجه الجماعة .

(٦) هما قوله تعالى : **« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون »** (البقرة : ٢٨٥) الى آخر السورة .

(٧) وكفتاه بتخفيف الفاء : أى أغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن ، ووقتاه من كل سوء ومكروه .

(٨) أخرجه الجماعة .

(٩) اى سورة الاخلاص ، وأخرجه مالك والشيخان والنسائى وأبو داوود .

وحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ مائة آية كتب من القانتين »[١] .

وحديث بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة ، ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين ، ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين[٢] ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومائة أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض — أو قال : خير مما طلعت عليه الشمس — ومن قرأ ألفى آية كان من المؤمنين »[٣] .

وفى الباب أحاديث كثيرة كلها تدل على فضل قراءة القرآن فى جوف الليل ولا سيما من سورة البقرة ، وآية الكرسى ، وسورة يس ، وحم الدخان ، وألم تنزيل السجدة ، وسورة تبارك .

* * *

فلا تنس كل هذا وكن منفذا له حتى تكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »[٤] .

* * *

ولا تنس أخا الاسلام بعد هذا العرض الحيوى الذى أرجو أن تكون قد انتفعت به :

صلاة التوبة

التى ورد فى شأنها :

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم

---

(١) اخرجه الحاكم صححه .

(٢) المخبت : من الاخبات وهو التواضع .

(٣) اخرجه احمد والنسائى ، واخرجه الطبرانى عن ابى امامة وفيه : « ومن قرا فى ليلة الفى آية كان من الموجبين » اى الذين وجبت لهم الجنة .

(٤) السجدة : ١٦ ، ١٧

يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له الله . ثم قرأ : **« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله »**[١] الآية .

وفى رواية أخرى : عن أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر الله له » .

وعن الحسن البصرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أذنب عبد ذنبا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى براز من الأرض[٢] فصلى فيه ركعتين واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له »[٣] .

* * *

فاذا كنت أخا الاسلام قد أذنبت ذنبا فانه يسن لك كما قرأت فى هذه النصوص الشريفة : أن تتطهر وتصلى ركعتين ثم تستغفر الله مما جنت يداك ليغفر الله لك .

وحسبك هذه الآية الكريمة التى وقفت عليها فى الحديث الأول :

فقد روى أنها نزلت لما قال المؤمنون : يا رسول الله .. كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا ، كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه : اجدع أنفك أو أذنك افعل كذا أو كذا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية[٤] .

وقال عطاء : نزلت فى أبى معبد التمار ، أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال : هذا التمر ليس بجيد ، وفى البيت أجود منه ، فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها . فقالت له : اتق الله . فتركها وندم على ذلك ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له أمره فنزلت هذه الآية .

« والذين اذا فعلوا فاحشة » أى فعلة قبيحة لم يأذن الله بها ، والفاحشة فى الأصل تطلق على كل معصية ، والمراد بها هنا الزنا

---

(١) تمام الآية : **« .. فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »** (آل عمران : ١٣٥) .

(٢) البراز بفتح الباء وكسرها : الفضاء الواسع ، وقيل الصحراء البارزة

(٣) أخرجه البيهقى مرسلا .

(٤) قاله ابن مسعود .

« **أو ظلموا أنفسهم** » باقتراف ذنب آخر . وقيل الفاحشة : الكبيرة ، وظلم النفس : الصغيرة « **ذكروا الله** » أى تذكروا وعيده وأنه سائلهم ومحاسبهم ، أو ذكروا الله باللسان « **فاستغفروا لذنوبهم** » أى طلبوا مغفرتها من الله « **ومن يغفر الذنوب الا الله** » استفهام انكارى بمعنى النفى . أى لا يغفرها أحد سواه ، فعن الأسود بن سريع أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم انى أتوب اليك ولا أتوب الى محمد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله »(١)
« **ولم يصروا على ما فعلوا** » أى لم يستمروا على المعصية ولم يعزموا على الرجوع الى الذنب « **وهم يعلمون** » قبحه ، وأن من تاب قبل الله توبته ، فهم كلما ارتكبوا ذنبا تابوا منه . فعن أبى نضرة سالم ابن عبيد عن مولى لأبى بكر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أصر من استغفر ان عاد فى اليوم سبعين مرة »(٢) .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وكن من الذاكرين الله المستغفرين لذنوبهم .

ولا تكن من المصرين على المعصية فتكون من الهالكين .

فعن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر : « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع(٣) القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون »(٤) .

---

(١) اخرجه احمد .

(٢) اخرجه ابو داوود وابو يعلى والبزار وابن جرير وابن ابى حاتم والبيهقى فى الشعب بسند حسن .

(٣) جمع قمع وهو الاناء الذى يترك فى رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات ، وقد شبه أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ولا يعملون به بالأقماع التى لا تعى شيئا مما يفرغ فيها .

(٤) اخرجه احمد والبخارى فى « الادب » والبيهقى والطبرانى بسند جيد وابن كثير .

وحسبك حتى تتوب الى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحا[١] وتكثر من الاستغفار أن تقرأ هذه الآيات الثلاث التى تؤكد فرضية التوبة من الذنب سواء أكان صغيرا أو كبيرا وهى :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »[٢] .

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[٣] .

« وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ... »[٤] .

* * *

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث التى سترى من خلالها أهمية التوبة ونتائجها وضرورة التعجيل بها قبل فوات هذه الفرصة التى لا زلت تتمتع بها وهى تواجدك فى هذه الحياة الأولى .

عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال ابليس : يا رب .. وعزتك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى »[٥] .

وعن أنس : جاء رجل فقال : يا رسول الله .. انى أذنبت ذنبا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أذنبت فاستغفر ربك — فقالها فى الرابعة — وقال : استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور »[٦] .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه »[٧] .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة »[٨] .

---

(١) التوبة النصوح : هى الصادقة الخالصة بأن يتوب عن الذنب فلا يعود اليه أبدا . فقد قال أبى بن كعب : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح فقال : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه ثم لا تعود اليه أبدا » . أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) التحريم : ٨

(٣) النور : ٣١

(٤) هود : ٣

(٥) أخرجه أحمد وابن كثير .

(٦) أخرجه البزار وابن كثير .

(٧) أخرجه مسلم .

(٨) أخرجه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »(١) .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم كالمستهزىء بربه ، ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل »(٢) .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر »(٣) .

وقال رجل من ملحان يقال له أيوب : سمعت عبد الله بن عمر يقول : « من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . فقلت له : انما قال الله : « **انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** » فقال : انما أحدثك ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٤) .

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب »(٥) .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تيأس من رحمة الله .

وحسبك فى النهاية أن تذكر قول ابن مسعود رضى الله عنه : ان فى كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر له : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ...** » الآية وقوله : « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** »(٦) .

* * *

---

(١) اخرجه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .

(٢) اخرجه البيهقى وابن عساكر .

(٣) اخرجه ابن مردويه وابن كثير .

(٤) اخرجه ابو داوود والطيالسى وابن كثير — والآية من سورة النساء : ١٧

(٥) اخرجه ابن عساكر .

(٦) اخرجه سعيد بن منصور وابن ابى شيبة والطبرانى والبيهقى ، والآية الاولى من سورة آل عمران : ١٣٥ ، والثانية من سورة النساء : ١١٠ .

وحتى لا تمكن الشيطان منك وتكون فى حصانة من وسوسته وكيده ، وحتى تحمل سلاح الاستغفار ضده ، اليك أيضا هذين الحديثين :

عن عطاء بن خالد قال : بلغنى أنه لما نزل قول الله تعالى : « **ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا** »[1] صاح ابليس بجنوده وحثا على رأسه التراب ، ودعا بالويل والثبور حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر . فقالوا : مالك يا سيدنا ؟ قال : آية نزلت فى كتاب الله لا يضر بعدها أحدا من بنى آدم ذنب . قالوا : ما هى ؟ فأخبرهم ، قالوا : نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون الا أنهم على الحق ، فرضى منهم بذلك[2] .

وعن عثمان بن مطرف قال : حدثنا عبد الغفور عن أبى نضرة عن أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بلا اله الا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما ، فان ابليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار . فلما فعلوا ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون »[3] فـ :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر ... الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا ... يغفر بالليل ذنوب النهار

* * *

واذا كنت يا أخا الاسلام قد وقفت على أهم وأصح ما ورد من الصلوات المشروعة التى ذكرتها لك تباعا بعد ذكر صلاة التسبيح والتى ختمتها بصلاة التوبة التى تتصل اتصالا وثيقا بصلاة التسبيح التى تكفر كما عرفت عشرة أنواع من الذنوب :

فهناك صلوات أخرى : غير مشروعة أرجو كذلك أن تقف عليها اتماما للفائدة وهى اجمالا احدى وعشرون ، وهى :

---

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) اخرجه الحكيم الترمذى .
(٣) اخرجه ابو يعلى وابن كثير وقال : عثمان بن مطرف وشيخه ضعيفان .

الموضوع فى الرواتب :

ومنها : من لم يداوم على أربع قبل الظهر لم تنله شفاعتى[١] .

ومنها : من صلى ركعتين بعد ركعتى المغرب بالفاتحة والاخلاص خمس عشرة مرة فله كذا[٢] .

ومنها : وركعتان بعد المغرب فى الأولى الاخلاص خمسا وعشرين مرة وفى الثانية احدى وثلاثين مرة[٣] .

ومنها : وركعتان بعد العشاء بالاخلاص عشرين مرة[٤] .

ومنها : والوتر فى أول الليلة سخطة للشيطان ، وأكل بسحور مرضاة للرحمن[٥] .

وصلاة ليلة الجمعة ويومها :

فقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة ، واذا زلزلت خمس عشرة مرة ، هون الله عليه سكرات الموت ويسر الله له الجواز على الصراط يوم القيامة[٦] .

من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة واحدة وخمسا وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق . وفى الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الناس خمسا وعشرين مرة فاذا سلم قال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خمسين مرة . فلا يخرج من الدنيا حتى يرى الله عز وجل فى المنام ، ويرى مكانه فى الجنة أو يرى له[٧] .

---

(١) قال النووى : لا اصل له .

(٢) قال ابن حجر : هذا متن موضوع .

(٣) فيه سليمان بن سلمة متهم . (٤) فيه ابو سلمان يكذب .

(٥) وضعفه ابان بن جعفر البصرى ، وقد وضع على ابى حنيفة اكثر من ثلثمائة حديث مما لم يحدث به ابو حنيفة .

(٦) قال السيوطى فى اللآلىء : اورده الحافظ ابن حجر فى اماليه وقال : غريب وسنده ضعيف فيه من لا يعرف .

(٧) قال السيوطى : موضوع وفيه مجاهيل .

وصلاة ليلة السبت ويومه :

فقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسا وعشرين ، حرم الله جسده على النار[١] .

وصلاة ليلة الأحد ويومه :

وقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب من قرأ القرآن عشر مرات[٢] .

وصلاة ليلة الاثنين ويومه :

وقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الاثنين ست ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وعشرين مرة قل هو الله أحد ، ويستغفر بعد ذلك سبع مرات ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد[٣] .

وصلاة ليلة الثلاثاء ويومه :

قال فى « التذكرة » : وفى ليلة الثلاثاء ركعتان بالاخلاص والمعوذتين خمس عشرة مرة ، وروى أربع ركعات ، والكل باطل .

وفى يومه عشر ركعات بآية الكرسى مرة ، والاخلاص ثلاثا . ضعيف اهـ .

وصلاة ليلة الأربعاء ويومه :

قال فى « التذكرة » : وفى ليلة الأربعاء ست ركعات بقل اللهم[٤] ضعيف جدا . وروى أربع وثلاثين ركعة ، والكل باطل .

وفى يومه اثنتى عشرة ركعة بآية الكرسى مرة ، والاخلاص مرة ، والاخلاص والمعوذتين ثلاثا . فى سنده كذاب .

---

(١) قال السيوطى : موضوع ، وغالب رواته مجهولون .

(٢) قال السيوطى : موضوع مظلم الاسناد عامة من فيه مجهول .

(٣) قال السيوطى : موضوع .

(٤) أى بآية : « **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ..** » .

ـــ والآية من سورة آل عمران : ٢٦

وصلاة ليلة الخميس ويومه :

قال فى « التذكرة » : وليلة الخميس ركعتان بآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين خمسا خمسا . ضعيف جدا .

وفى يومه ركعتان بآية الكرسى مائة فى الأولى وبالاخلاص مائة فى الثانية . ضعيف .

وفى « الذيل » : ركعتان ليلة الخميس بين المغرب والعشاء بآيه الكرسى والاخلاص والكافرون والمعوذتين كل خمس مرات ، تؤديان حق الوالدين وان لم يبرهما . فيه عاصم بن مفرس متروك اه . ملخصا .

وصلاة الأوابين :

وهى عشرون ركعة بعد المغرب ، وقد ورد فى الرواتب الترغيب فى التنفل بين المغرب والعشاء .

قال فى « الدين الخالص »[1] :

ويندب صلاة أربع ركعات بعد صلاة المغرب تضم الى المؤكدتين لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة »[2] .

وقد ورد الترغيب فى التنفل بعد المغرب والعشاء فى عدة أحاديث منها : حديث قتادة عن أنس بن مالك فى قوله تعالى : **« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون »**[3] قال : كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »**[4] أخرجه أبو داوود . وأخرجه ابن مردويه فى تفسيره من رواية الحارث بن وجيه ؛ قال : سمعت مالك ابن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن قوله : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »** فقال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة ؛ فأنزل الله فيهم : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »** ، والحارث بن وجيه

---

(١) الجزء الثانى ص ٣٣٢

(٢) أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذى وقال : حديث غريب لا نعرفه الا من حديث زبن بن الحباب .. قال البخارى : منكر الحديث وضعفه جدا .

(٣) الذاريات : ١٧ (٤) السجدة : ١٦

ضعيف ، ثم قال فى « الدين الخالص » : وفى المقام روايات كثيرة ، واذا كان أكثرها فيه مقال ولكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا ولا سيما أن المقام مقام فضائل أعمال .

وأما التحديد بعشرين ركعة وترتيب ثواب خاص عليها فقد قيل به ، ولكنه لم يثبت ، ومنه :

عن يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا : من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة .

ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

وصلاة الغفلة :

وقد قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا سلمان .. ما من عبد يقوم فى ظلمة وغفلة الناس فيستاك ويتوضأ ويمشط رأسه ولحيته ويصلى ركعتين .. الخ ، قال السيوطى : موضوع فيه مجاهيل .

وفى قال « التذكرة » : أربع ركعات فى ظلمة الليل بأربع قلاقل[1] موضوع .

وصلاة عاشوراء :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة ... الخ[2] .

وصلاة رجب :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى المغرب أول ليلة من رجب ، ثم صلى بعدها عشرين ركعة .. الخ[3] .

---

(١) المراد بالقلاقل : قل هو الله احد ، والمعوذتان .

(٢) قال السيوطى : موضوع ورواته مجاهيل .

(٣) قال السيوطى : موضوع واكثر رواته مجاهيل .

وصلاة نصف شعبان :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا على .. من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان ... الخ[١]

وصلاة الفطر ويومه :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الفطر مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة الحمد مرة ، وقل هو الله أحد عشرا ... الخ[٢] .

وصلاة يوم عرفة :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة .. الخ[٣] .

وصلاة ليلة النحر ويومه :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة النحر ركعتين يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب خمس عشرة مرة .. الخ[٤] .

وصلاة رؤية النبى صلى الله عليه وسلم :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

ما من مؤمن يصلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وخمسا وعشرين مرة قل هو الله أحد ثم يسلم . ثم يقول ألف مرة صلى الله على محمد النبى الأمى فانه يرانى فى المنام ، ومن رآنى غفر الله له ذنوبه[٥] .

وصلاة حفظ القرآن :

قيل فيها ما لم يثبت من طريق صحيح ومنه :

حديث أخرجه الطبرانى عن محمد بن ابراهيم القرشى : حدثنا صالح عن عكرمة بن عباس قال : قال على بن أبى طالب : يا رسول الله ..

---

(١) قال السيوطى : ليس عليها اثارة صدق .

(٢) قال السيوطى : موضوع فيه جماعة لا يعرفون .

(٣) قال السيوطى : موضوع فيه ضعفاء ومجاهيل .

(٤) قال السيوطى : عن راويه وهو أحمد بن محمد انه غلام وضاع .

(٥) قال السيوطى : ولا يصح وفيه مجاهيل .

ان القرآن تفلت من صــدرى فقال : ألا أعلمك كلمــات ينفعــك الله بهن وينفع بهن من علمهن ؟ قال : بلى بأبى أنت وأمى ، قال : صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ... الخ هذا الحديث الذى قال عنه السيوطى : لا يصح ، محمد بن ابراهيم مجروح ، وأبو صالح اسحاق بن نجيح متروك .

وصلاة قضاء الدين :

قال فى « التذكرة » : علمنى جبريل دعاء قضاء الدين فقال : من أصابه دين فليتوضأ وليصل اذا زالت الشمس أربع ركعات .. الخ ، هذا الحديث الذى قال فى آخره : من نسخة نبيط بن شريك كذاب .

وصلاة الهداية أو الفدية عن الميت :

وهى ركعتان تصليان فى أول ليلة بعد دفن الميت ، ثم يدعو بهذا الدعاء : اللهم انى صليت هذه الصلاة وأنت أعلم ما أريد .

اللهم ابعث ثوابها الى قبر فلان ابن فلان ، ويسمى الميت ، وهذه الصلاة لا أصل لها ولم يرد بها حديث .

وصلاة الكفاية :

وقد ورد فيها حديث موضوع ، وصفتها : أن يصلى ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وقل هو الله أحد خمس مرات ، والقدر خمس مرات ... الخ .

قال الشوكانى فى شرحه : وهو حديث مكذوب .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاســلام حتى لا تكون من المبتدعين الأخسرين أعمالا : **« الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »**(١) .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك تعالى : **« ... واتبعوه لعلكم تهتدون »**(٢) .

---

(١) الكهف : ١٠٤ (٢) الأعراف : ١٥٨

وقوله : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** »[١] .

وقوله : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب** »[٢] .

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » قالوا : يا رسول الله .. ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى »[٣] .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طيبا ، وعمل فى سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » قالوا : يا رسول الله .. ان هذا فى أمتك اليوم كثير ، قال : « وسيكون فى قوم بعدى »[٤] .

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[٥] .

وعن عباس بن ربيع قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر — يعنى الأسود — ويقول : انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك »[٦] .

وعن طائق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين .. لو أن علينا نزلت هذه الآية : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »[٧] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، فقال عمر : انى لأعلم أى يوم نزلت هذه الآية . نزلت يوم عرفة فى يوم الجمعة[٨] .

* * *

---

(١) آل عمران : ٣١ (٢) الحشر : ٧

(٣) رواه البخارى . (٤) رواه الحاكم وصححه .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

(٦) رواه البخارى ومسلم . (٧) المائدة : ٣

(٨) رواه البخارى ، وهذا الحديث يؤكد ان الآية نزلت فى يوم عيد فعلا من وجهين : لأنه يوم عرفة ، ويوم جمعة فقد اتخذناه عيدا . وهذا هو ما أراد سيدنا عمر ان يلفت نظر اليهودى اليه .

وكذلك اليك هذه الأقوال الموضوعية المأثورة عن الأئمة الأعلام الذين تبرأوا من كل عقيدة فاسدة وبدعة فى العبادة :

فقالوا لأصحابهم : خذوا العلم من حيث أخذنا ـ أى من الكتاب والسنة .

وقالوا : ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاما ، وجعل قوله يقطع كل قول .

وقال الامام مالك رحمه الله : من استحسن بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة . وقال : ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم دينا لم يكن اليوم دينا .

وقال الامام الشافعى رحمه الله فى رسالته : اذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واضربوا بقولى عرض الحائط .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ، كما ورد فى الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »[1] . فحسبك هذا .

مع ملاحظة أن السنة هى : فعله وقوله وتقريره صلى الله عليه وسلم .

فكن من أهلها تكن من الذين يحبهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى قوله : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »[2] .

* * *

---

(١) روى عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . وهو حديث حسن صحيح .

(٢) من حديث رواه الترمذى بسند حسن .

الوصية الحادية والثلاثون

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأربع كلمات هن الى أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى :

« يا أبا ذر .. أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » .

(رواه الامام المقدسى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى ان تعمقت فى فهمها ووقفت على ما فيهـا من أبعاد كأبى ذر رضى الله عنه ، وغيره وغيرك من العقلاء ، لتبين لك كما تبين له ولهم قبل ذلك أنها ركزت على أهم أسباب الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .

ولقد رأيتنى وأنا أقرأ فى عناصر هذه الوصية المحمدية أخاطب نفسى قائلا بعد الصلاة والسـلام على معلم البشرية جمعاء صلوات الله وسلامه عليه :

ألا يكفى أحدنا أن يعمل بوصية كهذه اذا أراد الفوز والسعادة فى عالم الدنيا والآخرة ، ويوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى .

ألا يكفى أحدنا أن يجعل من هذه الوصية بالذات سراجا منيرا يضىء له الطريق الى الله سبحانه وتعالى حتى يلقاه .

ألا يكفى أحدنا أن يعرض نفسه على كل عنصر من عناصر هذه الوصية حتى يتبين له اذا كان فى حاجة اليها أم لا ، وحتى يعمل بعد ذلك وبكل ما أوتى من اخلاص ومحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تنفيذ كل عنصر فيها وبكل صفاء ووفاء حتى يكون أهلا لهذه الوصية وأخواتها من وصايا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لا **« ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »**[1] .

* * *

---

(١) النجم : ٣ ، ٤ بلفظ : **« وما ينطق »** .

وحتى لا أطيل عليك فاليك ما استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن أعبر به عن فهمى المحدود لأبعاد هذه الوصية العظيمة التى يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه كما قرأت فى نص الوصية التى يقول أبو ذر رضى الله عنه ــ راوى هذا الحديث ــ فى أولها : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات هن الى أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى : يا أبا ذر ..

* (أحكم[1] السفينة فان البحر عميق) :ولعل السفينة التى يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم باحكامها هى : العمل الصالح ، ولعل البحر الذى يشير الرسول صلى الله عليه وسلم الى عمقه هو : الدنيـــا .

* * *

وقد استنتجت هذا من قول سيدنا على رضى الله عنه :

ان لله عبـــادا فطنـــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمــا علموا أنهـــا ليست لحى وطنـــا
جعلوها لجة[2] واتخــذوا صالح الأعمال فيها سفنا

كما استنتجت ذلك كذلك من وصية لقمانية يقول فيها سـيدنا لقمان الحكيم لولده وهو يعظه :

« يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الايمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا » .

* * *

ولمـــا كان هذا هو المعنى الذى استقر الرأى عليه ، فقد رأيت بعد استخارة الله تعالى أن أدور حوله بايجاز حتى أصل الى المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوقفنا عليه فى شخص أبى ذر رضى الله عنه ، واذا كنت سأحاول هذا مستعينا بالله تعالى فحسبى أن أقول :

اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا فى هذه الوصية بالبحر العميق ، فهذا معناه أنها دار لا أمان فيها ولا استقرار ،

---

(١) من الاحكام وهو الاتقان .   (٢) أى بحرا .

ومثلها فى ذلك كمثل البحر الذى لا أمان له ، فقد تراه تارة هادئا ، وقد تراه هائجا • وحول هذا المعنى يقول الشاعر :

❋ تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ❋

ولهذا كان لابد وأن يقف الانسان على خطورتها حتى لا يغتر بها ويقع فى شباكها ، وقد رأيت فى أول هذا العرض أن أقف معك على بعض ما قيل فى شأنها حتى تكون على بصيرة بأمرها :

قال فى « الاحياء » :

ان الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله :

أما عداوتها لله : فانها قطعت الطريق على عباد الله ، ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها •

وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل : فانها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها •

وأما عداوتها لأعداء الله : فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، فاقتنصتهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها ، فخزلتهم أحوج ما كانوا اليها ، فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون **« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون »**[1] •

ثم ذكر بعد ذلك بعض الأحاديث التى منها :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[2] •

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما كان لله منها »[3] •

« من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى »[4] •

---

(١) البقرة : ٨٦

(٢) رواه مسلم من حديث أبى هريرة •

(٣) رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد : « الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم » •

(٤) رواه أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه •

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »[١] .

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له »[٢] .

* * *

ثم ذكر كذلك بعد ذلك أخبارا وآثارا منها :

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا ، أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .

يا معشر الحواريين .. انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى ، فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها ، وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا .

وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا ، وجلستم على ظهرها ، فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة .

وقال أيضا : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل رزقه . وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه .

وقال داوود بن هلال : مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام : يا دنيا .. ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير والى الفناء يصير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد ، وان بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ، ما لهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا ، والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

(٢) رواه أحمد من حديث عائشة .

قبورهم الا النور يسعى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى •

وروى فى أخبار آدم عليه السلام :

أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج السفل ، ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها • قال : فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه ، فقال له : قل له أى شىء تريد ؟ قال آدم : أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى • فقيل للملك : قل له : فى أى مكان تريد أن تضعه ؟ على الفرش ، أم على السرر ، أم على الأنهار ، أم تحت ظلال الأشجار ، هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط الى الدنيا •

وروى أن جبريل عليه السلام ، قال لنوح عليه السلام : يا أطول الأنبياء عمرا •• كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ـ دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر •

وقيل : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : يا موسى •• مالك ولدار الظالمين ، انها ليست بدار ، أخرج منها همك ، وفارقها بعقلك فبئست الدار هى ، الا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هى يا موسى ، انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم •

وقل : وأوحى الله تعالى اليه أيضا : يا موسى •• لا تركن الى حب الدنيا ، فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها •

* * *

أما الآثار فقد ذكر منها :

قال على رضى الله عنه : من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النار مهربا :

من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها •

وقال الحسن رحمه الله : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الا من ائتمنهم عليها • ثم راحوا خفافا •

وقال أيضا رحمه الله : من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره •

وقال بعض الحكماء : انك لن تصبح فى شىء من الدنيا ، الا وقد كان له أهل قبلك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة ، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار .

وقال أبو حازم : اياكم والدنيا ، فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا ، فيقال : هذا عظم ما حقره الله .

* * *

فاذا كان هذا هو شأن الدنيا فهو دليل على حقارتها وخطورتها ورحم الله القائل :

ومن يذق الدنيـــا فانى طعمتها ... وســـيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غــرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهــر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همن اجتــذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلهـــا ... وان تجتذبها نازعتك كلابهـــا
فدع عنك فضلات الأمور فانها ... حـــرام على نفس التقى ارتكابها

والقـــائل :

ألا انمـــا الدنيـــا كأحلام نائم ... وما خـــير عيش لا يكون بدائم
تأمـــل اذا ما نلت بالأمس لذة ... فأفنيتهـــا هل أنت الا كحـــالم
فكم غافل عنه وليس بغافل ... وكم نائم عنه وليس بنـــائم

* * *

ولذا : كان لابد وأن يعمـــل الانسان العاقل على النجاة منها ومن شرورها حتى لا يغرق فى بحرها العميق الذى غرق فيه كثير من عبادها الذين تأثروا بها وبملذاتها وأهوائها .

* * *

واذا كان العمـــل الصالح هو سفينة النجاة فيهـــا ، وهو كذلك سبيل النجاة فى الدار الآخرة ، بدليل قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »(١) .

---

(١) النور : ٥٥

وقوله : « ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ »(١) .

وقوله : « فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ، ان ربك هو القوى العزيز »(٢) .

وقوله : « ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين »(٣) .

وقوله : « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين »(٤) .

وقوله : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين »(٥) .

وقوله : « والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »(٦) .

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبى عبد الرحمن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم .. كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

وقال الآخر : اللهم .. انه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى — وفى رواية — : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء فأردتها

(١) هود : ٥٨
(٢) هود : ٦٦
(٣) هود : ٩٤
(٤) يونس : ١٠٣
(٥) الانبياء : ٨٨
(٦) سورة العصر .

على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها — وفى رواية — : فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه • فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى ، وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج •

وقال الثالث : اللهم •• استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله •• أد الى أجرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله •• لا تستهزىء بى ، فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »(١) •

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة »(٢)•

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »(٣) •

واذا كان العمل الصالح الذى هو من أهم براهين الايمان : هو سفينة النجاة كما عرفت ، فكذلك التقوى هى سفينة النجاة أيضا فى الدنيا والآخرة ، بدليل قول الله تعالى فى كتابه العزيز :

(١ ، ٢) متفق عليهما • (٣) رواه مسلم بهذا اللفظ •

« وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا »(١) .

« بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »(٢) .

« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٣) .

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا »(٤) .

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »(٥) .

« ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »(٦) .

« وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون »(٧) .

« ان المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون »(٨) .

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك » ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف »(٩) .

وقوله : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع »(١٠) .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : ما النجاة يا رسول الله ؟ فقال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »(١١) .

وجاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله » : « ... ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه »(١٢) .

---

(١) آل عمران : ١٢٠ — (٢) آل عمران : ١٢٥

(٣) الأعراف : ٣٥ — (٤) الطلاق : ٢

(٥) النحل : ١٢٨ — (٦) مريم : ٧٢

(٧) الزمر : ٦١ — (٨) الدخان : ٥١ ، ٥٢

(٩) رواه الترمذى وقال : حديث غريب . وابن ماجه وابن أبى الدنيا .

(١٠) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

(١١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(١٢) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

ومعلوم أن الخوف من الله تعالى من أهم صفات المتقين ، كما جاء فى وصف سيدنا على رضى الله عنه للتقوى :

« التقوى : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » •

وهذا لا يمنع أن يباشر الانسان أعماله الدنيوية دون مخالفة لهذا النص ، ما دام القلب عامرا بالتقوى ، فقد ورد فى هذا المعنى :

عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلى ، فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنا فيه ، فقلت فى نفسى قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادى : نافق حنظلة •

فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : نافق حنظلة •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا •• لم ينافق حنظلة » فقلت : يا رسول الله •• كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلى فأخذت فى حديث الدنيا ، ونسيت ما كنا عندك عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا حنظلة •• لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة »(١) •

* * *

واذا كانت السفينة كما عرفت هى الايمان وهى التقوى : فهما كذلك السبيل الى رعاية الله سبحانه وتعالى لك ، لأنك يوم أن تكون مؤمنا وتقيا ستكون من أولياء الله سبحانه وتعالى الذين تحدث عنهم فى قوله :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم »(٢) •

---

(١) رواه مسلم مختصرا • (٢) يونس : ٦٢ ــ ٦٤

لأن الله سبحانه وتعالى عندئذ سيتولاك برعايته وتوفيقه فهو القائل سبحانه :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون »[١] .

« ... والله ولى المؤمنين » [٢] . « ... والله ولى المتقين »[٣] .

* * *

بل لن يتولاك الله وحدك برعايته ان كنت تقيا ، وانما سيتولى كذلك ذريتك من بعدك برعايته ، وفى ذلك يقول سبحانه :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »[٤] .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول القائل المؤمن :

واذا العناية لاحظتك عيونها　　　نم فالمخاوف كلهن أمان

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا كما عرفت بالبحر العميق الذى هو فى مجموعه بلايين قطرات المـاء التى لا يعرف عددها الا الله ، فقد شبه الله سبحانه وتعالى كذلك الدنيا بالمـاء فقال :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـام حتى اذا أخذت الأرض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »[٥] .

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتدرا »[٦] .

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه

---

(١) البقرة : ٢٥٧
(٢) آل عمران : ٦٨
(٣) الجاثية : ١٩
(٤) النساء : ٩
(٥) يونس : ٢٤
(٦) الكهف : ٤٥

مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »(١) .

* * *

فحسبك أن تقف على ما قاله الحكماء فى هذا(٢) : وهو أن الله تعالى انما شبه الدنيا بالماء ، لأن الماء لا يستقر فى موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد ، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى . ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها ، ولأن الماء اذا كان بقدر كان نافعا منبتا ، واذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا ، كذلك الدنيا الكفاف منها بنفع وفضولها يضر ، وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل : يا رسول الله .. انى أريد أن أكون من الفائزين ، فقال : « ذر الدنيا وخذ منها كالماء الراكد فان القليل منها يكفى والكثير منها يطغى » .

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أشار فى الآية الأخيرة الى أن الدنيا : لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر فى الأموال والأولاد .

فالمعنى كما قال بعض المتأخرين(٣) : أن الدنيا « لعب » كلعب الصبيان ، « ولهو » كلهو الفتيان ، « وزينة » كزينة النساء ، « وتفاخر » كتفاخر الأقران ، « وتكاثر » كتكاثر الدهقان(٤) .

وقيل : المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء فى الزوال والفناء .

وعن على رضى الله عنه قال لعمار : لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج(٥)

---

(١) الحديد : ٢٠ — (٢) القرطبى جـ ٥ ص ٤٠٢٩

(٣) القرطبى جـ ٧ ص ٦٤٢٥

(٤) دهقن الرجل وتدهقن أى : كثر ماله .

(٥) الديباج : أى الحرير .

وهو من نسج دودة ، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال ، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال فى مبال ، والله ان المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها اهـ.(١) •

❋ ❋ ❋

وإذا كان هذا هو مثل الدنيا فقد شبهت كذلك :

بالظل المرتحل الذى لابد من زواله ، وقد ورد فى هذا المعنى عن الحسن رحمه الله أنه قال :

أحلام نوم أو كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع

كما كان الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما يتمثل كثيرا بهذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترار بظل زائل حمق

ويقال ان أعرابيا نزل بقوم ، فقدموا اليه طعاما ، فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فانتبه ثم قام وهو يقول :

ألا انما الدنيا كظل ثنية ولابد يوما أن ظلك زائل

وحول هذا المعنى يقول أحدهم :

وما دنياك الا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

وبخيالات المنام وأضغاث الأحلام : وقد قال فى هذا يونس بن عبيد : ما شبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نائم ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك اذ انتبه ، فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فاذا ليس بأيديهم شىء مما ركنوا اليه ، وفرحوا به ، وقد سئل أحدهم : أى شىء أشبه بالدنيا ؟ فقال : أحلام النائم •

وبامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم •

وقد روى فى هذا : أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ، فرآها فى صورة عجوز هتماء ، عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت • فقال عيسى عليه السلام : بؤسا لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ؟ كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر ؟

---

(١) القرطبى جـ ٧ ص ٦٤٢٥

وبالعجوز المتزينة التى تخدع الناس بظاهرها ، فاذا ما وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، تمثل لهم قبائحها ، فندموا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها •

وقد ورد فى هذا عن العلاء بن زياد أنه قال : رأيت فى المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد ، وعليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها معجبون ، ينظرون اليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها ، واقبالهم عليها • فقلت لها : ويلك •• من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفنى ؟ قلت : لا أدرى من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا • قلت : أعوذ بالله من شرك • قالت : ان أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم •

وقال أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون ، فلما كانت بحذائى أقبلت على فقالت : لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ، ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم الى بغداد •

وبالحية ، فى لين موردها ، وخشونة مصدرها :

وقد ورد فى هذا : أن عليا رضى الله عنه كتب الى سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول له : مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسها ، ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها ، لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ، بما أيقنت من فراقها ، وكن أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها ، فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه ، والسـلام •

وبالماشى فى المـاء ، فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيهـا :

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى المـاء ، هل يستطيع الذى يمشى فى المـاء أن لا تبتل قدماه »(١) •

وهذا مثل الجهلاء الذين ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن •

بأيديهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان(١) .

وبشارب ماء البحر ، فى علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك .

وفى هذا يقول عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا حتى يقتله .

وبشهوات الأطعمة فى المعدة ، فى نضارة أوائلها ، وخبث عواقبها :

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم والى قدحه وملحه الى ما يصير »(٢) .

وقال الحسن : رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم . وقد قال الله عز وجل : « **فلينظر الانسان الى طعامه** »(٣) . قال ابن عباس : أى الى جيفه .

وقال رجل لابن عمر : انى أريد أن أسألك وأستحى . قال : فلا تستح واسأل ، قال : اذا قضى أحدنا حاجته ، فقام ينظر الى ذلك منه ؟ قال : نعم ، ان الملك يقول له : انظر الى ما بخلت به ، انظر الى ماذا صار .

وكان بشر بن كعب يقول : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم الى مزبلة ، فيقول : انظروا الى ثمارهم ودجاجهم ، وعسلهم وسمنهم .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى لا تغتر بالدنيا التى عرفت حقيقتها ، واعمل على احكام سفينتك بصورة تمكنها من مواجهة عواصف هذه الحياة بما فيها من أخطار وأوزار .

وحسبك حتى تؤسس سفينتك تأسيسا متينا كسفينة نوح عليه السلام ، حسبك أن تلتزم بنصيحة لقمان الحكيم لولده التى قال فيها — كما عرفت — بعد قوله : « يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير » :

---

(١) هكذا قال صاحب « الاحياء » رحمه الله .

(٢) رواه الطبرانى وابن حبان بلفظ : (انّ مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا) ورواه عبد الله بن احمد فى زيادته بلفظ : (جعل) .

(٣) عبس : ٢٤

قال بعد ذلك : « فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الايمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا » .

* * *

وحتى تدرك أهمية هذا الكلام وضرورة العمل على تنفيذه بكل دقة واصرار ، اليك هذه الاشارات التى أرجو أن تكون دائما وأبدا متربعة على قلبك ، لعلك تنجو :

الايمان بالله تعالى هو : اعتقاد وجوده سبحانه وتعالى متصفا بكل كمال يليق بجلاله ، منزها عن كل نقص ، وأنه قادر على ايجاد الممكن واعدامه .

والتصديق والاذعان بأن كل ما قدره الله فى الأزل لابد من وقوعه وما لم يقدر يستحيل وقوعه ، وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق .

وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره .

وأنه تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الوارد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وكذلك من الايمان : أن تؤمن بوجود الملائكة ، وأنهم مكرمون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وأن تصدق بأن لله كتبا أنزلها على بعض رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، منها :

القرآن وهو أفضلها أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والانجيل على سيدنا عيسى ، والتوراة أنزلت على سيدنا موسى ، والزبور أنزل على سيدنا داوود ، وصحف سيدنا ابراهيم وموسى عليهم جميعا الصلاة والسلام .

وأن تؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلا من البشر مبشرين الطائعين بالجنة ، ومنذرين المخالفين بالعذاب الأليم ، متصفين بما يليق بهم من صدق وتبليغ وفطانة ، وما لا يؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية

ولا الى نفرة الناس عنهم ، متنزهين عما لا يليق بمقامهم من كذب وخيانة وكتمان وبلادة .

وأن تؤمن كذلك باليوم الآخر : وهو يوم القيامة الذى أوله من الموت أو البعث ، وبما اشتمل عليه من سؤال القبر وعذابه ونعيمه وبعث وحشر وميزان ونشر كتب الأعمال وتعليقها فى الأعناق وأخذها باليمين لقوم والشمال لآخرين وقراءة كل كتابه ، وما الى ذلك(١) .

وهذا هو ما أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الايمان وكان السائل هو سيدنا جبريل عليه السلام فقال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »(٢) .

* * *

والذى يعنينا الآن بعد هذا ، التركيز الموضوعى عن الايمان جملة : هو الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى ايمانا راسخا لا تزلزله الأحداث ، ولا تؤثر فيه بوادر الالحاد ، وانما يظل صامدا بكل اعتزاز وافتخار فى مواجهة الملاحدة والمنحرفين عن طريق الحق « **حتى يتبين لهم أنه الحق** » وأنه سبحانه وتعالى خالق الوجود ، والملك الحق المعبود ، الذى يقول وقوله الحق : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** »(٣) .

* * *

وحسبى ونحن فى صدد الحديث عن وجود الله سبحانه وتعالى ، أن نقرأ سويا هذه الأدلة المنطقية والعقلية على وجوده سبحانه وتعالى ، التى تحكى(٤) :

أن جعفر الصادق رضى الله عنه جادله بعض الزنادقة فى وجود الله ، فقال جعفر للزنديق المجادل :

---

(١) اقرأ كل هذا تفصيلا فى الجزء الاول من « الدين الخالص » .

(٢) من حديث أخرجه مسلم وابو داوود والنسائى .

(٣) فصلت : ٥٣

(٤) التى ذكرها صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتاب « الايمان والمؤمنون » بتصرف .

هل ركبت البحر ؟ قال : نعم ، قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : بلى .. هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ، ثم ذهب عنى اللوح ، فاذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت الى الساحل . فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ، ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة . قال جعفر : ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل .

فقال جعفر : ان الله هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وقد أقر به قلبك عند الشدة ، وان أنكره لسانك عند النجاة ، وهو الذى أنجاك من الغرق ، قال تعالى : « **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا** »[1]

فأسلم الزنديق ، وحسن ايمانه بالله .

وان أبا حنيفة رضى الله عنه ، وقد كان سيفا مصلتا على على طائفة الدهرية الذى هجموا عليه ذات يوم فى المسجد على حين غفلة منه ليفتكوا به ، ويستريحوا منه ، فقال لهم فى ثبات وايمان :

أجيبونى عن مسألة ، ثم افعلوا بى ما شئتم .. قالوا : سل ، فقال : ما تقولون فى رجل يقول لكم : انى رأيت سفينة مشحونة بأحمال ، مملوءة بأثقال ، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله .. اذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع ولا موجد ؟

فبهتوا جميعا ، وقالوا : صدقت ، ثم أسلموا وانصرفوا تائبين .

وبمثل هذا الأسلوب المقنع المفحم يقول الدكتور دراز رحمه الله :

قدر فى ذهنك بيتا منسق البنيان فاخر الأثاث والرياش ، قائما على جبل مرتفع ، تكتنفه غابة كثيفة ، وقدر أن رجلا جاء الى هذا البيت ،

---

(١) الاسراء : ٦٧

فلم يجد فيه ولا حوله ديارا ولا نافخ نار ، فحدثته نفسه بأنه عسى أن تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها ، ثم تجمع ما تناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع بما فيه من مخادع ومقاصير ، وأبهاء ومرافق ، وأن تكون أشجار الغابة قد تشققت بنفسها ألواحا ، وتركبت أبوابا وسورا ، ومقاعد ومناضد ثم أخذ كل منها مكانه فيه ، وأن تكون خيوط النبات وأصواف الحيوان وأوباره ، قد تحولت بنفسها أنسجة موشاة ، ثم تقطعت طنافس ووسائد وزرابى ، فانبثت فى حجراته ، واستقرت على أرائكه ، وأن المصابيح جعلت تهوى اليه بنفسها من كل مكان ، فتثبتت فى سقفه زرافات ووحدانا .

ألست تحكم بأن هذا حلم نائم ، أو حديث خرافة ، قد أصيب صاحبه باختلاط فى عقله ؟ فما ظنك بقصر : السماء سقفه والأرض قراره ، والجبال أعمدته ، والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحه ، أيكون فى حكم العقل أهون شيئا من ذلك البيت الصغير ، أو لا يكون أحق بلفت النظر الى بارىء مصور ، حى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وصدق الله القائل : « **قل انظـروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** »(١) .

وأن الامام الشافعى رضى الله عنه سئل : ما دليلك على وجود الصانع ؟ فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد ، ولكن : تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسيم(٢) ، والنحل فيخرج منها العسـل ، والشـاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى نوافجها المسك ، فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات ، والغذاء واحد ؟

انه الله سبحانه .

وأن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : شبه كيفية الخلق ، بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الابريز ، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير ، قال : أفيحدث هذا من ذاك بلا صانع ؟

وعنى بالقلعة البيضة ، وبالحيوان الفرخ ، وبالفضـة البياض ،

---

(١) يونس : ١٠١ . (٢) وهو الحرير .

وبالذهب الصفار ، وكيف خلق منها حيوان (وهو الكتكوت) يسمع ويبصر ويغدو ويروح •

* * *

فاذا كان هؤلاء الأفاضل أخا الاسلام قد استطاعوا بنور من الله سبحانه وتعالى : أن يقنعوا الزنادقة بضرورة وجود الله بهذا الأسلوب الواضح الذى ليس عسيرا على أصحاب العقول السليمة التى لم (يعشش) فيها الشيطان الرجيم بأفكاره ، وأوزاره ، فانك تستطيع أنت كذلك التأكد من وجود الله بمجرد التأمل فى أصغر مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، فضلا عن مخلوقاته العديدة التى لا تحصى ولا تعد والتى لا تبصر ولا تعرف منها أو عنها غير القليل •

* * *

وحسبك أن تتأمل مثلا فى نملة صغيرة خرجت من جحرها باحثة عن قوتها ، تأمل فيها ثم تساءل : كيف ترى هذه النملة ، وكيف تتحرك وهل لها أمعاء ؟ ثم تابعها بعد ذلك بنظراتك حتى تصل الى قوتها الذى ستحمله بعد ذلك وهو أكبر منها ربما بمرة أو مرتين ، أو أكثر • وعندما ستعجز عن حمله ستراها تعود بعد ذلك الى جحرها دون أن تضل الطريق لكى تجتمع هناك بأهلها وتخبرهم بخبر هذا القوت الذى عجزت عن حمله ، ثم ستراها تخرج بعد ذلك من جحرها وهى تقود (طابورا) طويلا من النمل الى مكان القوت الذى سيحملونه جميعا بالتناوب كما تحمل الجنازة الى أن يصلوا به الى مخازنهم •

وهناك — كما يقولون — تقوم هذه النملة قبل تخزين هذا القوت : بفلق حبة القمح فلقتين ، لأنها لو تركت كما هى لنبتت ، كما تقوم بفلق حبة الكزبرة أربع فلقات ، لأنها لو فلقت فلقتين لنبتت •

من الذى علمها كل هذا ؟ انه الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا ، و « **الذى خلق فسوى • والذى قدر فهدى • والذى أخرج المرعى • فجعله غثاء أحوى** »(١) ، والذى تتجلى عظمته فى كل شىء خلقه سواء أكان هذا فى اختلاف الليل والنهار ، والبحار والأنهار ، والجماد والحيوان ، والملائكة والجن

---

(١) الأعلى : ٢ ــ ٥

والانسان ، والثمار والنبات المختلفة المذاق والألوان ، وما خلق فى السماء من كواكب سيارة ، وغير سيارة ... الى آخر ذلك : من تفريق ملكه واعطاء كل ذى حق حقه دون نقص أو نسيان ، واحاطته بكل شيء علما ، واحصاءه كل شيء عددا ... سبحانه ، سبحانه

* * *

بل وحسبك كذلك أن تتأمل فى نفسك تنفيذا لاشارة الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون** »(١) ثم تتساءل مثلا وأنت تقف أمام المرآة مخاطبا نفسك ومشيرا الى جارحة من جوارحك الملموسة والتى أمامك على صفحة الوجه الذى أبدع الله صنعه وتصويره : كيف ترى هذه العين ؟ كيف تسمع هذه الأذن ؟ كيف يشم هذا الأنف ؟ كيف يتكلم هذا اللسان ، وكيف يحكم على مذاق الأطعمة مع اختلاف الأصناف والأشكال والألوان ؟ وكيف تطحن هذه الأسنان ؟ وكيف يصل الطعام الى المعدة ؟ ثم كيف تقوم المعدة بهضم هذا الطعام وتوزيع خلاصته على كل عضو من أعضاء الجسد دون جور أو تأخير ، وكيف تلفظ المعدة بعد ذلك ما تبقى من فضلات ، وكيف يحدث هذا ، وهل هناك صنبور يفتح ، وما الذى كان يحدث لو لم يحدث هذا ... ؟ ثم تذكر وأنت تفكر فى هذا الموضوع الأخير بالذات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد خروجه من الخلاء(٢) — برجله اليمنى — : « الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى »(٣) .

« الحمد لله الذى أذاقنى لذته ، وأبقى فى قوته ، وأذهب عنى أذاه ، اللهم حصن فرجى ، وطهر قلبى ، ومحص ذنوبى »(٤) .

مع ملاحظة أنه كان قبل أن يدخل الخلاء — برجله اليسرى — يقول : « بسم الله ، اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث »(٥) .

---

(١) الذاريات : ٢١ (٢) أى المرحاض .

(٣) روى من طرق ضعيفة تقوى بعضها بعضا .

(٤) الخبث : بضم الباء جمع خبيث ، والخبائث جمع خبيثة ، والمراد ذكران الشياطين واناثهم .

(٥) رواه مالك واحمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ثم بعد ذلك عد الى الوجه ، وتساءل : لماذا لا يطول شعر الرمش والحاجب كما يطول شعر اللحية والشارب ؟ ولماذا ينبته الشعر فى مكان ثم لا ينبت فى مكان ؟ ولماذا لا ينبت الشعر فى داخل العينين أو فى داخل الفم ؟ وما الذى كان يحدث لو حدث هذا ... ؟

* * *

ثم قل وأنت تسجد شكرا لله الذى خلقك : « ... فى أحسن تقويم »(١) : « ... فتبارك الله أحسن الخالقين »(٢) .

* * *

ثم تساءل كذلك مع هذا الرجل المفكر(٣) :

يد من التى امتدت الى سنبلة القمح فغلفت حياتها حتى لا تتساقط فى ورق غضروفى لا يحمل بللا ، وحصن كل حبة بشوكة حتى لا تكون غذاء للطير ، وهى مقدرة أن تكون غذاء للانسان .. ؟ ! ولو أنصت المخلصون لسمعوا كل ذرة من دقيقها تقول : سبحان من جعلنى طعاما لفلان .

ويد من التى امتدت الى « كوز » الذرة فصفت حباته صفا متقنا ، وثبتتها فى « قولحته » وحاطتها بأغلفة متعددة تحفظها ، ومنحتها هواء بواسطة أنابيب دقيقة « الشراية » ؟ !

ويد من التى امتدت الى عين الانسان فجعلتها فى علبة منخفضة من العظم لئلا تتعرض للتلف والمهالك ، وظللتها برموش تدفع معاكسة ضوء الشمس لها ، وحاطتها بأهداب تمنع تساقط العرق فيها ، وغطتها بأجفان . وجعلت لها ماء ملحا « الدموع » حولها لئلا يلحقها النتن ؟

ويد من التى جعلت ماء الأذن مرا لئلا تتسرب الحشرات اليها والانسان نائم ، وجعلت ريق الفم عذبا مع أن الماء الذى نشربه واحد ؟ !

ويد من التى امتدت الى مفاصل الجسم فجعلت لكل مفصل قطعة شحم تسهل حركته بقدر معلوم ؟ !

---

(١) التين : ٤ ـ بلفظ : « لقد خلقنا الانسان ... » .

(٢) المؤمنون : ١٤

(٣) وهو صاحب كتاب « للكون اله » أثابه الله .

ويد من التى أتقنت لسان المزمار « البلعوم » بحيث يسد قصبة الهواء عند دخول الطعام والشراب ، ويسد مسلك الطعام عند دخول النفس ؟

ويد من التى جعلت اللسان عند خروج الهواء من الجوف يضغط عليه فى جوانب الفم فينتج صفيرا وهذا الصفير يكون كلاما منظما يعبر عما فى الضمير من معان وخواطر ؟

وأى جهـــاز وضع فى الأنف حتى يميز بين الرائحتين الطيبة والخبيثة ؟ !

وأى جهاز وضع فى الأذن حتى يميز بين الأصوات المتعددة وهى قطعة من اللحم ؟

* * *

نعم أخا الاسلام :

ذاك : « هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس الســلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »(١) ، « الذى خلقك فسواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ركبك »(٢) ، والــذى « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون »(٣) •

* * *

فكن مؤمنا به ايمــانا خالصــا حتى تكون من المؤمنين الذين : « آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون »(٤) الــذين : « رضى الله عنهم ورضوا عنه »(٥) •

* * *

---

(١) الحشر : ٢٢ ــ ٢٤ (٢) الانفطار : ٧ ، ٨

(٣) مريم : ٣٥

(٤) الحجرات : ١٥ بلفظ : « انما المؤمنون الذين ••• » •

(٥) البينة : ٨

واعلم أن ايمانك بالله على هذا النحو الذى وقفت عليه سيجعل سفينتك محصنة ضد جميع الأخطار التى كثيرا ما عصفت بآلاف السفن الضعيفة الهزيلة التي لا تحمل فى طياتها وخلف ألواحها غير الشحنات الرخيصة والخسيسة التى كانت ولا تزال موضع سخط وتحذير من جانب المؤمنين العاملين الذين أنار الله أبصارهم فعرفوا كيف يشقون البحار الى الله سبحانه بسفنهم القوية المزودة بأعظم قوة وأغلى عتاد وهو : الايمان بالله القوى العزيز الذى يقول وقوله الحق : « **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** »(١) •

وأما عن التوكل على الله تعالى : فهو شرط من أهم شروط الايمان بالله ، بدليل قوله تعالى : « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** »(٢) •

وقوله : « **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** »(٣) •

وهو بايجاز : الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر الى الله سبحانه وتعالى •

ولهذا كان من الايمان أن تعتمد اعتمادا كليا على الله سبحانه وتعالى مع اعتقادك الجازم بأنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنفعك أو تضرك الا بارادة الله سبحانه وتعالى •

مع ضرورة الأخذ ـ كما عرفت ـ بالأسباب التى أمرت بها فى قول الله تبارك وتعالى : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »(٤) •

وقوله : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »(٥) •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على أن يكون شراع سفينتك مصنوعا من نسيج التوكل على الله تعالى لعلك تنجو •

* * *

---

(١) التغابن : ١١

(٢) آل عمران : ١٢٢ ، ١٦٠ ، المائدة : ١١ ، التوبة : ٥١ ، المجادلة : ١٠ ، التغابن : ١٣

(٣) المائدة : ٢٣

(٤) الملك : ١٥

(٥) الجمعة : ١٠

* (واستكثر الزاد فان السفر طويل) :

وحتى تدرك أهمية هذا النصح المحمدى الحيوى : حسبك أن تفكر فى هذا المعنى الكبير الذى تنطوى عليه كلمة « زاد » ، « سفر » فلسوف ترى بعد تفكير ناضج أن الزاد المشار اليه ليس هو الذى تعرفه وتتفانى فى جمعه وتحصيله دون أن تتحرى مصادره حتى أصبحنا — أو أغلبنا — من الذين : « **يأكلون فى بطونهم نارا ...** »(١) . ثم يكون بعد ذلك خراءة(٢) .

* * *

وانما هو الزاد الحقيقى الذى قال الله سبحانه وتعالى مشيرا اليه فى كثير من آياته القرآنية التى منها : « **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »(٣) .

« **وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى** »(٤) .

« **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** »(٥) .

« **أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** »(٦) .

* * *

فالعمل الصالح اذن هو الزاد الذى يجب على كل عاقل أن يتزود به قبل انتقاله من عالم العمل الى عالم الحساب ، وقبل أن يقول : ما أشار اليه الله سبحانه وتعالى فى قوله : «**حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ(٧) الى يوم يبعثون . فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك**

---

(١) النساء : ١٠

(٢) الخراءة ، هى العذرة كما جاء فى حديث عبد الرحمن بن زيد الذى رواه مسلم وأبو داوود والترمذى .

(٣) النحل : ٩٧

(٤) الكهف : ٨٨

(٥) الكهف : ٣٠

(٦) فصلت : ٨ — وغير ممنون : أى غير مقطوع .

(٧) قال فى مختار الصحاح : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، وهو أيضا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون »(١) •

* * *

وهكذا كما ترى فى هذه الآيات البينات ، سيكون الموقف حرجا جدا من أول لحظات الانتقال الى العالم الآخر اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفعه : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا »(٢) •

* * *

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال له رجل من الأنصار : « يا نبى الله •• من أكيس الناس وأحزم الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »(٣) •

* * *

فالعاقل اذن هو الذى يقدم لنفسه من الأعمال الصالحة ما ينفعه من أول مراحل سفره الذى يبدأ من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة ، ولا سيما فى حياة البرزخ التى كما عرفت هى الفترة التى بيت الموت والبعث ، التى قد تطول وتطول لمئات أو آلاف أو ملايين السنين التى ستحتاج فيها الى زاد كاف ينير لك قبرك ويؤنسك فى وحدتك ، ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة ، لا حفرة من حفر النار ، كما يشير الحديث الشريف الذى روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فجلس الى قبر منها فقال : « ما يأتى على هذا القبر يوم الا وهو ينادى بصوت ذلق(٤) طلق : يا ابن آدم •• نسيتنى ، ألم تعلم(٥) أنى بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الدود ،

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٣ (٢) آل عمران : ٣٠

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى الصغير باسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد •

(٤) الذلق : الذى فيه حدة ، والطلق : الفصيح العذب المنطق •

(٥) وفى رواية : (أما تعلم) •

وبيت الضيق الا من وسعنى الله عليه »(١) ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النـــار »(٢) .

* * *

فاذا كان العمل الصالح هو الزاد الذى ستحتاج اليه فى سفرك الطويل الى الله سبحانه وتعالى ، فحسبك أن تعلم حتى تدرك أهميته : أنك تغذى جسدك الفانى ثلاث مرات(٣) ، وتغذى روحك خمس مرات(٤) يوميا ، وهذا دليل على أن مدة الروح أطول من مدة الجسد فى عالم كل منهما .

* * *

ولمـــا كانت الأعمال الصالحة لا حصر لها ولا حد كذلك لنتائجها من فضل الله تعالى وبركته ونفحاته ، فقد رأيت أن تقف على كل هذا بنفسك من خلال هذه الآيات القرآنية التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٥) .

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير »(٦) .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المـــال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل(٧) والسائلين وفى

---

(١) وهو المؤمن لأنه يفسح له قبره ، وينور له فيه .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) أى عندما تتناول طعام الافطار والغداء والعشاء يوميا .

(٤) أى بأدائك لصلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، بخلاف النـــوافل .

(٥) البقرة : ١ ـ ٥

(٦) البقرة : ١١٠

(٧) أى المسافر .

الرقاب[1] وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأســاء[2] والضراء[3] وحين البأس[4] ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »[5] .

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم »[6] .

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم »[7] .

* * *

وهذه الأحاديث الشريفة التى يؤكد فيها الحبيب صلوات الله وسلامه عليه أهمية الاكثار من أعمال البر المتعددة التى وقفت على أهمها فى الآيات القرآنية السابقة والتى يشير اليها المصطفى صلى الله عليه وسلم والى غيرها فيقول :

عن أبى ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الايمان بالله ، والجهاد فى سبيله » قلت : أى الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا » قلت : فان لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعا أو تصنع لأخرق » قلت : يا رسول الله .. أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ، فانها صدقة منك على نفسك »[8] .

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن »[9] .

---

(١) اى فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم .

(٢) كل ما يصيب الانسان فى غير نفسه كفقد ولد او مال .

(٣) ما يصيب الانسان فى نفسه كالمرض .

(٤) المراد به هنا شدة القتال .

(٥) البقرة : ١٧٧

(٦) البقرة : ٢١٨

(٧) آل عمران : ٩٢

(٨) متفق عليه .

(٩) رواه مسلم .

وعنه أيضـــا : أن ناسا قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور(١) بالأجور يصـــلون كما نصلى ، ويصومون كما نصـــوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لـــكم ما تصدقون به ؟ ان بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر »(٢) .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين »(٣) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف ــ أو الخير ــ » قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة »(٤) .

* * *

فسارع أخا الاسلام الى الله سبحانه وتعالى بهذه الخيرات التى وقفت عليها فى آيات الله وأحاديث رسوله ، واستكثر منها قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى لا زلت تعيش فيها الى هذه اللحظة التى تقرأ فيها هذه السطور وهى : تواجدك فى عالم الأشباح قبل انتقالك الى عالم الأرواح .

و : « لا تحقرن من المعروف شـــيئا ولو أن أن تلقى أخاك بوجه طليق »(٥) .

واعلم أنه اذا كان فعل الطاعات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها ، والتى رغب فى فعلها حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : هى

---

(١) الدثور : أى الأموال .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم عن ابى ذر بلفظ : (قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ..) .

الأعمال الصالحة التى يجب عليك أن تتزود بها وتكثر من فعلها والتقرب الى الله بها : فكذلك البعد عن كل شيء نهى الله سبحانه وتعالى عنه فى كتابه ، وعلى لسان حبيبه صلى الله عليه وسلم : يعتبر كذلك من الاعمال الصالحة التى ستكافأ عليها يوم القيامه : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »(١) ولعلك لاحظت هذا فى الحديث الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهايته : « ... يمسك عن الشر فانها صدقة » .

* * *

وحسبى فى نهاية هذا العنصر الحيوى الذى تبين لك من خلال عرضه ضرورة الاستكثار من الزاد الحقيقى لهذا السفر الطويل الذى قد تحتاج فيه الى القناطير المقنطرة من الحسنات التى بها تستطيع الوصول الى موقف الحساب بسلام وأمان : حسبى أن أسوق اليك هذين الأثرين اللذين سترى من خلالهما كذلك أهمية الزاد ليوم المعاد :

روى أن أبا الدرداء رضى الله عنه ـــ وقد كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تتلمذوا على يديه ـــ : « وقف ذات يوم أمام الكعبة ، ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم ، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

وروى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله ـــ وقد كان من أساتذة العلم النافع ـــ سئل : لم زهدت فى الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث : الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد ، والثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس ، والثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

وتأمل قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم   لهم زاد وأنت بغير زاد

* * *

---

(١) النبأ : ٤٠

❋ (وخفف ظهرك فان العقبة(١) كؤود)(٢) :

ولعل المراد بهذا التوجيه المحمدي هو :

أن تعمل قبل رحيلك الى العالم الآخر على اعطاء كل ذى حق حقه حتى لا تتعرض للخيبة التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله : « **وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما** »(٣)

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »(٤) .

وعن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قسم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد .. فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت الى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر — ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه ، فقال — : اللهم هل بلغت » ؟

❋ ❋ ❋

ولعل المراد هو : أداء الفرائض التى ائتمنك الله عليها .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** »(٥) .

---

(١) العقبة : المرقى الصعب ، الطريق فى أعلى الجبال .

(٢) كؤود : شاقة المصعد صعبة المرتقى .

(٣) طه : ١١١

(٤) متفق عليه .

(٥) الأحزاب : ٧٢

وقد روى عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى لآدم : يا آدم .. انى عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها ، فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : وما فيها يا رب ؟ قال : ان حملتها أجرت ، وان ضيعتها عذبت ، فاحتملها بما فيها .. فلم يلبث فى الجنة الا قدر ما بين صلاة الأولى الى العصر حتى أخرجه الشيطان منها »(١) .

ولعل المراد هو : اذاية المؤمنين والمؤمنات بالأفعال والأقوال القبيحة ، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلف . والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** »(٢) .

وقوله : « **ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا** »(٣) .

* * *

وحسبى كذلك فى ختامه أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « أما بعد أيها الناس .. فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو .. فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه . ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه . ألا وان الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى . ألا وان أحبكم الى من أخذ منى حقا ان كان له ، أو أحلنى منه فلقيت الله وأنا طيب النفس ، وقد أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا » .

قال الفضل : ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها .

فقام رجل فقال : يا رسول الله .. ان لى عندك ثلاثة دراهم . فقال : أعطه يا فضل .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس .. من كان عنده شىء فليؤده ، ولا يقل فضوح الدنيا .. ألا وان فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة » .

---

(١) رواه الترمذى . (٢) الأحزاب : ٥٨ .
(٣) النساء : ١١٢

فقام رجل فقال : يا رسول الله .. عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله . قال : « ولم غللتها » ؟ قال : كنت اليها محتاجا . قال : « خذها منه يا فضل » .

ثم قال : « أيهـا النـاس .. من خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له » فقام رجل فقال : يا رسول الله .. انى لكذاب ، انى لفاحش ، انى لنؤوم .. فقال النبى : « اللهم ارزقه صدقا وايمانا وأذهب عنه النوم » .

ثم قام رجل آخر فقال : والله يا رسول الله .. انى لكذاب ، وانى لمنافق ، وما من شىء الا قد جنيته .

فقام عمر بن الخطاب فقال له : فضحت نفسك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا ابن الخطاب .. فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . اللهم ارزقه صدقا وايمانا وصير أمره الى خير »(١) .

* * *

* (وأخلص العمل فان الناقد بصير) :

وحسبك اذا أردت أن تحقق هذا الذى يوصيك به الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى :

« ... والله بصير بما يعملون »(٢) .

وقوله : « ... ولا تطغوا ، انه بما تعملون بصير »(٣) .

وقوله : « ... واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير »(٤) .

وقوله : « ... إن الله بعباده لخبير بصير »(٥) .

وقوله : « ... وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير »(٦)

وذلك حتى تظل مراقبا لله سبحانه وتعالى على الدوام ، فى جميع أعمالك الدنيوية والأخروية .

* * *

---

(١) من كتاب « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى (باب الرفيق الأعلى) .

(٢) البقرة : ٩٦

(٣) هود : ١١٢

(٤) سبأ : ١١

(٥) فاطر : ٣١

(٦) الحديد : ٤

وحتى يتحقق من جانبك الاحسان الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »(١) .

* * *

ولكى يتحقق هذا الهدف الأسمى باخلاص : لابد وأن يكون هناك حياء من الله سبحانه وتعالى بصورة تجعلك ملتزما بالأخلاقيات الكريمة التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها كما أشار الى ذلك فى قوله : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٢) . وحسبك حتى تدرك أهمية الحياء أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله »(٣) .

وقوله : « ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء »(٤) .

وقوله : « الحياء والايمان قرناء جميعا ، اذا رفع أحدهما رفع الآخر »(٥) .

* * *

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .
(٢) رواه مالك .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مالك .
(٥) رواه الحاكم .

الوصية الثانية والثلاثون

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة » .

(اخرجه احمد والبخارى والنسائى والحاكم وابن ماجه)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التى يوصيك فيها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بما يؤهلك لشق طريقك الى الله سبحانه وتعالى قويا عزيزا موفور الصحة مستور الجسد دون اسراف ولا مخيلة[1] . حتى اذا ما انتقلت من هذا العالم الفانى الى العالم الآخر الباقى كنت سعيدا هناك بما قدمت من أعمال صالحة تقربت بها الى الله سبحانه وتعالى فى دنياك شكرا له سبحانه وتعالى على ما أعطاك وأولاك .

وحتى يتضح لك كل هذا ، تعال معى نستعرض سويا فقرات هذه الوصية الحيوية التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه حسب ترتيبها :

* (كلوا واشربوا) :

والأكل والشرب عنصران أساسيان فى تكوين الجسد الانسانى ، وفى استمرار هذا الوجود الانسانى فضلا عن غيره من الحيوانات الأخرى والطيور الى غير ذلك من المخلوقات التى لا يعلمها الا الله ، باستثناء الملائكة[2] فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، وقد خلقوا من نور .

---

(١) مخيلة كعظيمة : المراد بها الكبر .

(٢) وقد تعمدت اشارة الى هذا حتى لا يقال : فلان نائم مع الملائكة ياكل ارزا كما يقول الجهلاء بهذا .

وقد ورد فى هذا :

عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالوا : ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم فجعلتهم يأكلون الطعــام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويأتون النساء ، ويركبون الدواب ، وينامون ويستريحون ، ولم تجعل لنا من ذلك شيئا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له : كن فكان »[1] .

وعن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالت : يا ربنا •• أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون ويشربون ويركبون ويلبسون • ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة • قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له : كن فكان »[2] .

وعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج[3] من نار ، وخلق آدم مما وصف لــكم »[4] .

وهم كما وصفهم الله تعالى فى قرآنه : **« عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »**[5] .

واذا كانوا قد : **« ••• قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الــدماء »**[6] عندما أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه سيخلق آدم عليه السلام فقــال مخاطبا اياهم : **« انى جاعــل فى الأرض خليفة »**[7] فان قولهم السابق ما كان غيبة أو اعتراضا ، وانما تعجبا واستفسارا لعدم علمهم بحكمة خلقه .

وكذلك بالنسبة لهاروت وماروت وتعليمهم الناس السحر ، على القول بأنهما من الملائكة ، فقد كان هذا ابتلاء من الله عز وجل لئلا يغتر أحد بعمل المبطلين ، وذلك : لأن السحرة كثرت فى ذلك الزمان الذى ادعى فيه بعضهم النبوة ، ولهذا بعث الله هذين الملكين ليعلما الناس

---

(١) اخرجه ابن عساكر .
(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير .
(٣) المــارج : لهب النار الخالص من الدخان .
(٤) اخرجه احمد ومسلم .
(٥) الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧
(٦) البقرة : ٣٠
(٧) البقرة : ٣٠

السحر حتى يتمكنوا من معارضة الكذابين ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : « **وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر** »[١] .

وقد قال العلماء : من عمل منه[٢] واعتقد حقيقته كفر ، ومن توقى عن العمل به ، واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله : بقى على الايمان ولا يكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به[٣] .

* * *

واذا كان الطعام والشراب ـــ كما عرفت ـــ هو اكسير الحياة الأولى بنسب ومواد معينة :

كالكالسيوم والفوسفور : اللذين يدخلان فى تركيب الهيكل العظمى والأسنان .

والحديد : الذى يدخل فى تركيب الدم ، مثلا .

والبروتينات : التى تصنع منها الأنسجة الأخرى كالعضلات ، والجلد .

والفيتامينات : التى تعمل فى بناء أنسجة الجسم وتساعد على القيام بوظائفها وتعمل على سلامتها ووقايتها من الأمراض :

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل هذه الاحتياجات التى يتكون منها الجسم البشرى القوى ، بايجاد كل هذه المواد المشار اليها فى خمس مجموعات أساسية للغذاء الصحى ، يستطيع كل انسان أن يحصل عليها حسب قدرته المادية بالنسبة لكل نوع من الأنواع الخمس الآتية :

المجموعة الأولى

(أ) خضروات نيئة مثل : الفجل ، الجرجير ، البصل الأخضر ، الكبر[٤] ، الجعضيض ، البقدونس ، الشيكوريا ، الحلبة الخضراء ، الفلفل الأخضر ، الخس ، البنجر ، الجزر الأصفر ، الطماطم .

(ب) خضروات مطبوخة مثل : الملوخية ، الخبيزة ، السبانخ ،

---

(١) البقرة : ١٠٢ (٢) اى السحر .

(٣) راجع موضوع الملائكة بالتفصيل اذا اردت فى الجزء الأول من « الدين الخالص » صفحة ٥٦

(٤) الكبر ـــ بفتح الكاف والباء ـــ : نبات معمر من الفصيلة الكبرية ، ينبت طبيعيا ويزرع ، وتؤكل جذوره وسوقه مملحة ، وتستعمل جذوره فى الطب .

الكرنب ، الباذنجان ، القرنبيط ، البقول الخضراء (فاصوليا ، لوبيا خضراء) •

فهذه الخضروات بنوعيها تعتبر مصدرا عاما لفيتامين (أ) اللازم لنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة ، وهى غنية بالحديد اللازم لتكوين كرات الدم الحمراء ، وغنية بالكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات ، والأصناف الخضراء والصفراء منها التى تؤكل نيئة تعتبر كذلك مصدرا هاما لفيتامين (جـ) اللازم لسلامة الأوعية الدموية والأنسجة الضامة ، ونقصه فى الغذاء يؤدى الى مرض الاسقرابوط فيحدث الضعف والهزال ، وألم وورم فى المفاصل ، وورم وادماء اللثة ، وأنزفة وادماء تحت الجلد والأنسجة المختلفة فى الجسم ، كما يسبب تأخير التآم الجروح ، وهذا الفيتامين يتلفه الطبخ والحفظ ، فيجب أن تؤكل الأطعمة طازجة ونيئة بمجرد قطفها ما أمكن •

(جـ) برتقال ، يوسفى ، ليمون ، جريب فروت ، فراولة ، توت ، جوافة ، تين شوكى ، بطيخ ، شمام ، برقوق •

وهذه الفواكه غنية جدا بفيتامين (جـ) الموجود فى الخضروات الطازجة النيئة •

فتناول من هذه المجموعة يوميا نصف كيلو على أن تأكل ربع الكمية خضروات خضراء وصفراء (سلطة) •

مع ملاحظة : أن هذه المجموعة الأولى جعلها الله سبحانه وتعالى فى متناول يدك لضمان الحصول على كمية كافية من الفيتامينات والأملاح المعدنية اللازمة لبناء الجسم ووقايته من الأمراض ، وكذلك كمية مناسبة من الألياف اللازمة لتنشيط الأمعاء ومنع الامساك ، وكذلك المواد القلوية المانعة لحموضة الدم •

المجموعة الثانية

اللبن الحليب[1] ، اللبن الزبادى ، لبن السلطة ، الجبن بأنواعه ، الجبن الجريش ، اللبن البودرة ، جيلاتى باللبن •• الخ •

هذه المجموعة : أهم مصدر للكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات وهى غنية بالبروتين ذى القيمة الحيوية العالية واللازم

---

(١) الذى يكفيك منه كوب واحد ، وللأطفال والمراضع كوبان يوميا •

لبناء الأنسجة وترميمها ، وكذلك فيتامين الريبوفلافين (ب) اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد •

فاذا تعذر الحصول عليها : فعليك بالحلاوة الطحينية والسمسم فهى غنية بالكالسيوم والبروتين •

المجموعة الثالثة

طيور الأكل واللحوم بأنواعها ، البيض ، الأسماك الطازجة والمحفوظة ، البقول : كالفول (الطعمية والبصارة) العدس ، البسلة ، اللوبيا ، الفاصوليا ، السمسم (الطحينة) ، الحمص ، اللب ، الفول السودانى ، الياميش ، واللوز ، وعين الجمل •

هذه المجموعة أهم مصدر للبروتينات اللازمة لبناء الأنسجة وترميمها ومعظمها غنى بالأملاح المعدنية مثل : الحديد اللازم لعمل الدم وبعض الفيتامينات الهامة •

ويكفيك أن تتناول من أى منها : ربع رطل يوميا •

المجموعة الرابعة

الخبز الأسمر ، الفريك ، البليلة ، الدقيق الكامل ، منتجات الدقيق الأبيض المعززة بالفيتامينات والأملاح المعدنية •

هذه المجموعة أهم مصدر لمواد الطاقة والمجهود (الكربوهيدرات) اللازمة للقيام بالعمل الجسمانى ، والخبز الكامل (الأسمر المحتوى على الردة الناعمة) غنى بالحديد ، وفيتامينات مركب (ب) بينما الدقيق الأبيض الفاخر يفتقر اليها : فعليك بالحبوب والخبز الكامل •

وتناول نصف رغيف فى كل وجبة على الأقل •

المجموعة الخامسة

الزبد ، المسلى ، القشدة ، المسلى الصناعى ، الدهون والزيوت المعززة بالفيتامينات (ا ، د) •

هذه المجموعة مصدر هام للمواد الدهنية ، وهى من مواد الطاقة المركزة التى تمد الجسم بالدفء والطاقة اللازمة للمجهود ، وتعتبر مصدرا لفيتامين (أ) أيضا اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة •

تناول من هذه المجموعة ما يعادل معلقتين شوربة يوميا •

فلاحظ كل هذا ، مع ملاحظة كذلك بأنه بحسن الاختيار يمكن انقاص عدد مجموعات هذه الأطعمة الأساسية الى أربع وحتى الى ثلاث :

فالجبن الأبيض أو اللبن مثلا : يمكن أن يقوم مقام المجموعات : الثانية ، الثالثة ، الخامسة •

الطعمية : مقام المجموعة : الثالثة ، الخامسة •

والعسل بالطحينة : مقام المجموعة : الثانية ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، الى حد كبير •

* * *

وبذلك كما رأيت اذا كنت فقيرا ولا تستطيع الحصول لك ولأولادك على المجموعات الخمس السابقة : فانك تستطيع الحصول على وجبات شعبية كاملة ورخيصة مكونة من أربعة ، أو ثلاثة أصناف فقط •

* * *

فاشكر الله سبحانه وتعالى الذى يسر لك كل ما تحتاج اليه من طعام وشراب تتقوى به على أداء رسالتك فى هذه الحياة من أعمال شريفة ، وعبادات مفروضة •

وحسبك حتى تقف على هذه العظمة الالهية التى أخرجت لك هذا الطعام المختلف أشكاله وألوانه ومذاقه ، والذى يسقى بماء واحد أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى الذى يأمرك فيه حتى تكون موحدا : بأن تنظر الى طعامك نظرة عاقل ومفكر ، فيقول سبحانه :

« فلينظر الانسان الى طعامه • أنا صببنا المـاء صبا • ثم شققنا الأرض شقا • فأنبتنا فيها حبا • وعنبا وقضبا[1] • وزيتونا ونخلا • وحدائق غلبا[2] • وفاكهة وأبا[3] • متاعا لكم ولأنعامكم »[4] •

---

(١) يطلق العرب القضب : على كل نبات يقطع بعضه وهو أخضر ليؤكل ، ويخرج مكانه غيره ، كالكرات والنبات المعروف فى مصر بالبرسيم الذى تعلف به الدواب .

(٢) غلبا : جمع غلباء بفتح فسكون : والغلباء هى الحديقة الضخمة الأشجار الملتفة الأغصان .

(٣) أبا : قيل هو المرعى الذى ينبت بدون تدخل زارع من البشر .

(٤) عبس : ٢٤ — ٣٢

ولعلك قد لاحظت فى هذه الآية الأخيرة أن الله سبحانه وتعالى ما أخرج كل هذا من باطن الأرض من أجلك وحدك ولكن من أجل دوابك كذلك .

فهى من دواب الأرض التى تكفل الله بأرزاقها كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »(١) .

* * *

وحتى الجن ودوابه : فهمـــا كذلك من الدواب التى تكفل الله بأرزاقها ، وقد ورد فى هذا :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى داعى الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يحمل مع النبى صلى الله عليه وسلم اداوة(٣) لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قال : أنا أبو هريرة ، قال : « أبغنى أحجارا أستنفض(٤) بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة » فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى فوضعتها الى جنبه ثم انصرفت ، حتى اذا فرغ مشيت فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : « هما من طعام الجن ، وأنه أتانى وفد جن نصيبين — ونعم الجن — فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة الا وجدوا عليها طعاما »(٥) .

هذا : ولمــا كان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا فى كتابه العزيز بالأكل والشرب من رزقه سبحانه فقال : **« كلوا واشربوا من رزق الله »**(٦) .

كما أمر كذلك فى آيات أخرى بأن يكون هذا المــأكول والمشروب حلالا طيبا ، فقال : **« كلوا من طيبات ما رزقناكم »**(٧) .

---

(١) هود : ٦ (٢) اخرجه احمد ومسلم .
(٣) الاداوة : اناء صغير يحمل فيه المـــاء ، الجمع : اداوى .
(٤) أى لأستنجى بها . (٥) اخرجه البخارى والبيهقى .
(٦) البقرة : ٦٠ (٧) البقرة : ٥٧

فقد رأيت حتى تعرف الحلال من الحرام أن أدور معك جول هذا العنصر الهام الذى يجب عليك كمسلم أن تكون محيطا به وعالمـا بأهم ما يتعلق به من أحكام :

ولمـا كان السبيل الى معرفة هذه الأحكام هو العلم ، أو هو معرفة ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأنها : فقد رأيت أن ألخص[1] لك أهم هذه الأحكام التى ذكرها صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام »[2] .

* * *

وحسبى أولا أن أسوق اليك هذه التعاريف التى ذكرها فى أول كتابه حتى تكون عالمـا بها ، وحتى تميز بين الحلال والحرام ، وتعرف الفرق بينهما وبين المكروه :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام

وحتى لا أطيل عليك فاليك :

الحلال : هو المباح الذى انحلت عنده عقدة الحظر ، وأذن الشارع فى فعله .

والحرام : هو الأمر الذى نهى الشارع عن فعله نهيا جازما ، بحيث يتعرض من خالف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقد يتعرض لعقوبة شرعية فى الدنيا أيضا .

والمكروه : هو ما نهى عنه ولكنه لم يشدد فى هذا النهى ، وهو أقل من الحرام فى رتبته ، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام ، غير أن التمادى فيه ، والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام .

واذا كان الله سبحانه قد أحل لنا الطيبات وهى : الحلال ، كما تشير الآية التى يقول الله تعالى فيها : « **يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات** »[3] .

والتى يقول فيها : « **اليوم أحل لكم الطيبات** »[4] .

---

(١) وهو الدكتور يوسف القرضاوى أثابه الله .

(٢) بتصرف كبير واضافات موضوعية .

(٣) المـائدة : ٤ (٤) المـائدة : ٥

فقد حرم علينا اجمالا أربعة أشياء ، وتفصيلا عشرة أشياء •

وقد جاء الاجمال فى قوله تعالى :

« قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس[1] أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم »[2] •

كما جاء التفصيل فى قوله تعالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب[3] »[4] •

* * *

ولا تناقض بين الآيتين لأن الأصناف الخمسة وهى :

المنخنقة : وهى التى تموت اختناقا بسبب التفاف وثاقها على عنقها ، أو لسبب دخول رأسها فى مضيق أو نحو ذلك •

والموقوذة : وهى التى تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت •

والمتردية : وهى التى تتردى من مكان عال فتموت ، ومثلها التى تتردى فى بئر •

والنطيحة : وهى التى تنطحها أخرى فتموت •

وما أكل السبع : وهى التى أكل السبع[5] جزءا منها فماتت •

فكل هذه الأصناف الخمسة تدخل فى حكم الميتة وهى :

ما مات حتف أنفه من الحيوان أو الطير ، أى مات بدون عمل من الانسان يقصد به تذكيته أو صيده •

وكذلك ما ذبح على النصب يدخل فى حكم ما أهل لغير الله به ، وهو : ما ذبح وذكر عليه اسم كالأصنام[6] •

وأما عن الدم المسفوح — وهو ثانى المحرمات[7] — فالمراد به

---

(١) اى قذر .　　(٢) الأنعام : ١٤٥

(٣) النصب هو الشىء المنصوب من اصنام او حجارة تقام امارة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله — وكانت حول الكعبة .

(٤) المـائدة : ٣　　(٥) المراد به الحيوان المفترس .

(٦) فقد كان الوثنيون اذا ذبحوا ذكروا على ذبيحتهم اسماء اصنامهم كاللات والعزى .

(٧) فى الآية الثالثة من سورة المـائدة كما عرفت سابقا .

السائل ، والسر فى تحريمه أنه مستقذر يعافه الطبع الانسانى النظيف ، كما أنه مظنة للضرر كالميتة .

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الطحال ، فقال : كلوه. فقالوا : انه دم ، فقال : انما حرم عليكم الدم المسفوح .

وأما عن ثالث المحرمات ، وهو : لحم الخنزير فحسبك أن تعلم أنه قذر ، وأن أشهر وجباته الغذائية : القاذورات والنجاسات ، وأن الطب الحديث أثبت أن أكله ضار فى جميع الأقاليم ولا سيما الحارة ، كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة وغيرها من الديدان .

ومن الباحثين من يقول : ان المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات .

* * *

وبالنسبة للذكاة التى أشار الله سبحانه وتعـالى اليها بقوله : **« الا ما ذكيتم »** :

فالمعنى : أى ما أدركتم من هذه الحيوانات وفيه حياة فذكيتموه ، أى أحللتموه بالذبح ونحوه .. ويكفى فى صحة ادراك ما ذكر أن يكون فيه رمق من الحياة .

فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : اذا أدركت ذكاة الموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وهى تحرك يدا أو رجلا فكلها .

وعن الضحاك أنه قال : كان أهل الجاهلية يأكلون هذا فحرمه الله فى الاسلام الا ما ذكى منه ، فما أدرك فتحرك منه رجل أو ذنب أو طرف[1] فذكى فهو حلال[2] .

* * *

وما أبيح أكله من الحيوانات البرية نوعان :

نوع مقدور عليه متمكن منه ، كالأنعام من ابل وبقر وغنم ، وغيرها من الحيوانات المستأنسة والدواجن والطيور التى تربى فى المنازل ونحـــوها .

---

(١) اى عين .

(٢) وقال بعض الفقهاء : لابد أن تكون فيها حياة مستقرة وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة .

ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه •

وقد اشترط الاسلام لاباحة النوع الأول أن يذكى تذكية شرعية ، يشترط فيها :

أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما ينهر الدم ويفرى الأوداج ولو كان حجرا أو خشبا ، فعن عدى بن حاتم الطائى قال : قلت : يا رسول الله •• اننا نصيد الصيد فلا نجد سكينا الا الظرار[1] وشقة العصا[2] ، فقال : « أمر الدم[3] بما شئت واذكر اسم الله عليه »[4] •

وأن يكون الذبح فى الحلق أو اللبة[5] ، وذلك بقطع فى الحلق يكون الموت فى أثره ، وأكمل الذبح : أن يقطع الحلقوم والمرىء[6] والودجان[7] ، ويسقط هـذا الشرط : اذا تعذر الذبح فى موضعه الخاص ، كأن يتردى الحيوان فى بئر من جهة رأسه بحيث لا ينال حلقه ولا لبته ، أو يند ويتمرد على طبيعته المستأنسة ، لهذا يعامل معاملة الصيد ، ويكفى أن يجرح بمحدد فى أى موضع مستطاع منه • فقد ورد فى الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فند[8] بعير من ابل القوم ، ولم يكن معهم خيل ، فرماه رجل بسهم فحبسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا »[9] •

وألا يذكر على الحيوان عند تذكيته اسم غير الله ، وهـذا مجمع عليه •

وأن يذكر عليه اسم الله ، ففى القرآن يقول رب العزة : **« فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين »**[10] •

وفى الحديث الشريف : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه

---

(١) اى الحجر والمدر المحدد منه •

(٢) اى من البوص • (٣) اى أرقه •

(٤) رواه أحمد وابو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن حبان •

(٥) اى النحر •

(٦) وهو مجرى الطعام والشراب من الحلق •

(٧) وهما عرقان غليظان فى جانبى ثغرة النحر •

(٨) اى هاج ونفر • (٩) أخرجه الشيخان •

(١٠) الأنعام : ١١٨

فكلوا »[١] • وذهب بعض العلماء الى أن ذكر اسم الله لابد منه ، ولكن ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح ، بل يجزىء عنه أن يذكره عند الأكل ، فانه اذا سمى الله عند الأكل على ما يأكل لم يكن آكلا ما لم يذكر اسم الله عليه • فقد ورد فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن قوما حديثى عهد بجاهلية قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ان قوما يأتوننا باللحمان لا ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا ؟ أنأكل منها أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذكروا اسم الله وكلوا » •

* * *

مع ملاحظة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر باحداد الشفرة واراحة الذبيحة فقال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[٢] •

وأمر أن توارى الشفار[٣] عن البهائم فقال : « اذا ذبح أحدكم فليجهز »[٤] ، أى فليتم •

وقد روى عن ابن عباس أن رجلا أضجع شـاة وهو يحد[٥] شفرته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تموت موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها »[٦] ؟

ورأى عمر رضى الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال : ويلك •• قدها الى الموت قودا جميلا[٧] •

وكان أهل الجاهلية يجبون[٨] أسـنمة الابل ـــ وهى حية ـــ ويقطعون أليات الغنم ، وكان فى ذلك تعذيب لهذه الحيوانات ، ففوت النبى صلى الله عليه وسلم مقصودهم وحرم عليهم الانتفاع بهـذه الأجزاء فقال : « ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة »[٩] •

---

(١) رواه البخارى وغيره •   (٢) رواه مسلم عن شداد بن أوس.
(٣) جمع شفرة وهى السكين العظيم •
(٤) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما •
(٥) أى وهو يقوم بسن السكين •
(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري •
(٧) رواه عبد الرزاق •   (٨) اى يقطعون •
(٩) رواه أحمد وأبو داوود والترمذى والحاكم •

وقد أحل الله تعالى لنا ذبائح أهل الكتاب وهم (اليهود والنصارى) كما أحل لهم ذبائحنا وفى ذلك يقول تبارك وتعالى : « **اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم** »(١) باستثناء ما كان محرما لعينه كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير .

وقد سئل الامام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائسهم فقال : أكرهه ولا أحرمه .

وهذه الكراهة من باب الورع خشية أن يكون داخلا فيما أهل لغير الله به ، وهذا بالنسبة لما يذبحونه لآلهتهم .

وقد أفتى جماعة من المالكية بأنه ليس بشرط أن تكون تذكيتهم ــ للحيوان ــ مثل تذكيتنا بمحدد فى الحلق ...

وأن ما يرونه مذكى عندهم حل لنا أكله ، وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة صحيحة ، وما لا يرونه مذكى عندهم لا يحل لنا ، والمفهوم المشترك للذكاة : هو القصد الى ازهاق روح الحيوان بنية تحليل أكله .

وعلى ضوء هذا نعرف الحكم فى اللحوم المستوردة من عند أهل الكتاب كالدجاج ولحوم البقر المحفوظة مما قد تكون ذكاته بالصعق الكهربائي ونحوه ، فما داموا يعتبرون هذا حلالا مذكى فهو حل لنا ، وفق عموم الآية .

وأما ذبيحة المجوس ومن ماثلهم : فقد اختلف العلماء فيها ، فالأكثرون يمنعون من أكلها لأنهم مشركون ، والبعض الآخر من العلماء يقول : هى حلال ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »(٢) . وقد قبل الجزية من مجوس هجر(٣) . والصابئون عند أبى حنيفة أهل كتاب أيضا .

وليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه مثل : كيف كانت التذكية ؟ وهل استوفت شروطها أم لا ؟

وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر ؟ لأن كل ما غاب

---

(١) المائدة : ٥

(٢) رواه مالك والشافعى ، وما ورد من تتمة لهذا الحديث : « غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم » فلم يصح عند المحدثين .

(٣) روى ذلك البخارى وغيره .

عنا مما ذكاه مسلم ــ ولو كان جاهلا أو فاسقا ــ أو كتابى : حلال أكله[١] .

وقد استثنت الشريعة الاسلامية من الميتة المحرمة : السمك والحيتان ونحوها من حيوانات الماء ، وقد روى فى هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماءه الحل ميتته » . وفى معنى الآية الكريمة : « **أحل لكم صيد البحر وطعامه** »[٢] يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : صيده ما اصطيد منه ، وطعامه ما رمى به .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : طعامه ميتته .

وقد ورد فى الصحيحين : عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية من أصحابه فوجدوا حوتا كبيرا قد جزر عنه البحر ــ أى ميتا ــ فأكلوا منه بضعة وعشرين يوما ، ثم قدموا الى المدينة ، فأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « كلوا رزقا أخرجه الله لكم ، وأطعمونا ان كان معكم » فأتاه بعضهم بشىء فأكله[٣] .

ومثل ميتة البحر : الجراد ، فقد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكله ميتا ، لأن ذكاته غير ممكنة .

يقول ابن أبى أوفى رضى الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل معه الجراد »[٤] .

وجميع الحيوانات البحرية ــ وهى التى تسكن جوف الماء ولا تعيش الا فيه ــ أكلها حلال ، كيفما وجدت سواء أخذت من الماء حية أو ميتة ، طفت أم لم تطف ويستوى فى ذلك السمك والحيتان ، وما يسمى بكلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك ، ولا عبرة بمن أخذها وصادها ، مسلما أو غير مسلم ، فقد وسع الله على عباده باباحة كل ما فى البحر ، دون أن يحرم نوعا معينا ، أو يشترط ذكاة كغيره ...

واذا كان القرآن الكريم لم يصرح بتحريم شىء من الحيوانات

---

(١) كما جاء فى نص الحديث السابق الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « بسموا الله عليه انتم وكلوا » .

(٢) المائدة : ٩٦

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الجماعة الا ابن ماجه .

البرية الا لحم الخنزير خاصة ــ والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أى حيوان : فقد حرم الله علينا على لسان حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم جميع الخبائث ، وهى التى يستقذرها الذوق والحس العام للناس فى مجموعهم وان أساغها أفراد منهم • وفى ذلك يقول تبارك وتعالى فى كتابه العزيز عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** »[١] فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ــ وهو الذى لا ينطق عن الهوى :

« نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر »[٢] ، و « نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع[٣] وكل ذى مخلب[٤] من الطير »[٥] •

واذا كانت الشريعة قد حرمت أكل لحم الميتة : فقد أباحت الانتفاع بجلدها ، أو قرونها ، أو عظمها ، أو شعرها ، لأنه مال يمكن الاستفادة منه فلا تجوز اضاعته ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : تصدق على مولاة[٦] لميمونة ــ أم المؤمنين ــ بشاة فماتت ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هلا أخذتم اهابها ــ جلدها ــ فدبغتموه فانتفعتم به » ؟ فقالوا : انها ميتة ! فقال صلى الله عليه وسلم : « انما حرم أكلها »[٧] •

وقد بين صلى الله عليه وسلم السبيل الى تطهير جلد الميتة ، وهو الدباغ ، فقال فى حديث شريف : « دباغ الأديم[٨] ذكاته »[٩] أى : أن الدباغ فى التطهير بمنزلة الذكاة فى احلال الشاة ونحوها • وفى رواية أخرى : « دباغه يذهب نجسه »[١٠] • وفى صحيح مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا دبغ الاهاب فقد طهر » • وهذا يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وحكى عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ورجحه الشوكانى •

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) رواه البخارى .

(٣) المراد بالسباع : ما يفترس الحيوان ويأكله قسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها .

(٤) المراد بذى المخلب من الطير : ما كان له ظفر جارح كالنسر والبازى والصقر والحداة . (٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) مولاة : اى جارية كانت لها واعتقتها .

(٧) رواه الجماعة الا ابن ماجه . (٨) اى الجلد .

(٩) رواه أبو داوود والنسائى . (١٠) رواه الحاكم .

واذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : الضرورات تبيح المحظورات ، وقال القرآن مشيرا اليها : « **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه** »[١] • وقال : « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم** »[٢] فهذه الضرورة المشار اليها فى الآيتين ، كما اتفق العلماء هى ضرورة الغذاء بأن يعضه الجوع ، وقد حدد بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة ولا يجد ما يأكله الا هذه الأطعمة المحرمة ، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقى الهلاك •

وقال الامام مالك : حد ذلك الشبع والتزود منها حتى يجد غيرها •

وقال غيره : لا يأكل منها الا ما يمسك الرمق ، ولعل هذا هو الظاهر من قول الله تعالى : « **غير باغ ولا عاد** » أى غير باغ (طالب) للشهوة ، ولا عاد (متجاوز) حد الضرورة • وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن نصا صريحا بقوله : « **فمن اضطر فى مخمصة[٣] غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم** »[٤] •

وبالنسبة للتداوى بتناول شىء من هذه المحرمات : فقد اختلف فى اعتبارها الفقهاء : فمنهم من يعتبر التداوى ليس ضرورة قاهرة كالغذاء ، واستند الى حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »[٥] •

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء ، فكلاهما لازم للحياة فى أصلها أو دوامها •

وقد استدل هذا الفريق — على اباحة هذه المحرمات للتداوى — بأن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى لبس الحرير لعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما لحكة[٦] كانت بهما ، مع نهيه عن لبس الحرير ووعيده عليه[٧] •

ثم يقول بعد ذلك صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » : وربما كان هذا القول أقرب الى روح الاسلام الذى يحافظ على الحياة

---

(١) الأنعام : ١١٩

(٢) البقرة : ١٧٣

(٣) اى مجاعة .

(٤) المائدة : ٣

(٥) رواه البخارى .

(٦) اى جرب .

(٧) رواه البخارى .

الانسانية في كل تشريعاته ووصاياه ، ولكن الرخصة فى تناول الدواء المشتمل على المحرم مشروطة بشروط :

١ ــ أن يكون هناك خطر حقيقى على صحة الانسان اذا لم يتناول هذا الدواء .

٢ ــ ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغنى عنه .

٣ ــ أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة فى خبرته وفى دينه معا .

ثم يقول أكرمه الله : على انا نقول مما نعرفه من الواقع التطبيقى ومن تقرير ثقات الأطباء : أن لا ضرورة طبية تحتم تناول شىء من هذه المحرمات ــ كدواء ــ ولكننا نقرر المبدأ احتياطا لمسلم قد يكون فى مكان لا يوجد فيه الا هذه المحرمات .

ثم يقول أيضا : وليس من شرط الضرورة ألا يجد الانسان طعاما فى ملكه هو فحسب ، بل لا يكون مضطرا لتناول هذه الأطعمة المحرمة اذا كان فى أفراد مجتمعه ــ مسلمهم أو ذميهم ــ من يملك من فضل الطعام ما يدفع به الضرورة عنه ، فان المجتمع الاسلامى متكامل ومتكافل كأجزاء الجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وأنا أقول : وليس هذا فحسب ، فان الاسلام هو دين الرحمة والمودة ، والمؤمنون فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم مثلهم : « ... كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(١) .

وفى الحديث الشريف : « ... من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »(٢) .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »(٣) .

فما بالك بالنسبة للانسان أيا كان شأن هذا الانسان : ان الانسانية التي تجمعنا جميعا فى أبوة وأمومة واحدة تدعونا الى ضرورة التعاطف والتراحم فضلا عن الاسلام الذي يجعل هذا أساسا فى دعوته .

(١ ، ٢ ، ٣) متفق عليه .

وأما عن الحيوانات البرية والطيور والمستطاب لحمهـا والغير مستأنسة للانسان : فقد أباح الاسلام صيدها ، ولم يشترط فى تذكيتها ما اشترط فى الحيوانات المستأنسة من الذكاة فى الحلق أو اللبة ، وانما اكتفى فى تذكيتها بما يسهل فى مثلها تخفيفا على الانسان وتوسعة عليه ، وأقر الناس فى هذا الأمر على ما هدتهم اليه الفطرة والحاجة ، غير أن الاسلام أدخل عليه تنظيمات واشتراطات تخضعه لعقيدة الاسلام ونظامه ، من هذه الاشتراطات : ما يتعلق بالصائد ، وما يتعلق بالمصيد ، وما يتعلق بما يكون به الصيد .

أما ما يتعلق بالصائد : فانه يشترط فيه ما يشترط فى الذابح بأن يكون مسلما ، أو من أهل الكتاب أو من هو فى حكم أهل الكتاب .. كما يشترط فيه أيضا : ألا يكون محرما بحج أو عمرة .

وأما ما يتعلق بالمصيد : فانه يشترط فيه أن يكون حيوانا مما لا يقدر الانسان على تذكيته فى الحلق واللبة ، فان قدر على تذكيته فى ذلك فلابد منها ولا يلجأ الى غيرها ، لأنها الأصل ، وكذلك لو رماه بسهمه أو سلط عليه كلبه ، ثم أدركه وفيه حياة مستقرة فعليه أن يحله بالذبح المعتاد فى الحلق ، فان كان به حياة غير مستقرة ، فان ذبحه فحسن ، وان تركه يموت من نفسه فلا اثم عليه ، وفى الصحيحين : « واذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله عليه ، فان أمسك فأدركته حيا فاذبحه » .

وأما ما يتعلق بما يكون به الصيد فهو نوعان :

(أ) الآلة الجارحة كالسهم والسيف والرمح ، كما أشارت الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : **« تناله أيديكم ورماحكم »**(١) .

(ب) الحيوان الجارح الذى يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطير ، قال تعالى : **« قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله »**(٢) .

وبالنسبة للنوع الأول (أ) وهو الصيد بالآلة ، فانه يشترط فيها أمـران :

الأول : أن تنفذ فى الجسد بحيث يكون قتلها بالنفـاذ والخدش لا القتل . وقد سأل عدى بن حاتم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى أرمى بالمعراض الصيد فأصيبه ، قال : « اذا رميت بالمعراض

---

(١) المـائدة : ٩٤ (٢) المـائدة : ٤

فخزق[١] فكل ، وما أصاب بعرضه فلا تأكل »[٢] • وقد دل الحديث على أن المعتبر هو الخزق وان كان القتل بمثقل ، وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، فانها تنفذ فى الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح والسيف •

أما ما رواه أحمد من حديث : « لا تأكل من البندقة الا ما ذكيت » وما رواه البخارى من قول ابن عمر فى المقتولة بالبندقة : « تلك الموقوذة » فالبندقة هنا هى التى تتخذ من طين فييبس فيرمى بها ، فهى شىء غير البندقية تماما[٣] •

ومثل البندقة ما صيد بحصى الخذق ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الخذق[٤] وقال : « انها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ، ولكنها تكسر السن ، وتفقأ العين »[٥] •

الثانى : أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمى والضرب بها ، كما علم النبى صلى الله عليه وسلم عدى بن حاتم •

وكذلك بالنسبة للنوع الثانى (ب) وهو الصيد بالكلاب ونحوها :

فاذا كان الصيد بكلب أو باز مثلا فالمطلوب فيه :

أولا : أن يكون معلما •

ثانيا : أن يصيد الصيد لأجل صاحبه ويعتبر القرآن : أن يمسك على صاحبه لا على نفسه •

وأصل هذه الشروط هو ما نطقت به الآية الكريمة : **« يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين[٦] تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه »**[٧] •

وحد التعليم هو قدرة صاحب الكلب على التحكم فيه وتوجيهه بحيث يدعوه فيجيب ، ويغريه بالصيد فيندفع وراءه ، ويزجره فينزجر •• وحد الامساك على صاحبه ألا يأكل منه ، قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ، فانما أمسك على

---

(١) أى نفذ فى الجسم .
(٢) متفق عليه .
(٣) المعروفة فى عصرنا .
(٤) وهو الرمى بحصاة ونحوها .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) أى مؤدبين ومعلمين .
(٧) المائدة : ٤

نفسه ، فاذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل فانما أمسكه على صاحبه »[١] .

وذكر اسم الله عند ارسال الكلب كذكره عند قذف السهم أو وخز الرمح أو ضرب السيف ، وقد أمرت الآية به ههنا : « **واذكروا اسم الله عليه** » كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، كحديث عدى بن حاتم .

ومما يدل على أهمية هذا الشرط : أنه لو شارك كلبه كلب آخر ، فان صيدهما لا يحل . وقد ورد فى هذا أن عديا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أرسل كلبى أجد معه كلبا ، لا أدرى أيهما أخذه ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « فلا تأكل ، فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره » ، فاذا نسى التسمية عند الرمى أو الارسال فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، وحسبه أن يتدارك هذا عند الأكل ، كما مر فى الذبح .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام اذا كنت من هواة الصيد ، مع ملاحظة هذه التوجيهات الهامة التى تتعلق كذلك بهذا الموضوع ، وهى :

ألا تكون عابثا بصيدك فتزهق روحه دون قصد منك الى أكله أو الانتفاع به ، فقد ورد فى الحديث : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة ، يقول : يا رب .. ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة »[٢] ، وفى حديث آخر : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا سأله الله عنها يوم القيامة » قيل : يا رسول الله .. وما حقها ؟ قال : « أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى به »[٣] .

واذا رميت صيدك بسهم فأصابه ، ثم غاب عنك فلم تجده بعد ذلك ، أو بعد أيام ، الا ميتا فانه فى هذه الحالة لا يكون صيدك حلالا الا بشروط :

أولها : ألا يقع صيدك فى المـاء ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا رميت سهمك فان وجدته قد قتل فكل ، الا أن تجده قد وقع فى ماء فانك لا تدرى المـاء قتله أم سهمك »[٤] .

---

(١) رواه احمد ومثله فى الصحيحين .
(٢) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٣) رواه النسائى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

ثانيا : ألا تجد فيه أثرا لغير سهمك تعلم أنه سبب قتله ، فعن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله .. أرمى الصيد فأجد فيه سهمى من الغد ؟ فقال : « اذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل »[١] .

ثالثها :ألا يصل صيدك الى درجة النتن ، فان الطباع السليمة تعاف ذلك وتشمئز منه ، فضلا عما يتوقع من ضرره ، ففى صحيح مسلم : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى ثعلبة الخشنى : « اذا رميت سهمك فغاب[٢] ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم ينتن » .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تأكل حلالا طيبا كما أمرك الله ورسوله فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وقفت عليها ، وكما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى طيب[٣] لا يقبل الا طيبا[٤] ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : **« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ... »**[٥] .

وقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم »**[٦] ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب .. يا رب .. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى[٧] بالحرام فأنى يستجاب له[٨] .

* * *

واتماما للفائدة فقد رأيت كذلك أن أسوق اليك هذه الأحكام التى تتعلق خاصة بالشراب ، والبيع والشراء ، وهى :

أن الخمر التى حرم الله شربها فى الآيتين الكريمتين اللتين يقول الله تعالى فيهما : **« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب**

---

(١) رواه الترمذى . (٢) أى الصيد .

(٣) أى منزه عن النقائص والخبائث ، وقيل : طيب الثناء .

(٤) أى لا يتقرب اليه بصدقة حرام ، ويكره التصدق بالردىء ولا يقبل من المال الا الطيب وكذلك بالنسبة للأعمال .

(٥) المؤمنون : ٥١ (٦) البقرة : ١٧٢

(٧) أى نبت لحمه من حرام . (٨) رواه مسلم عن أبى هريرة .

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »[1] •

قد حرم الاسلام الاتجار بها ولو مع غير المسلمين : وعلى هذا فانه لا يحل لمسلم أن يعمل : مستوردا ، أو مصدرا للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملا فى هذا المحل ، ففى الحديث الشريف : « لعن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها[2] ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشتراة له »[3] •

وحرم الاسلام التداوى بالخمر وغيرها من المحرمات وقد روى فى هذا أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر : انما أصنعها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء »[4] ، كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام »[5] ، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى شأن التداوى بالمسكر : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »[6] •

كما حرم الاسلام اهداء الخمر ولو لغير المسلم : فلا ينبغى للمسلم أن تكون الخمر هدية منه ، ولا هدية اليه ، فهو طيب لا يهدى الا طيبا ، ولا يقبل الا طيبا • وقد روى فى هذا أن رجلا أراد أن يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أن الله حرمها ، فقال الرجل : أفلا أبيعها ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » فقال الرجل : أفلا أكارم بها اليهود ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود » فقال الرجل : فكيف

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ (٢) أى طالب عصرها •

(٣) رواه احمد وابو داوود والترمذى •

(٤) رواه مسلم واحمد وابو داوود والترمذى •

(٥) رواه ابو داوود • (٦) رواه البخارى تعليقا •

أصنع بهـا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « شـنها[١] على البطحـاء »[٢] .

وقد أمر المسلم كذلك بمقاطعة مجالس الخمر ، ومجالسة شاربها وقد روى فى هذا عن عمر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر »[٣] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سئل عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة والشعير تنبذ حتى تشتد ، فكان جوابه صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام »[٤] ، فهذا دليل على أن كل ما يحدث الاسكار فهو حرام ، وهو خمر مهما وضع الناس لها من ألقاب وأسماء ، ومهما تكن المـادة التى صنعت منها ، وعلى هذا : فالبيرة وما شابهها حرام ، سواء أكان قليلا أم كثيرا . ففى الحديث الشريف : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٥] .

واذا كان سـيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أعلن على الناس من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن : « الخمر ما خامر العقـل » .

فهذا دليل على أن كل ما لابس العقل أو أخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة يعتبر خمرا حرمه الله ورسوله الى يوم القيامة ، ومن ذلك : تلك المواد التى تعرف باسم « المخدرات » مثل الحشيش ، والكوكايين والأفيون ونحوها مما عرف أثرها — عند متعاطيها — على العقل ، هذا الى جانب ما تحدثه من فتور فى الجسد ، وخدر فى الأعصاب ، وهبوط فى الصحة وفوق ذلك ما تحدثه من خور فى النفس ، وتمييع الخلق ، وتحلل الارادة ، وضعف الشعور بالواجب ، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة فى جسم المجتمع ، فضلا عما وراء ذلك كله من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت .

واذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : بأنه لا يحل للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئا يقتله بسرعة أو ببطء — كالسم

---

(١) اى أرقها على الأرض .
(٢) رواه الحميدى فى مسنده .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه أحمد وابو داوود والترمذى .

بأنواعه — أو يضره ويؤذيه ، ولا أن يكثر من طعام أو شراب يمرض بالاكثار منه • وذلك لأن المسلم ليس ملك نفسه ، وانما هو ملك دينه وأمته ، وحياته وصحته وماله ، ونعم الله كلها عليه تعتبر وديعة عنده ، ولا يحل له التفريط فيها ، وفى ذلك يقول تعالى : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »[١] ويقول : « **ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما** »[٢] • وفى الحديث الشريف : « لا ضرر ولا ضرار » ، فهذا دليل على أن كل ما يضر ويكون سببا فى هلاك الانسان ، وضياع ثروته : أكله أو شربه حرام ، ويدخل فى هذا بالطبع تناول التبغ (الدخان) لأنه كما هو واضح ومعترف به حتى من جانب شاربيه ضار جدا بالصحة الى جانب أنه متلف للمال الذى ربما كانت أسرهم ، فضلا عن وطنهم ، فى أشد الحاجة اليه •

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى كما قال فى كتابه العزيز قد أحل البيع وحرم الربا ، فقد رأيت حتى يكون مأكولك ومشروبك من مصدر حلال أن أقف معك على أهم ما يجب علينا أن نقف عليه فى موضوع « البيع والربا » وحسبك أن تعلم وباختصار :

أن البيع فى اللغة : مصدر باع كذا بكذا ، أى دفع عوضا وأخذ معوضا ، وهو يقتضى بائعا وهو المالك أو من ينزل منزلته ، ومبتاعا وهو الذى يبذل الثمن ، ومبيعا وهو المثمون ، وهو الذى يبذل فى مقابلته الثمن ، وعلى هذا فأركان البيع أربعة : البائع ، والمبتاع ، والثمن ، والمثمن • الى أن يقول[٣] : البيع قبول وايجاب يقع باللفظ المستقبل والماضى ، فالماضى فيه حقيقة والمستقبل كناية ، ويقع بالصريح والكناية المفهوم منها نقل الملك ، فسواء قال : بعتك هذه السلعة بعشرة ، فقال : اشتريتها ، أو قال المشترى : اشتريتها ، وقال البائع : بعتكها ، أو قال البائع : أنا أبيعك بعشرة ، فقال المشترى : أنا أشترى أو قد اشتريت ، وكذلك لو قال : خذها بعشرة ، أو أعطيتكها ، أو دونكها ، أو بورك لك فيها بعشرة أو سلمتها اليك — وهما يريدان البيع — فذلك كله بيع لازم ، ولو قال البائع : بعتك بعشرة ، ثم رجع

---

(١) البقرة : ١٩٥ (٢) النساء : ٢٩

(٣) أى القرطبى •

قبل أن يقبل المشترى ، فقد قال[١] : ليس له أن يرجع حتى يسمع قبل المشترى أو رده ، لأنه قد بذل ذلك من نفسه وأوجبه عليها ، وقد قال ذلك له ، لأن العقد لم يتم عليه • ولو قال البائع : كنت لاعبا ، فقد اختلفت الرواية[٢] ، فقال مرة : يلزمه البيع ولا يلتفت الى قوله ، وقال مرة : ينظر الى قيمة السلعة فان كان الثمن يشبه قيمتها فالبيع لازم ، وان كان متفاوتا : كعبد بدرهم ، ودار بدينار ، علم أنه لم يرد البيع ، وانما كان هازلا فلم يلزمه •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء ، وهى :

أن الاتجار بكل ما جرت العادة بأن يقتنى لمعصية حظرها الاسلام ، أو يكون الانتفاع المقصود به عند الناس نوعا من المعصية : حرام ، كالخنزير ، والخمر والأطعمة والأشربة المحرمة ، والأصنام والصلبان والتماثيل ونحوها •• فقد ورد فى الحديث الشريف : « ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »[٣] •

وأيضا ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه »[٤] •

وأن النبى صلى الله عليه وسلم : نهى عن بيع ما فى صلب الفحل أو بطن الناقة ، أو الطير فى الهواء أو السمك فى المـاء ، وعن كل ما فيه غرر[٥] حتى لا يؤدى الى خصومة بين الطرفين أو غبن أحدهما للآخر ، كما نهى صلى الله عليه وسلم : عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها الا أن يشترط القطع فى الحال ، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة[٦] ، وقال : « أرأيت اذا منع الله الثمرة ، بم يستحل أحدكم مال أخيه »[٧] •

وأنه صلى الله عليه وسلم : نهى عن احتكار الطعام بعبارات شديدة زاجرة فقال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء الله

(١ ، ٢) اى الامام مالك .　　(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد وأبو داوود .

(٥) اى جهالة وعدم تحديد للمعقود عليه .

(٦) اخرجه مسلم .　　(٧) رواه البخارى وغيره .

منه »[١] • وقال : « لا يحتكر الا خاطىء »[٢] • وقال : « بئس العبد المحتكر ، ان سمع برخص ساءه ، وان سمع بغلاء فرح »[٣] وقال : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون »[٤] •

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن بيع الحاضر للبادى وصورة هذا ــ كما قال العلماء ــ أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة اليه ، ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة ، فيقول له : خل متاعك عندى حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادى بنفسه لأرخص ونفع البلدين ، وانتفع هو أيضا • وقد كانت هذه الصورة شائعة فى المجتمع الجاهلى فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، يقول أنس : « نهينا أن يبيع حاضر لبـــاد ، ولو كان أخاه لأبيه وأمـــه »[٥] •

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما ، عن معنى : « لا يبيع حاضر لباد » فقال : « لا يكون له سمسارا »[٦] • ومعنى هذا أنه اذا دله على السعر ونصح له وعرفه بأحوال السوق من غير أن يأخذ أجرا كشأن السماسرة ، فهذا لا بأس به •

وأما السمسرة فى غير هذا الموطن فلا حرج فيها لأنها من نوع الدلالة والتوسط بين البائع والمشترى •• ولا بأس بأن يأخذ السمسار أجره نقودا معينة أو عمولة بنسبة معينة من الربح أو ما يتفقون عليه •

قال البخارى فى صحيحه : لم ير ابن سيرين وعطاء وابراهيم والحسن بأجر السمسار بأسا ، وقال ابن عباس : لا بأس بأن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك ، وقال ابن سيرين : اذا قال : بعه بكذا ، فما كان من ربح فهو لك ، أو بينى وبينـــك فلا بأس به •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم »[٧] •

وأما عن النجش : وهو كما فسره ابن عمر : أن تعطى فى السلعة

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وابن أبى شيبة والبزار .
(٢) رواه مسلم .
(٣) ذكره رزين فى جامعه .
(٤) رواه ابن ماجه والحاكم .
(٥) متفق عليه .
(٦) رواه البخارى .
(٧) ذكره البخارى معلقا ، ورواه أحمد وأبو داوود والحاكم وغيرهم موصولا .

أكثر من ثمنها وليس فى نفسك اشتراء ، ليقتدى بك غيرك ، وكثيرا ما يكون عن اتفاق لخداع الآخرين ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه[١] .

كما نهى صلى الله عليه وسلم التجار عن كثرة الحلف بعامة وعن الحلف الكاذب بخاصة ، فقال : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة »[٢] وذلك لأن الاكثار من الحلف فى البيع ربما كان مظنة لتغرير المتعاملين الى جانب أنه قد يكون سببا كبيرا فى زوال تعظيم اسم الله تعالى من القلب .

وقد حرم الاسلام الغش والخداع فى سائر أنواع المعاملات الانسانية ، ولا سيما فى البيع والشراء ، وقد ورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما »[٣] .

وقال فى حديث آخر : « لا يحل لأحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه »[٤] .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم : مر ذات يوم برجل يبيع طعاما[٥] فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء[٦] . فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟! من غشنا فليس منا » .

وفى رواية أخرى : أنه صلى الله عليه وسلم مر بطعام وقد حسنه صاحبه ، فوضع يده فيه ، فاذا طعام ردىء فقال : « بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، من غشنا فليس منا »[٧] .

كما حرم التطفيف فى الكيل والسرقة من الميزان لأن فاعل هذا يعتبر سارقا ومخادعا وغشاشا وحسبه زجرا وردعا أن يقرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ويل[٨] للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . الا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين** »[٩] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه الحاكم والبيهقى .
(٥) حبوبا .
(٦) اى المطر .
(٧) رواه مسلم .
(٨) الويل : هو العذاب والهلاك .
(٩) المطففين : ١ ــ ٦

وإذا كان الاسلام قد حرم السرقة والخداع كما عرفت ، فقد حرم كذلك : شراء المسروق والمنهوب لأن فاعل ذلك يعتبر مشاركا للسارق والناهب ومعينا لهما على اغتصاب أموال الناس وقد ورد هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشترى سرقة[1] وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك فى اثمها وعارها » •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وراقب الله سبحانه وتعالى فى أداء ما تقوم به من أعمال حتى يكون أجرك الذى ستتقاضاه نظير ذلك حلالا •

* * *

واعلم : أن الاسلام حرم الاكتساب من : كل عمل رخيص مثير للغريزة الجنسية ، كالرقص والغناء الخليع ، والتمثيل الماجن ••

وكذلك حرم الاكتساب من : صناعة التماثيل ، وقد روى فى هذا عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس اذ جاءه رجل فقال : يا ابن عباس •• انى رجل انما معيشتى من صنعة يدى ، وانى أصنع هذه التصاوير • فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• سمعته يقول : « من صور صورة فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » فربا الرجل ربوة شديدة[2] ، فقال ابن عباس : « ويحك •• ان أبيت الا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر ، وكل شىء ليس فيه روح »[3] •

أما تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافى : فهو مباح أو مكروه ، اذا لم يشتمل موضوع الصورة نفسها على محرم فى الاسلام كابراز مواضع الفتنة فى الأنثى وتصوير رجل يقبل امرأة ونحوها ، ومثل ذلك الصور التى تعظم وتقدس كصور الملائكة والأنبياء ونحوها ، فهذا كله حرام •

* * *

---

(١) اى مسروقا •
(٢) يعنى انتفخ من الغيظ والضيق •
(٣) اخرجه البخارى •

وأما عن :

الــــربا

- وهو[١] لغة الزيادة كما تشير الآية الكريمة : **« اهتزت وربت »**[٢] وشرعا : الزيادة على رأس المــال ، وفى ذلك يقول تعالى : **« وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم »** وهو : حرام بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، قال تعالى : **« وأحل الله البيع وحرم الربا »**[٣] وقال : **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين • فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »**[٤] وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه »[٥] .

وهو : من أكبر الكبائر ولم يحل فى شريعة قط لقوله تعالى : **« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه »**[٦] • أى فى الكتب السابقة ، ولم يؤذن الله تعالى فى كتابه بالحرب سوى آكل الربا • ولذا قيل : انه يدل على سوء الخاتمة والعياذ بالله •

والربا لا يحرم الا فى الذهب والفضة والمطعومات لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق[٧] ، ولا البر بالبر ، ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ، ولا الملح بالملح ، الا سواء بسواء عينا بعين ، يدا بيد ، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير ، والشعير بالبر ، والتمر بالملح والملح بالتمر كيف شئتم » ، « فمن زاد أو استزاد فقد أربى »[٨] فقد دل الحديث كما رأيت على حرمة بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة وبيع المتماثلات من الأطعمة الا بشروط ثلاثة : التماثل ، والحلول ، والقبض فى المجلس ، هذا اذا اتحد الجنس فاذا اختلف كالذهب بالفضة والبر بالشعير جاز التفاضل ، بزيادة أحدهما عن الآخر لقوله صلى الله

---

(١) كما جاء فى كتاب « الفقه الميسر » (المعاملات) لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ احمد عيسى عاشور .

(٢) فصلت : ٣٩ (٣) البقرة : ٢٧٥

(٤) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٥) رواه أحمد والترمذى وابو داوود وابن ماجه .

(٦) النساء : ١٦١ (٧) الورق بكسر الراء : اى الفضة .

(٨) رواه الشافعى .

عليه وسلم : « اذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد »[١] .

فلا يشترط الا شرطان : الحلول والتقابض . أما التفاضل فانه يجوز ، واذا اختلف الجنس والعلة كالفضة والبر والنحاس والقماش مثلا فلا تشترط هـذه الأمور فيصبح البيع حالا ومؤجلا ومتماثلا ومتفاضلا .

ثم المماثلة تعتبر فى المكيل كيلا ، وفى الموزون وزنا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق الا وزنا بوزن »[٢] وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما وزن مثل بمثل اذا كان نوعا واحدا ، وما كيل فمثل ذلك فاذا اختلف النوعان فلا بأس »[٣] .

وينقسم الربا الى أربعة أقسام :

الأول : ربا الفضـل وهو بيع الربوى بجنسه مع زيادة فى أحد العوضين .

الثانى : ربا اليد وهو بيع الربويين ولو مختلفى الجنس مع تأخير القبض للعرضين أو لأحدهما عن الآخر .

الثالث : ربا النسيئة وهو بيع لأجل ولو لحظة .

الرابع : ربا القرض وهو كل قرض جر نفعا للمقرض . ومنه بيع الغاروقة المعروفة وهو أن يبيع شخص لآخر سلعة لمدة سنة مثلا ثم ينتفع بها المشترى فان جاء البائع بالثمن ردها اليه والا صارت ملكا للمشترى .

وقد ذكر العلماء فى علة تحريم الربا وجوها[٤] :

أحدها : أن الربا يقتضى أخذ مال الانسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير مقابل ، ومال الانسان له حرمة كحرمة الدم لقوله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال الانسـان كحرمة دمه »[٥] فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما .

الثانى : أن الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك يؤدى

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الدارقطنى .

(٤) ذكرها الامام الرازى فى تفسيره جـ ٧ ص ٤ طبعة عبد الرحمن محمد

(٥) اخرجه ابو نعيم فى « الحلية » .

الى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العباد لا تنتظم الا بالكسب من التجارة والصناعة والزراعة ، والربا : يعطل ذلك كله •

- **الثالث :** أن الربا يؤدى الى انقطاع المعروف بين الناس فلا يقرض أحد أحدا الا بالربا ولا يواسى أحد أحدا الا بالربا ، وفى ذلك ما فيه من التدابر وانقطاع المواساة والمعروف والاحسان الى المحتاجين وأرباب الحاجات ، فيحملهم ذلك الى القرض بالربا •

الرابع : أن المقرض فى الغالب يكون غنيا والمستقرض يكون فقيرا ، وفى جواز الربا تمكين للغنى من الفقير فيستذله ويستضعفه ويصير أسير الحاجة ، وهذا غير جائز برحمة الرحيم •

الخامس : أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص فوجب القطع بحرمته •

ومن الآثار السيئة فى تعاطى الربا أن الله تعالى يمحقه ولا يبقى عليه ولا يبارك فيه لقوله تعالى : « **يمحق الله الربا** »[1] ومن آثاره الطرد من رحمة الله تعالى ، ففى الحديث الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه »[2] • ومن آثاره كذلك : أن آكله يقوم يوم القيامة مجنونا كمن أصابه الشيطان بجنون •

ويقول صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » :

واذا كانت هناك ضرورة ملحة اقتضت معطى الفائدة أن يلجأ الى هذا الأمر ، فان الاثم فى هذه الحالة يكون على آخذ الربا (الفائدة) وحـــده •

ثم ذكر شرطا لهذا ، وهو[3] :

أن تكون هناك ضرورة حقيقية ، لا مجرد توسع فى الحاجيات أو الكماليات • فالضرورة ما لا يمكنه الاستغناء عنه الا اذا تعرض للهلاك كالقوت والملبس الواقى ، والعلاج الذى لابد منه •

وأن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفى بالحاجة دون أن تزيد فمتى كان يكفيه تسعة جنيهات مثلا : لا يحل له أن يستقرض عشرة •

---

(١) البقرة : ٢٧٦

(٢) رواه احمد وابو داوود والترمذى وصححه النسائى وابن ماجه .

(٣) بتصرف قليل .

وعليه أن يستنفذ — قبل استقراضه — كل طريقة للخروج من مأزقه المادى ، وعلى اخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك فان لم يجد وسيلة الا هذا ، فأقدم عليه غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم •

وأن يفعل ذلك ان فعله وهو له كاره وعليه ساخط ، حتي يجعل الله له مخرجا •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واعلم :

أنه يجوز للمسلم أن يشترى ويدفع ثمن الشراء نقدا كما يجوز له أن يؤخره الى أجل بالتراضى ، وقد اشترى النبى صلى الله عليه وسلم طعاما من يهودى لنفقة أهله الى أجل ورهنه درعا من حديد(١) •

فاذا زاد البائع فى الثمن من أجل التأجيل ، كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط : فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستندا الى أنه زيادة فى المال فى مقابل الزمن فأشبه الربا ، وأجازه جمهور العلماء : لأن الأصل الاباحة ، ولم يرد نص بتحريم ، وليس مشابها للربا من جميع الوجوه ، وللبائع أن يزيد فى الثمن لاعتبارات يراها ، ما لم تصل الى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين والا صارت حراما • قال الشوكانى : « قالت الشافعية والحنفية ، وزيد بن على ، والمؤيد بالله والجمهور : يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه ، وهو الظاهر »(٢) •

ويجوز للمسلم أن يدفع مقدارا معلوما من المال حالا ليتسلم فى مقابله صفقة بعد أجل معين ، وهو المعروف فى الفقه الاسلامى « بعقد السلم »(٣) •

* * *

وفى ختام هذا العرض الموضوعى الذى كان حول أهم الأحكام التى تتعلق بالطعام والشراب ، اليك كذلك هذه الآداب المحمدية التى وردت فى نفس الموضوع والتى جاء فيها :

---

(١) رواه البخارى •

(٢) « نيل الأوطار » جـ ٥ ص ١٥٣

(٣) راجع كل هذا باطناب فى « الحلال والحرام فى الاسلام » ص ٢٨١ طبعة دار الاعتصام •

عن عمرو بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك »[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فان نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره »[٢] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع مائدته قال : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مستغنى عنه ربنا »[٣] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه »[٤] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه »[٥] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها »[٦] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »[٧] .

وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا »[٨] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه أبو داوود والترمذى .
(٨) رواه أبو داوود والنسائى باسناد صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم طعاما — وفى رواية[١] من أطعمه الله طعاما — فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله تعالى لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فانه ليس شىء يجزىء من الطعام والشراب غير اللبن »[٢] .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أنه قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى فقربنا اليه طعاما ووطبة[٣] فأكل منها ، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين اصبعيه ويجمع السبابة والوسطى ، ثم أتى بشراب فشربه ، ثم ناوله الذى عن يمينه فقال أبى : ادع الله لنا . فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم »[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة رضى الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة »[٥] .

وعن المقداد رضى الله عنه فى حديثه الطويل المشهور قال : فرفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء فقال : « اللهم أطعم من أطعمنى ، واسق من سقانى »[٦] .

وعن عمرو بن الحمق رضى الله عنه أنه سقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ، فقال : « اللهم أمتعه بشبابه » فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء[٧] .

وعن عمرو بن أخطب رضى الله — قال : استسقى[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بماء فى جمجمة[٩] ، وفيها شعرة

---

(١) ابن السنى .

(٢) رواه أبو داوود والترمذى وابن السنى وقال الترمذى : حديث حسن .

(٣) وهى قربة لطيفة يكون فيها اللبن .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أبو داوود وغيره باسناد صحيح .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه ابن السنى .

(٨) اى طلب الماء .

(٩) قدح من خشب .

فأخرجتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم جمله »[١] ، قال الراوى : فرأيته ابن ثلاث وتسعين أسود الرأس واللحية .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذيبوا طعامكم بذكر الله عز وجل والصلاة والسلام ، ولا تناموا عليه فتقسوا له قلوبكم »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار ، باسم الله »[٣] .

* * *

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل أن تقول عند تناول طعامك : بسم الله الرحمن الرحيم ، فان قلت : بسم الله ، كفاك وحصلت السنة ، وسواء فى هذا الجنب والحائض وغيرهما ، وينبغى أن يسمى كل واحد من الآكلين ، فلو سمى واحد منهم أجزأ عن الباقين[٤] ، وهو شبيه برد السلام وتشميت العاطس فانه يجزىء فيه قول أحد الجماعة .

وأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل باليد اليسرى ، وقد ورد فى هذا : عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ، أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما منعه الا الكبر ، فما رفعها الى فيه[٥] .

ونهى عن القران بين تمرتين ونحوهما[٦] ، وقد ورد فى هذا : عن جبلة بن سحيم قال : أصابنا عام سنة مع الزبير فرزقنا تمرا ، فكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول : لا تقارنوا ، فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن القران ، ثم يقول : الا أن يستأذن الرجل أخاه[٧] .

---

(١) « الأذكار » للنووى . (٢) رواه ابن السنى .
(٣) رواه ابن السنى .
(٤) نص على ذلك الشافعى رحمه الله .
(٥) رواه مسلم .
(٦) اذا أكل جماعة الا باذن رفقته .
(٧) متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يأكل متكئا ، وقد ورد فى هذا :
عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا آكل متكئا »[١] ، قال الخطابى : المتكىء ههنا هو الجالس معتمدا على وطاء تحته ، وقال : وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الاكثار من الطعام ، بل يقعد مستوفزا مستوطنا ، ويأكل بلغة ، وأشار غيره الى أن المتكىء هو المائل على جنبه .. والله أعلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مقعيا يأكل تمرا[٢] .

والمقعى : هو الذى يلصق اليته بالأرض وينصب ساقيه .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع ... وقد ورد فى هذا عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع فاذا فرغ لعقها[٣] .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب تكثير الأيدى على الطعام وقد ورد فى هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طعام الاثنين كافى الثلاثة ، والثلاثة كافى الأربعة »[٤] .

وعن جابر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية »[٥] .

وورد عن وحشى بن حرب رضى الله عنه ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله .. انا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلكم تفترقون » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه »[٦] .

وأما عن آداب الشرب فقد ورد منها :

عن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الشراب ثلاثا »[٧] يعنى : يتنفس خارج الاناء .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه أبو داوود .
(٧) رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا واحدا كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا اذا أنتم شربتم ، واحمدوا اذا أنتم رفعتم »[١] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابى ، وعن يساره أبو بكر رضى الله عنه فشرب ، ثم أعطى الأعرابى ، وقال : « الأيمن فالأيمن »[٢] وشيب ، أى : خلط .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام : « أتأذن لى أن أعطى هؤلاء » ؟ فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحدا ، فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده »[٣] .

وتله : أى وضعه ، وهذا الغلام هو ابن عباس رضى الله عنهما .

* * *

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى فى الشرب عن أمور منها ما ورد :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية . يعنى : أن تكسر أفواهها ويشرب منها[٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يشرب من السقاء أو القربة[٥] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الشراب ، فقال رجل : القذاة أراها فى الاناء ، فقال : « أهرقها » قال : فانى لا أروى من نفس واحد ، قال : « فأبن القدح اذن عن فيك »[٦] .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء أو ينفخ فيه[١] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن يشرب الرجل قائما ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشر وأخبث[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشربن أحد منكم قائما ، فمن نسى فليستقىء »[٣] .

* * *

واذا كان قد ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم[٤] .

وعن النزال بن سبرة أنه قال : أتى على رضى الله عنه باب الرحبة فشرب قائما وقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتمونى فعلت[٥] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نأكل ونشرب ونحن قيام[٦] . فهذا : دليل الجواز لا الأفضلية .

* * *

وقد ورد جواز الشرب من جميع الأوانى الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير اناء ولا يد ، وتحريم استعمال اناء الذهب والفضة فى الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال .

واليك أهم وأصح ما جاء فى هذا من أحاديث :

عن أنس رضى الله عنه قال : « حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى أهله وبقى قوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخضب

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) رواه مسلم . (٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم . (٥) رواه البخارى .
(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

من حجارة فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم . قالوا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة »[١] .

وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فأخرجنا له ماء فى تور من صفر فتوضأ[٢] . المراد بالصفر : أى النحاس ، والتور كالقدح .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان عندك ماء بات هذه الليلة فى شنة والا كرعنا »[٣] الشن : أى القربة .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب فى آنية الذهب والفضة ، وقال : « هى لهم فى الدنيا ، وهى لكم فى الآخرة »[٤] .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لمسلم : « ان الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب ... » .

وفى رواية له : « من شرب فى اناء من ذهب أو فضة فانما يجرجر فى بطنه نارا من جهنم » .

* * *

وأما عن :

اللبـــاس

الذى يشـير اليه الرســول صلى الله عليه وســلم فى نص الوصية بقوله :

* (والبسوا ...) : فالكلام فيه تعتريه أحكام خمسة[٥] :

فرض : وهو ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : **« يا بنى آدم خــذوا زينتكم عند كل مسجد »**[٦]

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى . (٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) كما جاء فى الجزء السادس من « الدين الخالص » ص ١٧٢
(٦) الاعراف : ٣١

أى ما يستر عورتكم عند الصلاة ، ويقول : « **سرابيل تقيكم الحر** »[١] أى والبرد .

ويكون من قطن أو كتان أو صوف أو غيرهما مما يحل ، وقد لبس النبى صلى الله عليه وسلم الصوف وغيره ، فعن المغيرة بن شعبة أنه قال : « وضأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين »[٢] .

وعن أبى بريدة أنه قال : دخلت على عائشة فأخرجت لنا كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين »[٣] .

ومستحب : وهو ما يحصل به أصل الزينة واظهار النعمة قال تعالى : « **وأما بنعمة ربك فحدث** »[٤] .

وعن أبى الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ثوب دون . فقال : « ألك مال » ؟ قلت : نعم . قال : « من أى المال » ؟ قلت : من كل المال قد أعطانى الله تعالى . قال : « فاذا آتاك الله تعالى مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته »[٥] .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يحب اذا أنعم الله على عبده نعمة أن يرى نعمته عليه »[٦] .

ومباح : وهو الثوب الجميل للتزين ولا سيما فى الجمع والأعياد ومجامع الناس : وقد ورد فى اباحة هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته »[٧] .

ومكروه : وهو اللبس للتكبر والخيلاء ، وقد ورد فى هذا[٨] :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) النحل : ٨١ (٢) اخرجه الترمذى .

(٣) أخرجه الخمسة الا النسائى .

(٤) الضحى : ١١ (٥) اخرجه النسائى .

(٦) أخرجه البيهقى .

(٧) أخرجه ابو داوود والبيهقى واخرجه ابو داوود عن يوسف ابن عبد الله بن سلام ، واخرجه ابن ماجه عن عائشة .

(٨) بالاضافة الى نص الوصية التى ندور حولها .

« كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة »[١]

وحرام على الرجال والخناثى المكلفين المختارين : وهو الحرير ، فيحرم على الرجل والخنثى لا المرأة لبسه ولو بحائل بينه وبين بدنه ، وما قيل من أنه لا يحرم الا اذا مس الجلد ، فغير صحيح لا يجوز العمل ولا الفتوى به ، لأنه مخالف لعموم الأدلة ، وهى :

حديث : ابن الزبير رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »[٢] .

وحديث : أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا »[٣]

وحديث : عمر رضى الله عنه الذى يقول فيه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »[٤] .

وحديث : البراء بن عازب رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن الديباج[٥] والحرير والاستبرق[٦]

وحديث : جويرية[٧] بنت الحارث رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير فى الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من نار »[٨] .

وحديث : على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : أخذ حريرا فجعله فى يمينه ، وذهبا فى شماله ثم رفع بهما يديه فقال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى »[٩] .

وحديث : زيد بن أرقم وواثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب والحرير حل لاناث أمتى وحرام على ذكورها »[١٠] .

* * *

---

(١) اخرجه البخارى .

(٢) اخرجه الشيخان واخرجه احمد والنسائى عن انس .

(٣) اخرجه احمد والحاكم . (٤) اخرجه احمد والشيخان .

(٥ ، ٦) الديباج : ما سداه ولحمته من حرير ، والاستبرق : ما غلظ منه . (٧) اخرجه ابن ماجه .

(٨) اخرجه احمد . (٩) اخرجه أحمد .

(١٠) اخرجه الطبرانى فى الكبير ، وابو داوود والنسائى وابن حبان وابن ماجه .

ففى هذه الأحاديث : دلالة على حل لبس الحرير للنساء ، وتحريمه على الرجال ، وهو متفق عليه ان كان الحرير خالصا . وكذا اذا كان غالبا ظاهرا عند جمهور السلف والخلف ، فان الأدلة لم تفرق بين الخالص والمخلوط ، ولأن الأقل كالعدم .

وقال ابن عباس وجماعة : انما يحرم الحرير الصافى الذى لا يخالطه غيره ، فعن خصيف بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس قال : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت[١] من الحرير ، وأما العلم من الحرير وسدى الثوب[٢] فلا بأس به[٣] . وعن ابن جريج عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المصمت اذا كان حريرا[٤] . وعن عبد الله بن سعد عن أبيه قال : رأيت رجلا ببخارى على بغلة بيضاء ، وعليه عمامة خز سوداء ، فقال : كسانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] .

قال ابن الأثير فى « النهاية » :

الخز ثياب تنسج من صوف وابريسيم ، وهى مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون ، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزى المترفين .

وقال المنذرى : الخز أصله من وبر الأرنب ، ويسمي ذكوه الخزر كصرد ، وقيل : ان الخز ضرب من ثياب الابريسيم .

وقال القاضى عياض : الخز ما خلط من الحرير والوبر .

وأجاب الجمهور : عن حديث ابن عباس بأنه يحتمل أن يراد بالمصمت فيه ، الخالص أو ما غالبه حرير ، بدليل قوله : وأما العلم وسدى الثوب فلا بأس به . وعن حديث عبد الله بن سعد عن أبيه ، بأن قول الرجل فى عمامة الخز : كسانيها رسول الله صلى الله عليه

---

(١) المصمت : الخالص .

(٢) السدى : ما يمد طولا فى النسج ، واللحمة : ما ينسج عرضا .

(٣) أخرجه احمد وابو داوود والبيهقى بسند صحيح كما قال النووى ، ولكن خصيف ضعفه احمد وقال : ليس بحجة ولا قوى اهـ . ووثقه ابن معين وابو زرعة .

(٤) أخرجه الطبرانى بسند حسن والحاكم بسند صحيح .

(٥) أخرجه ابو داوود والترمذى والبخارى فى « التاريخ الكبير » .

وسلم « لا يستلزم » جواز لبسها ، لجواز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم سلمها له ليجعلها خمارا لبعض نسائه كما وقع نظيره لعمر وعلى وأسامة بن زيد رضى الله عنهم ، ويحتمل أن تكون تلك العمامة متخذة من حرير وغيره وليس الحرير غالبا ، أو متخذة من وبر الأرنب كما قيل فى الخز .

ومن هذا : تعلم حرمة لبس القطانى والأحزمة المتخذة من الحرير الخالص أو الغالب .

قال النووى فى شرح مسلم : وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسى وهو نوع من الحرير ، فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها الا أن يلبسه للحكة[1] فيجوز فى السفر والحضر وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير بجميع أنواعه ، وخواتم الذهب وسائر الحلى منه ومن الفضة ، سواء المزوجة وغيرها والشابة والعجوز والغنية والفقيرة ، هذا مذهبنا ومذهب الجماهير .. اهـ .

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام مع ضرورة ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع ، وهى :

أنه كما يحرم على الرجال لبس الحرير ، يحرم عليهم استعماله بغيره من أنواع الاستعمال ، فيحرم جعله وسادة أو لحافا أو تكة للسراويل أو سترا أو ملاءة : لحديث حذيفة رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه[2] .

وبهذا قالت المالكية والشافعية ، وأبو يوسف ومحمد ، وهو مشهور مذهب الحنابلة ، وروى عن عمر وأبى عبيدة وسعد ابن أبى وقاص .

وأنه ان كان الحرير مساويا لغيره أو أقل كالخز ، سداه حرير ولحمته من غيره ، فعند الحنفيين يحل استعماله للرجال ولو كانت اللحمة أقل من السدى على الصحيح ، وقيل : لا يحل الا اذا غلبت اللحمة ، وهو الصحيح عند الشافعية والحنابلة .

---

(١) اى الجرب .

(٢) اخرجه البخارى .

وأنه يحل للرجال اليسير من الحرير ، بأن كان قدر أربع أصابع مضمومة فأقل كعلم[١] الثوب والطراز والقيطان والسجاف لاصلاح الثوب ، سواء أكان مركبا عليها أو منسوجا فيها أو مصنوعا بالابرة : لقول سويد بن غفلة : خطب عمر رضى الله عنه بالجابية[٢] فقال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع اصبع أو اصبعين أو ثلاث أو أربع[٣] .

وأنه يجوز لبس الحرير لحاجة كحكة ، أو مرض ، ينفعه لبس الحرير لقول أنس رضى الله عنه : رخص النبى صلى الله عليه وسلم للزبير ، وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة بهما[٤] .

وأنه يجوز للنساء لبس الثياب المصبوغة بعصفر أو زعفران دون الرجال : لقول على رضى الله عنه : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من التختم بالذهب وعن لباس القسى ، وعن القراءة فى الركوع والسجود وعن لباس المعصفرة[٥] »[٦] .

وأنه يجوز للنساء لبس الثوب الأحمر الخالص دون الرجال ، لقول عبد الله بن عمرو : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل عليه ثوبان أحمران فسلم عليه فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم[٧] . وقول البراء بن عازب : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المياثر الحمر والقسى[٨] .

أما الثوب المشرب بالأحمر وغيره كبياض وسواد وغيرهما فانه جائز للرجال والنساء وعليه يحمل حديث البراء بن عازب الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين[٩]

---

(١) علم الثوب : رقمه وهو الطراز كما فى القاموس .
(٢) قرية بدمشق .
(٣) اخرجه السبعة الا البخارى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
(٤) اخرجه احمد والشيخان .
(٥) المصبوغ بالعصفر : وهو نبت اصفر تصبغ به الثياب .
(٦) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٧) اخرجه مالك والبزار وابو داوود والترمذى وحسنه .
(٨) اخرجه البخارى والترمذى .
(٩) اى وسطا ليس بالطويل البائن ولا القصير ، والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين اى عريض اعلى الظهر .

له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته فى حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم[١] .

وأنه يستحب لبس الأبيض وتكفين الموتى فيه ، لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم »[٢] ، وحديث سمرة بن جندب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا ثياب البياض فانها أطيب وأطهر[٣] وكفنوا فيها موتاكم »[٤] وحديث أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحسن ما زرتم الله به فى قبوركم ومساجدكم البياض »[٥] .

والأمر فى هذه الأحاديث محمول على الندب . أما فى اللباس : فلما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه لبس غير الأبيض وأقر كثيرا من الصحابة على ذلك كما تقدم . وأما فى الكفن : فلقول جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا توفى أحدكم فوجد شيئا[٦] فليكفن فى ثوب حبرة[٧] »[٨] .

ويجوز لبس الأصفر غير المعصفر والمزعفر : لما فى حديث عبيد ابن جريج أنه قال لابن عمر رضى الله عنهما : رأيتك تصبغ بالصفرة ، فقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، فأنا أحب أن أصبغ بها[٩] .

ويجوز لبس الأخضر : لحديث يعلى بن أمية أن رسول الله

---

(١) أخرجه السبعة وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وابن حبان وصححاه ، وصححه ابن القطان وأخرجه الحاكم والدارقطنى بلفظ آخر .

(٣) لأن أى نجاسة تظهر فيها فيبادر لابسها الى تطهيرها وتنظيفها .

(٤) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه والحاكم وقيل : صحيح على شرط الشيخين .

(٥) أخرجه النسائى وابن ماجه .

(٦) أى وجد أهله شيئا قليلا فى حال الضرورة .

(٧) نوع مخطط من البرود اليمانية .

(٨) أخرجه أبو داوود والبيهقى .

(٩) أخرجه البخارى مختصرا .

صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا[١] ببرد أخضر[٢] .

ويجوز لبس الأسود : لقول عائشة رضى الله عنها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود[٣] .

ويجوز لبس الأسود مخطط بما لا يلهى ، لقول أنس رضى الله عنه : كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرة[٤] .

ويستحب لبس السراويل للرجال والنساء ، لقول القاسمى : سمعت أبا أمامة يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار ، بيض لحاهم فقال : « يا معشر الأنصار .. حمروا وصفروا[٥] وخالفوا أهل الكتاب » فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتسرولون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسرولوا واتتزروا خالفوا أهل الكتاب .. »[٦] .

ويستحب لبس القميص[٧] ، لقول أم سلمة رضى الله عنها : كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص[٨] .

* * *

وأما عن :

العمامة[٩]

فقد ورد فى فضلها عن عبد الرحمن بن عدى البهرانى عن أخيه عبد الأعلى بن عدى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليا يوم غدير خم[١٠] فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه وقال : « هكذا

---

(١) الاضطباع : جعل وسط الرداء تحت الابط الأيمن وطرفه على الكتف الأيسر .

(٢) اخرجه أحمد والدارمى الا النسائى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) اى غيروا الشيب بالحمرة والصفرة .

(٦) أخرجه أحمد والطبرانى بسند رجاله رجال الصحيح .

(٧) هو ما يلبس تحت الثياب .

(٨) أخرجه الحاكم والثلاثة وقال الترمذى : حسن غريب .

(٩) العمامة : بكسر العين ما يلف على الراس .

(١٠) اسم موضع .

اعتموا على العمائم سيما الاسلام ، وهى حاجزة بين المسلمين والمشركين »[١] .

قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى « در العمامة » : واستفيد من هذا الخبر تأكيد سنية العمامة .. اهـ[٢] .

وقد ورد عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمائم ، ويلبس العمائم بغير القلانس (الحديث)[٣] . ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم لبس القلنسوة بغير العمائم .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم : لبس العمامة البيضاء ، والسوداء ، والصفراء ، والمخططة . وأفضلها البيضاء : لعموم الأخبار الدالة على هذا :

قال المناوى فى شرح الشمائل : والأفضل فى لبسها البياض (وصحة لبس) المصطفى صلى الله عليه وسلم السواد ، ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفراء (لا يعارضه) لأنه لمقاصد ومصالح اقتضاها خصوص ذلك المقام كما بينه بعض العلماء . فلا ينافى عموم الخبر الصحيح الأمر بلبس البياض وأنه خير الألوان فى الحياة والممات .. اهـ .

وقال فى « در العمامة » : الأفضل فى لون العمائم : البياض (وصحة) لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفر (الظاهر) أنه لحكمة تختص بذلك اليوم ، وهى اظهار أمارات السرور للمسلمين بأنهم سينتصرون على عدوهم .. الخ .

ولم يثبت فى قدر عمامة النبى صلى الله عليه وسلم حديث يصح الاعتماد عليه ، فالمعول عليه فى حق كل واحد عادة أمثاله ...

قال الشهاب الخفاجى فى شرحه على الشفاء : وكانت عمامته صلى الله عليه وسلم قصيرة صغيرة .. اهـ . والمراد أنها كانت مائلة الى القصر والصغر ، فلا ينافى أنها كانت متوسطة .

وفى هذا يقول القسطلانى فى « المواهب اللدنية » : لم تكن عمامته

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى « معرفة الصحابة » والديلمى ، وكذا احمد وزاد : وقال : « ان الله أمدنى يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون ، هذه العمامة حاجزة بين الكفر والايمان » .

(٢) والأحاديث فى هذا كثيرة وان كان فيها مقال فهى لكثرتها يقوى بعضها بعضا .

(٣) أخرجه ابن عساكر .

صلى الله عليه وسلم بالكبيرة التى تؤذى حاملها ، ولا بالصغيرة التى تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد ، بل وسطا بين ذلك .. اهـ . ونحوه فى « زاد المعاد » .

وقد ورد فى حكم العذبة ، وهى لغة : طرف الشىء ، وشرعا : طرف العمامة المرسلة على العنق فأسفل الى نحو ذراع ، وأقلها أربعة أصابع وأوسطها شبر .

فقد ورد فى حديث نافع عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه . قال نافع : وكان ابن عمر يسدل عمامته بين كتفيه . قال عبد الله : ورأيت القاسم وسالما يفعلان ذلك[١] .

وورد كذلك عن على رضى الله عنه أنه قال : عممنى النبى صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبى وقال : « ان الله أمدنى يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمامة . وقال : ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين »[٢] .

والحاصل كما يقول شيخنا الأكبر[٣] : أن ارسال العذبة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة بقوله وفعله وأمره وتقريره صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم ارخاء العذبة بأنه أعرب وأحسن .

ولذا : اتفق السلف والخلف على أن العمامة والعذبة من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنهم اختلفوا فى أن العذبة سنة مؤكدة أو مستحبة[٤] .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذه الشروط التى يجب أن تلاحظ بالنسبة لزى المرأة ، وهى :

استيعاب جميع البدن الا ما استثنى : وهذا هو ما تشير اليه الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .
(٢) أخرجه ابن أبى شيبة وأبو داوود الطيالسى .
(٣) فى « الدين الخالص » جـ ٦
(٤) راجع كل هذا بالاضافة الى نصوص الفقهاء فى الجزء السادس من « الدين الخالص » .

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها »[١] •

ففي الآية دليل على وجوب ستر الزينة كلها وعدم اظهار شيء منها أمام الأجانب الا ما ظهر بغير قصد منهن ، فلا يؤاخذن عليه اذا بادرن الى ستره •

وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذا الجزء من الآية وهو : « **الا ما ظهر منها** » : أي لا يظهر شيئا من الزينة للأجانب الا ما لا يمكن اخفاؤه ، قال ابن مسعود : كالرداء والثياب ، يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها ، وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكن اخفاؤه » •

وقد اختلفت أقوال السلف في تفسيرها : فمن قائل : انها الثياب الظاهرة ، ومن قائل : انها الكحل والخاتم والسوار والوجه وغيرها من الأقوال التي رواها ابن جرير في تفسيره (١٨ : ٨٤) عن بعض الصحابة والتابعين ، ثم اختار هو : أن المراد بهذا الاستثناء : الوجه والكفان •

قال القرطبي : « قلت هذا قول حسن ، الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما ، يدل على ما رواه أبو داوود عن عائشة رضي الله عنها : أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : « يا أسماء •• ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه » ، فهذا أقوى في جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس ، فلا تبدي المرأة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها •• والله الموفق لا رب سـواه » •

أن لا يكون زينة في نفسه :

والى هذا يشير قول الله تعالى في آية سورة النور : **« ولا يبدين زينتهن »** •

---

(١) النور : ٣١

وسورة الأحزاب : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »[١] .

(والتبرج) : أن تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما يستدعى به شهوة الرجل[٢] .

واذا كان المقصود من الأمر بالجلباب انما هو ستر زينة المرأة ، فانه لا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة .

ولذلك قال الامام الذهبى فى كتاب « الكبائر » ص ١٣١ : « ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة اظهــار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ، ولبسها الصباغات والازر الحريرية والأقبية القصار ، مع تطويل الثياب وتوسعة الأكمام وتطويلها ، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة ، ولهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء قال عنهن النبى صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

أن يكون صفيقا[٣] لا يشف :

لأنه اذا كان يشف لا يقوم بواجب الستر ، وانما قد يزيد المرأة فتنة وزينة ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، العنوهن فانهن ملعونات » وزاد فى حديث آخر : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال ابن عبد البر : أراد صلى الله عليه وسلم النساء اللواتى يلبسن من الثياب الشىء الخفيف الذى يصف ولا يستر ، فهن كاسيات بالاسم عاريات فى الحقيقة[٤] .

ولهذا قال العلماء : « ويجب ستر العورة بما لا يصف لون البشرة

---

(١) الأحزاب : ٣٣

(٢) كذا فى « فتح البيان » ٧ : ٢٧٤

(٣) قال فى « لسان العرب » : وثوب صفيق متين بين الصفاقة ، وثوب صفيق : جيد النسج . وفى « القاموس » : وثوب صفيق ضد السخيف ، السخيف : هو القليل الغزل .

(٤) نقله السيوطى فى « تنوير الحوالك » ٣ : ١٠٣

من ثوب صفيق أو جلد أو ورق ، فان ستر بما يظهر فيه لون البشرة من ثوب رقيق لم يجز لأن الستر لا يحصل بذلك »[١] .

وقد عقد ابن حجر الهيثمى فى « الزواجر » ١ : ١٢٧ بابا خاصا فى لبس المرأة ثوبا رقيقا يصف بشرتها وأنه من الكبائر ، ساق فيه الحديث المتقدم ثم قال : « وذكر هذا من الكبائر ظاهر لما فيه من الوعيد الشديد . ولم أر من صرح بذلك الا أنه معلوم بالأولى مما مر فى تشبههن بالرجال » .

أن يكون فضفاضا غير ضيق يصف شيئا من جسمها :

لأنه وان ستر لون البشرة فانه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره فى أعين الرجال ، وفى ذلك من الفساد والدعوة اليه مما لا يخفى فوجب أن يكون واسعا ، وقد روى فى هذا عن أسامة بن زيد رضى الله عنه أنه قال : كسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبى ، فكسوتها امرأتى ، فقال : « مالك لم تلبس القبطية » ؟ قلت : كسوتها امرأتى ، فقال : « مرها فلتجعل تحتها غلالة ، فانى أخاف أن تصف حجم عظامها »[٢] .

فقد أمر صلى الله عليه وسلم بأن تجعل المرأة تحت القبطية غلالة وهى ــ شعار يلبس تحت الثوب ــ ليمنع بها وصف بدنها ، والأمر يفيد الوجوب كما تقرر فى الأصول ، ولذلك قال الشوكانى فى شرح هذا الحديث ما نصه : « والحديث يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه ، وهذا شرط ساتر العورة ، وانما أمر بالثوب تحته لأن القباطى ثياب رقاق لا تستر البشرة عن رؤية الناظر بل تصفها » .

أن لا يكون مبخرا مطيبا :

وقد ورد فى هذا عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت

---

(١) ذكره فى « المهذب » ٣ : ١٧٠ بشرح « المجموع » .

(٢) أخرجه الضياء المقدسى فى « الاحاديث المختارة » واحمد والبيهقى بسند جيد .

على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية »[١] • وعن زينب الثقفية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خرجت احداكن الى المسجد فلا تقربن طيبا »[٢] • وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة »[٣] •

فاذا كان هذا قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما لمن تريد الخروج الى المسجد ، فما بالك بمن تريد الخروج الى السوق والأماكن العامة ، لا شك أن هذا يعتبر أشد حرمة وأكبر اثما •

وقد ذكر الهيثمى فى « الزواجر » ٢ : ٣٧ : أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة من الكبائر ولو أذن لها زوجها •

أن لا يشبه لباس الرجل :

وقد ورد فى هذا : عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل »[٤] •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال »[٥] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم • قال : فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا ، وأخرج عمر فلانا »[٦] • وفى لفظ : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال »

---

(١) اخرجه النسائى وأبو داوود والترمذى والحاكم واحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما كما فى « الترغيب » وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢ ، ٣) اخرجهما مسلم وأبو عوانة فى صحيحيهما ، واصحابه السنن وغيرهم .

(٤) اخرجه أبو داوود ، وابن ماجه ، والحاكم ، وأحمد .

(٥) اخرجه احمد .

(٦) اخرجه البخارى وأبو داوود والدارمى وأحمد والترمذى .

وقد أورد الذهبى تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء فى « الكبائر »[١] وأورد بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : فاذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ، ولزوجها اذا أمكنها من ذلك أو رضى به ولم ينهها ، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : « **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** »[٢] ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » .

وتبعه فى ذلك الهيثمى فى « الزواجر » ثم قال : « عد هذا من الكبائر واضح لما عرفت من هذه الأحاديث الصحيحة وما فيها من الوعيد الشديد ، والذى رأيته لأئمتنا أن ذلك التشبه فيه قولان أحدهما : أنه حرام ، وصححه النووى بل صوبه ، وثانيهما : أنه مكروه ، وصححه الرافعى فى موضع ، والصحيح بل الصواب ما قاله النووى من الحرمة ، بل ما قدمته من أن ذلك كبيرة ، ثم رأيت بعض المتكلمين على الكبائر عده منها وهو ظاهر » .

أن لا يشبه لباس الكافرات :

لما تقرر فى الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالا ونساء التشبه بالكفار سواء فى عبادتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم .

واذا كان الذى يعنينا هو موضوع التشبه بهم فى اللباس ، فقد ورد فيه : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال : « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها »[٣] .

وعن على ـــ رضى الله عنه ـــ رفعه : « اياكم ولبوس الرهبان ، فانه من تزيا بزيهم أو تشبه فليس منى »[٤] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم ، فقال : يا معشر

---

(١) صفحة ١٢٩ (٢) التحريم : ٦

(٣) أخرجه مسلم والنسائى والحاكم وأحمد وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه الطبرانى فى « الأوسط » بسند لا بأس به .

الأنصار .. حمروا أو صفروا ، خالفوا أهل الكتاب . قال فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب . قال : فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون ؟ قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب . قال : فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ؟ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب »(١) .

أن لا يكون لباس شهرة :

وقد ورد فى هذا : أن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ، ثم ألهب فيه نارا »(٢) .

قال الشوكانى : « والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة ، وليس هذا الحديث مختصا بنفس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتجمعوا من لباسه ويعتقدوه . قاله ابن رسلان . واذا كان اللبس لقصد الاشتهار فى الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها ، والموافق لملبوس الناس والمخالف ، لأن التحريم يدور مع الاشتهار ، والمعتبر القصد وان لم يطابق الواقع » .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذا الحديث الذى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيره ، وخير ما وضع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »(٣) .

---

(١) اخرجه احمد .

(٢) اخرجه ابو داوود وابن ماجه واحمد .

(٣) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .

وهذا الحديث الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا لبستم واذا توضأتم فابدأوا بأيامنكم »(١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن فى شأنه كله : طهوره وترجله وتنعله »(٢) .

* * *

واذا رأيت من يلبس ثوبا جديدا وأردت أن تدعو له فحسبك ما ورد فى هذه الأحاديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر ثوبا فقال : « البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا ، ويرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة »(٣) .

وعن أم خالد بنت سعيد بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بكسوة فيها خميصة(٤) صغيرة فقال : « من ترون أحق بهذه » ؟ فسكت القوم فقال : « ايتونى أم خالد » فأتى بها فألبسها اياها ، ثم قال : « أبلى وأخلقى — مرتين »(٥) .

وقال أبو نضرة المنذر بن مالك : « وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له : تبلى ويخلف الله تعالى »(٦) .

* * *

وأما عن :

التحلى بالذهب والفضة

فالثابت أنه يحل التحلى بهما للنساء ، أما الرجال فانه لا يحل لهم غير التختم بالفضة وقد ورد فى هذا :

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داوود والترمذى باسناد صحيح .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) أخرجه احمد والطبرانى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه
(٤) الخميصة : كساء اسود معلم الطرفين من خز او صوف .
(٥) أخرجه احمد وابو داوود وكذا البخارى واخرجه الطبرانى والبغوى والحاكم عن خالد بن سعيد بن العاص .
(٦) اخرجه ابو داوود والبيهقى .

عن على رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله فى يمينه وذهبا فجعله فى شماله ثم قال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى »[١] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لاناثهم »[٢] .

وعن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه[٣] .

وعن عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما قالا : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب[٤] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلى باطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله ، فاتخذ الناس مثله ، فلما رآهم اتخذوه رمى به وقال : « لا ألبسه أبدا »[٥] ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة . قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان فى بئر أريس[٦] »[٧] .

وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « نهانى النبى صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب ، وعن لباس القسى[٨] ، وعن القراءة فى الركوع والسجود ، وعن لباس المعصفر »[٩] .

---

(١) رواه ابو داوود باسناد حسن .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

(٤) اخرجه الطحاوى وكذا الشيخان من حديث ابى هريرة والترمذى وحسنه عن عمران بن حصين .

(٥) قال ذلك لما رأى تكبرهم بلبسه أو لكونه من ذهب ، وكان وقتئذ حرم على الرجال .

(٦) اريس كعظيم : حديقة بقرب مسجد قباء .

(٧) اخرجه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٨) وهو نوع من الثياب مخطط من ثياب الشهرة .

(٩) اخرجه احمد ومسلم والنسائى والترمذى وقال : حسن صحيح .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة أن ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، قداحة (ولاعة) الذهب ، علبة الذهب للسجائر ، والفم الذهب .. الخ . حكمه كحكم الخاتم الذهب .

وأما المعادن الأخرى كالحديد وغيره فلم يرد نص صحيح يحرمها ، بل ورد فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى أراد أن يتزوج المرأة الواهبة نفسها : « التمس ولو خاتما من حديد » وبه استدل البخارى على خاتم الحديد .

* * *

وأما عن :

التصـــدق

الذى يوصينا به المصطفى صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية بعد قوله : « كلوا واشربوا والبسوا » بقوله :

* (... وتصدقوا ...) :

فالمراد به كما هو واضح من سياق الوصية أن (نترجم) شكرنا لله سبحانه وتعالى على ما أنعم علينا من مأكل ومشرب وملبس : بالعطف والاحسان على الفقراء والمحتاجين الذين لولا فضل الله علينا لكنا أفقر منهم ، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى وهو ذو الفضل العظيم أن يفضلنا عليهم فى الرزق ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق »**[1] .

واذا كنت أقول (نترجم) فاننى أعنى بهذا أن يكون شكرنا لله سبحانه وتعالى عمليا ، لا مجرد كلام معسول ، أو تقبيل للأيادى .

وحسبك حتى تعرف فضل التصدق الذى وقفت على أهميته : أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التى ستعرف من خلالها فضل هذا التصدق ومسالكه ودروبه التى ستوصلنا حتما ان سلكناها الى جنة الله تعالى الذى يقول : **« وما تنفقوا من خير فان الله به عليم »**[2] ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة »[3] .

---

(١) النحل : ٧١ (٢) البقرة : ٢٧٣
(٣) رواه البخارى ومسلم .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه[١] أحد الا كان له صدقة »[٢] .

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة »[٣] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »[٤] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال: أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » ، قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف — أو الخير » ، قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة »[٥] .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : **« وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »**[٦] .

ويقول : **« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه »**[٧] .

فحسبك حتى يتضح لك هذا الذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه مؤكدا اياه فى هاتين الآيتين أن تقرأ كذلك معى هذه الأحاديث الشريفة :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله .. ما منا أحد الا ماله أحب اليه . قال : « فان ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر »[٨] .

---

(١) يرزؤه : أى ينقصه .
(٢) رواه مسلم .
(٣ ، ٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) البقرة : ٢٧٢
(٧) سبأ : ٣٩
(٨) رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفــا »(١) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم ينفق عليك »(٢) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل »(٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أنهم ذبحوا شاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى الا كتفها ، قال : « بقى كلها غير كتفها »(٤) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله الا الطيب — فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه(٥) حتى تكون مثل الجبل »(٦) .

وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يمشى بفلاة من الأرض ، فسمع صوتا فى سحابة : أسق حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة(٧) فاذا شرجة(٨) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك المــاء كله ، فتتبع المــاء ، فاذا رجل قائم فى حديقته يحول المــاء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله .. ما اسمك ؟ قال فلان — للاسم الذى سمع فى السحابة — فقال له : يا عبد الله .. لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه ، اسق حديقة فلان .. لاسمك فما تصنع فيها ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .
(٥) فلوه بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر بضم الميم .
(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) الحرة : أرض ذات حجارة سوداء .
(٨) هى مسيل المــاء .

فقـــال : أما اذ قلت هذا ، فانى أنظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه »[١] .

* * *

وأما عن :

الاسراف والكبر

اللذين يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم منهما فى ختـــام الوصية بقوله :

* (... فى غير اسراف ولا مخيلة) :

فحسبك حتى تدرك خطورة الاسراف والكبر ، أن تقرأ أولا قول الله تبارك وتعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »[٢] .

« ... فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون . لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين »[٣]

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الاسراف فى المـــأكل والمشرب فحسبك حتى تعرف أنه صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأصحابه ولكل فرد فى أمته ، فى تنفيذ هذا أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التى يحذر فيها كذلك من الاسراف :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض »[٤] .

وفى رواية : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض »[٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن[٦]

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) النحل : ٢٢ ، ٢٣
(٤ ، ٥) رواهما البخارى ومسلم ، وقبض : أى انتقل الى جوار ربه .
(٦) وفى رواية : « بطنه » .

بحسب ابن آدم أكلات[١] يقمن صلبه ، فان كان لا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم يأكل فى معى واحد[٣] ، والكافر فى سبعة أمعاء »[٤] .

وعن أبى جحيفة رضى الله عنه قال : أكلت ثريدة من خبز ولحم ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فجعلت أتجشأ[٥] ، فقال : « يا هذا .. كف[٦] عنا من جشائك ، فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة »[٧] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة »[٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب[٩] ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة[١٠] واقرأوا ان شئتم : **« فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[١١] »**[١٢] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الاسراف أن تأكل ما اشتهيت »[١٣] .

---

(١) وفى رواية : « لقيمات » تصغير لقمة .
(٢) رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه الا ابن ماجه قال : « فان غلبت الآدمى نفسه فثلث للطعام ... » .
(٣) أى يزهد فيها فلا يتناول منها الا قليلا بعكس الكافر .
(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم .
(٥) هو ريح يخرج من الفم مع صوت عند الشبع .
(٦) وفى رواية : « اكفف » أى نح وابعد .
(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٨) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٩) أى الكثير الأكل والشرب .
(١٠) وهو مثل يضرب لنهاية الصغر والهوان .
(١١) قال ابن كثير : أى تثقل موازينهم لأنها خالية من الخير — والآية من سورة الكهف : ١٠٥ (١٢) رواه البيهقى ، واللفظ له .
(١٣) رواه ابن ماجه ، وابن أبى الدنيا فى كتاب « الجوع » ، والبيهقى ، وقد صحح الحاكم اسناده لمتن غير هذا ، وحسنه غيره .

وعن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية[١] فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير »[٢] .

* * *

وأما النهى عن الاسراف فى الملبس والخيلاء به فقد ورد فيه :

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء »[٣] .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله .. ان ازارى يسترخى[٤] الا أن أتعاهده[٥] ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك لست ممن يفعله خيلاء »[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حميد[٧] ــ كأنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ــ قال : « الازار الى نصف الساق »[٨] فشق عليهم ، فقال : « أو الى الكعبين[٩] لا خير فيما فى أسفل من ذلك[١٠] »[١١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أسفل من الكعبين من الازار ففى النار[١٢] »[١٣] .

---

(١) اى مشوية . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) اى يطول ويتدلى على الأرض وذلك لنحافته رضى الله عنه فكان ازاره ينزل على حقويه .

(٥) اى اداوم على رفعه المرة بعد المرة .

(٦) رواه البخارى وابو داوود والنسائى ورواه مسلم بلفظ آخر .

(٧) هو فعيل بمعنى مفعول ، اى محمود .

(٨) اى يكون طوله الى نصف الساق فهذه اكمل أحواله .

(٩) يعنى لا حرج على من أطاله الى الكعبين .

(١٠) اى فيما تجاوز الكعبين بلّ هو فى النار .

(١١) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح .

(١٢) اى ما غطاه الازار بعد الكعبين من قدم صاحبه فهو فى النار .

(١٣) رواه البخارى .

وعنه أيضا : « ازرة المؤمن الى عضلة ساقه[1] ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى كعبه ، وما تحت الكعبين من الازار ففى النار »[2] .

* * *

هذا .. ولا مانع مع مراعاة هذه القواعد الأساسية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الأحاديث التى تحدد طول الثياب الشرعى الخالى من الاسراف : أن يلبس المسلم ثوبا جديدا ونعالا حسنا وقد ورد فى هذا :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق[3] وغمط الناس[4] »[5] .

ولله در الامام مالك رضى الله عنه ، فلقد قال فى هذا :

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن فى الثياب تواضعا فالله يعلم ما تكن وتكتم
فرثيث ثوبك لا يزيدك رفعة عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الاله وتتقى ما يحرم

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى : **« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور »[6] .**

وحتى تكون معتدلا فى مأكلك ومشربك وملبسك . وتصدقك ، اليك كذلك هذا الأثر الذى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والذى سئل فيه عن قول العرب : « حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط » ، وهل هو موجود فى القرآن ؟ فأجاب بقوله : نعم فى أربعة مواضع :

---

(١) العضلة : كل عصبة معها لحم مجتمع .
(٢) رواه النسائى .
(٣) بطر الحق : دفعه ورده على قائله .
(٤) غمط الناس : اى احتقارهم .
(٥) رواه مسلم . .
(٦) لقمان : ١٨

فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : « **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك** »(١) أى : وسط بين الكبر والصغر •

وفى قوله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** »(٢) أى : فتوسط بين الأمرين •

وفى قوله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** »(٣) وهذا السبيل هو الوسط •

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** »(٤) أى وسطا •

* * *

وحتى لا يتسرب الكبر الى قلبك اليك أيضا هذين الأثرين الواردين عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

« مال ابن آدم والكبر : أوله نطفة مذرة(٥) وآخره جيفة قذرة ، وهو ما بين ذا وذاك يحمل العذرة »(٦) •

« مال ابن آدم والكبر : تقتله شرقة ، وتنتنه عرقة ، وتؤلمه بقة » •

* * *

وكذلك اليك نداء الأرض الذى روى أنها تناديك به كل يوم خمس مرات ، وهو :

يا ابن آدم •• تمشى على ظهرى ومصيرك الى بطنى •

يا ابن آدم •• تفرح على ظهرى فسوف تحزن فى بطنى •

يا ابن آدم •• تضحك على ظهرى فسوف تبكى فى بطنى •

يا ابن آدم •• تذنب على ظهرى فسوف تعذب فى بطنى •

يا ابن آدم •• تأكل الألوان على ظهرى فسوف تأكلك الديدان فى بطنى •

* * *

---

(١) البقرة : ٦٨ (٢) الاسراء : ٢٩

(٣) الاسراء : ١١٠ (٤) الفرقان : ٦٧

(٥) مذرت البيضة والمعدة مذرا ، فهى مذرة من باب تعب : فسدت .

(٦) وحتى البول والغائط .

الوَصيّة الثالثة والثلاثون

عن عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : باسم الله — ثلاثا — وقل — سبع مرات — : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

(رواه مسلم فى الصحيح)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذا الدعاء العظيم[1] الذى عالج به المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الصحابى الجليل : وهو عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه الذى شكا اليه — صلوات الله وسلامه عليه — وجعا يجده فى جسده منذ أسلم[2] . فكان أن أكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ضع يدك على الذى يألم من جسدك » أى : على موضع الألم منه « وقل : بسم الله — ثلاثا » أى : قلها ثلاث مرات « وقل : — سبع مرات — أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » أى : من شر ما أحسه من الألم ومن شر ما أخافه من المرض ونحوه .

وفى رواية أخرى رواها الامام مالك رضى الله عنه أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البسملة — ثلاثا — أن يقول سبعا : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » أى : من غير قوله : وأحاذر ، ولكنها زيادة صحيحة كما عرفت فى نص الرواية السابقة ، ولذا يجب اثباتها . ثم يقول عثمان فى هذه الرواية الثانية بعد ذلك : ففعلت ذلك فأذهب

---

(١) الذى رواه كما قرات فى نص الوصية : مسلم فى صحيحه ، ورواه أيضا مالك وابو داوود والترمذى والنسائى واحمد وابن ماجه .

(٢) وكان اسلامه فى السنة التاسعة حيث قدم مع وفد ثقيف بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان . . ومات فى خلافة معاوية .

الله ما كان بى — أى : من الألم وشفانى — فلم أزل آمر بها أهلى وغيرهم .

وفى رواية ثالثة رواها الترمذى وأبو داوود مثل ذلك وقالا فى أول حديثهما : أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى وجع قد كاد يهلكنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امسح بيمينك سبع مرات ثم قل : أعوذ بعزة الله وقدرته ... » الحديث ، أى : امسح بيمينك على موضع الألم وأنت تردد هذا الدعاء . وليس المراد كما هو مفهوم من ظاهر الحديث : أن تمسح أولا سبع مرات ثم تدعو .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة أن هذا الدعاء الذى وقفت عليه فى هذه الروايات الثلاث : يعتبر تعويذة عظيمة تقوم على الالتجاء والتحصن بصفتين من أعظم الصفات وهما عزة الله التى يذل لها كل شىء ، وقدرته التى لا يعجزها شىء : من كل ما يجده الانسان أو يخافه ويتوقعه من الآلام والأوجاع التى كثيرا ما يتعرض الانسان لها فى حياته الأولى .

* * *

ولهذا رأيت و « الدين النصيحة ... »[1] أن أنصحك : بالانتفاع بهذا العلاج المحمدى (المجرب) والذى انتفعت به شخصيا مرتين تعرضت فيهما لألم شديد كاد أن يقتلنى لولا لطف الله وبركة هذا الدعاء الذى ما كدت أردده فى كل من المرتين كما علم الرسول صلى الله عليه وسلم راويه رضى الله عنه حتى ذهب الألم وكأنه لم يكن .

وذلك لأننى كنت وأنا أردد هذا الدعاء أومن ايمانا جازما بهذه النتيجة الحتمية التى لابد منها ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا « ... ينطق عن الهوى »[2] قد أخبر بها ، ونبه عليها .

وهذا شرط أساسى فى قبول هذا الدعاء والاستفادة به وبغيره من الأدعية التى علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى جميع المناسبات ، وعلى سبيل المثال ما حدث :

يوم أن دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد فوجد أبا أمامة يجلس فيه فى غير وقت صلاة ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) النجم : ٣ بلفظ : « وما ينطق عن الهوى » .

« مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة » ؟ قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله • قال : « أفلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » يقول أبو أمامة : ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى[1] •

ويوم أن جاء رجل الى أبى الدرداء رضى الله عنه وقال له : قد احترق بيتك • فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من النبى صلى الله عليه وسلم من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهـــار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ، اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتهـــا ، ان ربى على صراط مستقيم »[2] • فقد روى أنه ذهب فعلا بعد ذلك الى بيته فرأى أن جميع المنازل المحيطة ببيته قد احترقت الا بيته •

* * *

وحتى يتضح لك هـــذا ، اليك هذا الحـــديث الذى ورد فى الصحيحين وذكره ابن القيم فى كتاب « زاد المعاد » والذى قد يتصل اتصالا وثيقا بموضوع الوصية وما أردت الوصول اليه وهو حتمية الايمان اذا أردنا الاستفادة بمثل هذا الدعاء بصفة عامة ، وحتى لا أطيل عليك فاليك هذا الحديث الذى خلاصته :

أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : ان أخى استطلق بطنه • فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « اسقه عسلا » ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا ـــ مرتين أو ثلاثا ـــ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له فى كل مرة : « اسقه عسلا » وفى المرة الثالثة ـــ أو الرابعة ـــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » •

---

(١) أخرجه ابو داوود .   (٢) أخرجه ابن السنى .

فهذا المريض كما هو واضح من سياق الحديث لو تناول العسل وهو يؤمن ايمانا جازما بأنه سيكون سببا فى ازالة ما فى بطنه من استطلاق ما دام الله سبحانه وتعالى قد أشار الى هذا فى حديثه عن النحل فقال : « **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ... »(١) ، وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد نصحه بهذا .

ولكن كما يبدو لم يتناول العسل بايمان ولهذا لم يذهب ما كان يشكو منه .

وقد حدثنى صديق لى ــ والشىء بالشىء يذكر ــ أن أحد الصالحين مرض فقال له أولاده : أنحضر لك الطبيب ؟ فقال لهم : أنا أعرف علاجى ، ثم أمرهم بعد ذلك بأن يحضروا قليلا من عسل النحل ، ثم يخلطوه بقليل من زيت الزيتون ، وقليل من المــاء ، وهو يقول لهم : هذه (خلطة) مباركة أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى كتابه العزيز فقال عن عسل النحل : « ... **فيه شفاء للناس** » وقال عن المــاء : « **ونزلنا من السماء ماء مباركا** »(٢) وقال عن شجرة الزيتون : « **يوقد من شجرة مباركة زيتونة** »(٣)

وفعلا تناول هذا العلاج المبارك بايمان فكان شفاء له .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عالج كما رأيت بالدعاء وحصن به ، فقد كان كذلك يعالج بالأدوية الطبيعية ، وقد ورد فى هــذا :

أنه صلى الله عليه وسلم عالج الحمى بالمــاء ، وفى هذا يقول الامام أحمد فى مسنده : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل » وثبت فى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالمــاء البارد ويستقبل نهرا جاريا ، فليستقبل جرية المــاء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس وليقل : بسم الله ، اللهم اشف عبدك ، وصدق رسولك ، وينغمس فيه ثلاث

---

(١) النحل : ٦٩ — (٢) سورة ق : ٩

(٣) النور : ٣٥

غمسات ثلاثة أيام ، فان برأ والا خمسا وان لم يبرأ فى خمس فسبع ، فانها لا تكاد تجاوز السبع باذن الله » وقد اتفق أهل الحديث أن هذا الخطاب خاص بأهل الحجاز .

وأنه صلى الله عليه وسلم — كما عرفت سابقا — عالج استطلاق البطن بالعسل ، وذلك لأن العسل فيه جلاء ودفع للفضول .

وأنه صلى الله عليه وسلم عالج الجراحات برماد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك فى يوم أحد .

وأنه صلى الله عليه وسلم أمر فى دواء وجع العين بالسكون والراحة ، ومنع أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه من أكل الرطب فى حال الرمد ، وكان لا يقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين الى أن يحصل لها الشفاء

وعالج صلى الله عليه وسلم بالحجامة ، يوم أن وضعت له اليهودية السم فى الشاة التى تناول منها ، فنطقت الشاة بما معناه : لا تزد على هذا فانى مسمومة . فاحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين فى ثلاثة مواضع ، وأمر من معه بذلك ، وعاش بعد ثلاث سنين .

وعالج صلى الله عليه وسلم لدغ العقرب بالماء والملح ، ففى مسند أبى بكر بن أبى شيبة روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى — اذ سجد — فلدغه عقرب فى اصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال : لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره . ثم طلب ظرف ماء وملحا ووضع اصبعه فى الماء والملح وقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين ولم يزل يكررهن حتى زال الألم » .

وأمر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بحلق الرأس لتتفتح المسام وتتصاعد الأبخرة وتضعف المادة التى يتولد منها القمل .

وعالج صلى الله عليه وسلم وجع القلب بتمر المدينة ، فقد ثبت فى سنن أبى داوود عن سعد قال : مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى وقال لى : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب — ثم قال — : فليأخذ — يعني صاحب هذه العلة — سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن » .

وفى التمر خاصية عجيبة لهذا المرض ، وفى تخصيص السبع سر علم بالوحى وقال : « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر »[١] .

وقال : « ان فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة » .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا حدث برأسه صداع وضع عليه الحناء ويقول : « هذا ينفع الصداع » ، وفى سنن ابن ماجه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول : انه نافع باذن الله من الصداع » .

وقال صلى الله عليه وسلم فى علاج عرق النسا : « دواء عرق النسا الية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم تشرب على الريق فى كل يوم جزء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « الشفاء فى ثلاثة : فى شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتى عن الكى » . قال العلماء : هذا الحديث أشار الى معالجة جميع الأمراض المادية لأن المرض اما دموى أو صفراوى أو بلغمى أو سوداوى ، فان كان دمويا فعلاجه باخراج الدم ، وان كان من الأقسام الثلاثة فعلاجها بالاسهال نبه بالعسل على ذلك ، وبالمحجم على الفصد والحجامة ، وبالكى على حالة فيها يعجز الطبيب ويعيا ، وآخر الدواء الكى .

كما أمر صلى الله عليه وسلم باجتناب معاشرة أرباب الأمراض المعدية كما فى حديث أبى هريرة مرفوعا : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد »[٢] وصح فى حديث جابر : أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « انا بايعناك فارجع »[٣] .

كما كان صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان يعالج البدن بالقىء ، لأنه أحد الاستفراغات الخمس التى هى أصل أنواع الاستفراغات وهى الاسهال .

---

(١) ورد فى الصحيحين كما قال فى « زاد المعاد » .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه تعليقا .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه .

كما أمر صلى الله عليه وسلم أن يعالج المريض فى بعض الأحيان بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم ، فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه »[١] .

وأمر كذلك فى معالجة الحزن والغم (بالتلبينة) وهى طعام رقيق يصنع من دقيق الشعير غير منخول ، بشرط أن يطبخ طبخا تاما ليكون فى القوام والرقة كالحليب ، ولذا قالوا (التلبينة) وله حكم الشعير الذى عليه اعتماد الأطبـــاء فى أكثر المعالجات ، وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها : أنها كانت اذا مات الميت من أهلها واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن الى أهلهن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صبت التلبينة عليه ثم قالت : كلوا منها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض وتذهب بعض الحـــزن »[٢] .

وكان صلى الله عليه وسلم يعالج جميع الأمراض بهذا الدعاء الذى يقول فيه أبو الدرداء رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم شيئا فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين أنزل رحمـــة من عنـــدك وشـــفاء من شـــفائك على هذا الوجع ، فيبرأ باذن الله »[٣] .

وثبت فى صحيح مسلم : « أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو وجع [فقال : يا محمد .. اشتكيت ؟ قال : نعم] قال : بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس وعين بسم الله أرقيك والله يشفيك » .

وثبت أيضا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : « انطلق نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .　　(٢) ورد فى الصحيحين .
(٣) رواه أبو داوود فى سننه .

فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شىء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط .. ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شىء فلم ينفعه فهل عند أحدكم من شىء ؟ فقال بعضهم : أى والله .. انى لأرقى ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ : « الحمد لله رب العالمين »[1] فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى وما به قلبة[2] فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه » هذا لفظ البخارى .

وقال بعضهم : « اقتسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يأمرنا به ، فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له [ذلك] فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم .. اقسموا واضربوا لى معكم سهما » .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وكن حريصا على الانتفاع بكل ما وقفت عليه من علاج روحى أو طبيعى وأنت موقن بالاجابة وحتمية هذه النتيجة التى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم عليها قرين كل دعاء أو علاج .

* * *

واعلم : أن الطب النبوى متيقن النجاح قطعا لأنه صادر عن الوحى الالهى ومشكاة النبوة ، وكمال العقل . وأما طب الغير غالبا فانه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة ، وهذا مثار الخطر ؛ ومن لا ينتفع بالطب النبوى فينبغى أن يعلم يقينا أنه من نقص ايمانه ، ومن تلقاه بالقبول والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به البتة كما أن القرآن

---

(١) أى يقرأ فاتحة الكتاب ، لأنها تشتمل على جميع معانى القرآن الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه كما روى ابن ماجه فى سننه : « خير الدواء القرآن » .

(٢) اى علة وألم .

الكريم شفاء لمـــا فى الصدور والقلوب ، ومن لم يتلقه بالقبول زاد مرضه ووباله ٠

* * *

وهذا ليس معناه أن تقاطع الأطباء الآخرين : كلا ، وانما المراد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى مع انتفاعك بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد فى جميع مجالات المعالجات كما عرفت ، مع ذهابك الى الطبيب المعالج الذى تطمئن اليه وترى فيه خيرا ، وأنت تردد قول القـــائل :

ذهبت أنادى طبيب الورى   وروحى تناجى طبيب السماء
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء   وذاك ليجعـــل فيه الشـــفاء

وتأمل معى قول القائل :

ان الطبيب له عـــلم يدل به   ما دام فى أجل الانســـان تأخير
حتى اذا انقضت أيام مهلته   حار الطبيب وخانته العقـــاقير

متعنى الله واياك بالصحة والعافية ، ونفعنى واياك بالقرآن الكريم وهدى الرسول الحبيب الطبيب صلوات الله وسلامه عليه ، وختم لنا جميعا بالايمان ٠



الوصية الرابعة والثلاثون

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى » .

(رواه أبو داوود والترمذى باسناد لا بأس به)

* * *

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الصالح الذى وجه اليه المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الوصية الجامعة التى تعتبر أساسا لاستمرار السعادة الفردية والجماعية .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى الكبير الذى يوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم أن أدور معك بايجاز حول هذين العنصرين اللذين يتكون منهما مضمون هذه الوصية ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

* (لا تصاحب الا مؤمنا) :

أى : لا تصاحب الا من اجتمعت فيه خصال المؤمنين :

« الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »(١) .

« الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون »(٢) .

وذلك لأن مصاحبة هذا المؤمن الذى تجتمع فيه هذه الصفات الحميدة ، ستكون نافعة لك فى كل خير وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه كما ورد فى حديث شريف :

« المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك فأمره كله منفعة » بل وسيكون عونا لك فى كل

---

(١) الأنفال : ٢ ، ٣ بلفظ : **« انما المؤمنون ... »** .

(٢) المؤمنون : ٢ — ٩

خير ، وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[١] .

وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[٢] .

واذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت قد نصح بمصاحبة المؤمن فالسبب فى هذا كله هو أن المؤمن ليس خائنا ولا كذابا وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب »[٣] .

وهو المؤتمن كذلك على النفس والعرض والمال وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم » .

* * *

هذا بالاضافة الى أنك اذا صاحبته تخلقت بأخلاقه العظيمة التى ما كمل ايمانه الا بها كما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، ان الله يكره الفاحش البذىء ، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة »[٤] .

* * *

فاذا كنت ستتخلق بأخلاقه الحميدة فقد أفلحت ، وحسبك هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :
« قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة »[٥] .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك بمصاحبة المؤمن فانه فى نفس الوقت يحذرك من مصاحبة غيره لأن نتائج مصاحبته ستكون عكسية للنتائج التى وقفت عليها بالنسبة للمؤمن . واذا كانت الخيانة والغدر من أهم صفات المنافق فهو اذن الذى يحذرك الرسول

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه أحمد .
(٥) رواه ابن حبان .

صلى الله عليه وسلم من مصاحبته ، وحسبك حتى تقف على خطورة المنافق أن تقرأ هذين الحديثين الشريفين :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »(١) .

« ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » (٢) .

* * *

هذا .. ولما كان العثور على الصديق المؤمن لم يعد ميسرا ، فقد رأيت وبعد هذا الايجاز أن أضع أمامك بعض الوصايا الواردة عن حكمائنا الأوائل فى وصف الصديق الذى يجب عليك أن تصاحبه . كما جاء فى كتاب « احياء علوم الدين » للامام الغزالى رحمه الله ، حتى تستنير بها فى الحديث عن الصاحب المؤمن :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق ، فيما رواه سعيد بن المسيب ، قال : عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه ، واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الأمين من القوم ، ولا أمين الا من خشى الله ، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى .

وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة : يا بنى .. اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك ، وان صحبته زانك ، وان قعدت بك مؤنة مالك ، اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان رأى سيئة سدها ، اصحب من اذا سألته أعطاك ، وان سكت ابتداك ، وان نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من اذا قلت صدق قولك ، وان حاولتما أمرا أمرك ، وان تنازعتما آثرك .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ، ويستر عيبك ، فيكون معك فى النوائب ، ويؤثرك بالرغائب ، وينشر حسنتك ويطوى سيئتك ، فان لم تجده ، فلا تصحب الا نفسك .

وقال على رضى الله عنه :

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب الا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[1] ، وقوله : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من سواده أصابك من دخانه »[2] .

* * *

* (ولا يأكل طعامك الا تقى) :

أى : لا تدخل بيتك الا التقى النقى الذى يراقب الله سبحانه وتعالى فى كل أفعاله كأنه يراه ، والذى ان دخل بيتك لتناول طعامك — مثلا — الذى تدعوه اليه كان غاضا لبصره ، وبعيدا عن كل ما فيه جرح لشعورك ، وهتك لحرمتك .

ولله در على رضى الله عنه فلقد ورد أنه قال لولده الحسن رضى الله عنه : « يا بنى .. خف ثلاثا : خف الله ، وخف من لا يخافه الله ، وخف لسانك ، فانه عدوك على دينك يؤمنك الله جميع ما خفته » فمعنى خف من لا يخاف الله : أى خف من الذى لا يخاف من الله سبحانه وتعالى لأنه لن يخشى الله فيك .

* * *

(١ ، ٢) رواه ابو داوود .

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بهذا فانه بهذا يحمى بيتك من الخراب والدمار ، لأنه اذا دخل غير التقى بيتك واختلط بأسرتك — كما يحدث الآن فى هذا الزمان المريض — كان سببا فى هدم سعادتك الزوجية والأسرية •

فكثيرا ما يحدث فى زماننا هذا أن يذهب فلان بفلان الى بيته لمجرد صداقة عابرة ، أو زمالة مصلحية وهناك يطلب من زوجته التى قد تكون شبه عارية أن تصافح صديقه أو زميله ، وقد يحدث أن يتبادل هذا الصديق — الغير مؤمن أو تقى — النظرات الغير بريئة مع هذه الزوجة التى ربما كانت تعانى من فراغ معين ، الأمر الذى قد يحدث بعده وفى غفلة من هذا الزوج الذى قد يكون مشغولا باعداد الطعام والشراب ما عناه الشاعر بقوله :

نظرة فابتسامة فسلام ‌‌ ‌ فكلام فموعـد فلقاء

وذلك لأنه كما يقول الآخر :

كل الحوادث مبداها من النظر ‌ ‌ ومعظم النار من مستصغر الشرر

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن غيورا على أهل بيتك ولا تدخل بيتك غير التقى الذى يحفظ مثلا قول الله تبارك وتعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، أن الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنـائهن أو أبنـاء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[١] •

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو[١] ؟ قال : « الحمو الموت »[٢] .

« لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم[٣] »[٤] .

« لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[٥] .

« العينان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزنى »[٦] .

لأنه اذا كان يحفظ مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية فانه سيعمل من جانبه ما دام مؤمنا تقيا على ضرورة تطبيق هذا على نفسه وغيره ، حتى يكون من الأتقياء الأوفياء الذين يطبقون تعاليم الاسلام بكل اخلاص واتقان : وهو يحفظ ويطبق وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[٧] .

* * *

فتذكر كل هذا أخا الاسلام ، واعمل بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم التى تعتبر أساسا للهداية والرشاد كما تعتبر سبيلا الى السعادة الدنيوية والأخروية .

---

(١) وهو والد الزوج او اخوه اللذان يعيشان معه فى بيت واحد فلا بد له من الدخول على المرأة .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان » .

(٣) ذو المحرم من المرأة هو من لا يحل له نكاحها من الأقارب كالأب والابن والأخ والعم ومن يجرى مجراهم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح .

(٦) رواه احمد باسناد صحيح وابو يعلى .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح للذكر

* * *

ولا تصحب أخا الجهل وايـــاك وايـــاه
فـكم من جاهل أردى حليمـا حين آخـاه
يقـاس المـرء بالمـرء اذا ما المـرء ماشـاه
وللشيء مـن الشيء مقـاييس وأشـباه
وللقـلب على القـلب دليـل حين يلقـاه

* * *

رزقنى الله واياك حسن الخاتمة ، وجعلنى واياك وجميع المسلمين والمسلمات من الراشدين الموفقين .. آمين .

* * *

وختـــاما ..

اليك أخا الاسلام هذه الوصية التى أرجو أن تنتفع بها :

قال حكيم : اجتنب سبع خصال ، يسترح جسمك ، وقلبك ، ويسلم لك عرضك ودينك :

* لا تحزن على ما فاتك .
* ولا تحمل هم ما لم ينزل بك .
* ولا تلم الناس على ما فيك مثله .
* ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل .
* ولا تنظر بشهوة الى ما لم تملك .
* ولا تغضب على من لم يضره غضبك .
* ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

والله الموفق للصواب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

« المؤلف »

تم بحمد الله طبع المجلد الأول « من وصايا الرسول » للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى ، ويشمل الأجزاء من الأول حتى العاشر ، بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر لصاحبها « أحمد حمدى أحمـد شعبان » فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٩٨١ م .

وقام بمراجعة آياته وتصحيحه ، العبد الفقير الى الله تعالى راجى عفوه وغفرانه « محمد الأنور أحمد البلتاجى » سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعل عمله فى ميزان حسناته .. « **يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم** » ..

وجزى الله صاحبه ، الذى اجتهد فأصاب .. أفضل ما جزى به عباده المؤمنين ونسأله تعالى أن ينفع به وبكتابه المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

محتويات الكتاب

الجزء الأول

(٣ — ١٠٢)

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الجـزء الثانى

(١٠٣ ــ ١٨١)

الجزء الثالث

(١٨٢ ـ ٢٦٥)

الصفحة

الجـــزء السادس

(٤٧١ ـ ٥٥٤)

الجـــزء السابع

(٥٥٥ ـ ٦٣٧)

الصفحة

* * *